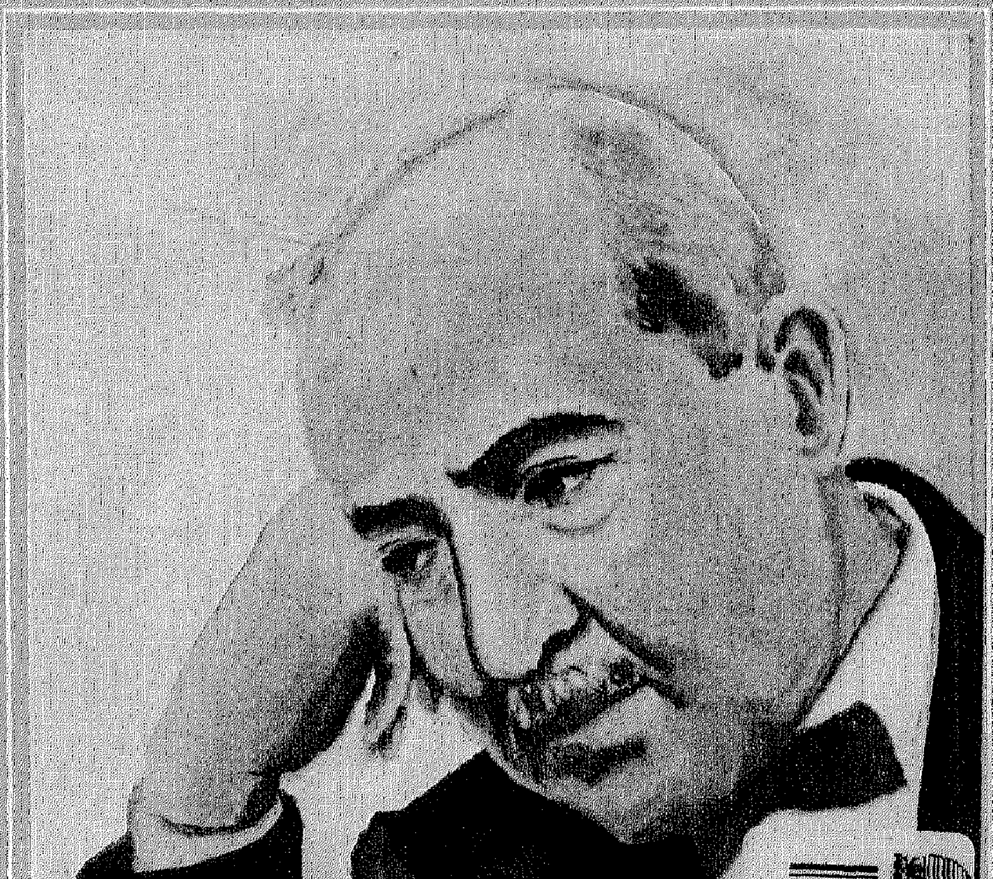
أحمد شوقي



دار العودة - بيروت

الأعمال الشعرية الكاملة

المجلد الأول

الشوقيات

شعر المرحوم
احمد شوقي

الجزء الأول
في
السياسة والتاريخ والاجتماع

دار العودة - بيروت

يطلب من دار العودة - بيروت
كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس MEREBI ٢٣٦٨٢_L_E
ص. ب ١٤٦٢٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل

---

١ ـ كانت مصر الى حين قدوم الحملة الفرنسوية اليها فى سنة ١٧٩٨ بعيدة عن الاحتكاك بدول أوروبا ، خلا ما كان من مرور بعض التجار والمتاجر بأرضها فى ذهابهم وعودتهم بين الغرب والشرق . وكانت بحكم خضوعها لاستبداد المماليك ـ تحت سيادة تركيا ـ تسود فيها الدسائس ، ويعمل كل من أمرائها لما يجر اليه النفع ، وكانت الحركة العلمية والأدبية خامدة فيها خمودها فى سائر بلاد الدولة العثمانية ، وبلغ من ذلك أن تدلى علماء الفقه الاسلامى ، الذين كانوا فى مختلف العصور فخر مصر وزينتها ، وفتر نشاطهم وفسد تتاجهم فى ذلك العصر ، فأما الأدب من شعر ونثر فلم تقم له الى ذلك العصر قائمة منذ امتد سلطان الأتراك على مصر ، وانك لتعجب حين تقرأ كاتبا كالجبرتى أو ابن اياس، لضعف تأليفه ولغته ، ولسقم ما فيه من آثار الأدب شعرا كانت هذه الآثار أم نثرا .

فلما جاء الفرنسيون الى مصر ، وتغلغلوا فيها ، وسارت مع حملة الجنود حملة العلماء ، رأى المصريون مظهرا جديدا من مظاهر الحياة لم يكن لهم فى تاريخهم الأخير به عهد .

كان من بينهم الأطباء والمهندسون والصناع والقواد ، ومن بينهم قام رفاعة بك رافع وتلاميذه يحيون عهد الأدب العربى فى مصر ، ولكنها كانت حياة تحيط بها ظلمات ماض طويل ، لذلك كان سريان نورها ضئيلا قصير المدى ، لكنها مع ذلك كانت بدءا له ما بعده ، فلما كان عهد

اسماعيل سارت فى سبيل النضج والقـوة ، ثم كانت الثورة العـرابية وما تلاها من الحوادث مثارا لشاعرية أكابر الشعراء من أمثال : سامى باشا البارودى ، واسماعيل باشا صبرى ، ووحيا لخيال شبان كان روح الشعر آخذا بنفـوسهم ، متهيئا ليفيض منها ما ينفخ فى الأدب العربى روحا وقوة .

وكانت الفترة التى انقضت ما بين الحملة الفرنسية فى مصر سـنة ١٧٩٨ واحتلال الانكليز اياها على أثر الثورة العرابية فى سنة ١٨٨١فترة تقلبات سياسية عجت بين الشرق والغرب والمسلمين والنصارى . فقـد كانت تركيا من قبل ذلك التاريخ فى عهد تدهورها ، وكانت مطمع أطماع روسيا ، فلم تكن تمر حقبة من الزمن من غير أن تشب بينهما حرب تنقص من أطراف المملكة العثمانية ، وضعف تركيا هو الذى دفع محمد عـلى الى غزوها ، لكنه ما كاد يقترب من الآسـتانة حتى تألبت عليـه انكلترا وفرنسا وروسيا مخافة أن يزعجهم قيامه فى عاصمة آل عثمان بين الدول الأوروبية بعد ما كان من انتصاراته الباهرة فى الشرق ومن سعيه لتوطيد قوة السيف وقوة العلم فى مصر ، وكأن ما قامت به الثورة الفرنسـية من نشر مبادىء حرية الرأى والعقيدة لم يغير من نفس تلك الدول التى جعلت من الاسلام والمسيحية والشرق والغرب خصمين لا يتهادنان من غير أن تنطوى الضلوع على حفيظة .

فأما المسلمون فى أقطار الأرض فلم يشتد حقدهم على محمد على؛ ذلك بأن الدول الاوروبية كافة وروسيا خاصة ، كانت لا تفتأ تشن الغارة على الأتراك وتزيدهم ضعفا على ضعفهم ، فقدانتهت حروب الامبراطورة كاترينا فى سنة ١٨٩٢ بمد الحدود الروسية الى الدنيستر ، ثم تحـالفت روسيا وانكلترا وفرنسا فى سنة ١٨٢٨ ، وسلخن اليونان من جسم الدولة العثمانية ، وأقمنها مملكة مستقلة ، وفى سنة ١٨٥٣ كانت حـرب القرم ، ولولا خوف انكلترا وفرنسا من طغيان روسـيا ومن اكتسـاح الجنس السلافى أوروبا ، لنال الروس من تركيا أكثر مما نالوا من قبل ، ولنفذوا برنامجهم باجلاء الأتراك عن أوربا .

وهذا الضعف والاضمحلال الذى أصيبت الدولة التركية به هو الذى جعل المسلمين لا يحقدون على محمد على حين غزا الأتراك متمسكين بقول الشاعر :

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى والا فأدركنى ولما أمزق

على أن الحرب التى شبت نارها بين روسيا وتركيا فى سنة ١٨٧٧ والتى خلد فيها الغازى عثمان باشا انتصار الترك بدفاعه المجيد عن(بلفنا) أحيت فى نفوس المسلمين آمالا فى دولة الخلافة كانت توشك أن تنهدم وتنهار .

ولقد كان المصريون الى ذلك العهد يعطفون على تركيا عطف غيرهم من المسلمين ، ولكنهم كانوا أبدا يفكرون فى استقلالهم عنها ويريدون تحقيقه ، ولم يكن الأمل فى ذلك بعيدا بعد الفرمان الذى استصدره اسماعيل باشا فى سنة ١٨٧٣ واستقل فيه بادارة الدولة ، وبالتشريع لها، وبانشاء الجيش الذى يقوم بحاجاتها ومطامعها ، لذلك كان عطفهم على تركيا منبعثا عن شعور دينى بحت لا أثر للتبعية السياسية فيه ، فلما حطمت انكلترا وفرنسا آمال اسماعيل ، وقضتا عليه باسم ديون مصر ، ودفعتا تركياالى خلعه ، واتنهت انكلترا باحتلال مصر بعد الثورة العرابية ، ونكثت بعد الاحتلال وعودها بالجلاء ، وأحس المصريون بتدخلها فى شئونهم ، اشتد عطفهم على تركيا ، وضعف تبرمهم بسيادتها عليهم ، وثبت عندهم اليقين بأن دول النصرانية تطارد دول الاسلام ، وقويت فيهم النزعة الدينية ، وكان من ذلك مازاد النشاط فى بعث الحضارة الاسلامية والأدب العربى فى مصر .

٢ ـ وسط هذه العوامل السياسية والاجتماعية وجد « أحمد شوقى » ، ولد « بباب اسماعيل » وشب فى جواره ونشأ فى حماه ، فكان طبيعيا أن تتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية ، وأن تكون أكثر تأثرا بها لقربها من المسرح الذى تشتبك فيه أصول هذه العوامل وأسبابها ، وتضطرب فيه اضطرابا يخفيه ما تقضى به حياة القصور ، ثم

تصدر الى الحياة بعد أن تكون قد نظمت وهذبت ، وشوقى خلق شاعرا، والشاعر يتأثر أضعاف ما يتأثر سائر الناس ، لذلك كان لكل هذه العوامل أثر باد فى شعره وفى حياته .

ومع أن شوقى درس فى مصر ، ثم أتم دراسته فى أوربا وتأثر بالوسط الأوربى وبالحياة الأوربية وبالشعر الأوربى تأثرا كبيرا ، فقد ظل تأثره بالبيئة التى وصفنا ظاهرا فى حياته وفى شعره ، كما ظل تأثره بالبيئة الأوربية ظاهرا فيهما كذلك.. وانك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه ــ بعد أن يتم نشرها جميعا ــ كأنك أمام رجلين مختلفين جد الاختلاف لا صلة بين أحدهما والآخر ، الا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر الى عليا سماواته ، وأن كليهما مصرى يبلغ حبه مصر حد التقديس والعبادة .

أما فيما سوى هذا فأحد الرجلين غير الرجل الآخر : أحدهما مؤمن عامر النفس بالايمان ، مسلم يقدس أخوة المسلمين ، ويجعل من دولة الخلافة قدسا تفيض عليه شئونه وحوادثه وحى الشعر والهامه ، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، محافظ فى اللغة يرى العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال ، والآخر رجل دنيا يرى فى المتاع بالحياة ولعيمها خير آمال الحياة وغاياتها ، متسامح تسع نفسه الانسانية وتسع معها الوجود كله ، ساخر من الناس وأمانيهم، مجدد فى اللغة لفظا ومعنى ، وهذا الازدواج ظاهر فى شعر شوقى من أول شبابه الى هذا الوقت الحاضر ، وان كان لتأثره بالقديم الغلبة اليوم ، وكانت آثار الرجل الآخر لا تظهر اليوم فى شعر شوقى الا قليلا .

ولا تقل : ان الازدواج النفسى شأن الشعراء ، وان أبا نواس الذى كان يقول :

ألا فاسقنى خمرا ، وقل لى : هى الخمر
ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر

والذى كان يقول :

دع عنك لـومي : فان اللوم اغراء وداولي بالتى كانت هى الـداء

هو أبو نواس الذى كان يقول :

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثيـاب صـديق

فليس هذا من أبى نواس ازدواجا فى الروح ، وما الحكمة الزاهدة عنده الا فتور نفس أجهدتها اللذة فأضعفتها ، فأخافها الضعف ، فألجأها الى حمى الحكمة والزهد ، والى استغفار الله والتـوبة ، لذلك لا تلبث نفسه أن تعاودها القوة حتى تعود الى نعيم التـرف والاباحة ، وذلك هو السر فى أنك لا ترى الزهد فى شعر أبى نواس الا عرضا واستثناء ، وذلك شأن الشعراء جميعا الا قليل منهم ، وشوقى من هذا القليل ، ففى شعره صورتان من صور الحياة تقوم كل منهما مسـتقلة ، كأنما صاحبهـا غير الآخر ، فأنت تقرأ :

حـف كأسـها الحـبب فهى فضـة ذهـب

أو تقرأ :

رمضان ولى ، هاتها ياسـاقى مشتـاقة تسـعى الى مشـتاق

فتراك فى حضرة شاعر مغـرم بالحيـاة وبمتاعها ونعمتهـا ، شاعر تختلف روحه جد الاختلاف عن صاحب نهج البردة التى مطلعها :

ريم على القاع بين البـان والعلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وصاحب الهمزية الذى يقول :

ولد الهدى ، فالـكائنات ضـياء وفـم الزمـان تبسـم وثنـاء

وهذان الروحان ، أو هاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوران فى نفس شوقى ، وتصدران عنها وهى فى كل قوتها وسلطانها ، وأنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الأوليين تمتلىء اعجابا بالحياة ومتاعها ولذتها ، وحين تقرأ الثانيتين تكون أشد اعجابا بكلمة الايمـان وروح الحق ورسـالته ،

وأنت لا تشعر فى أى الحالين بضعف نفسانى عند الشاعر دفع به الى لبوس روح غير روحه ، بل أنت فيهما جميعا يبهرك شوقى بقوة شاعريته المتلئة حياة وخيالا ، والتى تفيض بمتــاع العيش فيضها بنور الايمان .

كيف كان هذا الازدواج ؟ كيف جمــع شوقى فى نفســه بين هذين الشاعرين ، شاعر الحياة العربية بحضارتها الاسلامية وبما فيها من قــدم وايمان ، وبين شاعر الحياة الغربية الخاضعة لحكم العلم وما يكشف عنه كل يوم من جديد ؟

مسألة تبدو للنظرة الأولى دقيقة معقدة . فقد تزدوج فى نفس واحدة حياتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج ، فيكون الرجل الواحد فيلسوفا وشاعرا ، كما كان المعرى أو كما كان فولتير ، فأما أن يكون الرجل شاعرا وحلة حياته الشعر ، ثم تكون نفسه مقسمة مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقى ، فذلك عجب فى شاعر مطبوع يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من النبع ، وكما ينهمل المطر من الغمام .

على أن لهذا الازدواج سببا لم يكن مفر من أن يؤدى اليه ، ذلك أن شوقى كان فى طبع شبابه رسول الحياة ، كان شاعر :

حف كأســها الحبب فهى فضــــة ذهب

لكن هذا الشباب لم يكن فى ملك نفسه ، فقد بعث به الخديو توفيق باشا ليتم علومه فى أوروبا ، وكان من قبل ذلك شاعرا متفوقا ، وكان فى تفوقه ككل شاعر شاب يرسل القول كما تلهمه اياه نفسه . فلما عاد الى مصر اتصل بالأمير الشاب عباس حلمى باشا وصار كلمته ، ورأى يومئذ صنوا له على العرش جعلته روحه الشابة مقداما لا يهاب . ومع ما فوجىء به أول ولايته فى حادث عرض الجيش فى السودان ــ مما اضطره للاعتذار ــ قد بقى شبابه يدفعه الى ما كان يندفع اليه جده اسماعيل من مغامرة ، لكن قيام الاحتلال الانكليزى فى مصر جعل الخصومة بينه وبينهم وليست بينه وبين الأتراك ، بل لقد كان منظورا اليه أكثر الأحيان بشىء غير قليل

من العطف في بلاد آل عثمان . لذلك كانت عواطفه متفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا بعد انتصار الأتراك يرون في الخليفة الموئل الأخير لأمم الاسلام جميعا .

اتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب ، فحتم عليه ذلك أن يكون المعبر عن الميول والآمال الكمينة في نفوس المسلمين جميعا ، لا في نفوس المصريين وحدهم ، وبذلك اجتمع في نفسه من أول حياته ميله للحياة ، وحبه اياها ، وحرصه على المتاع بها ، مع ايمان المسلمين جميعا وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم ، بازاء الامم الغربية التي تنظر اليهم بعين صليبية بحتة ، وكانت هذه الناحية التي تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به ، أكثر استيحاء لشعره من الناحية الاولى التي هي طبيعة نفسه ، فكأن بذلك كالرجل القوى الذى يرى وطنه في خطر ، ويصبح جنديا ، وجنديا باسلا ، ويتفوق في كل مواقف الحرب ، ويصبح القائد الأعظم ، ولو أن وطنه لم يكن في خطر لرأيته صديق النعمة ، السعيد بها غاية السعادة .

٣ — وهذا الجزء الأول من ديوان شوقي فيه طائفة من شعره أوحى اليه بها على أنه ممثل المصريين والعرب والمسلمين ، وأولى قصائده التي مطلعها :

همت الفلك ، واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء

هي رواية من الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة الى عهد أبناء محمد على ، وقف فيها الشاعر وقفة مصرى صادق العاطفة تفيض عليه ربة الشعر تاريخ بلاده منذ عرفها التاريخ ، أى منذ عرف الناس شيئا اسمه التاريخ ، وأنت تراه في عرضه هذا التاريخ مستلىء النفس فخرا بمجد مصر حين يرتفع بها المجد الى عليا ذراه ، آسفا حزينا حين تمر بمصر فترات ظلم وذلة ، مستفزا للهمم ، حافزا لعزائم أهل جيله والأجيال التي بعده ، كي يعيدوا مجد الماضي وعظمته .

وتراه في انتقاله من الفخر الى الأسف الى الاستفزاز يسير مع

الحوادث متدفقا ، مندفعا فوق موج الماضى ، آتيا من لا نهايات القدم ، كأنما هو قيثارة آلهة ذلك الزمان البعيد ، يدفع اليها كل جيـــل نسائمه ، فتتغنى وتشدو بأهازيج النصر ، وبترانيم المسرة طـورا ، ويشجو الألم أحيانا (١) .

وللقدم وللماضى على نفس الشاعر أثر يذهب الى أعماقهـا . وليس لمثل الآثار المصرية من القدم نصيب ، فهذه الأهرام ما تزال تحتـوى من الطلاسم ما يحار العقل فى حله ، وهذا أبو الهول فى مجثمه بين رمـال الصحراء أكثر ثباتا من الليل والنهار ومن الشمس والقمر ، وهو فى روعة صمته ينطق كل خط خطته الدهور على صحائف جثمانه ، بما حـوته من عبر أيسرها دوام انهيار الأشياء لدوام تجددها ، وهذا الملك الشاب «توت عنخ آمون» نبش قبره النابشون باسم العلم فاذا فيــه من طرف الفن ما يزرى بكل فن وعلم ، هذه وسواها من الآثار تثير فى النفس ــ الى جانب صورتها الظاهرة وما يدل عليه ابداع صنعها ودقة فنها من حضارة كملت لها كل أنواع الحضارة ــ صورة الماضى الذاهب فى القدم الى أغوار الأزل ، وتثير من شاعرية شوقى معانى بالغة الموعظة والعبرة مبلغها من السـمو والعظمة . .

وأنت اذ تقرأ قصائده : على سفح الأهرام ، وأبو الهـول ، وتوت عنخ آمون يهزك الشعور بصورة هـذا الماضى فى قداسـتها ومهابتهـا ،

---

(١) انظر الانتقال فى هذه الابيات التى اخترناها :

قل لبنـان بنى فشاد فغـالى ... لم يجز مصر فى الزمـان بنـاء
اجفل الجـا عن عزائم فرعـو ... ن ودانت لبأسهـا الآبـاء
زعمـوا أنهـا دعـائم شيـدت ... بيـد البغى ملؤها ظلمـاء
ان يكن غـير ما أتـوه فخـار ... فأنا منـك يا فخـار بـراء
لا رعـاك التـاريخ يا يوم قمبـ ... ـيز ولاطنطنت بك الأنبـاء
جئ بالمـالك العـزيز ذليـلا ... لم تزلـزل فؤاده البأسـاء
بنت فرعـون فى السلاسـل تاشى ... أزعـج الدهر عريهـا والخفـاء
والأعـادى شـواخص وأبوهـا ... بيد الخطب صخـرة صمـاء
فأرادوا لينظـروا دمـع فرعـو ... ن وفرعـون دمعـة العنقاء

وتمتلكك نفس الشاعر فترفع بك من مستوى الحياة الدنيا الى سماوات الخلد ، ذلك بأن شوقى يهديك المعنى الذى كانت تلتمسه نفسك فلا تقع عليه ، ويرسم أمامك بوضوح وقوة وسمو خيال ونبل عاطفة كل ما ينبض به قلبك ويهتز له فؤادك .

خلع القدم على هذه الآثار معنى البقاء والثبات ، لذلك كان ما يفيض من الوحى الى روح شاعر الشرق ثابتا باقيا ، لا تزعزعه الحوادث ، ولا تعصف به الغير ، فأما ما سوى ذلك من شئون هذه العصور الحديثة فشوقى فيه هو كلمة الأمة ، وفى هذه العصور الحديثة تغير قدر الناس للحوادث اصغارا واكبارا ، بمبلغ رجائهم فيها ، أو خشيتهم آثارها، وقد تعجب اذ ترى قصيدتين من أبدع قصائد شوقى وأحراها بالخلود متجاوزتين فى هذا الجزء الأول من الديوان : احداهما فى وداع لورد كرومر ومطلعها :

أيامكم ، أم عهد اسماعيلا أم أنت فرعون يسوس النيلا ؟

والثانية فى ارتقاء السلطان حسين كامل على أريكة مصر ، ومطلعها :

الملك فيكم آل اسماعيلا لا زال بيتكم يظل النيلا

فترى الشاعر ينظر فى كل من القصيدتين الى الحوادث والأشخاص بغير ما ينظر اليها فى الأخرى ، ثم تجد مثل هذا فى غير هاتين القصيدتين . وليس لذلك من علة الا الاضطراب الذى أصاب العالم قبل الحرب وبعدها ، والذى ما يزال عظيم الأثر على تفكير المفكرين وكتابة الكتاب وشعر الشعراء .

على أن هذا التأثر بالحوادث فى بعض الشئون التى لا يستقر للناس فيها عادة رأى قبل أن يصدر التاريخ عليها حكما خاليا من الغرض ، لا يؤثر بشىء فى روعة القصائد التى كان فيها ، وهو بعد لا يشغل من هذه القصائد الا حيزا ضيقا ، فان شوقى لا يزيد فى القصائد التى تقال لمناسبة حادث من الحوادث على أن يشير لهذا الحادث بأبيات خلال

القصيدة وفى آخرها ، فأما أكثر أبيات القصيدة فحكم غوال ، أو وصف رائع ؛ أو ما سوى ذلك مما يلذ عقل شوقى أو خياله أن يفكر فيه أو يلهو به . وهذه الحكم لم يتغير تقدير شوقي لها ، فهو يرى أن الامم لا تقوم على دعامة غير دعامة الاخلاق ، وهو يرى ذلك برغم ما قد يبدو فى بعض الامم الثورية من تدهور فى الاخلاق ، فالعلم عنده حسن وله فائدته ، والغنى حسن كذلك ، وسائر أدوات الحضارة تصلح الأمم ، لكنها جميعا لا فائدةمن رقيها وغزارتهااذا انحطت أخلاق الأمة ، فأما أن قويت هذه الأخلاق فقليل من ذلك كله كاف ليرتفع بالأمة الى ذروة المجد والسؤدد .

وليس معنى هذا أن شوقيا يحقر من شأن ما سوى الأخلاق،فله عن العلم والفن والعمل والترحال وغيرها آيات بينات ، لكنما معناه أن الأخلاق عنده فى المحل الأول ، وهو لا يمل من أن يكرر الدعوة الى الخلق الصالح على أنه قوام حياة الأمم فى كل قصيدة يقولها عن مصر أو عن غير مصر ، وكثير من أبياته فى هذا المعنى قد أصبح مثلا يتداوله كل كاتب ، وكل أستاذ ، وكل تلميذ ، ويردده الجميع على أنه الحكمة لا يأتيها باطل من بين يديها ولا من خلفها ، أو لا ترى قوله :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

قد بلغ من تواتره على الألسن أن أصبح الكثيرون لا يعرفون ان كان لشوقى أو لشعراء العصور الزاهرة فى أيام العرب الا لأنهم يريدون أن يكون فخر هذا البيت وغيره من مثله لهم ، بنسبته لشاعر مصر والشرق فى عصرهم .

٤ ـ الى جانب مقام العاطفة الوطنية التى هى قوة متسلطة على نفس شوقى ، تقوم عاطفة أخرى لا تقل عنها قوة ، وربما كانت أشد أخذا بهذه النفس واثارة لشاعريتها ، تلك هى العاطفة الاسلامية ، فشوقى شاعر الاسلام والمسلمين ، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق ، وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة الى جهتين ، ثم الى قومين : فهى تتجه صوب مكة مسقط رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومقام ابراهيم كعبة المسلم

وقبلة أنظارهم ، ومكة فى بلاد العرب ، والنبى عربى ، والقـرآن عربى . وهى تتجه ـ أو كانت تتجه ـ صوب الاستانة ، مقر الخلافة الاسلامية ، ومقام الخليفة من آل عثمان . والاستانة عاصمة الترك ، وخليفة المسلمين كان تركيا . فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره ـ الى حين ألغيت الخلافة ـ نحـو مكة ونحو الاستانة ، يستمد من الأولى المـدد الروحى ، ومن الثانية مدد السيف والمدفع .

الى جانب ما يرجوه المسلم من أهل بلاد الشرق العربى فى مكة من مددروحى ، تحرك نفسه الى هذه الأنحاء عاطفة أخرى هى العاطفةالعربية، هى عاطفة هذه اللغة التى تربط اليوم أكثر من سبعين مليـونا ، أكثرهم مسلمون ، وكلهم خاضع لما يخضع له غيرهمن بطش القوة وسلطان التحكم؛ واللغة فى حياة الأمم ليس شأنها هينا ، فأمة لا لغة لها لا حياة لها . ورقى اللغة فى أمة آية صادقة من آيات رقيها ، وما دام العرب مصدر اللغـة ، وعلى رجل منهم هبط الوحى ، وبينهم قام صاحب الشريعة فلهم ـ عند المسلمين كافة وعند الذين يتكلمون العربية خاصة ـ حرمـة تدفعهم الى التغنى بآثارهم ، والاشادة بقديم مجدهم ، وتمنى خير الأمانى لهم .

لذلك كان العرب ، ومـكة ، و الوحى ، والقـرآن ، والاسـلام ، والرسول ، كلها معان لها من الأثر فى نفس شـوقى ما ليس لسـواها من آثار الماضى ، ولذلك لم يكن شوقى يشيد بذكر المسلمين وبخلافتهم لغاية سياسية صرفة ، بل انه ليؤمـن بهذه المعانى ايمانا يتجـلى فى الكثير من قصائده على صورة تتركنا فى حيرة . كيف يبلغ الايمان من نفس هـذا المحب للحياة كل هذا المبلغ ؟ فلا نجـد لحيرتنـا جلاء الا من الحديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

وبحسبك أن تقرأ الهمزية النبوية ، ونهج البردة ، وقصيدتهفىذكرى المولد التى مطلعها :

سـلوا قلبى غـداة سلا وثابا   لعـل عـلى الجمـال له عتـابا

لترى فى غير ابهام أنه انما أملت هـذه القصائد قـوة غلبت طبع الشاعر ، هى قوة الايمان !

لكنك قد يدهشك مع تجلى الايمان فى هذه القصـائد وغيرها أن يكون شوقى أكثر تحدثا عن التـرك وعن الخليفة منه عن العـرب وعن الرسول ، فهذا الجزء الأول من ديوانه يشتمل على ثلاث قصائد عن العرب ومكة والرسالة ، ويشتمل على ثمانى عشرة قصيدة عن الخلافة وعن الترك ، وأنت تلمس فى هذه القصائد الثمانى عشرة جميعا حسا أدق من العاطفة ، وفيضا أغزر من الشعر ، وقوة تكاد تعتقد معها أن شوقيا اذ يتحدث عن الترك انما يملى ما يكنه فؤاده ، وانما يندفع بقوة كمينـة هى قـوة دم الجنس ، أو أن اتصاله بالبيت المالك فى مصر كان قوى الأثر فى نفسه الى حد جعله يفيض من ذكر الترك بما ينبض به قلب سلالة محمد على .

وليس عليك الا أن تقرأ أيا من قصائده التركية ، لتقتنع بما نقول .

اقرأ قصيدته العظيمة العامرة عن الحرب العثمـانية اليونانية التى مطلعهـا :

بسيفك يعلو الحق ، والحق أغلب وينصر ديـن الله أيـان تضرب

أو قصيدته فى رثاء أدرنة ، أو تحيته للترك أيام حرب اليونان ، اقرأ أيا من هذه القصائد التى قيلت قبل الحرب الكبرى ، أو اقـرأ غيرها مما قيل بعد الحرب على أثر انتصار الأتراك على اليونان ، كقصيـدته التى مطلعها :

الله أكبر ، كم فى الفتح من عجب . يا خالد الترك جدد خالد العـرب

وانك لمؤمن حقا بأن هذه القصائد التركية هى أقوى قصائده عن الحوادث وأصدقها حسا وعاطفة .

ولعل مرجع ذلك أن قد اجتمعت فى الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقى اتصال بها ، فكانت لذلك تهزه أكثر مما تهز سواه . فالترك — فوق أنهم كانوا مقر الخلافة وقبلة المسلمين الزمنية وأصحاب السـيادة على مصر سيادة يشلها الاحتلال الانجليزى — يجرى من دمهم فى عروق الشـاعر

الكبير ، ومنهم أصحاب عرش مصر — يومئذ — الذين ببابهم ولد شوقى وفى حماهم شبّ ونشأ .

وقد بلغ من حب شوقى للترك أن كان يعتبرهم مجموعة فضـائل لا تشوبها نقيصة .

٥ — على أن شوقيا — وان كان شاعر مصر ، وشاعر العرب ، وشاعر المسلمين ، وكان فيه الازدواج بين حب الحياة ومتاعها والايمان ونعيمه — له ذاتيته التى لا تخفى ، فهو شاعر الحكمة العامة، وهو شاعر اللغةالعربية السليمة ، وانك لتعجب أكثر الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده ثم لا تجد فى القصيدة غير أبيات معدودة تدخل فى موضوع العنوان، بينا سائرها حكمة أو غزل أو وصف أو ما شاء لشوقى هواه ، ومـا أحسب شاعرا بالغ فى ذلك ما بالغ شوقى ، ولست أضرب لك مثـلا لذلك ممـا فى هذا الجزء الأول من الديوان الا بقصـائد ثلاث : لجـان التموين ، والانقلاب العثمانى ، وبين الحجاب والسفور . هـذا وانك واجد فى غير هذه القصائد الثلاث ما يظهر لك منه ما ألقينا به اليك ، فشيطان شوقى أشد حرصا على متاعه بالشعر للشعر منه بموضوع خاص ، أما القصائد التى يملك موضوعها أبياتها جميعـا فهى القصائد التى مـلك موضوعها شوقيا فأنساه نفسه ، بما كان له فى هذا الموضوع من لذة ومتـاع ، وما أفاضه على شاعريته من وحى والهام .

وحكمة شوقى ، وما يصدر عنه من وصف وغزل ، وما يميز شعره جميعا يبدو كأنه شرقى عربى لا يتأثر بالحياة الغربية الا بمقدار ، وهـذا طبيعى ما دام شوقى شاعر العرب والمسلمين ، وما دام يجد فى الحضـارة الشرقية القديمة ما يغنيه عن استعارة لبوس المدنيـة الغربية الا بالمقـدار الذى تحتاج اليه أمم الشرق فى حياتها الحاضرة لسيرها فى سبيل المنافسة العامة . ولقد ترى شوقيا يغلو فى شرقيته وعربيته أحيانا ، ولقد تراه يتعمد ذلك فى لفظه ومعناه ، وسبب ذلك هو ما يراه من ضرورة مقاومة النزعة القائمة بنفوس كثيرة تصبو الى نسيان ما خلف السلف من تراث والأخذ بكل ما ينبع به الحاضر من وراء الغرب .

وقد يكون غلو شوقي أكثر وضوحا في جانب اللغة منه في جانب المعاني ، فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط مما في الغرب بكل ما يسيغه الطبع الشرقي وترضاه الحضارة الشرقية ، أما لغته فتعتمد على بعث القديم من الألفاظ التي نسيها الناس وصاروا لا يحبونها لأنهم لايعرفونها، ولعل سر ذلك عند شوقي أن البعث وسيلة من وسائل التجديد ، بل لقد يكون البعث آكد وسائل التجديد نتيجة ما يوجد من أرباب اللغة ، ممن يفيضون على الألفاظ القديمة روحا تكفل حياتها ، والبعث لها الى جانب. ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدنية دراسة ومدنية وليدة ، يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه .

ومن ذا ترى من أرباب اللغة قديرا قدرة شوقي على أن يبعث في الألفاظ القديمة روحا تكفل حياتها في الحاضر ، وتفيض عليها من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لما تكن تتسع له من قبل المعاني والأخيلة والصور ؟ ان اليونانية ما تزال موضع دراسة العلماء واللغويين لأن هومير كتب بها الياذته ، واللاتينية ما تزال حياتها كمينة وان تدثرت بحجب الماضي أن كتب بها فرجيل شعره ، واللغة العربية هي حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليونا من أهل هذا الشرق العربي ، وهي حية وستبقى أبدا حية ، ولكن كمال حياتها يحتاج الى أن يبعث الله لها أمثال شوقي ، ليزيدوا تلك الحياة قوة وروعة وجمالا .

وما أنا بحاجة الى أن أدله على هذه القوة ، وتلك الروعة ، وذلك الجمال ، فكل أديب أو متأدب يعرف منها ما أعرف ، وها هي ذي مجلوة في هذا الديوان بكل ما لشوقي على اللغة والأدب والشعر من سلطان .

كبار الحوادث فى وادى النيل *

هَمَّت الفُلكُ ، واحتواها الماءُ ... وحَدَاها بمن تُقِلُّ الرجاءُ(١)
ضرب البحرُ ذو العُباب حَوَالَيْـ ... ـها سماءً قد أكبرتها السماءُ(٢)
ورأى المارقون من شَرَك الأر ... ض شباكًا تمدّها الدأماءُ(٣)
وجبالاً موائجًا فى جبالٍ ... تتدجّى كأنها الظلماءُ(٤)
ودَوِيًّا كما تأهّبت الخيـ ... ـلُ وهاجت حُماتَها الهيْجَاءُ
لُجَّةٌ عند لجةٍ عند أخرى ... كهِضَاب ماجت بها البيْداءُ
وسَفِينٌ طورًا تَلوحُ ، وحيناً ... يتوَلَّى أشباحَهنَّ الخفاءُ(٥)
نازلاتٌ فى سيرها صاعداتٌ ... كالهوادى يَهُزُّهنَّ الحُداءُ(٦)
ربِّ ، إن شئتَ فالفضاءُ مَضِيقٌ ... وإذا شئتَ فالمضيقُ فضاءُ
فاجعل البحرَ عصمةً ، وابعث الرحـ ... ـمةَ فيها الرياحُ والأنواءُ(٧)
أنت أنسٌ لنا إذا بَعُدَ الأنـ ... ـسُ ، وأنت الحياةُ والإحياءُ
يتولَّى البحارَ — مهما ادلهمّت — ... منك فى كل جانب لألاءُ
وإذا ما عَلَت فذاك قيامٌ ... وإذا ما رَغَتْ فذاك دعاءُ(٨)
فإذا راعها جلالُك خَرَّتْ ... هيبةً ، فهْىَ والبساطُ سواءُ

---

* قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى مدينة جنيف فى سبتمبر سنة ١٨٩٤ وكان منـــدوبا للحكومة المصرية فيه

١ — حدا الابل ، وحدا بها : ساقها وغنى لها — ٢ — العباب : ارتفـــاع السيل أو الموج — ٣ — مرق السهم من الرمية مروقا : نفذ فيها وخـــرج من الجانب الاخر ، فهو مارق والمقصـــودهنا الهارب . الدأماء : البحر — ٤ — تدجى الليل : اظلم — ٥ — الســفين :جمع سفينة — ٦ — الهـــوادى : أول رعيل من الابل. الحداء : الغناء فى اثر الابل — ٧ — الأنواء الأمطار — ٨ — رغا: ضج فى صوته

والعريضُ الطويل منها كتابٌ ... لك فيه تحيةٌ وثناءُ
يازمانَ البحار ، لولاك لم تُفْ ... جَع بنُعْمى زمانها الوَجْناءُ(١)
فقديماً عن وَخْدِها ضاق وجهُ ال ... أرضِ ، وانقاد بالشِّراع الماءُ(٢)
وانتهت إمْرةُ البحار إلى الشر ... ق ؛ وقام الوجود فيما يشاءُ
وبنيْنَا ، فلم نُخَلِّ لبانٍ ... وعلونا ، فلم يَجُزْنا علاءُ
وملكنا ، فالمالكون عبيد ... والبرايا بأسرهم أُسَراءُ
قل لبانٍ بنى ، فشاد ، فغالى : ... لم يجز مصر فى الزمان بِناءُ
ليس فى الممكنات أن تنقل الأجبا ... لُ شُمًّا ، وأن تُنالَ السماءُ(٣)
أجْفل الجنّ عن عزائم فرعو ... ن ، ودانت لبأسها الآناءُ(٤)
شاد ما لم يَشِدْ زمانٌ ، ولا أنْ ... شأ عصرٌ ، ولا بنى بنّاءُ
هيكل تُنْشَر الدياناتُ فيه ... فهى والناسُ والقرونُ هَباءُ
وقبورٌ تحطُّ فيها الليالى ... ويُوارَى الإصباح والإمساءُ
تشفق الشمس والكواكبُ منها ... والجديدان ، والبِلى ، والفناءُ(٥)
زعموا أنها دعائمُ شِيدَتْ ... بيَدِ البَغْيِ ، مِلْؤها ظلماءُ
فاعْذُرِ الحاسدين فيها إذا لا ... مُوا ، فصعبٌ على الحسودِ الثّناءُ
دُمِّر الناسُ والرعيّةُ فى تشـ ... ـييدها ، والخلائقُ الأُسَراءُ
أين كان القضاءُ ، والعدل ،والحكـ ... ـمة ، والرأى ، والنُّهَى ، والذكاءُ
وبنو الشمس من أعزّة مصرٍ ... والعلومُ التى بها يُستضاءُ

---

١ — الوجناء : الناقة الشديدة — ٢ — وخدها : سيرها السريع وسعة خطوها — ٣ — الأجبال : جمع جبل ٠ والشم : جمع أشم ، وهو المرتفع ٠ ٤ — اجفل : نفر وفر خائفا — ٥ — الجديدان : الليل والنهار .

فادَّعَوْا ما ادّعى أصاغرُ آثيـ　　نا ، ودعواهمُ خَنًا وافتراءُ(١)
ورأوا للذين سادوا وشادوا　　سُبّةً أن تُسخَّر الأعداءُ
إن يكن غيرَ ما أتوْه فَخَارٌ　　فأنا منك - يافخارُ - بَراءُ
ليت شعرى ، والدهرُ حربُ بنيه　　وأياديه عندهم أفياءُ(٢)
ما الذى داخلَ الليالىَ منا　　فى صبانا ، ولليالى دهاءُ ؟(٣)
فَعَلا الدهرُ فوقَ علياء فرعو　　نَ ، وهمَّتْ بمُلْكِه الأرزاءُ ؟
أعلنت أمرَها الذئابُ ، وكانوا　　فى ثياب الرُّعاة من قبل جاءوا(٤)
وأتى كلُّ شامتٍ من عِدَا المُلْـ　　ـكِ إليهم ، وانضمّت الأجزاءُ
ومضى المالكون ، إلا بقايا　　لهُمُ فى ثَرى الصعيد التجاءُ
فعلى دولةِ البُناةِ سلامٌ　　وعلى ما بنى البناةُ العَفاءُ
وإذا مصرُ شاةُ خيرٍ لراعى السـ　　ـوء ، تُؤذى فى نسلها وتُساءُ
قد أذلّ الرجالَ ، فَهْىَ عبيدٌ　　ونفوسَ الرجال ، فَهْىَ إماءُ
فإذا شاء فالرقابُ فداه　　ويسيرٌ إذا أراد الدماءُ
ولقومٍ نوالُه ورضاه　　ولأقوامٍ القِلىٰ والجفاءُ(٥)
ففريق ممتَّعون بمصر　　وفريق فى أرضهم غرباءُ
إن ملكتَ النفوسَ فابْغِ رضاها　　فلها ثورةٌ ، وفيها مَضاءُ(٦)
يسكن الوحش للوثوب من الأسـ　　ـر ، فكيف الخلائقُ العقلاءُ ؟

---

١ - الخنا : الفحش فى الكلام - ٢ - الأفياء : جمع فِىء ، وهو الغنيمة ، والمراد أن الدهر لا يحسن الى الناس الا راغما ، فكأنهم لا يظفرون منه بنعمة الا كغنيمة حرب - ٣ - اى تفعل فعل الدهاة - ٤ - ملوك الرعاة أو الهكسوس : فاتحون من آسية انتهزوا فرصة الضعف الذى حل بالبلاد على اثر انقضاء عهد الأسرة الثانية عشرة والتنازع الذى حدث على الملك بين طبقة الاشراف ، فغزوها فى سنة ١٦٧٥ ق.م - ٥ - القلى : البغض - ٦ - مضاء السيف : نفاذه فى فى الضريبة .

يحسب الظالمون أن سيسودو ... ن ، وأن لن يُؤيَّد الضعفاءُ
والليالى جوائرٌ مثلما جا ... روا ، وللدهر مثلهم أهواءُ

* * *

لبثت مصرُ فى الظلام ، إلى أن ... قيل : مات الصباحُ والأضواءُ
لم يكن ذاك من عمًى، كلُّ عينٍ ... حَجَبَ الليلُ ضوءها عمياءُ
ما نراها دعا الوفاءُ بنيها ... وأتاهم من القبور النداءُ
ليزيحوا عنها العدا ، فأزاحوا ... وأزيحت عن جفنها الأقذاءُ
وأعيد المجدُ القديم ، وقامت ... فى معالى آبائها الأبناءُ
وأتى الدهر تائباً بعظيمٍ ... من عظيمٍ ، آباؤه عظماءُ
مَنْ كرمسيسَ فى الملوك حديثًا ... ولرمسيسٍ الملوكُ فِداءُ(١)
بايعته القلوبُ فى صُلب سِيتِى ... يوم أن شاقها إليه الرجاءُ
واستعدّ العُبَّادُ للمولد الأكـ ... ـبر ، وازَّيَّنت لَه الغبراءُ
جَلّ سيزوستريسُ عهدًا ، وجَلَّتْ ... فى صباهُ الآياتُ والآلاءُ
فسمعنا عن الصبيِّ الذى يعـ ... ـفو ، وطبعُ الصِّبا الغشوم الإباءُ
ويرى الناسَ والملوكَ سواءً ... وهل الناسُ والملوكُ سواءُ ؟
وأرانا التاريخُ فرعونَ يمشى ... لم يَحُل دون بِشْرِه كبرياءُ

* * *

---

١ — هو رمسيس الثانى ابن سيتى الأول : احد ملوك الأسرة التاسعةعشرة المصرية ، ولى عرش مصر وهو صغير ،واستمر حكمه من سـنة ١٢٩٢ . ١٢٢٥ قبل الميلاد . ويعرف برمسيس الأكبر ، لما اكتسبه من الشهرة الفائق التى جعلت كثيرا من الناس يزعمـون أنه اعظم ملوك مصر ، والذى كون لـه هذه الشهرة الكبيرة تلك المبانى العديدة التى شيدها فى جميع انحاء البلاد .

ويولد السيدُ المتوَّجُ غَضًّا طهَّرته فى مهدها النعْماءُ(١)
لم يغيِّره يومَ ميلاده بؤ سٌ ، ولا ناله وليدًا شقاءُ
فإذا ما الملقَّون تولَّوْ ه تَوَلَّى طباعه الخيلاءُ(٢)
وسرى فى فؤاده زخرفُ القو ل ، تراه مستعذَباً وهو داءُ
فإذا أبيضُ الهديل غرابٌ وإذا أبْلَجُ الصباح مَساءُ(٣)

* * *

جَلَّ رمسيسُ فِطْرةً ، وتعالى شيعةً أن يقوده السفهاءُ
وسما للعُلا ، فنال مكاناً لم ينله الأمثال والنُّظَراءُ
وجيوش يَنْهضْنَ بالأرض ملكًا ولواءٌ من تحته الأحياءُ
ووجود يُساس ، والقول فيه ما يقول القضاة والحكماءُ
وبناءٌ !! بناء ، يودُّ الخلْ دُ لو نال عمرَه والبقاءُ
وعلومٌ تُحيِي البلادَ ، وبنتَا هُورُ فخرُ البلاد ، والشعراءُ(٤)
إيهِ سيزوستريس ، ماذا ينال ال وصفُ يوماً ، أو يبلغ الإطراءُ
كبُرتْ ذاتك العليَّة أن تُح صِى ثَنَاها الألقابُ والأسماءُ
لك آمُونُ ، والهلالُ إذا يك برُ ، والشمسُ ، والضحى ، آباءُ(٥)
ولك الريفُ ، والصعيدُ ، وتاجَا مصر ، والعرشُ عالياً ، والرداءُ
ولك المنشآت فى كل بحر ولك البرُّ أرضُه والسماءُ

---

١ ـ الغض : النضير ٢ ـ الخيلاء : العجب والكبر
٣ ـ الهديل : ذكر الحمام . وبلج الصباح اشرق وانار
٤ ـ بنتاهور : شاعر مصرى قديم .
٥ ـ آمون اله الشمس فى اعتقاد القدماء ، وقد كان القدماء يعتقدون ان الملوك نسل الآلهة التى أشير اليها فى هذا البيت بالشمس والقمر

ليت لم يُبْلِكَ الزمانُ ، ولم يَبْـ ... لَ لِمُلْك البلادِ فيك رجاءُ
هكذا الدّهرُ : حالةٌ ثم ضدٌّ ... ما لحال مع الزّمان بقاءُ

* * *

لا رَعَاك التاريخُ يا يومَ قمبيـ ... زَ ، ولا طَنْطنت بك الأنباءُ(١)
دارت الدّائراتُ فيك ، ونالت ... هذه الأُمّةَ اليدُ العَسْراءُ
فبمصر مما جنيتَ لمصرٍ ... أيُّ داءٍ ، ما إن إليه دواءُ(٢)
نكدٌ خالدٌ ، وبؤسٌ مقيم ... وشقاءٌ يجدّ منه شقاءُ
يَوم مَنْفِيسَ ، والبلادُ لكسرى ... والملوكُ المطاعةُ الأعداءُ(٣)
يأمر السيفُ فى الرّقاب ، وينهى ... ولمصرٍ على القَذَى إغضاءُ
جِيءَ بالمالك العزيز ذليلاً ... لم تُزلزِلْ فؤادَه البأساءُ
يُبصِر الآلَ إذ يُراح بهم فى ... موقف الذّل عَنْوَةً ، ويُجاءُ
بنتُ فرعونَ فى السلاسل تمشى ... أزعج الدهرَ عُرْيُها والحفاءُ(٤)
فكأنْ لم ينهض بَهوْدجها الدهـ ... رُ ، ولا سار خلفها الأُمراءُ(٥)

* * *

---

١ ـ قمبيز : احد ملوك الفرس ، استولى على مصر سنة ٥٢٥ ق.م ، وسلك فى المصريين مسلك العسف والظلم ، وخرب المعابد والهياكل ، وقتل العجل أبيس اله المصريين وغير ذلك . ويوم قمبيز : هو اليوم الذى انتصرت فيه جيوشه على جيوش ابسمتيك آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين فى الفرما ومنف ، والذى اخذ فيه الملك اسيرا فأذيق من الذل ما سترى . وطنطن : صوت

٢ ـ ان : هنا زائدة . وما : نافية ، بمعنى ليس

٣ ـ منفيس : هى منف التى ذكرناها وكانت العاصمة حينئذ . وكسرى : اسم لكل ملك من ملوك الفرس ، والمراد به هنا قمبيز ـ ٤ ـ الحفا (مقصورة ومدت) : المشى بلا خف ولا نعل ـ ٥ ـ الهودج : محمل النساء .

وأبوها العظيم ينظر لما رُدِّيَتْهَا مثلما تُردَّى الإماءُ(١)
أُعطيت جَرَّةً، وقيل: إليكِ النهـــرَ، قُومى كما تقوم النساءُ
فمشت تُظهر الإباء، وتحمى الدمـــعَ أن تَسترِقَه الضَّراءُ(٢)
والأعادى شواخصٌ، وأبوها بيَدِ الخَطب صخرةٌ صمَّاءُ(٣)
فأرادوا لينظروا دمع فرعو نَ، وفرعونُ دمعُه العنقاءُ(٤)
فأرَوْهُ الصديقَ فى ثوب فقر يسأل الجَمْعَ، والسؤالُ بلاءُ
فبكى رحمةً، وما كان مَن يبـ كى، ولكنّما أراد الوفاءُ
هكذا الملكُ والملوكُ، وإن جا ر زمانٌ، وروَّعتْ بَلْواءُ

* * *

لاتسلنى: مادولة الفرس؟! ساءت دولةُ الفرس فى البلاد، وساءُوا(٥)
أمةٌ همُّها الخرائب تُبليـ ـها، وحَقُّ الخرائب الإعلاءُ(٦)
سَلَبَتْ مصرَ عِزَّها، وكستها ذِلَّةً ما لها الزمانَ انقضاءُ
وارتوى سيفُها، فعاجلها اللـــه بسيف ما إن له إرواءُ(٧)
طِلْبةٌ للعبادِ كانت لإسكنـ ـدر فى نَيْلها اليدُ البيضاءُ(٨)
شاد إسكندرٌ لمصر بناءً لم تَشِدْهُ الملوكُ والأُمراءُ

١ — ردّاها: اى البسها الرداء. وتردى: أصلها تتردى، أى تلبس الرداء
٢ — استرقه: ملكه. والضراء الشدة — ٣ — شواخص: جمع شاخص وهو الناظر بحيث لا تطرف عيناه — ٤ — العنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم. ويكنى به عن الشيء البعيد المنال — ٥ — يعود الضمير هنا الى الفرس انفسهم — ٦ — الخربة: موضع الخراب وجمعها خرائب. والغرض منها هنا بقايا الهياكل والاثار — ٧ — ان: زائدة. وما: نافية.
٨ — هو الاسكندر الأكبر المقدونى الذى افتتح مصر سنة ٣٣٢ ق.م وقضى على حكم الفرس وانشأ مدينة الاسكندرية.

بلدًا يَرْحل الأَنامُ إليه　　ويحجُّ الطُّلابُ والحكماءُ

عاش عمرًا فى البحر ثغرَ المعالى　　والمنارَ الذى به الاهتداءُ

مطمئنًا من الكتائب والكتْـ　　ـب بما ينتهى إليه العَلاءُ

يبعث الضوء للبلاد ، فتسرى　　فى سناه الفهومُ والفهماءُ

والجوارى فى البحر يُظهرن عز الـ　　ـملك ، والبحرُ صَوْلةٌ وثراءُ(١)

والرعايا فى نعمة ، ولبَطْلَيـ　　ـمُوسَ فى الأَرض دولةٌ علياءُ(٢)

فقضى الله أن تضيِّع هذا الـ　　ـملكَ أُنثى صَعْبٌ عليها الوفاءُ(٣)

تَخذتْها رُوما إلى الشرِّ تمهيـ　　ـداً ، وتمهيدُه بأُنثى بلاءُ

فتناهَى الفسادُ فى هذه الأَر　　ضِ ، وجاز الأَبالسَ الإغواءُ

ضيَّعتْ قيصرَ البريةِ أُنثى　　يالَرَبِّى مما تجرُّ النساءُ(٤)

فتنت منه كهف روما المُرَجَّى　　والحُسامَ الذى به الاتقاءُ(٥)

قاهرَ الخصم والجَحافِلِ مهما　　جَدَّ هوْلُ الوَغَى وجدَّ اللقاءُ

فأَتاها من ليس تملكه أُنـ　　ـثى ، ولا تسترقُّه هَيْفَاءُ(٦)

بطلُ الدولتين ، حامى حِمى رُو　　ما ، الذى لا تقوده الأَهواءُ(٧)

---

١ ـ الجوارى : السفن ـ ٢ ـ بطايموس : حاكم مصر بعد الاسكندر ومؤسس دولة البطالسة التى استمرت من سنة ٣٢٣ ق.م ، الى سنة ٣٠٠ ق.م اذ سقطت فى عهد كليوباترة ـ ٣ ـ كليوباترا : هى آخر ملكة حكمت مصر من دولة البطالسة ، وقد هام بها قيصران : يوليوس ، وهو الذى انتهت بموته الجمهورية الرومانية ، وكانت صنيعة له ، وانطونيوس ، وهو الذى أنشأ بالاشتراك مع اكتافيوس الامبراطورية الرومانية ، وقد كان هيام الاخير بها سببا لغزو اكتافيوس لمصر وانتصاره على كليوباترة ، التى حاولت عبثا ان تؤثر فى قلبه بجمالها ، فانتحرت بان وضعت على صدرها حية وانتحر انطونيوس .

٤ ـ المقصود بقيصر هنا : انطونيوس .

٥ ـ الكهف : الملجأ ـ ٦ ـ اكتافيوس قيصر .

٧ ـ الدولتان : دولة الغرب ، ودولة الشرق .

أخذَ الملكَ ، وهيَ في قبضة الأفـ   عى عن الملك والهوى عمياءُ(١)
سلبتها الحياةَ ، فاعجبْ لرَقْطا   ءَ أراحت منها الورى رقطاءُ(٢)
لم تُصِب بالخِداع نُجْحًا ، ولكن   خدعوها بقولهم : حسناءُ
قتلت نفسها ، وظنت فداءً   صَغُرت نفسُها ، وقلّ الفداءُ
سل كِلوبَترَةَ المكايدِ : هلاَّ   صدَّها عن ولاء روما الدهاءُ ؟
فبروما تأيَّدت ، وبروما   هي تشقى ، وهكذا الأعداءُ
ولروما المُلْكُ الذي طالما وَا   فاهُ في السرّ نُصْحُها والولاءُ
وتولَّت مصرًا يمينٌ على المصـ   ريّ من دون ذا الورى عَسْراءُ
تُسمِعُ الأرضَ قيصرًا حين تدعو   وعقيمٌ من أهل مصر الدعاءُ(٣)
ويُنيل الورى الحقوقَ ، فإن نا   دته مصرٌ فأذْنُه صَمَّاءُ
فأصبري مصرُ للبلاء ، وأنَّى   لكِ ؟ والصبرُ للبلاء بلاءُ
ذا الذي كنتِ تَلتجينَ إليه   ليس منه إلى سواه النجاءُ

* * *

ربِّ ، شُقتَ العبادَ أزمانَ لا كتـ   بٌ بها يُهتدَى ، ولا أنبياءُ(٤)
ذهبوا في الهوى مذاهبَ شتَّى   جمعتها الحقيقةُ الزهراءُ(٥)

---

١ — هي : اى كليوبترة — ٢ — الرقطاء : الحية التي يخالط بياضها نقط سوداء ، او العكس — ٣ — عقيم : اى لا خير وراءه — ٤ — شاقه الحب اليه : هاجه ، والمراد بالكتب الكتب الالهية التي تنزلت على الانبياء .
٥ — الحقيقة الزهراء هي وجود الله وتوحيده ، ولقد تنوعت ديانة قدماء المصريين ، فكانوا في أول امرهم يعتقدون بوجود اله واحد ، ورمزت له كل قبيلة برمز خاص ، ثم رمزوا لصفات هذا الاله برموز صارت بعدئذ معبودات ، ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التي لها تاثير محسوس في حياتهم كالشمس والقمر والنيل ، ثم اعتقدوا بحلول الآلهة في اجساد الحيوان ، فعبدوا العجل (ابيس) والقط والكلب وما الى ذلك .

فإذا لقَّبوا قويًّا إلٰها فله بالقُوَى إليك انتهاءُ
وإذا آثروا جميلاً بتنْزيـ ـهٍ؛ فإن الجمالَ منك حِبَاءُ(١)
وإذا أنشئوا التماثيل غُرًّا فإليكَ الرُّموزُ والإيماءُ(٢)
وإذا قدَّروا الكواكبَ أربا بأ؛ فمنك السَّنا ، ومنك السناءُ(٣)
وإذا ألَّهوا النبَاتَ ؛ فمِن آ ثار نُعماك حُسْنُهُ والنَّماءُ
وإذا يمَّموا الجبَال سجودًا فالمراد الجلالةُ الشماءُ(٤)
وإذا تُعْبَد البحارُ مع الأسـ ـماك ، والعاصفاتُ ، والأنواءُ
وسباعُ السماء والأرض ، والأر حامُ ، والأُمهاتُ ، والآباءُ
لِعُلاك المذكَّراتُ عبيدٌ خُضَّعٌ ، والمؤنَّثاتُ إماءُ(٥)
جمع الخلْقَ والفضيلةَ سِرٌّ شَفَّ عنه الحجابُ فهو ضياءُ

* * *

سجدت مصرُ فى الزمان لإيزيـ ـس الندَى ، مَنْ لها اليدُ البيضاءُ(٦)
إنْ تَلِ البَرَّ ؛ فالبلادُ نُضَارٌ أو تَلِ البحرَ ؛ فالرياحُ رُخاءُ(٧)
أو تلِ النفسَ ؛ فهْيَ فى كل عضوٍ أو تَلِ الأُفْقَ ؛ فهْيَ فيه ذُكاءُ(٨)
قيل : إيزيس رَبَّةَ الكونِ ، لولا أن تَوَحَّدْتِ ، لم تَكُ الأشياءُ
واتخذتِ الأنوارَ حُجْبًا ، فلم تبـ ـصركِ أرضٌ ، ولا رأتكِ سماءُ
أنتِ ما أظهر الوجودُ وما أخـ ـفى ، وأنت الإظهارُ والإخفاءُ

---

١ — التنزيه : التقديس ، والحباء : العطاء — ٢ — الرمز والايماء : الاشارة
٣ — السنا : الضوء . والسناء الرفعة — ٤ — الشماء : الرفيعة .
٥ — المذكرات ما كان من هذه الآلهة مذكرا — ٦ — ايزيس : الهة من آلهة القدماء — ٧ — النضار : الذهب . رخاء : لينة — ٨ — ذكاء : من أسماء الشمس .

لك آبيسُ ، والمُحَبَّبُ أوزيـ ـريسُ ، وابناه ، كلُّهم أولياءُ(١)
مُثِّلت للعيون ذاتُكِ ، والتمـ ـثيلُ يُدنِى مَنْ لا له إدناءُ
وادّعاكِ اليونان من بعد مصر وتلاه فى حُبِّكِ القدماءُ
فإذا قيل : ما مفاخر مصر ؟ قيل : منها إيزيسُها الغرّاءُ

* * *

رَبِّ ، هذى عقولنا فى صِباها نالها الخوف ، واستباها الرجاءُ
فعشِقناكَ قبل أن تأتيَ الرُّسْـ ـلُ ، وقامت بحبك الأعضاءُ
ووصلنا السُّرى ، فلولا ظلام الـ ـجهل لم يَخْطُنا إليك اهتداءُ(٢)
واتخذنا الأسماء شتَّى ، فلما جاء موسى انتهت لك الأسماءُ
حَجَّنا فى الزّمان سحرًا بسحرٍ واطمأنّت إلى العصا السعداءُ(٣)
ويريد الإلٰهُ أن يُكرَمَ العقـ ـلُ ، وألا تُحقَّر الآراءُ
ظنّ فرعونُ أن موسى له وا فٍ ، وعند الكرام يُرجى الوفاءُ
لم يكن فى حسابه يومَ رَبَّى أن سيأتى ضدَّ الجزاء الجزاءُ
فرأى اللهُ أن يعقّ ، ولِلّـ ـه تَنِى - لا لغيره - الأنبياءُ
مصر موسى عند انتِماءٍ ، وموسى مِصرُ إن كان نسبةٌ وانتِماءُ
فبِه فخرُها المؤيَّدُ ، مهما هُزَّ بالسيد الكليم اللواءُ(٤)
إن تكن قد جفته فى ساعة الشك فحظُّ الكبير منها الجفاءُ
خِلّة للبلاد يشقى بها النا سُ ، وتشقى الديارُ والأبناءُ

١ — آبيس : هو العجل أبيس ، معبود القدماء ، كما قدمنا ، واوزيريس : هو اله الشمس فى اعتقاد القدماء
٢ — السرى : السير ليلا . ولم يخطنا : لم يجاوزنا
٣ — حجه : غلبه بالحجة
٤ — هز الكوكب : انقض . والمراد : مهما خذل

فكبيرٌ ألّا يُصانَ كبيرٌ   وعظيمٌ أن يُنْبَذ العظماءُ

* * *

وُلد الرِّفقُ يوم مولدِ عيسى   والمروءاتُ ، والهدى ، والحياءُ
وازدهى الكونُ بالوليد ، وضاءت   بسناه من الثرى الأرجاءُ
وسرت آية المسيح ، كما يسـ   رى من الفجر فى الوجود الضياءُ
تملأُ الأرضَ والعوالمَ نورًا   فالثرى مائج بهًا ، وضَّاءُ
لا وعيدٌ ، لا صولة ، لا انتقام   لا حسام ، لا غزوة ، لا دماءُ
مَلَكٌ جاور الترابَ ، فلما   ملّ نابت عن التراب السماءُ(١)
وأطاعته فى الإلٰه شيوخٌ   خُشَّعٌ ، خُضَّعٌ له ، ضعفاءُ
أذعن الناس والملوك إلى ما   رسموا ، والعقول ، والعقلاءُ
فلهم وقفة على كلّ أرض   وعلى كلّ شاطئٍ إرساءُ
دخلوا ثيبةً ، فأحسن لقيا   هم رجالٌ بثيبةٍ حكماءُ(٢)
فهموا السرَّ حين ذاقوا ، وسهلٌ   أن ينالَ الحقائقَ الفُهماءُ(٣)
فإذا الهيكلُ المقدَّس دَيْرٌ   وإذا الدير رَوْنَقٌ وبهاءُ
وإذا نيبةٌ لعيسى ، ومنفيـ   ـسٌ ، ونيلُ الثراء ، والبطحاءُ(٤)
إنما الأرضُ والفضاءُ لربّى   وملوكُ الحقيقة الأنبياءُ
لهم الحبُّ خالصاً من رعايا   هم ، وكُلُّ الهوى لهم والوَلاءُ
إنما ينكر الدياناتِ قومٌ   هم بما ينكرونه أشقياءُ

---

١ — يشير الى رفعه الى السماء — ٢ — ثيبة : عاصمة من عواصم مصر القديمة — ٣ — السر : اى سر عبادة الله على دين المسيح — ٤ — البطحاء مسيل الماء فيه دقاق الحصى

هرِمَت دولةُ القياصر ، والدّو لاتُ كالناس ، داؤهُنّ الفَناءُ(١)
ليس تغنى عنها البلادُ ولاما لُ الأقاليم إن أتاها النداءُ(٢)
نال روما ما نال من قبلُ آثيـ نا ، وسِيمَتْهُ ثيبةُ العَصماءُ(٣)
سُنّةُ الله فى الممالك من قبـ لُ ومن بعد ، ما لِنُعمى بقاءُ

* * *

أظلم الشرقُ بعد قيصرَ والغر بُ ، وعمّ البريّةَ الإدجاءُ(٤)
فالورى فى ضلاله مُتَمادٍ يفتك الجهلُ فيه والجهلاءُ
عرّف اللهَ ضِلّةً ، فهو شخص أو شِهاب ، أو صخرة صمّاءُ(٥)
وتولّى على النفوس هوى الأو ثان ، حتّى انتهت له الأهواءُ
فرأى اللهُ أن تُطَهّر بالسيـ ف ، وأن تَغسِلَ الخطايا الدماءُ
وكذاك النفوسُ وهى مِراضٌ بعضُ أعضائها لبعضٍ فِداءُ
لم يعادِ اللهُ العبيدَ ، ولكن شَقِيَت بالغباوةِ الأغبياءُ
وإذا جلّت الذنوبُ وهالتْ فمن العدل أن يَهُول الجَزاءُ
أشرق النورُ فى العوالم لمّا بشّرتْها بأحمدَ الأنبياءُ
باليتيم الأُمّىِّ ، والبشَر المو حَى إليه العلومُ والأسماءُ
قُوّةُ الله إن تولّتْ ضعيفًا تعبتْ فى مِرَاسه الأقوياءُ(٦)

١ — دولة القياصر : الدولة الرومانية . والهــــرم بلوغ اقصى الكبر .
٢ — النداء : نداء الفناء — ٣ — سامه الأمر : كلفه اياه ، وأكثر ما يستعمل فى الشر والعذاب — ٤ — الادجاء : الظلام — ٥ — ضلة : ضلالا . والشهـــاب : شعلة من نار ساطعة ، وقد يطلق عـلى الكوكب — ٦ — المراس — هنـــا — بمعنى المأخذ والمعالجة .

أشرفُ المرسلين ، آيتُه النطـ قُ مُبيناً ، وقومُه الفصحاءُ
لم يَفُهْ بالنوابغ الغُرِّ حتى سبق الخلقَ نحوَه البلغاءُ
وأتتْه العقول مُنقادةَ اللُّـــــبِّ ، ولبّى الأعوانُ والنصراءُ(١)
جاء للناس ، والسرائرُ فوضى لم يؤلِّف شتاتَهُنَّ لواءُ(٢)
وحِمى الله مستباحٌ ، وشرعُ اللـ ـه ، والحقُّ ، والصوابُ وراءُ
فلجبريلَ جَيْئَةٌ ، ورَوَاحٌ وهبوطٌ إلى الثرى ، وارتقاءُ
يُحْسَب الأُفْقُ فى جَناحيه نورٌ سُلِبتْه النجومُ والجوزاءُ
تلك آىُ الفُرْقانِ ، أرسلها اللـ ـهُ ضياءً يَهدى به من يشاءُ(٣)
نَسَخَتْ سنةَ النبيين والرسـ ـلِ ، كما ينسخ الضياءَ الضياءُ
وحماها غُرٌّ ، كرامٌ ، أشدّا ءُ على الخصم ، بينهم رُحَماءُ
أمةٌ ينتهى البيان إليها وتئول العلومُ والعلماءُ(٤)
جازت النجمَ ، واطمأنَّتْ بأُفْقٍ مطمئنٌّ به السَّنا والسناءُ
كلَّما حثَّت الركابَ لأرضٍ جاور الرشدُ أهلَها والذكاءُ(٥)
وعلا الحقُّ بينهم ، وسما الفضـ ـلُ ، ونالت حقوقَها الضعفاءُ
تحملُ النجمَ ، والوسيلةَ ، والميـ ـزانَ من دينها إلى من تشاءُ
وتُنيلُ الوجودَ منه نظاماً هو طِبُّ الوجودِ ، وهو الدواءُ
يرجع الناسُ والعصورُ إلى ما سَنَّ ، والجاحدون ، والأعداءُ
فيه ما تشتهى العزائم إن هَـــمَّ ذووها ويشتهى الأذكياءُ
فلِمن حاول النعيمَ نعيمٌ ولمن آثر الشقاءَ شقاءُ

١ ــ اللب : ذكاء من العقل ــ٢ــ الشتات : المتفرق ــ٣ــ الآى : جمع آية ــ٤ــ تؤول : ترجع ــ٥ــ حث الركاب : اى حض الابل على أن تسرع ، والمراد كلما انتقلت لأرض .

أيرى العُجْمُ مِنْ بنى الظلِّ والما ء عجيبًا أن تُنجِب البيداءُ(١)
وتُثيرُ الخيامُ آسادَ هيجا ء تراها آسادَها الهيجاءُ
ما أنافتْ على السواعد حتّى الـ أَرْضُ طُرًّا فى أسْرِها والفضاءُ
تشهد الصينُ ، والبحارُ ، وبغدا دُ ، ومصرٌ ، والغربُ ، والحمراءُ(٢)
من كعَمْرِو البلادِ ، والضادُ ممّا شاد فيها ، والمِلّةُ الغرّاءُ ؟
شاد للمسلمين ركنًا جسّاماً ضافِيَ الظلِّ ، دَأْبُه الإيواءُ(٣)
طالما قامت الخلافةُ فيه فاطمأنّتْ ، وقامت الخلفاءُ
وانتهى الدِّينُ بالرجاء إليه وبنو الدِّينِ إذ هُمُ ضعفاءُ
مَنْ يَصُنْهُ يَصُنْ بقيّةَ عزٍ غَيَّض التُّركُ صفوَه والثَّواءُ(٤)
فابكِ عمرًا إن كنتَ مُنْصِفَ عمرو إن عمرًا لنيرٌ وضاءُ
جاد للمسلمين بالنيل ، والنيـ ـل لمن يقتنيه أفريقاء
فهى تعلو شأنًا إذا حُرِّرَ النيـ ـلُ ، وفى رِقِّه لها إزراءُ(٥)

* * *

واذكر الغُرَّ آلَ أيوبَ ، وامدحْ فمن المدح للرجال جزاءُ(٦)
هم حماةُ الإسلام ، والنفرُ البيـ ـضُ ، الملوكُ ، الأعزّةُ ، الصُّلَحَاءُ(٧)
كلَّ يومٍ بالصالحيّة حصنٌ وبِبُلْبَيس قلعةٌ شمّاءُ
وبمصرٍ للعلم دارٌ ، ولِلضيفـــان نارٌ عظيمةٌ حمراءُ

---

١ — انجب الرجل : ولد ولدا نجيبا — ٢ — الحمراء : قصر مشهور بالاندلس — ٣ — الجسام : العظيم — ٤ — الثواء : الاقامة — ٥ — أزرى عليه عمله : عابه — ٦ — يشير الى الدولة الايوبية التى اسسها صلاح الدين الايوبى ، وحكمت مصر من سنة ١١٧١ الى سنة ١٢٥٠ م — ٧ — الابيض : السيف ، أو النجم ، والجمع بيض .

ولأعداء آل أيوب قتلٌ ولأسراهُمُ قِرًى وثَواءُ(١)
يعرف الدين مَنْ صلاحٌ ؟ ويدرى من هو المسجدان والإسراءُ ؟(٢)
إنه حصنُه الذى كان حصنًا وحماه الذى به الاحتماءُ
يوم سار الصليبُ والحاملوه ومشى الغربُ : قومُه ، والنساءُ
بنفوس تجول فيها الأمانى وقلوبٍ تثور فيها الدماءُ
يضمرون الدمارَ للحقِّ ، والنا سِ ، ودينِ الذين بالحق جاءُوا
ويهدُّون بالتلاوة والصلا بان ما شاد بالقنا البنَّاءُ
فتلقَّتهمُ عزائمُ صدقٍ نُصَّ للدين بينهنَّ خِباءُ(٣)
مَزَّقتْ جمعَهم على كلِّ أرضٍ مثلما مزَّق الظلامَ الضياءُ
وسَبَتْ أمْردَ الملوك ، فردّتـ ـه وما فيه للرعايا رجاءُ(٤)
ولو أنَّ المليكَ هِيبَ أذاه لم يُخَلِّصه من أذاها الفداءُ
هكذا المسلمون ، والعربُ الخا لون ، لا ما يقوله الأعداءُ
فبهم فى الزمان نِلنا الليالى وبهم فى الورى لنا أنباءُ
ليس للذل حيلةٌ فى نفوس يستوى الموت عندها والبقاءُ

* * *

واذكر الترك ، إنهم لم يُطاعوا فيرى الناسُ أحسنوا أم أساءُوا
حكمت دولةُ الجراكس عنهم وهى فى الدَّهر دولةٌ عَسْراءُ(٥)

---

١ — القرى : الضيافة والثواء : الاقامة — ٢ — صلاح : صـــلاح الدين الأيوبى — ٣ — نص الشىء : رفعه . والخباء : ما يعمل من وبر او صوف أو شعر ، ويكون عمودين أو ثلاثة — ٤ — سبى العدو : أسره، وامرد الملوك لويس التاسع ملك فرنسا وكان من ابطال الصليبيين . اسره بوران شاه فى موقعة المنصورة الفاصلة ثم فدى نفسه وبقية اهله وعساكره بمبلغ ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك — ٥ — الجراكس : المماليك ، وعسراء : اى شديدة ظالمة .

واستبدّت بالأمر منهم ، فـ «باشا» التُّركِ فى مصرَ آلةٌ صمَّاءُ

يأخذ المالَ من مواعيدَ ما كا نوا لها مُنْجِزين ، فهْىَ هَباءُ

ويسومونه الرضا بأُمور ليس يَرضى أقلَّهن الرضاءُ(١)

فيُدَارى ليعصِم الغدَ منهم والمداراةُ حكمةٌ ودهاءُ

* * *

وأتى النَّسرُ ينهب الأرض نَهبًا حوله قومُه ، النسورُ ظِماءُ(٢)

يشتهى النيلَ أن يشيد عليه دولةً عرضُها الثرى والسماءُ

حَلمت رومةٌ بها فى الليالى وزآها القياصرُ الأقوياءُ

فأتت مصرَ رُسْلُهم تتوالى وترامت سودانها العلماءُ(٣)

ولو اسْتَشْهَدَ الفرنسيسُ روما لأَتَتْهم من رومةَ الأنباءُ

علمت كل دولة قد تولت أننا سمُّها ، وأنَّا الوباءُ

قاهرُ العصرِ والممالِك ، نابلـ يونُ ولَّتْ قوّادُه الكبراءُ

جاء طيشًا ، وراح طيشاً ، ومن قبـ لُ أطاشت أُناسَها العلياءُ

سكتتْ عنه يومَ عيَّرها الأهـ رامُ ، لكنْ سكوتُها استهزاءُ

فهْى تُوحى إليه : أنْ تلك (واتر لو) ، فأين الجيوشُ؟ أين اللواءُ؟(٤)

---

١ — سامه الأمر : كلفه اياه . واكثر مـا يـكون فى الشر — ٢ — النسر : نابليون بونابرت — ٣ — ترامى القوم :رمى بعضهم بعضا — ٤ — واترلو (فى ١٨ يونيو سنة ١٨١٥) موقعة دارت رحاها بين نابليون وولنجتون القـائد الانكليزى الشهير فانتصر الأخير بمساعدة بلوخر القـائد الروسى وكان من نتائج هزيمة نابليون فى هذه الموقعة اسره ونفيه الى جزيرة (سنت هيلانة) حيث قضى البقية من حياته .

الهمزية النبوية

وُلد الهدى ، فالكائناتُ ضياءُ ... وفَمُ الزّمان تبسُّمٌ وثناءُ
الرُّوحُ والملأُ الملائكُ حَوْلَهُ ... للدِّين والدنيا به بُشَراءُ(١)
والعرشُ يزهو ، والحظيرةُ تَزْدَهِي ... والمنتهى ، والسِّدْرَةُ العصماءُ(٢)
وحديقةُ الفرقان ضاحكةُ الربا ... بالترجمانِ ، شَذِيَّةٌ ، غنّاءُ(٣)
والوحْيُ يقطرُ سَلْسَلاً من سلسلٍ ... واللوحُ والقلمُ البديعُ رُواءُ(٤)
نُظِمَتْ أسامِي الرُّسْلِ فهي صحيفة ... في اللوح ، واسمُ محمدٍ طُغراءُ(٥)
اسمُ الجلالة في بديع حروفهِ ... ألِفٌ هنالك ، واسمُ (طَه) الباءُ

* * *

ياخير من جاء الوجودَ ، تحية ... من مُرسَلين إلى الهدى بك جاءُوا
بيت النبيِّين الذى لا يلتقى ... إلا الحنائف فيه والحنفاءُ(٦)
خيرُ الأُبوةِ حازَهم لَكَ (آدمٌ) ... دونَ الأَنام ، وأَحرزتْ حَوَّاءُ
هم أدركوا عِزَّ النبوّةِ وانتهت ... فيها إليكَ العِزَّةُ القعساءُ(٧)
خُلِقَتْ لبيتك ، وهو مخلوقٌ لها ... إن العظائِمَ كفؤها العظماءُ
بك بَشَّر اللهُ السماء فزُيِّنَت ... وتضوَّعت مسكًا بك الغبراءُ(٨)

---

١ — الروح الامين : لقب جبريل . والملأ : الأشراف . والملائك : الملائكة . وبشراء : جمع بشير — ٢ — يزهو : يشرق . وسدرة المنتهى : يقال انهـا شجرة نبق على يمين العرش — ٣ — الربا : جمع ربوة . وهى ما ارتفـع من الأرض — ٤ — الرواء ماء الوجـه وحسن المنظر — ٥ — الطغراء : مايسميه العامة « طرة » واصلها طغرى بالقصر ، وهى التى تكتب بالقـلم الغـليظ فى صدر الأوامـر — ٦ — الحنيف : الصحيح الميل الى الاسلام وكل من كان على دين ابراهيم عليه السـلام ، والجمع حنفاء ، والمؤنث حنيفة ، وجمعها حنائف — ٧ — القعساء : المنيعة الثابتة — ٨ — تضوع المسـك : انتشرت رائحته . والغبراء الارض .

وبدا مُحَيَّاك الذى قَسماتُه   حق ، وغُرَّتُه هُدًى وحَياءُ(١)
وعليه من نورِ النُّبُوَّةِ رَوْنقٌ   ومن الخليل وهَدْيِه سِيماءُ(٢)
أثنى (المسيحُ) عليه خلف سمائه   وتهلَّلت واهتزَّتِ (العذراءُ)(٣)
يومٌ يتِيهُ على الزمان صَبَاحُه   ومَساؤه (بمحمدٍ) وَضَّاءُ
الحقُّ عالى الركنِ فيه ، مُظَفَّرٌ   فى المُلكِ ، لا يعلو عليه لواءُ
ذُعِرت عروشُ الظالمين ، فزُلزِلت   وعَلَتْ على تِيجانِهم أصْداءُ
والنارُ خاويةُ الجوانب حولَهُمْ   خَمَدَت ذوائِبُهَا ، وغاض الماءُ(٤)
والآىُ تَتْرَى ، والخَوارقُ جَمَّةٌ   (جبريلُ) رَوَّاح بها غَدَّاءُ(٥)
نِعمَ اليتيمُ بَدَت مَخايلُ فضلِه   واليُتْمُ رزقٌ بعضُه وذَكاءُ(٦)
فى المهد يُسْتَسْقَى الحيَا برجائه   وبقصدِهِ تُستَدْفَعُ البَأْساءُ(٧)
بِسوى الأَمانة فى الصِّبا والصدقِ لم   يعرفْه أهلُ الصدقِ والأُمناءُ
يا مَنْ له الأَخلاقُ ماتهوَى العلا   منها وما يَتعشَّقُ الكبراءُ
لو لم تُقِم ديناً ، لقامت وحدَها   دينًا تُضِيءُ بنوره الآناءُ
زانتك فى الخلقِ العظيم شمائلٌ   يُغرَى بهنّ ويُولَعُ الكرماءُ
أما الجمالُ ، فأنت شمسُ سمائه   وملاحةُ (الصِّدِّيقِ) منك أياءُ(٨)
والحسنُ من كرم الوجوهِ ، وخيرُه   ما أُوتِىَ القُوَّادُ والزعماءُ
فإذا سَخَوتَ بلغتَ بالجود المدى   وفعلتَ ما لا تفعلُ الأنواءُ(٩)

١ — القسمة ما بين الوجنتين والانف، وجمعها قسمات — ٢ — الخليل : ابراهيم عليه السلام — ٣ — العذراء السيدة مريم — ٤ — خمدت النار : سكن لهيبها . والذوائب جمع ذؤابة ، وهى أعلى كل شىء والمراد بالذوائب هنا السنة اللهيب — ٥ — تترى تتوالى . ورواح غداء اى يروح ويغدو . ٦ — المخيلة : المظنة — ٧ — استسقى الرجل طلب السقى . والحيا : المطر ٨ — أياء الشمس واياتها : نورها وحسنها — ٩ — النوء المطر

وإذا عَفَوْتَ فقادراً ، ومقدّراً ... لا يستهين بعفوك الجُهلاءُ
وإذا رحِمتَ فأنت أمٌّ ، أو أبٌ ... هذان فى الدنيا هما الرُّحَمَاءُ
وإذا غَضِبْتَ فإنما هى غَضْبَةٌ ... فى الحق ، لا ضِغْنٌ ولا بغضاءُ(١)
وإذا رضيتَ فذاك فى مرضاته ... ورِضَى الكثير تحلُّمٌ ورياءُ(٢)
وإذا خطبتَ فللمنابر هِزَّةٌ ... تَعرو النَّدِىَّ ، وللقلوب بكاءُ(٣)
وإذا قضيتَ فلا ارتيابَ ، كأنما ... جاء الخصومَ من السماء قضاءُ
وإذا حمَيْتَ الماء لم يُورَدْ ، ولو ... أن القياصِرَ والملوكَ ظِماءُ
وإذا أجَرتَ فأنت بيتُ اللهِ ، لم ... يدخل عليه المستجيرَ عداءُ
وإذا ملكتَ النفسَ قُمْتَ بِبِرِّها ... ولو أن ما ملكت يداك الشاءُ
وإذا بنيتَ فخيرُ زَوْجٍ عِشرةً ... وإذا ابتنيْتَ فدونَك الآباءُ(٤)
وإذا صَحِبتَ رأى الوفاء مُجَسَّما ... فى بُرْدِك الأَصحابُ والخلطاءُ
وإذا أخذتَ العهدَ ، أو أعْطَيْتَه ... فجميعُ عَهدِك ذِمَّةٌ ووفاءُ
وإذا مَشَيْتَ إلى العدا فغَضَنْفَرٌ ... وإذا جريْتَ فإنكَ النكباءُ(٥)
وتَمُدُّ حِلْمَكَ للسفيهِ مُدارِيًا ... حتى يضيق بِعرضكَ السفهاءُ
فى كل نفسٍ من سُطاكَ مَهابةٌ ... ولكل نفسٍ فى نداكَ رجاءُ(٦)
والرأىُ لم يُنضَ المُهَنَّدُ دونه ... كالسيف لم تضرب به الآراءُ(٧)

* * *

يأيها الأُمِّى ، حَسْبُكَ رتبةً ... فى العلم أن دانَتْ بك العلماءُ(٨)

---

١ ــ الضغن : الحقد ــ ٢ ــ التحلم ، تكلف الحلم ــ ٣ ــ الندى : النادى
٤ ــ بنى بأهله : زف اليهم . وابتنى : صار له بنون ــ ٥ ــ غضنفر : اسد
والنكباء : ريح بين ريحين ــ ٦ ــ سطا : جمع سطوة ــ ٧ ــ نضا السيف من
غمده : سله . والمهند : السيف المطبوع من حديد ــ ٨ ــ دان به : اتخذه دينا

الذكرُ آيةُ ربِّكَ الكبرى التى ... فيها لباغى المعجزاتِ غَناءُ(١)
صَدْرُ البيانِ له إذا التقت اللُّغى ... وتقدّم البلغاءُ والفصحاءُ(٢)
نُسِخَتْ به التوراةُ وهى وضيئةٌ ... وتخلّفَ الإنجيلُ وهو ذُكاءُ(٣)
لما تمشّى فى (الحجاز) حكيمُه ... فُضَّت (عُكاظُ) به، وقام حِراءُ(٤)
أزرى بمنطِقِ أهلِهِ وبيانِهم ... وحىٌ يُقَصِّرُ دونه البلغاءُ(٥)
حسدوا، فقالوا: شاعرٌ، أوساحرٌ ... ومن الحسود يكون الاستهزاءُ
قدنال (بالهادى)الكريمِو(بالهدى) ... ما لم تنل من سُؤدد سيناءُ
أمسى كأنك من جلالك أُمّةٌ ... وكأنه من أنسِه بَيداءُ
يُوحَى إليك الفوزُ فى ظلماته ... متتابعًا، تُجْلَى به الظلماءُ
دينٌ يُشيِّد آيةً فى آية ... لَبِنَاتُه السُّوراتُ والأَضواءُ
الحقُّ فيه هو الأَساسُ، وكيف لا ... والله جلَّ جلاله البنَّاءُ؟
أما حديثُكَ فى العقول فَمَشْرَعٌ ... والعلم والحِكَمُ الغوالى الماءُ(٦)
هوصِبغةُ الفرقان، نفحةُ قُدْسِه ... والسين منْ سوراته والراءُ(٧)
جَرتِ الفصاحةُ من ينابيع النُّهَى ... من دَوْحه، وتفجّر الإنشاءُ(٨)
فى بحرهِ للسابحين به على ... أدبِ الحياةِ وعلمِها إرساءُ
أتت الدُّهُور على سُلافته، ولم ... تَفْنَ السُّلافُ، ولا سلا النُّدَماءُ(٩)

* * *

١ — الباغى : الطالب والغنـاء : مايغنى — ٢ — اللغى : جمع لغة
٣ — ذكاء : من اسماء الشمس — ٤ — حراء : الغار الذى كان يتعبد فيـه النبى صلى الله عليه وسلم ونزل عليه فيه الوحى — ٥ — ازرى به : عابه .
٦ — مشرع : مورد — ٧ — الصبغة :النوع — ٨ — الدوح : الشجر العظيـم المتسع — ٩ — السلاف والسلافة : افضل الخمر .

بكَ ياابنَ عبد الله قامتْ سَمْحَةٌ   بالحقِّ من مِلَلِ الهدى غرَّاءُ(١)
بُنِيَتْ على التوحيد ، وهي حقيقةٌ   نادى بها سُقْرَاطُ والقدماءُ
وَجَدَ الزُّعافَ من السُّموم لأَجلها   كالشُّهدِ ، ثم تتابعَ الشُّهَدَاءُ
ومشى على وجه الزمان بنورها   كُهَّانُ وادى النيل والعُرفاءُ(٢)
إيزيسُ ذاتُ الملكِ حين توحَّدَتْ   أخذت قِوامَ أُمورِها الأَشياءُ(٣)
لما دعوتَ الناسَ لبَّى عاقلٌ   وأصمَّ مِنك الجاهلين نداءُ
أَبَوْا الخروجَ إليك من أوهامهم   والناسُ فى أوهامهم سُجناءُ
ومن العقول جَداوِلٌ وَجَلامِدٌ   ومن النفوس حرائرٌ وإماءُ(٤)
داءُ الجماعةِ من أَرسطاليس لم   يُوصَف له حتى أتيتَ دواءُ
فرسمتَ بعدَك للعبادِ حكومةً   لا سُوقةٌ فيها ولا أُمراءُ
اللهُ فوقَ الخلق فيها وحدَهُ   والناسُ تحت لوائها أكفاءُ
والدِّينُ يُسْرٌ ، والخلافةُ بيعةٌ   والأَمرُ شُورَى ، والحقوقُ قضاءُ
الإشتراكيون أنتَ إمامُهم   لولا دعاوى القوم والغُلَوَاءُ(٥)
داويْتَ مُتَّئِدًا ، وداوَوْا طَفْرَةً   وأَخفُّ من بعض الدواء الداءُ(٦)
الحربُ فى حقٍّ لديك شريعةٌ   ومن السُّمومِ الناقعاتِ دواءُ(٧)
والبِرُّ عندكَ ذِمَّةٌ ، وفريضةٌ   لا مِنَّةٌ ممنونةٌ وجَباءُ(٨)
جاءتْ فوحَّدَتِ الزكاةُ سبيلَه   حتى الْتقى الكرماءُ والبخلاءُ

---

١ — السمحة : الملة التى ليس فيها ضيق — ٢ — العراف : المنجم ، والجمع عرفاء — ٣ — ايزيس : من آلهة المصريين القدماء — ٤ — الجدول : النهر الصغير ، والجلمود : الصخر — ٥ — الغلواء : الغلو — ٦ — متئدا : متأنيا ، وطفرة : وثب — ٧ — الناقعات : القاتلات — ٨ — البر : الاحسان . وذمة : عهد . والمنة : العطية ، والممنونة : المتبوعة بالمن .

أنصفتَ أهلَ الفقرِ من أهلِ الغنى ... فالكلُّ في حقِّ الحياةِ سواءُ
فلو انَّ إنسانًا تخيَّرَ مِلَّةً ... ما اختار إلا دينَكَ الفقراءُ

* * *

يا أيُّها المُسرَى به شرفاً إلى ... ما لا تنالُ الشمسُ والجوْزاءُ(١)
يتساءلون ـ وأنتَ أطهرُ هيكلٍ ـ ... : بالروحِ أم بالهيكلِ الإسراءُ؟(٢)
بهما سَموْتَ مُطَهَّرَيْنِ ، كلاهما ... نورٌ ، وريحانيَّةٌ ، وبهاءُ
فضلٌ عليكَ لذي الجلالِ ومِنَّةٌ ... واللهُ يفعلُ ما يرى ويشاءُ
تغشى الغُيوبَ من العوالمِ ، كلَّما ... طُوِيَتْ سماءٌ قُلِّدَتْكَ سماءُ(٣)
في كلِّ مِنطقةٍ حواشي نورِها ... نونٌ ، وأنتَ النقطةُ الزهراءُ
أنتَ الجمالُ بها ، وأنتَ المجتلى ... والكفُّ ، والمِرآةُ ، والحسناءُ
اللهُ هَيَّأَ من حظيرةِ قُدسِه ... نزلاً لذاتِكَ لم يَجُزْهُ علاءُ
العرشُ تحتكَ سُدَّةً وقوائماً ... ومناكبُ الروحِ الأمينِ وِطاءُ
والرُّسْلُ دونَ العرشِ لم يُؤذَنْ لهمْ ... حاشا لغيرِكَ موعدٌ ولقاءُ

* * *

الخيلُ تأبى غيرَ (أحمدَ) حامياً ... وبها إذا ذُكِرَ اسمُهُ خُيَلاءُ
شيخُ الفوارسِ يعلمون مكانَه ... إن هَيَّجتْ آسادَها الهَيْجاءُ
وإذا تَصدَّى للظُّبى فمُهنَّدٌ ... أو للرِّماحِ فَصَعْدَةٌ سمراءُ(٤)
وإذا رمَى عن قوسِهِ فيمينُهُ ... قَدَرٌ ، وما ترمي اليمينُ قضاءُ

---

١ ـ الاسراء : السير ليلا ـ ٢ ـ الهيكل الجسم والصورة والشخص .
٣ ـ غشى المكان يغشاه : أتاه ـ ٤ ـ الظبى : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، والصعدة : القناة المستوية .

من كل داعى الحق هِمَّةُ سيفِه   فلِسيفه فى الراسيات مَضاءُ(١)
ساقِى الجريح ومُطعِمُ الأسرى . ومَنْ   أمِنَت سَنابكَ خيلِه الأشلاءُ
إنَّ الشجاعةَ فى الرجال غلاظة   ما لم تزنها رأفةٌ وسخاءُ
والحرب من شرف الشعوب ، فإن بَغَوْا   فالمجدُ مما يدَّعون بَراءُ
والحربُ يبعثُها القوىُّ تجبُّرًا   وينوءُ تحتَ بَلائِها الضُّعَفاءُ
كم من غَزاةٍ للرسول كريمةٍ   فيها رِضًى للحقِّ أو إعلاءُ
كانت لجند الله فيها شِدَّةٌ   فى إثْرِها للعالمين رَخاءُ
ضربوا الضلالةَ ضربةً ذهبت بها   فعَلى الجهالةِ والضلالِ عَفاءُ
دَعَموا على الحرب السلامَ ، وطالما   حَقَنَت دماءٌ فى الزمان دِمَاءُ

* * *

الحقُّ عِرضُ الله ، كلُّ أبيَّةٍ   بين النفوس حِمًى له وَوِقاءُ
هل كان حولَ محمدٍ من قومه   إلا صَبِىٌّ واحد ونساءُ ؟
فدعا ، فلبَّى فى القبائل عُصبةٌ   مُستضعَفون ، قلائلٌ أنضاءُ(٢)
رَدُّوا ببأس العزم عنه من الأذى   مالا تَرُدُّ الصخرةُ الصماءُ
والحقُّ والإيمانُ إن صُبَّا على   برد ففيه كَتيبةٌ خرساءُ(٣)
نسفوا بناءَ الشِّرْك ، فهو خرائبٌ   واستأصلوا الأصنامَ ، فهى هَباءُ(٤)
يمشون تُغضِى الأرضُ منهم هيبةً   وبهم حِيالَ نعيمِها إغضاءُ
حتى إذا فُتِحَتْ لهم أطرافُها   لم يُطْغِهم تَرَفٌ ولا نَعْماءُ

* * *

---

١ — مضى السيف مضاء : قطع — ٢ — النضو : المهزول من الابل وغيرها
٣ — الكتيبة الخرساء : التى لا يسمع فيها صوت — ٤ — الهباء : الغبار

يا مَنْ لهُ عِزُّ الشفاعةِ وَحْدَهُ … وهُو المنَزَّهُ ، ما له شُفعاءُ
عرشُ القيامَة أنتَ تحت لوائه … والحوْضُ أنتَ حِيالَهُ السَّقاءُ
تروى وتسقى الصالحين ثوابَهم … والصالحاتُ ذخائرٌ وجزاءُ
ألمثلِ هذا ذُقتَ فى الدنيا الطَّوَى … وانشقَّ مِن خَلَقٍ عليكَ رِداءُ ؟
لى فى مديحك يارسُولُ عرائسٌ … تُيِّمْنَ فيك ، وشاقُهنَّ جَلاءُ(١)
هُنَّ الحسانُ ، فإن قبلتَ تكرُّمًا … فمُهورُهُنَّ شَفَاعَةٌ حَسناءُ
أَنت الذى نَظمَ البريَّةَ دينُهُ … ماذا يَقول ويَنظم الشُّعراءُ ؟
المُصلِحون أصابعٌ جُمِعت يَدًا … هى أنت ، بَلْ أنت اليَدُ البيضاءُ
ماجئتُ بابكَ مادحاً ، بل داعيًا … ومن المديح تضرُّعٌ ودُعاءُ
أدعُوك عن قومى الضِّعافِ لأزمةٍ … فى مثلها يُلْقَى عليك رَجاءُ
أَدرى رسُولُ اللهِ أنّ نفوسَهم … رَكِبَتْ هَواها ، والقلوب هواءُ ؟
مُتفكِّكون ، فما تضمُّ نفوسَهم … ثِقَةٌ ، ولا جَمع القلوبَ صفاءُ
رقدُوا ، وغرَّهُم نعيمٌ باطلٌ … ونعيمُ قومٍ فى القيُود بلاءُ

* * *

ظلمُوا شريعتَك التى نلنا بها … ما لم ينل فى رومةَ الفقهاءُ
مشتِ الحضارةُ فى سَناها ،واهتدى … فى الدِّين والدُّنيا بها السعداءُ
صلى عليك اللهُ ماصحِب الدُّجى … حادٍ ، وحنَّت بالفلا وَجْناءُ(٢)
واستقبل الرِّضْوانَ فى غُرفاتِهم … بجِنانِ عَدْنٍ آلُكَ السُّمحَاءُ
خيرُالوسائل ، مَنْ يقع منهُم على … سَببٍ إليك فحسبِيَ (الزَّهراءُ)

---

١ ـ شاقه الحب : هاجه ـ ٢ ـ الوجناء : الناقة الشديدة .

صدى الحرب *

بسيفِك يعلو الحقُّ ، والحقُّ أغلَب ... ويُنصَرُ دينُ اللهِ أيّانَ تَضرِبُ
وما السيفُ إلا آيةُ المُلكِ فى الورى ... ولا الأمرُ إلا للذى يتغلَّب
فأدِّبْ به القومَ الطُّغاةَ ؛ فإنه ... لنِعْمَ المربى للطغاةِ المؤدِّب
وداوِ به الدُّولاتِ من كلِّ دائها ... فنعم الحسامُ الطبُّ والمتطبِّب(١)
تنامُ خُطوبُ المُلك إن بات ساهرًا ... وإن هو نام استيقظت تتألَّب
أمِنَّا . الليالى أن نُراع بحادثٍ ... و(أرمينيا) ثكلى.و(حوران)أشيَبُ(٢)
ومملكةُ (اليونانِ) محلولةُ العُرَى ... رجاؤك يعطيها ، وخوفُك يسلب
هدَدْت أميرَ المؤمنين كيانَها ... بأسْطَعَ مثلِ الصبح لا يتكذَّب(٣)
وما زال فجرًا سيفُ (عثمانَ) صادقًا ... يُسايرِه من عالى ذكائكَ كوكب(٤)

إذا ما صَدَعْتَ الحادثاتِ بحدِّه
تكشَّفَ داجى الخطبِ ، وانجاب غَيْهب(٥)

وهاب العدا فيه خلافتَك التى ... لهم مأربٌ فيها ولله مأرب

أبوّة أمير المؤمنين

سما بكَ يا (عبدَ الحميدِ) أبُوَّةٌ ... ثلاثون ، حُضَّارُ الجلالة غُيَّب(٦)

---

* — فى وصف الوقائع العثمانية اليونانية

١ — المتطبب : المتعاطى علم الطب — ٢ — ثكلى مصابة ببنيها الذين نالهم صارم التاديب وتاديب الصارم . وأشيب : علاه الشيب ، لكثرة ما ادب وأنب — ٣ — الخطاب للسلطان عبد الحميد . وكيانها:وجودها . وباسطع: بسيف شديد السطوع — ٤ — معناه . لكل فجر كوكب يسايره ويصحبه ؛ وفجر هذا السيف رايك الوضاء ، وما منحت من نادر الذكاء — ٥ — الداجى : المظلم . وانجاب : انكشف . والغيهب : الظلام — ٦ — ابوة : آباء . وحضار وغيب : جمع حاضر وغائب .

قياصرُ أحياناً ، خلائفُ تارةً ... خواقينُ طوراً ، والفَخَار المقلَّب(١)
نجومُ سعودِ الملك ، أقمارُ زُهْرِهِ ... لو آن النجومَ الزُّهْرَ يجمعُها أب
تواصَوْا به عصراً فعصراً ، فَزَاده ... مُعَمَّمُهم من هَيبةٍ والمُعصَّب(٢)
همُ الشمسُ ، لم تبرح سماواتِ عزِّها ... وفينا ضُحاها والشعاعُ المحبَّب

الجلوس الأسعد

نهضتَ بعرشٍ ينهض الدهرُ دونه ... خشوعاً ، وتخشاه الليالى وترهَب
مَكِينٍ على متن الوجود ، مُؤيَّدٍ ... بشمسٍ استواءٍ مالها الدهرَ مغرب(٣)
ترقَّت له الأسواءُ ، حتى ارتقيتَه ... فقمتَ بها فى بعضِ ما تتنكَّب(٤)
فكنتَ كعينٍ ، ذاتِ جَرْيٍ ، كمينةٍ ... تفيض على مرِّ الزمانِ وتعْذُب
موكَّلةٍ بالأرض ، تنسابُ فى الثرى ... فيحيا ، وتجرى فى البلاد فتُخْصِب
فأحييتَ ميْتاً ، دارسَ الرسم ، غابراً ... كأنك فيما جئتَ عيسى المقرَّب(٥)
وشِدْتَ مناراً للخلافةِ فى الورى ... تشرِّقُ فيهم شمسُه ، وتُغرِّب
سهرتَ ، ونام المسلمون بغبطةٍ ... وما يزعجُ النوامَ والساهرُ الأب ؟
فنبَّهَنا الفتحُ الذى ما بفجرِهِ ... ولا بك — يافجرَ السلام — مُكذِّب

حلم عظيم وبطش أعظم

حُسامُك من سقراطَ فى الخطب أخْطَبُ ... وعودُك من عُود المنابر أَصْلَبُ(٦)

---

١ — معنـــاه : انفردوا بأمـــــر المسلمين فهم الخلفاء ، واستوى عرشهم على الغرب والشرق فهم قياصر عظماء ، وهم الخواقين (ملوك الترك) . ٢ — معممهم : ذو العمامة منهم ، وكذا المعصب ، هو أيضا المتوج ، والعمامة والعصابة والتاج مما لبس سلاطين آل عثمان — ٣ — مكين : عظيم مرتفع . والمتن : الظهر — ٤ — الاسواء : جمع سوء ، وهو كل ما يسوء . وتتنكب : تحمل — ٥ — الرسم : ما كان لاصقا بالارض من آثار الدار . ودرس : اى بلى وعفا — ٦ — سقراط : خطيب اليونان وحكيمها المشهور .

وعزمُك من (هوميرَ) أمضى بديهةً   وأجلى بياناً فى القلوب ، وأعذب(١)
وإن يذكروا (إسكندرًا) وفتوحَه   فعهدُك بالفتح المحجَّل أقرب(٢)
ومُلكُك أرقى بالدليل حكومةً   وأنفذُ سهماً فى الأُمور ، وأصوَب
ظهرتَ أميرَ المومنين على العدا   ظهوراً يسوءُ الحاسدين ويُتعِب
سلِ العصرَ ، والأيامَ ، والناسَ :هل نَبا   لرأيك فيهم ، أولسيفكَ مَضْرِب(٣)
همُ مَلَئُوا الدنيا جَهاماً ، وراءه   جهامٌ من الأعوان أهذَى وأكذب(٤)
فلما استللْتَ السيفَ أخْلَبَ برقُهم   وماكنت ـ يابرقَ المنيَّةِ ـ تُخْلِب(٥)
أخذتَهُمُ ، لا مالكين لحَوْضِهم   من الذَّوْدِ إلا ما أطالوا وأسهبوا
ولم يتكلَّف قومُك الأُسْدُ أهبةً   ولكنَّ خُلْقًا فى السباع التأهُّب
كذا الناسُ :بالأخلاق يبقى صلاحُهم   ويذهبُ عنهم أمرُهم حين تذهب
ومِن شرف الأوطان ألا يفوتَها   حسامٌ مُعِزٌّ ، أو يَراعٌ مهذَّب

معجزات الجنود على الحدود

ملكتَ سَبِيلَيْهِمْ : ففى الشرق مَضْرِبٌ   لجيشك ممدودٌ ،وفى الغرب مَضْرِب(٦)
ثمانون ألفاً أُسدُ غابٍ ، ضَراغِمٌ   لهامِخْلبٌ فيهم ،وللموتِ مخلب
إذا حَلمتْ فالشرُّ وسْنانُ حالمٌ   وإن غضبتْ فالشرُّ يقظانُ مُغضب
فَيالِقُ أفشى فى البلاد من الضُّحى   وأبعدُ من شمس النهار وأقرب(٧)
وتُصبِح تلقاهم ، وتُمسى تصدُّهم   وتظهر فى جِدِّ القتال وتلعب

---

١ ـ هومير اكبر شعراء اليونان الاقدمين ـ ٢ ـ المحجل : المضيء المشرق
٣ ـ نبا السيف عن الضريبة : كل ، وارتد ـ ٤ ـ الجهام السحاب العظيم
الذى لا ماء فيه . .وهذى فى الكلام : اكثر منه فى خطا ـ ٥ ـ اخلب برقهم
عطل وعيدهم وتخلب ، اى تخدع ـ ٦ ـ مضرب: فسطاط عظيم ـ ٧ ـ الفيلق
الجيش العظيم ، والجمع فيالق .

تلوح لهم فى كلٍّ أفقٍ ، وتعتلى ... وتطلع فيهم من مكانٍ ، وتغرب
وتُقدِم إقدامَ الليوثِ ، وتنثنى ... وتُدبِرُ علماً بالوغَى ، وتُعَقِّب(١)
وتملكُ أطرافَ الشعاب ، وتلتقى ... وتأْخذُ عفواً كلَّ عالٍ ، وتغصِب(٢)
وتغشى أبِيّاتِ المعاقل والذُّرا ... فثيِّبُهُنَّ البِكْرُ، والبِكْرُ ثَيِّب(٣)
يقودُ سراياها ، ويحمى لواءها ... سديدُالمرائى فى الحروب ، مُجرِّب(٤)
يجىءُ بها حيناً ، ويرجعُ مرةً ... كما تَدفعُ اللّجَّ البحارُ وتَجْذِب(٥)
ويرمى بها كالبحر من كلِّ جانبٍ ... فكلُّ خميسٍ لجةٌ تتضرب(٦)
ويُنفذُها من كلِّ شعب ، فتلتقى ... كما يتلاقى العارضُ المتشعِّب(٧)
ويجعلُ ميقاتًا لها تَنبرى له ... كما دار يَلْقَى عقربَ السَّيْرِ عقرب(٨)
فظلت عيونُ الحرب حَيْرَى لما ترى ... نواظرَ ما تأْتى الليوثُ وتُغرِب(٩)
تبالغ بالرامى ، وتزهو بما رمى ... وتعجَبُ بالقُوّاد ، والجندُ أعجب(١٠)
وتُثنى على مُزجِى الجيوشِ (بيلدزٍ) ... ومُلْهِمِها فيما تنال وتكسِب(١١)
وما الملك إلا الجيش شأْنا ومظهرًا ... ولا الجيشُ إلا رَبُّهُ حين يُنسب

زينب بنى عثمان

تُحذِّرنى من قومِها التُّركِ زَيْنَبُ ... وتُعجِمُ فى وصف الليوثِ وتُعرِبُ
وتُكْثِرُ ذكرَ الباسلين ، وتنثنى ... بعزٍّ على عزِّ الجمال ، وتُعجب

---

١ — ادبر : ولى . وتعقب : اى تعو — ٢ — الشعاب : جمع شعب ، وهو الطريق فى الجبل — ٣ — الابيات : جمع ابية وهى التى لا ترضى الدنية كبرا . والمعقل : الملجأ . والذرا : الامكنة المرتفعة . والثيب : نقيض البكر . ٤ — السرايا جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش . والمرائى : جمع مراى ، وهو المنظر — ٥ — اللج : معظم الماء — ٦ — الخميس : الجيش — ٧ — ينفذها: يسيرها . والشعب : الطريق فى الجبل . والعارض المتشعب : السحاب المتفرق — ٨ — انبرى له : اعترض — ٩ — اغرب الرجل : اتى بشىء غريب ١٠ — زها : تاه وتكبر — ١١ — ازجى الجيش : ساقه .

وتسحبُ ذيلَ الكبرياء ، وهكذا يَتيهُ ويختالُ النوِيُّ المغلَّب
وزينبُ إن تاهت ، وإن هي فاخرت فما قومُها إلا العَشِيرُ المحبَّب(١)
يؤلِّف إيلامُ الحوادثِ بيننا ويجمعُنا في الله دينٌ ومذهب
نما الوُدُّ حتى مَهَّد السبْلَ للهوى فما في سبيل الوصل ما يُتصَعَّب
ودانى الهوى ما شاء بيني وبينها فلم يبق إلا الأرضُ ، والأرضُ تقرب(٢)

الحالة في بحر الروم

رَكبتُ إليها البحرَ ، وهو مَصِيدةٌ تُمَدُّ بها سفنُ الحديد ، وتُنْصَب(٣)
تروح المنايا الزُّرْقُ فيه : وتغتدى وما هي إلا الموجُ يأتي ، ويذهب
وتبدو عليه الفلكُ شتَّى ، كأنها بُزُوزٌ تراعيها على البعد أعقُب(٤)
حواملُ أعلامِ القياصرِ ، خُضرٌ عليها سلاطينُ البريَّةِ ، غُيَّب
تُجارِي خُطاها الحادثاتِ . وتقتفي وتطفو حواليها الخطوبُ ، وترسُب(٥)
ويوشِك يجرى الماء من تحتها دماً إذا جَمَعَتْ أثقالَها تترقَب
فقلت : أأشراطُ القيامة ما أرى أم الحربُ أدنى من وَريدٍ وأقرب ؟(٦)
أماناً أماناً لُجَّةَ الرُّومِ للورى لو أن أماناً عند دأماء يُطْلَب(٧)
كأني بأحداثِ الزمانِ مُلِمَّةً وقد فاض منها حوضُكِ المتضرِّب
فأُزْعِجَ مَغْبُوطٌ . ورُوِّع آمنٌ وغالَ سلامَ العالمين التعصُّب
فقالت : أطلتَ الهمَّ ، للخلق ملجأٌ أبرُّ بهم من كلِّ بَرٍّ وأحدب(٨)

---

١ — العشير: القبيلة — ٢ — دانى: قارب — ٣ — مصيدة ومصيدة بمعنى واحد وهي ما يصاد به — ٤ — بزوز: جمع باز واعقب جمع عقاب ، وكلاهما من جوارح الطير — ٥ — اقتفى أثره: تبعه — ٦ — الأشراط: جمع شرط ، وهو العلامة — ٧ — لجة الروم: بحر الروم: والدأماء البحر — ٨ — احدب: من الحدب ، وهو التعطف .

سَلامُ البرايا فى كَلاءةِ فَرْقَدٍ (بيلدزَ) لا يغفو ، ولا يتغيَّب(١)
وإن أميرَ المؤمنين لوابلٌ من الغوثِ ،مُنْهَلٌ على الخلقِ ، صَيِّب(٢)
رأى الفتنةَ الكبرى ، فوالى انهمالَه فبادت ، وكانت جمرةً تتلهَّب(٣)

منعة السواحل العثمانية

فما زلتُ بالأهوالِ حتى اقتحمتُها وقدتُرْكِبُ الحاجاتُ ما ليس يُرْكَب(٤)
أخوضُ الليالى من عُبابٍ ، ومن دُجًى إلى أُفقٍ فيه الخليفةُ كوكب(٥)
إلى مُلكِ عثمانَ الذى دونَ حوضه بناءُ العوالى المشمخِرُّ المُطَنَّب(٦)
فلاح يناغى النجمَ صَرْحٌ مثقَّبٌ على الماء ، قد حاذاه صَرْحٌ مُثقب
بروجٌ أعارتها المَنونُ عيونَها لها فى الجوارى نظرةٌ لا تُخَيَّب
رواسى ابتداعٍ فى رواسى طبيعةٍ تكادُ ذراها فى السحاب تغيَّب
فقمتُ أُجِيلُ الطرْفَ حيرانَ قائلا : أهذى ثغورُ الترك أم أنا أحسب ؟
فمثلَ بِنَاء التركِ لم يَبْنِ مشرقٌ ومثلَ بناء التركِ لم يَبْنِ مغرب
تَظَلُّ مَهولاتُ البوارج دونَهُ حوائرَ ، ما يدرين ماذا تخرُّب ؟
إذا طاش بين الماء والصخر سهمُها أتاها حديدٌ ما يطيشُ ، وأسرب(٧)
يُسدِّدُه عزريلُ فى زِىٍّ قاذفٍ وأيدى المنايا ، والقضاءُ المُدرِّب
قذائفُ تخشى مُهْجَةُ الشمسِ كلَّمَا عَلَتْ مُصْعِداتٍ ، أنها لا تُصَوَّب(٨)

---

١ — كلاءة : اى حفظ — ٢ — الغوث : الإسعاف. والوابل : المطر الشديد والصيب : السحاب — ٣ — الانهمال : دوام الانسكاب — ٤ — اقتحم الهول : رمى نفسه فيه بشدة — ٥ — الدجى : الظلمة — ٦ — العوالى : الرماح . والمشمخر : العالى . والمطنب : المشدود بالاطناب — ٧ — الأسرب: الرصاص
٨ — معناه : اذا ارتفعت هذه القنابل خشيت الشمس أن تخطىء هدفها وأن تستمر صاعدة فتصيب مهجتها .

إذا صُبَّ حاميها على السفن انثنت ... وغانمُها الناجى ،فكيف المخيَّب؟
سلِ الرُّومَ : هل فيهنّ لِلفلك حيلةٌ ... وهل عاصِمٌ منهنّ إلا التنكُّب؟(١)
تذبذبَ أسْطولاهُمُ فدعتْهما ... إلى الرُّشدِ نارٌ ثمَّ لا تَتَذَبذب
فلا الشرْق فى أُسطوله مُتّقِ الحِمى ... ولا الغرْبُ فى أُسطوله مُتهيِّب

زينب المتطوعة فى موقعة

وما راعَنى إلاّ لِوَاءٌ مُخَضَّبٌ ... هنالك يَحميه بَنانٌ مُخَضَّب(٢)
فقلتُ : من الحامِى؟ أليثٌ غضنفرٌ ... من التركِ ضارٍ ، أم غزال مُربَّب؟(٣)
أم ابناكِ الغازى المجاهدُ قدْ بَدا ... أم النجمُ فى الآرام ، أم أنتِ زَينب؟
رفعْتِ بنات الترك ، قالت : وهل بنا ... بناتِ الضوارى أن نَصول تَعَجُّب؟
إذا ما الديار استصرخت بدرتْ لها ... كرائِمُ منا بالقَنا تتنقَّب
تقرَّبُ ربّاتُ البعُولِ بعولَها ... فإن لم يكُنْ بعْلٌ فنفسًا تُقَرِّب(٤)
ولاحتْ بآفاقِ العدُوِّ سَرِيَّةٌ ... فوارسُ تبْدُو تارةً ، وتَحجُب
نواهضُ فى حَزْنٍ كما تنهضُ القَطا ... رواكِضُ فى سَهل كما انساب ثعْلب(٥)
قليلون من بُعدٍ ، كثيرون إن دنوْا ... لهم سَكَنٌ آناً ، وآناً تَهيُّب
فقالت: شهدتَ الحرب أو أنتَ مُوشِك ... فَصِفْنا ، فأنتَ الباسلُ المتأدِّب
ونادت ، فلبّى الخيلُ من كل جانبٍ ... ولبّى عليها القَسْوَرُ المترقِّب(٦)
خِفافاً إلى الداعى ، سِراعاً ، كأنما ... من الحرب داعٍ للصلاة مُثوِّب

---

١ — الضمير فى « فيهن » ومنهن راجع للقنابل . والتنكب : العدول والتجنب — ٢ — اللواء المخضب : هو الراية العثمانية الحمراء. ويحميه بنان مخضب : أى انثى مخضوبة البنان — ٣ — ربب الصبى : زباه حتى ادرك ٤ — البعل : الزوج — ٥ — الحزن : ماغلظ من الارض — ٦ — القسور: الاسد والمراد به فارس الترك

مُنيفين من حول اللواء ، كأنهم ... له معقِلٌ فوق المعاقل أغلب
وما هى إلا دعوةٌ وإجابةٌ ... أن التحمت ، والحربُ بَكْرٌ وتَغْلِب(١)
فأبصرتُ مالم تُبصرا من مَشاهدٍ ... ولا شهدَت يوماً مَعَدٌّ ويَعْرُب

مضيق ملونا

جبالَ (ملونا) ، لاتخورى وتجزعى ... إذا مال رأسٌ ، أوتضعضع منكب
فما كنتِ إلا السيفَ والنارَ مركبًا ... وما كان يستعصى على الترك مركَب
عَلَوْا فوق علياء العدوِّ ، ودونه ... مَضِيقٌ كحلق الليث ، أو هو أصعب
فكان صراط الحشر ، ما ثَمَّ ريبةٌ ... وكانوا فريقَ الله ، ما ثَمَّ مُذنِب
يَمُرُّونَ مَرَّ البرقِ تحت دُجُنَّةٍ ... دُخاناً ، به أشباحُهم تتجلبب(٢)
حثيثين من فوق الجبال وتحتها ... كما انْهارَ طَوْدٌ ، أو كما انهال مِذنَب(٣)
تُمِدُّهُمُ قُذَّافُهم ورُماتُهم ... بنارٍ كنيران البراكين تدأب
تُذَرِّى بها شُمُّ الذُّرا حين تعتلى ... ويسفحُ منها السفْحُ إذ تتصبب(٤)
تُسمِّر فى رأسِ القِلاع كُراتُها ... ويسكن أعجازَ الحصونِ المُذَنَّب(٥)
فلما دجى داجى العَوانِ وأطبقت ... تبلَّج والنصرَ الهلالُ المحجَّب(٦)
ورُدَّت على أعقابها الرومُ ، بعد ما ... تناثر منها الجيش ، أو كاد يذهب
جناحين فى شِبه الشبَاكَيْن من قنا ... وقَلْبًا على حَرِّ الوغى يَتقلَّب

---

١ — بكر وتغلب : قبيلتان لم تقف بينهما العداوة عند حد ، فتشبيه المقاتلين بهما جيد — ٢ — اى تحت ظلمة من الدخان تختفى بها اشباحهم
٣ — المذنب : مسيل الماء الى الارض ، والمعنى : كما انقض جبل ، أو انحط سيل — ٤ — تذرى من التذرية : وهى الاطارة والاثارة ، والذرا : جمع ذروة وهى اعلى الشيء . والشم : جمع شماء ، من الشمم ، وهو الارتفاع . ويسفح : ينصب . والسفح : عرض الجبل المضطجع — ٥ — المذنب : ذو الذنب من القنابل الكبيرة — ٦ العوان : الحرب الشديدة

على قُلَل الأجبالِ حَيْرَى جموعُهم | شواخصَ، ما إن تهتدى أين تذهب؟ (١)
إذا صعدت؛ فالسيفُ أبيضُ خاطِفٌ | وإن نزلتْ؛ فالنارُ حمراءُ تَلهب
تطوَّعَ أسرًا منهمُ ذلك الذى | تَطَوَّعَ حرباً ، والزمانُ تَقلُّب
وتمَّ لنا النصر المبين على العِدا | وفتْحُ المعالى ، والنهارُ المذهَّب
فجئتُ فتاةَ التركِ أجزى دِفاعَها | عن المُلكِ والأوطانِ ما الحقُّ يُوجِب
فقبَّلتُ كفًّا كان بالسيف ضارباً | وقبَّلتُ سيفًا كان بالكفِّ يضرب
وقلتُ : أفى الدنيا لقومِكِ غالِبٌ | وفى مثل هذا الحِجْرِ رُبُّوا وهذُّبوا؟
رويْدًا بنى عثمان فى طلب العلا | وهيهاتَ، لم يستبقَ شئٌ فيُطلب
أفى كلِّ آنٍ تغرِسون ، ونجتنى | وفى كل يوم تفتحون ، ونكتُب؟
وما زلتُمُ يسقيكمُ النصرُ خمرَهُ | وتسقونه ، والكلُّ نشوان مصأَب (٢)
إلى أن أحلَّ السُّكْرَ مَن لا يُحلُّه | ومدَّ بساطَ الشُّربِ من ليس يشرَب

الحاج عبد الأزل باشا

وأشمَطَ . سَوَّاسِ الفوارسِ أشْيبُ | يسيرُ به فى الشَّعب أشْمَطُ أشيبُ (٣)
رَفيقا ذهابٍ فى الحروب وجَيئةٍ | قد اصطحبا، والحُرُّ للحُرِّ يصحَب
إذا شهداها جددا هِزَّة الصِّبا | كما يتصابَى ذو ثمانينَ يطرب
فيهتزُّ هذا كالحسام ، وينثنى | وينفر هذا كالغزال ، ويلعب
توالى رصاصُ المطلِقين عليهما | يُخضِّل من شيبهما ويُخضِّب
فقيل : أنِلْ أقدامَكَ الأرضَ ، إنها | أبرُّ جوادًا إن فعلتَ وأنجب

---

١ ــ القلة : اعلى الراس ــ ٢ ــ المصاب : من شرب حتى ارتوى .
٣ ــ الأشمط : الذى يخالط بياض راسه سواد ، والمراد بالأول : الفارس وبالثانى : فرسه .

فقال : أيرضى واهبُ النصر أننا ... نموت كموتِ الغانياتِ ونعطَب؟
ذروني وشأني والوَغَى ، لا مبالياً ... إلى الموت أمشي ، أم إلى الموت أركب؟
أيحملني عُمْرًا ، ويحمي شبيبتي ... وأخذُلُه في وهْنِه وأُخيِّب ؟(١)
إذا نحن متنا فادفنونا ببقعة ... يظلُّ بذكرانا ثراها يُطيِّب
ولا تعجبوا أن تبسلَ الخيلُ ، إنها ... لها ــ مثلُ ما للناس ــ في الموت مَشرب (٢)
فماتا أمامَ اللهِ موتَ بسالةٍ ... كأنهما فيه مِثالٌ منصَّب(٣)
وما شهداءُ الحربِ إلا عمادُها ... وإن شَيَّدَ الأحياءُ فيها وطنَّبوا(٤)
مِدادُ سِجلِّ النصرِ فيها دِماؤهم ... وبالتِّبر من غالي ثَرَاهُم يُتَرَّب(٥)
فهل من (ملونا) موقفٌ ومَسامِعٌ ... ومن جبليها منبرٌ لي فأخطب ؟
فأسألَ حِصْنَيْها العجيبين في الورى ... ومدخلَها الأعصى الذي هو أعجب؟
وأستشهِد الأطوادَ شماءَ ، والذرا ... بَوَاذِخَ ، تَلْوِي بالنجوم وتجذب؟(٦)
هل البأس إلا بأسُهم وثباتُهم ؟ ... أو العزمُ إلا عزمُهم والتلبُّب؟(٧)
أو الدينُ إلا ما رأت من جهادهم ؟ ... أو المُلكُ إلا ما أعزُّوا وهَيَّبوا ؟(٨)
وأيُّ فضاءٍ في الوَغى لم يُضَيِّقوا ؟ ... وأيُّ مَضيق في الورى لم يُرحِّبوا ؟
وهل قبلهم مَنْ عانقَ النارَ راغبًا ... ولو أنه عَبَّادُها المترهِّب ؟

---

١ ــ الوهن : الضعف ، والمعنى : ليس من الوفاء ، ولا من حسن الجزاء أن يكون نصيبه مني في شيبه الترك والخذلان ، وقد كان نصيبي منه الصبر على الاهوال ، والمعاونة على القتال ــ ٢ ــ تبسل : تشجع . ٣ ــ منصب : مرفوع ــ ٤ ــ طنب البيت : شده بالاطناب ، وهي الحبال ٥ ــ السجل : كتاب العهد ، أو الحكم ، وترب الكتابة : وضع عليها التراب لتجف ــ ٦ ــ الشماء: المرتفعة . والبواذخ : من بذخ الجبل : طال . والوى بثوبه أو يده : اشار بها ــ ٧ ــ التلبب : من تلبب الرجل للحرب : تحزم وتشمر لها ــ ٨ ــ هيبه : صيره مهيبا.

وهل نال مانالوا من الفخر حاضرٌ ؟ ... وهل حُبِيَ الخالون منه الذى حَبوا ؟(١)
سلاماً (ملونا) ، واحتفاظاً ، وعصمةً ... لمن بات فى عالى الرضى يتقلب
وضِنّى بعظمٍ فى ثراك مُعظَّمٍ ... يُقرِّبه الرَّحمنُ فيما يُقرِّب

هزيمة طرناو

و (طرناوُ) إذ طارَ الذهولُ بجيشها ... وبالشَّعبِ فوضى فى المذاهب يذهب
عَشِيّةَ ضاقت أرضُها وسماؤها ... وضاق فضاءٌ بين ذاك مُرَحَّب
خَلَتْ من بنى الجيش الحصونُ ، وأقفرت ... مساكنُ أهليها ، وعمَّ التخرُّب(٢)
ونادى منادٍ للهزيمة فى المَلا ... وإنَّ مُنادى التُّرْكِ يدنو ويقرب
فأعرضَ عن قُوّاده الجندُ شارداً ... وعلَّمه قُوّادُه كيف يهرب
وطار الأهالى ، نافرين إلى الفَلا ... مثينَ ، وآلافاً تَهِيمُ وتسرُب(٣)
نَجَوْا بالنفوس الذاهِلاتِ ، وما نَجَوْا ... بغير يَدٍ صِفْر ، وأُخرى تقلب
وطالت يَدٌ للجمع فى الجمع بالخنا ... وبالسلبِ ، لم يَمْدُدْ بها فيه أجنَب(٤)
يسير على أشلاء والِده الفتى ... ويَنْسَى هناك المُرْضِعَ الأُمُّ والأَب(٥)
وتمضى السرايا واطئاتٍ بخيلها ... أراملَ تبكى ، أو ثواكلَ تندب
فمِنْ راجلٍ تَهوى السُّنونُ برجلهِ ... ومِنْ فارسٍ تمشى النساءُ ، ويَركب(٦)
وماضٍ بمال قد مضى عنه وَألُهُ ... ومُزْجٍ أثاثاً بين عينيه يُنهَب(٧)

---

١ — حباه الشىء : أعطاه اياه — ٢ — بنى : جمع بنية ، بكسر الباء ، وهى البنيان والمراد بها هنا : القلاع والثكنات — ٣ — تسرب : من سرب الرجل فى الأرض ، اذا ذهب على وجهه فيها ومضى — ٤ — معناه تعدى بعضهم على بعض بالفحش والسب . والأجنب الأجنبى ، والمراد : الترك — ٥ — اشلاء : جمع شلو ، وهى اعضاء الانسان بعد البلى والتفرق — ٦ — الراجل : الماشى على رجليه . وتهدى السنون برجله : اى تزل به القدم من ثقل وطاة الهرم ٧ — الوال : الملجا . مزج — من ازجاه بمعنى ساقه ودفعه برفق . الأثاث : متاع البيت

يكادون من ذُعرٍ تفرُّ ديارهم ... وتنجو الرواسي لو حَوَاهُنَّ مَشعب(١)
يكاد الثرى من تحتِهم يَلِجُ الثرى ... ويَقضِمُ بعضُ الأرضِ بعضًا ويقضِب(٢)
تكادُ خُطاهم تسبق البرقَ سرعةً ... وتذهب بالأبصار أيّان تذهب
تكاد على أبصارهم تقطع المدى ... وتنفذ مرماها البعيدَ وتحجُب(٣)
تكاد تمسُّ الأرضَ مَسًّا نِعالُهم ... ولو وجدوا سُبْلاً إلى الجو نكَّبوا(٤)
هزيمة من لا هازمٌ يستحِثُّه ... ولا طاردٌ يدعو لذاك ويوجب
قعدنا ، فلم يعدمْ فتى الروم فَيْلَقًا ... من الرعب يغزوه ، وآخرَ يسلُب
ظفِرنا به وجهًا ، فظن تعقُّباً ... وماذا يزيد الظافرين التعقُّب ؟
فولَّى ، وما ولَّى نظامُ جنودِهِ ... ويا شؤْمَ جيشٍ للفرار يرتِّب
يسوق ويَحْدو للنجاةِ كتائبًا ... له موكب منها ، وللعار موكب
منظمة من حوله ، بَيْدَ أنها ... تودُّ لو انشقَّ الثرى فتُغيَّب
مؤزرة بالرُّعب ، ملدوغة به ... ففي كل ثوبٍ عقربٍ منه تَلْسِب(٥)
ترى الخيل من كلٍّ الجهاتِ تَخَيُّلًا ... فيأخذ منها وهمُها والتهيُّب
فمِن خلفِها طورًا ، وحيناً أمامها ... وآونةً من كلِّ أوْبٍ تَألَّب(٦)
فوارسُ فى طولِ الجبالِ وعرْضِها ... إذا غاب منهم مِقْنَبٌ لاح مِقْنَب(٧)
فمهما تهِمْ يسنحْ لها ذو مُهنَّدٍ ... ويخرجْ لها من باطن الأرض مِحْرَب(٨)

---

١ — الذعر : الخوف الشديد ، والرواسي : الجبال : والمشعب : الطريق.
٢ — يلج : يدخل . ويقضم : ويقضب : يقطع — ٣ — مدى البصر : منتهاه وغايته . وتنفذ مرماها : تبلغه وتتجاوزه — ٤ — نكبوا : مالوا — ٥ — ارزه : غطاه وقواه . وتلسب : اى تلدغ — ٦ — تالب — من التالب : وهو التجمع والارب : الناحية — ٧ — اى يجسمها لهم الويل فيرونها كذلك . والمقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة — ٨ — المحرب : الشجاع الشديد فى الحرب

وتَنْزِلُ عليها من سماء خيالِها   صواعقُ فيهنّ الردى المُتَصبِّب
رُؤًى إن تكن حقًّا يكنْ من ورائِها   ملائكةُ الله الذى ليس يُغلب(١)

التلاقى سهل فرسالا

و (فرسالُ) إذ باتوا وبتنا أعادِياً   على السهل لُدًّا ، يرقبون ، ونرقب(٢)
وقام فتانا الليلَ يَحْمِى لواءه   وقامَ فتاهم ليلَه يتلعَّب
توسَّدَ هذا قائِمَ السيفِ يَتَّقِى   وهذا على أحلامِهِ يتحسَّب(٣)
وهل يستوى القِرنان : هذا مُنعَّمٌ   غَرِيرٌ ، وهذا ذو تجاريبَ قُلَّب؟(٤)
حمينا كِلانا أرض (فِرسالَ) والسما   فكلٌّ سبيل بين ذلك مَعْطَبُ(٥)
ورُحنا يَهُبُّ الشر فينا وفيهمُ   وتَشْمُل أرواحُ القتال وتجنُب(٦)
كأنا أُسودٌ رابضاتٌ ، كأنهم   قطيعٌ بأقصى السهل،حيران،مُذْئِب(٧)
كأن خيام الجيش فى السهل أينُق   نواشِزُ ، فوضى ، فى دجى الليل شُزَّب(٨)
كأن السرايا ساكناتٍ موائجًا   قطائعُ ،تعطَى الأمنَ طورًا ،وتُسْلَب(٩)
كأن القَنا دون الخيام نوازلا   جداولُ ، يُجريها الظلامُ ، ويسكب(١٠)
كأن الدُّجى بحر إلى النجم صاعد   كأن السرايا موجهُ المتضرِّب
كأن المنايا فى ضمير ظلامِهِ   همومٌ بها فاض الضمير المحجَّب

---

١ — الرؤى : جمع رؤيا ، وهى المنام — ٢ — اللد : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة — ٣ — يتحسب : يتوسد — ٤ — القرن : النظير المقاوم والغرير : العديم الخبرة . والقلب : المحتال البصير بتقلب الأمور
٥ — معطب : مهلك — ٦ — تشمل — من شملت الريح : هبت شمالا . وجنبت : هبت جنوبا — ٧ القطيع : الطائفة من الغنم . وأذاب القطيع فزع من الذئب ، فهو مذئب — ٨ — الاينق : جمع ناقة . ونواشز : مرتفعة . وشزب : متفرقه — ٩ — القطائع : جمع قطيعة ، وهى هنا ما قطع من الجيش — ١٠ — القنا : جمع قناة ، وهى الرمح

كأنّ صهيل الخيل ناعٍ مبشرٌ ... تراهنّ فيها ضُحكًا وهي نُحّب(١)
كأنْ وجوه الخيل غُرًّا وسهمةً ... دَرازِيُّ ليل طُلّعٌ فيه ثُقّب(٢)
كأن أنوف الخيل حَرَّى من الوغى ... مجامرُ في الظلماء تهْدا وتلهب(٣)
كأن صدور الخيل غُدْرٌ على الدُّجى ... كأن بقايا النضح فيهن طُحْلُب(٤)
كأن سَنى الأبواق في الليل برقُه ... كأن صداها الرعدُ البرق يصحب
كأن نداء الجيش من كل جانبٍ ... دويُّ رياح في الدجى تتذأب(٥)
كأن عيون الجيش من كل مذهب ... من السهل جنٌّ جُوَّلٌ فيه جُوّب(٦)
كأن الوغى نارٌ ، كأن جنودنا ... مجوسٌ إذا ما يمّموا النار قرّبوا(٧)
كأن الوغى نار ، كأن الردَى قِرًى ... كأن وراء النار حاتِمَ يأدِب(٨)
كأن الوغىْ نار ، كأن بني الوغى ... فَراشٌ ، له في ملمس النار مأرَب
وثبْنا يضيق السهل عن وثباتنا ... وتقدُمُنا نارٌ إلى الروم أوْثَب
مشت في سراياهم ، فحلّت نظامَها ... فلما مشيْنا أدبرتْ ، لا تُعقِّب

غضب دوموقو

رأى السهلُ منهم ما رأى الوعرُ قبله ... فياقوم، حتى السهلُ في الحرب يصعُب؟
وحصن تسامى من (دموقو) ، كأنه ... مُعَشِّش نسرٍ ، أو بهذا يلقب
أشمٌّ على طَوْدٍ أشمّ ، كلاهما ... مَنون المُفاجى، والحِمامُ المرحِّب

---

١ نحب : اى منتحبات باكيات ـ ٢ ـ ثقب النجم : اضاء . والدرارى : النجوم الثواقب ـ ٣ ـ المجامر : جمع مجمر ، وهو ما يوضع فيه الجمر .
٤ ـ الغدر : جمع غدير : والطحلب : خضرة تعلو الماء المزمن . والنضح رشاش الماء ـ ٥ـ تتذاب الريح : تهب مرة كذا ومرة كذا ـ ٦ ـ عيون الجيش : ارصاده وجواسيسه ـ ٧ ـ قربوا لله : قدموا له القربان .
٨ ـ القرى : ما قرى به الضيف ، اي قدم له . وحاتم : هو حاتم الطائى المضروب به المثل في الجود

تكادُ تقاد الغادت لربِّه ... فَيُزْجِي ، وتَنْزِمُ الرياحُ فيركب(١)
حمَته ليوثٌ من حديدٍ تركَّزت ... على عَجَل ، واستجمعتْ تترقب
تثور وتستأْنى ، وتنأى وتَدَّنى ... وتغدو بما تغدى ، وترمى وتنشب(٢)
تأَبَّى ، فظنَّ العالمونَ استحالةً ... وأعيا على أوهامهم ، فتريَّبوا(٣)
فما فى القوى أن السمٰواتِ تُرْتَقى ... بجيشٍ ،وأنَّ النجمَ يُغْشَى فيُغضب(٤)
سموتمْ إليه ، والقنابلُ دونه ... وشهبُ المنايا ،والرصاص المُصَوَّب
فكنتم يواقيتَ الحروبِ كرامةً ... على النار ، أو أنتم أشدُّ وأصلَب(٥)
صعدتم ، وما غيرُ القنا ثَمَّ مَصعدٌ ... ولا سُلَّمٌ إلا الحديدُ المذرب(٦)
كما ازدحمتْ بيزان جَوٍّ بمَوْرِدٍ ... أو ارتفعت تلْقَى الفريسةَ أعقب(٧)
فما زلتمُ حتى نزلتم بُروجَه ... ولم تحتضرْ شمس النهار فتغربُ
هنالك غالى فى الأماديحِ مَشرقٌ ... وبالغ فيكم آلَ عثمان مَغرِب
وزيدَ حمى الإسلام عزًّا ومَنْعةً ... ورُدَّ جِماحُ العصر ، فالعصرهَيِّب
رفعنا إلى النجم الرءُوس بنصركم ... وكنا بحكمِ الحادثاتِ نصوَّب
ومن كان منسوباً إلى دولةِ القنا ... فليس إلى شيء سوى العِزِّ يُنْسَب

احلام اليونان

فياقوم ، أين الجيش فيما زعمتُمْ ؟ ... وأين الجوارى ، والدفاعُ المركَّب ؟(٨)

---

١ ــ إلغاديات : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة . ويزجى : يسوق وتنزم : تزم بزمام ــ ٢ استأنى : انتظر . وادنى : اقترب ــ ٣ ــ تابى . امتنع . وتربيوا : تخوفوا ــ ٤ ــ يغضب ، على البناء للمجهول : يصاب بالغضاب ، وهو القذى فى العين ــ ٥ ــ يقال : ان الياقوت لا يحترق بالنار ٦ ــ الحديد المذرب : المسموم ، وذرب السيف :حده ــ ٧ ــ البيزان : جمع باز . والأعقب : جمع عقاب ، وهما من جوارح الطير ــ ٨ ــ الجوارى السفن .

وأين أميرُ البأسِ والعزمِ والحِجى؟ وأين رجاءٌ فى الأمير مُخيِّب ؟
وأين تُخومٌ تستبيحون دَوْسَها ؟ وأين عصاباتٌ لكم تتوثَّب ؟(١)
وأين الذى قالت لنا الصحْفُ عنكم وأسند أهلوها إليكم فأطنبوا ؟
وما قد روى بَرْقٌ من القولِ كاذبٌ وآخرُ من فعل المخبِّين أكذب
وما شِدْتُمُ من دولة عرضُها الثرى يدين لها الجنسانِ : تُرْكٌ وصَقْلب
لها علمٌ فوق الهلال ، وسُدَّةٌ تُنَصُّ على هام النجوم ، وتُنصَب
أهذا هو الذُّود الذى تدّعونه ونصرٌ « كريدٍ » ، والولا ، والتحبُّب؟
أهذا الذى للمُلكِ والعِرضِ عندكم وللجار إن أعيا على الجار مَطلب ؟
أهذا سلاحُ الفتح ، والنصر والعلا؟ أهذا مطايا مَنْ إلى المجد يركب ؟
أهذا الذى للذكر خلَّب معشرٌ على ذكرهم يأتى الزمانُ ويذهب ؟
أسأتم ، وكان السوءُ منكم إليكمُ إلى خير جار عنده الخيرُ يُطلَبُ
إلى ذى انتقامٍ ، لا ينام غريمُه ولو أنه شخصُ المنام المحجَّب
شقيتم بها من حيلة مستحيلة وأين من المُحتال عنقاءُ مُغْرِب؟(٤)
فلولا سيوفُ التركِ جرَّبَ غيرُكم ولكن من الأشياء ما لا يجرَّب

عفو القادر

فعفواً — أميرَ المؤمنين — لأُمَّةٍ دعَتْ قادرًا ، مازال فى العفو يرغب
ضربتَ على آمالِها ، ومآلها وأنتَ على استقلالها اليومَ تَضرب
إذا خان عبدُ السوء مولاه مُعْتَقًا فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذَّب ؟
ولا تضرِبَنْ بالرأى مُنحَلُّ ملكِهم . فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذَّب؟

---

١ ــ التخوم : الحـــدود ــ ٢ ــ صقلب : الجنس السلافى ــ ٣ ــ تنص اى ترفع ــ ٤ ــ عنقاء مغرب : طائر من طيور الأساطير

لقد فنيَت أرزاقُهم ، ورجالُهم ... وليس بفانٍ طَيْشُهم ، والتقلُّب
فإن يجدوا للنفس بالعوْدِ راحةً ... فقد يشتهى الموتَ المريضُ المعذَّب
وإن همّ بالعفو الكريم رجاؤهم ... فمن كَرَمِ الأخلاقِ أن لا يُخَيَّبوا
فما زلتَ جارَ البرِّ ، والسيِّدَ الذى ... إلى فضله من عدله الجارُ يهرب
يُلاقى بعيدُ الأهلِ عندكَ أهلَهُ ... ويمرحُ فى أوطانه المتغرِّب

التماس القبول

أمولاي غنَّتك السيوفُ فأطربت ... فهل لِيراعى أن يُغنى فيُطرب
فعندى — كما عند الظُّبا — لك نَغْمَةٌ ... ومختلِفُ الأنغامِ للأُنس أجلب(١)
أعزّب ما تُنشى عُلاك ، وإنه ... لنى لُطفه ما لا ينال المُعرِّب
مدحتك والدنيا لسانٌ ، وأهلُها ... جميعًا لسانٌ ، يمليان ، وأكتب
أناولُ من شعر الخلافةِ ربَّها ... وأكسو القوافى مايدوم فيقشب(٢)
وهل أنت إلا الشمسُ فى كل أمةٍ ؟ ... فكلُّ لسانٍ فى مديحك طيِّب
فإن لم يَلِقْ شعرى لبابك مِدحةً ... فمُرْ ينفتِح بابٌ من العذرِ أرحَب
وإنى لطيرُ النيل ، لا طير غيرُه ... وما النيلُ إلا من رياضِك يُحسَب
إذا قلتُ شعرًا فالقوافى حواضر ... وبغدادُ بغدادٌ ، ويثرب يثرب
ولم أعدم الظلَّ الخصيبَ ، وإنما ... أجاذِبُكَ الظلَّ الذى هو أخصب
فلازلتَ كهفَ الدين ، والهادىَ الذى ... إلى اللهِ بالزُّلْفَى له نتقرَّب

---

١ — الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان
٢ — يقشب الشىء : يجعله جديدا

انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة

اللهُ أكبر ، كمْ فى الفتحِ من عَجَبِ ... ياخالدَ التُّركِ جدِّدْ خالدَ العَرَبِ(١)

صلحٌ عزيزٌ على حربٍ مُظَفَّرةٍ ... فالسيفُ فى غمدِهِ ، والحقُّ فى النُّصُبِ(٢)

ياحُسنَ أُمْنيَّةٍ فى السيفِ ما كذَبَت ... وطيبَ أُمنيَّةٍ فى الرأى لم تَخِبِ

خُطاك فى الحق كانت كلُّها كَرماً ... وأنتَ أكرمُ فى حَقْنِ الدَّمِ السَّرِبِ(٣)

حَذوتَ حربَ (الصلاحيِّين) فى زَمَنٍ ... فيه القتالُ بلا شرعٍ ، ولا أدبِ

لم يَأْتِ سيفُك فحشاءً ، ولاهتكتْ ... قناك من حُرمَةِ الرُّهبانِ والصُّلُبِ

سُئِلْتَ سَلمًا على نصرٍ ، فجُدتَ بها ... ولو سُئِلتَ بغيرِ النصرِ لم تُجِبِ(٤)

مَشيئةٌ قَبِلَتْها الخيلُ عاتبةً ... وأذعن السيفُ مَطْوِيًّا على غَضَبِ

أتيتَ مايشبه التقوى وإن خُلِقت ... سيوفُ قومِك لا ترتاحُ للقُرُبِ(٥)

ولا أزيدُك بالإسلام معرفةً ... كلُّ المروءةِ فى الإسلام والحسبِ

مَنَحْتَهُمْ هُدْنةً من سيفك التمِسَت ... فهَبْ لهم هُدْنةً من رأيك الضَّرِبِ(٦)

أتاهُمُ منك فى «لوزانَ» داهيةٌ ... جاءت به الحربُ من حَيَّاتها الرُّقُبِ(٧)

أَصَمُّ ، يسمعُ سِرَّ الكائدين له ... ولا يضيق بجَهْرِ المُحْنَقِ الصَّخِبِ

لم تَفترِق شهواتُ القومِ فى أرَبٍ ... إلا قضى وَطَراً من ذلك الأرَبِ

---

١ ـ خالد الترك : يراد به الغازى مصطفى باشا كمال ، وخالد العرب : هو خالد بن الوليد وله فى الحروب الاسلامية صوت بعيد ـ ٢ ـ النصب : جمع نصاب ، وهو الاصل والمرجع ـ ٣ ـ السرب : المسفوح ـ ٤ ـ الضمير فى « بها » : للسلم بالكسر والفتح مؤنثة : بمعنى الصلح والسلام ـ ٥ ـ القرب جمع قراب ، وهو الغمد ـ ٦ ـ الضرب : القاطع ـ ٧ ـ الرقب : جمع رقيب ، وهى الحية الخبيثة . والمقصود بالداهية : عصمت باشا مندوب الترك فى مؤتمر (لوزان) ، والمشهور عنه أن فى سمعه ضعفاً ، لا تصل اليه الا الأصوات العالية

تدرّعَتْ للقاءِ السِّلمِ «أنقرةٌ» ومهّدَ السيفُ فى (لوزان) للخُطَب
فقل لِبانٍ بقولٍ رُكنَ مملكةٍ على الكتائب يُبنَى المُلكُ . لا الكتُب
لا تَلْتَمِس غَلَبًا للحقِّ فى أُمَمٍ الحقُّ عندهُمُ معنًى من الغَلَب
لا خيرَ فى مِنبَر حتى يكون له عُودٌ من السُّمْر ، أو عودٌ من القُضُب(١)
وما السلاحُ لقوم كلُّ عُدَّتِهم حتى يكونوا من الأخلاق فى أُهُب(٢)
لو كان فى الناب دون الخُلقِ مَنْبَهَةٌ تساوت الأُسْدُ والذُّؤبانُ فى الرُّتَب
لم يُغنِ عن قادة اليونان ما حشدوا من السلاح ، وما ساقوا من العُصَب
وتَركُهُم «آسيا الصغرى» مُدَجَّجَةً كشُكْنَة النحل ، أو كالقُنْفُذ الخشب(٣)
للتُّرك ساعاتُ صبرٍ يومَ نَكْبتِهم كُتِبْنَ فى صحف الأخلاق بالذهب
مغارمٌ ، وضحايا ما صَرَخْنَ ، ولا كُدِّرن بالمنّ ، أو أُفْسِدْنَ بالكذب
بالفعلِ والأثر المحمود تعرفها ولستَ تعرفها باسم ولا لقب
جُمِعنَ فى اثنين : مِن دينٍ ومِن وَطَنٍ جمعَ الذبائح فى اسم الله والقُرَب(٤)
فيها حياةٌ لشعبٍ لم يمُتْ خُلُقا ومَطمعٌ لقَبيلٍ ناهضٍ أَرِب
لم يَطْعَم الغُمْضَ جَفنُ المسلمين لها حتى انجلى ليلُها عن صُبْحِه الشَّنِب(٥)
كُنَّ الرجاءَ ، وكُنَّ اليأسَ ، ثم محا نورُ اليقين ظلامَ الشك والرِّيَب
تلمَّس التركُ أسباباً ، فما وجدوا كالسيف من سُلَّم للعزّ ، أو سَبَب

---

١ ــ السمر : الرماح : والقضب السيوف ــ ٢ ــ أهب : جمع اهــاب
٣ ــ حينما ينكمش القنفذ ويتخشب بتسع ما بين شعراته من الانفـــراج بخلاف حالة الانبساط ، فان شعراته حينئذ تكون متضامة ــ ٤ ــ القرب : جمع قربة ، وهى ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى من اعمال البر والطاعة
٥ ــ الشنب : الأبلج ، من الشنب : وهو عذوبة الأسنان

خاضوا العَوَانَ رجاءَ أن تُبَلِّغَهم ... عبْرَ النجاةِ : فكانت صخرةَ العَطب(١)

سفينةُ اللهِ لم تُقهر على دُسُر ... فى العاصفات ، ولم تُغلَبْ على خُشُب(٢)

قد أمَّن اللهُ مجراها ، وأبدلها ... بحسن عاقبةٍ من سوءِ مُنقلَب

واختار رُبَّانَها من أهلها ، فنجت ... من كيْد حامٍ ، ومن تضليل مُنْتَدَب

ما كان ماءُ « سَقاريَّا » سوى سَقَرٍ ... طغت ، فأغرقت الإغريقَ فى اللهب(٣)

لما انبرَتْ نارُها تبغيهُمُ حَطَبًا ... كانت قِيادَتُهم حَمَّالَةَ الحطب

سَعَتْ بهم نحوَكَ الآجالُ يومئذٍ ... ياضلَّ ساعٍ بداعى الحَين مُنجذِب

مَدُّوا الجُسورَ ، فحلَّ اللهُ ما عقدوا ... إلا مسالك فِرعَوْنيَّة السَّرَب

كرْبٌ تغشاهم من رأى ساستهم ... وأشأمُ الرأى ماألقاك فى الكُرَب

هم حسَّنوا للسواد البُلْهِ مملكةً ... من لِبْدة الليث أو من غِيلِهِ الأشِب

وأنشئوا نُزهةً للجيش قاتلةً ... ومَنْ تنزَّه فى الآجام لم يَؤُب

ضَلَّ الأميرُ ، كما ضَلَّ الوزيرُ بهم ... كلا السَّرابَيْنِ أظْماهم ، ولم يَصُب(٥)

تجاذباهم كما شاءا بمختلف ... من الأمانىِّ والأحلامِ مُختلِب

وكيف تلقى نجاحاً أمةٌ ذهبتْ ... حِزْبَيْنِ ضِدَّيْنِ عند الحادث الحزب؟(٦)

زحفتَ زحفَ أتِيٍّ غيرِ ذى شَفَق ... على الوِهاد ولا رِفْقٍ على الهِضَب(٧)

قذفتَهم بالرياح الهُوج مُسرَجةً ... يَحملن أُسْدَ الشَّرى فى البَيْضِ واليَلَب(٨)

---

١ ـ الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد اخرى . وعبـــر الوادى (بالفتح والكسر) : شاطئه ـ ٢ ـ دسر : جمع دسار ، وهو المسمار ، أو الخيط من ليف تشد به الواح السفينة ـ ٣ ـ الاغريق:اليونان ـ ٤ ـ اللبدة: شعر وبرة اللبث ، ويضرب بها المثل فى المنعة ، فيقال : امنع من لبدة الاسد والغيل : موضع الاسد ، والاشب : الشائك المشتبك ـ ٥ ـ لم يصب ـ من الصوب : اى المطر ـ ٦ ـ الحزب : الشـديد ـ ٧ ـ الاتى : السـيل ٨ ـ الشرى : مأسدة يضرب بها المثل بجانب الفرات . والبيض : الخوذ . واليلب : الدروع

هَبّتْ عليهم ، فذابوا عن معاقلهم   والثلجُ فى قُلَل الأَجبال لم يَذُب
لمّا صدَعتَ جناحَيْهم وقَلْبَهُمُ   طاروا بأَجنحة شتّى من الرُّعب
جَدَّ الفِرارُ ، فألقى كلُّ معتقل   قناتَهُ ، وتخلى كل مُحتقِب(١)
ياحُسْنَ ماانسحبوا فى مَنْطِقٍ عَجَبٍ   تُدعى الهزيمةُ فيه حُسنَ مُنسَحَب
لم يَدْرِ قائدُهم لما أحطْتَ به   هبطتَ من صُعُدٍ أم جئت من صَبَب؟(٢)
أخذتَه وهو فى تدبير خُطَّتِهِ   فلم تتمّ ، وكانت خطةَ الهرب
تلك الفراسِخُ من سهل ومن جبل   قرَّبْتَ ما كان منها غيرَ مقترِب
خَيْلُ الرسولِ من الفولاذ معدِنُها   وسائر الخيل من لحمٍ ومن عصب
أفى ليال تجوب الراسياتِ بها   وتقطع الأَرضَ من قُطْبٍ إلى قُطُب؟
سل الظلام بها : أىُّ المعاقل لم   تَطفِر، وأىُّ حصونِ الروم لم تَثِب؟(٣)
آلَتْ لئن لم تَرِد «أزميرَ» لانزلتْ   ماءً سواها ، ولا حلّت على عُشُب
والصبر فيها وفى فرسانها خُلُقٌ   توارثوه أباً فى الروع بعد أب
كما وُلِدتُم على أعرافِها وُلِدَت   فى ساحة الحرب ، لافى باحة الرُّحَب(٤)
حتى طلعتَ على «أزميرَ» فى فلكٍ   من نابه الذكر لم يَسمُك على الشُّهُب(٥)
فى موكبٍ وقف التاريخ يَعرضه   فلم يُكذِّب ، ولم يذمُمْ ، ولم يُرِب
يومٌ «كبدر» ، فخيلُ الحق راقصةٌ   على الصعيد ، وخيل الله فى السُّحُب
غُرٌّ ، تظلّلُها غرّاءُ ، وارفةٌ   بَدريّةُ العُودِ ، والدِّيباجِ ، والعَذَب(٦)

---

١ — المحتقب : المدخر ، ويقال : احتقب فلان الشيء : ادخره أو احتمله خلفه — ٢ — الصبب : ما انحدر من الارض — ٣ — تطفر : من الطفور ، وهو الوثوب فى ارتفاع ، والطفرة كذلك : الوثبة — ٤ — الاعراف : جمع عرف ، وهو شعر عنق الفرس — ٥ — لم يسمك : لم يرفع — ٦ — غراء وارفة : يصف العلم (اللواء) . والعذب : خرق الألوية .

نَشوى من الظفَر العالى ، مُرَنَّحةٌ ... من سَكْرة النصر ، لامن سكرة النّصَب
تذكُّر الأرض ما لم تنس من زبدٍ ... كالمِسك من جنبات (السَّكْب) مُنسكب(١)
حتى تعالى أذانُ الفتح ، فأنّأَدَت ... مَشْىَ المُجَلِّ إذا استولى على القصب

* * *

تحيةً – أيُّها الغازى – وتهنئةً ... بآية الفتح تبقى آيةَ الحِقب
وقَيِّمًا من ثناء ، لا كِفاء له ... إلا التعجبُ من أصحابك النُّجُب
الصابرين إذا حلَّ البلاء بهم ... كالليث عَضَّ على نابيْه فى النُّوَب
والجاعلين سيوفَ الهند ألسنَهم ... والكاتبين بأطراف القنا السُّلُب(٢)
لا الصعبُ عندهمُ بالصعبِ مركبُه ... ولا المُحالُ بمستعصٍ على الطَّلب
ولا المصائبُ إذ يرمى الرجالُ بها ... بقاتلاتٍ إذا الأخلاقُ لم تُصَب
قُوَّاد معركةٍ . ورُوَّادُ مهلكةٍ ... أوتادُ مملكةٍ ، آسادُ مُحتَرب
بلوتَهم ، فتحدَّث : كم شَدَدْتَ بهم ... من مُضمَحِلٍّ ؟ وكم عمَّرت من خرب؟
وكم ثَلَمتَ بهم من مَعقِلٍ أَشِبٍ ؟ ... وكم هزمتَ بهم من جَحْفَلٍ لَجِب؟
وكم بنيتَ بهم مجدًا فما نبَسوا ؟ ... فى الهدم ماليس فى البنيان من صخب
مِن فَلِّ جيشٍ ، ومن أنقاض مملكةٍ ... ومن بقية قوم جئتَ بالعجب(٣)
أخرجت للناس من ذلٍّ ، ومن فشلٍ ... شعبًا وراء العوالى غيرَ مُنشَعِب
لما أتيتَ ببدرٍ من مطالعها ... تَلفَّتَ البيتُ فى الأستار والحجب
وهشّت الروضةُ الفيحاءُ ضاحكةً ... إن المنوّرة المسكيّة الترُب
وَمَسَّت الدارُ أزكى طيبِها ، وأتت ... بابَ الرسول ، فمسّت أشرفَ العتب

---

١ – السكب : فرس من افراس النبى – ٢ – السلب : جمع سلب ، وهو الطويل – ٣ – الفل : واحد الفلول ، وفلول السيف : كسور فى حده

وأَرَّجَ الفتحُ أرجاء الحجازِ ، وكم قضى الليالىَ لم يَنْعَمْ ، ولم يَطِب
وازَّيَّنتْ أُمّهاتُ الشرق ، واستبقت مهارجُ الفتحِ فى المؤشِيّة القشُب
هَزّتْ (دِمَشقُ) بنى (أيوبَ) ، فانتبهوا يهنئون (بنى حمدانَ) فى (حلب)
ومسلمو (الهند) و (الهندوسُ) فى جَذَلٍ ومسلمو (مصر) والأقباطُ فى طرب
ممالكٌ ضمّها الإسلامُ فى رَحِمٍ وشيجةٍ ، وحواها الشرقُ فى نسب(١)
من كل ضاحيةٍ ترمى بمكتحل إلى مكانكَ ، أو ترمى بمختضب
تقول : لولا الفتى التركيُّ حل بنا يومٌ كيوم يهودٍ كان عن كَثَب

بعد المنفى *

أنادى الرسمَ لو ملك الجوابا وأجزيهِ بدمعىَ لو أثابا(٢)
وقَلَّ لحقّه العبراتُ تجرى وإن كانت سَوادَ القلب ذابا
سبقنَ مُقبِّلاتِ التُّربَ عنى وأدّينَ التحيةَ والخطابا
فنثرى الدمعَ فى الدِّمن البوالى كنظمى فى كواعبها الشّبابا(٣)
وقفتُ بها كما شاءت وشاءُوا وقوفاً عَلَّمَ الصبرَ الذّهابا
لها حَقٌّ ، وللأحباب حقٌّ رشفتُ وصالَهم فيها حبابا(٤)

---

١ — الرحم الوشيجة : المتصلة القرابة .

* كانت هذه القصيدة فاتحة شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس ، وقد اشاد فيها بذكر تلك البلاد شكرا لها وعرفانا بجميلها ، ثم انتقل الى استقبال بلاده بعد تلك الغيبة الطويلة ، وعرج على مسألة التموين التى كانت حينئذ شغل البلاد الشاغل وقد انشدت هذه القصيدة فى اجتماع لجان التموين (بالاوبرا الملكية سنة ١٩٢٠) — ٢ — الرسم : ما كان بالارض من آثار الدار —٣— الدمن :آثار الديار . والكواعب من الجوارى : ناهدات الثدى ، والمراد بها هنا :الديار قبل أن تستحيل الى دمن

٤ — رشف الماء : مصه بشفتيه .. والحباب : الحبب

ومَنْ شكرَ المناجمَ مُحسِناتٍ إذا التبرُ انجلى ، شكر الترابا
وبين جوانحي وافٍ ، ألوفٌ إذا لمح الديارَ مضى ، وثابا
رأى مَيْلَ الزمان بها ، فكانت على الأيام صحبتُه عتابا

* * *

وداعاً أرضَ أندلسٍ ، وهذا ثنائى إن رَضِيتِ به ثوابا
وما أثنيتُ إلا بعد علمٍ وكم من جاهلٍ أثنى فعابا
تخِذْتُكِ موئلاً ، فحللتُ أَنْدَى ذرًا من وائلٍ ، وأعزَّ غابا(١)
مُغرِّبُ آدمٍ من دار عَدْنٍ قضاها فى حماكِ لىَ اغترابا(٢)
شكرتُ الفُلكَ يومَ حَوَيْتِ رَحْلى فيا لمُفَارِقٍ شَكَرَ الغُرَابا ! !
فأَنتِ أرحتِنى من كل أنفٍ كأنف الميْتِ فى النَّزْع انتصابا
ومنظرِ كلِّ خوانٍ ، يرانى بوجه كالبَغِىِّ رمى النِّقابا
وليس بعامرٍ بنيانُ قومٍ إذا أخلاقُهُم كانت خرابا

* * *

أحقٌّ كنتِ للزهراءِ ساحاً وكنتِ لساكن (الزاهى) رحابا ؟
ولم تك (جورُ) أبهى منكِ وَرْدًا ولم تكُ بابلٌ أشهى شرابا ؟
وأن المجدَ فى الدنيا رحيقٌ إذا طال الزمانُ عليه طابا ؟
أولئك أمةٌ ضربوا المعالى بمشرقها ومغربها قِبابا
جرى كدرًا لهم صفوُ الليالى وغايةُ كلِّ صفو أن يُشابا

---

١ — وال : طلب النجدة . والموئل : الملجأ . ووائل : جبل . وسميت بـه قبيلة من العرب — ٢ — ان الله الذى اخرج آدم من الجنة ليجعل الارض منفاه ، قد قضى على ان يكون منفاى فى جنة من حماك ، وهذه مبالغة من الشاعر فى تكريم هذه البلاد التى آوته وهو غريب .

مُشيَّبةُ القُرون أُديلَ منها ... أَلم ترَ قَرْنَها فى الجوِّ شابا ؟(١)
مُعَلَّقةٌ تَنَطَّرُ صولجاناً ... يخرُّ عن السماء بها لِعابا
تُعَدُّ بها على الأُممِ الليالى ... وما تدرى السنينَ ولا الحسابا

* * *

ويا وطنى ، لقيتُك بعد يأْسٍ ... كأَنى قد لَقِيتُ بك الشبابا
وكلُّ مسافرٍ سَيَئُوبُ يوماً ... إذا رُزِقَ السلامةَ والإِيابا
ولو أَنى دُعيتُ لكنتَ دِينى ... عليه أُقابل الحتْمَ المُجابا (٢)
أُديرُ إليكَ قبلَ البيتِ وجهى ... إذا فهتُ الشهادةَ والمتابا
وقد سَبقتْ ركائبِىَ القوافى ... مُقلَّدَةً أَزِمَّتَها ، طِرابا
تجوبُ الدهرَ نحوكَ ، والفيافى ... وتقتحمُ اللياليَ ، لا العُبابا
وتُهديك الثناءَ الحرَّ تاجاً ... على تاجَيْكَ مُؤتلقاً عُجابا

* * *

هدانا ضوءُ ثغرِكَ من ثلاثٍ ... كما تَهدى (المنوَّرةُ) الركابا
وقد غشى المنارُ البحرَ نوراً ... كنار (الطُّور) جَلَّلتِ الشِّعابا(٣)
وقيل: الثَّغْرُ ،فاتَّأَدتْ ،فأَرْسَت ... فكانت من ثراكَ الطُّهرِ قابا
فصفحاً للزمان لصبحِ يومٍ ... به أَضحى الزمانُ إلىَّ ثابا
وحيَّا اللهُ فِتياناً سِماحاً ... كَسَوْا عِطْفِىَّ من فخرٍ ثيابا
ملائكةٌ إذا حفُّوكَ يوماً ... أَحبَّكَ كلُّ من تلقَى ، وهابا

---

١ — اداله الله فلانا من فلان : نزع الدولة من الثانى وحولها الى الاول والكلام على الشمس .
٢ — دعيت الى الموت : نوديت . والحتم المجاب : هو الموت .
٣ — جلل الشىء : غطاه .

وإن حملتْكَ أيديهم بحورًا ... بلغتَ على أكُفِّهمُ السحابا
تَلَقَّوْنى بكل أغرَّ زاهٍ ... كأنّ على أسِرَّتِه شهابا
ترى الإيمان مؤتلقًا عليه ... ونورَ العلم ، والكرمَ اللُّبابا(١)
وتلمحُ من وضاءةِ صفحتَيْه ... مُحيًا مِصرَ رائعةً كَعابا(٢)
وما أدبى لما أسْدَوْه أهلٌ ... ولكن مَنْ أحبَّ الشيء حابى
شبابَ النيل ، إن لكم لصوتاً ... مُلبًّى حين يُرفعُ ، مُستجابا
فهُزُّوا (العرشَ) بالدعوات حتى ... يخفِّفَ عن كنانتِه العذابا
أمِنْ حربِ البسوسِ ، إلى غَلاءٍ ... يكادُ يُعيدُها سبعًا صِعابا ؟
وهل فى القوم يوسفُ يتّقيها ... ويُحسنُ حِسبةً ، ويرى صوابا؟(٣)
عبادكَ ـ ربِّ ـ قد جاعوا بمصرٍ ... أنيلاً سُقْتَ فيهم ، أم سَرابا ؟
حنانَكَ ، وأهدِ للحسنى تِجارًا ... بها ملكوا المرافِقَ والرقابا
ورقِّقْ للفقير بها قلوباً ... مُحجرّةً ، وأكبادًا صِلابا
أمَنْ أكلَ اليتيمَ له عقابٌ ... ومن أكل الفقيرَ فلا عقابا ؟
أُصيبَ من التجار بكل ضارٍ ... أشدَّ من الزمان عليه نابا
يكاد إذا غذّاه ، أو كساه ... ينازعه الحشاشةَ والإهابا(٤)
وتسمعُ رحمةً فى كل نادٍ ... ولستَ تحِسُّ للبرِّ انتدابا
أكلٌّ فى كتاب الله إلّا ... زكاةَ المال ليست فيه بابا ؟
إذا ماالطامعون شَكَوْا وضجُّوا ... فدعهُم ، واسمع الغرْثى السغابا(٥)

---

١ ـ اللباب : الخالص ـ٢ـ الوضاءة : الحسن والنظافة ـ٣ـ الحسبة: الحساب ـ ٤ ـ الحشاشة : بقية الروح فى المريض : والاهاب :الجلد .

٥ ـ الغرثى : جمع غرثان ، وهو الجائع ، والسغاب : جمع ساغب ، وهو الجائع أيضا .

فما يبكون من ثُكْلٍ ، ولكن … كما تصفُ المعدَّدةُ المصابا
ولم أر مثلُ سُوقِ الخيرِ كَسْبًا … ولا كتجارة السوء اكتسابا
ولا كأولئك البؤساء شاءً … إذا جوَّعتها انتشرَتْ ذئابا
ولولا البِرُّ لم يُبعثْ رسولٌ … ولم يَحمِلْ إلى قوم كتابا

ذكرى المولد

سلُوا قلبى غداةَ سلا وثابا … لعلَّ على الجمالِ له عِتابًا
ويُسْأَلُ فى الحوادثِ ذو صوابٍ … فهل ترك الجمالُ له صوابا ؟
وكنتُ إذا سأَلتُ القلبَ يوماً … تولَّى الدمعُ عن قلبى الجوابا
ولى بين الضلوع دمٌ ولحمٌ … هما الواهى الذى ثكِلَ الشبابا(١)
تسرَّب فى الدموعِ ، فقلتُ : ولَّى … وصفَّق فى الضلوع ، فقلتُ : ثابا(٢)
ولو خُلقت قلوبٌ من حديد … لما حَملتْ كما حَمل العذابا
وأحبابٍ سُقيتُ بهم سُلافاً … وكان الوصلُ من قِصَرٍ حَبابا(٣)
ونادَمْنا الشبابَ على بِساطٍ … من اللذات مختلفٍ شرابا
وكلُّ بساطِ عيشٍ سوف يُطوى … وإن طال الزمانُ به وطابا
كأَن القلبَ بَعدهمُ غريبٌ … إذا عادَتْه ذكرى الأَهلِ ذابا
ولا يُنْبيكَ عن خُلُقِ الليالى … كمن فقد الأَحِبَّةَ والصِّحابا

---

١ — الواهى : الضعيف . وثكل الشباب : فقده . والمقصود بالدم واللحم هنا القلب — ٢ — ثاب : رجع بعد ذهاب — ٣ — السلاف : خالص الخمر . وحباب الماء : نفاخاته التى تعلوه

أخا الدنيا ، أرى دنياكَ أَفْعى … تُبدّل كلَّ آونةٍ إهابا
وأن الرُّقْطَ أَيْقَظُ هاجعاتٍ … وأَترَعُ فى ظلالِ السلم نابا(١)
ومِن عجبٍ تُشيِّب عاشِقيها … وتُفنيهم ، وما بَرحت كَعابا(٢)
فمن يغترّ بالدنيا فإنّى … لبستُ بها فأَبليتُ الثيابا
لها ضَحِكُ القِيانِ إلى غَبِىٍّ … ولى ضحكُ اللبيبِ إذا تغابى(٣)
جنيتُ بروْضِها وردًا ، وشوكاً … وذقتُ بكأْسِها شُهْدًا ، وصابا
فلم أر غيرَ حكمِ الله حكماً … ولم أر دون بابِ الله بابا
ولا عظَّمْتُ فى الأَشياءِ إلّا … صحيحَ العلمِ ، والأَدبَ اللُّبابا(٤)
ولا كرّمتُ إلّا وجهَ حُرٍّ … يُقلِّد قومَه المِننَ الرِّغابا(٥)
ولم أر مثلَ جمعِ المالِ داءً … ولا مثلَ البخيلِ به مُصابا
فلا تقتلْك شهوتُه ، وزِنْها … كما تزِنُ الطعامَ أو الشرابا
وخُذْ لبنيك والأَيامِ ذخرًا … وأَعطِ اللهَ حِصَّتَه احتسابا(٦)
فلو طالعتَ أحداثَ الليالى … وجدتَ الفقرَ أقربَها انتيابا(٧)
وأن البرَّ خيرٌ فى حياةٍ … وأبقى بعد صاحبِه ثوابا
وأن الشرَّ يصدعُ فاعلِيه … ولم أر خيِّرًا بالشر آبا
فرِفقاً بالبنين إذا الليالى … على الأَعقاب أوقعتِ العقابا
ولم يتقلدوا شكرَ اليتامى … ولا ادّرعوا الدعاءَ المستجابا(٨)

---

١ — الرقط : جمع رقطاء، وهى الحية على جلها سواد مشوب بالبياض واترع : اسرع الى ١ — ٢ — الكعاب : الجارية الناهد
٣ — القيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية — ٤ — اللباب : المختار الخالص — ٥ — الأرض الرغاب : التى لا تسيل الا من مطر كثير .
٦ — احتسب عند الله أمرا : قدمه — ٧ انتابه : اتاه مرة بعد اخرى
٨ — ادرع : لبس الدرع .

عجبتُ لمعشرٍ صلَّوا وصاموا ... عواهرَ ، خشيةً وتُقَى كِذابا(١)
وتُلفيهم حِيالَ المالِ صُمًّا ... إذا داعِى الزكاةِ بهم أهابا(٢)
لقد كتموا نصيبَ الله منهُ ... كأَنَّ اللهَ لم يُحْصِ النِّصابا
ومَنْ يَعْدِلْ بحبِّ اللهِ شيئًا ... كحبِّ المالِ ، ضَلَّ هوًى وخابا
أراد اللهُ بالفقراء بِرًّا ... وبالأيتام حُبًّا وارتبابا(٣)
فرُبَّ صغيرِ قومٍ علَّموه ... سَمَا وحَمى المُسوَّمَةَ العِرابا(٤)
وكان لقومه نفعًا وفخرًا ... ولو تركوه كان أذًى وعابا(٥)
فعلِّم ما استطعت ، لعلَّ جيلاً ... سيأْتى يُحدِثُ العَجَبَ العُجابا
ولا تُرهقْ شبابَ الحيِّ يأْساً ... فإن اليأْسَ يخترمُ الشبابا(٦)
يريد الخالقُ الرزقَ اشتراكاً ... وإن يكُ خصَّ أقواماً وحابى(٧)
فما حَرَمَ المُجِدَّ جَنَى يديه ... ولا نسىَ الشقىَّ ، ولا المُصابا(٨)
ولولا البخلُ لم يَهْلِكْ فريقٌ ... على الأقدار تلقاهُم غِضابا
تعبتُ بأهله لَوْمًا ، وقبلى ... دُعاةُ البِرِّ قد سئموا الخطابا
ولو أنى خطبتُ على جمادٍ ... فَجَرْتُ به الينابيعَ العِذابا
ألم تَرَ للهواء جرى فأَفضى ... إلى الأكواخ ، واخترق القبابا؟(٩)
وأن الشمسَ فى الآفاق تَغْشى ... حِمى كِسْرَى ، كما تغشى اليبابا؟(١٠)
وأن الماءَ تروى الأُسْدُ منهُ ... ويَشفِى من تَلَعْلُعِها الكلابا ؟(١١)

---

١ — الكذاب : الكذب — ٢ — أهاب به : دعاه — ٣ — ارتب الصبى ارتبابا : رباه حتى ادرك — ٤ — الخيل المسومة : المرعية والخيل العراب : الكرائم . ٥ — العاب — العيب — ٦ — أرهقه طغيانا : اغشاه اياه . ويخترم الشباب : يستأصله — ٧ — حاباه : اختصه ومال اليه — ٨ الجنى ، ما نجنى من الشجر ٩ — افضى : بلغ — ١٠ اليباب : الفقر — ١١ تلعلع الكلب : دلع لسانه عطشا .

وسَوّى اللهُ بينكمُ المنايا ... ووسَّدَكُم مع الرسْلِ الترابا(١)
وأرسَلَ عائلاً منكم يتيماً ... دنا من ذىالجلال فكان قابا(٢)
نبيُّ البرِّ ، بَيَّنَهُ سبيلاً ... وسنَّ خِلالَه ، وهَدى الشِّعابا(٣)
تفرق بعدَ عيسى الناسُ فيه ... فلما جاء كان لهم مَتابا(٤)
وشافى النفسِ من نزَغاتِ شرٍّ ... كشافٍ من طبائعها الذِّئابا(٥)
وكان بيانُه للهدْيِ سُبْلاً ... وكانت خَيْلُه للحق غابا
وعَلَّمنا بِناءَ المجْدِ ، حتى ... أخذنا إمْرَةَ الأرضِ اغتصابا
وما نيلُ المطالب بالتمنى ... ولكن تؤخذُ الدنيا غِلابا(٦)
وما استعصى على قومٍ مَنالٌ ... إذا الإقدامُ كان لهم رِكابا

* * *

تجلّى مولد الهادى ، وعمّت ... بشائرُه البوادىَ والقِصابا(٧)
وأسدَتْ للبريةِ بنتُ وَهْبٍ ... يدًا بيضاء ، طوّقتِ الرقابا(٨)
لقد وضعته وهّاجاً ، منيرًا ... كما تلدُ السماواتُ الشهابا(٩)
فقام على سماء البيتِ نورًا ... يضىءُ جبالَ مكة والنقابا(١٠)
وضاعت يَثرِبُ الفيحاءُ مِسْكًا ... وفاحَ القاعُ أرجاءً وطابا(١١)
أبا الزهراء ، قد جاوزتُ قدرى ... بمدحك ، بَيْدَ أن لىَ انتسابا

---

١ — سوى : جعلكم فيها سواء — ٢ — عائلا : فقيرا . وقاب القوس : ما بين المقبض والسية ، والمراد انه كان قريبا — ٣ — الشعاب : الطرق . ٤ — الضمير فى « فيه » يعود على البر — ٥ — النزغات : الوساوس ٦ — غلابا : قهرا — ٧ — القصابا : جمع قصبة ، وهى المدينة — ٨ — بنت وهب : السيدة آمنة ، أمه صلى الله عليه وسلم — ٩ — الشهاب : الكوكب ١٠ — نقاب : جمع نقب ، وهو الطريق فى الجبل — ١١ — ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

فما عرفَ البلاغة ذو بيانٍ إذا لم يَتّخِذْكَ له كتابا
مدحتُ المالكين ، فزدتُ قدراً فحين مدحتُكَ اقْتَدْتُ السحابا
سألتُ الله فى أبناء دينى فإن تكن الوسيلةَ لى أجابا
وما للمسلمين سواكَ حصنٌ إذا ما الضرُّ مسَّهُم ونابا
كأن النحسَ حين جرى عليهم أطار بكل مملكةٍ غُرابا
ولو حفظوا سبيلك كان نوراً وكان من النحوس لهم حجابا
بنيْتَ لهم من الأخلاق ركناً فخانوا الركن ، فانهدم اضطرابا
وكان جَنابُهم فيها مَهيبًا ولَلأخلاقُ أجدرُ أن تُهابا
فلولاها لساوى الليثُ ذئبًا وساوى الصارمُ الماضى قِرابا(١)
فإن قُرنت مكارمُها بعلمٍ تذلَّلتِ العلا بهما صعابا
وفى هذا الزمان مَسيحُ علمٍ يرد على بنى الأُمم الشبابا

مشروع ملنر (*)

إثْنِ عنانَ القلبِ ، واسْلَمْ به من رَبْرَبِ الرملِ ، ومن سِرْبِهِ(٢)

---

١ ـ الصارم : السيف . والقراب : الغمد

(*) فى سنة ١٩١٩ تارت البلاد فى طلب استقلالها ، وسافر الوفد المصرى لعرض قضية البلاد فى مؤتمر السلام فى « فرساى » ، وتلقى هناك دعوة من لورد « ملنر » وزير المستعمرات الانكليزية اذ ذاك ، ليتفق معه على مركز البلاد وتحديد علاقة انكلترا بها ، فتمخضت المحادثات بينهما عن مشروع قدمه لورد ملنر ، واتفق مع الوفد على عرضه على البلاد لأخذرايها فيه مع التزام الحيدة ، فانتدب الوفدار بعة من اعضائه للقيام بهذه المهمة ، وقد كانت الافكار يومئذ متجهة الى أن المشروع يصلح اساسا للمفاوضة ببعض تعديلات ـ ٢ ـ الربرب : القطيع من بقر الوحش . والسرب (بكسر السين) : جماعة الظباء أو النساء .

ومِن تثنّى الغيدِ عن بانِه ... مُرتجّةَ الأردافِ عن كُثْبه(١)

ظِباؤه المنكسِراتُ الظُّبا ... يَغْلِبْنَ ذا اللُّبِّ على لُبِّه(٢)

بيضٌ ، رِقاق الحسن فى لمحةٍ ... من ناعم الدرِّ ، ومن رَطْبِه

ذوابلُ النرجسِ فى أصلِه ... يَوانعُ الوردِ على قُضْبِه

زِنَّ على الأرض سماءَ الدُّجى ... وزدْن فى الحسن على شُهْبه

يمشين أسراباً ، على هِينةٍ ... مشىَ القطا الآمِنِ فى سِربه(٣)

من كلِّ وَسْنانٍ بغير الكرى ... تنتبهُ الآجالُ من هُدْبه

جَفنٌ تلقّى مَلَكا بابلٍ ... غرائبَ السحرِ على غَرْبه(٤)

ياظَبْيَةَ الرملِ ، وُقِيتِ الهوى ... وإن سعتْ عيناكِ فى جَلبه

ولا ذرَفتِ الدمع يوماً ، وإنْ ... أسرفتِ فى الدمع ، وفى سكبه

هذى الشواكى النُّحْلُ صِدْنَ امْرأً ... مُلْقَى الصِّبا ، أعزلَ من غرْبه(٥)

صَيادَ آرامٍ ، رماه الهوى ... بشادنٍ لا بُرءَ من حُبِّه(٦)

شاب ، وفى أضلُعه صاحبٌ ... خِلْوٌ من الشيب ، ومن خَطبِه(٧)

واهٍ بجنبى ، خافقٌ ، كلما ... قلتُ : تناهَى ، لَجَّ فى وثبِه

لا تنثنى الآرامُ عن قاعِه ... ولا بناتُ الشوْقِ عن شِعبه(٨)

---

١ ــ الغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة اللينة الأعطاف . والبان : شجر يشبه به القدلطوله . والكثب : جمع كثيب ، وهو التل من الرمل ، يشبه به الردف ــ٢ــ الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ــ ٣ ــ الهينة (بالكسر) : السكينة والوقار ــ ٤ ــ هاروت وماروت : الملكان اللذان انزل عليهما السحر وغربِ العين : مقدمها أو مؤخرها . والغرب : السيف . وعلى هذا المعنى يكون المراد بالجفن : غمد السيف ــ ٥ ــ الشواكى المسلحة . وغرب الشباب : حدته ونشاطه ــ ٦ ــ آرام : جمع رئم ، وهو الظبى الخالص البياض . والشادن : ولد الظبية ــ ٧ ــ صاحب : يريد للقلب ــ ٨ ــ القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . والشعب (بالكسر) : الناحية .

حمَّلْنه فى الحبّ ما لم يكن ... ليحملَ الحبُّ على قلبه
ما خَفَّ إلّا للهوى والعلا ... أو لجلال الوفد فى رَكبه
أربعةٌ تجمعهم همةٌ ... ينقُلها الجيل إلى عَقبه(١)
فِعالُهم كالقَطر هَزَّ الثرى ... وزاده خِصبًا على خِصبه(٢)
لولا استلامُ الخلقِ أرْسانه ... شبَّ ، فنال الشمسَ من عُجْبه(٣)
كلُّهُمُ أغيرُ من وائلٍ ... على حِماه ، وعلى شعبه(٤)
او قدَرُوا جاءُوكُمُ بالثرى ... من قُطبِه مُلكا إلى قُطبه
ما اعتراضُ الحظِّ دون المنى ... من هفوةِ المُحْسِنِ أو ذنبه
وليس بالفاضلِ فى نفسِه ... من يُنكر الفضل على ربّه
ما بالُ قومى اختلفوا بينهم ... فى مِدحةِ المشروع أو ثَلبه ؟(٥)
كأنهم أسرى ، أحاديثُهم ... فى لَيِّن القيد ، وفى صُلبه
ياقوم ، هذا زمنٌ قد رمَى ... بالقيْدِ ، واستكبر عن سَحبه(٦)
لو أنَّ قيدًا جاءه من عَل ... خشيتُ أن يأبى على ربه
وهذه الضجةُ من نابِه ... جنازةُ الرّق إلى تُربه
من يخلع النِّيرَ يَعش بُرهةً ... فى أثر النِّير ، وفى ندبه(٧)
يا نَشأ الحيّ ، شبابَ الحِمَى ... سُلالةَ المشرق نُجْبه(٨)

---

١ — يريد بالأربعة : الاعضاء المندوبين لمرض المشروع . والعقب : الولد وولد الولد —٢— القطر : المطر —٣— ارسان : جمع رسن ، وهو الزمام ٤ — وائل : قبيلة من العرب — ٥ — ثلبه : عيبه وتنقصه — ٦ — السحب : الجر على الارض — ٧ — النير : الاخشبة المعترضة فى عنق الثورين بأداتها ، وتعرف عند العامة (بالناف) . والندب : جمع ندبة ، وهى أثر الجرح الباقى على الجلد — ٨ — النجب : جمع نجيب . وهو الكريم الحسيب

بنى الأُولى أصبحَ إحسانُهم — دارت رحَى الفنّ على قطبه
موسى وعيسى نشآ بينهم — فى سَعَة الفِكرِ وفى رُحْبه
وعالجَا أولَ .ما عالجا — من عللِ العالَم أو طبِّه(١)
ما نَسيَتْ مصرُ لكم برَّها — فى حازِبِ الأمر وفى صعبه(٢)
مزّقتمُ الوهْمَ ، وألفتمُ — أهلّةَ الله على صُلبه
حتى بنيتمْ . هرماً رابعًا — من فِئةِ الحقِّ ومن حِزبه
يومٌ لكم يَبقَى (كبدرٍ) على — أنصار سعدٍ ، وعلى صحبه(٣)
قد صارت الحالُ إلى جِدّها — وانتبه الغافلُ من لعبه
اللّيْثُ ، والعالمُ من شرقه — فى هيبة الليثِ إلى غربه(٤)
قضى بأن نبنى على نابه — مُلكَ بَنينا ، وعلى خِلبه(٥)
ونبلُغَ المجدَ على عينه — وندخل العصرَ إلى جَنْبه
ونصلَ النازلَ فى سِلمه — ونقطعَ الداخلَ فى حربه
ونصرفَ النيلَ إلى رأيه — يَقْسِمُه بالعدل فى شِرْبِه(٦)
يُبيحُ أو يَحمى على قُدْرةٍ — حقَّ القُرى والناس فى عذبه
أمرٌ عليكم أو لكم فى غد — ما ساء أو ما سَرّ من غبِّه(٧)
لا تستقِلّوه ، فما دهرُكم — بحاتم الجود ولا كعبه(٨)

---

١ ــ الطب : الشهوة ، وهو أيضا علاج الجسم والنفس
٢ ــ حازب الأمر : شديده
٣ ــ بدر : أكبر وقعة أنتصر فيها الاسلام على أعــدائه ــ ٤ ــ الليث : الأسد البريطانى وهنا يبدأ الشاعر فى سرد نقط المشروع الهامة
٥ ــ الخلب (بالكسر) : الظفر ــ ٦ ــ الشرب (بالكسر) : النصيب من الماء ــ ٧ ــ الغب : العاقبة ــ ٨ ــ حاتم طى ، وكعب بن مامة : من أجــواد العرب .

نسمعُ بالحقِّ ، ولم نطَّلعْ ... على قَنا الحقِّ ، ولا قُضْبِه(١)
ينال باللين الفتى بعضَ ما ... يعجز بالشدّة عن غصْبه
فإن أنستم فليكن أنسُكم ... فى الصبر للدهر ، وفى عَتبه
رنى احتشام الأُسْدِ دون القَذٰى ... إذا هى اضطُرّت إلى شُربِه(٢)
قد أسقط الطُّفرَةَ فى ملكه ... من ليس بالعاجز عن قلبه(٣)
يارُبَّ قيدٍ لا تُحِبّونه ... زمانُكم لم يتقيَّدْ به
ومطلبٍ فى الظنِّ مستبعدٍ ... كالصبح للناظرِ فى قربه
واليأْسُ لا يجمُلُ من مؤمن ... ما دام هذا الغيبُ فى حُجْبه

مشروع ٢٨ فبراير

أُعِدَّت الراحةُ الكبرى لمن تعبا ... وفاز بالحقِّ من لم يأْلُهُ طلبا(٤)
وما قضت مصرُ من كلِّ لُبانتَها ... حتى تجرَّ ذيولَ الغبطةِ القُشُبا(٥)
فى الأمرِ ما فيه من جِدٍّ ، فلا تقفوا ... من واقع جزعاً ، أو طائر طَرَبا(٦)
لا تُثْبِتُ العينُ شيئًا ، أو تُحقِّقه ... إذا تحيَّرَ فيها الدمعُ واضطربا(٧)

---

١ ـ القنا : الرماح . والقضب : السيوف ـ ٢ ـ احتشام : احجام
٣ ـ الطفرة : الوثبة فى ارتفاع . واسقط الطفرة : تركها . وقلب الملك : تبديله وتغيير نظامه ـ ٤ ـ لم يأل : لم يقصر . قال تعالى (لا يألونكم خبالا) وهذا البيت من الحكم الغالية التى لا تتاح لغير امير الشعراء ، فكم وراء جهاد الحياة من راحة وكم وراء الضعف من قوة ـ ٥ ـ اللبانة : الحاجة . والقشب جمع قشيب : الجديد . وفى هذا البيت استفزاز للهمم وبيان لان سبيل المجد طويل وميدانه متسع ـ ٦ ـ الجد : الاجتهاد فى الامر . وفى هذا البيت نوع من البيان المربى للامم فى نهوضها ، فكثيرا ما يستفز الطرب اناسا فيطير بهم ، او يستحكم اليأس منهم فيرديهم .
٧ ـ تثبت العين : تصحح،وفى هذا البيت تصوير للتردد والذعر والهلع والشك الذى يصيب الانسان من اموره فلا يستطيع الاهتداء ، ولا يستبين طريق الصواب .

والصبحُ يُظْلِم فى عينيك ناصعُهُ ... إذا سدلتَ عليكَ الشكَّ والريبا(١)
إذا طلبتَ عظيما فاصبرنَّ له ... أو فاحشدنَّ رماح الخطِّ والقُضُبا(٢)
ولا تعِدَّ صغيراتِ الأُمورِ له ... إن الصغائرَ ليست للعلا أهُبا(٣)
ولن ترى صحبةً تُرضى عواقبُها ... كالحقِّ والصبرِ فى أمرٍ إذا اصطحبا(٤)
إن الرجالَ إذا ما أُلجِئوا لَجَئُوا ... إلى التعاون فيما جَلَّ أو حَزَبا(٥)

* * *

لا ريبَ أن خُطا الآمالِ واسعةٌ ... وأن ليلَ سُراها صُبْحُهُ اقتربا(٦)

١ـ الريب : جمع ريبة ، مثل سدرة وسدر : الظن . وكم من رجل تسد امامه كوى الحياة وتضيق عليه الارض بما رحبت ولا سبب لهذا الا الشكوك والأوهام ـ ٢ ـ الخط موضع باليمامة ينسب اليه على لفظه ، فيقال : رماح خطية والرماح لا تنبت به ولكنه ســاحل للسفن التى تحمل القنا اليه وتعمل به. وقال الخليل : اذا جعلت النسبة اسما لازماقلت : خطية،بكسر الخاء . ولم تذكر الرماح وهذا كما قالوا : ثياب قبطية (بالكسر) فاذا جعلوه اسما حذفوا الثياب وقالوا قبطيا (بالضم) ، فرقا بين الاسم والنسبة ، وما احسن أن تنتشر هذه الحكم بين افراد أمتنا الناهضة حتى تعرف حقوقها وواجباتها ـ ٣ ـ اهب : جمع اهاب ككتاب وكتب ، والاهاب : الجـــلد ٤ ـ بين فى هذا البيت شاعرنا نوعا من انواع الصحبة هو خيرها وهو وحده المحمود عواقبه . وذلك النوع هو أن يصحب الحق ـ وهو السمح الكريم ـ صبر جميل على وثبات الباطل حتى يدمغه فاذا هو زاهق،والصبر من خير الفضائل التى هى جماع كل خير ، ولهذا ذكر فى مواطن كثيرة من القــرآن الكريم ، وروى انه كان الرجلان من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا التقيا لم يفترقا حتى يوصى كل منهما اخاه بالصبر والحق ـ ٥ ـ الجئوا : اضطروا واكرهوا . ولجئوا : اعتصموا . وجل الشىء يجل (بالكسر) عظم ، فهو جليل . وحزبهم الأمريحزبهم من باب قتل اصابهم . ولعمرى ان المفزع الوحيد عند وثبات الاحداث انما هو فى الاعتصام بالتعاون والقضـــاء على التحزب ـ ٦ ـ السرى : جمع سرية بضم السين وفتحها . يقال : سرينــا سرية من الليل ، وسرية . قال أبو زيد : ويكون السرى أول الليل واوسطه وآخره ، وقد استعملت العرب سرى فى المعانى تشبيها لها بالأجسام مجازا واتساعا ، قال الله تعالى (والليل اذا يسر) . وكان الشاعر اراد حفز الهمم وشحذ العزائم لاجتلاء صبح الآمال .

وأن فى راحتىْ مصرٍ وصاحبها ... عهدًا وعقدًا بحقٍّ كان مغتصبا(١)
قد فتّحَ الله أبواباً ، لعل لنا ... وراءها فُسَحَ الآمالِ والرحبا(٢)
لولا يدُ الله لم ندفع مناكبَها ... ولم نعالج على مصراعِها الأربا(٣)
لا تعدمُ الهمةُ الكبرى جوائزَها ... سِيَّانِ من غَلَبَ الأيام أو غلبا(٤)
وكلُّ سَعْىٍ سيجزى اللهُ ساعيَهُ ... هَيهاتَ يذهبُ سعْى المحسنين هَبا(٥)
لم يُبرمِ الأمرَ حتى يستبينَ لكم ... أساءَ عاقبةً ، أمْ سَرَّ مُنقلبًا ؟(٦)
نلتم جليلاً ، ولا تُعطونَ خردلةً ... إلا الذى دفع الدستورُ أو جَلبا(٧)
تمهدتْ عقباتٌ غيرُ هينةٍ ... تلقى ركابُ السُّرى من مثلهانصبًا(٨)

---

١ — الراحة بطن الكف والجمع راحات وراح . قصد الشاعر فى هـــذا البيت ان مصر اصبح بين يديها عهد جديد ، وأن فى يد مليكها عقدا وثيقا ، ومظهر ذلك كله استقلال البلاد الذى اعلنه جلالة الملك بعد ان عدا العادى زمنا طويلا عليه — ٢ — فسح : جمع فسحة ، مثل غرفة وغرف،والرحب : جمع رحبة — مثل قصبة وقصب — وهى الساحة المنبسطة — ٣ — يد الله قدرة الله . والمناكب : جمـــع منكب كمجلس ، وهو مجتمع راس العضــد والكتف . وعالج الأمر : باشره بمشقة . والمصراع من الباب : الشــــطر . والأرب : الحاجة . ولقد شاء الشاعر أن يصور جهاد الامة وقد دجا ليـــل الحوادث، واستأسد العادى ، والامة تصابره ، وتدافع الخطوب ، وتلقى منها نيرها ، وتريد الأفلات من عنتها الى حيث أبواب النصر — ٤ — مـــا احسن أن يودع الشاعر فى ثنايا هذا البيت الامل الواسع يدركه ذو الهمة الكبيرة ولو بعد حين — ٥ — فى هذا البيت شفاء لما يصيب النفوس من الم الاخفاق وصدمات الايام ، فلئن اعيا الانسان شأن تلك الحياة فلن يعدل الخير العميم فى دار النعيم،وبذلك يعد المرء باحدى الحسنيين،ولن يذهب العرف بين الله والناس — ٦ — لقد شاء ان تقيس الامة امـــــرها بمقيـــاس صحيح حتى تتجاوز الخطل — ٧ — وفى هذا البيت اراد ان يضع بين يدي الأمة كل دقيق وجليل من امرها ، حتى تستبين حقيقة امرها ، فقال : ان ماجد ، وان كان جليلا ، الا انه قليل اذا قيس بحقوق الامة الكاملة ، ثم شاء ان يضع على عواتق رجال الامة الأمور الخطيرة فى حاضرها ومستقبلها فقال : ان الامر للدستور يرفع ما شاء ويجلب ما نفع —٨— الركاب(بالكسر) المطى ، الواحدة : راحلة ، من غير لفظها . والسرى : السير ليلا ، جمع سرية مثل مدية ومدى . ونصبا : تعبا ، وقد صور شاعرنا فى هذا البيت ما قطعته الامة من مراحل جهادها فى سبيل حريتها .

وأقبلتْ عقباتٌ لا يذللها ... في موقف الفصل إلا الشَّعبُ مُنتخَبا
له غدًا رأيُه فيها وحِكمتُه ... إذا تمهّل فوق الشوكِ أو وثبا(١)
كم صعّب اليومُ من سهلٍ هممتَ به ... وسهل الغدُ في الأشياء ماصعُبا(٢)
ضمُّوا الجهودَ ، وخلوها منكرَّةً ... لا تملئوا الشَّدْق من تعريفها عجبا
أفي الوغى ورحَى الهيجاء دائرةٌ ... تُحصون من ماتَ أو تُحصون ماسُلِبا؟(٣)
خلُّوا الأكاليل للتاريخ ، إن له ... يدًا تؤلِّفها دُرًّا ومخشَلَبا(٤)
أمرُ الرجال إليه ، لا إلى نفرٍ ... من بينكم سَبق الأنباء والكتبا
أملى عليه الهوى والحقدُ ، فاندفعت ... يداه ترتجلانِ الماءَ واللهَبا(٥)
إذا رأيتَ الهوى في أمّةٍ حكمًا ... فاحكمْ هنالك أن العقلَ قد ذهبا
قالوا : الحمايةُ زالت ، قلتُ : لاعجبٌ ... بل كان باطلُها فيكم هو العجبا

---

١ — في هذين البيتين يبين الشاعر ما للآراء المجتمعة من تصريف الامور وقيادة الامم وتهوين الصعاب. وسبيل ذلك اصطفاء نخبة رجالها اذا جد الجد وحزب الأمر ، فان شاءوا بحكمتهم جاوزوا الصعاب وتخطوا شوك القتاد ، وان قعدت بهم هممهم واعوزتهم حكمتهم، ذاقوا واذاقوا الأمة عذاب الهون ، وقلبوها على جمر الغضا — ٢ — قصد الشاعر الى ان يعيد النظر يرى الدهر قلبا، والأحداث لاتبقى سرمدا، فلا يؤيسه الخطب الداهم، ويرجو فى الغد ما اعجزه اليوم —٣— يريد الشاعر أن يبين مايعتور الامم فى نهوضها فيثنيها عن غايتها ، ويعوق وثوبها ، ثم هو بعد يأمر امته بان تحاذر الوقوع فى هذا الشر، وراس تلك الآثام الاعتداد بالنفس ، والاعجاب بالعمل، وانتفاخ الأوداج صلفا وكبرياء ، ثم شاء أن يضرب مثلا بالجيش المقاتل ، ينسى ما هو فيه من جلائل الأخطار ، ويعمد الى حطام فان يحصيه ويجمعه . فلا جرم أن نصيب هذا الجيش الفشل اللازم ، ولقد أدب الله المؤمنين أدبا عاليا حينما خالفوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولاح لهم النصر، فأخذوا يجمعون الغنائم ويحصون الأسلاب ، ففشلوا وندموا ، وذلك مفصل فى سورة آل عمران — ٤ — الاكاليل : جمع اكليل شبه عصابة تزين بالجوهر ، ويسمى التاج اكليلا والمخشلب الزجاج — ٥ — ترتجلان : تبتدئان من غير تهيئة. وقد شاء الشاعر أن ينحى على أولئك الذين يضعون أنفسهم موضع التاريخ ، فيكيلون الثناء ، ويفحشون فى الالقاب، ويخلطون بين المتناقضين .

رأسُ الحمايةِ مقطوعٌ ، فلا عَدِمَتْ	كنانةُ الله حزْماً يقطع الذنَبا
لو تسألون (ألِنْبي) يوم جَنْدَلَها :	بـأىِّ سيفٍ على يافوخِها ضربا؟(١)
أبا الذى جرَّ يومَ السّلمِ مُتّشِحًا	أم بالذى هزَّ يومَ الحربِ مُختضِبا؟
أم بالتكاتُفِ حول الحق فى بلد	من أربعين ينادِى الويلَ والحربا؟(٢)
يافاتحَ القدس ، خَلِّ السيفَ ناحيةً	ليس الصليبُ حديدًا كان ، بل خشبا
إذا نظرتَ إلى أين انتهت يدُهُ	وكيف جاوز فى سلطانه القُطُبا
علمت أن وراء الضعف مقدرةً	وأنّ للحق – لا للقوةِ – الغلبا

الله والعلم*

لمن ذلك الملكُ الذى عزَّ جانبُه ؟	لقد وعظ الأملاك والناسَ صاحبُه(٣)
أمُلْكُكَ يا (داودُ) ، والملكُ الذى	يَغَار عليه ، والذى هو واهبه ؟(٤)
أراد به أمرًا ، فجلّتْ صُدورُه	فأتْبعه لُطفًا ، فجلّت عواقبه(٥)

---

١ – جندلها : ارداها ، واليافوخ : مقدم الراس – ٢ – حرب ، كفرح : كلب واشتد غضبه ، فهو حرب

* نظمت هذه القصيدة بمناسبة حفلة تتويج الملك ادوارد السابع وتأجيل اقامة الحفلة لاصابة جلالته بدمل وذلك فى سنة ١٩٠٢

٣ – عز جانبه : قوى . وعظ الأملاك والناس : نصحهم وذكرهم بالعواقب
٤ – الملك الذى يغار عليه والذى هو واهبه : هو الله تعالى – ٥ – جلت صدوره : عظمت . وصدور الأمر : جمع صدر ، وصدر كل شىء : أوله . وعواقبه : جمع عاقبة ، وهى آخر كل شىء ايضا . واتبعه لطفا : الحقه . والمعنى أن الله الذى وهب هذا الملك قضى فيه بأمر عظيم ، هو موت الملكة فيكتوريا ولكنه لطف فى هذا القضاء بتتويج ادوارد ، فكانت عواقب اللطف عظيمة ، كما كانت أوائل الخطب عظيمة .

رمى ، واستردَّ السهمَ ، والخلقُ غافلُ — فهل يتّقيه خلقُه أو يُراقبه ؟(١)
أيبطُل عيدُ الدهرِ من أجل دُمَّل — وتخبو مجاليه ، وتُطوَى مواكبه ؟(٢)
ويرجع بالقلب الكسيرِ وفودُه — وفيهم مصابيحُ الورى وكواكبه ؟
وتسمو يد الدهر ارتجالاً ببأسها — إلى طُنُبِ الأقواسِ ، والنصرُ ضاربه ؟(٣)
ويستغفر الشعبُ الفخورُ لربِّه — ويجمع من ذيل المخيلةِ ساحبه ؟(٤)
ويُحجبُ ربُّ العيد ساعة عيدِه — وتنقص من أطرافهن مآربه ؟ (٥)
ألا هكذا الدنيا ، وذلك ودُّها — فهلّا تأنَّى فى الأمانىِّ خاطبه ؟(٦)
أعدَّ لها إدوردُ أعيادَ تاجِه — وما فى حساب الله ما هو حاسبه
مشَتْ فى الثرى أنباؤها ، فتساءلت — مشارقُه عن أمرها ، ومغاربه(٧)
وكاثر فى البرِّ الحصى مَن يَجوبُه — وكاثر مَوْجَ البحر فى البحر راكبه(٨)

---

١ استرد السهم : رده وأرجعه اليه ، والالف والسين زائدتان . والغفلة : غيبة الشيء عن بال الانسان وعدم تذكره له ، وقد غفل فهو غافل ٢ — يبطل عيد الدهر : يتعطل . تخبو : تطفأ ، ومجاليه : مواضعه ، من جلا الأمر : وضح وانكشف . والمواكب : جمع موكب وهو القوم الراكبون للزينة ٣ — تسمو : تعلوا وارتجل الأمر : ابتدأه من غير تهيئة قبل . والبأس : الشدة . والطنب : حبل الخباء — ٤ — المخيلة : الكبر — ٥ — يحجب : يمنع عن الناس . والمآرب : جمع مأربة ، وهى الحاجة — ٦— الود — مفتوح الواو ومضمومها ومكسورها : هو المودة . تأنى فى الأمر : ترفق وتنظر . والأمانى : جمع امنية : ما يتمناه المرء . الخاطب : الداعى الى نفسه . من قولهم خطب المرأة دعا أهلها الى تزويجها منه . والمراد ان من يطلب لنفسه مودة الدنيا ينبغى له ان يترفق فى ذلك . فضمير خاطبه ، يرجع الى «الود» ٧ — الثرى : التراب والمراد الارض . الأنباء : الاخبار ، والضمير للأعياد . مشارقه ومغاربه ، اى مشارق الارض ومغاربها . وامرها ، اى الأعياد ايضا ، بمعنى أن انباء تلك الأعيـاد ذاعت فى أقطار الارض فتساءلت عنها مشارقها ومغاربها — ٨ — كاثره : غالبه بالكثرة . والبر : ضد البحر . والحصى : جمع الحصاة . وجاب البلاد يجوبها قطعها . لكثرة المقبلين على تلك الأعياد صار من يجوبون منهم الأرض من الكثرة بحيث يغلبون الحصى اذا كاثروه ، وكذلك راكبو البحر المقبلون عليها يغلبون موجه بالمكاثرة .

إلى موكب لم تُخرج الأرضُ مثلَه ... ولن يتهادى فوقها ما يقاربه(١)
إذا سار فيه سارت الناسُ خلفه ... وشدَّت مغاويرَ الملوك ركائبُه(٢)
تحيطُ به كالنّمل فى البرّ خيلُه ... وتملأُ آفاقَ البحار مراكبه
نظامُ المجالى والمواكبِ حلَّهُ ... زمانٌ وشيكٌ ريبُه ونوائبه(٣)
فبينا سبيلُ القومِ أمنٌ إلى المنى ... إذا هو خوفٌ فى الظنون مذاهبه(٤)
إذا جاءت الأعياد فى كل مسمعٍ ... تجوبُ الثرى شرقاً وغرباً جوائبه(٥)
رجاءٌ فلم يلبث ، فَخَوْفٌ فلم يدم ... سل الدهرَ : أىُّ الحادثين عجائبه ؟(٦)
فياليت شعرى : أين كانت جنودُه ؟ ... وكيف تراخت فى الفداء قواضبه ؟(٧)
ورُدَّت على أعقابهن سفينُه ... وما ردَّها فى البحر يوماً مُحارِبه ؟(٨)
وكيف أفاتته الحوادث طِلْبَةً ... وما عوَّدته أن تفوت رغائبه ؟(٩)

---

١ — يتهادى : يمشي مشيا غير قوى متمايلا . وما يقاربه : اى ما يدانيه
٢ — شد الشيء : أوثقه ، ومنه شد الرحال ، والمغاوير : جمع مغوار ، وهو الكثير الهجوم على العدو لشجاعته . الركائب : جمع ركوبة ، وهى كل ما ركب — ٣ — نظام الشيء : ملاكه وطريقته التى عليها يستقيم ، وهو أيضا الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ . والمجالى : جمع مجلى . وشيك : قريب . والريب هنا : ما يكره من الحوادث . والنوائب : جمع نائبة ، وهى مايصيب الانسان من مكروه — ٤ — بينا : — كبينما — ظرف زمان للمفاجأة ، وقيل هما للابتداء ، وعلى كل حال تقع بعدهما جملة اسمية أو فعلية ، ويحتاجان الى جواب يتم به المعنى . والسبيل : الطريق . وأمن : مأمونة . والظنون جمع ظن ، وهو غير اليقين . والمذاهب : الطرق والمسالك : جمع مذهب
٥ — المسمع : الأذن . وجاب الارض يجوبها : قطعها ، ومنه الجواب
٦ — الرجاء : الأمل . ولم يلبث : لم يمكث — ٧ — شعرى : علمى ، من شعر بالشيء شعرا اذا فطن اليه وعلمه ، ويا ليت شعرى : اى ليتنى علمت . وتراخت : ابطأت وقواضبه : سيوفه القواطع — ٨ — ردت : أرجعت . والأعقاب : جمع عقب ، وهو مؤخر القدم ، يقال : رجع على عقبه ، ورجعوا على اعقابهم : اى على الطريق الذى كانوا يضعون فيه أقدامهم . والسفين : جمع سفينة . — ٩ — افاتته طلبته : أذهبتها عنه والطلبة : الشيء المطلوب ، وسكون اللام لضرورة الشعر . والرغائب : جمع رغبة ، وهى الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير ايضا .

لكَ الملكُ يامن خَصَّ بالعزِّ ذاتَه　　ومَنْ فوقَ آراب الملوكِ مآربه(١)
فلا عرشَ إلا أنتَ وارثُ عِزِّهِ　　ولا تاجَ إلا أنت بالحق كاسبه(٢)
وآمنتُ بالعلمِ الذى أنت نورُه　　ومنك آياديه ، ومنكَ مناقبه(٣)
تُؤامنُ مِن خَوفٍ به كلّ غالبٍ　　على أمره فى الأرض ، والدّاءُ غالبه(٤)
سلوا صاحبَ المُلكين : هل مَلكَ القُوى　　وأسدُ الشرى تعنو له وتحاربه ؟(٥)
وهل رفع الداءَ العُضالَ وزيرُه ؟　　وهل حجب البابَ الممنَّعَ حاجبه ؟(٦)
وهل قدّمت إلا دعاةً شعوبُه　　وساعفَ إلّا بالصلاة أقاربه ؟(٧)
هنالك كان العلمُ يُبلِي بلاءَه　　وكان سلاح النفس تغنى تجاربه(٨)

* * *

كريمُ الظُّبا ، لا يقرب الشرَّ حَدُّه　　وفى غيره شرُّ الورى ومَعاطبه(٩)
إذا مرَّ نحوَ المرءِ كان حياتَه　　كأصبَع عيسى نحو مَيْت يخاطبه
وأيسرُ من جُرح الصدودِ فعالُه　　وأسهل من سيفِ اللّحاظ مَضاربه(١٠)

---

١ — خصه بالشيء : جعله له دون سواه . والاراب : جمع ارب ، وهو الحاجة — ٢ — العرش : سرير الملك . والتاج : صله للعجم ، يقال : توج اذا لبس التاج ، كما تقول العرب : عمم ، اذا لبس العمامة ، استعمل على وجه العموم ، وكاسبه : نائله ورابحه —٣— اياديه : جمع يد ، وهى هنا النعمة . ومناقبه : جمع منقبة ، وهى الفعل الطيب — ٤ — تؤامن : اى تعطى الأمان . وكل غالب على أمره : أى لايعجزه شيء —٥— القوى : جمع قوة : ضد الضعف . وتعنو : تخضع وتذل — ٦ — الداء العضال : الشديد الذى يعيى الأطباء . والباب الممنع : الذى لا يرام — ٧ — ساعف : ساعد ٨ — يبلى بلاءه : يجتهد اجتهاده . والتجارب : جمع تجربة ، من جربت الشيء ، اذا اختبرته مرة بعد أخرى — ٩ — كريم الظبا : من اضافة الصفة للموصوف : أى الظبا الكريمة ، والظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان او نحو ذلك ، والمراد السيف او نحوه ليستقيم المعنى فيكون مجازا من اطلاق اسم الجزء على الكل . والمعاطب : المهالك ، جمع معطب .
١٠ — الصدود : الاعراض . وفعاله : جمع فعل . واللحاظ : جمع لحظ ومضاربه ، جمع مضرب .

عجيبٌ! يُرجَّى بمِشرطاً ، أو يهابه — مَن الغربُ راجيه ، مَن الشرقُ هائبه ؟(١)
فلو تُفتدى بالبيضِ والسُّمرِ فِدْيَةٌ — لألْقَتْ قَناها فى البلاد كتائبه(٢)
ولو أن فوق العلم تاجاً لتوّجوا — طبيباً له بالأمس كان يصاحبه(٣)
فآمنتُ بالله الذى عزَّ شأنُه — وآمنتُ بالعلم الذى عزَّ طالبه(٤)

ذكرى كانارفون

فى الموت ما أعيا وفى أسبابه — كل امرئٍ رهنٌ بطَىِّ كتابِه(٥)
أَسَدٌ لَعَمْرُكَ ، من يموتُ بُظُفره — عند اللقاء ، كمن يموت بنابه(٦)
إن نام عنك ، فكلُّ طبٌ نافعٌ — أو لم ينمْ ، فالطبُّ من أذنابه
داءُ النفوس ، وكلُّ داءٍ قبلَه — هَمٌّ نَسِينَ مَجيئَه بذَهابه(٧)
النفسُ حربُ الموتِ ، إلا أنها — أتتِ الحياةَ وشُغلَها من بابه(٨)

١ — عجيب : صفة موصوف مقدر ، اى أمر عجيب . ويرجى : اى يرجو والمشرط : المبضع الذى يفتح بـه الطبيب الجراحات . ويهابه : يخافه . « ومن » فى : « من الغرب راجيه .. الخ » فاعل « يرجى ». يقول انه لأمر عجيب أن هذا الملك الذى يرجوه الغرب ويخافه الشرق ، يتعلق رجاؤه أو خوفه بمشرط الطبيب الذى يفتح له دمله — ٢ — تفتدى : تستنقذ بالفدية : والبيض والسمر : السيوف والرماح . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الجيش مجتمعة .

٣ — توجوه : البسوه التاج — ٤ — عز شانه : قوى ، وطالب العلم : محصله — ٥ — ما اعيا : اى ما اتعب واعجز عن ادراك حقيقته . ورهن بطى كتابه : اى باق فى الحياة كبقاء الرهن حتى ينتهى أجله — ٦ — لعمرك : يقول النحاة : انه قسم ، اللام فيه لتوكيد الابتداء . وهو مبتدأ خبره محذوف ، اى لعمرك قسمى ، أو ما أقسم به — ٧— الداء : العلة والمرض . ونسين : اى النفوس — ٨ — حرب الموت : اى حرب للموت والمراد انها تكرهه وتدافعه اتت : جاءت ، الضمير فى « شغلها » للحياة ، والضمير فى « بابه » للموت.

تسَع الحياةَ على طويل بلائها ... وتضيقُ عنه على قصير عذابه(١)

هو منزلُ الساری ، وراحةُ رائح ... كثرَ النهار عليه فی إنعابِه(٢)

وشفاءُ هذی الروحِ من آلامها ... ودواءُ هذا الجسم من أوْصابه(٣)

من سرَّه ألَّا يموتَ ؛ فبالعلا ... خَلُدَ الرجالُ ، وبالفعالِ النابِه(٤)

ما مات من حاز الثرى آثارَه ... واستولت الدنيا على آدابه(٥)

قل للمُدِلِّ بمالِه وبجاهه ... وبما يُجِلُّ الناسُ من أنسابه(٦)

هذا الأديمُ يَصدُّ عن حُضَّارِه ... وينامُ مِلْءَ الجفن عن غُيَّابه(٧)

إلَّا فتًى يمشى عليه مُجدِّدا ... ديباجَتَيْهِ ، مُعَمِّرًا بخرابه(٨)

صادت بقارعةِ الصعيدِ بَعوضةٌ ... فی الجوِّ صائدَ بازِه وعُقابه(٩)

وأصاب خُرطومُ الذبابة صفحةً ... خُلِقتْ لسيف الهندِ أو لذُبابِه(١٠)

---

١ — بلاء الحياة : ما فيها من الم وهم . أى ان النفس تسع الحياة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهى ، وتضيق عن الموت وتأباه وهو ليس فيه الا شىء من الألم قصير — ٢ — هو : أى الموت . والسارى : الذى يقطع الليل سيرا . الرائح : الذاهب . والعاب : مصدر اتعب — ٣ — وشفاء هذه الروح ، الى آخرالبيت : متصل بالبيت الذى قبله . والأوصاب : الأوجاع ، جمع وصب — ٤ — العلا : اما الرفعة والشرف ، واما جمع عليا : وهى المنزلة الرفيعة . الفعال النابه : الفعل الشريف المذكور — ٥ — حاز الشىء ضمه اليه . والثرى : التراب الندى . والاثار : جمع اثر ، وهو ما بقى من الشىء. واستولت على آدابه : غلبت عليها وتمكنت منها : والآداب : جمع أدب ، وهو كل ما يتحلى به الانسان من فضيلة — ٦ — المدل بماله . الخ ، الذى يتيه به على أقرانه . والجاه : القدر والمنزلة . ويجل : يعظم . ٧ — الأديم : الجلد المدبوغ ، وقد يطلق على وجه الارض ، وهو المراد هنا . يصد عن حضاره : يعرض عنهم . والحضار : جمع حاضر . وجفن العين : غطاؤها من أعلاها وأسفلها ، والمراد العين نفسها . والغياب : جمع غائب ٨ — الديباجتان : الخدان ، أى الا فتى يمشى على وجه الارض يجدد خديه والمراد ما يكون له كالخدين لوجه الانسان — ٩ — القارعة : الشديدة من شدائد الدهر . والصعيد : بلاد مصر العليا . والباز والعقاب : من جوارح الطير . يقول : ان تلك البعوضة صادت فى الجو من كان يصيد بزاته وعقبانه ١٠ — الخرطوم : الأنف والمراد بالذبابة : تلك البعوضة نفسها . وصفحة كل شىء : جانبه . وذباب السيف : طرفه الذى يضرب به .

طارت بخافية القضاء، ورَأْرَأت بكريمتيْه، ولامست بلُعابه(١)
لاتَسمعنّ لعُصبةِ الأَرواحِ ما قالوا بباطل علمهم وكِذابه(٢)
الروحُ للرحمٰنِ جل جلَالُه هى من ضنائن علمه وغيابه(٣)
غُلِبوا على أعصابهم، فتوهَّموا أوهامَ مغلوبٍ على أعصابه

* * *

ما آبَ جَبّارُ القُرونِ، وإنّما يومُ الحساب يكون يومَ إيابه(٤)
فذروه فى بلد العجائب مُغْمَداً لا تشهَروه كأْمس فوق رقابه(٥)
المستبدُّ يطاقُ فى ناووسه لا تحت تاجيه وفوق وِثابه(٦)
والفردُ يؤمَن شرُّه فى قبره كالسيفِ نام الشرُّ خلفَ قِرابه(٧)
هل كان (توتَنْخُ) تقمَّصُ روحُهُ قُمُصَ البعوض ومُسْتَخَسَّ إهابه؟(٨)
أوكان يَجزيكَ الردى عن صُحبةٍ وهو القديم وفاؤه لصحابه؟(٩)

---

١ ـ الخافية : واحدة الخوافى . وهى ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح ، والقضاء هنا : معناه الصنع والتقدير . والمراد به قضاء الله . ويقال : رارا بعينيه ، اذا حدد النظر ، او اذا أدارهما . والكريمتان : العينان واللعاب : مايسيل من الفم . والضمير فى « طارت » يرجع الى « الذبابة »
٢ ـ العصبة من الرجال : ما بين العشرة الى الاربعين ، والمراد هنا الجماعة بغير عدد . والكذاب : الكذب ـ ٣ ـ ضنائن علمه : اى خصائص علمه مما اختص به نفسه فلا يعلم به سواه . وغيابه : اما جمع غيب ، وهو ما غاب عنك من الأمر ، واما مصدر غاب يغيب ، وهو كالغيب فى معناه .
٤ ـ آب : رجع . جبار القرون : يريد توت عنخ آمون يوم الحساب : اليوم الاخر ـ ٥ ـ ذروه : اتركوه . بلد العجائب : الأقصر ، لما فيها من عجائب الاثار . مغمدا : اى باقيا فى قبره كما يبقى السيف فى غمده . لا تشهروه ، من شهر السيف اذا سله : يعنى لا تخرجوه محمولا على الرقاب كما كان يحمل على الرقاب التى يملكها وهو حى ـ ٦ ـ المستبد : من استبد بالشىء اذا انفرد به . يطاق : من اطاق الشىء ، اذا قدر عليه . والناووس : هو مقبرة النصارى خاصة ، وقد يستعمل لتابوت الميت . الوثاب : السرير الذى لا يبرح الملك عليه ـ ٧ ـ قراب السيف ، قيل : هو غمده ، وقيل : هو وعاء يوضع فيه السيف بغمده ، وقيل غير ذلك ـ ٨ ـ تقمص روحه قمص البعوض : اى لبسها . والقمص : جمع قميص . المستخس : الخسيس ، الاهاب : الجلد الذى لم يدبغ ـ ٩ ـ يجزيك : يقضيه لك ويثيبك عليه . الردى ، الهلاك . الوفاء : ضد الغدر . الصحاب جمع صاحب .

تالله لو أهدى لك الهرمَيْنِ من ... ذهب ؛ لكان أقلَّ ما تُجْزَى به
أنت البشير به ، وقَيِّمُ قصره ... ومُقدَّم النبلاء من حُجَّابه(١)
أَعْلَمْتَ أقوامَ الزمانِ مكانَه ... وحَشَدْتَهم فى ساحِهِ ورحابه(٢)
لولا بَنانُك فى طلاسِم تُربه ... ما زاد فى شرف على أترابه(٣)

* * *

أَخنَى الحِمامُ على ابن هِمَّةٍ نفسهِ ... فى المجد ، والبانى على أحسابه(٤)
الجانب الصخرَ العتيدَ بحاجرٍ ... دبَّ الزمانُ وشبَّ فى أسرابه(٥)
لو زايلَ الموتى مَحاجرَهم به ... وتلفَّتوا ؛ لتحيَّروا كضِبابه(٦)
لم يَأْلُهُ صبرًا ، ولم يَنِ هِمَّةً ... حتى انثنى بكنوزِه ورِغابه(٧)
أفضى إلى خَتْمِ الزمان ففضَّه ... وحبا إلى التاريخ فى محرابه(٨)
وطوى القرونَ القَهْقَرى ، حتى أتى ... فرعونَ بين طعامه وشرابه(٩)

---

١ — البشير : المبشر بالخير ، قيم القصر : سائس أمره . النبلاء . جمع نبيل ، وهو ال[illegible]ى النجيب : الحجاب جمع حاجب — ٢ — اقوام : جمع قوم حشدتهم : جمعتهم . الساح : جمع ساحة ، وهى الموضع المتسع أمام الدار ونحوها . الرحاب . جمع رحبة وهى الساحة — ٣ — البنان : أطراف الاصابع ؛ مفردها : بنانة . الترب : التراب . أترابه : لداته ، جمع ترب ، وهم من ولدوا معه — ٤ — اخنى عليه : اهلكه . الحمام : الموت . الاحساب : جمع حسب ، وهو ما للرجل من مفاخر الآباء ، او هو دين الرجل أو ماله

٥ — العتيد : الحاضر المهيأ . دب يقال : دب الصبى اذا مشى . شب : ادرك شبيبته ، الأسراب : جمع سرب . وهو البيت تحت الارض — ٦ — زايل : فارق . والموتى : جمع ميت . محاجرهم : النواحى التى اتخذت لهم من الارض ، او هى القبور فى الارض المتحجرة . الضباب : جمع ضب

٧ — لم ياله صبرا : اى لم يقصر فى حمله على الصبر . ولم ين همة : لم تضعف همته ، من ونى فى الامر ؛ اذا ضعف عنه ، انثنى : رجع . الكنوز : جمع كنز . الرغاب : جمع رغيبة ، وهى هنا الشىء المرغوب فيه ، وتكون ايضا بمعنى العطاء الكثير — ٨ — أفضى الى ختم الزمان : وصل اليه . فضه : كسر ، حبا الى التاريخ : دنا منه . المحراب : صدر المجلس ، وقيل : هو اشرف المجالس ؛ ومنه محراب الصلاة — ٩ — طوى القرون : قطعها . والقرون ، جمع قرن ، وهو الجيل من الناس ، مدته ثمانون سنة ، وقيل اكثر ، وقيل أقل . القهقرى ، الرجوع ، اى طوى القرون حتى رجع بها القهقرى .

المَنْدَلُ الفيّاحُ عودُ سريره   واللؤلؤ اللمّاحُ وشْيُ ثيابه(١)
وكأن راحَ القاطفين فَرَغن من   أثماره صُبحًا ومن أرطابه(٢)
جدثٌ حوى ماضاق (غُمدانٌ) به   من هالة المُلكِ الجسيمِ وغابه(٣)
بنيانُ عُمرانٍ، وصَرْحُ حضارةٍ   فى القبر يلتقيان فى أطنابه(٤)
فترى الزمانَ هناك قبلَ مَشيبه   مثلَ الزمانِ اليومَ بعد شبابه
وتحسُّ ثَمَّ العلمَ عند عُبابه   تحت الثرى والفنَّ عند عجابه(٥)

* * *

ياصاحبَ الأُخرى، بلغتَ مَحلّةً   هى من أخى الدنيا مُناخُ ركابه(٦)
نُزُلٌ أفاق بجانبيه من الهوى   من لا يُفيقُ، وجدّ من تَلعابه(٧)

---

١ ـ المندل : العود المعروف بطيب رائحته . الفياح : الفياض بنشره وطيبه اللماح : الشديد اللمعان ، وشى الثوب : نقشه وتحسينه . والضمير فى « سريره » و « ثيابه » لفرعون ـ ٢ ـ الراح : جمع راحة ، وهى الكف . القاطفين . جمع قاطف وهو من يجتنى الثمر . أثمار : جمع ثمر . ارطاب : جمع رطب ، وهو ما نضج من البلح ، والمراد بالأثمار والأرطاب : التحف والآثار الغالية التى وجدت فى قبر فرعون وهى لم تزل على جدتها كأنها مصنوعة الان ـ ٣ ـ الجدث : القبر . حوى الشىء : أحرزه . غمدان : قصر كان مشهورا . يرجحون أن يشرح بن الحارث بن صيفى بن سبأ جد بلقيس ملكة اليمن ، هو الذى بناه وجعل له اربعة وجوه : احمر ، وابيض ، واصفر واخضر ، وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعا وقيل : كان ارتفاع السقف مائتى ذراع . الهالة : دارة القمر . الغاب : الرماح ، جمع غابة ـ ٤ ـ العمران : اسم لما يعمر به المكان وتحسن حاله . الصرح : القصر ، وكل بناء مرتفع . الحضارة : الاقامة فى الحضر . الأطناب : جمع طنب ، وهو الحبل الذى يشد به السرادق ، ويستعمل مجازا فى الناحية ، وهى المرادة هنا ـ ٥ ـ تحسن العلم : تشعر به . ثم ظرف مكان بمعنى هناك ، العباب : ارتفاع السيل وكثرته ، العجاب : ما جاوز حد العجب ـ ٦ ـ المحلة : المنزل ، المناخ : مبرك الابل ، ومحل الاقامة مجازا . الركاب : الابل . والاخرى : يريد بها الآخرة . والخطاب للورد المرثى . يقول : بلغت منزلا هو نهاية المسير لاهل الدنيا ، وهو القبر ـ ٧ ـ النزل : ماهيىء للضيف أن ينزل عليه . أفاق : صحا واستيقظ . الهوى : ارادة النفس غير المحمودة . التلعاب : اللعب .

: نام العدوُّ لديه عن أحقاده   وسلا الصديقُ به هوى أحبابه(١)
(الراحةُ الكبرى مِلاكُ أديمه   والسلوةُ الطُّولَى قِوَامُ ترابه(٢)

* * *

(وادى الملوك) بكتْ عليكَ عيونُه   بمُرَقْرَق كالمزنِ فى تَسكابه(٣)
أَلقى ببياضَ الغَيم عن أعطافه   حزناً ، وأقبل فى سواد سحابه(٤)
يَأسَى على حرباء شمسِ نهاره   ونزيل قِيعَتِه ، وجار سرابه(٥)
ويودُّ لو أُلبِست من بَرْدِيِّه   بُرْدَيْنِ ، ثم دُفنتَ بين شعابه(٦)
نوَّهتَ فى الدنيا به ، ورفعتَه   فوق الأديم ، بطاحِه ، وهِضابه(٧)
أخرجتَ من قبرٍ كتابَ حضارةٍ   الفنُّ والإعجازُ من أبوابه(٨)
فصَّلته ؛ فالبرقُ فى إيجازه   يُبنَى البريدُ عليه فى إطنابه(٩)

---

١ ــ الاحقاد : جمع حقد ، وهو الغضب الثابت . سلا الشيء : نسيه وغفل عن ذكره . الهوى فى هذا البيت : العشق ــ ٢ ــ ملاك الشيء : قوامه السلوة : السلو . الطولى : مؤنث الأطول اى العظيمة الطول . القوام : ما يقوم به ــ ٣ ــ دمع مرقرق : اى دائر فى حملاق العين . المزن : السحاب الابيض ، جمع مزنة . التسكاب : الانسكاب ــ ٤ــ الغيم السحاب واحدته غيمة . الأعطاف جمع عطف وهو جانب الشيء وعطف الرجل جانبه من رأسه الى وركيه ــ٥ــ الحرباء اسم للذكر ، والأنثى حرباءة ، وهى حيوان اسمه أم حبين ؛ يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون بحرها الوانا مختلفة ، وهو يضرب مثلا فى التقلب . القيعة : قيل جمع قاع وهو ارض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال ، وقيل هى مفرد فى معنى القاع . السراب : ما تراه نصف النهار من شدة الحر كأنه ماء يلصق بالارض

٦ ــ البردى نبات تعمل منه الحصر ؛ وهو ينبت كثيرا فى مناقع الماء . بردين مثنى برد ، وهو ثوب مخطط ؛ والمراد هنا مطلق ثوب . الشعاب: جمع شعب ، وهو الطريق المنفرج بين جبلين ، والضمائر فى « برد » و « برديه » و « شعابه » يرجع الى وادى الملوك ــ ٧ ــ نوه به : رفع ذكره وعظمه . الاديم هنا وجه الأرض . البطاح : جمع ابطح ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى . الهضاب : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الارض . ٨ ــ الفن : فى الأصل ، النوع من الشيء ، ثم توسعوا فارادوا به الصناعة والعلم وما اليهما ، والاعجاز : مصدر اعجز ، وهو اداء المعنى بطريق لا قدرة لأحد عليها ــ ٩ ــ فصلته : بينته . والبرق : وميض السحاب ، واستعمل الآن فى نقل الرسالات « بالتلغراف » مجازا لسرعة النقل ، كانه الوميض =

طلعا على (لوزانَ) والدنيا بها　　وعلى (المحيط) وما وراء عُبابه(١)
جئتَ الشعوبَ المحسنين بشافع　　مِنْ مثل مُتْقَنِ فنِّهم ولُبابه(٢)
فرفعتَ رُكناً للقضية، لم يكن　　(سَحبانُ) يرفعُه بسحر خطابه(٣)

ايها العمال

أيُّها العمالُ، أفنوا الـ　　عمرَ كدًّا واكتسابا
واعمروا الأرضَ، فلولا　　سعيُكم أمست يَبابا(٤)
إن لى نصحًا إليكم　　إن أذِنتُم وعِتابا
فى زمان غَبِيَ النا　　صحُ فيه، أو تغابى
أين أنتم من جدود　　خلدوا هذا الترابا؟
قلَّدوه الأثرَ المُعْـ　　جِزَ، والفنَّ العُجابا
وكَسَوْهُ أبدَ الدهـ　　ـرِ من الفخر ثيابا
أتقَنوا الصنعةَ، حتى　　أخذوا الخلدَ اغتصابا
إن للمتقِن عند　　الله والناسِ ثوابا
أتقِنُوا، يُحْبِبْكُمُ اللـ　　ـهُ، ويرفعْكم جنابا

= البريد المسافة التى يقطعها الرسول ، والمراد به الان نقل الرسالات بواسطة « البوستة » : الايجاز : اختصار الكلام • والاطناب ، اطالته •

١ — طلعا : اى البريد والبرق ، لوزان مدينة فى سويسرة ، كان بها مجلس الدول الذى تم فيه الصلح بين تركية واليونان ١٩٢٢ ، والى هذا المجلس يشير بقوله (والدنيا بها) • المحيط : البحر الذى يحيط باليابسة • وما وراء عبابه : بلاد امريكا التى يحيط بها المحيطان المتجمدان من الشمال والجنوب ، والمحيطان الاطلسى والهادى من الشرق والغرب ، والمعنى ان البرق والبريد طلعا على العالم المتحضر كله بخبر تلك الآثار التى وجدت فى القبر — ٢ الشافع : من يعاونك عند غيرك او يسعى لك فى مطلبه . المتقن : المحكم . اللباب : المختار الخالص من كل شيء —٣— الركن ، الجانب الاقوى من الشيء . سحبان : رجل من وائل كان خطيبا فصيحا ، ويضرب به المثل فى ذلك ، فيقال : « اخطب من سحبان » — ٤ — الارض اليباب : الخراب •

أرضيتم أن ترى (مصـ رُ) من الفن خرابا ؟
بعد ما كانت سماءً للصناعاتِ وغابا ؟

* * *

أيها الجمعُ ، لقد صر تَ من المجلس قابا(١)
فكنِ الحُرَّ اختيارًا وكن الحُرَّ انتخابا
إن للقوم لعينًا ليس تألوكَ ارتقابا
فتوقع أن يقولوا : مَنْ عن العمالِ نابا ؟
ليس بالأمر جديرًا كلُّ مَنْ ألقى خطابا
أو سخا بالمال ، أو قدّ م جاهاً وانتسابا
أو رأى أمية ، فاخـ تلب الجهلَ اختلابا
فتخيَّرْ كلَّ من شـــبَّ على الصدق وشابا
واذكرِ الأنصارَ بالأمـ س ، ولا تَنْسَ الصِّحابا
أيها الغادون كالنحـ لِ ارتيادًا وطلابا
فى بكور الطير للرز قِ مجيئًا وذهابا
اطلبوا الحقّ برفق واجعلوا الواجبَ دابا(٢)
واستقيموا يفتحِ اللـــه لكم باباً فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا اللـــهَ . أو تُرضوا الكتابا
إنها رجس ؛ فطُوبَى لامرئ كف وتابا
تُرعِشُ الأيدى . ومن يرعش من الصناعِ خابا
إنما العاقلُ مَن يجعلُ للدهر حسابا

١ — يريد بالمجلس : دار النيابة — ٢ — اى دأبا ، وخففت للضرورة.

فاذكروا يومَ مَشيبٍ   فيه تَبكون الشبابا
إن للسنّ لهمًّا   حين تعلو وعذابا
فاجعلوا من مالكم   للشيب والضعف نِصابا
واذكروا فى الصحة الدا   ء إذا ما السُّقمُ نابا
واجمعوا المال ليومٍ   فيه تَلْقَوْن اغتصابا
قد دعاكم ذنبَ الهيـ   ـثةِ داعٍ فأصابا
هى طاووسٌ ، وهل أحـ   ـسنُه إلا الذُّنابَى ؟

نجـاة(*)

هنيئًا أميرَ المؤمنين ، فإنّما   نجاتُك للدِّين الحنيف نجاةُ(١)
هنيئًا لطه ، والكتابِ ، وأمةٍ   بقاؤكَ إبقاءٌ لها وحياة(٢)
أخذتَ على الأقدار عهدًا ومَوْثِقًا   فلستَ الذى تَرقى إليه أذاة(٣)
ومن يكُ فى بُرْدِ النبىِّ وثوبهِ   تَجُزْهُ إلى أعدائه الرَّمَيّات(٤)
يكاد يسيرُ البيتُ شكرًا لربه   إليكَ ، ويسعى هاتفاً عرفاتُ(٥)
وتستوهب الصفحَ المساجدُ خُشَّعاً   وتبسط. راحَ التَّوْبة الجُمعات(٦)

(*) القيت على جلالة الخليفة قذيفة فى سبتمبر ١٩٠٥ ، ثم شاء الله ان يكتب له النجاة من شرها ، فكتب الشاعر يهنئه

١ـ اتاك الشيء هنيئا ، وهو هنيء لك : اى سائغ ثابت لا مشقة فيـه .
٢ ـ طه : من اسماء النبى محمد صلى الله عليه وسلم . الكتاب : القرآن الكريم . والآمة : المسلمون جميعا ـ ٣ ـ الاقدار : جمع قدر ، وهو ما يقدره الله من قضائه ، ويعرفه بعضهم بانـه تعلق ارادة الله بالاشياء . العهد هنا : الضمان . الموثق :العهد . ترقى اليه : تصعد . الاذاة : المكروه ـ ٤ ـ البرد : ثوب مخطط . تجزه : تتعداه الى غيره. الرميات : جمع رمية ـ ٥ ـ البيت: الكعبة . عرفات : مكان على مقربة من مكة ، الوقـوف به ركن من اركان الحج ـ ٦ ـ تستوهب الصفح : تطلب هبته : والصفح : الاعراض عن الذنب خشعا : جمع خاشع . الراح : جمع راحة ، وهى الكف .

وتستغفرُ الأرضُ الخصيبُ وما جنت   ولكنْ سقاها قاتلون جُناة(١)
وتُثْنِى من الجرحى عليك جراحُهم   وتأْلى من القتْلى لكَ الدعوات(٢)
ضحكتَ من الأهوال ، ثم بكيتَهم   بدمع جرتْ فى إثره الرَّحمات(٣)
تُثابُ بغاليه ، وتُجزَى بطُهْره   إلى البعث أشلاءٌ لهم ورُفات(٤)
وما كنتَ تُحييهم ، فكِلْهم لربهم   فما مات قومٌ فى سبيلك ماتوا(٥)
رمتهم بسهم الغدر عند صَلاتهم   عصابةُ شرٍّ للصلاة عداة(٦)
تبرأً عيسى منهمُ وصِحَابه   أأتْباعُ عيسى ذى الحنانِ جُفاة؟(٧)
يُعادون دِينًا ، لا يُعادون دولةً   لقد كذبت دعوى لهم وشكاة(٨)
ولا خيرَ فى الدنيا ، ولا فى حقوقها   إذا قيل : طُلَّابُ الحقوقِ بُغاة(٩)
بأىٍّ فؤادٍ تَلتقى الهولَ ثابتاً   وما لِقلوب العالمين ثَبات ؟(١٠)

---

١ ـ تستغفر : تطلب المغفرة . الارض الخصيب : الكثيرة العشب ، كناية عن كثرة خيرها . و « ما » فى « ماجنت » للنفى ـ ٢ ـ تثنى عليك : تمدحك . الجرحى جمع جريح . والجراح : جمع جرح . القتلى : جمع قتيل ـ ٣ ـ الأهوال : جمع هول ، وهو المخوف من الامر لايدرى الانسان ما يهجم عليه منه ؛ بكيتهم ، اى الجرحى والقتلى . الرحمات : جمع رحمة

٤ ـ تثاب : تجازى . بغاليه وطهره : الضمير فيها للدمع . البعث هنا : من بعث الموتى : اى نشرهم يوم القيامة . الرفات : الحطام وكل ما تكسر وبلى . اشلاء الانسان : اعضاؤه بعد البلى والتفرق ـ ٥ ـ كلهم لربهم من وكل اليه الامر : اى تركه له وفوضه اليه . فى سبيلك : اى من اجلك وبسببك ـ ٦ ـ الغدر : الخيانة وعدم الوفاء . الجماعة : قيل العشرة، وقيل ما بين العشرة والأربعين . العداة : جمع عدو، والمراد نصارى الارمن الذين دبروا حادث القنبلة ـ ٧ ـ تبرا منه : تخلص منه وانكره : عيسى : ابن مريم النبى عليه السلام . الصحاب : جمع صاحب . اتباع : جمع تابع ، والهمزة للاستفهام . الحنان : الرحمة . الجفاة : جمع جاف ، وهو الغليظ الخلق .

٨ ـ الشكاة : الشكوى ، وهى التظلم ـ ٩ ـ الطلاب : جمع طالب . البغاة : جمع باغ وهو الظالم ـ ١٠ ـ الفؤاد : القلب . تلتقى الهول : تستقبله . الهول : المخيف المفاجىء . الثبات : الاستقرار ، والخطاب لأمير المؤمنين .

إذا زُلزلتْ من حولك الأرضُ ، رادها … وقارُك حتى تسكنَ الجَنَبات(١)
وإن خرجت نارٌ فكانت جهنّما … تُغذّى بأجساد الورَى وتُقات(٢)
وترتجُ منها لُجَّةٌ ، ومدينةٌ … وتَصلى نواحٍ حَرَّها ، وجِهات(٣)
تمشيتَ فى بُرْدِ الخليل ، فخضتَها … سلاماً وبردًا حولك الغَمَرات(٤)
وسرتَ ومِلءُ الأرض حولك أَدْرُعٌ … ودرعُك قلبٌ خاشعٌ وَصَلاةُ(٥)
ضحوكا ، وأصنافُ المنايا عَوابسٌ … وقورًا ، وأنواعُ الحُتوفِ طُغاة(٦)
يحوطك إن خان الحُماةَ انتباهُهُم … ملائكُ من عند الإلٰه حُماة(٧)
تشير بوجهٍ أحمدىٍّ ، مُنوَّرٍ … عيونُ البرايا فيه مُنحسرات(٨)
يحيِّى الرعايا ، والقضاءُ مُهلِّل … يحييه ، والأقدارُ معتذِرات(٩)

---

١ — زلزلت الارض : ارجفت . راد الأرض : تفقدها ليرى هل تصلح للنزول بها . الوقار : الحلم والرزانة والجنبات : النواحى ، جمع جنبة .
٢ — تغذى ، من غذاه : اى اطعمه . اجساد : جمع جسد . الورى : الخلق تقات : من قاته ، اعطاه قوتا وهو ما يؤكل ليمسك الرمق — ٣ — ترتج : تضطرب . لجة الماء : معظمه . تصلى حرها : تجده وتحسه . النواحى : جمع ناحية . الجهات : جمع جهة . والمراد : يرتج منها البر والبحر ، وتخترق بها جهات الأرض ونواحيها ، أى انها نار عامة عظيمة — ٤ — تمشيت : مشيت . البرد : الثوب . الخليل : هو النبى ابراهيم عليه السلام ، وقصة خوضه النار التي اوقدها له النمروذ مشهورة . سلاما : اى سلامة . وبردا اى لا حرا . الغمرات ، الشدائد والمكاره — ٥ — ملء الشىء : ما يملؤه . ادرع : جمع درع ، وهى ثوب ينسج من زرد الحديد ، ويلبس فى الحرب ، للوقاية من سلاح العدو — ٦ — الضحوك . الكثير الضحك . المنايا ، جمع منية ، وهى الموت . عوابس ، كوالح الوجوه متجهمات ، الوقور : الحليم الرزين الحتوف : جمع حتف : وهو الموت أيضا . طغاة ، جمع طاغ ، وهو الظالم المسرف فى ظلمه — ٧ — يحوطك : يحفظك ويتعهدك . الحماة : جمع حام . الانتباه : اليقظة للامر . والملائك : الملائكة — ٨ — وجه احمدى : منسوب الى احمد . وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، نسبة تشريف وتبعية . منور : مضىء . منحسرات : يريد حسيرات ، والعين الحسيرة الكليلة التى ينقطع بصرها من طول المدى — ٩ — يحيى الرعايا : يسلم عليها . ورعايا الملك : القوم الخاضعون له ، جمع رعية . القضاء هنا : تقدير الله . مهلل : من التهليل ، وهو رفع الصوت بلا اله الا الله . والاقدار : جمع قدر .

نجاتُكَ نُعْمى للالهِ سنيَّةٌ   لها فيك شكرٌ واجبٌ وزكاة(١)
فصيِّرْ أميرَ المؤمنين ثناءها   مآثِرَ تُحيي الأرضَ وهي موات(٢)
إذا لم يُفتنا من وجودك فائت   فليس لآمالِ النفوس فوات(٣)
بَلَوْناكَ يقظانَ الصوارمِ والقَنا   إذا ضَيَّعَ الصِّيدَ الملوكَ سُبات(٤)
سهرتَ ، ولذَّ النومُ – وهوَ مَنيَّةٌ –   رَعايا تولَّاها الهوى ورُعاةُ(٥)
فلولاكَ مُلكُ المسلمين مُضيَّعٌ   ولولاكَ شملُ المسلمين شَتات(٦)
لقد ذهبت راياتُهم غير رايةٍ   لها النصرُ وَسْمٌ والفتوحُ شِيات(٧)
تَظل على الأيام غَرَّاء ، حُرَّةٌ   مُحجَّلةً في ظلها الغزَوات(٨)
حَنيفيَّةٌ ، قد عزَّها ، وأعزَّها   ثلاثون مَلْكًا ، فاتِحون ، غُزاة(٩)

---

١ – النعمى ، كالنعمة : ما انعم به عليك ، سنية : رفيعة عظيمة .

٢ – صير : اى اجعل . ماثر : جمع ماثره ، وهي المكرمة . ارض موات : لاينتفع بها – ٣ – فاته الشيء : أعوزه وذهب عنه فلم يدركه . الامال : جمع أمل . وهو الرجاء – ٤ – بلوناك : جربناك واختبرناك . اليقظان :المتنبه المستيقظ . الصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع . القنا : جمع قناة ، وهي الرمح . الصيد : جمع اصيد ، وهو الملك . لانه لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا ، والاصل أنه الجمل الذى لا يستطيع الالتفات من داء الصيد . السبات : النوم والراحة – ٥ – سهرت : أرقت فلم تنم ، لذ النوم رعايا ورعاة : أى صار لذيذا لهم . والرعاة : جمع راع ، وهو الوالى

٦ – مضيع : مهمل أو مفقود . الشمل : ما اجتمع من الامر وما تفرق منه . يقال : جمع الله شملهم ، اى ما تشتت من شملهم ،وفرق الله شملهم اى ما اجتمع منه ، الشتات ، المشتت المتفرق – ٧ – الراية : العلم ، جمعها رايات . الوسم : الاثر والعلامة . الفتوح : جمع فتح وهو النصر . الشيات : جمع شية ، وهي العلامة – ٨ – تظل : تبقى ، والمراد الراية . الغراء : مؤنث الاغر ، وهو الفرس بجبهته بياض قدر الدرهم ، والابيض من كل شيء ، والكريم الفعال ، الواضحها ، ومن المجاز : يوم اغر محجل ، ومثله : راية غراء محجلة . المحجلة : من التحجيل ، وهو بياض فى قوائم الفرس . والمراد أن بها بياضا كانه التحجيل . الغزوات : جمع غزوة . وهي الواحدة من الغزو ، وهو المسير الى قتال العدو – ٩ – الحنيفية : المائلة الى الاسلام الثابتة عليه . وهو وصف للراية ايضا . عزها : قوامها . اعزها : جلها . ملكا : لغة فى ملك . غزاه : جمع غاز .

حماها . وأسماها على الدهر منهمُ ملوكٌ على أملاكه سَرَوات(١)
غمائمُ فى مَحْل السنين ، هواطلٌ مصابيحُ فى ليل الشكوكِ ، هُداة(٢)
تَهادت سلاماً فى ذَراك مطيفةً لها رغباتُ الخلقِ ، والرهبات(٣)
تموتُ سِباعُ الجوِّ غَرْثَى حِيالَها وتحيا نفوسُ الخَلقِ والمُهجات(٤)
سننْتَ اعتدالَ الدهر فى أمر أهله فبات رَضِيًّا فى ذَراكَ ، وباتوا(٥)
فأنتَ غمامٌ ، والزمانُ خميلةٌ وأنتَ سِنانٌ ، والزمانُ قَنَاة(٦)
وأنتَ مِلاك السلم إن مَادَ رُكْنُه وأشفقَ قُوَّام عليه ثقات(٧)
أكان لهذا الأمر غيرك صالحٌ وقد هَوَّنَتْه عندك السنوات؟(٨)
ومَن يَسُسِ الدنيا ثلاثين حِجَّةً تُعِنْهُ عليها حكمةٌ ، وأناة(٩)

ـ حماها : دافع عنها • اسماها : أعلاها • سروات : سادات ورؤساء ، وضمير « حماها » و « أسماها » للراية ـ ٢ ـ غمائم : سحائب ، وهى جمع غمامة . المحل : الجدب ويبس الأرض من الكلأ لانقطاع المطر . الهواطل: جمع هاطلة ، وهى السحابة التى يتتابع مطرها ، مصابيح : جمع مصباح ، وهو السراج • هداة : جمع هاد وهو المرشد الدال على الطريق

٣ ـ تهادت : من التهادى ، وهو أن يمشى الرجل وحده مشيا غير قوى متمايلا ، والضمير عائد الى الراية • الذرا : اعالى الأشياء ،واحدتها ذروة • مطيفة : من اطاف بالشىء الم به وقاربه أو حام حوله او احاط به الرغبات جمع رغبة وهى ارادة الشىء والحرص عليه • الرهبات : جمع رهبة وهى الخوف ـ ٤ ـ السباع : جمع سبع ، وهو المفترس من الحيوانات مطلقا والمراد بسباع الجو سباع الطير . غرثى : جمع غرثان ، وهو الجائع . حيالها : اى قبالتها وازاءها . المهجات : جمع مهجة ، وهى الدم ، أو هى دم القلب . يقال : سالت مهجته والنفس ، يقال : بذلت له مهجتى ، والخالص من كل شىء ـ٥ـ سننت : ابنت وصورت ، والاعتدال:الاستقامة • ورضيا : راضيا . والذرا : الملجأ ـ ٦ ـ الغمام : السحاب . والخميلة : الشجر الكثير الملتف حيث كان ، وهى أيضا الموضع الكثير الشجر • السنان : نصل الرمح ـ القناة الرمح ـ ٧ ـ ملاك السلم : قوامه الذى يملك به ، والسلم : السلام والأمان ، وماد : تحرك واضطرب • وقوام : جمع قائم • وثقات جمع ثقة يقال هو ثقة اى موثوق به ـ ٨ ـ هونته : سهلته وخففته والسنوات : جمع سنة ـ ٩ ـ يسس : من ساس الشىء دبره وقام بأمره ، يعنه : يساعده ويظاهره . والحكمة : العدل ، والعلم ، ووضع الأمر فى موضعه وصواب الأمر وسداده ، والاناة : الرفق ، وهى الحلم أيضا •

ملكتَ – أميرَ المؤمنينَ – ابنَ هانئ … بفضلٍ ، له الألبابُ مُمتلَكاتُ
وما زلتُ حَسّانَ المقام ، ولم تزل … تليني ، وتسرى منكَ لى النفحاتُ(١)
زَهدتُ الذى فى راحتيك ، وشاقنى … جوائزُ عند الله مُبتَغَياتُ(٢)
ومَنْ كان مثلى أحمدَ الوقتِ ، لم تجزْ … عليه – ولو من مثلك – الصدقاتُ(٣)
ولى دُرَرُ الأخلاق فى المدح والهوى … وللمُتنبي دُرّةٌ : وحَصاة(٤)
نجت أمةٌ لما نجوتَ ، ودُوركت … بلادٌ ، وطالت للسرير حياة(٥)
وصِينَ جلالُ الملك ، وامتدّ عزُّه … ودام عليه الحسنُ والحسنات(٦)
وأُمّنَ فى شرق البلادِ وغربها … يتامى على أقواتهم ، وعُفاة(٧)
سلامىَ عن هذا المقامِ مُقصِّر … عليكَ سلامُ الله والبرَكات(٨)

---

١ – ما زلت حسان المقام : أى مازلت قائما منك مقام حسان من النبى عليه الصلاة والسلام . حسان بن ثابت الشاعر والصحابى . تلينى : تدنو منى . تسرى : تتسلسل النفحات : العطايا – ٢ – زهدت الشيء : تركته ورغبت عنه . الراحتان : الكفان . شاقني جوائز : هيجتنى . الجوائز : جمع جائزة ، وهى العطية . مبتغيات : مطلوبات – ٣ – لم تجز : لم تكن جائزة . الصدقات : جمع صدقة وهى العطية ، يراد بها الثواب –٤– الدرر ، جمع درة وهى اللؤلؤة العظيمة . المتنبى : أبو الطيب أحمد بن الحسين المشهور ، الحصاة : الحجر الصغير ، يريد أن للمتنبى الجيد والردىء من الشعر ، أما هو فاله الجيد دائما – ٥ – نجت : خلصت . ودوركت : فعل المجهول من داركه : اذا لحقه . السرير : سرير الملك –٦– صين : حفظ . الجلال : التناهى فى عظم القدر ورفعة الشأن . والعز : القوة وعدم الذل . والحسن : الجمال . والحسنات : جمع حسنة ، وهى ضد السيئة –٧– أمن : اعطى الأمان . يتامى : جمع يتيم ، وهو من مات أبوه . اقوات : جمع قوت ، وهو ما يقوم به بدن الانسان من الطعام . العفاة : طلاب المعروف ، جمع عاف .
٨ – مقصر : من قصر عن الأمر ، اذا تركه ولم يقدر عليه

الى عرفات

إلى عرفاتِ اللهِ ياخيرَ زائرٍ ... عليك سلامُ اللهِ فى عرفاتِ(١)
ويومَ تُولّى وجهةَ البيت ناضرًا ... وسيمَ مجالى البِشر والقسماتِ(٢)
على كلِّ أُفقٍ بالحجاز ملائكٌ ... تزُفُّ تحايا اللهِ والبركاتِ(٣)
إذا حُدِيَتْ عيسُ الملوك ؛ فإنهم ... لعيسك فى البيداء خيرُ حُداة(٤)
لدى (الباب) جبريلُ الأمين ، براحِهِ ... رسائلُ رحمانيّةُ النّفحَاتِ(٥)
وفى الكعبة الغرّاء ركنٌ مُرَحِّبٌ ... بكعبةِ قُصّادٍ ، ورُكْنِ عُفاةِ(٦)
وما سكب الميزابُ ماءً ، وإنما ... أفاضَ عليك الأَجرَ والرَّحماتِ(٧)
و(زمزمُ) تجرى بين عينيْك أعينًا ... من الكَوْثرِ المعسولِ مُنفجِراتِ(٨)
ويرمون إبليسَ الرجيمَ ، فيصطلى ... وشانِيكَ نيراناً من الجمَراتِ(٩)

---

١ ـ عرفات : اسم موضع وقوف الحاج ، على مقربة من مكة ، وهو اسم واحد فى صورة الجمع ـ ٢ ـ تولى وجهة البيت :تستقبلها . والوجهة : المكان الذى يستقبله الانسان . ناضرامن النضرة : وهى الحسن . وسيم : جميل مجالى البشر ؛ والمراد الوجه . والبشر : طلاقة الوجه . القسمات : جمع قسمة : وهى الوجه ، وقيل : ما بين الوجنتين والأنف ـ ٣ ـ الافق : الناحية ، ملائك : جمع ملك . التحايا : جمع تحية ـ٤ ـ حديت : من الحداء: وهو سوق الابل والغناء لها . والعيس: الابل البيض التى يخالط بياضها شىء من الشقرة . والبيداء : المفازة . الحداة : جمع حاد

٥ ـ جبريل : هو أمين الوحى ، والراح : جمع راحة ، وهى الكف

٦ ـ مرحب : من رحب به : قال له : مرحبا . وقصاد : جمع قاصد . وعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ـ ٧ ـ سكب الماء : صبه . الميزاب، ويقال له مئزاب ومرزاب ومزراب : مايسيل منه الماء من مكان عال ، قالوا : ومنه ميزاب الكعبة : أى مصب ماء المطر من فوقها ، وهو المراد هنا :افاض: أفرغ ـ ٨ ـ زمزم : بئر عند الكعبة ، والكوثر : نهر فى الجنة ، والكثير من الماء ، والمعسول : الحلو ـ ٩ ـ ابليس :علم جنس للشيطان ، والرجيم : هو المطرود ، والملعون ، والمرجوم بالحجارة . ويصطلى نيرانا : يحترق بها . والشانىء : المبغض . والجمرات : الحصيات ، واحدتها جمرة .

يُحيّيكَ (طَه) في مضاجع طُهره ... ويعلم ما عالجتَ من عقبات(١)
ويُثني عليك (الراشدون) بصالحٍ ... ورُبَّ ثناءٍ من لسان رُفات(٢)
لك الدينُ يارب الحَجيج، جمعتَهم ... لبيتٍ طَهورِ السَّاحِ والعَرَصات(٣)
أرى الناسَ أصنافاً، ومن كل بقعةٍ ... إليك انتهوْا من غُربةٍ وشتات(٤)
تساوَوْا، فلا الأنسابُ فيها تفاوتٌ ... لديك، ولا الأقدارُ مختلفات
عَنَتْ لك في التُّرْب المقدَّسِ جبهةٌ ... يَدينُ لها العاتي من الجبهات(٥)
مُنَوَّرَةٌ كالبدر، شَمَّاءُ كالسُّها ... وتُخفَض في حَقٍّ، وعند صلاة(٦)
ويارَبِّ، لو سخَّرتَ ناقةَ (صالحٍ) ... لعبدك؛ ما كانت من السَّلِسات(٧)
ويارَبِّ، هل سيارة أو مطارةٌ ... فيدنو بعيدُ البيدِ والفَلَوات؟(٨)
ويارَبِّ، هل تُغني عن العبد حَجَّةٌ ... وفي العمر ما فيه من الهفوات؟(٩)

---

١ — يحييك: من حياه اذا قال له: حياك الله، أى أطال عمرك. وطه: اسم النبى عليه الصلاة والسلام. ومضاجع: جمع مضطجع، وهو مكان الاضطجاع. العقبات واحدتها عقبة: وهى الطريق الصعب فى اعلى الجبل والمراد هنا صعاب الأمور — ٢ — يثني عليك الراشدون: يذكرونك بخير، والراشدون: الخلفاء الاربعة بعد النبى، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى. والرفات: ما بلى من جسم الانسان بعد موته — ٣ — الحجيج: جمع حاج وهم الحجاج. والساح: جمع ساحة، وهى ساحة الدار. والعرصات: جمع عرصة وهى البقعة من بين الدور ليس فيها بناء

٤ — الأصناف: الانواع. والغربة: الاغتراب. والشتات: التفرق.

٥ — عنت لك: خضعت وذلت. والترب: التراب. ويدين لها: يطيعها. والعاتى من الجبهات: أى الجبهة العاتية التى تجاوزت الحد فى الاستكبار والجبروت والخطاب لله تعالى. يريد ان جبهة الممدوح عنت لله، وهى التى اطاعها العتاة المتكبرون — ٦ — منورة: صفة للجبهة فى البيت السابق. وشماء: مرتفعة، صفة للجبهة أيضا. والسها: كوكب من بنات نعش الصغرى. وتخفض: من الخفض ضد الرفع — ٧ — سخرت: من التسخير، وهو تذليل الدابة وركوبها بغير اجرة. والسلسات: جمع سلسلة، وهى المنقادة

٨ — السيارة: صيغة مبالغة من السير، جعله المتأدبون اسما (للاتومبيل). المطارة: سمى بها المركبة التى تطير فى الجو بالوسائل الصناعية. يدنو: يقرب. والبيد، والفلوات: جمع بيداء، وفلاة.

٩ — هل تغنى عن العبد حجة: اى هل تنفعه حجة فى مهم امره عند الله. والهفوات: الزلات.

وتشهدُ ما آذيتُ نفسًا ، ولم أضِرْ ولم أبْغِ فى جَهرى ، ولا خطراتى(١)
ولا غلبتنى شِقوةٌ أو سعادةٌ على حكمةٍ آتيتَنى وأناة(٢)
ولا جال إلا الخيرُ بين سرائرى لدى سُدةٍ خيريةِ الرغبات(٣)
ولا بتُّ إلا كابن مريم ، مشفقًا على حُسَّدى ، مستغفراً لعداتى(٤)
ولا حُمِّلَتْ نفسٌ هوىً لبلادها كنفسىَ ، فى فِعلى ، وفى نفثَاتى(٥)
وإنى – ولا مَنٌّ عليك بطاعة – أُجِلُّ ، وأُغلى فى الفروض زكاتى(٦)
أُبلغُ فيها وهى عدل ورحمة ويتركها النُّسَّاك فى الخلوات(٧)
وأنت ولىّ العفو ، فامحُ بناصعٍ من الصفح ما سوَّدتُ من صفحاتى(٨)
ومَنْ تضحَكِ الدنيا إليه فيغْتَرر يمتْ كقتيل الغيد بالبسمات(٩)

* * *

وركب كإقبالِ الزمان ، مُحجَّل كريمِ الحواشى ، كابرِ الخطوات(١٠)

---

١ – وتشهد أنت يارب ما آذيت نفسا : أى لم اصل اليها باذى ، ولم اضر : لم افعل ما يضر . ولم أبغ : لم أرتكب البغى . والجهر : العلانيـــة . والخطرات : واحدتها خطرة ، وهى مايلوح للانسان فى فكره – ٢ – الشقوة : ضد السعادة ، والحكمة العـدل ، والعدل ، والحلم ، وقيل : ما يمنع الجهل وقيل : هى كل كلام وافق الحـق ، وقيل : هى وضع الشيء فى موضـــعه وصواب الامر وســـداده . والأناة : الحلم – ٣ جال : طاف غير مستقر . والسرائر : جمع سريرة ، وهى ما أسره الانسان من امره . والسدة : البـاب ٤ – ابن مريم : عيسى عليه السلام . ومشفقا على حسدى : حريصا على صلاحهم . والحسد : جمع حاسد . مستغفرا لعداتى : طالبا لهم المغفرة . والعداة : جمع عدو – ٥ – الهوى : الحب . والنفثات : جمع نفثة ، تطلـق عـلى الشعر مجازا ، فيقال : ما أحسن نفثات فلان ، اى ما احسن شـعره . ٦ – المن : الامتنان بتعداد الصنائع . واجل زكاتى : اعظمها . واغليهـا : أجعلها غالية . والفروض : ما فرضه الله من العبـــادات الخمس ، والزكاة احد هذه الفروض – ٧ – أبالغ فيها : من بالغ فى الأمر : اجتهد فيه ولـــم يقصر . والنساك : جمع ناسك ، وهو العابد المتزهد . فى الخلوات : متعلق بالنسـاك – ٨ – ولى العفو : اى متوليه وصاحبه . والعفو : ترك العقـــوبة والاعراض عن المؤاخذة . امخ : أزل . الناصع : الخـــالص الصـــافى . والصفح : ترك الشيء والاعراض عنه – ٩ – يغتر : يخدع بالشيء ويظن بـه الامن فلا يتحفظ . والغيد : جمـــع غيداء ، وهى المراة الطويلة العنـــق ، والتى تنثنى لينا ، والتى لطفت بشرتها وكمل حسنها . والبسمات : واحدتها بسمة ، وهى الضحكة من غير صوت – ١٠ – المحجل من الخيل : ما فى –

يسيرُ بأرضٍ أخرجتْ خيرَ أمّةٍ   وتحت سماء الوحي والسورات(١)
يُفيض عليها اليُمْنَ فى غدواته   ويُضفِى عليها الأمنَ فى الرّوحات(٢)

* * *

إذا زرتَ – يا مولاىَ – قبرَ محمدٍ   وقبّلتَ مثوَى الأعظمِ العَطِرات(٣)
وفاضت مع الدمع العيونُ مهابةً   لأحمدَ بين السِّتر والحُجرات(٤)
وأشرق نورٌ تحت كلّ ثَنِيّةٍ   وضاع أريجٌ تحت كل حَصاة(٥)
لمُظهر دينِ الله فوق تَنُوفَةٍ   وبانِى صروحِ المجدِ فوق فلاة(٦)
فقل لرسولِ الله : ياخَيْرَ مُرسَلٍ   أبثُّك ماتدرى من الحسرات(٧)
شعوبُك فى شرقِ البلادِ وغربِها   كأصحابِ كهفٍ فى عميقِ سُبات(٨)
بأيْمَانهم نوران : ذكرٌ ، وسُنّةٌ   فما بالُهم فى حالِكِ الظلمات ؟(٩)

= قوانمه بياض • والمعنى ركبمطاياه محجلة ، او هو محجل ، ويكون المراد مشرق مضيء على سبيل المجاز ، كقولهم: يوم أغر محجل والحواشي : الجوانب والنواحي • والكابر : رفيع الشـأن •

١ – يسير بأرض : يريـد أرض الحجاز ، ويريد بخير امة العرب خاصة والمسلمين عامة . والوحي : أصله كل ما ألقيته الى غيرك ، ثم غلب عـلى مايلقى للانبياء من عند الله • والسورا ت : هي سورات القرآن : جمع سورة

٢ – يفيض : يسيل . واليمن : الخير والبركة ، والغدوات : جمـع غـدوة ، وهى المرة من الغدو . ويضفى عليها الأمن : يسبغه عليها . والروحـات : جمع روحة ، وهي المرة من الـرواح ، والغدو والرواح على اطلاقهمـا : الذهاب والمجيء فى اى وقت . وضمير « عليها » للارض فى البيت السابق

٣ – اذا زرت يا مولاى : الخطاب للخديو . والمثوى : المقام . والأعظم : جمع عظم . والعطرة : المتطيبات بالعطر – ٤ – فاضت : سال ماؤها • والمهابة الخوف والتوقير . وأحمـد : اسم النبى أيضا • الستر : ما يستر به . والحجرات : جمع حجرة ، وهى البيت الصغير فى الدار – ٥ – الثنية : طريق العقبة . وضاع : فاح . والاريـج : الرائحة الطيبة – ٦ – مظهر دين الله : معلنه والجاهر به – والتنوفة : المفازة وهى الارض الواسعة البعيدة الاطراف والصروح : جمع صرح ، وهو القصر ، وكل بناء عـال . والفـلاة : اى الصحراء القفر الواسعة – ٧ – ابثك : أطلعك • وما تدرى : ما تعـلم . والحسرات : جمع حسرة . وهى أشد التلهف على الفائت – ٨ – شعوبك : جمع شعب ، وهو القبيلة العظيمة من الناس • والكهف : البيت الواسـع المنقور فى الجبل • والعميق : البعير الغور • والسبات : النوم

٩ – ايمانهم : جمع يمين ، وهى الجهة المضادة لليسار ، والجارحـة =

وذلك ماضى مَجدِهم وفَخارِهم   فما ضرّهم لو يعملون لآتى ؟(١)
وهذا زمانٌ ؛ أرضُه ، وسماؤه   مجالٌ لِمِقدامٍ كبيرِ حياة(٢)
مشى فيه قومٌ فى السماء ، وأنشئوا   بوارجَ فى الأبراج ممتنِعات(٣)
فقل : ربِّ وَفِّق للعظائم أمّتى   وَزَيِّنْ لها الأفعالَ والعزمات(٤)

مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات *

قُم حيِّ هذى النَّيِّراتِ   حَيِّ الحسانَ الخيِّرات
وأخفض جبينَك هَيبةً   للخُرَّد المتخفّــــرات(٥)
زيْنِ المقاصِر والحِجا   لِ ، وزيْن محرابِ الصلاة(٦)
هذا مقامُ الأمها   تِ ، فهل قدرت الأُمهات؟

= ايضا ، وهى المرادة هنا • والمعنى معهم نوران •• الخ • والذكر : القرآن والسنة : الشريعة ، وقد تطلق عنــد الفقهــاء عــلى جملة احـاديث النبى صلى الله عليه وسلم • والبال : الحال والشأن : اى ماذا غير حالهــم حتى صاروا فى الظلمات الحالكة ؟ والحالك : الشديد السواد • والظلمات : جمع ظلمة ، وهى ذهاب النور •

١ ـ المجد : العز والرفعة . والفخار : المباهاة بالمناقب والمكارم

٢ ـ المجال : مكان الجولان ، وهـو الطوف فى غير استقرار ، المقــدام أصله الكثير الاقدام على العدو ، والمراد هنا الكثير الاقدام على عظائم الامور •

٣ ـ مشى فيه : اى فى هذا الزمان . وانشئوا : احدثوا • وبوارج : جمــع بارجة ، وهى سفينة كبيرة للقتال . والأبراج : جمع برج ، وهو فى السماء بابها ، وقيل منزلة القمر ، وقيل الكوكب العظيم . وممتنعات : محتميات . والمعنى ان قوما بلغوا من العزة فى هذا الزمان ان مشوا فى جو السماء ، يريد طاروا فيه وانشئو طيارات حتى تكاد تصل الى السماء

٤ ـ وفق للعظائم أمتى : الهمها اياها ، والعظائم : جمع عظيمــة ، وهى ما عظم من الأمور • وزين لها الافعال : اجعلها زينة عندهــا ، أى غير مشينة والعزمات : جمع عزمة ، وهى الثبات والصبر فيما يعــزم عليه •

* ـ القيت هذه القصيدة فى جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الازبكية ـ٥ـ الخرد : العذارى ، والمتخفرات : المستحييات •

٦ ـ الزين : ضد الشين • والمقاصر : جمع مقصورة ، وهى اما الدار الواسعة المحصنة ، او الحجرة من حجر الدار . والحجال : جمع حجل ، وهو الخلخال

لا تَلْغُ فيه ، ولا تقل   غيرَ الفواصلِ مُحْكَمات(١)
وإذا خطبتَ فلا تكن   خَطْباً على مِصرَ الفتاة
اذكرْ لها اليابانَ ، لا   أممَ الهوى المتهتّكات
ماذا لَقِيتَ من الحضا   رة يا أخىَّ الترّهات(٢)
لم تلقَ غيرَ الرقِّ من   عُشرٍ على الشرقيِّ عات
خُذ بالكتابِ ، وبالحدي   ثِ ، وسيرةِ السلَف الثِّقات(٣)
وارجعْ إلى دسن الخلي   قةِ ، واتّبِعْ نُظمَ الحياة
هذا رسولُ الله ، لم   يُنقص حقوقَ المؤمنات
العلمُ . كان شريعةً   لنسائه المتفقِّهات(٤)
رُضْنَ التجارَةَ ، والسيا   سةَ ، والشئونَ الأُخريات(٥)
ولقد علت ببناتهِ   لُجَجِ العلوم الزاخرات
كانت سُكَيْنَةُ تملأُ الدنيـــا ، وتهزأُ بالرُّواة(٦)
روت الحديثَ ، وفسرتْ   آيَ الكتاب البيِّنات
وحضارةُ الإسلام تنـ   طقُ عن مكان المسلمات
بغدادُ دارُ العالما   تِ ، ومنزلُ المتأدِّبات(٧)

---

١ ـ لاتلغ : لاتقل باطلا عن غير روية وفكر . والفواصل : جمع فاصلة ، وهى من السجع بمنزلة القافيـة من الشعر ـ ٢ ـ الترهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادة ، واحدتها : ترهة ، ثم استعيرت للباطل ـ ٣ ـ الثقـات : جمع ثقة ، والثقة الموثوق به ، ويوصف به المفرد ، وغير المفرد ، والمذكر ، والمؤنث ـ ٤ ـ المتفقهات : من تفقه اى تعلم الفقه وتعاطاه ، والفقه : هو علم الدين ، أو من تفقه فى العلم : اذا تعلمه ـ ٥ ـ رضن : من راض الشىء : ذلله وجعله مطيعا ـ ٦ ـ سكينة : هى بنت الحسين بن الامام على وحفيـــدة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ٧ ـ بغداد : مقر ملك العباسيين بالعـراق : والمتادبات : المتعلمات الأدب .

ودِمشقُ تحتَ أُميَّةٍ أُمُّ الجوارى النابغات(١)
ورياضُ أندلسٍ نَمَيْـ نَ الهاتفاتِ الشاعرات(٢)

* * *

أَدْعُ الرجالَ لينظروا كيف اتحادُ الغانيات؟
والنفعَ كيف أَخَذن فى أسبابه متعاونات ؟
لما رأين نَدَى الرِّجا لِ تفاخُرًا ، أَو حبَّ ذات(٣)
ورأين عندهُمُ الصنا ئعَ والفنونَ مُضيَّعات
والبِرَّ عند الأَغنيا ءِ من الشئون المهمَلات
أقبلن يَبنين المنا بِرَ للنجاح مُوَفَّقات

* * *

للصالحاتِ عقائلِ الـ وادى هوًى فى الصالحات(٤)
اللهُ أنبتهنَّ فى طاعاته خيرَ النبات
فأتينَ أطيبَ ما أتى زَهَرُ المناقِب والصِّفات(٥)
لم يكفِ أن أحسنَّ ، حـــتى زِدْنَ حَضَّ المحصنات ؟(٦)
يمشين فى سوقِ الثوا بِ ، مساوِماتٍ ، رابحات
يَلبَسْن ذُلَّ السائلا تِ ، وما ذَكرن البائسات(٧)

ـ دمشق : مقر الأمويين فى الشام • والجوارى : جمع جارية ، وهى الفتاة ـ ٢ ـ أندلس : بلاد فى غرب أوربا • هى الان مملكة اسبانيـــا أو بعضها ، وكانت قديما مقر ملك اســلامى عظيم ، أول من دخلها ونقل اليها حضارةالاسلام ، وانشا بها ذلك الملك ، هو عبد الرحمن الداخــل الأمـــوى المسمى صقر قريش • ولمين الهاتفات : من قولهم نمته عشيرته ، اى رفعته بالانتساب اليها ـ ٣ ـ الندى : الجود ـ ٤ ـ الصالحات : ذوات الصلاح من النساء . والعقائل : جمع عقيلة ، وهى الكريمة المخـــدرة • والصـــالحات ـ فى آخر البيت ـ صفة لمحذوف ، أى والأفعال الصالحات ـ ٥ ـ المناقب : المفاخر ـ ٦ ـ الحض : مصدر حضه على الأمر ، اذا حمله عليه

٧ ـ البائسات : الشديدات الحاجة

فوجوهُهُنَّ وماؤها ... سِتْرٌ على المتجمِّلات(١)
مصرٌ تُجدِّد مجدَها ... بنسائها المتجدِّدات
النافرات من الجمو ... د ، كأنه شَبَحُ المماتِ(٢)
هل بينهنَّ جوامدًا ... فرقٌ وبين المُومِيات ؟(٣)
لما حضنَّ لنا القضـــيَّةَ كن خير الحاضِناتِ(٤)
غذَّيْنَها في مهدِها ... بلبانِهِنَّ الطاهرات
وسبقْن فيها المُعْلَميـ ... ـنَ إلى الكريهة مُعْلمات(٥)
يَنْفُثْنَ في الفِتيان من ... رُوح الشجاعة والثَّبات(٦)
يَهْوَيْنَ تقبيل المُهنَّـ ... ـد ، أو مُعانقةَ القناة(٧)
ويَرَيْن حتى في الكرى ... قُبَلَ الرجال مُحرَّمات

خلافة الاسلام*

عادت أغاني العرسِ رَجْعَ نُواحِ ... ونُعيتِ بين معالم الأفراحِ(٨)

---

١ — المتجملات : الفقيرات اللاتي لم يظهرن ذل الفقر — ٢ — الجمود : التيبس —٣— الموميات : واحـــدتها موميا : وهي يونانية ، معناها حافظ الأجسام ، وتطلق اليوم على الاجسام المحنطة — ٤ — القضية : هي قضية استقلال وادي النيل .

٥ — المعلمون : الفرسان لهم علامة في الحـــرب لبطولتهم —٦— ينفثن من قولهم : نفث الله الشيء في القلب : القاه . —٧— المهند : الســـيف . والقناة : الرمح .

* — ما كاد العالم الاسلامي يفرح بانتصار الاتراك على اعـــدائهم في ميدان الحرب والسياســـة ، ذلك النصر الحاسم ، الذي كان حـــديث الدنيا ، والذي تم على يد مصـــطفى باشا كمال في سنة ١٩٢٣ ، حـــتى اعلن هذا الغاء الخلافة ، ونفي الخليفة من بلاد الاتراك ، فنظم الشاعر هذه القصيدة ، يرثي فيها الخلافة ، وينبه ممالك الاسلام الى اسداء النصـــح للغازي ، لعله يبني ما هدم ، وينصف من ظلم . — ٨ — الاغاني : جمع اغنية ، وهي ما يترنم به ويتغنى فيه من شعر ونحوه . والرجع : ما يرد في المكان الخالي على الانسان إذا رفع صـــوته . والمعالم : جمـــع معلم : وهـــو موضـــع الشيء الذي يظن فيـــه وجوده .

كُفِّنتِ في ليلِ الزفاف بثوبه ... ودُفنتِ عند تبلُّج الإصباح(١)

شُيِّعتِ من هَلَعٍ بَعبرةِ ضاحكٍ ... في كلِّ ناحيةٍ ، وسكرةِ صاح(٢)

ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ ، ومنابرٌ ... وبكت عليك ممالكٌ ، ونواح

الهندُ والهةٌ ، ومصرُ حزينةٌ ... تبكى عليك بمدمعٍ سَحّاحِ (٣)

والشامُ تسألُ ، والعراق ، وفارسٌ ... أَمَحَا من الأرضِ الخلافةَ ماح ؟

وأتت لكِ الجُمَعُ الجلائلُ مأتماً ... فقعدن فيه مَقاعدَ الأنواح(٤)

يا لَلرّجال لحُرة مَوءُودة ... قُتلت بغير جريرة وجُناح(٥)

إنَّ الّذين أَسَتْ جراحَكِ حربُهم ... قتلتْكِ سلمُهمو بغير جِراح(٦)

هتكوا بأيديهم مُلاءةَ فخرِهم ... مَوْشِيَّةً بمواهب الفتاح(٧)

نزعوا عن الأعناق خيرَ قِلادة ... ونَضَوْا عن الأعطاف خير وِشاح(٨)

حَسَبٌ أتى طولُ الليالى دونَه ... قد طاح بين عشيةٍ وصباح(٩)

وعَلاقةٌ فُصِمَت عُرَى أسبابها ... كانت أبرَّ علائقِ الأرواح

جَمَعَت على البرِّ الحُضورَ ، وربما ... جمَعتْ عليه سرائرَ النُّزّاح(١٠)

نظمت صفوفَ المسلمين وخَطْوَهم ... في كلِّ غُدوةِ جُمعة ورواح

---

١ ـ تبلج الاصباح : اشراقه وإنارته .

٢ ـ الهلع : الجزع الشديد . والعبرة : الدمعة قبل ان تفيض . وقيل : هى تحلب الدمع . ـ ٣ ـ الوالهة : الحزينة ، او التى ذهب عقلها حزنا . وسحاح : كثير السح ، وهو أن يسيل الماء من أعلى الى اسفل .

٤ ـ الجمع : واحدتها جمعة ، وهى الصلاة المفروضة بهذا الاسم . والانواح : النائحات ـ ٥ ـ الموءودة : التى تدفن حية فى التراب والجناح : الاثم

٦ ـ أست جراحك : داوتها . السلم : الصلح ، والسلام أيضا .

٧ ـ يقال : هتك الستر ونحوه : خرقه ، او جذبه فقطعه من موضعه ، اوشق منه جزءا فبدا ماوراءه . وموشية : منقوشة منمنمة ، والفتاح : من اسماء الله تعالى .

٨ ـ نضوا : خلعوا . والأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب من كل شىء والوشاح : شبه قلادة ينسج من جلد عريض ، ويرصع الجوهر ، فتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ـ ٩ ـ طاح : ذهب ـ ١٠ ـ البر : الصلة ، والرفق . والنزاح : البعيدون ، جمع نازح .

بكت الصلاةُ ، وتلك فتنةُ عابثٍ بالشرع ، عِرْبيدِ القضاء ، وَقاح(١)
أفتى خُزَعْبِلَةً ، وقال ضلالةً وأتى بكفر فى البلادِ بواح(٢)
إنَّ الذين جرى عليهم فقهُهُ خُلقوا لِفقه كتيبة وسلاح
إن حدَّثوا نطقوا بخُرْسِ كتائبٍ أو خوطِبوا سمِعوا بصُمٍّ رِماح
أستغفرُ الأخلاقَ ، لستُ بجاحدٍ من كنتُ أدفعُ دونَه وألاحى(٣)
مالى أطوِّقُهُ الملامَ وطالما قلَّدْتُه المأثورَ من أمداحى ؟
هو ركنُ مملكة ، وحائطُ دَولةٍ وقريعُ شهباء ، وكبشُ نِطاح(٤)
أأقولُ مَن أحيا الجماعةَ مُلحِدٌ وأقولَ مَن رد الحقوقَ إباحى ؟
الحقُّ أولى من وليِّك حرمةً وأحقُّ منك بنصرةٍ وكِفاح
فامدح على الحقِّ الرجالَ ولُمْهُمو أو خَلِّ عنك مَواقفَ النصاح
ومِن الرجالِ إذا انبريتَ لهدمهم هرمٌ غليظُ مناكِبِ الصُّفاح(٥)
فإذا قذفتَ الحق فى أجلاده ترك الصراعَ مُضعْضَعَ الألواح(٦)
أدُّوا إلى الغازى النصيحةَ يَنتصحْ إن الجوادَ يثوبُ بعد جِماح(٧)
إن الغرورَ سقى الرئيسَ بِراحِه كيف احتيالُك فى صريع الراح؟

١ ــ العربيد : الشرير ، والكثير العربدة ؛ وهى سوء الخلق من السكر . والوقاح : ذو الوقاحة ، وهى قلة الحياء .

٢ ــ الخزعبلة : الفكاهة ، والمزاح ،اما الباطل : فهو الخزعبيل والخزعبل. ويقال : جاء بالكفر بواحا : اى بينا ،وقيل : جهارا .

٣ ــ ادفع دونه : ارد عنه بالحجة الاحى : من الملاحاة ، وهى الملاعنة .

٤ ــ القريع : الغالب فى المقارعة ،وهى ان يضرب الابطال بعضهم بعضا. والشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح ــ٥ــ المناكب هنا : الجوانب والنواحى . والصفاح : حجارة عريضة رقيقة ــ٦ــ الاجلاد والتجاليد : جسم الانسان وبدنه .

٧ ــ الغازى : مصطفى كمال ،وهو ايضا المراد بالرئيس فى البيت الثانى .

نقل الشرائعَ ، والعقائدَ ، والقرى والناسَ نقلَ كتائبٍ فى الساح(١)
تركته كالشبح المؤلَّهِ أمَّةٌ لم تَسْلُ بعدُ عبادةَ الأشباح
هُم أطلقوا يده كقيصرَ فيهمو حتى تناول كلَّ غيرِ مباح
غرَّته طاعاتُ الجُموعِ ، ودولةٌ وجد السوادُ لها هَوَى المُرتاح
وإذا أخذتَ المجدَ من أُمِّيةٍ لم تُعطَ غيرَ سَرابِه اللمّاح(٢)
مَنْ قائِلٌ للمسلمين مقالةً لم يوحِها غيرَ النصيحة واح ؟
عهدُ الخلافةِ فِىَّ أوّلُ ذائدٍ عن حوضها ببراعة نضّاح(٣)
حبٌّ لذاتِ اللهِ كان ، ولم يزل وهوًى لذاتِ الحقِّ والإصلاح
إنى أنا المصباحُ ، لست بضائعٍ حتى أكونَ فراشةَ المصباح(٤)
غزواتُ (أدهم) كُلِّلَت بذوابِلٍ وفتوحُ أنورَ فُصِّلت بِصفاحِ(٥)
ولَّتْ سيوفُهما ، وبان قناهُما وشبا يَراعِى غيرُ ذاتِ بَراح(٦)
لا تَبذلوا بُرَدَ النبى لِعاجزٍ عُزُلٍ ، يدافِعُ دونَه بالراح(٧)
بالأمس أوهى المسلمين جراحةً واليوم مدّ لهم يَدَ الجرّاح(٨)

---

١ -. الساح : جمع ساحة ، والمراد ساحة الحرب -٢- اللماح : اللماع -٣- الذائد : الحامى الدافـــع ؛ والنضاح : الدافع ايضا -٤- الفراشة حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج حتى يحترق -٥- الذوابل : صفة للرماح ، والصفاح : جمـــع صفح ، وهو عرض السيف . وادهـم وأنـور : هما القدائـــدان التركيـان الكبيران . والمراد بالرماح والسيوف هنا الاقلام . - ٦ - القنا : جمع قناة . والشبا : جمع شباة ، وهى حـد كل شىء . البراح : الزوال -٧- العاجز العزل : حسين بن على شريف الحجاز، يريد أنه طامع فى الخلافة ، فالاتراك اذا اصروا على خروجها منهم ، كانوا بذلك قد بذلوها لهذا العاجز ، الذى لا يملك لحمايتها الا يدا خاليـــة . والراح : جمع راحـــة ، وهى بطن الكف -٨- بالامس اوهى .. الخ : الموصـــوف بهذا العمل هو حسين بن على ايضا، وهو اشارة الى خروجه على المسلمين وموالاته أعداءهم فى الحرب الكبرى .

فلتسمَعُنّ بكل أرضٍ داعيًا ... يدعو إلى (الكذّابِ) أو لسَجاح(١)
ولتشهدُنّ بكل أرض فتنةً ... فيها يباعُ الدِّين بيعَ سَماح
يُفتَى على ذهبِ المُعزِّ وسيفِه ... وهوى النفوس، وحِقْدِها المِلْحاح(٢)

تكريم *

بأبي وروحي الناعماتِ الغيدا ... الباسماتِ عن اليتيمِ نضِيدَ(٣)
الرانياتِ بكلِّ أحورَ فاترٍ ... يذرُ الخليَّ من القلوب عميدا(٤)
الراوياتِ من السُّلاف محاجرًا ... الناهلاتِ سوالفاً وخدودا(٥)
اللاعباتِ على النسيم غدائرًا ... الراتعات مع النسيم قُدودا(٦)
أقبلْن فى ذهب الأصيلِ ووشْيِه ... مِلْءَ الغلائلِ لؤلؤاً وفريدا(٧)

---

١ ــ يريد أن تنحى الاتــراك عن الخلافة اطمع فيها من لا يصلح لها ، وجعل الدعاة لهؤلاء الطامعين يظهرون بكل مكان ، والمراد بالكذاب : مسيلمة الكذاب . وسجاح : امراة كانت تدعى النبوة . ــ ٢ ــ المراد بذهبه وسيفه : المال الذى كان يبذل لمن اطاعــوه ، والعقاب الذى كان يصيب من خالفوه

* ــ فى وزارة سعد زغلول باشــاسنة ١٩٣٤ اطلق سجنــاء ، كانت المحاكم العسكرية الانجليزية قدادانتهم فى مؤامرة شاع يومئذ انها مبالــغ فيها ، وقد احتفل شباب البلاد بنجاة اخوانهم ، فرجوا صاحب الديوان ان يشاركهم فى هذا الاحتفال ، فنظم هذه القصيدة ، مشيرا فيها الى اهم ماكان يشغل بال الناس فى ذلك العهد من الحــوادث ــ٣ــ بأبى وروحى : اى أفتدى بهما . والغيد : جمع غيداء ، وهى الجارية اللينة الأعطاف . واليتيم من كل شىء : مالا نظير له ، والمراد هنا الاسنان ، والنضيد : المنضــود المتسق . ــ٤ــ الرانيات : اللاتى يدمن النظر بطرف ساكن . والاحور : من الحور ، وهو شدة ســواد العين فى شدة بياضها . والعميد من القلوب : ماهده العشق ــ ٥ ــ الســلاف : اطيب الخمر ، ويراد به هنــا سحر العيــون . والناهــل : الريان . والسوالف : صفحات الأعناق ــ ٦ ــ الغدائر : جمع غديرة ، وهى اللؤابة من الشعر . والقدود : جمع قد ، وهو القامة ــ ٧ ــ الوشى : النمنمة والتحسين . والغلائل : الاثــواب الرقيقة ، والفريد : الدر المنظــوم ،

يَحدِجْنَ بالحدَقِ الحواسِدِ دُمْيَةً ... كظِباء وجْرةَ مُقْلَتَيْنِ وجيدا(١)
حَوَتِ الجمالَ فلو ذهبتَ تَزيدُها ... فى الوهمِ حُسنًا ما استطعتَ مزيدا
لو مرَّ بالولدانِ طَيْفُ جمالها ... فى الخلدِ خرّوا رُكَّعًا وسُجودا
أشهى من العودِ المرنّم منطقًا ... وألَذُّ من أوتارِه تغريدا
لو كنتَ سعدًا مُطْلِقَ السجناء ، لم ... تُطْلِق لساحِرِ طرْفِها مصفودا(٢)
ما قصّر الرؤساءُ عنه ، سعى له ... سعدٌ ، فكان مُوفَّقا ورشيدا
يامصرُ ، أشبالُ العَرينِ ترعرعت ... ومشتْ إليك مِن السجون أُسودا
قاضِى السياسةِ نَالَهمْ بعقابِه ... خَشِنَ الحكومةِ فى الشباب عَتيدا(٣)
أتَتِ الحوادثُ دونَ عقدِ قضائه ... فانهار بيِّنَةً ، ودُكَّ شهيدا(٤)
تقضى السياسةُ غيرَ مالكةٍ لِما ... حكمتْ به نقضًا ولا توكيدا
قالوا : أتنْظمُ للشباب تحيةً ... تَبْقى على جيدِ الزمان قصيدا ؟
قلتُ : الشبابُ أتمُّ عِقدَ مآثِرٍ ... من أن أزيدهمو الثناء عقودا
قَبِلَتْ جُهُودَهُم البلادُ ، وقبَّلتْ ... تاجًا على هاماتِهمْ معقودا(٥)
خرجوا ، فما مَنّوا حناجِرَهم ، ولا ... مَنّوا على أوطانِهم مجهودا

---

١ ـ حدجه بنظره : حدد النظـر اليه . والحدق : الاحداق . والدمية الصورة المنقشة المزينة فيها حمـرة كالدم ، ويضرب بها المثل فى الحسن ، ويراد بها هنا الحسناء ، ووجـرة : موضع بين مكة والبصرة ، تسـكنه الظباء والوحوش ، والمراد فى هـذا البيت ان أولئك الجميـلات على ما اسبغ الله عليهن من نعمة الجمـال ؛ وقفن ينظرن الى هـذه الحسناء التى ابتدأ الشاعر فى وصفها ، يحسدنها على ما أوتيت من سحر ، ويدلك هذا الحسـد على أن حظها من الحسن عظيم ـ ٢ ـ المصفود : الموثق المغلل ، وهنا يتخلص الشاعر من هذا الغزل الرقيق ، ليسوق اليـك ما اراد من من تعـزية السـجناء عما نالهم من ظلم ، وتهنئتهم بما اتيح لهم من نجاة ، ثم شـكر المحسنين الى هؤلاء السجناء ـ ٣ ـ خشن الحكومة : اى قاسيا . والعتيد الجسيم ، وهو هنا الجسيم من الظلم ـ ٤ ـ الشهيد : الشاهد . وانهيـار البينة : ثبوت بطلانها . وسـقوط الشهود : ثبـوت تزويرهم .
٥ ـ الهامات : الرءوس .

خفِىَ الأساسُ عن العيون تواضعًا ... من بعد ما رفع البناء مَشيدا
ما كان أفطنَهم لكل خديعة ... ولكلِّ شرٍّ بالبلاد أُريدا
لما بنى اللهُ القضيةَ منهمُ ... قامت على الحقِّ المبينِ عَمُودا(١)
جادوا بأيام الشبابِ ، وأوشكوا ... يتجاوزون إلى الحياةِ الجودا
طلبوا الجلاء على الجهادِ مَثُوبةً ... لم يطلبوا أجْرَ الجهادِ زهيدا(٢)
واللهِ : ما دون الجلاء ويومِه ... يومٌ تُسميهِ الكِنانةُ عيدا
وجَدَ السجينُ يدًا تُحَطِّمُ قيْدَهُ ... من ذا يُحطِّمُ للبلاد قيودا ؟
ربحت من (التصريح) أن قيودها ... قد صِرْنَ من ذهبٍ ، وَكُنَّ حديدا(٣)
أوَ ما ترَوْن على (المنابع) عُدَّةً ... لا تنجلى، وعلى الضّفاف عديدا ؟(٤)
يا فِتيةَ النيل السعيدِ : خذوا المدى ... واستأْنِفوا نَفَسَ الجهادِ مَديدا
وتنكّبوا العدوان ، واجتنبوا الأذى ... وقفوا بمصرَ الموقِفَ المحمودا(٥)
الأرضُ أليقُ منزلًا بجماعة ... يبغون أسبابَ السماء قُعودا
أنتم غدًا أهلُ الأمور ، وإنما ... كنّا عليكم فى الأمور وُفُودا
فابنوا على أُسُس الزمان وروحِه ... رُكنَ الحضارة باذخاً وشديدًا
الهدمُ أجملُ من بناية مُصْلح ... يَبْنِى على الأُسُسِ العتاقِ جديدا
وجْهُ الكنانةِ ليس يُغْضِبُ ربَّكم ... أن تجعلوه كوجهه معبودا
ولُّوا إليه فى الدُّروس وُجُوهَكم ... وإذا فرغتمُ ، واعبدوه هُجودا(٦)
إنَّ الذى قسمَ البلادَ حباكمُ ... بلدًا كأوطان النجومِ مَجيدا(٧)

---

١ — القضية : السياسة المصرية . ٢ — يريد بالجلاء جلاء الجنود الانجليزية المحتلة عن أرض البلاد —٣— تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .
٤ — منابع النيل .
٥ — تنكبوا العدوان : أى تجنبوه —٦— الهجود : جمع هاجد ، وهو النائم أو المصلى بالليل —٧— حباه : أعطاه . وأوطان النجوم : كناية عن السماء .

قد كان ـ والدنيا لُحُودٌ كُلُّها ـ   للعبقريةِ والفنونِ مُهودا

* * *

مجدُ الأُمور زوالُه فى زَلَّةٍ   لا تَرْجُ لِاسْمكَ بالأُمور خلودا
الفردُ بالشُّورى ، وباسم نَديِّها   لُفِظَ . (الخليفةُ) فى الظلام شَرِيدا(١)
خلعتهُ دون المسلمينَ عصابةٌ   لم يجعلوا للمسلمين وجودا
يقضون ذلك عن سوادٍ غافلٍ   خُلِق السوادُ مُضلَّلا وَمَسودا(٢)
جعلوا مشيئتَهُ الغبيَّةَ سُلَّمًا   نحو الأُمور لمَن أراد صعودا
إِنى نظرتُ إِلى الشعوب فلم أَجدْ   كالجهل داءً للشعوب مُبيدا
الجهلُ لا يلِدُ الحياةَ مواتُهُ   إِلَّا كما تَلدُ الرِّمامُ الدودا(٣)
لم يخلُ من صُوَرِ الحياةِ ، وإِنما   أَخطاهُ عُنصرُها ، فمات وليدا(٤)
وإِذا سبى الفردُ المُسلَّطُ مجلساً   أَلفيتَ أَحرارَ الرجال عبيدا
ورأَيت فى صدر النَّدىِّ مُنَوَّماً   فى عُصْبةٍ يتحرَّكون رُقودا
الحقُّ سهمٌ ، لاتَرِشْهُ بباطلٍ   ما كان سهمُ المُبْطِلين سديدا(٥)
والعبْ بغير سلاحه ، فلَربَّما   قتلَ الرجالَ سلاحُهُ مردودا

---

١ ـ الندى : المجمع . ولفظه : رمى به وطرحه ـ٢ـ سواد الناس : عامتهم .

٣ ـ موات الجهل : الخراب الذى يحدث بسببه . والرمام : جمع رمة ، وهى العظام البالية ، والمراد بها هنا الجيفة ، ومعنى البيت ان الجاهل ميت ، والميت بطبعه لا يلد ولا يأتى بعظيم ، فان ولد فكالجيفة المتحللة لاينشأ منها الا الدود ـ٤ـ الاشارة الى الدود ، فى البيت السابق
ـ٥ـ راش السهم يريشه : الصق عليه الريش حتى يكون اكثر نفاذا

على سفح الأهرام(١)

قِف ناجِ أهرامَ الجلالِ ، ونادِ : هل من بُناتِكَ مجلسٌ أو نادِ ؟(٢)
نشكو ، ونَفزعُ فيه بين عيونهم إن الأُبوَّةَ مفزعُ الأَولادِ(٣)
ونبثُّهم عبثَ الهوى بتُراثهم من كل مُلقٍ للهوى بقيادِ(٤)
ونُبينُ كيف تفرّقَ الإخوانُ فى وقتِ البلاء تفرُّقَ الأَضدادِ(٥)
إن المغالِطَ فى الحقيقةِ نفسَه باغٍ على النفسِ الضعيفةِ عادِ(٦)

* * *

قل للأَعاجيبِ الثلاثِ مقالةً من هاتفٍ بمكانهن وشادِ(٧)
لله أنتِ ، فما رأيتُ على الصفا هذا الجلالَ ولا على الأَوتادِ(٨)
لكِ كالمعابدِ روعةٌ قدسيَّةٌ وعليكِ روحانيَّةُ العبَّادِ(٩)
أُسِّستِ من أحلامِهم بقواعد ورُفعتِ من أخلاقهم بِعمادِ(١٠)

---

١ — أمين افندى الريحانى أديب من أدباء سوريا ، وفد الى مصر فاقام له بعض الأدباء حفلا على سفح الاهرام ، شاطرهم اياه صاحب الديوان . —٢— ناج : من المناجاة ، وهى المسارة . والجلال : التناهى فى عظم القدر . والبناة : جمع بان . المجلس : مكان الجلوس . والنادى اسم للمجلس حين يجتمع فيه القوم ليتحدثوا ، فاذا تفرقوا فليس ناديا —٣— نشكو : نعلن الشكوى . ونفزع نستغيث : وضمير (فيه) للمجلس او النادى . بين عيونهم : اى امامهم . والابوة : كون الرجل ابا . —٤— نبثهم: نكاشفهم • والعبث : اللعب • والهوى : ارادة النفس ، وهو غالب فى الشر • القياد فى الاصل حبل يقاد به . —٥— نبين : مضارع ابان الشىء : اوضحه . والبلاء : الغم يبلى الجسم — ٦ — المغالط نفسه • موقعها فى الغلط . باغ : ظالم . عاد : ظالم ايضا . —٧— الاعاجيب الثلاث : يريد بها الاهرام الثلاثة ، وانما كانت اعاجيب لأن الانسان يستعظمها فتعتريه روعة عند ذلك ، وهذا هو العجب ، والمفرد أعجوبة ، وهى اسم لما يكون العجب منه . هاتف : مادح، من هتف به : مدحه • شاد من شدا الشعر : غنى به وترنم . ٨ — الصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الصلد الضخم الذى لا ينبت . الأوتاد : الجبال .

٩ — الروعة : الفزعة ، والمسحة من الجمال . والعباد : جمع عابد —١٠— الاحلام : العقول ، جمع حلم . وعماد الشىء : ما يسند به . والخطاب فى هذا البيت والبيتين قبله للاعاجيب الثلاث .

تلك الرمالُ بجانبيكِ بقيةٌ … من نعمةٍ ، وسماحةٍ ، ورماد(١)
إن نحن أكرمنا النزيلَ حِيالَها … فالضيفُ عندك موضِعُ الإرفاد(٢)
هذا (الأمين) بحائطيكِ مطوِّفًا … متقدِّمَ الحُجّاجِ والوُفّاد؟(٣)
إن يعدُه منكِ الخلودُ ، فشعرُه … باقٍ ، وليس بيانُه لنفاد(٤)
إيه (أمينُ) ، لستَ كلَّ مُحَجَّبٍ … في الحسن من أثر العقول وبادى(٥)
قم قبِّل الأحجارَ والأيدى التى … أخذَتْ لها عهدًا من الآباد(٦)
وخُذِ النبوغَ عن الكِنَانة ، إنها … مَهْدُ الشموسِ ، ومَسْقَطُ الآراد(٧)
أمُّ القِرى — إن لم تكن أمَّ القُرى — … ومثابةُ الأعيان والأفراد(٨)
ما زال يغشى الشرقَ من لمحاتها … فى كل مُظلِمةٍ شُعاعٌ هادى(٩)

* * *

---

١ — السماحة : موافقة الرجل على ما يراد منه ، وهى الجود والعطاء ايضا . والرماد : ما يبقى من المواد المحترقة بعد احتراقها ، وقد كنى به عن الكرم كما يقولون : فلان كثير الرماد ، أى كريم ، لانه يكثر من ايقاد النار ، لكثرة صنع الطعام للاكلين من الاضياف ٢— النزيل : الضيف .. وحيالها : قبالتها • الارفاد ، الاعطاء • ٣ — مطوفا : دائرا حولهما . والحجاج : القصاد . والوفاد : جمع وافد ، من وفد اذا قدم — ٤ — ان يعده : اى ان يجاوزه ويفته • والخلود الدوام والبقاء ، والمراد خلود الذكر لاخلود الشخص . والنفاد : الذهاب والانقطاع ٥— ايه : اسم فعل ، معناه زدنى من حديثك . المحجب : المستور . . البادى : الظاهر ٦— الاباد : جمع ابد ، وهو الدهر ٧— النبوغ : الاجادة . والكنانة : مصر . والاراد جمع راد . والمراد الضحى ، وهو وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء فى الخمس الأول من النهار • ٨ — القرى : الضيافة ، أو ماقرى به الضيف : والقرى : جمع قرية . والمثابة : مجتمع القوم بعد تفرقهم ، الاعيان : جمع عين ، وهو كبير القوم وشريفهم . أفراد الناس : كبارهم ، ولا يقال للانسان الواحد فرد : بل يقال له فريد ٩— يغشى الشرق ، يغطيه . واللمحات : جمع لمحة ، وهى النظرة الخفيفة بالعجلة ، والشعاع : ماينتشر من ضوء الشمس .

رفعوا لكَ الريحان كاسمك طيِّبًا . إن العَمارَ تحيةُ الأمجاد(١)
وتخيَّروا للمِهرجان مكانَه وجعلتُ موضعَ الاحتفاء فؤادى(٢)
سلف الزمان على المودّة بيننا سنواتُ صحوٍ بل سناتُ رقاد(٣)
وإذا جمعتَ الطيباتِ رددتَها لعتيقِ خمرٍ أو قديمِ وداد(٤)
يا نجمَ سوريّا ـ ولست بأوّلٍ ـ ماذا نَمَتْ من نيِّرٍ وقّاد ؟(٥)
أَطْلُعْ على يَمَنٍ بيُمنك فى غدٍ وتجلَّ بعد غدٍ على بغداد
وأَجِلْ خيالَك فى طُلولِ ممالِكٍ مما تجوبُ، وفى رُسُومِ بلاد(٦)
وسل القبورَ ـ ولاأقول سل القُرى ـ هل من ربيعة حاضرٌ أو بادى(٧)
سترى الديار من اختلافِ أمورها نَطَقَ البعيرُ بها، وعَيَّ الحادى(٨)

* * *

قضَّيْتَ أيامَ الشباب بعالمٍ لبس السنين قشيبةَ الأبراد(٩)
ولدَ البدائعَ والروائعَ كلها وعَدَتْهُ أن يَلدَ البيانَ عوادى

---

١ ـ الريحان : نبات طيب الرائحة . والأمجاد : جمع مجيد ، وهو الكريم الشريف ٢ ـ المهرجان : هو عيد الفرس وكان يوافق اول الشتاء ، ثم صار فى الخريف ، والمراد به هنا الاحتفال ، والاحتفاء : المبالغة فى الاكرام واظهار السرور والفرح ـ ٣ ـ سلف : مضى . والسنوات : جمع سنه . والسنات : جمع سنه و هى النعاس والرقاد : النوم ـ٤ـ رددتها : اى ارجعت نسبتها . والعتيق : القديم ـ٥ـ ولست بأول : احتراس من الاطلاق ، اى وان كنت نجم سوريا فلست الاول من نجومها ، الاول سواك ، أو لست أول نجم لها ، فقد سبقك أوائل آخرون . وماذا نمت : اى كم ذا رفعت بالانتساب اليها ـ٦ـ الطلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الدار . والرسوم : جمع رسم ، وهو الاثر ـ٧ـ ربيعة : قبيلة من العرب . والحاضر : من ينزل الحضر والبادى : من يذهب الى البادية ـ٨ـ عى الحادى : لم يستطع البيان والافصاح ـ٩ـ تضيت : خطاب للريحانى ، والعالم الذى قضى به أيام شبابه هو امريكا التى قام بها . قشيبة الابراد : جديدتها . والابراد : جمع برد .

لم يخترع شيطانَ حسان ، ولم تُخرج مصانعُه لسانَ زياد(١)
اللهُ كرّم بالبيان عصابةً في العالمينَ عزيزةَ الميلاد
(هوميرُ) أحدثُ من قرونٍ بعدَه شعرًا ، وإن لم تخلُ من آحاد(٢)
والشعرُ في حيث النفوسُ تَلَذُّه لا في الجديدِ ، ولا القديمِ العادى
حقُّ العشيرة في نبوغِك أوّلٌ فانظر ، لعلك بالعشيرَة بادى(٣)
لم يَكفِهم شطرُ النبوغِ ، فزدهُمُ إنْ كنت بالشطرين غيرَ جواد
أو دَعْ لسانَك واللغاتِ ، فربّما غنّى الأصيلُ بمنطِقِ الأجداد
إن الذى ملأ اللغاتِ محاسنًا جعلَ الجمالَ وسرَّه في الضاد(٤)

المطرية تتكلم*

يا ناشرَ العلم بهذى البلادْ وُفِّقتَ ، نشرُ العلم مثلُ الجهاد
بانىَ صَرْحِ المجدِ ، أنتَ الذى تبنى بيوتَ العلم في كل ناد

١ـ لم يخترع .. الخ : يريد انه عالم لم يرتق في اختراعه الى حيث يبتدع البلاغة اللسانية التى كرم الله بها العرب . وحسان : الشاعر الصحابى المعروف . وزياد : هو زياد بن ابى سفيان ، كان من اخطب العرب

٢ ـ هومير : شاعر يونانى قديم ،كان شعره قصصا يضمنه وصف الابطال والاشادة بذكرهم ، وهو صاحب الالياذة ، يريد ان شعره ـ على انه قديم ـ اجود من شعر الذين جاءوا بعده ، وان كانت ايامهم لم تخل من شعراء مجيدين هم آحاد فى عددهم ـ٣ـ حق العشيرة .. الخ: فى هذا البيت والابيات بعده امور أخذ بها الريحانى فى رفق ولين ، فهو يقول له ان كانت معانيك فى كتابتك جيدة ، فالفاظك فيها رديئة ، لانك اهملت جانب اللغة العربية ، وهى الشطر الثانى من شطرى النبوغ ؛ وايضا يقتضى الوفاء لعشيرتك وقومك ان تحسن لغتهم حتى تغنى بها ـ٤ـ الضاد : اللغة العربية ، وانما سميت كذلك لان الضاد لا توجد فى لغة سواها ، ولا يقوى اهل اللغات الاخرى على النطق بها . (*) « احس صاحب الديوان ايام كان يسكن (المطرية) بحاجة هذا البلد الى مدرسة تهذب ابناءه ، فناشد وزير المعارف يومئذ (سعد زغلول باشا) على لسان المطرية ان يقوم بانشاء هذا الاثر الجليل » .

بالعلم ساد الناسُ فى عصرهم ... واخترقوا السبعَ الطِّباقَ الشِّداد(١)
أيطلب المجدَ ويبغى العلا ... قومٌ لسوقِ العلمِ فيهم كساد ؟
نَقَّادُ أعمالك مُغْلٍ لها ... إذا غلا الدرُّ غلا الانتقاد(٢)
ما أصعبَ الفعلَ لمن رامه ... وأسهلَ القولَ على من أراد؟
سمعًا لشكوايَ ، فإن لم تجد ... منك قبولًا ؛ فالشكاوى تُعاد(٣)
عدلًا على ما كان من فضلكم ... فالفضلُ إن وُزِّع بالعدلِ زاد(٤)
أسمعُ أحياناً ، وحينًا أرى ... مدرسةً فى كلِّ حيٍّ تُشاد
قَدَّمْتَ قبلى مدنًا أو قُرى ... كنتُ أنا السيفَ ، وكنَّ النِجاد(٥)
أنا التى كنت سريرًا لمن ... ساد (كإدَوَرْدَ) زماناً وشاد(٦)
قد وحَّد الخالقَ فى هيكلٍ ... من قبل سقراطَ ومن قبل عاد(٧)
وهذب الهندُ دياناتِهم ... بكلِ خافٍ من رموزى وباد(٨)
ومن تلاميذى موسى الذى ... أُوحِيَ مِنْ بعدُ إليه فهاد(٩)

١ـ ساد الناس : مجدوا وجلوا . والسبع الطباق : السموات السبع ، وهى طباق أى مطابقة بعضها بعضا ـ٢ـ النقاد : مبالغة من النقد ، وهو فى الكلام : اظهار ما به من العيوب . وفى غير الكلام : النظر الى الشيء لمعرفة جيده من رديئه . ومغل لها : من اغلى الشيء : جعله غاليا ـ٣ـ سمعا لشكواى : أى اسمعها سمعا ـ٤ ـ عدلا ؛ أى اطلب عدلا زائدا على ما حصل من فضلكم ـ٥ـ النجاد : حمائل السيف ـ٦ـ السرير : تخت الملك . وساد : صار سيد قومه متسلطا عليهم . وادورد : ملك الانجليز قبل الملك جورج القائم الآن • وشاد : رفع البناء ـ٧ـ الهيكل : بيت الاصنام وسقراط : حكيم من حكماء اليونان . وعاد : اسم رجل من العرب الاولى سميت به قومه ، وهم الذين ارسل اليهم هود نبى الله ـ٨ـ هذب الشيء : خلصه مما يشينه وطهره من العيوب • والخافى : المستتر • والبادى : الظاهر ـ٩ـ موسى : النبى عليه السلام • واوحى اليه : انزل الله عليه الوحى . وهاد : رجع الى الحق .

وأرضعَ الحكمةَ عيسى الهدى أيامَ تُربِى مهدُه والوساد(١)
مدرستى كانت حياضَ النُّهى قرارةَ العرفان ، دارَ الرشاد(٢)
مشايخُ اليونان يأْتونها يُلقون فى العلم إليها القياد
كنا نُسميهم بصِبيانه وصِبيتى بالشيب أهل السداد(٣)

* * *

ذلك أمسِى ، ما به ريبةٌ ويومىَ (القبة) ذات العِماد(٤)
أصبحتُ كالفردوسِ فى ظلها من مِصرَ للخنكا لِظِلى امتداد
لولا جُلَى زيتونىَ النَّضرِ ، ما أقسمَ بالزيتونِ ربُّ العباد(٥)
الواحةُ الزُّهراء ذات الغنى تُربِى التى ما مثلها فى البلاد(٦)
تُريكَ بالصبح وجُنحِ الدُّجى بدورَ حسن ، وشموسَ اتقاد

* * *

بَنِىَّ — ياسعدُ — كزُغْبِ القَطا لا نقَّص اللهُ لهم من عِداد(٧)
إن فاتكَ النسلُ فأَكْرِمْ بهم ورُبَّ نَسلٍ بالندى يُستفاد
أخشى عليهم من أذًى رائحٍ يجمعهم فى الفجر والعصر غاد(٨)

---

١ — الحكمة : صواب الامـر ، ووضع الشيء فى موضعه ، والعلم ، والعدل ، والحلم . وعيسى : ابن مريم عليه السلام . والترب : التراب . والمهد : الموضع يهيأ للصبى . والوساد : المتكأ وكل ما يتوسد به من قماش وغيره ، اى أيام ان كان ترابى مهده ووساده —٢— مدرسة المطرية القديمة : احدى مدارس العلم الكبرى عند المصريين القدماء وكان يقصدها الطلاب من بلاد اليونان وغيرها . القرارة : القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر —٣— وصبيتى بالشيب : اى وتسمى صبيتى بالشيب —٤— القبة : ضاحية من ضواحى القاهرة ، بها قصر عظيم بناه الخديو عباس حلمى ، وقد غلب اسمها على هذا القصر . والعماد : الابنية الرفيعة ، تذكر وتؤنث ، مفردها عمادة —٥— الزيتون : شجر مثمر معروف ، وثمره يسمى زيتونا ايضا ، وتسمى به ضاحية أخرى من ضواحى القاهرة مجاورة للقبة —٦— الواحة الزهراء : هى واحة عين شمس ، والواحة : واد متسع منخفض فى الصحراء —٧— الزغب : جمع ازغب ، وهو ما له شعر او ريش صغير . القطا : جمع قطاة ، وهى طائر فى حجم الحمامة —٨— رائح غاد : يريد قطار البخار الذى يركبه الابناء الى المدارس فى القاهرة .

صفيرةُ يَسلُبنى راحتى ويمنعُ الجفنَ لذيذَ الرقاد(١)

يعقوبُ من ذئب بكى مُشفِقًا فكيفَ أنيابُ الحديد الحِداد؟(٢)

فانظرْ — رعاك اللهُ — فى حاجهم فنظرةٌ منكَ تُنيلُ المراد(٣)

قد بسطوا الكفَّ على أنهم فى كرم الراح كصوْب العِهاد(٤)

إن طُلب (القسط.) فما منهمُ إلا جوادٌ عن أبيه الجواد

الانقلاب العثمانى وسقوط السلطان عبد الحميد

سلْ «يَلْدِزًا» ذاتَ القصورِ هل جاءها نبأُ البدور؟(٥)

لو تستطيعُ إجابةً لبكتْك بالدَّمع الغزير

أخنى عليها ما أنا خ على الخَوَرْنَق والسَّدير(٦)

ودها الجزيرةَ بعد إســـماعيل والملكِ الكبير(٧)

ذهب الجميعُ، فلا القصو رُ تُرى، ولا أهلُ القصور

فلكٌ يدورُ سعودُه ونحوسُه بيد المدير

١— صفيره : اى صفير القطار —٢— يعقوب : النبى أبو يوسف ، بكى على يوسف حين رجع اليه ابنـــاؤه اخوة يوسف ، فأخبـروه ان الـــذئب أكله ، وقد كان يخاف عليه هذا من قبل ، وقصة ذلك مبســوطة فى كتب التاريخ الدينى —٣— الحاج : جمـع حاجة . كصوب العهاد : اى كنزول المطر . والعهاد : جمع عهد . والمطر ينزل متعاقبا فيدرك آخـره أوله . —٥— يلدز — فى لغة الترك : اسم نجم، وقد سمى به قصر عظيم فى الآستانة ، كان يسكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه . والمخاطب بقوله (سل .. الخ): هو هذا السلطان —٦— اخنى عليـــه الدهر : اتى عليه واهلكه . والخورنق : قصر كان فى الحيرة بالعـــراق للملك النعمان الاكبر احد ملوك بنى المنذر . والسدير : قصر كان بالحيرة ايضـا للمناذرة —٧— دهاه الامر : أصـابه . والجزيرة : هى جزيرة الروضــــة فى النيل شرقى القاهرة ، وكان بها قصر عظيم من قصور الخـديو اسماعيل ، وهو المراد .

أين الأوانسُ فى ذُرا ... ها من ملائكة وحور ؟(١)

المترَعاتُ من النعيـ ... ـمِ ، الراوياتُ من السرور(٢)

العاثراتُ من الدلا ... لِ ، الناهضاتُ من الغرور

الآمراتُ على الولا ... ةِ ، الناهياتُ على الصدور(٣)

الناعماتُ ، الطيبا ... تُ العَرْفِ ، أمثالُ الزهور(٤)

الذاهلاتُ عن الزما ... نِ بنشوة العيشِ النضير

المشرفاتُ — وما انتقلـ ... ـن — على الممالكِ والبحور

من كل بلقيسٍ على ... كرسىٍّ عِزَّتِها الوثير(٥)

أمضى نفوذًا من زُبَيْـ ... ـدَةَ فى الإمارةِ والأمير(٦)

بين الرَّفارف ، والمشا ... رفِ ، والزخارف ، والحرير(٧)

والروض فى حجم الدنا ... والبحرِ فى حجم الغديرِ

والدرِّ مؤتلقِ السنا ... والمسكِ فيَّاحِ العبير

فى مسكنٍ فوق السِّما ... كِ ، وفوق غاراتِ المغيرِ(٨)

بين المعاقل ، والقَنا ... والخيل ، والجمِّ الغفير

سَمَّوْهُ (يَلْدِزَ) ، والأفو ... لُ نهايةُ النجمِ المغير

١— الاوانس : جمع آنسة ، وهى الطيبة النفس . والحور . جمع حورية ، وهى المراة البيضاء الناعمة —٢— المترعات : جمع مترعة من اترع الاناء : ملاه —٣— الولاة : جمع وال . الصدور : جمع صدر ، ويقال له الصدر الاعظم ، وهو كبير وزراء السلطان فى الدولة التركية —٤— العرف : الرائحة الطيبة —٥— بلقيس : ملكة سبأ من أرض اليمن ، وقصتها مع الملك سليمان مبسوطة فى كتب التاريخ الدينى . والوثير : اللين الموطا —٦— زبيدة : زوجة الخليفة هارون الرشيد —٧— الرفارف : جمع رفرف وهو الفراش . والمشارف : جمع مشرف ، وهو الموضع [illegible]رف منه ؛ ومشارف الارض : أعاليها —٨— السماك : كوكب .

دارت عليهنّ الدّوا ئرُ فى المخادع والخدور(١)
أمسيْن فى رِقّ العبيـــل وبتْنَ فى أسرِ العشير(٢)
ما ينتهين من الصلا ةِ ضراعةً ومن النذور
يطلُبن نُصرةَ ربّهن وربُّهن ، بلا نصير(٣)
صبغ السوادُ حَبيرَهُنّ وكان من يَقَقِ الحُبور(٤)
أنا إن عجزتُ فإن فى بُرْدَىَّ أشعرَ من (جَرير)
خَطْبُ الإمامِ على النّظيـ ـم يعزُّ شرحاً والنثير
عظةُ الملوك ، وعِبْرةُ الـ أيام فى الزمنِ الأخير
شيخُ الملوكِ وإن تضعـ ـضع فى الفؤادِ وفى الضمير
تستغفرُ المولى له والله يعفو عن كثير
ونراه عند مُصابه أولى ببِاكٍ أو عَلير
ونصونُه ، ونُجِلُّه بين الشماتَةِ والنكير
عبدَ الحميد ، حسابُ مثـ ـلِكَ فى يدِ الملكِ الغفور
سُدْتَ الثلاثينَ الطوا لَ ، ولسْنَ بالحُكم القصير(٥)
تنهى وتأمر ما بدا لك فى الكبير وفى الصغير
لا تستشيرُ وفى الحِمى عددُ الكواكب من مُشير

١ــ الدوائر : جمع دائرة ، وهى النائبة من صروف الدهر . والمخادع : جمع مخــدع ، بضم الميم وكسرها . بيت يكون فى البيت الكبير يحرز فيه الشىء ــ٢ــ العبيل : الضخم الغليظ ــ٣ــ ربهن : سيدهن ، وهو السلطان عبد الحميد ــ٤ــ الحبير : النــاعم الجديد . اليقق : الشــديد البياض ــ٥ــ الثلاثين الطوال : الاعــوام التى مضت له وهو سلطان .

كم سبَّحوا لك في الروا ح ، وألْهُوكَ لدى البُكور

ورأيتَهم لك سجدًا كسجود موسى فى الحضور(١)

خفضوا الرءوسَ ووتَّروا بالذل أقواسَ الظهور(٢)

ماذا دهاك من الأمو ر وكنتَ داهيةَ الأُمور ؟

ما كنتَ إن حدثَتْ وجلَّتْ بالجزوع ولا العَثور

أين الرَّوِيَّةُ ، والأَنا ةُ ، وحكمةُ الشيخ الخبير ؟

إنَّ القضاء إذا رمى دكَّ القواعد من (ثَبير)(٣)

دخلوا السرير عليكَ يحـ تكمون فى ربِّ السرير(٤)

أَعْظِمْ بهم من آسريـ نَ وبالخليفةِ من أسير

أسدٌ هَصورٌ أنشبَ الـ أظفارَ فى أسدٍ هَصور(٥)

قالوا : اعتزِل . قلتَ : اعتزلـ تُ . الحكمُ لله القدير

صبروا لدولتكَ السنيـ ن ، وما صبرتَ سوى شهور

أوذيتَ من دُستورهم وحننتَ للحكم العسير

وغضبتَ كالمنصورِ أو هارون فى خالى العصور(٦)

ضَنُّوا بِضائعِ حقِّهم وضننتَ بالدنيا الغَرور

هلا احتفظتَ به احتفا ظَ مُرحَّبٍ فرِحٍ قرير ؟

١ـ كسجود موسى فى الحضور :اى حضوره حين تجلى له الله فكلمه
٢ـ وتروا بالذل اقواس الظهور : اى جعلوا الذل وترا لاقواس ظهورهم، يعنى أن الذل قوس ظهورهم كما يفعل الوتر بالقوس اذا شد عليهن
٣ـ ثبير : جبل معروف ـ٤ـ يحتكمون فى رب السرير : يتصرفون فيه وفق مشيئتهم ـ ٥ ـ أنشب اظفاره فى الشىء : اعلقها فيه ـ ٦ ـ ابو جعفر المنصور وهارون الرشيد :من الخلفاء العباسيين .

هو حِلْيَةُ المَلِكِ الرشيـ ـدِ ، وعِصْمَةُ المَلكِ الغرير
وبه يُبارَك في المما لكِ والملوكِ على الدهور

* * *

يأيها الجيشُ الذى لا بالدَّعِيِّ ، ولا الفَخور
يخفى ، فإن رِيعَ الحمى لفتَ البريَّةَ بالظهور(١)
كالليث ، يسرفُ في الفِعا لِ ، وليس يُسرف في الزئير(٢)
الخاطب العلياء بالـ أرواح غاليةِ المهور
عند المُهيمن ما جرى في الحقِّ من دَمِكَ الطَّهور
يتلو الزمانُ صحيفةً غرَّا مُذهَّبَةَ السُّطور
في مدح (أنورِكَ) الجرى ء ، وفى (نيازِيكَ) الجسور
يا (شوكت) الإسلام ، بل يافاتحَ البلدِ العسير(٣)
وابنَ الأكارم من بنى (عُمَرَ) الكريمِ على (البشير)(٤)
القابضين على الصَّليـ ـلِ كجَدِّهم ، وعلى الصَّرير(٥)
هل كان جدُّك في ردا ئك يوم زحفك والكرور ؟
فقنصت صيَّادَ الأُسو د ، وصِدتَ قنَّاص النسور

١- ريع الحمى : اى راعه شيءوافزعه -٢- الزئير : صوت الاسد
٣- انور ، ونيازى ، وشوكت : كانوا من كبار القواد فى الجيش العثمانى ، وكانوا على راس الحركة التى قام بها هذا الجيش لحمل السلطان عبد الحميد على اعادة الدستور وجعله اساس الحكم فى البلاد التركية -٤- عمر : هو الخليفة عمر بن الخطاب ، كان شوكت باشا من سلالته . والبشير : من اسماء النبى محمد صلى الله عليه وسلم -٥- الصليل : الصوت يسمع عند المقارعة بالسيوف . الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

وأخذتَ (يَلدزَ) عَنوةً ومَلكتَ عنقاء الثغور(١)

* * *

المؤمنون (بمصر) يُهـ ـدون السلامَ إلى الأمير
ويُبايعونك يا (محمـــــدُ) فى الضمائر والصدور(٢)
قد أمَّلوا لهلالهم حظَّ الأهلةِ فى المسير
فابلغْ به أَوْجَ الكما ل بقوةِ اللهِ النصير
أنت الكبيرُ ، يُقَلِّدو نَكَ سيفَ (عثمانَ) الكبير
شيخُ الغُزَاةِ الفاتحيـ ـنَ ؛ حُسامُه شيخُ الذكور(٣)
يمضى ويغمد بالهدى فكأنه سيف النذير(٤)
بُشرى الإمام محمد بخلافة الله القدير
بُشرى الخلافةِ بالإما م العادِلِ النزِهِ الجدير
الباعثِ الدستورَ فى الـ إسلام من حُفَر القبور
أَوْدَى «معاويةٌ» به وبعثتَه قبل النُّشور(٥)
فعلى الخلافة منكما نورٌ تلألأ فوق نور(٦)

١ـ اخذ الشيء عنوة : اى قهرا . العنقاء : طير معروف الاسم مجهول الجسم ، يضرب مثلا لكل عزيز ممتنع، والمراد انه ملك ثغر الاستانة الذي يشبه العنقاء فى عزته وامتناعه ـ٢ـ محمد : هو السلطان محمد رشاد الخامس الخليفة بعد السلطان عبد الحميد ـ٣ـ الذكور : جمع ذكر وهو السيف ٤ـ النذير : من اسماء النبى ـ٥ـ اودى به : ذهب به واضاعه . ومعاوية ابن ابى سفيان : اول ملوك الدولة الاموية ، وكان حكم الخلفاء الراشدين قبله شورى بين المسلمين ، وهى معنى حكم الدستور ، فلما اخذ معاوية الملك نبه برايه ـ٦ـ منكما : اى من الخليفة ، ومن الدستور .

انتحار الطلبة *

ناشىءٌ فى الوَرْدِ من أيامِهِ ... حسبُهُ اللهُ ، أبالوَرْدِ عثر ؟(١)
سدَّد السهمَ إلى صدرِ الصِّبا ... ورماه فى حَوَاشِيه الغُرَر(٢)
بيدٍ لا تعرفُ الشرَّ ، ولا ... صَلحَتْ إلا لتلهُو بالأُكَر(٣)
بُسِطَتْ للسمِّ والحبل ، وما ... بُسِطت للكأس يوماً والوتَر
غفرَ اللهُ له ، ما ضرَّه ... لو قضى من لذَّةِ العيشِ الوَطر ؟
لم يُمَتَّع من صِبا أيامِهِ ... ولياليه أصِيلٌ وسَحر(٤)
يَتمنى الشيخُ منه ساعةً ... بحجابِ السمعِ ، أو نورِ البصر(٥)
ليسَ فى الجنةِ ما يشبهه ... خِفَّةً فى الظلِّ ، أو طيبَ قِصر
فصِبا الخلد كثيرٌ دائم ... وصِبا الدنيا عزيزٌ مُختَصَر

* * *

كل يوم خبر عن حَدَثٍ ... سئم العيشَ ، ومَنْ يَسأمْ يَذَر(٦)
عاف بالدنيا بناءً بعد ما ... خَطب الدُّنيا ، وأهدَى ، ومَهر(٧)
حلَّ يومَ العُرسِ منها نفسَه ... رحِمَ اللهُ العَرُوسَ المختَضَر(٨)

(*) راى صاحب الديوان ذلك المفزع الوبىء ، الذى يفزع اليه صغار الطلبة فى مصر بعد سقوطهم فى الامتحانات ، فنظم لهم هذه القصيدة ، يقطع عليهم فيها سبيل اليأس ، ويبسط لهم سبيل الامل —١— حسبه الله : اى كفاه الله —٢— الصبا : الميل الى جهالة الفتوة . والحواشى : الجوانب —٣— الاكر : جمع اكرة ، وهى الكرة —٤— الاصيل : وقت مابعد العصر الى المغرب . والسحر : قبيل الصبح —٥— منه : اي من صبا الايام —٦— الحدث : الشاب . ويذر : يترك —٧— عاف : كره . وبناء : من قولهم بنى باهله ، اى زفت اليه . خطب : من خطبة الزواج . اهدى : اعطى الهدية . مهر : اعطى المهر —٨— المختضر : اى الميت فى صباه ، من اختضار الكلا : اى قطعه وهو اخضر .

ضاقَ بالعيشةِ ذَرْعًا ، فهوَى   عن شَفا اليأسِ،وبئسَ المُنحدَر(١)
راحلًا فى مثلِ أعمارِ المُنى   ذاهبًا فى مثلِ آجالِ الزَّهَر
هاربًا من ساحةِ العيشِ، وما   شارَفَ الغَمرةَ منها والغُدُر(٢)
لا أرى الأيامَ إلّا مَعْرَكاً   وأرى الصِّنديدَ فيهِ من صَبر(٣)
ربَّ واهى الجأشِ فيه قَصَفٌ   مات بالجبن ، وأودَى بالحذَر(٤)

* * *

لامه الناسُ ، وما أظلمَهم   وقليلٌ من تَغاضَى أو عذَر
ولقد أبلاكَ عذرًا حسناً   مُرتدى الأكفانِ مُلقًى فى الحُفر
قال ناسٌ : صَرْعَةٌ من قدرٍ   وقديماً ظَلَم الناسُ القَدر
ويقول الطبُّ : بل من جِنَّةٍ   ورأيتُ العقلَ فى الناسِ نَدَر(٥)
ويقولون : جفاءٌ راعَه   من أبٍ أغلظَ قلباً من حَجر(٦)
وامتحانٌ صَعَّبتهُ وَطْأَةٌ   شدَّها فى العلمِ أُستاذٌ نَكِر(٧)
لا أرى إلّا نِظاماً فاسدًا   فَكَّكَ العلمَ ، وأودى بالأَسَر ؟
مِن ضَحاياه — وما أكثرها ! —   ذلك الكارهُ فى غَضِّ العُمُر(٨)
ما رأى فى العيشِ شيئًا سَرَّهُ   وأخفُّ العيشِ ما ساءَ وسَر

١— ضاق بالشيء ذرعا : ضعفت عنه طاقته ، ولم يجد مخلصا من مكروهه . والشفا : حرف كل شيء —٢— شارف الشيء : قاربه ودنا منه . وغمرة الشيء : شدته ومزدحمه . والغدر : جمع غدير ، وهو النهر ، او القطعة من الماء يغادرها السيل —٣— الصنديد : السيد الشجاع —٤— الواهى : الضعيف المتداعى الى السقوط . الجاش : نفس الانسان ، او هو رواع القلب عند الفزع . والقصف : الخور والضعف . اودى : هلك —٥— الجنة : الجنون —٦— الجفاء : غلظة العشرة —٧— النكر : الفطن —٨— غض العمر : اى العمر الغض الناضر .

نزل العيشَ ، فلم ينزِل سوى   شعبة الهمِّ ، وبَبْداءِ الفِكر(١)
ونهارٍ ليس فيهِ غبطةٌ   وليالٍ ليس فيهن سَمر(٢)
ودروسٍ لم يُذلِّل قطفَها   عالمٌ إن نطقَ الدرس سَحر(٣)
ولقد تُنهِكه نهكَ الضَّنَى   ضَرَّةٌ منظرُها سُقمٌ وضُر(٤)
ويلاقى نَصَبًا مما انطوَى   فى بنى العَلَّاتِ من ضِغْنٍ وشر(٥)
إخوةٌ ما جَمعتهم رَحِمٌ   بعضُهم يمشون للبعض الخَمر(٦)
لم يرفرِفْ مَلَكُ الحبِّ على   أبَوَيهم أو يُباركْ فى الثَمر
خَلَقَ اللهُ من الحب الورَى   وبنى المُلك عليه وعمَر

* * *

نَشَأَ الخيرِ ، رويدًا ، قتلُكم   فى الصِّبا النفسَ ضَلالٌ وخُسُر(٧)
لو عصيْتُمُ كاذبِ اليأسِ ، فما   فى صِباها ينحرُ النفسَ الضَّجَر(٨)
تُضمرُ اليأسَ من الدنيا وما   عندها عن حادثِ الدُّنيا خبَر
فبِم تجنون على آبائِكم   ألَمَ الثُّكل شديدًا فى الكِبر ؟
وتعقّونَ بلادًا لم تزَل   بين إشفاق عليكم وحذر ؟

١ـ شعبة الهم : الطائفـــة منه ـ٢ـ الغبطة : حسن الحال. والسمر: الحديث فى الليل ـ٣ـ يذلل : من ذلل الشيء : جعله هينا . وقطف الثمر : جنيه وجمعه ، وقطف الشيء : اخـذه بسرعة ـ٤ـ تنهكه: تضنيه ، والضنى: المرض والهزال . وضرة المراة : امراة زوجها ، وهمـا ضرتان ، وهن ضرائر ـ٥ـ بنو العلات بفتح العين : هم بنو امهات شتى من رجل واحد . والضغن: الحقد ـ٦ـ بعضهم يمشون للبعض . الخمر ، بفتح الخـاء : اى يختلونهم ، ومنـه قـولهم : هو يدب له الضراء ويمشي له الخمر ـ٧ـ نشء الخير : اى يا نشأ الخير . والنشأ : بفتح الشين : جمع نشء ، بسكونها ، وهو النسل . ورويدا : اى مهلا لتسمعوا ما اقول . والخسر : بضم السـين : الخسران ـ٨ـ لو عصيتم كاذب اليأس : حض ، معناه : اعصوا كاذب اليأس .

فمصابُ المُلك فى شُبّانه ... كمصابِ الأرضِ فى الزرعِ النضِر
ليسَ يدرى أحدٌ منكم بما ... كان يُعطى لو تأنّى وانتظر
رُبَّ طفلٍ برَّح البؤسُ به ... مُطِرَ الخيرَ فَتيًّا ومطر(١)
وصبىٍّ أُزْرِيَت الدُّنيا به ... شبَّ بين العزِّ فيها والخطر(٢)
ورفيعٍ لمْ يُسوِّدْهُ أب ... مَنْ أبو الشمس ، ومن جدُّ القمر؟
فلكٌ جَارٍ ، ودُنيا لم يدُم ... عندها السعدُ ، ولا النحسُ استمرّ
روِّحوا القلبَ بلذّات الصِّبا ... فكفى الشيبُ مجالًا للكدر(٣)
عالجوا الحكمةَ ، واستشفوا بها ... وانشدوا ما ضلَّ منها فى السِّيَر(٤)
واقرءُوا آداب مَنْ قبلكمُ ... ربّما علَّمَ حيًّا مَنْ غبر(٥)
واغنموا ما سخَّر اللهُ لكم ... من جَمال فى المعانى والصُّوَر(٦)
واطلبوا العلم لذات العلم ، لا ... لشهاداتٍ وآراب أُخَر(٧)
كَمْ غُلامٍ خامل فى درسه ... صار بحرَ العلم ، أُستاذَ العُصُر
ومُجِدٌّ فيه أمسى خاملًا ... ليس فيمن غابَ أو فيمن حَضر

* * *

قاتلُ النفس — ولو كانت له — ... أسخطَ اللهَ ، ولم يُرضِ البشر
ساحةُ العيش إلى الله الذى ... جعلَ الوِرْدَ بإذنٍ والصَّدَر(٨)

---

١ — برح به : جهده وآذاه . و مطر الخير ، بضم الميم : اى اصابه كما يصيب المطر الارض . ومطر ، بفتح الميم : اى صدر عنه الخير كالمطر —٢— ازرت به : تهاونت —٣— روحوا القلب : أى انعشوه وطيبوه —٤— الحكمة : صواب الامر وسداده ووضع الشيء فى موضعه . السير ، بكسر السين : جمع سيرة ، وهى للانسان طريقة سلوكه بين الناس —٥— من غبر : من مضى —٦— اغنموا من غنم الشيء : فاز به من غير مشقة واخذه بغير بذل —٧— آراب : جمع أرب ، وهو للحاجة —٨— الورد : بلوغ الماء والصدر : الرجوع عنه .

لا تموتُ النفسُ إلّا باسمه قامَ بالموتِ عليها وقهر
إنما يسمحُ بالروح الفتَى ساعةَ الرَّوْع إذا الجمعُ اشتجر(١)
فهناك الأجرُ والفخرُ معاً مَنْ يَعِشْ يُحمَدْ ، ومن ماتَ أُجر

عبث المشيب

ظلمَ الرجالُ نساءهم وتعسفوا هل للنساء بمصر من أنصار؟(٢)
يامعشرَ الكتاب ، أين بلاؤكم أين البيانُ وصائبُ الأفكار ؟(٣)
أيهمُّكم عبثٌ ، وليس يهمُّكم بنيانُ أخلاق بغير جدار ؟(٤)
عندى على ضيم الحرائر بينكم نبأٌ يثيرُ ضمائرَ الأحرار(٥)
مما رأيتُ وما علمتُ مسافرًا والعلمُ بعضُ فوائدِ الأسفار
فيه مجالٌ للكلام ، ومذهب ليَراعِ « باحثةٍ » و « ستِّ الدار »(٦)

* * *

كثُرت على دارِ السعادة زُمْرَةٌ من مصر ، أهلُ مَزارعٍ ويَسار(٧)
يتزوَّجون على نساءٍ تحتَهم لا صاحباتِ بُغًى ، ولا بشرار(٨)

١- الروع : الفزع ، ويأتى بمعنى الحرب، وهو المراد هنا -٢- تعسفوا: ظلموا أو لم ينصفوا -٣- البلاء : الاختبار -٤- العبث : اللعب . الجدار : الحائط -٥- الحرائر : جمع حرة . الضمائر : جمع ضمير ، وهو قلب الانسان وباطنه -٦- باحثة : هى المرحومة ملك ناصف ، وكانت قد اتخذت لنفسها اسم « باحثة البادية » تذيل به مقالات كانت تذيعها بواسطة الصحف فى شئون اجتماعية ونسوية . وست الدار : اسم كانت تذيل به مقالات فى الصحف أيضا -٧- دار السعادة : هى الاستانة . الزمرة : الجماعة متفرقة . اليسار : الغنى -٨- البغى والبغاء ، مقصور وممدود: الزنى .

شاطرنهم نِعَمَ الصِّبا ، وسقينهم دهرًا بكأسٍ للسرورِ عُقار(١)
الوالداتُ بَنيهمُ وبناتِهم الحائطاتُ العِرْضَ كالأسوار(٢)
الصابراتُ لضرَّةٍ ومضرَّة المحييات الليلَ بالأذكار

* * *

مِنْ كُلِّ ذى سبعين ، يكتمُ شَيْبَهُ والشيبُ فى فَوْدَيْه ضوءُ نهار(٣)
يأْبَى له فى الشيب غيرَ سفاهة قلبٌ صغيرُ الهمِّ والأوطار(٤)
ما حَلَّه عَطْفٌ ، ولا رِفْقٌ ، ولا برٌّ بأهل ، أو هوىً لديار
كم ناهدٍ فى اللاعبات صغيرةٍ ألْهته عن حَفَدٍ بمصر صغار(٥)
مهما غدا أو راح فى جولاته دفعته خاطبةٌ إلى سمسار(٦)
شُغل المشايخ بالمتاب ، وشغلُه بتبدُّلِ الأزواج والأصهار(٧)
فى كلِّ عامٍ همُّه فى طَفْلَةٍ كالشمس ، إن خُطِبتْ فللأقمار(٨)
يرشو عليها الوالدين ثلاثة لم أدر أيُّهمُ الغليظُ الضارى ؟
المالُ حلَّل كلَّ غيرِ محلَّلٍ حتى زواج الشَّيب بالأبكار

١ــ شاطرنهم ، من شاطره الشىء : ناصفه اياه . والعقار : الخمر لانها تعقر العقل ، او لانها تعاقر الدن ، اى تلازمه ــ٢ــ الوالدات : اى اللاتى هن والدات ابنائهم وبناتهم . والحائطات : من حاط الشىء : حفظه وتعهده . والعرض : هو ما يصونه الانسان من نفسه ، او سلفه ، او من يلزمه أمره ، أو هو محل المدح والذم من الانسان . والاسوار : جمع سور ــ٣ــ الفودان : تثنية فود ، وهو معظم الراس مما يلى الأذن ، وقيل : هو ناصية الراس ــ٤ــ الهم : ما يهم به الانسان فى نفسه ، ويقال : رجل هم اى ذو همة يطلب معالى الامور . الاوطار : جمع وطر ، وهو الحاجة ــ٥ــ الناهد : الجارية ارتفع ثديها . والحفد ، بفتح الفاء : جمع حافد وهو ولد الولد ، كالحفيد ــ٦ــ الخاطبة : من تتوسط فى تزويج الرجال من النساء ــ٧ــ المشايخ : اى من أدركتهم الشيخوخة . والمتاب : التوبة ــ٨ــ الطفلة ، بفتح الطاء : الرخصة الناعمة

سَحَر القلوبَ ، فربَّ أمٍّ قلبُها　　من سحره حجرٌ من الأحجار
دفعت بُنَيَّتها لأشأم مضجَعٍ　　ورَمَتْ بها فى غُربة وإسار(١)
وتَعَلَّلَتْ بالشرع ، قلت : كذبتهِ　　ما كان شرعُ الله بالجزار(٢)
ما زُوّجت تلك الفتاةُ ، وإنما　　بيعَ الصِّبا والحسنُ بالدينار
بعضُ الزواج مذمَّمٌ ، ما بالزنا　　والرقِّ إن قِيسا به من عار
فتشتُ لم أرَ فى الزواج كفاءةً　　ككفاءة الأزواجِ فى الأعمار

* * *

أسفى على تلك المحاسنِ كلما　　نُقِلت من (البالى) إلى الدَّوّار
إن الحجابَ على (فروقٍ) جنةٌ　　وحجابُ مصرَ وريفِها من نار
وعلى وجوهٍ كالأهلَّةِ ، رُوِّعَتْ　　بعد السفور ببرقع وخِمار(٣)
وعلى الذوائب وهى مِسْكٌ خولطت　　عند العناق بمثلِ ذَوْبِ القار(٤)
وعلى الشفاه المُحييات ، أماتها　　ريحُ الشيوخ تهبُّ فى الأسحار
وعلى المجالس فوق كل خَميلةٍ　　بين الجبالِ وشاطىءٍ محبار(٥)
تدنو الزوارقُ منه ، تُنزِلُ جؤذَرًا　　بقلادة ، أو شادِناً بسوار(٦)
يرفُلن فى أُزُرِ الحرير تنوَّعتْ　　ألوانُه ، كالزَّهر فى آذار(٧)

---

١ ـ اشام مضجع : أى اشد المضاجع شؤما • والاسار : الأسر ـ ٢ ـ تعلل بالشىء : تلهى به واكتفى • وكذبته : أى كذبت عليه ـ٣ـ وعلى وجوه: أى واسفى على وجوه والأهلة : جمع هلال • والخمار ـ بكسر الخاء : ما تغطى به المراة راسها ـ ٤ ـ الذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الناصية . والقار ، قيل : هو مايسمى بالزفت ـ٥ـ الخميلة : الشجر الكثيف الملتف ، وقيل : الموضع الكثير الشجر • والمحبار : الارض السريعة النبات الحسنة ـ٦ـ الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، تشبه به الحسان لجمال عينيه . والشادن : ولد الظبية ـ ٧ ـ يرفلن ـ من رفل فى ثيابه : اطالها وجرها متبخترا . والأزر : جمع ازار ، وهو كل ما سترك . وآذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية .

الطاهراتُ الَّلحظِ ، أمثال المها   الناطقاتُ الجرْس كالأوتار(١)
الدهرُ فرَّقَ شملهن ، فمُر به   يا ربُّ تجمعُه يدُ المقدار

أبو الهـول*

أَبا الهَوْلِ ، طالَ عليكَ العُصُرْ   وبُلِّغْتَ فى الأَرْضِ أقصى العُمُرْ(٢)
فيالِدةَ الدَّهر ، لا الدَّهرُ شَـــبَّ ، ولا أنت جاوزتَ حد الصِّغَر(٣)
إلامَ ركوبُكَ متنَ الزما   نِ لِطَيِّ الأَصيل وَجَوْبِ السحر؟(٤)
تُسافر منتقلا فى القرو   نِ ، فأَيان تُلقِى غُبارَ السفر ؟
أَبينكَ عَهدٌ وبين الجبا   لِ ، تزولان فى الموعد المنتظر؟(٥)

١ — المها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية . والجرس : الصـــوت .

* رفع الستار فى مسرح حـديقة الأزبكية يوم افتتاحـه عن تمثال ابى الهول ، يناجيه رجل بهذه القصيدة . —٢— « طال عليـــك العصر » العصر والعصر والعصر والعصر : الدهـــر . فالعصر — هنا — مفـرد لا جمـــع . ومعنى طول الدهر على ابى الهول : أنه عمر اعمارا طوالا . وقد أوضـــح ذلك مع زيادة فى التوكيد بقـــوله : وبلغت فى الأرض اقصى العمـــر . والعمر — بضم العين والميم — لغـــة فى العمر —٣— « فيالدة الدهر » : فيا أخا الدهر وقرينه ، فكأنك والدهر توأمان ، خلقتما معا فى أوان . والبيت كما تـــرى آية فى الابـــداع وروعـــة البيان . « ولا انت جـاوزت حـــد الصغر » : أى برغم انك بلغت فى الأرض أقصى العمر . —٤— « الام ركوبك » . الى : من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية ، فبينت بنـــاء كلمـــة واحدة ، وسقطت الألف من «ما» طلبا الخفة واعتدادا بالى الموصولة بهـــا . وكذلك يفعلون فى بم وفيم ومم ، ولا يفعلون ذلك بما الخبرية ، ومن العرب من يقف على مثل هذا بالهاء ، فيقولون الامه وعمه وفيمه ولمه — هـــذا وانه لتصوير شعرى بديع رائع ، تصـــوير أبى الهول راكبا متن الرمال ، يطوى الليل والنهار ، ويسافر متنقـــلا فى القرون والأدهار . و « جوب » فى معنى طى . —٥— « فى الموعـــــد المنتظر » : يـــوم يـــزول كل شىء ، اى اليوم الآخر .

أَبا الهول ، ماذا وراء البقا ءِ – إذا ماتطاول – غيرُ الضجَر؟(١)
عجبْت لِلُقمانَ في حِرصه على لُبَد والنُّسور الأُخَر(٢)
وشكوى لبيدٍ لطولِ الحيا ة ، ولو لم تَطُلْ لتَشكَّى القِصَر(٣)

---

١ — « ماذا وراء البقاء » . يقول:ماوراء البقاء المتطاول غير السأم .
قال زهير بن ابى سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

٢ — « لقمان » : هو لقمان بن عادياء ، وتزعم العرب انه الذى بعثته عاد فى وفدها الى الحرم ليستسقى لها ، فلما أهلكوا ، خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر ، من أظب عفر ، فى جبل وعر ، لايمسها القطر ، أو بقاء سبعة انسر ، كلما اهلك نسر خلف بعده نسر ، فاستحقر الابقار وآثر النسور ، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له : ياعم ، ما بقى من عمرك الا عمر هذا ، فقال لقمان : هذا لبد ، ولبد — بلسانهم : الدهر . قالوا : وكان يأخذ فرخ النسر ، فيجعله فى حوبة فى الجبل الذى هو فى أصله ، فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر، فاذا مات اخذ آخر مكانه ، حتى هلكت كلها الا السابع ، أخذه فوضعه فى ذلك الموضع وسماه لبدا ، وكان أطولها عمرا ، فضربت العرب به المثل فقالوا : طال الأبد على لبد ، قال الأعشى :

وانت الذى ألهيت قيلا بكأسه ولقمان اذ خيرت لقمان فى العمر
لنفسك أن تختار سبعة أنسر اذا ما مضى نسر خلوت الى نسر
فعمر حتى خال أن نسوره خلود وهل تبقى النفوس على الدهر؟

فعاش لقمان — كما زعموا — ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، وقال النابغة :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا اخنى عليها الذى اخنى على لبد

وهذا لقمان بن عادياء ، غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن الكريم .

٣ — « وشكوى لبيد » : اى وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة ... الخ ، وهو لبيد بن ربيعة ، الشاعر الجاهلى الاسلامى المخضرم ، صاحب المعلقة المشهورة التى أولها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

كان لبيد من المعمرين ، روى أنه مات وهو ابن مائة واربعين ، وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية ، أما شكواه التى المح اليها ، فذلك حيث يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد؟

يقول : اذا لم يكن وراء البقاء المتطاول الا الضجر ، فانى اعجب للقمان فى حرصه على أن تطول حياته ، وللبيد الذى ان مل الحياة وسئم من طولها ، فانه لا محالة كان اكثر شكاة اذا هى لم تطل ، لأن حب الحياة جبلة مركوزة فى الطباع .

ولو وُجِدَتْ فيكَ يابنَ الصّفا ةِ لحقتَ بِصانِعكَ المقتدر(١)
فإن الحياةَ تفلُّ الحديـ ـدَ إذا لبستْهُ ، وتُبلى الحجَر(٢)

* * *

أبا الهول ، ما أنتَ فى المُعضِلا تِ ؟ لقدضلَّتِ السُّبلُ فيكَ الفِكَر!(٣)
تحيَّرتِ البدوُ ماذا تكو نُ ؟ وضلَّتْ بِوادى الظنونِ الحضر(٤)
فكنتَ لهم صورةَ العُنفُوا نِ ، وكنت مِثالَ الحِجَى والبصر(٥)
وسِرُّكَ فى حُجْبه كلما أطلَّتْ عليه الظنونُ استتر(٦)
وما راعهم غيرُ رأس الرجا لِ على هيكلٍ من ذوات الظُّفُر
ولو صُوِّروا من نواحى الطِّبا ع تَوالَوْا عليك سِباعَ الصُّوَر(٧)
فيارُبَّ وجهٍ كصافى النميـ ـرِ تشابَه حامِلُه والنَّمِر(٨)

---

١ ــ « وجدت » اى الحيــاة . « يابن الصفاة » . الصفاة : الحجر الصلد الذى لا ينبت شــيئا ، وفى المثل : فلان ماتندى صــفاته ، وفى الحديث : لا تقرع لهم صــفاة ، اى لا ينالهم احد بسوء وابو الهـول ابن الصفاة ، لأنه من الحجر . (لحقت . الخ) : أى لأدركك الموت ــ ٢ ــ فان الحياة : من المعانى المبتكرة التى لا نظن صاحب الديوان قد سبق اليها عــلى هذا الوجه ــ٣ــ ما انت فى المعضلات : خبــرنى اى معضــلة انت فى المعضلات واى معمى ! ــ ٤ ــ تحيرت ، يقول : حار الناس قاطبة فى امــرك حاضرهم والبادى ــ٥ــ صــورة العنفوان لما ينطوى عليه جسمك الذى صور على صور الاسد من معــانى القوة . (مثال الحجى والبصر) لمــا ينم عنه وجهك وراسك المصوران على صورة وجه الانسان من معانى الفطنة والبصر بالأمور ــ٦ــ يقول : ومع ذلك لا يزال سرك مكتنا فى حجبــه والناس من أمرك فى ظلام ــ٧ــ ولو صوروا : اى ما كان ينبغى أن يــروع الناس منك أن كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر ، لأن الناس لو صوروا من نواحى شيمهم وطباعهم لتــوالوا عليك كانهم وحوش ، وهــذا معنى حسن بديع ، وقد زاده حسنا وأكده بقوله : فيارب وجه كصــافى النمير ــ٨ــ النمير : الماء الناجع فى الرى : أو النامى ، أو الكثير . والنمر : هو ذلك الحيوان المعــروف بمــكره ، وخبثه ، وشراسته . وهذا البيت من جوامع الكلم وروائع الحكم ، ولا يخفى ما فيه من الجناس بين النمير وبين النمر . وللشعراء فيما يتصل بهــذا المعنى ويقاربه ما يخطئــه العـد والاحصاء ، فمن ذلك ما يقول القائل :

أبا الهول وَيْحَكَ لا يُستقلْ ... لُ مع الدهر شيء ولا يُحتقَر(١)
تهزأتَ دهرًا بديك الصبا ... ح فنقّرَ عينيك فيما نقَر(٢)

= لايغرنك ما ترى من أناس ... ان تحت الضلوع داء دويا

ويقول الابيوردى :

يلقاك ، والعسل المصفى يجتنى ... من قوله ، ومن الفعال العلقم
يبدى الهوى ويثور — ان عرضت ... له فرص — عليك كما يثور الارقم

ويقول الشريف الرضى :

لاتجعلن دليل المرء صورته ... كم مخبر سمج عن منظر حسن

ويقول :

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه ... أبى بعد طول العمر ان يتقوما
تقبلت منه ظاهرا متبلجا ... وأدمج دونى باطنا متجهما
ولو أننى كشفته عن ضميره ... أقمت على ما بيننا اليوم ماتما

وقال آخر :

يعطيك ودا صادقا بلسانه ... ويجن تحت ضلوعه الوانا

وقال أبو فراس :

وقد صار هذا الناس الا أقلهم ... ذئابا على اجسادهن ثياب

وقال آخر :

ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم ... نزلت بواد منهم غير ذى زرع

ويقول أبو تمام :

ان شئت أن يسود ظنك كله ... فاجله فى هذا السواد الأعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا ... متبسما عن باطن متجهم

١ — لا يستقل : لا يعد قليلا ،وهذا البيت كالتمهيد لما بعده
—٢— ديك الصباح : يريد الزمن ،والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، وانه لتخيل شعرى جميل ، ومن بارع حسن التعليل ان جعل سبب عبث الدهر بابى الهول وتشويهه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما ،هو هزء أبى الهول به ، وسخريته منه ، وعدم اكتراثه له ، ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح . هذا ، ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول : انه ورد فى بعض الآثار : لاتسبوا الديكة فانها تدعو الى الصلاة . ولابن المعتز :

بشر بالصبح هاتف هتفا ... هاج بالليل بعد ما انتصفا
مذكر بالصبوح هاتنا ... كخاطب فوق منبر وقفا =

أسال البياضَ وسَلَّ السَّوادَ   وأوْغل مِنقارُه فى الحفَر
فعُدْتَ كأنك ذو المَحْبِسَيْـ   ـنِ ، قطيعَ القيام ، سَليبَ البصر(١)
كأن الرِّمالَ على جانِبَيْـ   ـكَ وبين يديك ذُنوبُ البشر
كأنك فيها لواءُ الفضا   ءِ على الأرضِ ، أو دَيدبانُ القدَر(٢)
كأنكَ صاحبُ رملٍ يَرى   خبايا الغيوبِ خِلال السَّطَر(٣)

* * *

أبا الهول ، أنت نديمُ الزما   نِ ، نَجِيُّ الأوانِ ، سميرُ العُصُر(٤)

= صفق أما ارتياحة لسنا الـ   فجر واما على الدجى أسفا
وللمعرى :

أياديك ، عدت من اياديك صيحة   بعثت بها ميت الكرى وهو نائم
هتف ، فقال الناس : أوس بن مغير   أو ابن رباح بالمحلة قائم

الى أن يقول :

عليك ثياب خاطها الله قادرا   بها رثمتك العاطفات الروائم
وتاجك معقود ، كأنك هرمز   يباهى به أملاكه ويوائم
وعينك سقط ما خبا عند قرة   كلمعة برق مالها الدهر شائم
ومازلت للدين القويم دعامة   اذا قلقت من حامليها الدعائم

أوس بن معير : هو مؤذن رسول الله بمكة بعد الفتح ، وابن رباح : هو بلال ، كان يؤذن لرسول الله سفرا وحضرا . ورثتمك : عطفت عليك ولزمتك . ويوائم : يوافق ويلائم . والسقط : ما سقط من النار بين الزندين قبل استحكام الورى : والقرة : البرد . ـ ١ ـ المحبسين . المحبس : الموضع الذى يحبس فيه ، وكان يقال عن ابى العلاء المعرى : رهين المحبسين ، اى رهين عماه وبيته ، فكانه من عماه فى محبس ، وكذلك ابو الهول ، عده شاعرنا بعد ان نقر ديك الصباح عينيه كانه من عماه وسكونه فى محبسين ـ ٢ ـ ديدبان : فارسية ، معربة . أصلها ديده بان ، ومعنى ديده : العين ، وبان : اى ذو ، اى الرقيب والعين ، ومعناها الخاص الجندى المكلف بالحراسه . ـ ٣ ـ السطر : السطر . والسطر : الصف من الكتاب والشجر ونحوهما . ومعنى البيت ظاهر ـ ٤ ـ نجى الأوان : النجى بوزن فعيل : الذى تساره ، وفى الحديث : اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك ، وهو الناجي المحدث للانسان .

بسطت ذراعيْك من آدمٍ ووليّتَ وجهَكَ شَطرَ الزُّمَر(١)
تُطِلُّ على عالَمٍ يستهِلُّ وتُوفِى على عالَمٍ يُحْتَضَر(٢)
فعينٌ إلى مَن بدا للوجودِ ، وأُخرى مشيِّعةٌ من غَبَر(٣)
فحدِّث ، فقد يُهتدى بالحديثِ ، وخبِّر ، فقد يؤتَسَى بالخبَر(٤)
ألم تَبْلُ فرعونَ فى عِزِّه إلى الشمس مُعتزياً والقمر ؟(٥)
ظليلَ الحضارة فى الأوليِنَ ، رفيعَ البناء ، جليلَ الأثر(٦)

---

١ — من آدم : ام من قديم القديم . والزمر : جمع الزمرة : الجماعة من الناس ، والمراد هنا الناس جميعا —٢— يستهل : يعنى يقدم على الدنيا ، من استهل الصبى بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة . ويحتضر : حضر فلان واحتضر اذا نزل به الموت —٣— واخرى مشيعة من غبر : من مضى ، وان هذا البيت لمشبع من الروعة والجلال . —٤— فحدث : هذا البيت هو كالمدخل لما بعده —٥— ألم تبل فرعون : بلاه يبلوه بلوا وابتلاء : جربه واختبره . وفرعون : لقب يطلق على كل من ولى ملك مصر ، كالنجاشى لملوك الحبشة ، وقيصر لملوك الرومان . وفرعون أصلها فى الهيروغليفية مركبة من بى ، وهو اداة التعريف كأل ، ورواع اى الشمس فتكون كلمة واحدة . ورواع او راهو : معبود قوى ، وحاكم جبار ، يقاتل احتفاظا بالحياة ، وابقاء على الكون . ومن هنا كان العتو والجبروت وما فى معناهما من مدلولات كلمة فرعون عند العرب ، واذن لا يقصد بفرعون فرعونا معينا ، ولكن جميع فراعنة مصر ، وقد ابتلاهم ابو الهول . الى الشمس معتزيا ، تقول : الم تبل يا أبا الهول فرعون وهو فى عزه ، حتى لكانه من العز والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر ، لان من اعتزى الى شىء قاربه وشاكله ، وقد كان اكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صورة اوزيريس الشمس ، وايزيس القمر ، لانهما من اصنامهم ، فلعله يشير الى هذا مع ارادة معنى العز والمنعة —٦— ظليل الحضارة : مكان ظليل : ذو ظل دائم يستظل به يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ، ويرتعون فى ذراها وكنفها ، والحضارة ، بكسر الحاء وفتحها : الاقامة فى الحضر . والحضر والحضرة والحاضرة : خلاف البدو والبادية ، وهى المدن والقرى والريف ، سميت بذلك لان اهلها حضروا الامصار ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار ، قال القطامى :

فمن تكن الحضارة اعجبته فاى رجال بادية ترانا

وقال المتنبى :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب

ولكن الحضارة هنا بمعنى التمدين .

يؤسِّسُ في الأرض للغابريـ ... نَ ، ويغرِسُ للآخرين الثَّمر(١)
وراعك ما راعَ من خيْل قَمْبيـ ... زَ ، ترى سَنابكُها بالشرَر(٢)
تواريْتُ بالنارِ تغزو البلا ... دَ ، وآونةً بالقنا المشتجِر
وأبصرْتَ إسكندرًا في المَلا ... قَشيبَ العلا في الشباب النَّضِر(٣)

---

١ — « للغابرين » الغابـــر : من الاضداد ، فيكون بمعنى البـــاقي ، ويكون بمعنى المـــاضي ، ومن ثم يكون معنى البيت : أما ان فرعون يخلد ذكر الماضين باقامة الاثار لهم والتماثيـــل ، ويغرس للاتين ما يجنـــون ثمــــره من نور العلم والعرفان وما اليها ، واما أن فرعون يؤســس ويغـــرس لهم كل ما يجدى ويثمر —٢— « قمبيـــــز » :هو ابن كورش الأكبر الذى اســـــس دولة الفرس العظيمة ، ومعلـــوم ان الفرس من الدول التي غزت مصر ، واستولت عليها حينا من الدهـــر ،قال المؤرخون : اخذ الفرس في غـــزو مصر ازمان الأسرة السادســـــــة والعشرين ، وذلك حـــين ولى الملك « ابسمتيك الثالث » أحد ملوك هـــذه الأسرة ، فأعد الفرس لهذه الغـــزاة المعدات الكبيرة ، وجـــاء ملكهـــم « قمبيز » بجيش جرار ، لفتح البلاد التى طالما تاقت نفس ابيه كورش الى اخضاعها ، وكانت مصر اذ ذاك حصينة غاية في المنعة . يقول مؤرخو الاغريق :ان أحد الجنود اليونانية : هو الـــذى خان مصر والمصريين ، ودل الفـــرس على اســـــهل الطرق التى يمكنهـــم بواسطتها ان يدخلوا البـــلاد . فهوجمت مدينه « بلوز » (الفـــــرما) بحرا ، وزحفت الجنود الفارسية على مصر برا ، وبعد مقاومة عنيفة جهتى بلوزومنف ، سقطت البلاد ، واخـــذ قمبيز ابسمتيك أســـيرا ، وكان ذلك سنة ٥٢٥ ق.م ، ثم سار قمبيـــــز أول أيامه سيرة حسنة ، وعـــــامل المصريين معاملة طيبة ، يحترم دياناتهم وتقاليدهم ، ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر ، وحنق على البـــلاد ومن فيها ، فكر على المعابـــــد والهياكل ، فهدمها ، وقتل بيده العجـــل ابيس اثناء احد الاحتفالات الكبيرة ، وعند عودته الى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق . م ، ولما ولى ملك فارس دارا الأول زار مصر ، واراد ان يصلح ما افسده قمبيز ، فابدى احتراما كبيرا لديانة المصريين ومعبوداتهم ، وشـــيد هيكلا عظيما للمعبود آمون بواحة ســــــيوة الكبرى ، وعضد التجارة ، وشيـــــد كثيرا من المدارس ، وفتح الخليـــــج الموصل مابين النيل والبحر الاحمر ، ورأى المصريون آخر ايامه ما لحقه من الخسائر في واقعة « مرتون » في حربه مع الأغريق ، فخرجـــــوا عن طاعته ، وطردوا الفرس من البـــــلاد بقيادة احد الأمراء الوطنيين ســــــنة ٤٨٦ ق.م ، ثم غزا الفـــــــرس مصر ثانية ، وما زالوا بها حتى طـــــردهم المصـــــريون ســـــــــنة ٤٠٥ ق.م —٣— « اسكندر » : هو الاســــكندر الاكبر المقدونى الفاتح العظيم ، قـــال المؤرخون : بعد ان هـــزم الاسكندر الفرس في واقعة اسوس ، زحف على مدينة صور ، فاخذهـــــا عنـــوة =

تبلّجَ في مِصرَ إكليلُه فلم يَعْدُ في المُلْك عُمْرَ الزَّهَر(١)
وشاهدتَ قيصرَ ، كيف استبــــــدَّ ، وكيف أذلَّ بمصرَ القَصَر؟(٢)
وكيف تجبّرَ أعوانُه وساقوا الخلائقَ سوْقَ الحُمُر ؟
وكيف ابتُلوا بقليل العديـ ـدِ من الفاتحين كريم النفَر ؟

= وبذلك تم استيلاؤه على الشام ، ثم قدم الى مصر ، وكان الفرس قد استدعوا حاميتها منها بسبب حروبهم مع الاسكندر ، فلما وصل الاسكندر الى « بلوز » (الفرما)سنة ٣٣٢ ق٠م٠ رحب به المصريون ، لما سمعوه عن عدالة حكمه ، ولما لاقوه من الذل والهوان فى حكم الفرس ، ففتحت له مصر أبوابها ، ودخلها دون عناء ، حتى ان الوالى الفارسى لم يجرؤ على مقاومته ، وقابله فى منف بترحاب ، ومن ثم سار الاسكندر الى واحة آمون الكبرى ، ودخل معبد آمون ، ولقبه الكهنة بابن امون : فاحترم ديانة المصريين ، وقدم القرابين لمعبوداتهم ، ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية ، فادخل منها فى مصر الموسيقى والألعاب النظامية . ولما رای الاسكندر أن قرية « راقوده » ــ وهى قرية صغيرة كانت بقرب الاسكندرية ــ ذات موقع بحرى موفق ، أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هى الاسكندرية ، وبعد ان استوثق الأمر للاسكندر فى مصر ، خرج الى فتوحاته الاخرى فى المشرق ، وكانت وفاته سنة ٣٢٣ ، وكان عمره اذ ذاك ٣٢ سنة ونيفا ، ولم يقم بمصر كما ترى الا قليلا ، فذلك حيث يقول فى البيت التالى* فلم يعد فى الملك عمر الزهر * وخلف الاسكندر على مصر البطالسة ، وما زالوا بها الى ان استولى الرومان عليها .

١ ــ اكليله : تاجه ٠ ــ ٢ ــ قيصر: أسلفنا ان قيصرا هذا لقب ملوك الرومان ، قال المؤرخون : ما كادت دولة الرومان تظهر بين ممالك الأرض، حتى أخذت العلائق تنشأ بينها وبين البطالسة فى مصر ، ولبثت بين الدولتين مدة طويلة من ايام مجد البطالسة الى انقراضهم ، تطورات أثنائها فى عدة أطوار: ابتدأت بمصادقة الرومان للبطالسة ، ثم انتقلت الى حمايتهم لهم ، ثم السيطرة عليهم ، ثم انتهت باستيلائهم على مصر سنة ٣٠ ق٠م فى عهد اغسطس ، ودخلت مصر باستيلاء الرومان عليها فى عهد خمول سياسى طويل ، امتد نحوا من ٦٧ سنة ، لم يكن لها فيها شىء يذكر فى التاريخ ، بل كانت كحقل لانتاج الحبوب وتصديرها الى رومية ، لسد أهم جزء من الخراج ، وما زال الرومان بمصر حتى أدال الله منهم بالعرب سنة ٦٤١ م على يد عمرو بن العاص ، فذلك حيث يقول « وكيف ابتلوا بقليل العديد .. الخ » ، القصر : اى الأعناق ، قال الشاعر :

لاتدلك الشمس الا حذو منكبه فى حومة تحتها الهامات والقصر

رَن تاجَ قيصرَ رَمْىَ الزُّجا ج ، وفَلَّ الجموعَ ، وثَلَّ السُّرُر(١)
فابع كلُّ طاغيةٍ للزما نِ ، فإن الزمانَ يُقيم الصَّعَر(٢)
رأيتَ الدِّيانات فى نظمِها وحينَ وَهَى سِلكُها وانتثر(٣)
تُشاد البيوتُ لها كالبرو ج ، إذا أخذَ الطرْفُ فيها انحسر(٤)
تَلاقى أساساً وشُمُّ الجبا لِ ، كما تتلاقى أصولُ الشجر(٥)
وإيزيسُ خلْفَ مقاصيرِها تخطَّى الملوكُ إليها السُّتُر(٦)
تضىء على صفحات السما ء ، وتُشرقُ فى الأرض منها الحُجَر(٧)

١ — رمى : أى هذا النفر القليل ،وهم اصحاب عمرو بن العاص . وفل الجموع : هزمها . وثل السرر :كسرها . والسرر : جمع سرير ، والمراد هنا العروش التى يجلس عليها القياصرة —٢— الصعر : ميل فى العنق وانقلاب فى الوجه الى احد الشقين ، وقد صعر خده ، اماله من الكبر ، قال المتلمس :

وكنا اذا الجبار صعر خده أقمنا له من ردئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر : يعدل الطغاة،يقال : اقمت الشيء فقام : اى استقام

٣ — فى نظمها وحين وهى سلكها :فى حالتى قوتها وضعفها —٤— انحسر : كل ، والبصر يحسر عند اقصى بلوغ النظر —٥— تلاقى : تتلاقى ، بحذف احدى التاءين ، يريد أنها راسخة رسوخ الجبال —٦— ايزيس : هى من معبودات قدماء المصريين ، وهى اخت اوزيريس ، وزوجته فى الوقت نفسه وام عوروس وهارپوقراط . يرى قدماء المصريين ان ايزيس هذه وليت امر مصر مع اخيها وزوجها اوزيريس حينا من الدهر ازدهرت فيه الزراعة ، ويؤخذ من تقاليد ايزيس انها عندهم رمز للقمر . واوزيريس رمز الشمس ، ومن هنا يريد « بايزيس » القمر . وقوله : « تخطى » أى تتخطى ، بحذف احدى التاءين —٧— قوله « تضىء على صفحات السماء » : اى ايزيس بمعنى قمر السماء الحقيقى . وقوله «وتشرق فى الارض منها الحجر » ، اى القمر ،بمعنى المعبود فى الارض . وعلى ذلك يكون فى الكلام استخدام ، وهو عند علماء البيان أن يراد بلفظ له معنيان احدهما ، ثم يراد بضميره الآخر ، أو يراد باحد ضميرين احدهما ، ثم بالآخر الآخر فالأول كقول معوذ الحكماء :

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه ، وان كانوا غضابا

فانه أراد بالسماء الغيث ،وبضميره النبت ، والثانى كقول البحترى :

وآبيسُ في نِيرِهِ العالمو ن ، وبعضُ العقائدِ نِيرٌ عسِر(١)
تُساس به مُعْضِلاتُ الأُمو ر ، ويُرجى النعيمُ ، وتُخشى سقر
ولا يشعُرُ القومُ إلّا به ولو أخذته المُدى ماشعر
يَقِلُّ أبو المسكِ عَبدًا له وإن صاغَ أحمدُ فيه الدُّرَر(٢)
وآنستَ موسى وتابوتَه ونورَ العصا ، والوصايا الغُرَر(٣)
وعيسى يَلُمُّ رداء الحيا ء ، ومريم تجمع ذيلَ الخَفَر(٤)
وعمرو يسوقُ بمصرَ الصِّحا بَ ،ويُزْجِي الكتابَ ،ويحدو السُّوَر(٥)

= فسقى الغضا والساكنية وانهم شبوه بين جوانح وقــلوب
فانه أراد بضمير الغضا فى قوله« والساكنيه » المكان ، وفى قـوله « شبوه » أى أوقدوا الشجــر •والحجر : جمع حجرة كغرفة وغرف .

١ ــ وآبيس : هو العجــل أبيس ،رووا أن تيفون اله الشر تغــلب اخيرا على أوزيريس اله الخير وقتـــله ،فتقمصت روحه جسد عجل ، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصــب والتوليد الخلقى ، وكانوا يعتقدون ان العجل الذى تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت به ، بواسطة شـــعاع من الشمس وشعاع من القمر ، وله علامات ظاهرة فى جسده ، فانه يكون أسود اللون ، وفى جبهته سمة بيضاء مربعة او مثلثة ، وصــورة نسر على ظهره ، وصورة خنفساء تحت لسانه، وكان الكهنة عندما يجدون العجل بعد موت سلفه ، يركبون مركبة حــربية ،ويسيرون به باحتفــال عظيم الى هليوبوليس ، وكانوا يضعونه فيها فى هيكل يتركونه مفتوحا للعبادة اربعين يوما ، وكان الاهالى عند موته ينوحون ويلبسون ثوب الحداد ، ويضـعونه فى تاووس ثمين جدا ، وكانــوا يقومون بالاحتفال بأيامه المقدسة كل سنة عند ارتفاع النيل ، وذلك باقامــة الولائم والافراح ، وكانوا يطرحون فى ذلك الوقت اناء من الذهب فى النيــل ،لاخماد غضب التماسيح ، « فى نيره» النير : هو الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقرونين بالحراثـة بأداتها ؛ وهم يقولون : فلان تحت نير فلان ، يريدون الخضوع والاستخذاء .

٢ ــ أبو المسك : كافور الأخشيدى « واحمد » : ابو الطيب المتنبى •

٣ ــ التابوت الذى وضع فيه موسى وقذف به في النيل ، وعصــا موسى وما كان منها من الايات ، والوصـــايا العشر . كل أولئك معروف فلا حاجـة بنا الى الافاضة فيه ــ٤ــ « وعيسى يلم رداء الحياة » . يقول : وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياة ، ومثله فى ذلك العذراء ــ٥ــ « وعمــرو » • يقول : وقد رايت عمرو بن العاص اذ يسوق المسلمين لفتح مصر ، ويزجي كتاب الله وآياته .

فكيف رأيتَ الهُدى ، والضَّلا لَ ، ودنيا الملوكِ ، وأُخرى عُمَر ؟(١)
ونبْذَ المُقَوْقِسِ عهدَ الفُجو رِ ، وأَخذَ المقوقسِ عهدَ الفجر(٢)
وتبديلَه ظلماتِ الضلا لِ بصبح الهداية لما سَفر(٣)
وتأْليفَه القِبطَ والمسلمي ن كما أُلِّفتْ بالولاء الأُسَر(٤)
أَبا الهول ، لَو لم تكن آيةً لكان وفاؤك إحدى العِبر(٥)
أَطلتَ على الهرمين الوقو فَ ، كثاكلة لا تَريم الحفر(٦)
تُرجِّى لبانيهما عودةً وكيف يعودُ الرميم النَّخِر ؟(٧)
تجوس بعين خِلالَ الديا رِ ، وترمى بأُخرى فضاءَ النهر(٨)
تروم بمنفِيس بيضَ الظُّبا وسُمْرَ القنا ، والخميسَ الدثر(٩)

---

١ ــ فكيف رايت . يقول : خبرني يا ابا الهول كيف رايت فــرق ما بين هدى المسلمين واخرى عمر ، اى دنياه التى كانها الاخرى فى الاصــلاح وما اليه من كل ما كان ماثلا أيام الفاروق رضى الله عنه وأرضـــاه ، ومـــا بين الضلال ودنيـــا الملوك من القياصرة والفـــرس والروم ومن اليهـــم .

٢ ــ « المقوقس » : هو سيروس ،بطريق الطائفة الملكانية بالاسكندرية ، والحاكم الادارى بمصر من قبـــل الرومان ، والذى فتح عمرو بن العاص مصر فى عهده ، وفى المقـــريزى : انه يسمى المقوقس بن قـــرقفت ، ولعله محرف عن سيروس . عهد الفجـــور عهد الانحراف عن الصراط الســـوى ، عهد الاسراف فى المعاصى والاثام ، عهد الرومان الذى استبدل به المقوقس . عهد الفجر : اى عهد الخير العميم ، عهد النور ، عهد التقى والاصـــلاح ، عهد الاسلام ، اذ مالأ المسلمين ، وعبد لهم طريق الفتح .

٣ ــ وتبديله : فى معنى البيت قبله : « لما سفر » سفر الصـــبح واسفر : أضاء ــ٤ــ وتاليفه : اى المقوقس . والأسر : جمع الأسرة ، وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأدنون ــ٥ــ احدى العبر : احدى الايات ــ٦ــ اطلت .. الخ : بيان لوفاء أبى الهول ، كثاكلة . يقول : انك فى اطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك ، كثاكلة ولدها ، لا تبـــرح قبـــره ولا تزايله ، والثاكلة هى التى فقدت ولدها . ولا تريم : أى لا تبرح والحفر : جمع حفرة ، وهى ما يحفر فى الأرض ، والمراد بها هنا القـــبر ــ٧ــ لبانيهما : اى لبانى الهرمين . ــ٨ــ تجـــوس : تطوف وتتخلل . والنهر والنهر : واحد الأنهـــار : يعنى نهر النيل ــ٩ــ تروم : تنشد وتطلب . ومنفيس : منف ، وموضعها اليـــوم البدرشين وميت رهينة : هى عاصمة ملـــك الفراعنة ، والـــذى بنـــاها هو مينا مؤسس الأسرة المالكة ، وكانت قال شاعرنا :

=

ومَهْدَ العلومِ الخطيرَ الجلا لِ ، وعهدَ الفنون الجليلَ الخَطر

فلا تستبين سوى قريةٍ أَجَدَّ محاسنها ما اندثر(١)

= ومهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر

ولا يخفى ما في هذا البيت من العكس ، والعكس هذا من المحسنات البديعية ، وهو أن تقدم في الكلام جزءا ، ثم تعكس ، فتقدم ما اخرت ، وتؤخر ما قدمت ، مثل قول الحماسي :

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

وقول ابى الطيب :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولامال في الدنيا لمن قل مجده

وقول الآخر :

ان الليالى للانام مناهل تطوى وتنشر دونها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

الخميس الدثر : الجيش الكثير . يقول انك ياابا الهول لأوفى الاوفياء اذ كانى بك وقد فقدت تلك الحضارة الباهرة ، والمدنية الزاهرة ، التى تحليت بها حينا من الدهر ، وشاهدت عصرها الذهبى ، ثم ذهبت ، وذهب أهلوها ، وأصبحت منفردا وحيدا

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

فأبى عليك وفاؤك الا ان تطيل الوقوف على الهرمين ، شأن الثكول فقدت وحيدها ، فأبى عليها وجدها أن تريم قبره ، وكأنك فى وقوفك هذا ، ترجى لبانى الهرمين عودة تعود معها تلك المعانى الساميات ، وتنشد بمنفيس — وهى منك عن كثب — عهد القوة والعظمة والسلطان ، وعهد العلوم والعرفان ، وعهد الفنون الخطير الجلال مما رأيت فى الزمن الخالى ، فلا تصيب شيئا من ذلك ، ولا تقع عينك من منفيس هذه ، الا على قرية قد اندثرت ، ودمنة قد عفت ، تكاد لاغراقها فى الجمود ، اذا الأرض دارت بها لم تدر . فترى فى هذه الأبيات صورة ابى الهول فى وقوفه هذا ، صورة شعرية آية فى الابداع والتخيل الشعرى ، ثم ترى فيها وصف عظمة المصريين ، وأن مصر كانت مهد الحضارة والتمدين ، ولا جرم فقد أمها ، وجاور فيها للاستفادة أمثال ليكرغ وصولون من كبار المتشرعين ، وفيثاغورس وافلاطون واقليدس من شيوخ الفلسفة ، كما تؤم اليوم بلاد المغرب للمجاورة فيها والافادة منها ، ومن هنا قال بعد ذلك : « فهل من يبلغ عنا الأصول » .

١ — « أجد محاسنها ما اندثر » . يقول : ان طلولها الدوارس ورسومها المندثرة البوالى أجدت محاسنها . وهو معنى دقيق عجيب ، ولعله ينظر الى قول أبى نوس :

لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ما أقوت وطيب نسيم

تجافى البلى عنهن حتى كأنما لبسن على الاقواء ثوب نعيم

هذا ويجوز أن يكون « أجد » مبتدأ و « ما اندثر » خبر ، أى ان أجد ما بقى من هذه القرية واجله ، هو آثارها الدوارس .

تكاد لإغراقِها فى الجمو ... دِ إذا الأرض دارتْ بها لم تدُر
فهل مَنْ يبلِّغ عنا الأُصو ... لَ بأن الفروع اقتدت بالسير ؟(١)
وأنَّا خَطبنا حِسانَ العلا ... وسقنا لها الغالىَ المدخَر
وأنَّا ركبنا غمارَ الأُمو ... رِ ، وأنَّا نزلنا إلى المؤتمر(٢)
بكل مُبين ٍ شديد اللدا ... د ، وكل أريب ٍ بعيد النظر(٣)
تطالب بالحق فى أمة ... جرى دَمُها دونه وانتشر(٤)
ولم تفتخر بأساطيلها ... ولكن بدستورها تفتخر(٥)
فلم يبقَ غيرُك من لم يَخِف ... ولم يبقَ غيرُك من لم يَطر
تحرَّكْ أبا الهَول ، هذا الزما ... نُ تحرّك ما فيه ، حتى الحجر

* * *

«فلما أتمها أجابه آخر كان يختفى وراء التمثال وينطق بلسانه» :

نَجىٌّ أبى الهول . آن الآوا ... نُ ، ودان الزمانُ ، ولانَ القدر
خبأْتُ لقومِك ما يستقو ... نَ ، ولا يَخبأُ العذبَ مثلُ الحجر
فعندى الملوكُ بأعيانِها ... وعندَ التوابيتِ منها الأثر
محا ظلمةَ اليأس صُبحُ الرجا ... ء ، وهذا هو الفَلَقُ المنتظَر

---

١ — الأصول : أصولنا وآباؤنا الذين وصف . الفروع : نحن المصريين ابناء هذا الجيل . واقتدت بالسير : حذت حذو اصولها ، اذ كان منا فى هذه الاونة ماقصه بعد . —٢— غمار الأمور : شدائدها ، جمع غمرة ،المؤتمر : مؤتمر الصلح الذى عقد على اثر انتهاء الحرب الاوربية العامة سنة ١٩٢٠ الذى فزعنا اليه فى شخص الوفد المصرى —٣— الشديد اللداد : اى الشديد الخصومة والجدل الذى لايغلب · والأريب : العاقل البعيد النظر —٤— تطالب : اى الفروع · ودونه : دون هذا الحق —٥— ولم تفتخر · اى انها مع ذلك لم تعتز بقوتها المادية من جيش واسطول وما الى ذلك . ولكنها تعتز بحقها الطبيعى الذى ليس الابه كيانها.

«ثم انشق صدرُ أبي الهول عن فتى وفتاة ، مَثَلا أمامَه ، وأنشدا هذا النشيد» :

اليوم نَسود بوادينا ونُعيد محاسنَ ماضينا
ويشيدُ العزّ بأيدينا وطنٌ نَفديه ويَفدينا
وطنٌ بالحقّ نُؤيّدُه وبعين الله نشيّده
ونحسّنُه ، ونزيّنُه بمآثرنا ومساعينا
سرُّ التاريخ ، وعُنصرُه وسريرُ الدهرِ ومِنبرُه
وجِنانُ الخلد ، وكوثرُهُ وكفى الآباءَ رياحينا
نتخذُ الشمسَ له تاجا وضُحاها عرشاً وهاجا
وسماءَ السُّؤدَدِ أبراجا وكذلك كان أوالينا
العصرُ يراكُمْ ، والأمم والكرنك يلحظُ ، والهرمُ
أبنى الأوطان ألا هِمَمُ كبناء الأولِ يبنينا ؟
سعياً أبدًا ، سعياً سعياً لأثيل المجد وللعَلْيا
ولنجعلْ مصرَ هى الدنيا ولنجعل مصر هى الدينا

مملكة النحل

مملكةٌ مُدَبَّرَهْ بامرأةٍ مُؤمَّره
تحملُ فى العمال والصناع عبءَ السيطره
فاعجب لعمال يُولُّون عليهم قَيْصَره

تحكمهم راهبةٌ ذَكَّارةٌ مُغَبِّرةٌ (١)
عاقدةٌ زُنَّارَها عن ساقها مُشمِّره
تلثّمت بالأرجوا نِ ، وارتدته مئزره
وارتفعت كأنها شرارةٌ مُطيَّره
ووقعت لم تختلج كأنها مُسمَّره (٢)

* * *

مخلوقةٌ ضعيفةٌ من خُلُق مُصوَّره
يا ما أقلَّ ملكَها وما أجلَّ خطره
قف سائل النحلَ به بأيٍّ عقل دبَّره ؟
يُعجبكَ بالأخلاقِ وهـ ـيَ كالعقولِ جوهره
تغنى قوى الأخلاق ما تغنى القوى المفكِّره
ويرفعُ اللهُ بها مَن شاء ، حتى الحشره

* * *

أليس فى مملكة النحلِ لقومٍ تبْصِره ؟
مُلكٌ بناه أهلُهُ بهمةٍ ومَجْدَره (٣)
لو التمست فيه بطّالَ اليدين ، لم تَرَه
تُقتلُ ، أو تنفى الكُسا لى فيه غيرَ مُنْذَره
تحكم فيه قيصره فى قومها موقَّره
من الرجالِ وقيو دِ حُكمِهم مُحرَّره

---

١ — التغبير ، ترديد الصـــــوت بالقراءة . ـــ٢ــ الاختلاج : الاضطراب
٣ — يقال : هذا الأمر مجدرة ذلك ، أى جدير به .

لا تورثُ القومَ ولو كانوا البنينَ البرَرَه
الملكُ للاناثِ فى الدّستور ، لا للذكره(١)
نيّرةٌ تنزلُ عن هالتها لنيّرهْ
فهل تُرى تخشى الطّما عَ فى الرجال والشّرَه؟(٢)
فطالما تلاعبوا بالهَمَج المصيّره
وعبروا غفلتها إلى الظّهور قنطره
وفى الرجال كرمُ الضعفِ،ولؤمُ المقدره
وفتنةُ الرأى ، وما وراءها من أثَرَه
أنثى ، ولكن فى جنا حَيْها لَبَاةٌ مُخْدِرَه(٣)
ذائدةٌ عن حوضِها طاردةٌ مَن كدّره
تقَلّدتْ إبرتَها وادّرعتْ بالحبَرَه
كأنّها تُركيّةٌ قد رابطت بأنقرُه
كأنّها (جاندرك) فى كتيبة مُعسكِره
تَلقى المُغير بالجنو دِ الخُشُن المنمّره
السابغين شِكّةً البالغين جَسَرَه(٤)
قد نَثرتهم جُعبةٌ ونفضتهم مِئبره(٥)
مَن يَبنِ مُلكا أو يذُد فبالقنا المجرّره
إن الأُمورَ هِمّةٌ ليس الأُمورُ ثرثره
ما الملكُ إلا فى ذرى الـ أَلوية المُنشّره

---

١ — الذكرة : الذكور .
٢ — الطماع : الطمع .
٣ — اللباة : اللبؤة .
٤ — الشكة : السلاح . والجسرة :الجسارة .
٥ — المئبرة : بيت الابرة .

قريَتُهُ مُذْ كان لا يحميه إلا قسوَره(١)
رَبُّ النيوب الزُّرْقِ ، والـ مخالبِ المذكَّره

* * *

مالكةٌ ، عاملةٌ مُصلحةٌ ، مُعمِّره
المالُ فى أتباعها لا تَستبينُ أثره
لا يعرفون بينهم أصلًا له من ثمره
لو عَرفوه عرفوا من البلاء أكثرَه
واتخذوا نقابةً لأمرهم مسيِّره
سبحان من نزَّه عنـ ـهُ ملكهم وطهَّره
وساسه بحُرَّةٍ عاملةٍ ، مسخره
صاعدةٍ فى معملٍ من معملٍ مُنحدِره
واردةٍ دَسْكَرَةً صادرةٍ عن دسكره(٢)
باكرةٍ ، تستنهضُ الـ عصائب المبكره(٣)
السامعين ، الطائعيـ نَ ، المحسنين المهَرَه
من كلِّ من خطَّ البنا ء ، أو أقام أسْطُره
أو شدَّ أصلَ عقدِهِ أو سدَّه ، أو قوَّره(٤)
أو طاف بالماء على جدرانه المجدَّره(٥)

* * *

وتذهب النحلُ خِفا فاً ، وتجيءُ مُوقَره

---

١ ــ القسورة : الاسد ــ٢ ــ الدسكرة : القرية ــ ٣ ــ العصائب : جمع عصابة ــ٤ــ قورالشيء : قطعه من وسطه خرقا مستديرا ــ٥ــ المجــدرة : أى المشيدة .

جوالبَ الشمع من الـ   ـخمائلِ المنوّره
حوالب الماذِىِّ من   زهر الرياض الشيّره(١)
مشدودةٍ جيوبُها   علىَ الجَنى مُزرّره
وكلُّ خُرطومٍ أدا   ةُ العسلِ المُقطَّره
وكل أنف قانئٍ   فيه من الشُّهد بُرَه(٢)
حتى إذا جاءت به   جاست خلالَ الأدوره(٣)
وغيبتْه كالسُّلا   فِ فى الدِّنانِ المحضره(٤)
فهل رأيتَ النحلَ عن   أمانةٍ مُقصِّره ؟
ما اقترضت من بقلةٍ   أو استعارت زَهَرَه
أدّت إلى الناس به   شُكْرَةً بسكره

فى سبيل الهلال الأحمر

جبريلُ ، هلّلْ فى السماء ، وكبِّرِ   واكتبْ ثوابَ المحسنينَ وسطِّرِ
سلْ للفقيرِ على تكرُّمِهِ الغنى   واطلب مزيدًا فى الرخاء لمُوسِرِ
وادع الذى جَعَل الهلالَ شِعَارَه   يفتحْ على أُمَمِ الهلالِ وينصرِ
وتولَّ فى الهيجاء جندَ محمَّد   واقعدْ بهم فى ذلك المستمطَرِ
يا مِهرجانَ البرِّ ، أنت تحيةٌ   لله من ملإٍ كريمٍ خيِّرِ
هم زينوكَ بكلِّ أزهر فى الدّجى   واللهُ زانَكَ بالقَبول الأنْوَرِ

---

١ ـ الماذى : العسل . والشيرة : الجميلة الحسنة ـ٢ـ البرة : الحلقة في الأنف ـ٣ـ الادورة : الديـار ، يراد بها الخلايا هنا ـ٤ـ السلاف : افضل الخمر .

حسُنتْ وجوهُك فى العيون وأشرقتْ ⠀⠀ من كلِّ أبلجَ فى الأكارمِ أزهرِ
كثُرتْ عليك أكفُّهم فى صَوْبها ⠀⠀ فكأنّها قِطَعُ الغمامِ المُمطِرِ
لو يعلمونَ (السوقَ) ما حسناتُها؟ ⠀⠀ بيع الحصى فى السوقِ بَيْعَ الجوهرِ
جبريلُ يَعرِضُ، والملائكُ باعةٌ ⠀⠀ أينَ المساومُ فى الثوابِ المشترى؟
ومجاهدين هناكَ عند مُعسكرٍ ⠀⠀ ومن المهابةِ بين ألفِ معسكرِ
مُوفين للأوطانِ بين حياضِها ⠀⠀ لا يسمحون بها وبين الكوثرِ(١)
عرَبٌ على دينِ الأُبوّة فى الوغى ⠀⠀ لا يطعنون القِرْنَ ما لم يُنْذَرِ(٢)
أَلِفوا مصاحبةَ السيوفِ، وعُوِّدوا ⠀⠀ أخذَ المعاقلِ بالقنا المتشجِّرِ(٣)
يمشون من تحت القذائفِ نحوَها ⠀⠀ لا يسألونَ عن السعيرِ الممطِرِ
فى أعيُنِ البارى، وفوق يمينه ⠀⠀ جَرْحَى نُجِلُّهمُ، كجرحى خَيْبَرِ
من كلِّ ميمونِ الضِّمادِ، كأنّما ⠀⠀ دمُ أهلِ بدرٍ فيه، أو دَمُ حَيْدَرِ(٤)
جذلانُ، هَيِّنةٌ عليه جِراحهُ ⠀⠀ وجِراحهُ فى قلبِ كلِّ غضنفرِ
ضُمِدَتْ بأهدابِ الجفونِ، وطالما ⠀⠀ ضُمدتْ بأعراف الجياد الضُّمَّرِ(٥)
عُوّادُه يتمسّحون بِرُدْنه ⠀⠀ كالوفد مَسَّحَ بالحطِيمِ الأطهرِ(٦)
وتكادُ من نورِ الإلهِ حِبالُه ⠀⠀ تبيضُّ أثناءَ (الهلالِ الأحمرِ)

---

١ — أى لا يسمحون بالكوثر بديلا منها لو خيروا بين حياض نيلها وبينه.
٢ — القرن: الكفء والنظير ٣ — القنا: الرماح، والمتشجر: المشتبك. ٤ — الحيدر: الاسد، ولقب من القاب الامام على بن ابى طالب. والضماد: عصابة الجرح ٥ — الضمر: جمع ضامر، وهو من الخيل القليل اللحم الدقيق. والاعراف: جمع عرف، وهو شعر عنق الفرس ٦ — الردن: أصل الكم.

الأزهـر (*)

قمْ فى فَمِ الدُّنيا وَحىِّ الأزهرا ... وانثُرْ على سَمْعِ الزَّمانِ الجوهرا
واجعل مكانَ الدرِّ – إنْ فصَّلتَه ... فى مدحِهِ – خَرَزَ السماء النيِّرا
واذكرْه بعد المسجِديْن ، مُعظِّمًا ... لمساجِدِ الله الثلاثة مُكْبِرا(١)
واخشع مَليًّا ، واقضِ حقَّ أئمَّةٍ ... طلعوا به زُهْرًا ، وماجوا أبحُرا
كانوا أجلَّ من الملوكِ جلالةً ... وأعزَّ سلطاناً ، وأفخمَ مظْهرَا
زمنُ المخاوفِ كان فيه جَنابُهم ... حَرَمَ الأمان ، وكان ظِلُّهمُ الذَّرا(٢)
من كلِّ بحرٍ فى الشريعة زاخرٍ ... ويُرِيكَهُ الخُلُقُ العظيمُ غضنفرا
لا تَحْذُ حذْوَ عِصابةٍ مفتونةٍ ... يجِدون كل قديم شىءٍ منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا ... من مات من آبائِهم أو عُمِّرا
من كلِّ ماضٍ فى القديم وهَدْمِهِ ... وإذا تقدَّم للبناية قصَّرا
وأتى الحضارةَ بالصناعةِ رَثَّةً ... والعلمِ نَزْرًا ، والبيانِ مُثَرْثِرا(٣)

* * *

يا معهدًا أفنى القرونَ جِدارُه ... وطوَى الليالىَ رَكْبُهُ والأعْصُرا
ومشى على يَبَسِ المشارقِ نُورُه ... وأضاء أبيضَ لُجِّهَا والأحمرا
وأتى الزمانُ عليه يحمِى سُنةً ... ويذُودُ عن نُسُكٍ ، ويمنع مَشْعَرا(٤)

(*) قيلت هذه القصيدة بمناسبة اصلاح الازهر الشريف والبدء فيه فى سنة ١٩٢٤

١ – المسجدان : المسجد الحرام والمسجد الاقصى . – ٢ – الذرا : الملجأ
٣ – النزر : القليل . والمثرثر : المخلط . – ٤ – النسك : العبادة .
والمشعر : موضع مناسك الحج .

فى الفاطميين انتمى ينبوعُه عذبَ الأُصول كجَدّهم متفجِّرا(١)
عينٌ من الفرقان فاض نَميرُها وحياً من الفصحى جَرَى وتحدّرا(٢)
ما ضرَّنى أن ليس أُفقُكَ مَطلعى وعلى كواكِبِهِ تعلمتُ السُّرَى
لا والذى وكَلَ البيان إليكَ ، لم آلُ دون غاياتِ البيانِ مُقصِّرا
لمّا جرى الإصلاحُ قمت مُهنئًا باسم الحنيفةِ بالمزيد مُبشرًا(٣)
نبأٌ سَرَى ، فكسا المنارةَ حَبْرَةً وزها المُصلّى ، واستخفّ المِنبرا(٤)
وَسَما بِأَرْوِقةِ الهُدى ، فأَحلَّها فرعَ الثُّريّا ، وهى فى أَصل الثرى
ومشى إلى الخلقاتِ ، فانفرجَتْ له حلقاً كهالاتِ السماء مُنَوّرا
حتى ظنَنّا الشافِعِىّ ، ومالكاً وأَبا حنيفة ، وابن جنبل حُضّرا
إنَّ الذى جعل العتيقَ مثابةً جعل الكنانىَّ المباركَ كوثرا(٥)
العلمُ فيه مناهِلًا ومجانيًا يأْتى له النُّزاعُ يبغون القِرى(٦)

* * *

يا فِتيةَ المعمورِ ، سار حديثُكم نَدًّا بأَفواهِ الركاب وَعَنبَرا(٧)
المعهدُ القدسِىُّ كان نديُّه قُطبًا لدائرة البلاد ومِحْورا
وُلِدَتْ قضيتُها على محرابِه وَحَبَتْ به طفلًا ، وشبَّتْ مُعصِرا(٨)
وتقدمت تُزجِى الصفوفَ ، كأَنَّها (جانْدَرْكُ) فى يدها اللواءُ مُظَفَّرا

* * *

---

١ ـ جد الفاطميين : امير المؤمنين على بن ابى طالب ، وقد كان مضرب المثل فى التبحر فى العلوم . ـ٢ـ الفرقان : القرآن . والحيا : المطر . والفصحى : اللغة العربية . ـ٣ـ الحنيفة : الشريعة ـ٤ـ المنارة : المئذنة . والحبرة : السرور . ـ٥ـ العتيق : المسجد الحرام . والمثابة : مجمع الزمر . ـ٦ـ النزاع :القصاد والقرى : الضيافة . ـ٧ـ المعمور : الازهر . ـ٨ـ طفلا :اى طفلة ، والمعصر : الفتاة المدركة .

هُزُّوا القرى من كهفِها ورَقيمِها ... أنتم — لعمْرُ اللهِ — أعصابُ القرى
الغافِلُ الأُمِّىُّ ينطقُ عندكم ... كالببَّغاءِ ، مردِّدًا ، ومُكرِّرا
يُمسِى ويصبِحُ فى أوامِرِ دينهِ ... وأمور دنياه بكم مُستبصِرا
لو قلتم : اخترْ للنيابة جاهلاً ... أو للخطابةِ باقلاً ، لتخيَّرا(١)
ذُكِرَ الرجالُ له ، فألَّهَ عصبةً ... منهم ، وفسَّق آخرينَ ، وكفَّرا(٢)
آباؤكم قَرءُوا عليه ، ورَتّلوا ... بالأَمس تاريخَ الرّجال مُزوَّرا
حتى تلفّتَ عن محاجر رومةٍ ... فرأى (عرابى) فى المواكب قَيْصَرا
ودعا لمخلوقٍ ، وألَّهَ زائلاً ... وارتدّ فى ظُلَمِ العصور القهقرى
وتَفَيَّئوا الدستورَ تحت ظِلالِهِ ... كنفًا أَهَشَّ من الرّياض وأنضرا
لا تجعلوه هوًى ، وخُلْقًا بينكم ... ومَجَرَّ دنيا للنفوسِ ، ومَتْجَرا
~~اليومَ صَرَّحَتِ~~ الأُمورُ ، فأَظهرتْ ... ما كان من خُدَعِ السياسة مُضمرًا
قد كان وَجْهُ الرأى أن نبقى يدًا ... ونرى وراءَ جنودِها إنكلترا
فإذا أتتنا بالصفوف كثيرةً ... جئنا بصفٍّ واحدٍ لن يُكسَرا
غضِبتْ ، فغضَّ الطرفَ كلُّ مُكابرٍ ... يلقاكَ بالخدِّ اللطيمِ مُصعَّرا
لم تلقَ إصلاحاً يُهابُ ، ولم تجِد ... من كُتلةٍ ما كان أعيا مِلْنَرا(٣)
حَظًّ رجونا الخيرَ من إقباله ... عاث المُفرِّقُ فيه حتى أدبرا
دار النيابة هيئت درجاتُها ... فليرْق فى الدرَج الذوائبُ والذُّرا(٤)

---

١ — باقل : عربى يضرب به المثل فى العى والفهاهة . —٢— فسقه : رماه بالفسق . وكفره : نسبه الى الكفر .—٣— المراد بالكتلة : الأمة مجتمعة . واللورد ملنر : هو احد الوزراء الانجليز ، وكان قدم الى مصر فى جماعة من قومه سنة ١٩٢٠ ليتقصوا رغائبها وامالها ، فقاطعتهم البلاد واحالتهم على الوفد المصرى الذى كانت وكلته فى الدفاع عن حقها اذذاك —٤— المراد بالذوائب والذرا : علية القوم واكفاؤهم .

الصارخون إذا أُسيء إلى الحِمَى ... والزائرون إذا أُغيرَ على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ، ولا الألى ... يمشون فى ذَهَب القيود تبَختُرا

وداع فروق

تجلدَ للرحيل ، فما استطاعا ... وداعاً جَنَّةَ الدنيا وداعا(١)
عسى الأيامُ تجمعنى ، فإنى ... أرى العيشَ افتراقاً واجتماعا
ألا ليتَ البلادَ لها قلوبُ ... ـ كما للناسِ ـ تنفطرُ التِياعا(٢)
وليتَ لدى (فروقٍ) بعضَ بَثِّى ... وما فعل الفراقُ غداةَ راعا(٣)
أما واللهِ ، لو علِمتْ مكانى ... لأنطقت المآذنَ والقلاعا
حَوَتْ رِقَّ القواضبِ والعَوالى ... فلما ضفتُها حوت اليَراعا(٤)
سألتُ القلبَ عن تلك الليالى ... أكُنَّ لياليا أم كُنَّ ساعا ؟(٥)
فقال القلبُ : بل مرَّت عِجالاً ... كدقَّاتى لذكراها سِراعا
أدارَ (محمد) وتراثَ (عيسى) ... لقد رَضِياكِ بينهما مشاعا(٦)
فهل نبذ التعصُّبَ فيكِ قومٌ ... يمد الجهلُ بينهم النِزاعا ؟
أرى الرحمٰنَ حصَّنَ مسجديه ... بأطولِ حائط. منكِ امتناعا
فكنتِ لبيته المحجوجِ ركناً ... وكنتِ لبيتِه الأقصى سِطاعا(٧)

١ ـ تجلد : تكلف الجلد واظهره . والجلد : قوة الصبر .
٢ـ تنفطر : تنشق . والالتياع :احتراق القلب من الهم أو الشوق .
٣ـ فروق : الاستانة والبث : أشد الحزن . راع : أفزع ـ٤ـ القواضب : السيوف القاطعة . مفردها : قاضب . والعوالى : جمع عالية ، وهى من الرمح أعلى رأسه ، أو نصفه الذى يلى السنان ، أو ما دخل منه تحت السنان الى ثلثه . ـ٥ـ الساع : جمع ساعة
٦ـ المشاع (بفتح الميم وضمها) :المشترك غير المقسوم .
٧ ـ السطاع : عمود البيت .

هواؤكِ والعيونُ مُفجَّرات ... كفى بهما من الدنيا متاعا(١)
وشمسُكِ كلما طلعتْ بأُفْقٍ ... تخطَّرَتِ الحياةُ به شُعاعا
وغِيدُك ، هنّ فوق الأرض حورٌ ... أوانسُ ، لا نقابَ ولا قِناعا
حَوالَيْ لُجَّةٍ من لازَوَرْدٍ ... تعالى اللهُ خَلْقًا وابتداعا
يروح لُجَيْنُها الجارى ويَغدو ... على الفِردوسِ آكاماً وقاعا(٢)

رحالة الشرق(*)

أَقدِمْ ، فليس على الإقدام مُمتنع ... واصنع به المجدَ ، فهو البارعُ الصَّنَعُ(٣)
للناس فى كل يومٍ من عجائبه ... ما لم يكن لامرئٍ فى خاطر يقع
هل كان فى الوهم أن الطير يخلُفها ... على السماء لطيفُ الصُّنْع ، مُختَرِع؟
وأن أدراجَها فى الجوِّ يسلكها ... جنٌّ ، جُنودُ سليمانٍ لها تَبَع ؟
أعيا العُقَابَ مَداهُم فى السماء ، وما ... راموا من القُبَّة الكبرى ، وما فَرَعوا(٤)
قل للشباب بمصر : عَصْرُكم بطَلٌ ... بكل غايةِ إقدامٍ له وَلَع
أُسُّ الممالك فيه هِمّةٌ وحِجًى ... لا الترهاتُ لها أُسٌّ ، ولا الخدع
يُعطى الشعوبَ على مقدار ما نبغوا ... وليس يبخَسُهم شيئًا إذا برعوا

---

١ ــ العيون : هى عيـــون الماء . ــ٢ــ لجينها : اى اللجنة . واللجين : الفضة . والاكام : التلال . والقاع : ارض سهلة مطمئنـــة انفرجت عنها الجبال والآكام .

(*) بعد رحلة طويلة شـــاقة فى صحراء ليبيا ، استطاع الرحالة المصرى الكبير احمد حسنين ، أن يسـدى الى العلم يدا بيضاء ، وأن يكشــف للناس عن مجاهل هذه البيداء ، فلما عاد قابلته البلاد بالحفاوة والترحاب ، واحتفل به القوم احتفالا فخما القيت فيه هذه القصيدة . ــ٣ــ الصنع : الحاذق . ــ٤ــ فرع الجبل :

ماذا تُعِدُّون بعد البرلمان له ... إذا خِيارُكمُ بالدَّولة اضطلعوا ؟(١)
البَرُّ ليس لكم فى طوله لُجُمٌ ... والبحر ليس لكم فى عرضه شُرُع(٢)
هل تنهضون عساكُم تلحقون به ؟ ... فليس يلحق أهلَ السير مُضطَجِع
لا يُعجِبنَّكمُ ساعٍ بتفرقةٍ ... إن المِقصَّ خفيفٌ حين يقتطع
قد أشهدوكم من الماضى وما نبشت ... منه الضغائنُ ما لم تشهد الضُّبُع
ما للشباب وللماضى تمرُّ بهم ... فيه على الجيف الأحزابُ والشيَع ؟
إنّ الشبابَ غدٌ ، فليهْدِهم لغدٍ ... وللمسالك فيه الناصحُ الوَرِع
لا يَمنعنَّكُمُ برُّ الأبوّةِ أن ... يكون صُنعكمُ غيرَ الذى صنعوا
لا يُعجبنَّكمُ الجاهُ الذى بلغوا ... من الولاية ، والمالُ الذى جمعوا
ما الجاهُ والمالُ فى الدنيا وإن حَسُنا ... إلّا عوارِىُّ حظٍّ ثم تُرتجَع(٣)
عليكُمُ بخيال المجد ، فأْتَلِفوا ... حِيالَهُ ، وعلى تِمثاله اجتمعوا
وأجْمِلوا الصبرَ فى جِدٍّ وفى عمل ... فالصبر ينفعُ ما لا ينفعُ الجزَع
وإن نَبَغتُمْ ففى علم ، وفى أدب ... وفى صناعات عصرٍ ناسُه صُنُع
وكلُّ بنيان قومٍ لا يقوم على ... دعائم العصرِ من رُكنيهِ ، مُنْصَدِع
شريفُ مكة حُرٌّ فى ممالِكه ... فهل تُرى القومُ بالحرّيةِ انتفعوا ؟

* * *

كم فى الحياة من الصحراء من شَبَهٍ ... كلتاهما فى مُفاجاة الفتى شَرَع(٤)
وراء كلِّ سبيلٍ فيهما قَدَرٌ ... لا تعلمُ النفسُ ما يأْتى وما يَدَع

---

١ ـ اضطلعوا : اى نهضوا بهــا ـ ٢ ـ الشرع : جمع الشراع . والمراد بها هنا السفن ، من اطلاق الجــزء على الكل . واللجم ، والشرع : يراد بها قوة البر ، وقــوة البحــر . ـ ٣ ـ العوارى : جمــع عارية ، وهى العطية بلا عوض . ـ ٤ ـ شرع : اى سواء .

فلستَ تدرى ـ وإن كنتَ الحريصَ ـ متى ... تهُبُّ ريحاهما ، أو يَطلعُ السبعُ ؟
ولستَ تأمنُ عند الصحو فاجئةً ... من العواصف ،فيها الخوفُ والهَلَع
ولست تدرى ـ وإن قدَّرتَ مجتهِدًا ـ ... متى تحطُّ رحالًا ،أو متى تَضَع ؟
ولست تملكُ من أمر الدليل سوى ... أنّ الدليلَ ـ وإن أرداك ـ مُتَّبَع
وما الحياةُ إذا أظمَت ، وإن خَدَعت ... إلّا سرابٌ على صحراء يلتمِع

* * *

أكبرتُ من (حَسَنينٍ) هِمَّةً طمَحَتْ ... تَرومُ ما لا يرومُ الفِتيةُ القُنُع
وما البطولةُ إلّا النفسُ تدفعها ... فيما يبلِّغُها حَمْدًا ، فتندفع
ولا يُبالى لها أهلٌ إذا وصلوا ... طاحوا على جنَبات الحمدِ أم رجَعوا
رَحّالةَ الشرق ، إن البيدَ قد علمتْ ... بأنك الليثُ لم يُخلَق له الفزَع
ماذا لقيتَ من الدوِّ السحيق ، ومِن ... قَفْرٍ يَضيقُ على السارى، ويتسع؟(١)
وهل مررْتَ بأقوامٍ كفِطرتِهم ... من عهد آدمَ لا خُبْثٌ ولا طَبَع؟(٢)
ومن عجيبٍ لغير اللهِ ما سجدوا ... على الفَلا، ولغير الله ما رَكعوا
كيف اهتدى لهمُ الإسلامُ ، وانتقلتْ ... إليهمُ الصلواتُ الخمسُ والجُمع؟
جَزتْكَ مصرُ ثناءً أنتَ موضِعُه ... فلا تذُبْ من حياءٍ حين تستمِعُ
ولو جزَتْك الصحارى جِئْتَنا مَلِكًا ... من الملوك ، عليك الريشُ والوَدَع(٣)

---

١ ـ الدو : المفازة . ـ٢ـ الطبع : الشين ؛ والعيب ، والدنس
ـ٣ـ الريش والودع : عنوان العظمة فى أواسط افريقيا .

بـــراءة(*)

الناسُ للدنيا تَبَع ولمن تُحالِفُه شِيَع
لا تَهجعنَّ إلى الزما ن ، فقد يُنَبِّه مَنْ هجع(١)
واربأْ بحلْمكَ فى النوا زلِ أن يُلِمَّ به الجزع
لا تخلُ من أملٍ ، إذا ذهب الزمانُ فكَمْ رجَع
وانفع بوسعِك كلِّه إن الموفَّقَ مَنْ نفع

* * *

مصر بنت لقضائها ركنًا على النجمِ ارتفع
فيه احتمى استقلالُها وبه تحصَّن وامتنع
فليهنِها ، وليهنِنا أن القضاء به اضطلع(٢)
اللهُ صان رجالَه مما يُدنِّس أو يَضع
ساروا بسيرة منذِرٍ وأبي حنيفة فى الورَع
وكأن أيام القضا ء جميعها بهمُ الجُمَع
قل للمُبرَّإ مُرقُصٍ : أنت النقىُّ من الطَّبَع(٣)
هذا القضاءُ رماك بالـ يُمنَى ، وباليسرى نزع
هذا قضاءُ اللهِ ثمَّ تثَلُّ الحكومةِ ، مُتَّبَع
عُد للمحاماة الشريـ فةِ عَوْدَ مشتاقٍ وَلِع

(*) حرم الاستاذ مرقص فهمى حينا من الاشتغال بالمحاماة ، ثم براه القضاء من تلك التهمـــة التى عزيت اليه ، فاحتفل بعـــودته الى المحاماة احتفالا القيت فيه هذه القصـــيدة .

١ ـ الهجوع : النوم . ٢ ـ اضطلع : قوى .
٣ ـ الطبع : الشين والعيب . .

والبسْ رِداءكَ طاهرًا　　كرذاء مرقصَ فى البِيَعِ(١)
وادفع عن المظلوم وال　　محروم أبلغَ مَنْ دفع
واغفر لحاسِدِ نعمةٍ　　بالأمسِ نالك أو وقع(٢)
ما فى الحياةِ لأن تعا　　تِبَ أو تُحاسِبَ ، مُتّسَع

الصحافة (*)

لكلِّ زمانٍ مضى آيةٌ　　وآيةُ هذا الزمانِ الصُّحُف
لسانُ البلادِ ، ونبضُ العباد　　وكهفُ الحقوق ، وحربُ الجنَف(٣)
تسيرُ مسيرَ الضحى فى البلاد　　إذا العلمُ مزّق فيها السَّدف(٤)
وتمشى تُعلّمُ فى أمةٍ　　كثيرةِ مَنْ لا يخُطُّ الألِف!
فيا فتيةَ الصحْف ، صبرًا إذا　　نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
فإنّ السعادةَ غيرُ الظهو　　رِ ، وغيرُ الثراء ، وغيرُ الترف
ولكنها فى نواحى الضمير　　إذا هو باللؤم لم يُكتنف
خلوا القصدَ ، واقتنعوا بالكفاف　　وخلوا الفضولَ يغلْها السَّرف(٥)
ورومُوا النبوغَ ، فمن ناله　　تلقّى من الحظِّ أسنى التحَف
وما الرزقُ مجتنِبٌ حِرْفَةً　　إذا الحظُّ لم يهجر المحترِف

١ ــ البيع : جمع بيعة ، وهى متعبد للنصارى . ــ٢ــ وقع فلان فى فلان : سبه وعابه . (*) الف اصحاب الصحف العربية نقابة تجمع كلمتهم ، وقد القيت هذه القصيدة فى الاحتفال بانشائها . ــ٣ــ الجنف : الحيف . ــ٤ــ السدف : الظلام ــ٥ــ الفضول : فضلات المال الزائدة عن الحاجة وغالها السرف بقولها : اتى عليها .

إذا آختتِ الجوهريَّ الحظوظ ... كفلنَ اليتيمَ له فى الصَّدف(١)
وإن أعرضت عنه لم يحلُ فى ... عيونِ الخرائد غيرُ الخزف(٢)

* * *

رعى اللهُ ليلتكم ، إنها ... تلت عنده ليلةَ المنتصَف(٣)
لقد طلع البدرُ من جُنْحها ... وأوما إلى صُبحِها أن يقف
جلوتم حواشيَهَا بالفنون ... فمن كل فنٍّ جميل طَرف
فإن تسألوا : ما مكانُ الفنون؟ ... فكم شرفٍ فوق هذا الشرف(٤)
أريكةُ (موليير) فيما مضى ... وعرشُ (شِكسبيرَ) فيما سلف
وعودُ (ابن ساعدة) فى عُكاظ ... إذا سال خاطره بالطُّرَف(٥)
فلا يَرْقَيَنْ فيه إلاّ فتًى ... إلى درجات النبوغ انصرف
تُعلِّمُ حكمتُه الحاضرين ... وتُسْمِعُ فى الغابرين النُّطف(٦)

* * *

حمدنا بلاءكُم فى النضالِ ... وأمسِ حمدنا بلاء السلف
ومن نسىَ الفضلَ للسابقين ... فما عرف الفضلَ فيما عرف
أليس إليهم صلاح البناء ... إذا ما الأساس سما بالغرف ؟
فهل تأذنون لذى خَلَّةٍ ... يَقُصُّ الرياحين فوق الجيف؟
فأين (اللواء) ، وربُّ اللواء ... إمامُ الشباب ، مثالُ الشرف ؟(٧)

---

١ ــ اليتيم : اللؤلؤ المنقطع النظير · ــ٢ــ الخرائد : العذارى . ــ٣ــ المنتصف : منتصف شعبان . ــ٤ــ الشرف اولا : العلو والمجد . والشرف ثانيا : الموضع العالى ، وهو هنا المسرح ــ٥ــ عود ابن ساعدة : اى منبر قس بن ساعدة ، وهو اخطب خطباء الجاهلية ــ٦ــ الغابرين : الآتين · والنطف : جمع نطفة ، وهى اصل النسل . ــ٧ــ رب اللواء : المرحوم مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء

وأين الذى بينكم شِبْلُه على غاية الحق نِعْمَ الخلف ؟
ولا بدّ للغرس من نقله إلى من تعهّد ، أو من قطف
فلا تجحدنَّ يدَ الغارسين وهذا الجَنى فى يديك اعترف
أولئك مَرُّوا كدود الحرير شجاها النَّفاعُ وفيه التلف(١)

عيـــد الفداء (*)

أما العتابُ ، فبالأحبّة أخلَقُ والحبُّ يصلُحُ بالعتاب ويصدُق
يا من أُحِبُّ ، ومن أُجِلُّ ، وحسْبه فى الغِيدِ منزلةً يُجَلُّ ويُعشَق
البُعْدُ أدنانى إليكَ ، فهل تُرى تقسو وتنفرُ ، أم تلين وترفُق ؟
فى جاهِ حسنِك ذِلَّتى وضراعتى فاعطِف، فذاك بجاهِ حُسنكَ أليق !

* * *

خَلُقَ الشباب ، ولا أزال أصونُه وأنا الوفىُّ ، مَوَدّتى لا تَخلُق(٢)
صاحبته عشرين غيرَ ذميمةٍ حالى به حالٍ ، وعَيْشىَ مُونِق(٣)
قلبى ، ادّكرتَ اليوم غير مُوَفَّقٍ أيامَ أنتَ مع الشبابِ موفَّق
فخفقتَ من ذكرى الشبابِ وعهدِه لهفى عليك ! لكل ذكرى تخفُق
كم ذُبتَ من حُرَقِ الجوَى ، واليوم من أسفٍ عليه وحسرةٍ تتحرَّق

---

١ ــ النفاع : النفع • (*) كان لهذه القصيدة يوم نشرت ضـــجة هائلة ، ولعلها اســـــتمدت معظمها من تلك الابيات التى تنطق فيها ذكرى الشباب، والتى قلما وفق الى مثلها شـــاعر ، ولقد نظمت هذه القصيدة معارضـــة لاخرى من رويها للمرحوم اســـماعيل صبرى باشا . ـ٢ـ خلق الشىء : بلى .
٣ ــ الحالى : الحلو ، او المزين .

كنتَ الشِّباكَ ، وكان صيدًا فى الصِّبا ... ما تسترِقُّ من الظباء وتُعتِق
خدَعتْ حبائلك المِلاحَ هُنيةً ... واليومَ كلُّ حِبالةٍ لا تَعلَق
هل دون أيام الشبيبة للفتى ... صفوٌ يحيطُ به ، وأُنسٌ يُحدِق؟

نكبة بيروت

يا ربِّ ، أمرُك فى الممالكِ نافذٌ ... والحكمُ حكمُك فى الدمِ المسفوك
إن شئت أهرقْهُ ، وإن شئت احمِهِ ... هو لم يكن لسواك بالمملوك
واحكم بعدلِكَ ، إن عدلَك لم يكن ... بالمُمترَى فيه ، ولا المشكوك
ألِأَجل آجال دنت وتهيَّأت ... قدَّرتَ ضربَ الشاطئِ المتروك؟
ما كان يحميه ، ولا يُحمَى به ... فُلكان أنعَمُ من بواخر « كوك »(١)
هذى بجانبِها الكسيرِ غريقةٌ ... تهوى ، وتلك بركنها المدكوك

* * *

بيروتُ ، مات الأُسْدُ حتفَ أنوفِهم ... لم يُشهروا سيفًا ، ولم يحموك
سبعون ليثًا أحرِقوا ، أو أغرقوا ... يا ليتهم قُتِلوا على « طبروك »
كلٌّ يصيد الليثَ وهو مقيَّدٌ ... ويعزُّ صيد الضَّيغَمِ المفكوك
يا مضرِبَ الخِيَم المنيفة للقِرى ... ما أنصف العُجمُ الأُلى ضربوك(٢)
ما كنتِ يوماً للقنابل موضعاً ... ولو أنها من عسجد مسبوك
بيروتُ ، ياراحَ النزيلِ ، وأنسَهُ ... يمضى الزمانُ علىَّ لا أسلوك

---

١ ـ قيلت على أثر ضرب الأسطول الايطالى مدينة بيروت . ـ ١ ـ اى لم تكن تستطيع حمايته هاتان السفينتان الصغيرتان اللتان اعدتا به للرياضة والتنعم : لا للحرب والقتال . ـ٢ـ القرى : الضيافة .

الحسنُ لفظٌ في المدائنِ كلِّهَا ووجدتُه لفظًا ومعنًى فيك
نادمتُ يوماً في ظِلالِكِ فتيةً وسَمُّوا الملائكَ في جلالِ ملوك(١)
يُنسونَ (حساناً) عصابة (جِلَّقٍ) حتى يكاد بجلق يفديك(٢)
تالله ما أحدثتِ شرّاً أو أذىً حتى تُراعِي ، أو يُراعَ بَنوك
أنتِ التي يحمى ويمنع عِرضَها سيف الشريفُ، وخِنجرُ الصُّعلوك
إن يجهلوكِ ، فإنَّ أمّك سوريا والأبلقَ الفردَ الأشمَّ أبوك(٣)
والسابقين إلى المفاخر والعُلا بَلْهَ المكارمَ والندى أهلوك
سالت دماءٌ فيكِ حول مساجدٍ وكنائسٍ ، ومدارسٍ و « بُنوك »
كنا نؤمِّل أن يُمَدّ بقاؤها حتى تَبِلَّ صدَى القنا المشبوك
للكِ في رُبَى النيلِ المبارَك جيرةٌ لو يقدِرون بدمعهم غسلوك

تكليل أنقرة وعزل الآستانة

قُمْ ناد (أنقرةً)وقل : يَهنيك مُلْكٌ بَنَيْتِ على سيوفِ بَنِيكِ

---

١ — وأسمه في الحسن فوسمه : أي غلبه فيه — ٢ — حسان بن ثابت : شاعر النبي صلى الله عليه وسلم . وبعصابة جلق : هم ملوك غسان . وجلق : هي دمشق . وكان حسان بن ثابت كثيرا ما يفد على آل غسان، ويمدحهم ، وينال منحهم ، فمما يناسب هذا المقام قوله :

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الاول
اولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه ، كريمة أحسابهم شم الأنوف ، من الطراز الأول
يغشون حتى ما تهر كلابهم لايسألون عن السواد المقبل

(٣) الإبلق : جبل لبنان .

أَعطيتِه ذَوْدَ اللِّبَاةِ عن الشرى ... فأَخاتِه حُرًّا بغيرِ شريك(١)

وأَقمتِ بالدّم جانبيْه ، ولم تزلْ ... تُبنى الممالكُ بالدّم المسفوك

فعقدتِ تاجَكِ من ظُبًى مسلولة ... وحللت عرشك من قناً مشبوك(٢)

تاجٌ ترى فيه إذا قلّبته ... جهدَ الشريفَ ، وهِمةَ الصُّعلوك(٣)

وترى الضحايا من معاقد غارِه ... وعلى جوانب تِبْرِهِ المسبوك(٤)

وتراه فى صَخَب الحوادث صامتاً ... كالصخر فى عَصْفِ الرياح النُّوك(٥)

خرزاتُه دَمُ أُمّةٍ مهضومة ... وجهودُ شعب مُجهَدٍ منهوك

بالواجب التمس الحقوقَ ، وخاب مَن ... طلب الحقوقَ بواجب متروك

لا الفردُ مَسَّ جبينَكِ العالى ، ولا ... أَعوانُه بأَكفِّهم لمَسوك(٦)

لمَّا نفرْتِ إلى القتال جماعةً ... أَصلَوْك نارَ تلصُّصٍ وفُتوك(٧)

هدروا دماء الأُسْدِ فى آجامها ... والأُسْدُ شارعةُ القَنا تحميك(٨)

---

١ — الذود : مصدر ذاده عن الشىء : دفعه عنه . واللبـــاة انثى الاسد . والشرى : مكان فى جـــانب الفرات ، تكثر فيه الاسود ، ويضرب به المثل فى ذلك —٢— الظبى : جمع ظبة . وهى حد السيف والسنان ونحوهما —٣— الجهد ، بضم الجيم وفتحها : الطاقة . وقيل المشقة —٤— المعاقد : مواضع الانعقاد . والغـــار : شجر عظيم ، واحدته غـــارة ، وكان الاغريق الاقدمون والرومـــان ايضـــا يضفرون منه أكاليل لابطالهم المنتصرين فى الحروب . والتبر : الـــذهب غـــير المضروب . المسبوك : المذوب المفرغ فى القالب —٥— الصخب : الصوت شديدا وعصف الرياح : اشتدادها . والنوك : جمع نوكاء ، وهى الحمقـــاء —٦— لا الفرد : أى لا الفرد المستبد بالحكم ، والخطاب لانقرة ، ويريد بالفـــــرد . السلطان محمد وحيد الدين واعوانه : وزراؤه الذين ارادوا أن يخمدوا حركة الاناضول ضد اليونان والانجليز —٧— نفرت الى القتال : ذهبت اليه مسرعة . وأصلوك : أحرقـــوك ، اى اولئـــــك الاعوان . والتلصص : أن يصـــــير الانسان لصا . وأن يتخلق باخــــلاق اللصوص . والفتوك : مصـــدر فتك : أى بطش ، وفتك فلان فى الخبث : اذا بالغ فيه —٨— الأجمة : الشجر الكثير الملتف ، جمعها اجم بفتـــح الجيم ، وجمع الجمع آجـــام ، وهو الوارد فى البيت . وهو يشير الى فتوى شرعية كانت حكومة الاستانة قد اذاعتهـــا فى اول امر الفاتحين فى الاناضول ، تحلل بها قتالهم .

يابنت (طوروسَ) المرَّدِ، طأْطأتْ ... شُمُّ الجبال رءُوسَها لأبيك(١)
أمْعنتُما فى العزّ ، واستعْصَمْتُما ... هو فى السحاب ، وأنت فى أهليك(٢)
نحتَ الشعوبُ من الجبال ديارَهم ... والقومُ من أخلاقِهم نحتوك
فلو أنّ أخلاقَ الرجالِ تَصَوَّرتْ ... لرأيتِ صخرتَها أساساً فيك
إنَّ الذين بَنَوْكِ أشبهُ نيَّةً ... بشباب (خيْبرَ) ، أوكهولِ (تبُوك)(٣)
حَلفوا على الميثاق ، لا طَعموا الكرى ... حتّى تذوقى النصرَ ، هل نصروك ؟(٤)
زَعموا (الفرنسىَّ) المحجَّل صورةً ... فى حلْبةِ الفرسان من حاميك(٥)
(النسرُ) سَلَّ السيفَ يَبْنى نفسَه ... وفتاكِ سَلَّ حسامه يَبْنيك(٦)
والنسرُ مملوكٌ لسلطان الهوى ... ووجدتُ نسرَكِ ليس بالمملوك
يادولةَ الخلُق التى تاهت على ... ركن السِّماكِ بركنِها المسموك(٧)
بينى وبينك ملّةٌ وكتابُها ... والشرق يَنميِنى كما يَنميك
قد ظنّنى اللاحى نطقت عن الهوى ... وركِبت متنَ الجهلِ إذ أطريك(٨)
لم يُنقِذِ الإسلامَ أو يرفعْ له ... رأساً سوى النفرِ الأُلى رفعوك
رَدُّوا الخيالَ حقيقةً ، وتطلعوا ... كالحق حَصْحَصَ من وراء شكوك(٩)

١ـ طوروس : جبل عظيم فى آسيا الصغرى . والممرد : المطول الملس ـ٢ـ امعنتما : ابعدتما . واستعصمتما : امتنعتما ـ٣ـ خيبر اسم مكان كان به سبعة حصون ، غزاه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتبوك : ارض بين المدينة والشام نسبت اليها غزوة من غزوات النبى ايضا ـ ٤ـ الميثاق : امور كان القائمون بدعوة القتال قد اخذوا على انفسهم ان يقاتلوا حتى تتم للامة ـ٥ـ الفرنسى : نابليون بونابرت ـ٦ـ النسر : لقب نابليون . يريد بفتاك ـ فى هذا البيت ، وبحاميك ـ فى البيت قبله ـ مصطفى كمال ـ٧ـ السماك : كوكب معروف . والمسموك : المرفوع ـ٨ـ اللاحى : اللائم . متن الجبل : ظهره ـ٩ـ حصحص الحق : بان بعد كتمانه .

لم أكذِبْ التاريخَ حين جعلتُهم ‏ رُهبانَ نسْك ، لا عجُولَ نسيك(١)
لم ترضَنى ذَنبًا لنجْمكِ همّتى ‏ إن البيان بنجمه يُنبيك(٢)
قلمى — وإن جهِل الغبىُّ مكانَه — ‏ أبقى على الأحقاب من ماضيك(٣)
ظفرتْ بيونانَ القديمةِ حكمتى ‏ وغزا الحديثة ظافرًا غازيك

* * *

منى لَعهدكِ يا (فروقُ) تحيّةٌ ‏ كعيونِ مائك ، أو رُبَى واديك(٤)
أو كالنسيم غدا عليك ، وراح من ‏ فُوفِ الرياضِ ، ووَشْيِها المحبوك(٥)
أو كالأصيل جرى عليك عقيقُه ‏ أو سالَ من عِقْيانه شاطيك(٦)
تلك الخمائلُ والعيونُ ، اختارها ‏ لك من رُبَى جنّاتهِ باريك(٧)
قد أفرَغت فيك الطبيعةُ سحرها ‏ من ذا الذى من سحرها يَرْقيك ؟
خلعت عليكِ جمالَها ، وتأمّلت ‏ فإذا جمالُكِ فوق ما تكسوك
تالله ما فَتَنَ العيونَ ولذَّها ‏ كقلائد الخُلجانِ فى هاديك
عن جيدكِ الحالى تلفّتتِ الرُّبى ‏ واستضكحتْ حُورُ الجِنانِ بفيك
إن أنسَ لا أنس الشبيبةَ ، والهوى ‏ وسوالفَ اللذاتِ فى ناديك(٨)
ولياليًا لم ندر أين عِشاؤها ‏ من فجرها لولا صياحُ الديك

١— النسيك : الذهب والفضة —٢— ينبيك : يخبرك —٣— الاحقاب : جمع حقب ، بضم الحاء ، قيل : هو ثمانون عاما ، وقيل : هو الدهر —٤— فروق : هى الاستانة —٥— فوف الرياض : زهرها ، تشبيهالها بفوف الثياب ، وهى نوع من برود اليمن • والوشى : نمنمة الثوب وتحسينه ، وهو أيضا نوع من الثياب الموشية ، تسميةلها باسم المصدر . والمحبوك — من حبك الحائك الثوب : حسن أثر الصنعة فيه —٦— الاصيل : هو مابعد العصر الى المغرب . والعقيان : الذهب الخالص —٧— الخمائل : جمع خميلة ، وهى الشجر الكثير الملتف —٨— ان انس لا انس : أى ان نسيت شيئا فلست انسى الشبيبة .. الخ .

وصَبُوحَنا من (بَندِلارَ) وشِرْشرٍ ... وغَبُوقَنا (بتَرابِيا) و (بُيوك)(١)
لو أن سلطانَ الجمالَ مخلَّدٌ ... لمليحة ، لعذلتُ من عذلوك
خلعوكِ من سلطانِهم ، فسليهمُ ... أمن القلوب ومُلكِها خلَعوك ؟
لا يَحزُنَنْكِ من حُماتِكِ خطةٌ ... كانت هى المُثلى ، وإن ساءُوك
أيُقالُ : فتيانُ الحمى بك قصّروا ... أم ضيَّعوا الحرماتِ ، أم خانوك؟
وهمُ الخفافُ إليك ، كالأنصار إذ ... قلَّ النصير ، وعزَّ مَنْ يفديك
المشتَروكِ بمالهم ، ودمائهم ... حين الشيوخُ بجُبَّة باعوك
هدروا دماء الذائدين عن الحمى ... بلسان مفتى النارِ ، لا مُفتيك(٢)
شربوا على سرِّ العدوِّ ، وغرَّدوا ... كالبُوم ِ خلف جِدارك المدكوك(٣)
لو كنتِ (مَكَّةَ) عندهم لرأيتِهم ... (كمحمدٍ) و (رفيقِه) هجروك(٤)

* * *

يا راكب الطامى يجوبُ لجاجَه ... مِن كل نَيِّرة وذات حُلوك(٥)
إن جئتَ (مرمرةً) تحثُّ الفُلْكَ فى ... بَهج ، كآفاق النعيم ، ضحوك(٦)
وأتيت (قرن التبر) ثَمَّ تحفُّهُ ... تُحفُ الضحى من جوهرٍ وسلوك(٧)
فاَطلع على (دار السعادة) ، وابتهل ... فى بابها العالى ، وأدِّ ألوكى(٨)

١ــ الصبوح : شراب الصباح . والغبوق : شراب العشى . وبندلار ، وترابيا ، وبيوك : أســماء امكنة فى الاستانة ــ٢ــ الذائدين عن الحمى : جمع ذائد ، وهو المدافــع . ومفتى النار : شــيخ الاســلام الذى افتى بقتالهم ــ٣ــ شربوا : اى الشــيوخ ــ٤ــ عندهم : عند فتيان الحمى الذين اشتروك بمالهم ودمائهم ــ٥ــ الطامى: البحر . واللجاج : جمع لجة . من كل نيرة : اى كل لجة نيرة بيضاء ، يكنى بذلك عن البحر الابيض المتوسط . وذات حلوك : اى ومن كل لجة سوداء ذات حلوك ، يكنى بذلك عن البحر الاسود ــ٦ــ مرمرة : هو بحر مرمرة تدخله من مضيق الدردنيل ، ويصله بالبحر الاسود مضيق البسفور ــ ٧ــ قرن التبر : هو القرن الذهبى ، وهو جزء من البسفور ــ٨ــ دار السعادة : هى الاستانة . والالوك : الرسالة .

قُل للخلافةِ قولَ باكٍ شمسَها بالأمس لما آذنت بدُلوكِ(١)

يا جذوةَ التوحيدِ ، هل لك مُطفِئٌ والله جلّ جلالُه مُذكيك ؟(٢)

خلتِ القرونُ ، وأنت حربُ ممالكٍ لم يغفِ ضدُّك ، أو ينَم شانيكِ(٣)

يرميكِ بالأُممِ الزمانُ ، وتارةً بالفرد واستبدادِه يرميك

عودى إلى ماكنتِ فى فجر الهدى عُمَرٌ يسوسُك ، (والعتيقُ) يليك(٤)

إن الذين توارثوكِ على الهوى بعد (ابن هندٍ) طالما كذبوك(٥)

لم يلبسوا بُردَ النبى ، وإنما لبِسوا طقوسَ الروم إذ لبِسوك

إنى أعيذُكِ أن تُرَىْ جبارةً كالبابَوِيّةِ فى يَدَىْ (رُدريك)

أو أن تَزُفَّ لك الوراثةُ فاسقًا (كيزيدَ) ، أو كالحاكم المأفوك(٦)

فُضّى نُيوبَ الفردِ ، ثم خذى به فى أىّ ثَوْبَيْه به جاءُوك(٧)

لا فرق بين مُسَلَّطٍ متتوّج ومُسَلَّطٍ فى غير ثوب مليك

إنى أرى الشورى التى اعتصموا بها هى حبلُ ربِّكِ ، أو زمام نَبِيكِ

١ـ الدلوك : غروب الشمس ـ٢ـ مذكيك : موقدك ـ٣ـ لم يغف : لم ينم . والشانىء : المبغض ـ٤ـ يشير الى ترك الملك المحصور فى اسرة واحدة . والرجوع الى جعله حقا بتولاه من تبايعه الامة ، كما كان لعهد الخلفاء الراشدين ـ٥ـ ابن هند : هو معاوية بن ابى سفيان اول الخلفاء من بنى أمية ـ٦ـ يزيد : هو يزيد بن الوليد : من ملوك بنى أمية ، كان من اصحاب الدعارة والفسوق . والحاكم : هو الحاكم بأمر الله احد الملوك الفاطميين فى مصر ، كان فاسقا مختبلا وكانت له بدع وضلالات يحمل الناس عليها قسرا ـ٧ـ فضى نيوب الفرد : انثريها ، ومنه قولهم فض الله فم فلان : أى نثر اسنانه . والنيوب : جمع ناب .

عيد الدهر وليلة القدر (*)

الملكُ بين يديكَ فى إقباله ... عوَّذتُ مُلكَك بالنبى وآله(١)

حُرٌّ ، وأنت الحرُّ فى تاريخِه ... سمحٌ ، وأنت السمحُ فى أقياله(٢)

فِيضا على الأَوطانِ من حُريةٍ ... فكِلاكما المفتكُّ من أغلاله(٣)

سعِدَت بعهدكما المباركِ أُمةٌ ... رَقَّت لحالِكَ حقبةً ، ولحاله(٤)

يَفديكَ نصرانيُّه بصليبه ... والمنتمى (لمحمدٍ) بهلاله

وفتى الدروزِ على الحُزون بشيخه ... والموسَوىُّ على السهولِ بماله(٥)

صدَقوا الخليفةَ طاعةً ومحبة ... وتمسكوا بالطُّهر من أذياله

يجدون دولتَك التى سَعِدوا بها ... من رحمةِ المولى ، ومن أفضاله

جدّدت عهد (الراشدين) بسيرةٍ ... نسجَ (الرشادُ) لها على مِنواله

بُنيت على الشورى كصالح حكمهم ... وعلى حياةِ الرأى واستقلاله

حقٌّ أعزَّ بك المهيمنُ نصرَه ... والحقُّ منصورٌ على خُذَّاله(٦)

شرُّ الحكومةِ أن يُساسَ بواحدٍ ... فى الملك أقوامٌ عِدادُ رماله

مُلْكٌ تُشاطِرُهُ ميامنَ حالِه ... وترى بإذن الله حُسنَ مآله(٧)

(*) « قيلت فى احتفال بالمولد النبوى الشريف » ـ١ـ الملك بين يديك : الخطاب للخليفة محمد رشاد الخامس ـ٢ـ حر : اى الملك ، يريد أنه غير مقيد بسلطة الفرد المستبد . وانت الحر فى تاريخه ، لان الخليفة محمد رشاد أول خليفة دستورى . وسمح ، يقال : رجل سمح ، أى ذو سماحة وعطاء . والاقيال : جمع قيل ، وهو الملك ـ٣ـ كلاكما : اى أنت والملك والمفتك : المطلق ، والأغلال : جمع غل بضم الغين ، وهو طوق من حديد يجعل فى العنق ـ٤ـ الحقبة : المدة من الدهر ـ٥ـ الحزون : جمع حزن . بفتح الحاء ، ما غلظ من الارض ـ٦ـ الخذال : جمع خاذل ، وهو الذى لا ينصرك ـ٧ـ الميامن : جمع ميمنة ، وهى اليمن والبركة .

أخذتْ حكومتُكَ الأمانَ لظبيه   في مُقفرات البيدِ من رِئباله(١)
مكنتَ للدستور فيه ، وحُزتَه   تاجًا لوجهك فوقَ تاج جلاله (٢)
فكأنك (الفاروقُ) في كرسيِّه   نَعِمتْ شعوبُ الأرضِ تحت ظلاله (٣)
أو أنت مثلُ (أبي ترابٍ) ، يُتقى   وبهابُه الأملاكُ في أسماله(٤)
عهدُ النبيِّ هو السماحةُ والرضى   (بمحمد) أولى وسَمحِ خلاله
بالحق يحملُه (الإمامُ) ، وبالهدى   في حاضرِ الدستورِ ، واستقباله
يابْنَ الخواقينِ الثلاثينَ الأُولى   قد جمّلوا الإسلام فوق جَماله(٥)
المبلغين الدِّين ذروةَ سعدِه   الرافعين الملكَ أوجَ كماله(٦)
الموطِئين من الممالك خيلَهم   ما لم يفُز (إسكندرٌ) بوصاله(٧)
في عدلِ (فاتحهم) و (قانونيِّهم)   ما يَحتذى الخلفاءُ حذوَ مثاله(٨)
أما الخلافةُ فهي حائطُ بيتكم   حتى يُبين الحشرُ عن أهواله
أُخِذَت بحدِّ المشرفيِّ ، وحازها   لكمُ القنا بقِصاره وطِواله(٩)
لا تسمعوا للمُرجِفين وجهلِهم   فمصيبةُ الإسلامِ من جُهّاله(١٠)
طمعُ القريبِ أو البعيد بنَيْلِها   طمعُ الفتى من دهرهِ بمحاله

١ـ الرئبال : الاسد ـ٢ـ مكنت للدستور : اى جعلته مكينا ثابتا والدستور : هو القانون الذى ينظم حكم الشورى ـ٣ـ الفاروق : لقب عمر بن الخطاب ـ٤ـ أبو تراب : كنية على ابن ابى طالب . والاسمال : الثياب البالية واحدها سمل بفتح الميم ـ٥ـ الخواقين : جمع خاقان ، وهو إسم لكل ملك من ملوك الترك ـ٦ـ الأوج : العلو ـ٧ـ اسكندر : هو المقدونى الفاتح العظيم ـ٨ـ فاتحهم وقانونيهم : لقبان اولهما للسلطان محمد الفاتح ، لقب به لانه أول ملك فى الاسلام استطاع أن يفتح القسطنطينية ويقضى على كل سلطة للروم بها . وثانيهما للسلطان سليمان القانونى ، لقب به لانه أول واضع قانون للدولة التركية ـ٩ـ المشرفى : السيف ، نسبة الى موضع فى اليمن كانت تصنع به السيوف ـ١٠ـ المرجفون : من يخوضون فى الاخبار السيئة ليوقعوا الناس فى الاضطراب .

ما الذئبُ مُجترئًا على ليثِ الشَّرى   فى الغالب مُعتدياً على أشباله(١)
بأَضلَّ عقلا ــ وهى فى أَيْمانكم ــ   مِمَّن يُحاول أخذَها بشماله

* * *

رضى المُهيمنُ ، والمسيحُ ، وأَحمدٌ   عن جيشِك الفادى ، وعن أبطاله
الهازئين من الثرى بسهوله   الدائسين على رءُوس جِباله
القاتلين عدوَّهم فى حصنه   بالرأى والتدبير قبل قتاله
الآخذين الحصنَ عزَّ سبيلُه   مثلَ السها أو فى امتناعِ مَناله(٢)
المعرضين ــ ولو بساحة يَلْدز ــ   فى الحربِ عن عِرْضِ العدوّ وماله
القارئين على (علىّ) علمها   وعلى الغزاةِ المتقين رجاله(٣)
الملكُ زُلزِلَ فى (فروقٍ) ساعةً   كانوا له الأَوتادَ فى زلزالهِ
لولا انتظامُ قلوبهم ككفوفِهم   لنثرتُ دمعى اليومَ فى أطلاله(٤)
والمرءُ ليس بصادقٍ فى قوله   حتى يؤيِّدَ قولَه بِفعاله
والشعبُ إن رامَ الحياةَ كبيرةً   خاض الغمارَ دماً إلى آماله(٥)
شكرُ الممالك للسَّخىِّ بروحه   لا السخىّ بقيله أو قاله
إيهٍ (فروق) الحسن نجوى هائم   يسمو إليك بجدّه وبخاله(٦)
أخرجتِ للعربِ الفِصاحِ بيانَه   قبسًا يُضىءُ الشرقَ مثلَ كماله(٧)

١ــ الاشبال : جمع شبل ، وهو ولد الاسد ــ٢ــ السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى ــ٣ــ على : هو على بن ابى طالب ، والضمير للحرب ــ٤ــ الاطلال : ما شخص من آثار الديار ــ٥ــ الغمار ، بضم الغين وفتحها لفيف الناس ــ٦ــ ايه : اسم فعل للاستزادة من الحديث . والنجوى : المسارة بالكلام ، وهى السر ايضا . والهائم : المحب ، والذاهب من العشق ، او غيره لايدرى اين يتوجه ، يريد نفسه ، اى انه هائم بحب فروق ، وهى الاستانة ، لما بها من حسن . ومعنى « يسمو اليك بجده وبخاله .» : انه من اصل تركى من ناحية ابويه ــ٧ــ اخرجت : الخطاب لفروق ، والضمير للهائم فى البيت قبله .

لم تُكثر (الحمراءُ) من نظرائِه — نَسْلًا ، ولا (بغدادُ) من أمثاله(١)
جعل الإلهُ خيالَهُ (قيسَ) الهوى — وجُعلتِ (ليلى) فِتنةً لخياله(٢)
فى كلِّ عامٍ أنتِ نزهةُ روحِه — ونعيمُ مهجته ، وراحةُ باله
يَغشاكِ قد حنَّت إليكِ مَطيُّه — ويَئوبُ ، والأشواقُ ملءُ رِحاله
أفراحُه لمّا رآكِ طليقةً — أفراحُ (يوسفَ) يوم حلِّ عقاله(٣)
وسرورُه بك من قيودك حرّةً — كسرورِ (قيس) بانفلاتِ غزاله(٤)
الله صاغَكِ جنتين لخلقه — محفوفتين بأنعمٍ لِعياله
لو أنَّ لله اتخاذَ خميلةٍ — ما اختار غيرَك روضةً لجلاله(٥)
فكأنما الصفتان فى حسنيهما — ديباجَتا خدٍّ يتيهُ بخاله(٦)
وكأنما (البوسفورُ) حوضُ (محمدٍ) — وسطَ الجنان وهنّ فى إجلاله(٧)
وكأن شاهقةَ القصور حيالَه — حُجراتُ (طَه) فى الجِنان وآله(٨)
وكأن عيدَكِ عيدُها لما مشى — فيها البشيرُ ببِشره وجماله(٩)

١ــ الحمراء : هى مدينة غرناطة بالاندلس . وبغداد : حاضرة العراق ــ٢ــ قيس : هو ابن الملوح ، وقيل هو قيس بن معاذ المعروف بالمجنون وليلى هى محبوبته التى جن بها ، يقول : ان الله صرف خياله فى الشعر الى الاستانة ، فهو يجيد المعانى فى وصفها ، حتى شغف بها كشغف قيس بليلى ــ٣ــ يقول : انه فرح لها كما فرح يوسف عليه السلام بخروجه من السجن ــ٤ــ يشير بقوله : « كسرور قيس بانفلات غزاله » الى ما قيل من ان المجنون رأى ظبية فى حبالة صيادين فسألهما أن يطلقاها ويضع مكانها شاة من غنمه ، ففعلا ــ٥ــ الخميلة : الشجر الكثير الملتف . والروضة : ما اجتمع من الحدائق ــ٦ــ الديباجتان : تثنية ديباجة ، وهى الوجه يقال : فلان يصون ديباجته ، والديباجتان (ايضا) : الخدان . والخال : شامة فى الخد ــ٧ــ حوض محمد : يريد الحوض المورود يوم القيامة . ومحمد هو النبى صلى الله عليه وسلم ــ٨ــ حياله : اى قبالته وازاءه . والحجرات : جمع حجرة ، وهى الغرفة . وطه : اسم من اسماء النبى صلى الله عليه وسلم أيضا ــ٩ــ البشير : من اسماء النبى صلى الله عليه وسلم ايضا .

تيهى بعيدكِ فى الممالك ، واسلمى ... فى السلمِ للآلاف من أمثاله
واستقبلى عهدَ الرشادِ مُجمَّلا ... بمحاسن الدستور فى استهلاله
ادارُ السعادة أنتِ ، ذلك بابُها ... شُلّت يدٌ مُدّت إلى إقفاله

وداع اللورد كرومر

أيامُكم ، أم عهدُ إسماعيلا ؟ ... أم أنت فرعونٌ يسوسُ النيلا ؟(١)
أم حاكم فى أرض مصر بأمره ... لا سائلاً أبدًا ولا مسئولا ؟
يا مالكا رِقَّ الرقاب ببأسه ... هلّا اتّخذتَ إلى القلوب سبيلا؟ (٢)
لما رحلتَ عن البلادِ تشهّدت ... فكأنّكَ الداءُ العياءُ رحيلا
أوسعتَنا يومَ الوداعِ إهانةً ... أدبٌ لعمرك لا يُصيبُ مثيلا
هلّا بدا لك أن تجامِلَ بعد ما ... صاغ الرئيسُ لك الثّنا إكليلا؟(٣)
انظر إلى أدب الرئيس ولطفِه ... تجد الرئيسَ مُهذّبا ، ونبيلا

* * *

فى ملعبٍ للمُضحكات مُشيَّدٍ ... مثّلتَ فيه المُبكياتِ فصولا(٤)
شهد (الحسينُ) عليه لعنَ أُصوله ... ويُصَدِّر (الأعمى) به تطفيلا(٥)

١ـ اسماعيل : هو الخديو اسماعيل باشا . وفرعون : لقب كل ملك من ملوك مصر الاقدمين ـ٢ـ رق الرقاب: استعبادها . والبأس : الشدة والقوة ـ٣ـ الرئيس : هو مصطفى باشا فهمي ، كان رئيس مجلس الوزراء لعهد اللورد كرومر ، وهو الذى اقام له حفلة توديع فى دار الاوبرا يوم خروجه من مصر ، وخطب له يودعه ويثنى عليه ، ثم خطب اللورد فاهان الامة ، واهان الخديو اسماعيل فى وجه الامير حسين كامل « السلطان حسين » ، ولم يراع شيئا من الادب ولا المجاملة ـ٤ـ يريد ملعب دار الاوبرا ـ٥ـ الحسين : هو السلطان حسين كامل . والاعمى : هو الشيخ عبد الكريم سلمان ، وكان قد ضعف بصره وكاد يكف .

جُبنٌ أقلَّ وحظٌّ. من قدرَيْهما ... والمرءُ إن يَجبُن يَعِش مَرذولا

لما ذكرت به البلادَ وأهلها ... مثَّلتَ دورَ مماتها تمثيلا(١)

أنذرتَنا رِقًّا يدوم ، وذِلَّةً ... تبقى ، وحالاً لا تَرى تحويلا

أحسِبت أن الله دونكَ قدرةً ؟ ... لا يملك التغييرَ والتبديلا ؟

الله يحكم فى الملوكِ ، ولم تكن ... دولٌ تنازعه القُوى لتَدولا(٢)

فرعونُ قبلكَ كان أعظم سطوة ... وأعزَّ بين العالمين قبيلا(٣)

اليوم أخلفَت الوعودَ حكومةٌ ... كنا نظُن عهودَها الإنجيلا

دخلَتْ على حكمِ الوداد وشرعه ... مصرًا ، فكانت كالسُّلالِ دخولا(٤)

هدَمتْ معالمَها ، وهدّت رُكنَها ... وأضاعت استقلالها المأمولا(٥)

قالوا : جلبتَ لنا الرفاهة والغنى ... جحدوا الإلهَ ، وصُنعَه ، والنيلا(٦)

كم مِنَّةٍ موهومةٍ أتبعتَها ... منًّا على الفَطِنِ الخبيرِ ثقيلا(٧)

فى كلّ تقرير ، تقولُ : خلقتكم ... أفهل ترى تقريرَك التنزيلا ؟(٨)

هل من نداك على المدارس أنها ... تذرُ العلومَ ، وتأخذ (الفُوتبولا) ؟(٩)

أم من صِيانتِك القضاءَ بمصر أن ... تأتى بقاضى دِنْشِوايَ وكيلا ؟(١٠)

---

١ - لما ذكرت به : اي بذلك الملعب -٢- لتدول : لتظهر على غيرها ويحالفها اقبال الحظ -٣- القبيل : الجماعة من أصل واحد -٤- السلال بضم السين : هو داء السل -٥- المعالم : جمع معلم ، وهو موضع الشيء الذى يظن الناس فيه وجوده -٦- قالوا جلبت : الخطاب للورد كرومر -٧- المن : ان تعد لغيرك ما فعلته معه من الصنائع ، كأن تقول : فعلت لك كذا ، واعطيتك كذا ، وهو قبيح مذموم -٨- كان اللورد كرومر يضع كل سنة تقريرا مطولا عن الحالةالعامة فى مصر والسودان ، وكان فى كل تقرير يدعى لنفسه من وجوه الاصلاح فى مصر ما يكذبه الواقع -٩- الندى : الكرم . تذر : تترك . والفوتبول : كلمة من لغة الانكليز معناها كرة القدم -١٠- قاضى دنشواى : هو احمد فتحى زغلول باشا . كان قاضيا فى المحكمة المخصوصة التى عاقبت اهل دنشواى بالشنق والجلد والسجن ، جعله اللورد كرومر بعد هذه المحاكمة وكيلا لوزارة الحقانية ، وقد كان رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية الاهلية.

أم هل يَعُدُّ لك الإضاعةَ منةً … جيشٌ كجيشِ الهند ، بات ذليلا ؟
انظر إلى فِتيانِه ، ما شأنُهم ؟ … أوَ ليس شأنًا فى الجيوش ضئيلا ؟
حرَّمتهم أن يبلُغوا رتبَ العُلا … ورفعتَ قومَك فوقهم تفضيلا
فإذا تطلعتِ الجيوشُ ، وأمَّلت … مستقبلاً ، لم يملِكوا التأميلا
من بعد ما زَفُّوا لإدْوَرْدَ العُلا … فتحاً عريضاً فى البلادِ ، طويلا(١)

* * *

لو كنتُ من حُمْرِ الثياب ، عبدتُكم … من دونِ عيسى ، مُحسِنًا ، ومُنيلا(٢)
أو كنتُ بعضَ الإنكليز ، قبلتُكم … مَلِكًا ، أُقطِّعُ كفَّه تقبيلا
أو كنتُ عضوًا فى (الكلوب) ، ملأتُه … أسفًا لفرقتكم ، بُكًا ، وعويلا(٣)
أو كنتُ قسيساً يَهِيمُ مُبشرًا … رتَّلتُ آيةَ مَدْحِكم ترتيلا(٤)
أو كنتُ صرَّافاً بلندن دائنًا … أعطيتُكم عن طيبةٍ تحويلا
أو كنتُ (تيمسكم) ، ملأتُ صحائفى … مدحاً ، يُردَّد فى الورى موصولا(٥)
أو كنتُ فى مصرٍ نزيلاً جاهدًا … سبَّحتُ باسمك بُكرةً وأصيلا
أو كنتُ (سِريوناً) ، حلفتُ بأنكم … أنتم حَيَوْتُم بالقناةِ الجيلا(٦)
ما كان من عقباتِها ، وصِعابِها … ذللتموه بعزمكم تذليلا

١ـ يشير الى فتح السودان ، وان الجيش المصرى هو الذى قام بعبئه كله ، ولم يكن لجنود الانكليز فيه من أثر يذكر . وادوارد : هو ملك الإنكليز ـ٢ـ حمر الثياب : هم الانكليز ، يقول : لو كنت انكليزيا لعبدتك ولم اعبد عيسى لانك أنلت الانكليز واحسنت اليهم بما لا مثيل له من انالة واحسان ، والخطاب للورد كرومر ـ٣ـ الكلوب : دار ندوة فى القاهره ، يشترك فى الانفاق عليه كل من يشاء من السراة المصريين وكبار الموظفين الانكليز ـ٤ـ ذلك لان اللورد كرومر كان يؤيد التبشير بالمسيحية فى مصر ، ويحمى القسوس القائمين به ـ٥ـ او كنت تيمسكم : اى لو كنت جريدة التيمس الخاصة بكم ـ٦ـ المسيو دى سريون : مدير شركة قناة السويس .

عهدُ الفرنج ـ وأنت تعلم عهدَهم ـ   لا يبخسون المحسنين فَتيلا
فارحل بحفظِ الله جل صنيعُه   مستعفيًا إن شئتَ ، أو معزولا
واحمل بساقك ربطة فى لندن   واخلف هناك غِراىَ أو كمبيلا (١)
أو شاطر الملكَ العظيمَ بلادَه   وسُسِ الممالك ، عرضَها والطولا
إنا تمنينا على الله المنى   والله كان بنيلهنّ كفيلا
من سب دين محمد ، فمحمد   متمكن عند الإله رسولا(٢)

بين الحجاب والسفور

صدّاحُ ، يا ملكَ الكَنا   رِ ، ويا أميرَ البُلبلِ(٣)
قد فزتُ منك (بمعبد)   ورُزقتُ قربَ (الموصلى)(٤)
وأُتيحَ لى (داودُ) مِز   مارًا ، وحسن ترتُّل(٥)
فوق الأسرةِ والمنا   بر قطُّ لم تترجّل(٦)
تهتز كالدينار فى   مُرْتَجٍّ لَحْظِ الأحول(٧)

١ـ واجمل بساقك ربطة : يشير الى نشان عند الانكليز يسمى نشان ربطة الساق ، قيل يوم عزل كرومر انه انعم عليه به ، وغراى وكمبيل : وزيران من وزراء الانكليز ـ٢ـ كان اللورد كرومر قد طعن على الدين الاسلامى فى تقريره سنة ١٩٠٦ ، فزعم انه دين لا يصلح لهذا العصر ، فشاعرنا يشير الى ذلك بقوله : من سب دين محمد .. الخ ـ٣ـ الصداح : الصياح الرفيع الصوت . والكنار : الكنارى : طائر حسن الصوت ، ريشه ابيض يضرب الى الصفرة ، وقوادم جناحيه طويلة الى الخضرة ، وينسب الى جزائر كناريا ، وهى الجزائر الخالدات . والبلبل : طائر صغير سريع الحركة ، يضرب به المثل فى طلاقة اللسان ـ٤ـ معبد : مغن مشهور ، كان أيام الدولة الاموية . والموصلى : يطلق على اسحاق الموصلى وابنه ابراهيم ، وكانا مغنيين وكان لهما مع ذلك فقه وادب ـ٥ـ داود : النبى . ومزاميره : ما كان يترنم به من الادعية والاناشيد ـ٦ـ الترجل : ان ينزل المرء عن ركوبته ويمشى ـ٧ـ الاحول : من فى عينه حول .

وإذا خطرتَ على الملا　　عبِ ؛ لم تدع لممثِّل (١)
ولك ابتداءاتُ (الفرز　　دقِ) ، فى مقاطع (جرول)(٢)
ولقد تَخِذْتَ من الضُّحى　　صُفرَ الغَلائِل. والحلِى(٣)
ورويتَ فى بيض القلا　　نسِ عن عذارى الهيكل(٤)

* * *

ياليت شعرىَ يا أسيـ　　رُ ،شَجٍ فوادُك ، أم خَلِى؟(٥)
وحليفُ سهدٍ ، أم تنا　　مُ الليلَ حتى يَنجلى؟(٦)
بالرغم منى ما تُعا　　لجُ فى النحاس المقفَلِ(٧)
حرصى عليك هوىً ، ومَن　　يُحْرِزْ ثمينًا يبخل
والشحُّ تُحدثُه الضرو　　رةُ فى الجوادِ المُجزلِ(٨)
أنا إن جعلتُكَ فى نُضا　　ر بالحريرِ مُجلَّل(٩)

١ـ لم تدع لممثل : اى لم تترك له ما يجيده من التمثيل والفناء ، لانك اجود صوتا وفنا من كل مغن وممثل ـ٢ـ الفرزدق : لقب همام بن صعصعة الشاعر المشهور ، كان فى صدر الدولة الاموية ، وجـرول : اسم الحطيئة وهو شاعر ادرك الجاهلية والاسلام . والابتداءات : أوائل القصـائد . والمقاطع : جمع مقطع ، وهو آخر بيت من القصيدة ـ٣ـ الغلائل : واحدتها غلالة ، بكسر الغين ، وهى شعار يلبس تحت الثوب ، يشير بهذا المجاز الى ان طائره الصداح أصفر اللون ـ٤ـ القلانس : جمع قلنسوة نوع من لباس الراس . والعذارى : جمع عـذراء .وهى البكر . والهيكل : معناه هنا الموضع فى صدر الكنيسة ، يقرب فيه القربان كما تزعم النصارى ، وفى هذا البيت انواع من المجاز ، ثم كناية عن المعنى المقصود ، وهو يريد ان طائره ابيض الراس كأنه يلبس قلنسوه بيضاء ، كالعذارى الراهبات المنقطعات لخدمة الهيكل ـ٥ـ الشجى : المشـغول . والخلى : الخالى من الهم ـ٦ـ الحليف : كل شىء لزم شيئا آخر فلم يفارقه . والسهد : الارق وعـدم النـوم . وينجلى : يمضى ـ٧ـ ما تعالج ، اى ما تزاول وتمارس . والمراد بالنحاس المقفـل : القفص الذى حبس فيه الطـائر ـ٨ـ الجـواد : الكريم والمجـزل : المكثر من العطاء ـ٩ـ النضار : الذهب . والمجلل : المغطى

ولففتُه في سَوسنٍ وحففتُه بقَرنفُل(١)
وحرقتُ أزكى العودِ حو لَيْه ، وأغلى الصَّندل
وحملتُه فوقَ العيو نِ ، وفوق رأس الجدول(٢)
ودعوتُ كل أغرَّ في مُلك الطيورِ محجَّل
فأتتك بين مُطارحٍ ومحبِّذٍ ، ومدلَّل(٣)
وأمرت بِابني فالتقا كَ بوجهه المتهلِّل(٤)
بيمينه فالوذَجٌ لم يُهدَ (للمتوكِّل)(٥)
وزجاجةٌ من فضةٍ مملوءةٌ من سَلسل(٦)
ماكنتُ يا (صدّاحُ) عند كَ بالكريم المتفضل
شهْدُ الحياةِ مشوبةً بالرّق ، مثلُ الحنظل(٧)
والقيدُ لو كان الجما نَ منظما لم يُحمَل(٨)
ياطيرُ ، لولا أن يقو لوا : جُنَّ ، قلتُ : تعقَّل
اسمع ، فرُبَّ مُفصَّل لك ، لم يفدك كمجمِل
صبرًا لما تشقى به أو ما بدا لك فافعل
أنت ابنُ رأيٍ للطبيـ ـعة فيك غيرِ مُبدَّل
أبدًا مَرُوعٌ بالإسا ر ، مهدَّدٌ بالمقتل(٩)

١ــ السوسن ــ بفتح السين الاولى وضمها : نبات طيب الرائحة ــ٢ ــ العيون هنا : عيون الماء ، والجدول : النهر الصغير ــ٣ــ المدلل، بفتح اللام : المرفه ــ٤ــ المتهلل : المتلالىء ــ٥ــ الفالوذج : حلواء من دقيق وعسل وماء ، والمتوكل احد الخلفاء العباسيين ــ٦ــ السلسل : الخمر اللينة ــ٧ــ الشهد ــ بضم الشين وسكون الهاء : العسل ــ ٨ ــ الجمان : اللؤلؤ ــ٩ــ الاسار : الاسر .

إن طرتَ عن كنفى وقعـ تَ على النُّسورِ الجُهَّل(١)

* * *

يا طيرُ ، والأمثالُ تضـ ـربُ للَّبيب الأمثل(٢)
دنياك من عاداتِها ألّا تكونَ لأعزل(٣)
أو للغبى ، وإن تعلّـ ـل بالزمان المقبل
جُعِلَتْ لِحُرٍّ يُبتَلى فى ذى الحياةِ ويَبتلى
يَرمى ، ويُرمَى فى جها دِ العيشِ غيرَ مغفَّل
مُستجمعٍ كالليثِ ، إن يُجهَل عليه يَجهل(٤)
أسمعتَ بالحكَمَيْن فى الـ إسلامِ يومَ (الجنْدَل)؟(٥)
فى الفتنة الكبرى ، ولو لا حكمةٌ لم تُشعَل(٦)
رَضِيَ الصحابةُ يومَ ذ لك بالكتاب المُنزَل(٧)
وهمُ المصابيحُ ، الروا ةُ عن النبى المرسل
قالوا : الكتابُ ، وقام كـ ـلٌّ مفسر ومؤوِّل
حتّى إذا وَسِعتْ (معا ويةً) ، وضاق بها (على)(٨)

١ـ الكنف : الجانب والناحيـة ـ٢ـ الامثل : الافضل ـ٣ـ الاعزل : من لا سلاح عنده ـ٤ـ المستجمع :من يبذل غاية امكانه . ويجهل عليه ، يتسافه عليه ـ٥ـ الحكمان : همـا ابو موسى الاشعرى ، ارتضاه الامـام على حكما له ، وعمرو بن العـاص ،اختاره معاوية حكما له ، وقصة هذا التحكيم مشهورة . ويوم الجنـدل :وهو أحـد أيـام الحـرب بين عـلى ومعاوية . والجنـدل : اسم مـكان ـ٦ـ ولولا حكمة : اى ولولا حكمـة ارادها الله تعالى لم تشعل تلك الفتنة ـ٧ـ رضى الصحابة .. الخ : ذلك ان اصحاب معاوية لما راوا أن الهزيمـة ستكون لهم ، رفعوا المصاحف عـلى اطراف الاسنة ، ونادوا عليا واصحابه أن ينزلوا واياهم على كتاب الله ، فأمر على أصحابه أن يكفوا عن الحـرب ـ٨ـ حتى اذا وسعت معـاوية : اى حتى اذا وسعت ولاية الامر معـاوية بسبب ان الحيلة التى فعلها عمرو بن العاص جازت على ابى موسى الاشعرى رجعوا للظلم .. الى آخر ما فى البيتين التاليين .

رجعوا لظلم كالطبا ئع فى النفوس مؤصَّل
نزلوا على حكم القوىّ ، وعند رأى الأحيَل(١)
صدّاحُ ، حتى ما أقو ل ، حفِلتَ ، أم لم تحفل
جاورتَ أندى روضةٍ وحللتَ أكرمَ منزل
بين الحفاوةِ من حُسَيْـ نٍ ، والرعايةِ من على
وحنانِ (آمنة) كأُمّـــك فى صباكَ الأول(٢)
صِحْ بالصّباح ، وبشّر الـ أبناء بالمستقبل
واسأل لمصرَ عنايةً تأبى وتهبطُ من عَلِ
قل : ربنا افتح رحمةً والخير منك فأرسل
أدرك كنانتَك الكريـ مةَ - ربّنا - وتقبّل

العلم ، والتعليم ، وواجب المعلم(*)

قمْ للمعلّم وفّه التبجيلا كاد المعلمُ أن يكون رسولا
أعلمتَ أشرَفَ ، أو أجلَّ مِن الذى يبنى ، ويُنشِئُ أنفساً وعقولا ؟
سبحانك اللّهُمَّ خيرَ مُعلّم علّمتَ بالقلم القرونَ الأُولى
أخرجتَ هذا العقل من ظلماتِه وهديتَه النورَ المبينَ سبيلا
وطبعتَه بيدِ المعلم تارةً صدِئَ الحديد ، وتارةً مصقولا(٣)

١ــ الاحيل : الاكثر حيلة ــ٢ــ حسين ، وعلى ، وآمنة : ابناؤه
(*) القيت هذه القصيدة فى حفل قام به نادى مدرسة المعلمين العليا ــ٣ــ
طبع السيف : صاغه . وصدىء الحديد : اى غير مجلو ولا مصقول .

أرسلتَ بالتَّوراةِ موسى مُرشِدًا ... وابنَ البتولِ فعلَّم الإنجيلا(١)
وفجَرتَ يَنبوعَ البيان محمدًا ... فسقى الحديثَ ، وناولَ التنزيلا(٢)
علَّمتَ يونانًا ومصرَ ، فزالتا ... عن كل شمسٍ ما تُريد أفولا
واليومَ أصبحتا بحالِ طُفولةٍ ... فى العلمِ ، تلتمسانِه تطفيلا(٣)
من مَشرِقِ الأرضِ الشموسُ تظاهَرتْ ... ما بالُ مغرِبها عليه أُديلا؟(٤)
يا أرضُ ، مُذ فقدَ المعلِّمُ نفسَه ... بين الشموسِ وبين شرقِك حِيلا
ذهب الذين حَمَوْا حقيقةَ علمِهم ... واستعذبوا فيها العَذابَ وَبيلا
فى عالَمٍ صحِبَ الحياةَ مقيدًا ... بالفردِ ، مخزومًا به ، مغلولا(٥)
صرعته دنيا المستبد ، كما هوتْ ... من ضربةِ الشمسِ الرءوسُ ذُهولا
سُقراطُ أعطى الكأسَ وهى مَنيَّةٌ ... شفتَى محِبٍّ يشتهى التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهى غباوةٌ ... فأبى ، وآثر أن يموت نبيلا(٦)
إن الشجاعةَ فى القلوبِ كثيرةٌ ... ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلا

* * *

إن الذى خلق الحقيقةَ عَلْقَمًا ... لم يُخلِ من أهل الحقيقةِ جيلا
ولربما قتل الغرامُ رجالَها ... قُتِلَ الغرامُ ، كم استباحَ قتيلا
أوَكُلُّ مَن حامى عن الحقِّ اقتنَى ... عند السوادِ ضغائنًا وذُحولا؟(٧)
لو كنتُ أعتقدُ الصَّليبَ وخَطْبَه ... لأقمتُ من صَلْبِ المسيح دليلا

* * *

---

١ ـ البتول : لقب السيدة مريم عليها السلام ـ٢ـ التنزيل : القرآن ـ٣ـ التطفيل : التطفل ـ٤ـ اديل المغرب على المشرق : اى فاقه وانتزع منه الدولة ـ٥ـ مخزوما به : اى مسخرا له ـ٦ـ النبل : الذكاء ـ٧ـ الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .

أَمُعلِّمي الوادى ، وساسةَ نَشْئِه   والطابعينَ شَبابَه المأمولا
والحاملينَ – إذا دُعوا ليُعلِّموا –   عبءَ الأمانةِ فادحاً مسئولا
كانتْ لنا قدمٌ إليه خفيفةٌ   وَرِمَتْ بدنلوبٍ فكان الفيلا(١)
حتى رأينا مصرَ تخطو إصبَعًا   فى العلم ، إن مشتِ الممالك ميلا
تلك الكفورُ – وَحَشْوُها أُمِّيَّةٌ –   من عهد «خوفو» لم تر القنديلا
تجدُ الذين بنى «المسلّةَ» جدُّهم   لا يُحسنون لإبرةٍ تشكيلا
ويُدَلَّلون إذا أُريدَ قيادُهم   كالبُهْم تأنسُ إذ ترى التدليلا
يتلو الرجالُ عليهمُ شهواتِهم   فالناجحون أَلَدُّهم ترتيلا
الجهلُ لا تحيا عليه جماعةٌ   كيف الحياةُ على يَدَىْ عِزريلا؟
واللهِ لولا أَلسُنٌ وقرائحٌ   دارت على فِطَنِ الشباب شَمولا(٢)
وتعهَّدتْ من أربعين نفوسَهم   تغزو القنوطَ ، وتغرِسُ التأميلا
عرفتْ مواضعَ جدبهم ، فتتابعتْ   كالعينِ فيضًا ، والغمامِ مسيلا
تُسدى الجميلَ إلى البلاد ، وتستحى   من أن تُكافَأ بالثناء جميلا
ما كان دنلوبٌ ، ولا تعليمُهُ   عند الشدائد ؛ يُغنيان فتيلا

* * *

رَبُّوا على الإنصافِ فتيانَ الحِمَى   تجدوهُمُ كهفَ الحقوقِ كهولا
فهو الذى يبنى الطباعَ قويمةً   وهو الذى يبنى النفوسَ عُدولا
ويقيمُ منطقَ كلِّ أعوجِ منطقٍ   ويُريه رأيا فى الأُمور أصيلا

١– الفيل : ورم يصيب الساق ، ودنلوب : مستشار انجليزى منيت به نظارة المعارف المصرية ، فأساء الى العلم والتعليم –٢– الفطن : جمع فطنة ، وهى الـ[illegible] الذكاء ، والشمول : الخمر .

وإذا المعلّمُ لم يكن عدلا ، مشى روحُ العدالةِ فى الشباب ضئيلا
وإذا المعلّم ساء لحظَ بصيرةٍ جاءت على يده البصائرُ حُولا(١)
وإذا أتى الإرشادُ من سببِ الهوى ومن الغرورِ ، فسمِّه التضليلا
وإذا أُصيب القومُ فى أخلاقهم فأَقِمْ عليهم مأتما وعويلا
إنى لأعذُركم وأحسبُ عِبْئَكم من بين أعباء الرجال ثقيلا
وجد المساعدَ غيرُكم ، وحُرِمْتمُ فى مصرَ عونَ الأمهاتِ جليلا
وإذا النساءُ نشأْن فى أُمّيةٍ رَضَع الرجالُ جهالةً وخمولا
ليس اليتيمُ من انتهى أبواهُ من همِّ الحياةِ ، وخلَّفاه ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكيمةِ منهما وبحسن تربيةِ الزمان بديلا!
إنَّ اليتيم هو الذى تَلقَى له أمًّا تخلَّتْ ، أو أبا مشغولا(٢)

* * *

مصرُ إذا ما راجعتْ أيامَها لم تلقَ للسَّبت العظيم مثيلا(٣)
(البرلمانُ) غدًا يُمدُّ رواقُه ظلاً على الوادى السعيدِ ظليلا
نرجو إذا التعليم حرّكَ شجوَهُ ألا يكون على البلاد بخيلا
قل للشباب : اليومَ بُورِك غرسُكم دنت القطوفُ ، وذُلِّلَتْ تذليلا
حيُّوا من الشهداء كلَّ مغيَّبٍ وضعوا على أحجاره إكليلا
ليكون حظُّ الحىِّ من شُكرانكم جمًّا ، وحظُّ الميْتِ منه جزيلا

١ـ الحول : جمع حولاء ، والحولاء : من فى عينها حول ، والحول : اقبال الحدقة على الانف ، وهو عيب ـ٢ـ اما تخلت عن تربيته ، وابا مشغولا عن العناية به وتهذيبه ـ٣ـ السبت : ١٥ مارس ١٩٢٤ ، وهو اليوم الذي افتتح فيه (البرلمان) الأول ، وقد كان هذا اليوم قريبا من يوم الاحتفال .

لا يلمسُن الدستورُ فيكم روحَه | حتى يرى جنديَّه المجهولا(١)
ناشدتُكم تلك الدماء زكيةً | لا تبعثوا للبرلمان جَهولا
فلْيسألَنَّ عن الأرائكِ سائلٌ | أحملنَ فضلًا ، أم حملنَ فُضولا؟
إنْ أنتَ أطلعتَ الممثِّل ناقصًا | لم تلق عند كماله التمثيلا
فادعوا لها أهلَ الأَمانة ، واجعلوا | لأُولى البصائرِ منهم التفضيلا
إن المقصِّرَ قد يَحُولُ ، ولن ترى | لجهالةِ الطبع الغبيِّ محيلا
فلرُبَّ قولٍ فى الرجالِ سمعتمُ | ثم انقضى ، فكأنه ما قيلا
ولكم نصرتم بالكرامة والهوى | مَن كان عندكمُ هو المخذولا
كرمٌ وصفحٌ فى الشبابِ ، وطالما | كرُمَ الشبابُ شمائلًا وميولا
قوموا اجمعواشُعَبالأُبوةِ ، وارفعوا | صوتَ الشباب مُحبَّبًا مقبولا
ما أبعدَ الغاياتِ !! إلا أننى | أجدُ الثباتَ لكم بهنّ كفيلا
فكِلوا إلى اللهِ النجاحَ ، وثابروا | فالله خيرٌ كافلًا ووكيلا

بنك مصر (*)

قِفْ بالممالكِ ، وانظرْ دولةَ المالِ | واذكرْ رجالًا أدالوها بإجمال
وانقلْ ركابَ القوافى فى جوانبها | لا فى جوانب رسمٍ المنزلِ البالى
ما هيكلُ الهرم الجيزىِّ من ذهبٍ | فى العين ، أزينَ من بُنيانِها الحالى
علابها الحرصُ أركاناً ، وأخرجها | على مثالٍ من الدنيا ، ومِنوال

١ــ يريد بالجندى المجهول : من يعمل فى غير جلبة ، ولا ضوضاء ، وفى غير انتظار مكافأة ، أو جزاء .

(*) قيلت هذه القصيدة فى الاحتفال بانشاء بنك مصر بدار (الاوبرا) الملكية .

فيها الشقاءُ لقومٍ. والنعيمُ لهم   وبؤسُ ساهرٍ، ونُعمى قاعدٍ سالِ
والمالُ ــ مُذْ كان ــ تمثالٌ يطافُ به   والناسُ ــ مذ خُلقوا ــ عُبَّادُ تمثال
إذا جفا الدورَ؛ فَانْعَ النازلين بها   أو الممالكَ؛ فانْدُبْها كأطلال
يا طالباً لمعالى الملك مجتهدًا   خُذْها من العلم أو خُذْها من المال
بالعلمِ والمالِ يَبنى الناسُ مُلْكَهُمُ   لم يُبْنَ ملكٌ على جهلٍ وإقلال
سراةَ مصرَ، عهدناكم إذا بُسطتْ   يدُ الدعاء سراعاً غيرَ بُخَّالِ
تبيَّنَ الصدقُ من بينِ الأُمور لكم   فامضوا إلى الماءِ، لا تُلْوُوا على الآل(١)
لا يذهبِ الدَّهرُ بين التُّرَّهاتِ بكم   وبين زَهْرٍ من الأَحلام قتَّال
هاتوا الرجال وهاتوا المال، واحتشدوا   رأياً لرأى، ومِثْقالاً لمثقال
هذا هو الحجرُ الدرِّىُّ بينكم   فابنوا بِنَاء قريشٍ بيتَها العالى
دارٌ إذا نزلتْ فيها ودائعكُم   أودعتم الحَبَّ أرضاً ذاتَ إغلال
آمالُ مصرَ إليها طالما طمحتْ   هل تبخلونَ على مصر بآمال؟
فابنوا على بركات الله، واغتنموا   ما هيَّأَ اللهُ من حظٍّ وإقبال

مرحبا بالهلال(*)

العامُ أقبلَ، قُمْ نُحَيِّ هلالا   كالتاج فى هامِ الوجود جلالا
طُغْرَى كتابِ الكائناتِ لقارئٍ   يزِنُ الكلامَ، ويَقدُرُ الأقوالا
مَلَكَ السماء، فكان فى كُرْسيِّهِ   بين الملائكِ والملوك مِثالا

---

١ ــ الآل: السراب
* ــ قيلت هذه القصيدة فى رأس سنة ١٣٢٦ الهجرية.

تتنافسُ الآمالُ فيه ، كأنّه ⠀⠀ ثغرُ العنايةِ ضاحكَ الآمالا
بالشمسُ تُزلِف عيدَها ، وتزفُّه ⠀⠀ بشرَى بمطلعهِ السعيدِ ، وفالا(١)
عيدُ المسيح ، وعيدُ أحمد ، أقبلا ⠀⠀ يتباريان وضاءةً وجمالا
ميلادُ إحسانٍ ، وهجرةُ سُؤدَدٍ ⠀⠀ قد غيَّرا وجه البسيطةِ حالا

* * *

قمْ للهلالِ قيامَ مُحتفِلٍ به ⠀⠀ أثنى ، وبالغ فى الثناء ، وغالى
نورُ السبيلِ هُدًى ، لكلِّ فضيلةٍ ⠀⠀ يَهدى الحكيمُ لها ، وسَنَّ خِلالا
ما بينَ مولِدِه وبين بلوغه ⠀⠀ ملأَ الحياةَ مآثرًا وفعالا
متواضعٌ ، واللهُ شرّف قدرَه ⠀⠀ بالشمسِ نِدًّا ، والكواكبِ آلا(٢)
متودِّدٌ عند الكمالِ ، تخالُه ⠀⠀ فى راحتَيْكَ ، وعَزَّ ذاك مَنالا
وافٍ لجارةِ بَيْتِهِ ، يرعى لها ⠀⠀ عهدَ السَّمَوْءَلِ ، عُرْوَةً ، وحِبالا(٣)
عَونُ السُّراة على تصاريفِ النوى ⠀⠀ أَمِنوا عليه وحْشَةً وضلالا(٤)
ويُصانُ من سرِّ الصبابةِ عندَه ⠀⠀ ما باتَ عند الأكثرين مُذالا(٥)
ويُشَكُّ فيه ، فلا يكلِّف نفسَه ⠀⠀ غيرَ الترفُّع والوقار نِضالا
ساءت ظنونُ الناس حتى أحدثوا ⠀⠀ للشكِّ فى النور المبين مجالا
والظنُّ يأخذ فى ضميرك مأخذًا ⠀⠀ حتى يُريكَ المستقيمَ محالا
ومن العجائبِ عند قِمَّةِ مجدِه ⠀⠀ رام المزيدَ ، فجدَّ فيه ، فنالا
يطوى إلى الأَوْجِ السماواتِ العُلا ⠀⠀ ويشدُّ فى طلب الكمالِ رِحالا
ويَنْزلُ من هُوجِ الرياحِ عزائمًا ⠀⠀ ويَدُكُّ من موْج البحار جبالا

---

١ – تزلفه : أى تقربه . ⠀⠀ ٣ – الند : النظير . والآل : الاهل
٣ – جارة بيته : هى الزهرة التى تلازمه دائما . وبيته : هو الهالة التى تحيط به .
٤ – السراة : السائرون ليلا . ⠀⠀ ٥ – السر المذال : الذى لا يكتم .

ويُضيءُ أثناء الخمائل والرُّبَى ... حتى تَرى أسحارَها آصالا
ويَجُولُ فى زُهْرِ الرياضِ، كأنه ... صيِّبُ الربيعِ ، مشى بهنّ ، وجالا

* * *

أممَ الهلالِ ، مقالةً من صادقٍ ... والصدقُ أليقُ بالرجال مقالا
متلطِّفٍ فى النصحِ ، غيرِ مُجادِلٍ ... والنصحُ أضيعُ ما يكون جدالا
من عادة الإسلام يرفعُ عاملا ... ويسوِّدُ المِقدامَ والفعّالا
ظلمتْه ألسنةٌ تؤاخذُه بكم ... وظلمتموه مُفرِّطين ، كسالى
هذا هلالُكمُ تكفَّلَ بالهُدى ... هل تعلمون مع الهلال ضلالا ؟
سرَتِ الحضارةُ حقبةً فى ضوئه ... ومشى الزَّمانُ بنورِه مختالا
وبنَى له العربُ الأجاودُ دُولة ... كالشمس عرشاً ، والنجومِ رجالا
رفعوا له فوق السماكِ دعائمًا ... من عِلْمِهمْ ومن البيانِ ، طِوالا
اللهُ جلَّ ثناؤه بلسانِهم ... خلق البيانَ وعلَّم الأمثالا
وتخيَّرَ الأخلاقَ أحسنَها لهم ... ومكارِمُ الأخلاقِ منه تعالى
كالرُّسلِ عَزْماً ، والملائِك رحمةً ... والأُسْدِ بأساً ، والغيوثِ نوالا
عَدلوا ، فكانوا الغيثَ وقعاً ، كلما ... ذهبوا يمينًا فى الورى ، وشمالا
والعدلُ فى الدُّولاتِ أُسٌّ ثابتٌ ... يُفنِى الزمانَ ، ويُنفِد الأجيالا
أيامَ كان الناسُ فى جَهلاتِهم ... مثلَ البهائمِ ، أُرْسِلت إرسالا
من جهلِهم بالدين والدنيا معاً ... عبدوا الأصمَّ ، وألَّهوا التمثالا
ضلوا عقولا بعد عرفانِ الهدى ... والعقلُ إن هو ضلَّ كان عِقالا(١)
حتى إذا انقسموا تقوَّضَ ملكهم ... والملكُ إن بطلَ التعاونُ زالا
لو أن أبطالَ الحروب تفرقوا ... غلب الجبان على القَنا الأبطالا

---

(١) العقال فى الأصل يشد به البعير، وهنا بمعنى القيد .

يا شباب الديار (*)

غالِ فى قيمةِ ابن بُطْرُس غالى　　علم اللهُ ليس فى الحقّ غالى(١)
يحتفى بالأديب ، والحق يقضى　　وجلالُ الأخلاقِ والأعمال
أدبُ الأكثرين قولٌ ، وهذا　　أدب فى النفوس والأفعال
يُظهرُ المدحُ رونَقَ الرجلِ الما　　جدِ ، كالسيفِ يزدهى بالصِّقال(٢)
رُبَّ مدحٍ أذاع فى الناس فضلا　　وأتاهم بقُدوةٍ ومِثال
وثناءٍ على فتى عمَّ قوماً　　قيمةُ العِقْدِ حُسنُ بعضِ اللآلى
إنما يقدُرُ الكرام كريمٌ　　ويقيمُ الرجالُ وزنَ الرجال(٣)
وإذا عظَّمَ البلادَ بَنوها　　أنزلتهم منازلَ الإجلال
توَّجتْ هامَهم كما توَّجوها　　بكريم من الثناء وغالى
إنما (واصفٌ) بناءٌ من الأخـ　　ـلاقِ ، فى دولةِ المشارق عالى
ونجيبٌ ، مهذَّبٌ ، من نجيبٍ　　هذَّبتْه تجاربُ الأحوال
واهبُ المالِ والشبابِ لما يَنْـ　　ـفع ، لا للهوى ، ولا للضلال
ومذيقُ العقولِ فى الغرب مما　　عَصَرَ العُرْبُ فى السنينَ الخوالى

---

* ـ قيلت هذه القصيدة فى تكريم واصف غالى باشا سنة ١٩٠٦ (واصف غالى بك يومئذ) ولعلها كانت اول دعوة الى اتحاد عنصرى هذه الأمة الكريمين . ولعل صاحب الديوان كان يتكشف له الغيب ، فيرى خيال هذا الاتحاد ، ويدعو اليه ، والناس عنه عمون . وحديث المؤتمرين ما زال يومئذ ملء الأفواه والاسماع ، ولقد شاء الله أن يستجيب دعاءه ، وان يربط بين الأخوين برباط مقدس ، كان لصاحب الديوان فضل الخيط الاول فى نسيجه .

١ ـ غال فى المدح : بالغ فيه. وغالى (الثانية) اما ان يراد بها الامر ، أو يراد بها اسم والد المكرم المرحوم بطرس باشا غالى .

٢ ـ صقل السيف صقالا : جلاه .　٣ ـ قدره : عظمه .

فى كتابٍ حوى المحاسنَ فى الشِّـ ـعر، وأوعى جوائزَ الأمثال(١)
من صفاتٍ، كأنها العينُ صدقاً فى أداء الوجوه والأشكال
ونسيب، تحاذِرُ الغِيدُ منه شَرَكَ الحسنِ أو شباكَ الدلال
ونظامٍ، كأنه فَلَكُ الليـ ـلِ إذا لاحَ وهو بالزهر حالى
وبيانٍ، كما تجلى على الرُّشـ ـدِ تجلَّى على رعاةِ الضال(٢)
ما علِمنا لغيرهم من لسان زال أهلوه، وهْو فى إقبال
بليتْ هاشِمٌ، وبادتْ نزارٌ واللسانُ المبين ليس ببالى
كلما همَّ مجدهُ بزوالٍ قام فحلٌ، فحالَ دون الزَّوال

* * *

يابنى مصرَ، لم أقلْ أمَّةَ الـ قبطِ، فهذا تشبُّثٌ بمحال
واحتيالٌ على خيال من المجـ ـدِ، ودعوى من العِراض الطوال
إنما نحنُ مسلمينَ وقبطًا أمةٌ وُحِّدَتْ على الأجيال
سبق النيلُ بالأبوّةِ فينا فهو أصلٌ، وآدمُ الجدُّ تالى
نحن من طينهِ الكريم على الله، ومن مائِهِ القَراح الزُّلال(٣)
مَرَّ ما مَرَّ من قرونٍ علينا رُسَّفًا فى القيود والأغلال
وانقضى الدهر، بينَ زَغرَدةِ العر سِ، وحَثْوِ التراب، والإعوال
ما تَحلَّى بكم يسوعُ، ولا كُنّــا لِطه ودينهِ بجَمال
وتُضاعُ البلادُ بالنوم ِعنها وتضاعُ الأمورُ بالإهمال
ياشبابَ الديار، مصرُ إليكم ولواءُ العرينِ للأشبال

---

١ ـ يشير الى كتاب فرنسى الفه واصف باشا وكان موضع تكريمه .
٢ ـ الضال : نوع من الشجر، والمراد : رعاة ما ياكل الضال من الحيوان، اى رعاة الابل .
٣ ـ الماء القراح : الصافى .

كلَّما رُوِّعتْ بشبهةِ بأْسٍ   جعلتكم معاقِلَ الآمال

هَيِّئوها لما يليقُ بعنفٍ   وكريمِ الآثارِ والأطلال

وانهضوا نهضةَ الشعوبِ لِدُنيا   وحياةٍ كبيرةِ الأشغال

وإلى اللهِ من مشى بصليبٍ   فى يديهِ ، ومن مشى بهلال

نهج البردة

ريمٌ على القاعِ بين البانِ والعلَمِ   أَحَلَّ سفْكَ دمى فى الأَشهر الحُرُمِ(١)

رمى القضاءُ بعيْنَى جُؤذَر أَسدًا   ياساكنَ القاعِ ، أَدرِكْ ساكنَ الأَجمِ(٢)

لما رَنا حدّثتنى النفسُ قائلةً   ياوَيْحَ جنبِكَ ، بالسهمِ المُصيبِ رُمِى(٣)

جحدتها ، وكتمت السهمَ فى كبدى   جُرْحُ الأَحبة عندى غيرُ ذى أَلمِ(٤)

رزقتَ أَسمحَ مافى الناس من خُلُق   إذا رُزقتَ التماس العذْر فى الشِّيَمِ(٥)

---

١ ــ الرئم (بالهمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء) : الظبى الخالص البياض . والقاع : الارض السهلة المطمئنة . والبان : جمع بانة ، ضرب من الشجر . والعلم : الجبل . والاشهر الحرم : أربعة ، ثلاثة متتابعة هي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد ، وهو رجب ، وكانت العرب لا تستحل فيها القتال ، وفى الشطر الثانى طباق بين قوله : « أحل » ، وقوله : «الحرم» ولا يذهب عن القارىء ما فى البيت من براعة الاستهلال .

٢ ــ الجؤزر : ولد البقرة الوحشية والأجم : جمع اجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف ، وهو مسكن الاسد . بريد بالجؤذر : المحبوبة التى شبهها فى البيت السابق « بالريم » ، تشبيها لها بالجؤذر فى جمال عينيه واتساعهما ، ويريد « بالاسد » : نفسه ، وفى الشطر الثانى يستغيث بالمقتول للقاتل ــ لا منه ــ ويستنجد للاسد بالغزال ، وهو بديع .

٣ ــ رنا : ادام النظر مع سكون الطرف . وياويح : كلمة تقال لمن وقع فى الشدة والمكروه ، يستنجد له بالرأفة والرحمة مما وقع فيه .

٤ ــ جحدتها ، الجحود : الانكار مع العلم .

٥ ــ الشيم : جمع شيمة ، وهى الخلق والطبيعة .

يا لائمى فى هواه – والهوى قدَرٌ –   لو شفَّك الوجدُ لم تَعذِل ولم تلم(١)

لقد أنلتُك أذناً غير واعيةٍ   ورُبَّ منتصتٍ والقلبُ فى صَمم(٢)

ياناعس الطرفِ، لاذقتَ الهوى أبدًا   أسهرتَ مُضناك فى حفظِ الهوى، فنم(٣)

أفديك إلفًا، ولا آلو الخيالَ فِدًى   أغراك بالبخل مَن أغراه بالكرم(٤)

سرَى، فصادف جُرحا دامياً، فأسا   ورُبَّ فضلٍ على العشاقِ للحُلُم(٥)

مَن الموائسُ باناً بالرُّبى وقَناً   اللاعباتُ بروحى، السافحاتُ دمى؟(٦)

السافراتُ كأمثالِ البُدور ضُحًى   يُغِرْنَ شمسَ الضُّحى بالحَلْى والعِصَم(٧)

القاتلاتُ بأجفانٍ بها سَقَمٌ   وللمنيةِ أسبابٌ من السَّقَم

العاثراتُ بألبابِ الرجال، وما   أُقِلنَ من عثراتِ الدَّلِّ فى الرَّسم(٨)

المضرماتُ خُدودًا، أسفرت، وَجَلتْ   عن فِتنة، تُسلِمُ الأكبادَ للضرَم(٩)

الحاملاتُ لواءَ الحسنِ مختلفاً   أشكالُه، وهو فردٌ غير منقسِم(١٠)

---

١ – شفه الوجد : اهزله وانحـل حسمه

٢ – انتصت : سكت سكوت مستمع وفى الشطر الثانى من البيت طباق بين قوله : « منتصت » ، وقـوله : « فى صمم ».

٣ – الناعس : الوسنان . والطرف (بالفتح) : العين . والمضنى : الذى اثقله المرض . ومضناك : الذى أضنيته بما لحقه من الوله عليك . وفى الشطر الثانى طباق بين قوله « أسهـرت » وقوله : « فنم » .

٤ – الالو ، هنا : المنع والتقصير . واغراه بالشىء : زينه له وحرضه عليه

٥ – السرى . المشى فى الليل . واسا الجرح يأسوه : داواه .

٦ – الموائس : جمع مائسة ، وهى المتبخترة ، والبان : ضرب من الشجر واحدتها : بانة ، يشبه القوام باغصانها للدونتها . والقنا : جمع قنـاة ، وهى الرمح . وسفح الدم : سفكه واساله   ٧ – يقال : سفرت المراة : كشفت عن وجهها . والحلى : ما تزين بـه المرأة من مصوغ المعادن وكـريم الحجارة ، والعصم : القلائد ، جمـع عصمة ، كعنب وعنبة .

٨ – العثرة : الزلة والسـقطة . واقاله من عثرته : انهضه منها . والدل قريب المعنى من الهدى : وهمـا من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظـر والشمائل وغير ذلك . والرسـم . حسن المشى .

٩ – الضرم : اشتعال النار .

١٠ – اللواء : العلم ، وحمل لـواء الحسن : كناية عن نهاية الحسن فيه .

من كلِّ بيضاءَ أو سمراءَ زُيِّنتا ... للعينِ، والحُسنُ فى الآرامِ كالعُصُمِ(١)

يُرَعْنَ للبصرِ السامى، ومن عجبٍ ... إذا أشَرن أسرن الليثَ بالعَنَمِ(٢)

وضعتُ خدِّى، وقسَّمتُ الفؤادَ ربىً ... يَرتَعنَ فى كُنُسٍ منه وفى أكَمِ(٣)

يابنتَ ذى اللِّبَدِ المحميِّ جانبُه ... ألقاكِ فى الغابِ، أم ألقاكِ فى الأُطُمِ؟(٤)

ما كنتُ أعلم حتى عنَّ مسكنُه ... أن المُنى والمنايا مضرِبُ الخِيَمِ(٥)

مَنْ أنبتَ الغصنَ مِنْ صَمصامةٍ ذكرٍ؟ ... وأخرج الريمَ مِن ضِرغامةٍ قرِمِ؟(٦)

بينى وبينكِ من سُمْرِ القَنا حُجُبٌ ... ومثلُها عِفَّةٌ عُذريةُ العِصَمِ(٧)

لم أغشَ مغناكِ إلا فى غضونِ كرًى ... مَغناكِ أبعدُ للمشتاقِ من إرَمِ(٨)

---

١ ـ العصم : جمع اعصم ، الذى فيه العصمة بالضم، وهى بياض اليدين والعصماء من المعز : البيضاء الذراعين وسائرها اسود او احمر ، وحرك الصاد اتباعا لحركة العين قبلها

٢ ـ يرعن : يخفن ، والعنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخصوبة ، وفى البيت جناس بين قوله . « أشرن » وقوله «أسرن»

٣ ـ وضع الخد هنا : كناية عن الخضوع والاستسلام . والكنس (بضمتين) جمع كناس ، وهو مستقر الظباء فى الشجر . والأكم : جمع اكمة وهى الموضع يكون اشد ارتفاعا مما حوله .

٤ ـ اللبد : جمع لبدة ، وهى الشعر المتراكب بين كتفى الأسد . والغاب : جمع غابة ، وهى الشجر المتكاثف . والاطم : القصر ، وكل حصن مبنى بالحجارة .

٥ ـ عن الشىء : بان وظهر ، والمنايا: جمع المنية ، وهى الموت ، يريد « بالمنى » : محبوبته أو لقاءها ، و « بالمنايا » : اباها او لقاءه ، مبالغة ، ومضرب الخيم : المكان الذى تضرب فيه وتقام ، اى حيث تنزل تلك المحبوبة فى جوار ابيها . وفى البيت جناس .

٦ ـ الصمصامة : السيف ، والضرغامة : الاسد . والقرم : شديد الشهوة الى اللحم ، وهنا كناية عن شدة البأس والافتراس ، وأراد « بالغصن » و « الريم » معشوقته ، و « بالصمصامة » و « الضرغامة » : اباها ، يتعجب كيف يولد لمثل هذا الرجل ، الشبيه بالسيف فى صلابته ومضائه ، مثل هذه المعشوقة ، التى هى كالغصن فى اللدونة ولطف التثنى، وايضا : كيف يكون لمن يشبه الاسد فى قوته وسطوته وباسه ، مثل هذه التى تشبه الغزال فى رقته وضعفه !

٧ ـ العفة العذرية : نسبة لقبيلة بنى عذرة ، اشتهر شبابها بالعشق والعفاف ، والعصم : جمع عصمة وهى المنع والحفظ

٨ ـ غشى المكان : وافاه . والمغنى : المنزل الذى غنى به أهله : والكرى : النوم . وارم : هى ارم ذات العماد ، التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

يا نفسُ ، دنياكِ تُخْفى كلَّ مُبكيةٍ وإن بدا لكِ منها حُسنُ مُبتسَمِ (١)
فُضِّى بتقواكِ فاهاً كلما ضحكتْ كما يُفضُّ أذَى الرقشاءِ بالثَّرَمِ (٢)
مخطوبةٌ — منذُ كان الناسُ — خاطِبَةٌ من أولِ الدهرِ لم تُرْمِل ، ولم تَئِمِ (٣)
يَفنى الزّمانُ ، ويبقى من إساءتِها جرحٌ بآدم يَبكى منه فى الأَدَمِ (٤)
لا تحفلى بجناها ، أو جنايتِها الموتُ بالزَّهْرِ مثلُ الموتِ بالفَحَمِ (٥)
كم نائمٍ لا يَراها ، وهى ساهرةٌ لولا الأمانىُّ والأحلامُ لم ينمِ (٦)
طوراً تمدُّك فى نُعْمى وعافيةٍ وتارةً فى قرَار البؤسِ والوَصَمِ (٧)
كم ضلَّلتكَ ، ومَن تُحْجَبْ بصيرتُه إن يلقَ صابا يرِدْ ، أو عَلْقما يَسُمِ (٨)
يا ويلتاهُ لنفسى ! راعَها ودَهَا مُسْوَدَّةُ الصُّحفِ فى مُبْيَضَّةِ اللِّمَمِ (٩)
ركَضْتُها فى مَرِيع المعصياتِ ، وما أخذتُ من حِمْيَةِ الطاعاتِ للتُّخَمِ (١٠)

---

١ — المبتسم : بمعنى المصدر ، اى الابتسام ، ويجوز ان يراد به الموضع ، اى الثغر ، والاضافة فيه من اضـافة الصفة للموصوف .

٢ — الرقشاء من الحيات : المنقطة بالسواد والبياض . وأذى الرقشاء : سمها . والثرم : كسر السن من أصلها ٣ — ارملت المرأة : اذا مات عنهـا زوجها . وآمت المرأة من زوجها تئيم . والأيم : التى لا زوج لها ، سواء أكانت بكرا ، أم كان لها زوج فقدته . ٤ — الأدم : الجلد ، يقول : مع ان حالها وحال الناس ما ذكرنا ، فـان اساءتها ما تنتهى ، حتى ان آدم (عليه السلام) لاينسى كيدها الى آخر الزمان ، وفى البيت الجناس بين آدم والادم .

٥ — الجنى : ما يجتنى من الشجرة ويقطف من ثمرها

٦ — يريد بالنائم : المغتر بالدنيـا الغافل عن مصائبها وغيرها .

٧ — الوصم (بالتحريك) : الالـم والمرض ، يقال وصمته الحمى فتوصم : اى آلمته فتألم .

٨ — الصاب : جمع صابة ، شجر مر . والعلقم . الحنظل . ويسم ، من سام يسوم : اى رعى يرعى

٩ — دها : اى دهاها . اللمم : جمع لمة ، وهى الشعر يجاوز شحمة الأذن . مسودة الصحف : كناية عن العمـل السيىء . ومبيضة اللمم : الشـيب ، والاضافة فيها من اضافة الصفة للموصوف .

١٠ — ركضتها ، أصل الركـض : تحريك الرجل ، ويقال ركضت الفرس برجلى : اذا استحثثته ليعدو . والمراد هنا مجرد اطلاق النفس وارسالهـا فى طريق غوايتها . وفيه تشبيه النفس بالسائمة ، تشبيها مضمرا فى النفس على سبيل الاستعارة المكنية . والمريع : الخصيب . ومريع المعصـيات : من اضـافة المشبه به للمشبـه ، أى المعصيات التى هى شبيهة بالمرعى المريع تستطيبه الدابة ، ففيه تشبيه ضمنى لمن يرسل نفسه فى المعاصى ، بالبهيم الذى يستطيب المرعى ويستبر سل فيه . وحمية الطاعات ، كذلك من اضافة =

هامت على أثرِ اللذاتِ تطلبُها ... والنفس إن يدعُها داعى الصِّباتَهِم(١)
صلاحُ أمرِك للأخلاقِ مرجعُه ... فقوِّم النفسَ بالأخلاقِ تستقم
والنفسُ من خيرِها فى خيرِ عافيةٍ ... والنفسُ من شرها فى مَرْتَعٍ وَخِمِ(٢)
تطغى إذا مُكِّنَتْ من لذةٍ وهوىً ... طَغْيَ الجيادِ إذا عَضَّت على الشُّكُمِ(٣)
إنْ جَلَّ ذنبى عن الغفران لى أملٌ ... فى اللهِ يجعلنى فى خيرِ مُعتصَمِ(٤)
أُلقى رجائى إذا عزَّ المُجيرُ على ... مُفرِّج الكرب فى الدارينِ والغمَمِ(٥)
إذا خفضتُ جَناحَ الذُّلِّ أسألُه ... عِزَّ الشفاعةِ ، لم أسأل سوى أَمَمِ(٦)
وإن تقدَّم ذو تقوى بصالحةٍ ... قدَّمتُ بين يديه عَبْرَةَ الندَمِ(٧)
لزمتُ بابَ أمير الأنبياء ، ومَنْ ... يُمْسِكْ بمِفتاح باب الله يغتنِمِ(٨)
فكلُّ فضلٍ ، وإحسانٍ ، وعارفةٍ ... ما بين مستلم منه ومُلتزم(٩)
علقتُ من مدحهِ حبلاً أعزُّ به ... فى يوم لا عِزَّ بالأنسابِ واللُّحَمِ(١٠)

= المشبه به المشبه . اى الطاعات التى شبيهة بالحمية ، وفيه ايضا تشبيه ضمنى لمن يتعفف عن مساورة المعاصى بمن يمسك نفسه أن ينال ما يهيضه من الوان الطعام . والتخم : جمع تخمة ، قيل : هى فساد الطعام فى المعدة وقيل فساد المعدة بالطعام ، وقوله « للتخم » ، اى للتحرز عن التخم .

١ ـ هامت الناقة على وجهها : ذهبت ترعى . وداعى الصبا : اللهو والشباب .

٢ ـ المرتع ـ من رتعت الماشية ترتع رتوعا : اكلت ماشاءت . والمرتع : موضع الرتوع . والوخم : الردىء الوبى .

٣ ـ الشكم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى لجام الفرس .

٤ ـ عصمة الله العبد : حفظه مما يوبقه ويهلكه ، والمعتصم : الموضع منها ، أو بمعنى المصدر ، أى الإعتصام .

٥ ـ الغمم : جمع غمة ، وهى الهم والحزن . والمجير هنا : المنقذ . اذا عز المجير ، اى يوم القيامة . ومفرج الكرب فى الدارين : هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه ، لانه أخرج الناس فى الدنيا من ظلمة الغواية الى نور الهدايه . وهو فى الآخرة صاحب الشفاعة العظمى .

٦ ـ الأمم : اليسير . وخفض جناح الذل : كناية عن شدة التواضع والانكسار .

٧ ـ العبرة : تحلب الدمع .

٨ ـ امير الانبياء : هو محمد صلى الله عليه وسلم . ولزوم بابه : كناية عن الالتجاء الى كرمه ، وعدم الانحراف عن التوسل به فى قضاء الطلبات .

٩ ـ العارفة : المعروف .

١٠ ـ اللحم : جمع لحمة ، وهى القرابة .

يُزْرِى قَرِيضِى زُهَيْرًا حين أمدحُه ... ولا يقاسُ إلى جودى لدَى هَرِمِ(١)
محمدٌ صفوةُ البارى ، ورحمتُه ... وبغيَةُ الله من خَلْقٍ ومن نَسَمِ(٢)
وصاحبُ الحوضِ يومَ الرُّسْلُ سائلةٌ ... متى الورودُ ؟ وجبريلُ الأمينُ ظَمِى(٣)
سناؤه وسناهُ الشمسُ طالعةً ... فالجِرمُ فى فلكٍ ، والضوءُ فى عَلَمِ(٤)
قد أخطأَ النجمَ ما نالت أُبوَّتُه ... من سؤددٍ باذخٍ فى مظهرٍ سَنِمِ(٥)
نُمُوا إليه ، فزادوا فى الورى شرَفاً ... ورُبَّ أصلٍ لفرعٍ فى الفخارِ نُمِى(٦)
حَوَاه فى سُبُحاتِ الطُّهرِ قبلهم ... نوران قاما مقام الصُّلبِ والرَّحِمِ(٧)
لما رآه بَحيرا قال : نعرفُه ... بما حفظنا من الأسماءِ والسِّيمِ(٨)
سائلْ حِراءَ ، وروحَ القدسِ : هل عَلِما ... مَصونَ سِرٍّ عن الإدراكِ مُنْكَتِمِ؟(٩)
كم جيئةٍ وذهابٍ شُرِّفتْ بهما ... بَطحاءُ مكة فى الإصباحِ والغَسَمِ(١٠)

١ — يزرى : يعيب . والقريض : الشعر . وزهير : هو زهير بن أبى سلمى المزنى ، كان سيدا ، غنيا فى الجاهلية ، معروفا بالحلم والحكمة ، شاعرا فحلا . وهرم ، بكسر الراء : هو هرم بن سنان بن أبى حارثة المرى ، مدح زهير هرما فأحسن ، ووصله هرم فأجزل الصله ، وبالغ فى العطام

٢ — النسم : جمع نسمة ، وهى النفس ، أو هى الانسان .

٣ — وجبريل الأمين ظمى : الملائكة لا تظمأ ، فلعل مراده بالظمأ هنا لازمه وهو الطلب أى للناس ، بمعنى ان حال تقتضى ذلك اشفاقا على حالهم ، لما يرهقهم من شدة الظمأ وحرج الموقف

٤ — سناؤه : رفعته . وسناه : نوره . والعلم — هنا : العالم

٥ — السؤدد : السيادة . والباذخ : العالى . والسنم (ككتف) : المرتفع . وابوته : أى ذوو أبوته : والابوة : المعنى المأخوذ من الاب . كالأخوة والبنوة . ٦ — نموا : نسبوا

٧ — السبحات (بضمتين) : مواضع السجود . وسبحات وجه الله : انوار

٨ — السيم ، كعنب : جمع سيمة ، وهى العلامة . وبحيرا ، بفتح الباء وكسر الحاء : الراهب النصرانى المشهور .

٩ — حراء : جبل بمكة فيه غار كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة . وروح القدس : جبريل عليه السلام ، والاضافة فيه من اضافة الصفة للموصوف ، أى الروح القدس ، والقدس : الطهر . ومصون سر : من اضافة الصفة الموصوف ، أى السر المصون . وقوله « منكتم » : وصف مؤكد السر المصون ، لأن السر لا يكون الا كذلك : وتنكير « سر » للتعظيم . ١٠ — البطحاء : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . والغسم : الامساء وظلمة الليل . « الاصباح والغسم » : أى من كل مرة كان يطلب فيها النبى صلى الله عليه وسلم حراء لا كل صباح وكل غسم ، فانه صلى الله عليه وسلم كان يتزود ، فيقيم فى حراء الليالى والايام .

ووحشةٍ لابنِ عبدِ اللهِ بينهما ... أشهى من الأُنسِ بالأحبابِ والحشَمِ(١)
يُسامِرُ الوحيَ فيها قبلَ مهبِطه ... ومَن يبشَّرْ بسِيمَى الخيرِ يتَّسِمِ(٢)
لما دعا الصَّحبُ يستسقونَ من ظمأٍ ... فاضتْ يداه من التسنيمِ بالسَّنِمِ(٣)
وظلَّلتْه ، فصارت تستظلُّ به ... غمامةٌ جذبَتْها خيرةُ الديَمِ(٤)
محبةٌ لرسولِ اللهِ أُشرِبَها ... قعائدُ الديْرِ ، والرُّهبانُ في القِممِ(٥)
إنَّ الشمائلَ إن رقَّتْ يكادُ بها ... يُغْرَى الجمادُ ، ويُغْرَى كلُّ ذي نَسَمِ
ونودِيَ : اقرأْ تعالى اللهُ قائلُها ... لم تتصلْ قبلَ مَن قيلتْ له بفمِ
هناك أذَّنَ للرحمنِ ، فامتلأتْ ... أسماعُ مكَّةَ مِن قُدسيَّةِ النَّغمِ(٦)
فلا تسلْ عن قريشٍ كيف حَيْرتُها ؟ ... وكيف نُفْرتُها في السهلِ والعَلَمِ ؟(٧)
تساءلوا عن عظيمٍ قد ألمَّ بهم ... رمَى المشايخَ والولدانَ باللَّمَمِ(٨)

---

١ — ابن عبد الله : هو النبى صلى الله عليه وسلم • والحشم : الخدم الخاضعون بمولاهم ، والوحشة الخلوة والهم ، والمراد بها هنا مجرد الخلوة والانقطاع عن الناس •

٢ — مهبطه هنا : بمعنى هبوطه ٣ — التسنيم : ماء بالجنة يجرى فوق الغرف ، وسنم الاناء تسنيما : ملاه ، فكأنه اراد بالسنم هنا الاناء المملوء . والاحاديث الواردة فى نبع الماء من بين أصابعه الشريفة كثيرة .

٤ — الديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم •

٥ — القعائد : جمع قعيدة ، وقعائد الدين : ملازموه من متنسكة النصارى والقمم : جمع قمة ، وهى اعلى الراس من كل شىء ، والمراد بها هنا أعالى الجبل •

٦ — اذن لارحمن : اى دعا الى الله وقوله : من قدسية النغم : ترشيح لتشبيه الدعاء الى الله تعالى بالصوت الجميل، وقدسية النغم : النغم المطهرة المنزهة عن تطريب الغناء بتكبير الالفاظ واعتصار الحناجر ، وايقاع الاصوات

٧ — فلا تسل : يعنى ان الأمر واضح غنى عن السؤال ، يقال عند ظهور الأمر ووضوحه : لاتسال . العلم : الجبل

٨ — الم : نزل . واللمم (محركة) الجنون ، والمعنى انه قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الأمر العظيم الذى نزل بهم ، وهو أن يقوم رجل ليس له مالهم من الباس والمنعة يزعجهم عما كان يعبد آباؤهم — وهم سادات قريش وجباهها — ويأخذهم عما ألفوا من عاداتهم واخلاقهم المغروزة فيهم ، دهشوا لهذا واستعظموه ، حتى جن منه شيبهم وشبابهم .

يا جاهلين على الهادى ودعوته ... هل تجهلون مكانَ الصادقِ العَلمِ؟(١)
لقّبتموهُ أمينَ القومِ فى صِغرٍ ... وما الأمينُ على قولٍ بمتّهَمِ
فاق البدورَ ، وفاق الأنبياءَ ، فكمْ ... بالخُلْقِ والخَلقِ مِن حسْنٍ ومِن عِظمِ
جاء النبيون بالآياتِ ، فانصرمت ... وجئتنا بحكيمٍ غيرِ مُنصَرمِ(٢)
آياتُه كلّما طالَ المدَى جُدُدٌ ... يَزِينُهنّ جلالُ العِتق والقِدمِ(٣)
يكاد فى لفظةٍ منه مشرَّفةٍ ... يوصِيك بالحق، والتقوى، وبالرحمِ
يا أفصحَ الناطقين الضادَ قاطبةً ... حديثُك الشّهدُ عند الذائقِ الفهِمِ
حَلَّيتَ من عَطَلٍ جِيدَ البيانِ به ... فى كلِّ مُنتَثِرٍ فى حسنِ مُنتظِمِ(٤)
بكلِّ قولٍ كريمٍ أنت قائلُه ... تُحْيِى القلوبَ ، وتُحْيِى ميِّتَ الهِممِ
سَرَتْ بشائرُ بالهادى ومولِده ... فى الشرقِ والغربِ مَسْرى النورِ فى الظُلمِ
تخطّفتْ مُهَجَ الطاغين من عربٍ ... وطيّرت أنفُسَ الباغين من عجمِ(٥)
رِيعت لها شُرَفُ الإيوان ، فانصدعت ... من صدمة الحق ، لا من صدمة القُدُمِ(٦)
أتيتَ والناسُ فَوْضَى لا تمرُّ بهم ... إلاّ على صَنَمٍ ، قد هام فى صنمِ
والأرض مملوءةٌ جورًا ، مُسَخَّرَةٌ ... لكلِّ طاغيةٍ فى الخَلْقِ مُحتكِمِ
مُسَيْطِرُ الفرسِ يبغى فى رعيّتِهِ ... وقيصرُ الرومِ من كِبْرٍ أصمُّ عَمِ

---

١ ـ العلم : الظاهر المشتهر . والجاهلون على الهادى : المتعنتون ، والاستفهام فى قوله « هل تجهلون » انكارى .

٢ ـ انصرمت : انقطعت . منصرم . منقطع . الحكيم : القرآن ، وقد وصفه الله تعالى بالحكيم فى مواضع منه .

٣ ـ جدد : جمع جديد ، كسرر وسريره .

٤ ـ يقال : عطلت المراة عطلا ، اذالم يكن عليها حلى .

٥ ـ مهج : جمع مهجة ، وهى د. القلب .

٦ ـ ريعت : ذعرت وخافت وشرف : جمع شرفة وهى ما يوضع على القصور ونحوها . والقدم : جمع قدوم ، روى ان شرف الايوان ـ وهو مأوى سلطان الاكاسرة ـ ارتجت وهوت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ، لم تعمل فيها المعاول ، ولم تهدمها القدم بل تداعت من صدمة الحق .

يُعذَّبان عبادَ اللهِ فى شُبهٍ   ويذبَحان كما ضحَّيتَ بالغَنَم
والخلقُ يَفتِك أقوامٌ بأضعفِهم   كالّليث بالبَهْم ، أو كالحوتِ بالبَلَم (١)
أسرَى بك اللهُ ليلاً ، إذ ملائكُه   والرُّسلُ فى المسجد الأقصى على قدَم (٢)
لما خطرتَ به التفُّوا بسيِّدِهم   كالشُّهْب بالبدرِ ، أو كالجُند بالعَلم
صلى وراءك منهم كلُّ ذى خطرٍ   ومن يفُز بحبيبِ الله يأتمم (٣)
جُبْتَ السمٰواتِ أو ما فوقهن بهم   على منوَّرةٍ دُرِّيَة اللُّجُم (٤)
رَكوبة لك من عزٍّ ومن شرفٍ   لا فى الجيادِ ، ولا فى الأَيْنُق الرسُم (٥)
مَشِيئةُ الخالق البارى ، وصَنعتُه   وقدرةُ الله فوق الشك والتُّهَم
حتى بلغتَ سماءً لا يُطارُ لها   على جَناحٍ ، ولا يُسْعَى على قَدم
وقيل : كلُّ نبىٍّ عند رتبتِه   ويا محمدُ ، هذا العرشُ فاستلم
خطَطت للدين والدنيا علومَهما   ياقارئَ اللوح ، بل يالامِسَ القَلَم (٦)
أحطْتَ بينهما بالسرِّ ، وانكشفتْ   لك الخزائنُ من عِلْم ، ومن حِكَم (٧)

---

١ — البهم : جمع بهمة ، وهى ولد الضان والمعز . والبلم : صغار السمك
٢ — المسجد الاقصى : بيت المقدس ، وعلى قدم : قائمون محتشدون .
٣ — ذى خطر : ذى قدرة ومنزلة ويأتمم ، اى يأتم ، والاصل : ومن يأتم بحبيب الله يفز ، ولكنه قلب للمبالغة والمبادرة بذكر الفوز .

٤ — بهم : أى بملابسة بعضهم فيها ، فانه ورد أنه مر ببعضهم فى السموات لاكما هو المتبادر من قوله انهم صاحبوه حين جاب السموات ، ويريد بقوله « منورة درية اللجم » البراق ٥ — « من » فى قوله « من عز ومن شرف » للتعليل ، اى لاجل عزك وشرفك . والأينق الرسم : النوق الشديدة الوطء بقوتها ، حتى كأنها ترسم فى الارض بمشيها أثارا ظاهرة والرسم : واحدها رسوم . والجياد : جمع جواد ، وهو الفرس الرائع البين الجودة .

٦ — خطه علوم الدين والدنيا : كناية عن تعليمها الناس ، وبثها فيهم . وقراءة اللوح ولمس القلم : كناية عن اطلاع الله له على ما اطلعه عليه من الغيوب .

٧ — عن ابن عباس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : « علمنى ربى ليلة الاسراء علوما شتى : علم أخذ على كتمانه ، وعلم خيرنى فيه ، وعلم أمرنى بتبليغه » .

وضاعَفَ القُربُ ماقُلِّدْتَ من مِنَنٍ — بلا عِدادٍ ، وما طُوِّقتَ من نِعَمِ(١)

سلْ عصبةَ الشِّركِ حولَ الغارِ سائمةً — لولا مطاردةُ المختار لم تُسَمِ(٢)

هل أبصروا الأثرَ الوضّاء ، أم سمِعوا — همْسَ التسابيحِ والقرآن من أَمَمِ ؟(٣)

وهل تمثّل نسجُ العنكبوتِ لهم — كالغابِ ،والحائماتُ الزُّغْبُ كالرخمِ ؟(٤)

فأدبروا ، ووجوهُ الأرضِ تلعنُهم — كباطلٍ من جلالِ الحق منهزمِ(٥)

لولا يدُ اللهِ بالجارَيْنِ ما سلِما — وعينُه حولَ ركنِ الدين ، لم يقمِ(٦)

تواريَا بجَناحِ اللهِ ، واستترَا — ومن يضُمُّ جناحُ الله لا يُضَمِ(٧)

ياأحمدَ الخيْرِ ، لِى جاهٌ بتَسْمِيَتِى — وكيف لا يتسامى بالرسولِ سمِى ؟(٨)

المادحون وأربابُ الهوى تَبَعٌ — لصاحبِ البُرْدةِ الفيحاء ذى القَدَمِ(٩)

---

١ — يجوز أن يكون « القرب » فاعلا « لضاعف » ، و « ما » وما بعدها مفعولا به ، والمعنى ان قربه من الله تعالى قد اربى على جميع ما وليه صلى الله عليه وسلم من النعم التى لا يدركها العد ، فكانت باضافة القرب اليها أضعاف ما كانت قبله . ويجوز ان يكون مفعولا .. والفاعل « ما » وما بعدها ، والمعنى ان ما تجلى الله تعالى عليه به من النعم التى لاتعد واولاه من الفضائل التى لا تحصى ، قد زاد قربه لانه كقرب على قرب ، والاول أولى

٢ — عصبة الشرك : اى عصبة من أهل الشرك الذين ذهبوا يطلبونه صلى الله عليه وسلم يوم هجرته . والغار : كالثقب بجبل اسفل مكة . سائمة : راعية .

٣ — « من أمم » : من قرب

٤ — الغاب : الشجر الكثير المتكاثف والحائمات الزغب : الحمام . والرخم : جمع رخمة ، وهى طائر على شكل النسر ، الا انه منقط السواد والبياض

٥ — شبه ادبارهم ونكوصهم على أعقابهم خائبين بدمغ الباطل وادحاضه قال الله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) . ونسبة اللعن لوجوه الارض مجاز عقلى . واللاعن : من فيها من المسلمين والملائكة ، او المراد وجوه اهلها ، اى أعيانهم وافاضلهم .

٦ — الجاران : الرسول صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضى الله عنه . والمراد باليد : النعمة . وعينه : عنايته ، وحرف الشرط مقدر فى الجملة الثانية .

٧ — جناح الله : لطفه وستره . ويضم : يلحق به الضيم .

٨ — من أسمائه صلى الله عليه وسلم : احمد . وقد سمى الشاعر به تيمنا باسم الرسول الاكرم ويتسامى : يتعالى . والاستفهام فى البيت انكارى .

٩ — تبع : اخبر بالمصدر مبالغة ، وافرده لانه يستوى فيه الواحد والجمع ، أو على تقدير مضاف ، اى ذوو تبع ، اى مقتدون به . والقدم : التقدم والمنزلة ، وصاحب البردة : هو الامام البوصيرى .

مديحُه فيك حبٌّ خالصٌ وهوًى … وصادقُ الحبِّ يُملى صادقَ الكلم(١)
لله يشهدُ أنى لا أعارضُه … من ذا يعارضُ صوبَ العارضِ العَرِمِ؟(٢)
وإنَّما أنا بعضُ الغابطين ، ومَن … يغبِطْ وليَّك لا يُذمَمْ ، ولايُلَم(٣)
هذا مقامٌ من الرحمنِ مُقتَبَسٌ … تَرمِى مَهابتُه سَحْبانَ بالبَكَمِ(٤)
البدرُ دونكَ فى حسنٍ وفى شرفٍ … والبحرُ دونك فى خيرٍ وفى كرمِ
شُمُّ الجبالِ إذا طاولتَها انخفضت … والأنجُمُ الزُّهرُ ما واسمتَها تسِمِ(٥)
والليثُ دونك بأْساً عند وثبتِه … إذا مشيتَ إلى شاكى السلاحِ كَمِى(٦)
تهفو إليكَ ـ وإن أدميتَ حبَّتَها … فى الحربِ ـ أفئدةُ الأبطالِ والبُهَمِ(٧)
محبةُ اللهِ ألقاها ، وهيبتُه … على ابن آمنةٍ فى كلِّ مُصطَدَمِ(٨)
كأن وجهَكَ تحت النَّقْعِ بدرُ دُجًى … يضىءُ مُلْتَثِماً ، أو غيرَ مُلتثِمِ(٩)
بدرٌ تطلَّعَ فى بدرٍ فغُرَّتُه … كغُرَّةِ النصر ، تجلو داجىَ الظُّلَمِ(١٠)
ذُكِرْتَ باليُتْمِ فى القرآنِ تكرمةً … وقيمةُ اللؤلؤِ المكنونِ فى اليُتُمِ(١١)

---

١ ـ مديحه حب : اى ناشىء من الحب ، أو ذو حب اى دال عليه

٢ ـ الصوب : الانصباب ، ومجىء السماء بالمطر . والعارض : السحاب المعترض فى الافق ، والعرم : يريـــد المطر الشديد .

٣ ـ الغابط : الذى يتمنى مثل مــا الغير ، وليس هذا القدر بمذمـــوم . ويذمم : يذم .

٤ ـ البكم : الخرس . وسحبان : هو سحبان وائل من بنى باهلة . كان يضرب بفصاحته المثل .

٥ ـ يقال : واسمه فى الحســـن فوسمه : غلبه فيه . انخفاض الجبال: كناية عن ظهورها قصيرة بالنســـبة لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم وعلو شانه .

٦ ـ الكمى : لابس السلاح

٧ ـ تهفو : هفا الظبى فى المشى يهفو هفوا وهفوانا : اسرع وخف فيه ، والمراد هنا شدة ميل القلوب له وانجذابها اليه صلى الله عليه وسلم ، وحبة القلب : سويداؤه ، والبهم : جمع بهمة وهو الشجاع .

٨ ـ مصطدم : بمعنى المصدر ، اى الاصطدام ، او : الموضع ، اى موضع الاصطدام ، وهو ميدان الحرب .

٩ ـ النقع : غبار الحرب .

١٠ ـ بدر : موضع بين الحرمـــين الشريفين ، وفيه كانت الغزوة المشهورة التى دمغ فيها الشرك وأعز الاســـلام .

١١ ـ اليتم فى الناس : فقدان الاب وهو فى الاشياء : التفرد وعدم وجود نظائر لها ، واللؤلؤة اليتيمة : التى لا نظير لها فى العقد . ذكرت باليتم فى القرآن : يشير الى قوله تعالى (الم يجدك يتيما فآوى) ، وحرك التاء اتباعا لحركة الياء قبلها فى قوله : اليتم ، ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل .

اللهُ قَسّمَ بين الناسِ رزقَهُمُ ... وأنت خُيِّرْتَ في الأرزاق والقِسمِ(١)
إن قلتَ في الأمرِ: «لا»، أو قلتَ فيه: «نعم» ... فخيرَةُ اللهِ في «لا» منك أو «نعم»
أخوك عيسى دَعَا ميْتًا، فقام له ... وأنت أحييتَ أجيالاً مِن الرِّمَمِ
والجهْل موتٌ، فإن أوتيتَ مُعْجزةً ... فابعثْ من الجهلِ، أو فابعثْ من الرَّجَمِ(٢)
قالوا: غزَوْتَ، ورسْلُ اللهِ ما بُعثوا ... لقتْلِ نفسٍ، ولا جاءُوا لسفكِ دم
جهلٌ، وتضليلُ أحلامٍ، وسفسطةٌ ... فتحتَ بالسيفِ بعد الفتح بالقلم
لما أتى لكَ عفوًا كلُّ ذي حَسَبٍ ... تكفَّلَ السيفُ بالجهالِ والعَمَمِ(٣)
والشرُّ إن تَلْقَهُ بالخيرِ ضِقتَ به ... ذَرْعاً، وإن تَلْقَهُ بالشرِّ يَنحسِمِ
سَل المسيحيّةَ الغراءَ: كم شربت ... بالصّاب من شَهوات الظالم الغَلِمِ(٤)
طريدةُ الشركِ، يؤذيها، ويوسعُها ... في كلِّ حينٍ قتالاً ساطعَ الحَدَمِ(٥)
لولا حُماةٌ لها هبُّوا لنصرَتِها ... بالسيف، ما انتفعتْ بالرفق والرُّحَمِ(٦)
لولا مكانٌ لعيسى عند مُرسِلِهِ ... وحُرمَةٌ وجبتْ للروح في القِدَمِ(٧)

---

١ ــ روى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم قال: « عرض على ربى ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت: لا يارب، ولكن اشبع يوما واجوع يوما »

٢ ــ والجهل موت: كالترشيح للاستعارة فى البيت السابق، وهو تشبيه بليغ. وأوتيت: خطاب لغير معين. والرجم: القبر.

٣ ــ العمم: اسم جمع للعامة. ٤ ــ الغلم: الهائج الثائر.

٥ ــ الحدم (بالتحريك): شدة احتراق النار.

٦ ــ الرحم: الرقة والمغفرة والتعطف.

لم يكن استعمال القوة فى اقامة الدعوة للدين شأن الدين الاسلامى وحده، وهذه الديانة المسيحية الموصوفه بديانه الرهبنة والسلام، لم تبدأ الدعوة اليها حتى أصاب أهلها ما أصابهم، من الطرد والقتل، والتعذيب، والتشريد، والتمثيل بأيدى الجبابرة الطغاة من الملوك والقياصرة، بل بأيدى الشعوب والأمم، وتاريخ المسيحية بين اهل رومية مما تشيب له الولدان، فترى الدين المسيحى دين الرهبنه والسلام ما دخل البلاد الا على رءوس الاسنة، ولا حمل الى الامم الا على متون السيوف.

٧ ــ المكان: المكانة، بمعنى القرب وارتفاع المنزلة، لأن الله تعالى منزه عن المكان والجهة. ووجبت: ثبتت له من القدم، لأن الله تعالى علم الأشياء وارادها أزلا فصارت واجبة، بمعنى انها لم تتخلف ابدا، والخبر محذوف فى قوله « مكان » و « حرمة »: أى ثابتان.

لَسُمِّرَ البدَنُ الطُّهرُ الشريفُ على ... لَوْحَيْن ، لم يخشَ مؤذيه ،ولم يَجِمِ(١)
جلَّ المسيحُ ، وذاقَ الصَّلبَ شانِئُهُ ... إن العقابَ بقدرِ الذنبِ والجُرُمِ(٢)
أخو النبي ، وروحُ اللهِ في نُزُل ... فوقَ السماء ودون العرشِ مُحترَمِ(٣)
علَّمْتَهم كلَّ شيء يجهلون به ... حتى القتالَ وما فيه من الذِّمَمِ(٤)
دعوتَهم لِجِهَادٍ فيه سؤددُهُمْ ... والحربُ أُسُّ نظامِ الكونِ والأُمَمِ
لولاه لم نر للدولاتِ في زمن ... ما طالَ من عمد ، أو قرَّ من دُهُمِ(٥)
تلك الشواهدُ تَتْرَى كلَّ آونة ... في الأعصُرِ الغُرِّ ، لا في الأعصُرِ الدُّهُمِ(٦)
بالأمس مالت عروشٌ ، واعتلت سُرُرٌ ... لولا القذائفُ لم تثْلَمْ ، ولم تصِمِ(٧)
أشياعُ عيسى أعَدُّوا كلَّ قاصمةٍ ... ولم نُعِدَّ سِوى حالاتِ مُنقصِمِ(٨)

---

١ — لسمر :جواب الشرط في البيت السابق ، والطهر : الطاهر من ادران المعاصي ، ووصف بالمصدر مبالغة . واللوحان : الصليب الذى اعد له عليه السلام ، والمراد بالتسمير : الصلب . لم يجم : لم يفزع .

٢ — جل المسيح : تنزه عما رماه به اليهود من كاذب التهم وباطل الاقاويل ، وعما زعموا من انهم صلبوه (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وشانئه : مبغضه . وحرك الراء في قوله « والجرم » اتباعا لحركة الجيم قبلها

٣ — اخو النبى : أى فى الرسالة . روح الله : اى روح منه . قال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) وسمى روحا ، لاحيائه الموتى باذن الله ، ولأنه نفخة من جبريل ، قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا) ونسبة النفخ الى الله تعالى مجاز ، و « من » فى الآية للابتداء ، فوق السماء : اى السماء الدنيا . محترم : صفة لقوله نزل بضمتين ، وهو فى الاصل : المنزل ، وما هيىء للضيف ان ينزل عليه .

٤ — الذمم : جمع ذمة ، وهى العهد والامان ، والحق .

٥ — عمد : جمع عمود . وقر : ثبت ودعم : جمع دعام ، وهو عماد البيت والدعم هنا كناية عما يستقيم به نظام الممالك ، ويرتفع به شأن الامم .

٦ — الغر : جمع اغر : صفة لذى الغرة ، وهى بياض فى الجبهة ، والأعصر الغر : التى ساد فيها العلم وعمت أسباب العدل . الدهم : المظلمة التى شاع فى أهلها الجهل وفشا فيهم الظلم .

ما زالت الغلبة للقوة ، ولا زالت معتمد الدول ومستند الامم ، فى رفع عماد الملك ، وتثبيت دعامة الحكم ، استوت فى ذلك الازمان السالفة التى يظنونها ازمان تاخر وتقهقر ، والأيام الحاضرة التى يزعمونها ايام تقدم وتنور . وفى البيت الطباق

٧ — اعتلت : علت .

٨ — قاصمة : كاسرة : ومنقصم : منكسر . فى هذا البيت مقارنة بين اهل الديانة المسيحية ، واهل الديانة الاسلامية ، فذكر أن المنتسبين اليوم الى الدين المسيحى « دين الهدوء والسلام » هم أهل القوة الحربية ، =

مهما دُعِيتَ إلى الهيْجَاء قُمْتَ لها ترمى بأُسْدٍ ، ويرمى اللهُ بالرُّجُمِ(١)
على لِوَائِكَ منهم كلُّ مُنتقِمٍ للهِ ، مُستقتِلٍ في اللهِ ، مُعتزِمِ(٢)
مُسبِّحٍ للقاء اللهِ ، مُضطرِمٍ شوقاً ،على سابحٍ كالبرقِ مضطرِمِ(٣)
لوصادفَ الدهرَ يَبغِى نقلةً ، فرمى بعزمِهِ فى رحالِ الدهرِ لم يَرِمِ(٤)
بيضٌ ، مَفاليلُ من فعلِ الحروبِ بهم من أسْيُفِ اللهِ ، لا الهندِيةِ الخُذُمِ(٥)
كم فى الترابِ إذا فتَّشت عن رجلٍ من ماتَ بالعهدِ ،أومن ماتَ بالقسَمِ(٦)

= الدائبون على اعـــداد المهلكات في الحروب ، حتى كأنهم أصبحوا ، ولـم يبق لهم من شـــغل يشــــغلهم ، الاستخراج الذهب من بطـون الارض ، واتفاقه على مصانع الحديد والفولاذ لطبع آلات الحرب فى طـــول الارض وعرض البحر ، وقد افتنوا في أسباب الاهلاك والتدمير ، ولم يكفهـــم أن يدمدموا على الناس ، ويأخذوهـــم بالبلاء عن ايمانهم وعن شمائلهم ، ومن خلفهم ومن تحت أرجلهم ، حتى قاموا على تسخير الرياح ،ليرموهم من فوق رءوسهم بكل دهياء ، على حين أن أهل الديانة الاسلامية ، الذين يتهمهـــم الظالمون بحب الفتح والجهاد، ويشينون سمعتهم بحب الطعن والجلاد، والولوغ فى دماء العباد ، هم القوم أهل السكينة والسلام ، وهيهات أن يدانوا أهــــل الديانة المسيحية فى حب الفتــوح والحروب ، او يشـــاكلوهم فى ادخار آلات الحرب واستعداد معدات الكفاح ١ ــ الهيجاء : الحرب . الرجم : النجوم التى يرمى بها . رجـــع الى خطابه صلى الله عليه وسلم ، وشبه أصحابه بالأسود ، لما لهم من شجاعتهم وبأسهم . ورميه بهم : كناية عن ندبه اياهم للجهاد ، وتقديمهم الى مواطـن الطعن والجلاد . والرمى بالرجم يكون للشياطين ، ففيه استعارة مكنية ، اى انهم كالشياطين يرمون بالرجم .

٢ ــ على لوائك : اى منضو تحت لوائك . استعارة العلو للتحتيـــــة استعارة تمليحية

٣ ــ الاضطرام : توقد النار وتأججها سابح : جواد ، شبه حميتهم ونشاطهم فى الحرب وجولاتهم فيها باضـــطرام النار : وهو توقدها ، وتأججهـــا ،واخذها يميناً وشمالاً ، واســـتعار الاضطرام لذلك المعنى ، ثم اشتق منه مضطرم ، على سبيل التبعية

٤ ــ يبغى : يريد . وشبه العـــزم بالسهم ، بجامع المضاء والنفوذ فى كل وشبه الدهر بذى رحال ، بجامـــع التحول فى كل ، وحذف المشبه به ، ورمز اليه بلازمه ــ وهو الرحال ــ على طريقة الاستعارة المكنية ــ لم يرم : لم ينتقل ولم يتحول .

٥ ــ مفاليل : الفل الثلم فى السيف . والهندية : نسبة الى الهنـد كانت مشتهرة بطبع السيوف . والخذم :جمع خذم ، ككتف السيف القاطع . بيض : اى سيوف بيض . شـــبههم بالسيوف لازهاقهم نفوس الاعداء وهو تشبيه بليغ . ومفاليل ترشيح للتشبيه بالسيوف .

٦ ــ بالعهد : أى احتفاظا بما عاهدوا الله ورسوله عليه من نصرته للرسول. من : تفصيل لحال الرجل ، أو تفصيل لمعنى « كم » .

لولا مواهبُ فى بعضِ الأَنام لما ... تفاوت الناسُ فى الأَقدار والقِيَم(١)
شريعةٌ لك فجرت العقول بها ... عن زاخرٍ بصنوفِ العلم ملتطِم
يلوحُ حولَ سنا التوحيدِ جوهرُها ... كالحَلْى للسيف أو كالوشْى للعَلَم(٢)
غرّاءُ ، حامت عليها أنفسٌ . ونُهًى ... ومن يَجدْ سَلسَلًا من حكمةٍ يَحُم(٣)
نورُ السبيلِ يساس العالَمون بها ... تكفَّلتْ بشباب الدهرِ والهَرَم(٤)
يجرى الزمّانُ وأحكامُ الزمانِ على ... حُكم لها ، نافِذٍ فى الخلق ، مُرْتَسِم
لما اعتلت دولةُ الإسلامِ واتسعت ... مشتْ ممالِكُهُ فى نورِها التَّمم(٥)
وعلَّمتْ أُمةً بالقفر نازلةً ... رعْىَ القياصرِ بعد الشّاء والنَّعَم
كم شَيَّد المصلِحُون العاملون بها ... فى الشرق والغرب مُلكًا باذخَ العِظَم
للعِلم . والعدلِ ، والتمدينِ ما عزموا ... من الأُمور ، وما شدُّوا من الحُزُم(٦)
سرعان ما فتحوا الدنيا لِملَّتِهم ... وأنهلوا الناسَ من سَلسالها الشَّبِم(٧)
ساروا عليها هُداةَ الناس ، فَهْى بهم ... إلى الفلاحِ طريقٌ واضحُ العَظَم(٨)

---

١ — اشار فى هذا البيت الى ان مــا ناله أصحاب الرسول صلى الله عليــه وسلم ، من الفوز بالسعادة ، وارتفاع الدرجة عند الله تعالى ، انما كان بمــا تقدم لهم من الفضائل ، والبلاء فى نصرة الدين ، وتعرضهم للقتل والطعــن فى سبيل الله تعالى ، ولولا ذلك مــا كان لهم فضل على سائر الناس ، ولا عدت درجتهم منزله غيرهم من العالمين

٢ — الوشى : النقش .

٣ — حامت : عطفت ومالت . ونهى : جمع نهية وهى العقل . والسلسل : الماء العذب .

٤ — نور السبيل : لأنها يهتدى بها الى غاية النجح والفلاح فى الدنيــا ، والفوز والسعادة فى الآخرة . وشباب الدهر والهرم : كناية عن اوله وآخره ، أو عن حالتى اقباله وادباره . وتكفلها بشباب الدهر .. الخ : اى تكفلها بما يعلى اهلها ، ويصلح من شانهم على كل حال من الاحوال : بلا تغيير فى احكامها ولا تبديل لنصوصها .

٥ — التمم : التام — ٦ — الحزم : جمع حزام .

٧ — سرعان : اسم فعل ، يستعمل خبرا محضا ، وخبرا فيه معنى التعجب يقال : سرعان ما فعل كذا : اى مـــا اسرعه . والنهل : اول الشرب ، تقول : أنهلت الابل اذا شربت من اول الورد . والسلسال : الماء العذب . والشبم : البارد .

٨ — ساروا عليها : اخذوا بها وجروا على احكامها . هداة الناس : اى حالة كونهم هادين للناس . فهى : اى الملة بهم : اى بسبب قيامهم بها ونشرهــم لها .

لا يهدِمُ الدهرُ رُكناً شاد عدلُهُمُ ... وحائط البغى إن تلمسْهُ ينهدِمِ
نالوا السعادةَ فى الدّارين ،واجتمعوا ... على عميمٍ من الرضوان مقتسمِ
دعْ عنك روما ، وآثينا ، وما حَوَتا ... كلُّ اليواقيت فى بغدادَ والتُّوَمِ(١)
وخلِّ كِسرى ، وإيوانًا يدِلُّ به ... هوى على أثَرِ النيران والأيُمِ(٢)
واترُكْ رعمسيسَ ، إن الملكَ مَظهرُهُ ... فى نهضة العدل ، لا فى نهضة الهرَمِ(٣)
دارُ الشرائع روما كلّما ذُكِرَتْ ... دارُ السلام لها ألقتْ يدَ السَّلَمِ(٤)
ما ضارعَتها بياناً عند مُلتَأَمٍ ... ولا حكَتها قضاءً عند مُختصَمِ(٥)
ولا احتوت فى طِرازٍ من قياصِرها ... على رشيدٍ ، ومأمونٍ ، ومُعتصِمِ(٦)

---

١ ــ روما : هى المدينة المعروفة الآن بهذا الاسم ، قاعدة لمملكة ايطاليا ، وكانت فى الزمن السابق قاعدة لمملكة الرومان المشهورة . وأثينا : قاعدة مملكة اليونان الآن ، وكانت من اكبر مدن الامة اليونانية فى العصور السابقة وبغداد : قاعدة الخلافة الاسلامية فى دولة بنى العباس ، والتوم : جمع تومة ، وهى الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرة .

٢ ــ كسرى : لقب لكل من ولى ملك فارس . والنيران . لعله يريد بها نيران فارس ، التى خبت ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك أيام كسرى أنو شروان . والأيم : الدخان .

٣ ــ الهرم : الاهرام فى مصر كثيرة واشهرها اهرام الجيزة الثلاثة . وأكبرها أشهرها واعجبها ، حتى اذا ذكر لفظ الهرم صرف اليه ، ورعمسيس اسم بعض الفراعنة « ملوك مصر القدماء » ، وقد تسمى بهذا الاسم غير واحد منهم ، ولعل الشاعر يريد اولئك الفراعين ــ على الجملة ــ الذين ينتسب مجدهم الى مثل هذا العمل الخطير ، وان كان بانى الهرم ليس رعمسيس بعينه .

٤ ــ دار السلام : بغداد . والسلم : التسليم .

٥ ــ ملتأم : مجتمع . مختصم : بمعنى المصدر : اى اختصام . كما اشتهرت (روما) بقضاتها وقوانينها قد اشتهرت بخطبائها وشعرائها ، وكان من عادة الرومانيين انهم اذا نزل بهم الأمر العظيم ، نفروا الى بعض اماكنهم العامة ، فخطبهم الخطباء ، وانشدهم الشعراء ، الذين كان لفصاحة السنتهم فى الناس تأثير عجيب ، ومع هذا فما دانوا فى قضائهم شأو بغداد ، التى كان يقضى فيها بدين الله ، وهو اجل من ان يقاس به غيره ، ويوازن به ما سواه ، ولا بلغوا فى فصاحتهم شان فصحاء الدولة العباسية ، الذين قالوا فى كل باب ، فهزوا النفوس وخلبوا الالباب ــ ٦ ــ الطراز : علم الثوب ، والجيد من كل شىء . ولا احتوت على رشيد الخ ، اى على امثالهم فى الفضل والعدل والحزم .. ورشيد : هو هارون الرشيد . ومأمون : هو عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد الخليفة العباسى المشهور . ومعتصم : هو ابو اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، ولى الخلافة يوم وفاة اخيه المأمون .

من الذين إذا سارت كتائبُهم ... تصرّفوا بحدود الأَرض والتخُم(١)
ويجلسونَ إلى علمٍ ومَعرفةٍ ... فلا يُدانَوْن فى عقل ولا فَهَم
يُطأطِئُ العلماءُ الهامَ إن نَبَسوا ... من هيبةِ العلْم ، لا من هيبة الحُكُم
ويُمطِرون ، فما بالأَرضِ من مَحَلٍ ... ولا بمن بات فوق الأَرضِ من عُدُم(٢)
خلائفُ الله جلُّوا عن موازنةٍ ... فلا تقيسنّ أملاكَ الورى بهم(٣)
مَنْ فى البرية كالفاروق مَعْدَلَةً ؟ ... وكابن عبد العزيز الخاشعِ الحشم ؟(٤)
وكالإمام إذا ما فَضَّ مزدحماً ... بمدمع فى مآقى القوم مزدحم(٥)
الزاخر العذْب فى علْم وفى أدبٍ ... والناصر النَّدْب فى حرب وفى سلم ؟(٦)
أو كابن عفّانَ والقرآنُ فى يدِهِ ... يحنو عليه كما تحنو على الفُطُم(٧)
ويجمع الآىَ ترتيبًا وينظمُها ... عقدًا بجيد الليالى غير منفصِم ؟
جُرحان فى كبِدِ الإسلام ما التأَما ... جُرْحُ الشهيد ، وجرحٌ بالكتاب دمى(٨)
وما بلاءُ أَبى بكر بمتَّهم ... بعد الجلائل فى الأَفعال والخِدم

---

١ — الكتائب : جمع كتيبــة ، وهى الجيش . والتخم . كعنق : جمع تخوم وهى الفواصل بين الارضين من معالم الحدود .

٢ — المحل : الجدب . والعــــدم : فقدان المال .

٣ — خلائف الله : هذا قول مستانف عام لجميع الخلفاء المتقدمين والمتاخرين وذكر الخلفاء الراشدين بعده من ذكر الخاص بعد العام ، اهتماما بشانهم . وورعه . وتشبه بهم . واقتــــدائه فى عبد العزيز رضى الله عنه ، لشدة فضاه وورعه ، وتشبهه بهم . واقتدائه فى حكومته بحكومتهم . فكان حقيقــا از يذكر فيهم ، ويلحق بهم .

٤ — المعدلة : العدل

٥ — الامام : هو الامام عــلى بن أبى طالب كرم الله وجهه . ومآقى العيون : اطرافها مما يلى الأنوف . وهى مجارى الدمع .

٦ — يقال : رجل ندب ، اى خفيف فى الحاجة سريع ظريف نجيب .

٧ — ابن عفان : هو امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه . والفطم : جمع فطيم ، وهو الصبى المفصــول عن الرضاع .

٨ — وجرح بالكتاب دمى : اى وجرح دمى به الكتاب ، وقلب للمبــــالغه . وذلك ان قتلة عثمان رضى الله عنــــه دخلوا عليه الدار ، وخبطوه بالسيوف وهو صائم ، والمصحف فى حجـــره ، وهو يقرأ فيه . فوقع المصحف من يده وسال الدم عليه .

بالحزم والعزم حاطَ الدين فى محنٍ أَضلّت الحلم من كهلٍ ومحتلمِ(١)
وحِدْنَ بالراشد الفاروق عن رشدٍ فى الموت ، وهو يقينٌ غير منبَهمِ(٢)
يجادِلُ القومَ مُستَلاًّ مهنَّدَه فى أعظم الرسْلِ قدراً ، كيف لم يدمِ؟(٣)
لاتعذلوه إذا طاف الذهولُ به مات الحبيبُ ، فضلَّ الصَّبُّ عن رَغَمِ

* * *

ياربِّ صَلِّ وسلِّم ما أردتَ على نزيلِ عرشِك خيرِ الرسْلِ كلِّهمِ
مُحيِي الليالى صلاةً ، لا يقطِّعُها إلاَّ بدمعٍ من الإشفاقِ مُنسجمِ
مسبِّحاً لك جُنْحَ الليل ، محتملاً ضُرّاً من السُّهد ، أو ضُرّاً من الورَمِ
رضيَّةٌ نفسُه ، لا تشتكى سأَماً وما مع الحبِّ إن أخلصت مِن سَأَمِ
وصلِّ ربِّى على آلٍ له نُخَبٍ جعلتَ فيهم لواءَ البيتِ والحرمِ(٤)
بيضُ الوجوه ، ووجهُ الدهر ذوحَلَكٍ شُمُّ الأُنوف ، وأنفُ الحادثات حمِى(٥)
وأهدِ خيرَ صلاةٍ منك أربعةً فى الصحب ، صُحبتُهم مَرْعِيَّةُ الحُرَمِ

١ — يشير الى حروب الردة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وانتصاره على المرتدين .

٢ — يقول : مابظنك بتلك المحن التى تنحرف بعمر رضى الله عنه عن الرشد وله ما تعلم من كمال الرشد ، ووفور العقل ، وصدق اليقين ، وتذهله عن ادراك امر من أظهر البديهيات لديه ، هو أن يدرك الموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ — وذلك انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الناس مات رسول الله ، اسرع عمر الى سيفه وتوعد من يقول ذلك ، وقال انى لارجو أن يقطع ايدى رجال وارجلهم . فلما حضر ابو بكر ، وأخبر الخبر ، كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اكب عليه ، فقبله وبكى ، ثم قال : بأبى انت وأمى ، والله لايجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها ، ثم خرج الى الناس ، وقال : الا من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت .

٤ — النخب : جمع نخبة . وهو الرجل المختار .

٥ — الحلك (محركة) : شدة السواد . والشمم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها ، وهو هنا كناية عن الحمية وشرف النفس . وأنف الحادثات حمى : كناية عن اشتداد الخطب واستفحال الامر .

الراكبين إذا نادى النبيُّ بهم ... ما هال من جَلَلٍ ، واشتد من عَمَمِ(١)
الصابرين ونفسُ الأرض واجفةٌ ... الضاحكين إلى الأخطار والقُحَمِ(٢)
يارب ، هبتْ شعوبٌ من منيّتها ... واستيقظت أُمَمٌ من رقْدة العدم
سعدٌ ، ونحسٌ ، ومُلكٌ أنت مالِكه ... تُديلُ مِنْ نِعَمٍ فيه ، ومِنْ نِقَمِ
رأى قضاؤك فينا رأْىَ حكمتِه ... أكرِمْ بوجهك من قاضٍ ومنتقم
فالطُفْ لأجلِ رسولِ العالمين بنا ... ولا تزدْ قومَه خسفًا ، ولا تُسِمِ
يارب ، أحسنت بَدءَ المسلمين به ... فتمِّمِ الفضلَ ، وامنحْ حُسنَ مُخْتَتَمِ(٣)

خاتمة رياض(*)

كبير السابقين من الكرام ... برغمى أن أنالكَ بالملام(٤)
مقامُك فوق ما زعموا ، ولكن ... رأيتُ الحقَّ فوقك والمقام(٥)
لقد وجدوكَ مفتوناً . فقالوا ... خرجت من الوقار والاحتشام(٦)

١ — هاله الامر هولا : أفزعه . والجلل ، هنا : الامر العظيم . والعمم : التام العام من كل أمر ، يقال : أمر عمم ، أى تام عام .

٢ — القحم : جمع قحمة بالضم ، ومن معانيها : الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد ، وهو المراد هنا .

٣ — لا يخفى ما فى (حسن مختتم) من حسن الختام

(*) قيلت بعد خطبة المرحوم رياض باشا فى مدرسة محمد على الصناعية فى ٨ يونيو سنة ١٩٠٤ .

٤ — الخطاب فى هذا البيت لمصطفى رياض باشا ، وكان قد خطب فى افتتاح مدرسة محمد على الصناعيه ، التى انشأتها فى الاسكندرية جمعية العروة الوثقى سنه ١٩٠٤ ، وكان اللورد كرومر عميد الدولة المحتلة حاضرا هذا الافتتاح ، فتملقه الخطيب بكلام ، كقربه نعمة مصر وأصحاب عرشها .

٥ — رأيت الحق فوقك والمقام : أى وفوق مقامك .

٦ — الوقار : الرزانة . والحشام والاحتشام : الاستحياء .

وقال البعضُ : كيدُكُ غيرُ خافٍ ... وقالوا : رميةٌ من غير رام(١)
وقيل : شططْتَ فى الكفران ، حتى ... أردتَ المنعمين بالانتقام(٢)
غمرتَ القومَ إطراءً ، وحمدًا ... وهم غمروك بالنِّعم الجِسام(٣)
رأوا بالأمس أنفَكَ فى الثريا ... فكيف اليوم أصبح فى الرِّغام ؟(٤)
أما والله ما علموك إلا ... صغيرًا فى ولائك ، والخصام
إذا ما لم تكن للقول أهلاً ... فما لك فى المواقف والكلام ؟
خطبتَ . فكنتَ خَطْباً ـ لاخطيبًا ـ ... أُضِيفَ إلى مصائبنا العِظام
لُهِجْتَ بالاحتلال وما أتاه ... وجُرحُكَ منه ـ لوأحْسَسْتَ ـ دامى(٥)
وما أغناهُ عمن قال فيه ... وما أغناك عن هذا الترامى(٦)
أحبَّتك البلادُ طويلَ دهرٍ ... وذا ثمنُ الولاء والاحترام
حَقَرْتَ لها زماماً كنتَ فيه ... لَعُوباً بالحكومه والذمام(٧)
محاسنُه غِراسُك والمساوى ... لك الثمرانِ : من حمدٍ . وذام(٨)
فهلاَّ قلت للشبان قولاً ... يليقُ بحافل الماضى الهمام ؟

---

١ ـ الكيد : المكر والخبث وارادة ضرر الغير خفية · ورمية من غير رام : يريد أنه لم يقصد الكيد بماقاله ؛ وأصل المثل : رب رمية من غير رام ، وهو يقال لمن يصيب في أمر وعادته أن يخطىء

٢ ـ شططت : أفرطت ·

٣ ـ غمرت القوم ، من قولهم :غمرت فلانا بالمعروف والفضل ، أى بالغت فى الاحسان اليه ٤ ـ الثريا :سبعة كواكب فى عنق البرج المعروف بالثور · والرغام (بفتح الراء) : التراب ـ٥ـ لهجت بالاحتلال ، من قولهم : لهج بالشيء ، اذا أغرى به فثابر عليه · والدامى : الذى يسيل دمه ٦ ـ وما أغناه ··· ألخ : أى ما أغنى الاحتلال عنك ، وما أغناك من أن تترامى على أصحابه بمثل ماقلت ·

٧ ـ حقرت (بفتح القاف مخففة) : استصغرت · الزمام (بالزاى) : ملاك الأمر · والذمام (بالذال) : الحق والحرمه ـ٨ـ محاسنه :الضمير للزمام أى انت الذى غرست ما لهذا الزمام من المحاسن والمساوىء ، فلك مايثمر من حمد وذم ·

يَبُثُّ تجارِبَ الأيامِ فيهم ... ويدعو الرابضين إلى القيام(١)

خطبتَ على الشبيبةِ غيرَ دارٍ ... بأنكَ من مَشيبكَ فى منام

ولولا أن للأوطان حبًّا ... يُصِمُّ عن الوِشايةِ كالغرام

جنيتَ على قلوبِ الجمع يأساً ... كأنكَ بينهم داعى الحِمام(٢)

أراعَكَ مقتلٌ من مصرَ باقٍ ... فقمت تزيدُ سهمًا فى السهام؟(٣)

وهل تركتْ لك السبعون عقلاً ... لعرفانِ الحلالِ من الحرام ؟

ألا أنبيك عن زمنٍ تولى ... فتذكرَه ودمعُكَ فى انسجام؟(٤)

سل «الحلميةَ» الفيحاء عنه ... وسل دارًا على «نور الظلام»(٥)

وسل من كان حولك عبدَ جاهٍ ... يُريكَ الحبَّ ، أو باغى حُطام(٦)

رأوا إرثاً سيذهب بعد حينٍ ... فكانوا عُصْبَةً فى الاقتسام

ونالوا السمعَ من أُذُنٍ كريمٍ ... فنالوا منه أنواعَ المرام(٧)

هُم حزبٌ ، وسائرُ مصرَ حزبٌ ... وأنت أصمُّ عن داعى الوئام(٨)

وكيف ينالُ عونَ اللهِ قومٌ ... سراتُهُمْ عواملُ الانقسام(٩)

---

١ — يبث : ينشر ويذيع . والتجارب : جمع تجربة ، وهى اختبار الشىء مرة بعد مرة . والرابضين : جمع رابض ، وهو من يأوى الى المكان فلا يفارقه .

٢ — يقول : لولا أن الذين سمعوك يحبون بلادهم حبا يمنعهم من القعود عن العمل لانقاذها من الاحتلال ، لاصابهم اليأس والقنوط بسبب كلامك ٣ — أراعك : أى أفزعك . والمقتل : العضو الذى اذا أصيب لايكاد صاحبه يسلم . يقول : هل أفزعك أن رأيت بعض مقاتل مصر سليمة لم تصب فزدت سهما ليصيبها .

٤ — أنبيك : أخبرك . والانسجام : سيلان الدمع ٥ — الحلمية : حى من أحياء القاهرة . ونور الظلام : اسم شارع بهذا الحى فيه دار رياض .

٦ — الباغى : الطالب . والحطام : المال ؛ قل أو كثر ٧ — رجل أذن (بضم الذال) : اذا كان يسمع مقال كل أحد ويقبله ٨ — الوئام : الوفاق

٩ — السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف السخى .

إذا الأَحلامُ فى قومٍ تولَّتْ ... أَتى الكبراءُ أَفعالَ الطَّغام(١)

فيا تلك الليالى ، لا تَعودى ... ويا زمنَ النفاقِ ، بلا سلام(٢)

أحبُّكِ مصْرُ ، من أعماقِ قلبى ... وحبُّكِ فى صميم القلبِ نامِى(٣)

سيجمعُنى بكِ التاريخُ يوماً ... إذا ظهر الكرامُ على اللئام(٤)

لأَجلكِ رحتُ بالدنيا شقيًّا ... أَصدُّ الوجهَ ، والدنيا أَمامى

وأَنظرُ جَنَّةً جمعتْ ذِئاباً ... فيصرِفُنى الإِباءُ عن الزحام(٥)

وهبتُكِ – غيرَ هيابٍ – يَراعاً ... أَشدَّ على العدوِّ من الحسام(٦)

سيكتبُ عنكِ فوقَ ثَرَى رياضٍ ... وفى التاريخ صفحة الاتهام

أَفى السبعين . والدنيا تولَّت ... ولا يُرْجَى سوى حسنِ الختام

تكون – وأنت أنت رياض مصرٍ – ... عرابِى اليوم فى نظر الأَنام ؟

ضجيج الحجيج(*)

ضجَّ الحجازُ ، وضجَّ البيتُ والحرمُ ... واستصرخت ربَّها فى مكَّةَ الأُممُ(٧)

قد مسها فى حماك الضرُّ ، فاقضِ لها ... خليفةَ الله ، أنتَ السيدُ الحكم

لك الربوعُ التى رِيع الحجيجُ بها ... أَللشريفِ عليها أَم لكَ العلم ؟(٨)

---

١ – الاحلام : العقول . والطغام (بفتح الطاء) : أو غاد الناس .

٢ – بلا سلام : أى اذهب بلا سلام – ٣ – فى صميم القلب : أى فى القلب والصميم : الخالص من الشىء ٤ – اذا ظهر الكرام على اللئام : أى اذا غلبوهم .

٥ – الاباء : الكبر والنخوة –٦– اليراع القلم . والحسام : السيف .

(*) رفعت الى السلطان عبد الحميد استصراخا من الشريف وأعوانه فى ١٤ ابريل سنة ١٩٠٤ – ٧ – ضج : فزع من شىء خافه فصاح الربوع : جمع ربع ؛ وهو الدار . والحجيج : جمع الحاج .

أُهِينَ فيها حَنيوفُ الله ، واضطُهِدوا   إنْ أنت لم تنتقم فالله مُنتقم

أفى الضُّحَى ـ وعيونُ الجند ناظرةٌ ـ   تُسبَى النساءُ ،ويُؤْذَى الأهلُ والحشم ؟

ويُسفكُ الدمُ فى أرضٍ مقدّسةٍ   وتستباحُ بها الأعراضُ والحُرَم ؟(١)

يدُ الشريفِ على أيدى الولاةِ علتْ   ونَعْلُه ـ دونَ رُكْنِ البيتِ ـ تُستَلم (٢)

« نيرونُ » إن قيس فى باب الطُّغاةِ به   مبالغٌ فيه ، و« الحجاجُ » مُتَّهَم (٣)

أدّبْه أدّبْ ـ أميرَ المؤمنين ـ فما   فى العفو عن فاسق فضلٌ ولا كرم

لا ترجُ فيه وقارًا للرسول ، فما   بين البُغاة وبين المصطفى رَحِم (٤)

ابنُ الرّسولِ فتًى فيه شمائلُه   وفيه نخوتُه ، والعهد . والشمَم (٥)

ما كان طَه لرهطِ الفاسقين أبًا   آل النبى بأعلام الهدى خُتِموا (٦)

خليفةَ الله ، شكوى المسلمين رقَت   لسُدّةِ الله هل ترقى لك الكلم ؟ (٧)

الحجُّ ركنٌ من الإسلام نُكبِره   واليومَ يوشك هذا الركنُ ينهدم (٨)

من الشريف ومن أعوانِه فعلت   نُعمى الزيادة ما لا تفعل النقم

عزّ السبيلُ إلى طَه وتربتِه   فمن أراد سبيلا فالطريقُ دم (٩)

---

١ ـ الحرَم : جمع حرمة ، وهى مالا يحل انتهاكه ـ ٢ ـ تستلم : من استلام الحجر وركن البيت الحـــرام وغيره ، وهو لمسه باليد أو بالقبــــلة

٣ ـ نيرون : طاغية رومانى قديم ٠ والحجاج : طاغية عربى كان واليا على العراق لعبد الملك بن مروان أحــــد الخلفاء الأمويين ـ٤ـ لاترج : لاتخف ، من رجا ، بمعنى خاف . والوقار هنا : العظمة ٠ وفى القرآن الكريم « مالكم لاترجون لله وقارا » : أى لاتخافون لله عظمة ـ٥ـ الشمائل : جمع شمــال . بكسر الشين وهو الطبع ٠ والنخوة : الحماسة والمروءة ٠ والعهــد : الوفاء والأمانة ٠ والشمم : التكبر ٠

٦ ـ طه : من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم ٠ والرهط : من ثلاثة الى عشرة ٠ ولا تكون فيهم امرأة ٧ ـ رقت : صعدت ٠ والكلم ؛ اسم جنس جمعى لكلمة ـ٨ـ تكبره : تعظمه ، ويوشك : يقارب ـ ٩ ـ عز السبيل ، من قولهم عز الشىء ، اذا قل فلا يكاد يوجد ولا يقدر عليه ٠

محمدٌ رُوِّعت فى القبر أعظمُه ... وبات مستأمنًا فى قومه الصنم (١)
وخان «عونُ الرفيقُ» العهدَ فى بلدٍ ... منه العهودُ أتتْ للناس والذمم (٢)
قد سال بالدم مِن ذِبْحٍ ومن بَشَرٍ ... واحمرّ فيه الحمى والأشهرُ الحرم (٣)
وفُزِّعَتِ فى الخدورِ الساعياتُ له ... الداعياتُ وقرب الله مُغتنَم (٤)
آبتْ ثكالَى أيامَى بعد ما أخذَتْ ... مِنْ حَوْلِهِنّ النَّوَى والأَيْنُقُ الرُّسُم (٥)
حُرِمْنَ أنوارَ خيرِ الخلقِ من كَثَبٍ ... فدمعهُنّ من الحرمان منسجم (٦)
أىٌّ الصغائِرِ فى الإسلام فاشية ... تودَى بأيسرها الدولاتُ والأُمم (٧)
يجيشُ صدرى ، ولايجرى بها قلمى ... ولوجرى لبكى واستضحك القلم (٨)
أغضَيْتُ ضنًّا بعرضى أن ألمّ به ... وقد يروق العمى للحرّ والصمم (٩)
موِّه على الناسِ ، أو غالطهمْ عبثًا ... فليس تكتمهم ما ليس ينكتم (١٠)
مِنَ الزيادةِ فى البلوى وإنْ عَظُمتْ ... أن يعلم الشامتون اليومَ ما علموا

---

١ ــ الصنم : صورة أو تمثال يتخذ للعبادة ، وقيل : هو كل ماعبد من دون الله ــ٢ــ عون الرفيق : اسم الشريف الذى اقترف تلك المظـــالم . والذمم : جمع ذمه ، وهى العهد والأمان ٣ ــ الأشهر الحرم ، اربعة : ذو القعدة؛ وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، سميت كذلك لأن العرب كانت تجعل القتال فيها حراما : ماعدا بنى خثعم وطيىء . والضمير فى (ســـال) و (فيه) : للبلد فى البيت المتقدم . واحمـــــرار الحمى والأشهر الحـــــرم : كناية عن اقترافه القتل فيهما ــ٤ــ فزعت : خوفت والخدور: البيوت . والساعيات له : أى لذلك البلد ــ ٥ ــ الثكالى : جمع ثكلى : وهى من فقدت ولدها ، والايامى : جمع أيم ، وهى من لازوج لها . والنوى : البعد . والأينق : جمع ناقة . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة تؤثر أخفافها فى الأرض من شـــــدة الوطء ٦ ــ من كثب : أى من قرب . والمنســـجم : السائل ــ٧ــ الصغائر : جمع صغيرة ، وهى من الذنوب أخف من الكبيرة فى حكم الشرع . وتودى : تهـــــلك . والدولات جمـــع دولة ــ٨ــ يجيش صدرى : يغلى غيظا . اســـتضحك : بمعنى ضحـــك ــ٩ــ اغضيت : أى صبرت وأمسكت . وضنا : بخلا . وألم به : أى بما يؤذيه ، من قولهم : الم بالذنب اذا فعله . ويروق العمى : من راقه الشىء اعجبه .

١٠ ــ موه على الناس : أى زخرف لهم الأخبار وزورها عليهم .

كلُّ الجراح بآلامٍ ، فما لمستْ ... يدُ العدوّ فثمّ الجرحُ والألم
والموتُ أهونُ منها وهى دامية ... إذا أساها لسانٌ للعِدى وفم

* * *

ربَّ الجزيرةِ ، أدرِكْها ، فقد عَبَثَتْ ... بها الذئابُ ، وضلَّ الراعىَ الغنم(١)
إن الذين تولّوْا أمرَها ظلموا ... والظلمُ تصحبُه الأهوالُ والظُّلَم(٢)
فى كلِّ يومٍ قتالٌ تقشعرُّ له ... وفتنةٌ فى ربوع اللهِ تضطرِم(٣)
أزرى الشنزيفُ وأحزابُ الشريفِ بها ... وقسموها كإرثِ الميْتِ ، وانقسموا(٤)
لا تجزهم عنك حلماً ، وأجزهم عَنَتاً ... فى الحلم ما يسمُ الأفعالَ أو يَصِم(٥)
كفى الجزيرةَ ما جرّوا لها سفهًا ... وما يحاولُ من أطرافِها العجم(٦)
تلك الثغورُ عليها — وهى زينتُها — ... مناهلٌ عَذُبت للقوم ، فازدحموا(٧)
فى كلِّ لجٍّ حواليْها لهم سفُنٌ ... وفوق كل مكان يابسٍ قدم(٨)
والاهُمُ أمراءُ السوء ، واتفقوا ... مع العداة عليها ، فالعداة هُمُ
فجرّد السيف فى وقتٍ يُفيد به ... فإن للسيف يوماً ، ثم ينصَرِم(٩)

---

١ — رب الجزيرة : اى صاحب الجزيرة . وهى جزيرة العـــرب ،
٢ — الأهوال : جمع هول ، وهو المخافة من الامر لايعرف الانسان مايهجم منه . والظلم . جمع ظلمة ٣ — تضطرم : تشتعل ٤ — ازرى بها : تهاون .
٥ — العنت : الشدة والهلاك ، ومايسم : أى مايكون سمة وعلامة . وما يصم : أى مايكون وصمة وعيبا ٦ — العجم ، هنا : أهل الغرب ، ممن كانوا بحقدون على الدولة التركية وجودها ٧ — المناهل : جمع منهل ، وهو المورد . والمراد بالقوم : أولئك العجم ٨ — اللج : معظم الماء ٩ — جرد السيف : سله . وينصرم : يمضى .

استقبال

ياراكبَ الريح ، حيِّ النيلَ والهرَما ... وعظِّمِ السفحَ من سيناء ، والحرما(١)
وقف على أثرٍ مرَّ الزمانُ به ... فكان أثبتَ من أطوادِه قِمما(٢)
واخفض جناحَك في الأرض التي حَمَلَت ... موسى رضيعاً ، وعيسى الطهر منفطما
وأخرَجَت حكمةَ الأجيالِ خالدةً ... وبيَّنت للعبادِ السيفَ والقلما(٣)
وشُرِّفَت بملوكٍ طالما اتخذوا ... مطيَّهم من ملوك الأرض والخدما(٤)
هذا فضاءٌ تُلِمُّ الريحُ خاشعةً ... به ، ويمشي عليه الدهرُ محتشما(٥)
فمرحبًا بكما من طالعيْن به ... على سوى الطائر الميمونِ ما قدِما(٦)

* * *

عاد الزمانُ ، فأعطى بعدما حَرَما ... وتاب في أُذُنِ المحزونِ ، فابتسما
فيارَعى اللهُ وفدًا بين أعيننا ... ويرحم الله ذاك الوفد ما رَحِما(٧)
هم أقسموا لتَلِينَنن السماءُ لهم ... واليوم قد صدَّقوا في قبرِهم قسما(٨)
والناسُ بانى بناءٍ ، أو مُتمِّمُه ... وثالث يتلافى منه ما انهدَما

---

١ ـ السفح : عرض الجبل المضطجع · والحرم : مالايحل انتهاكه ·

٢ ـ الأطواد : الجبال · والقمم : واحدتها قمة ؛ وهى أعلى كل شىء ·

٣ ـ الحكمة : صواب الامر وسداده · والأجيال : جمع جيل ، وهم أهل الزمن الواحد · والخالدة : الدائمة الباقية ٤ ـ طالما اتخذوا مطاياهم وخدمهم من ملوك الارض ؛ أولئك هم ملوك مصر الاقدمون ، حين كانوا يأسرون فى حروبهم ملوك الاقطار الاخرى ٥ ـ المحتشم : المستحى ·
٦ ـ على الطائر الميمون : مأخوذ من قولهم في الدعاء للمسافر : سر على الطائر الميمون ٧ ـ كانت الدولة العلية قد ندبت للقيام برحلة جوية بين الآستانة والقاهرة اثنين من ضباطها الطيارين ، فسقطت طيارتهما فى الطريق وماتا . فندبت الدولة غيرهما ؛ فوصلا سالمين والى هذا يشير بالوفدين فى البيت
٨ ـ لتدينن : أى لتخضعن وتذلن ·

تعاونٌ لا يحلُّ الموتُ عُرْوَتَه ولا يُرَى بيَدِ الأرزاء منفصما(١)

* * *

ياصاحِبِيْ (أدرميد)، حسبُها شرفاً أنَّ الرياحَ إليها ألقت اللُّجما(٢)

وأنها جاوزتْ فى القدس مِنْطَقَةً جرى البساطُ فلم يجتز لها حرَما(٣)

مشت على أُفقٍ مرَّ البُراقُ به فقبَّلتْ أثرًا للخُفِّ مُرتَسِما(٤)

ومسَّحَت بالمُصلَّى، فاكتست شرفاً وبالمغار المعلَّى، فاكتست عِظما(٥)

وكلما شاقها حادٍ على أُفقٍ كانت مزاميرُ داودٍ هى النغما(٦)

جشَّمتاها من الأهوالِ أربعةً الرعدَ. والبرقَ. والإعصارَ، والظلما(٧)

حتى حوتها سماءُ النيل فانحدرت كالنسر أعيا. فوافى الوَكْرَ. فاعتصما(٨)

* * *

يا آلَ عثمانَ أبناء العمومةِ: هل تشكون جرحا ولا نشكو له ألما ؟(٩)

---

١ — العروة: كل مايوثق به. والمنفصم: المنقطع.

٢ — أدرميد: اسم الطيارة التى ركباها الى مصر ٣ — القدس: مدينة بيت المقدس فى الشام. والبساط: هو بساط سليمان. وفى التاريخ الدينى: أنه كان يتخذ مع الريح بساطا يجريه حيث يشاء ٤ — البراق فى اللغة الدينية: دابة كان يركبها الأنبياء، وقد ركبها النبى محمد صلى الله عليه وسلم ليلة اسرائه من مكة الى بيت المقدس. والخف: أى خف الرسول؛ ويقال: ان أثره مرتسم هناك ٥ — المصلى: مكان الصلاة. والمغار — بفتح الميم وضمها: الكهف. والمعلى: المرفوع.

٦ — شاقها: هاجها وشوقها. والحادى: سائق الابل الذى يغنى لها. ومزامير داود: ماكان يرتله فى صلاته من الاناشيد والترانيم ٧ — جشمتاها: كلفتاها. والأهوال: جمع هول، وهو المخافة من أمر لايعرف مايهجم منه على الانسان. والاعصار: ريح ترتفع بتراب بين السماء والأرض، أو تستدير كأنها عامود. والظلم: جمع ظلمة ٨ — حوتها: أى حازتها. وانحدرت: هبطت. والنسر: طائر من الجوارح وكلها تخافه، وهو حاد البصر؛ وأشد الطيور ارتفاعا، وأقواها جناحا. وأعيا: تعب. ووافى الوكر: أتاه؛ والوكر: عش الطائر أينما كان فى شجر او فى غيره. فاعتصم به: أى لزمه.

٩ — العمومة. مصدر من العم: كالخؤولة من الخال.

إذا حزِنتم حزنًا فى القلوب لكم ... كالأم تحملُ من همّ ابنها سَقما
وكم نظرنا بكم نُعمى فجسَّمها ... لنا السرورُ ، فكانت عندنا نِعما(١)
ونبذل المال لم نُحمَل عليه ، كما ... يقضى الكريمُ حقوقَ الأهل والذِّمما(٢)
صبرًا على الدهر إن جلَّت مصائبُه ... إن المصائب مما يُوقظُ الأُمَما
إذا المقاتلُ من أخلاقِهم سلمتْ ... فكلُّ شىء على آثارها سلما
وإنما الأُمم الأَخلاق ما بقيت ... فإن تَوَلَّت مضوْا فى إثرِهَا قُدُما(٣)
نَمّ على كلّ ثارٍ لا قرار له ... وهل ينامُ مُصيبٌ فى الشعوبِ دما؟
فنال من سيفكم من كان ساقيَه ... كما تَنالُ المُدامُ الباسلَ القَدَما(٤)
قال العذولُ : خرجنا في مَحَبَّتِكم ... من الوقارِ ، فيا صدقَ الذى زعما
فما على المرء فى الأَخلاق من حرج ... إذا رعى صِلَةً فى الله ، أو رَحِمًا
ولو وهبتُم لنا عُليَا سيادتِكم ... ما زادنا الفضلُ فى إخلاصنا قدما
نحنو عليكم ، ولا ننسى لنا وطنًا ... ولا سريرًا ، ولا تاجاً ، ولا عَلما
هٰذى كرائمُ أشياء الشعوب ، فإن ... ماتت فكلٌّ وجود يشبهُ العدَما

---

١ ــ النعـــمى : ما أنعم به ٢ ــ الذمم : جمع ذمة، وهى العهد ٣ ــ القدم (بضم القاف والدال) : أى يمضى الانسان فلا يعرج على شىء ولا يتثنى ·

٤ ــ المدام : الخمر · والباسل : البطل الشجاع · والقدم (بفتح القاف والدال) : الشجاع أيضا ·

أرسطاليس وترجمانه(*)

علمتَ بالقلمِ الحكيم   وهديتَ بالنَّجم الكريم
وأتيتَ من محرابه   بأرسططاليس العظيم
ملكِ العقول ، وإنها   لنهاية المُلْكِ الجسيم
شيخ ابن رشد ، وابن سيـ   ـنا ، وابن بَرقينَ الحكيم(١)
من كان فى هَدْى المسيـــــح ، وكان فى رُشْدِ الكليم
وغدا وراح موحِّدًا   قبل البَنِيَّةِ والحَطيم(٢)
صوت الحقيقة بين رعـ   ـدِ الجاهلية والهزيم(٣)
ما بين عاديةِ السَّوا   م وبين طُغيان المسيم(٤)
يبنى الشرائعَ للعصو   ر بناء جبَّارٍ رحيم
ويفصِّل الأخلاقَ للـ   ـأجيال تفصيل اليتيم(٥)
فى واضح لحْبِ الطريـ   ـق من المذاهب مستقيم(٦)
ورسائلٍ مثلِ السُّلا   فِ إذا تمشَّت فى النديم
قدسيةِ النفحاتِ ، تُسـ   ـكِر بالمذاقِ ، وبالشَّميم

* * *

يالطفِ، أنت هو الصَّدى   من ذلك الصوت الرخيم

(*) ترجم الأستاذ أحمد لطفى باشا السيد كتاب أرسطاليس فى علم الاخلاق الى العربية ، فكتب اليـــــه صاحب الديوان هذه التهنئـــــة

١ — برقين : بلدة المترجم لطفى باشا السيد ٢ — البنيه : الكعبة ٣ — الهزيم : صوت الرعد .

٤ — السوام : المرعية . والمسيم : الراعى ٥ — اليتيم : اللؤلؤ .

٦ — الطريق اللحب : الواسع .

أرجُ الرياضِ نقلتَه ونسختَه نَسْخَ النسيم
وسريتَ من شِعبِ الألَمْ بِ به إلى وادى الصَّريم(١)
فتجارتِ اللغتان للـ غايات فى الخَبِيب الصميم
لغةٌ من الإغريق قيِّمةٌ ، وأخرى من تميم
وأتيتَنا بمُفَصَّلٍ بالتبر ، عُلوىٌّ الرقيم
هو ضِنةُ المُثرِى من الـ أخلاق ، أو مالُ العديم(٢)

* * *

مَشَّاء هذا العصرِ ، قِفْ حدِّث عن العُصُر القديم(٣)
مَثِّلْ لنا اليونان بيـ نَ العلم والخُلق القويم
أخلاقها نور السبيـ لِ ، وعِلْمها نور الأديم
وشبابُها يتعلمو ن على الفراقد والنجوم
لمسوا الحقيقةَ فى الفنو ن ، وأدركوها فى العلوم
حلَّتْ مكاناً عندهم فوق المعلِّم والزعيم(٤)
والجهلُ حظُّك إن أخذ تَ العلمَ من غير العليم
ولربَّ تعليمٍ سرى بالنشء كالمرضِ المُنيم(٥)
يتلبَّسُ الحُلمُ اللذيـ ذُ عليه بالحُلُمِ الأثيم
ومدارس لا تُنْهِضُ الـ أخلاقَ دارِسَة الرُّسوم
يمشى الفسادُ بنبْتِها مشىَ الشرارةِ بالهشيم

---

١ ــ الألمب : جبل من جبـــــال اليونان • والصريم : واد من أودية العرب •
٢ ــ الضنة : الشىء الذى يضن به ٣ ــ المشاءون : تلاميذ أرسطاليس •
٤ ــ هذه اشارة الى قول أرسطا ليس المشهور : افلاطون حبيب الى ولكن الحقيقة أحب الى منـــــه ٥ ــ المرض المنيم : المنوم •

لما رأيتُ سوادَ قو مى فى دُجى ليلٍ بهيم
يَشْقَوْنَ من أُمِّيَّةٍ هى غُصَّةُ الوطن الكظيم
وسراتُهم فى مُقعِد من مطلَبِ الدنيا مُقيم
يَسعَوْن للجاه العظيـ ـم ، وليس للحق الهضيم
وبصُرْتُ بالدستور يُزْ هَق وهو فى عُمْرِ الفطيم
لم يَنجُ من كيدِ العَدو له ، ومن عبثِ الحميم
أيقنت أن الجهلَ عِلَّـــــةُ كلِّ مجتمع سقيم
وأتيتُ — يا ربَّ النشيـ ـر — بما تُحبُّ من النظيم
أحزِ اجتهادَكِ فى جَنى الثمراتِ للنَّشْأ النهيم(١)
من روضةِ العلم الصحيـ ـح ، وربوةِ الأدب السليم
العاشقينَ العلمَ . لا يألونه طلبَ الغريم
المعرضينَ عن الصغا ئر ، والسعاية ، والنمم

* * *

قسماً بمذهبك الجميـ ـلِ ،ووجهِ صُحْبَتِكَ القسيم
وقديمِ عهدٍ ، لا ضئيـ ـلٍ فى الوداد ، ولا ذميم
ما كنتَ يوماً للكِنا نةِ بالعدُوِّ ولا الخصيم
لما تلاحى الناسُ لم تنزلْ إلى المرعى الوخيم(٢)
كم شاتمٍ قابلتَه بترفُّعِ الأسدِ الشتيم(٣)
وشغلْتَ نفسك بالخصيـ ـب من الجهودِ عن العقيم

---

١ — النهيم : الذى لايشبع ٢ — تلاحى الناس : تلاعنوا ٣ — الشتيم : العابس .

فخدمْتَ بالعلم البلا دَ ، ولم تزلْ أوْفى خَديم(١)
والعلمُ بنَّاءُ المآ ثِر والممالكِ من قديم
كسروا به نِيرَ الهوا نِ ، وحطَّموا ذُلَّ الشكيم

شهيد الحق(*)

إلامَ الخُلْفُ بينكُمُ ؟ إلاما ؟ وهذى الضجَّةُ الكبرى علاما ؟
وفيمَ يكيدُ بعضُكُمُ لبعض وتُبدون العداوةَ والخِصاما ؟
وأين الفوزُ ؟ لا مصرُ استقرتْ على حالٍ ، ولا السودانُ داما ؟
وأين ذهبتمُ بالحقِّ لما ركبتم فى قضيتِه الظلاما ؟
لقد صارتْ لكمْ حكماً وغُنما وكان شِعارُها الموتَ الزُّؤاما
وثِقتم واتهمتم فى الليالى فلا ثقةً أدَمْنَ ، ولا اتهاما
شببتم بينكم فى القُطر نارًا على مُحْتَلِّهِ كانت سلاما
إذا ما راضَها بالعقل قومٌ أجدَّ لها هوى قومٍ ضِراما
ترامَيْتُم ، فقال الناس : قومٌ إلى الخذلانِ أمرُهُم ترامَى

---

١ ـ الخديم : الخادم ٠

(*) نظمها صاحب الديوان بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل باشا ، وقد تناول فيها وصف ما أصاب البلاد فى سنة ١٩٢٤ من انقسام وتشاحن وتناحر ؛ وأشار الى تصريح ٢٨ فبراير وموقف بعض الزعماء حياله ؛ ثم انتقل من ذلك الى ذكرى فقيد البلاد المرحوم مصطفى كامل فوفاه حقه ، واستطرد من ذلك الى البحث فيما تحتاج اليه البلاد من وسائل الاصلاح ٠

وكانت مصرُ أولَ من أصبتم ... فلم تُحصِ الجراحَ ولا الكِلاما(١)
إذا كان الرُّماةُ رماةَ سوءٍ ... أحَلُّوا غيرَ مرماها السهاما
أبعدَ العُروةِ الوُثقى وصَفٌّ ... كأنياب الغضنفَرِ لن يُراما
تباغيتم كأنكمُ خلايا ... من السرطانِ لا تجدُ الضِّماما؟(٢)
أرى طيَّارَهم أوفى علينا ... وحلَّق فوق أرؤسنا وحاما
وأنظرُ جيشَهم من نصف قرنٍ ... على أبصارنا ضرَبَ الخياما
فلا أمناؤنا نقصوه رمحاً ... ولا خُوَّانُنا زادوا حساما
ونَلْقى الجوَّ صاعقةً ورعدًا ... إذا قصرُ الدبارةِ فيه غاما
إذا انفجرت علينا الخيلُ منه ... ركبنا الصمتَ، أو قُدْنا الكلاما(٣)
فأُبْنا بالتخاذل والتلاحي ... وآب بما ابتغى منَّا وراما(٤)

* * *

ملكنا مارِنَ الدنيا بوقتٍ ... فلم نُحسن على الدنيا القياما(٥)
طلعنا — وهْي مقبلةٌ — أسودًا ... ورحنا — وهْي مدبرةٌ — نَعاما
ولِينا الأمرَ حزباً بعد حزبٍ ... فلم نَكُ مصلحين ولا كِراما
جعلنا الحُكم توليةً وعزلاً ... ولم نَعْدُ الجزاءَ والانتقاما
وسُسْنا الأمرَ حين خلا إلينا ... بأهواءِ النفوس، فما استقاما
إذا التصريحُ كان براحَ كفرٍ ... فَلِمْ جُنَّ الرجالُ به غراما؟(٦)

---

١ — الكلام (بكسر الكاف) : الجروح .

٢ — الضمام : ماضممت به شيئا آخر . والسرطان : ورم سوداوى تظهر عليه عروق حمر وخضر متشعبة ٣ — ركبنا الصمت : أى وجدناه خيرا . وقدنا الكلام : استرسلنا فيه ٤ — التلاحى : التلاعن والتلاوم ٥ — المارن : الأنف أو مالان منه ، والمراد بمارن الدنيا : ذروتها وأعلاها ٦ — البراح : الصراح ، والتصريح : تصريح ٢٨ فبراير ، يشير الى موقف بعض الزعماء منه .

وكيف يكون فى أيدٍ حَلالاً ... وفى أُخرى من الأيدى حراما ؟
وما أدرى غداةَ سُقِيتموه ... أتِرْياقا سُقِيتُم ، أم سِماما ؟(١)

* * *

شهيدَ الحقِّ ، قُمْ تره يتيمًا ... بأرضٍ ضُيِّعَت فيها اليَتامى
أقام على الشفاه بها غريبًا ... ومرَّ على القلوب ، فما أقاما(٢)
سَقِمتَ ، فلم تَبِتْ نفسٌ بخيرٍ ... كأنّ بمهجةِ الوطن السّقاما
ولم أر مثلَ نعشِك إذ تهادى ... فغطّى الأرضَ ، وانتظم الأناما(٣)
تحمَّلَ هِمَّةً ، وأقلَّ دِينًا ... وضمَّ مروءةً ، وحوى زماما(٤)
وما أنساكَ فى العشرينَ لما ... طلعتَ حِيالها قمرًا تماما
يشار إليك فى النادى وتُرمَى ... بعَيْنَىْ مَنْ أحبَّ ومَنْ تعامى
إذا جئتَ المنابرَ كنتَ قُسًّا ... إذا هو فى عُكاظَ علا السّناما(٥)
وأنت ألذُّ للحق اهتزازًا ... وألطفُ حين تنطقه ابتساما
وتحملُ من أديمِ الحقِّ وجهاً ... صُراحاً ، ليس يتخذ اللّثاما(٦)

* * *

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً ... سهرنا عن. معلمهم وناما؟(٧)
مِهارُ الحق بغَّضنا إليهم ... شكيمَ القيصرِية واللجاما (٨)

---

١ ـ السمام : جمع سم • والترياق : مايدفع السموم من الدواء •
٢ ـ اى تلفظه الأفواه ولا تحس به القلوب ٣ ـ تهادى : تمـايل على الاعناق •
٤ ـ زمام القوم : مقدمهم وصاحب أمرهم ٥ ـ قس : هـو قس بن ساعدة الايادى ؛ ويضرب به المثل فى بلاغة الخطبـاء ؛ ويروى عنه أنه كان يخطب الناس فى عكاظ وهو على ظهـر بعير ٦ ـ الأديم : الوجه والصـفحة
٧ ـ سهرنا عن معلمهم : أى تركنا هذا المعلم ينام ، وقمنا نحن على تهـذيبهم وانشائهم •
٨ ـ المهار : جمع مهـر ، والمراد بالمهار هنا الشباب • والشكيم : جمع شكيمة ، وهى من اللجام حديدة تعترض فم الفرس ، والمراد بشـكيم القيصرية ولجامها : قسوة الاحتلال وجبروته •

لواؤُكَ كانَ يسقيهم بجامٍ ... وكان الشعرُ بينَ يَدَيَّ جاما(١)
من الوطنيةِ استبقوا رحيقاً ... فضضْنا عن مُعتَّقِها الختاما(٢)
غرسنا كَرْمَها . فزكا أُصولاً ... بكلِّ قَرارةٍ . وزكا مُداما(٣)
جمعتهم على نبراتِ صوتٍ ... كنفخ الصُّور حرَّكت الرِّجاما(٤)
لك الخُطَبُ التي غَصَّ الأَعادي ... بِسَوْرتِها . وساغت للندامى(٥)
فكانت في مرارتها زئيراً ... وكانت في حَلاوتها بُغاما(٦)
بك الوطنيةَ اعتدلتْ ، وكانت ... حديثاً من خرافة أو مَناما(٧)
بنيتَ قضيَّةَ الأَوطانِ منها ... وصيَّرتَ الجلاءَ لها دِعاما(٨)
هززتَ بني الزمان به صبيّاً ... ورُعتَ به بني الدنيا غلاما

---

١ ـ الجام : اناء من فضـــة ، والمعنى : أنك كنت تغذوهم بما كنت تنشر عليهم من لوائك من ثمر الأدب ، وكنت أنا أيضا أغذوهم بما أزجي لهم من زهور الشعر والبيان ـ٢ـ استبقوا الرحيق : تسابقوا اليه ، والرحيق : الخمر ، والمعتق : القديم ؛ وقـــدم الخمر يحسنها ويزيد لذة شاربهـــا ، وفضضنا الختام : فتحناه ،

٣ ـ الكرم : العنب ، وزكا : نما ، والمدام : الخمر ،

٤ ـ الرجام : القبور ،

٥ ـ السورة : الحدة والشدة ، وغص بالشيء : اعترض في حلقه فمنعه التنفس ، والمراد بغصـــة الأعادي : غضبهم ، والندامى : جمع ندمان ، وهو نديم الشراب ، والمراد بهم الشــيعة والاصدقاء ـ٦ـ البغـــام : صـــوت الظبي ،

٧ ـ خرافة : رجـــل عذري اختطفته الجن فيما زعموا ، ثم رجع الى قومه ، وأخبر بما رأى منها ؛ فكذبوه ؛ وأصبح حديثه مثـــلا لكل حدث باطل ،

٨ ـ الدعام : العماد ،

تحية للترك

الدهرُ يقظانُ ، والأحداثُ لم تنمِ … فما رقادُكم يا أشرفَ الأممِ ؟
لعلكم من مِراسِ الحرب فى نَصَبٍ … وهذه ضجعةُ الآساد فى الأَجَمِ(١)
لقد فتحتم فأعرضتم على شِبَعٍ … والفتح يعترض الدولات بالتُّخَمِ(٢)
هبوا بكم وبنا للمجدِ فى زمنٍ … من لم يكن فيه ذئباً كان فى الغنم
هذا الزمانُ تناديكم حوادثُه … يا دولةَ السيف ، كونى دولةَ القلم
فالسيفُ يهدم فجرًا ما بنى سَحَرًا … وكلُّ بنيانِ علم غيرُ منهدم(٣)
قد مات فى السِّلم مَنْ لا رأىَ يَعصمُه … وسوَّت الحرب بين البَهْم والبُهَم(٤)
وأصبح العلمُ ركنَ الآخذين به … من لا يُقِمْ ركنَه العرفانُ لم يَقُم
الناسُ تسحبُ فضفاضَ الغِنى مرحاً … ونحن نلبسُ عنه ضيقةَ العُدُم(٥)
يافتيةَ الترك ، حيا الله طلعتكم … وصانكم . وهداكم صادقَ الخِدَم(٦)
أنتم غدُ الملكِ والإسلامِ ، لا برحا … منكم بخيرِ غدٍ فى المجدِ مبتسم(٧)

---

١ ــ مراس الحرب : مزاولتها . والنصب : التعب والضجعة : الرقدة . والآساد : جمع أسد . والاجم (بفتح الجيم) : جمع اجمة ، وهى الشجر الملتف .

٢ ــ فتحتم : تغلبتم على البلاد التى حاربتموها حتى ملكتموها ، والتخم: جمع تخمة . وهى ثقل الأكل.

٣ ــ يهدم فجرا .. الخ : أى يهدم وقت الفجر ما يكون قد بناه وقت السحر . والمعنى : ان بنيان السيف لا دوام له .

٤ ــ السلم : ضد الحرب . ويعصمه : يحفظه ويقيه . والبهم (بفتح الباء وسكون الهاء) جمع بهمة (بفتح الباء وسكون الهاء ايضا) : وهى أولاد الضأن والمعز والبقر . والبهم (بضم الباء وفتح الهاء) : جمع بهمة (بضم الباء وسكون الهاء) وهى الرجل الشجاع .

٥ ــ الفضفاض : الواسع . والمرح : التبختر والاختيال . والضيقة (بفتح الضاد وكسرها) : سوء الحال . والعدم (بضم العين والدال وتسكن داله ايضا) : الفقر .

٦ ــ صادق الخدم : اى الخدم الصادقة ، وهى جمع خدمة .

٧ ــ انتم غد الملك والاسلام ، أى أنتم الذين تهيئون لهما غدهما ، والمراد مقبل حالهما .

تُحِلُّكم مصرُ منها في ضمائِرها وتعلن الحبَّ جمًّا غيرَ متَّهَم(١)
فنحن - إن بعدتْ دارٌ وإن قربتْ - جاران في الضاد، أو في البيتِ والحرَم(٢)
ناهيك بالسببِ الشرقيِّ من نسبٍ وحبذا سببُ الإسلام من رحِم(٣)
شملُ اللغات لدى الأقوامِ ملتئمٌ والضَّاد فينا بشمل غير ملتئم(٤)
فقرِّبوا بيننا فيها وبينكمُ فإنها أوثقُ الأسباب والذِّمَمِ
وكلّنا إن أخذنا بالفلاح يدٌ وسعينا قدم فيه إلى قدَم
فلا تكونُنَّ «تركيا الفتاة»، ولا تلك العجوزَ، وكونوا تركيا القِدَم
فسيفُها سيفُها في كل معترك وعدُلها طوّق الإسلام بالنِّعم

الأسطول العثماني(*)

هزَّ اللواءَ بعزِّك الإسلامُ وعَنَتْ لقائم سيفِك الأيام(٥)
وانقادت الدنيا إليك، فحسبُها عذرًا قيادٌ أسلسَت وزِمام(٦)
ومشى الزَّمانُ إلى سريرك تائبًا خجلًا، عليه الذُّلُّ والإرغام

---

١ - جما: كثيرا. وغير متهم: أي غير مشكوك في صدقه.

٢ - الضاد: تطلق اسما للغة العربية، وذلك أن حرف الضاد لا يوجد في لغة سواها ولا يقوى عليه الا اهلها.

٣ - ناهيك: كلمة استعظام وتعجب وتأويلها في الكلام: أن هذا الشيء هو غاية فيما تطلبه، حتى انه ينهاك عن طلب غيره، فمعنى البيت: أن السبب الشرقي هو ما يطلب من النسب بيننا وبينكم، فلا تطلبوا نسبا سواه. وحبذا: كلمة مدح.

٤ - الشمل: ماتفرق من الأمر وما اجتمع منه، يقال: جمع الله شملهم وفرق الله شملهم. وملتئم: منضم وملتصق.

* - كان صاحب الديوان في الاستانة، وشاهد البارجتين اللتين اشترتهما الدولة العلية من ألمانيا، فأخذته هزة الطرب، وعز عليه أن يرى المسلمين في أقطار الارض قاعدين عن اعانة اسطول الدولة، فجرى لسانه بهذه القصيدة.

٥ - عنت: خضعت وذلت، والخطاب في هذا البيت والبيتين بعده للخليفة محمد رشاد.

٦ - القياد: ما يقاد به، ويستعمل بمعنى الطاعة. واسلست: جعلته سلسا، أي سهلا لينا، والزمام: مقود البعير.

عرشُ النبي محمدٍ جَنَبَاتُه نورٌ ، ورَفْرَفُهُ الطَّهورُ غمام (١)
لما جلستَ سما وعزّ ، كأنما هارونُ وابناه عليهِ قِيام(٢)
البحرُ محشودُ البوارجِ دونه والبرُّ تحت ظِلاله آجام(٣)
نَعَمَ الرعيةُ فى ذَراكَ ، ونَضَّرتْ أيامَهم فى ظِلكَ الأَحكام(٤)
فى كل ناحيةٍ ، وكل قبيلةٍ عدلٌ ، وأمنٌ مُورِفٌ ، ووِئام(٥)
حمل (الصليبُ) إليكَ من فتيانه جندًا ،وقاتلَ دونكَ (الحَاخام)(٦)
والدينُ ليس برافعٍ ملكاً إذا لم يَبْدُ للدّنيا عليه نظام
بالله قد دان الجميعُ ، وشأنُهم بالله ثم بعرشِك ؛ استِعصام(٧)

* * *

يا ابنَ الذين إذا الحروبُ تتابعت صَلُّوْا على حَدِّ السيوف، وصاموا(٨)
المظهرِينَ لنورِ « بَدْرٍ» بعد ما خِيفَ المحاقُ عليه والإظلام(٩)

---

١ ــ الجنبات : النواحى ، مفردها جنبة · والرفرف : كل ما فضل فثنى · والطهور هو الطاهر فى نفسه والمطهر غيرها ــ ٢ ــ سما : ارتفع · وهارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى · وابناه : هما الأمين ، والمأمون

٣ ــ البوارج : سفن القتال الكبيرة واحدتها : بارجة · والآجام : جمع أجم والأجم : جمع أجمة : وهى الشجر الكثير الملتف ، والاسود تتخذها مأوى لها . والضمير فى « دونه » و « ظلاله » للعرش فى البيت المتقدم ، يعنى أنه مصون ، تحميه سفن القتال المحشودة فى البحر ، والجيوش المقيمة فى البر كأنها الأسود فى آجامها ــ ٤ ــ نعم الرعية : رفهوا واخصبوا . والذرا : الملجأ ونضرت ايامهم الاحكام : جعلها ناضرة . والناضرة : الحسنة ــ ٥ ــ مورف : متسع وممتد ــ ٦ ــ حمل الصليب ·· الخ : يريد ان رعاياك من النصارى واليهود مخلصون ، يقاتلون من دونك لما اظللتهم به من العدل والامن ·

٧ ــ بالله قد دان الجميع : أى أمنوا به · والاستعصام : الاستمساك ·

٨ ــ صلوا على حد السيوف وصاموا : أى لزموها كما يلزم المتعبد صلاته وصيامه ــ ٩ ــ بدر : اسم الغزوة المشهورة فى صدر الاسلام ، سميت باسم المكان الذى وقعت فيه . والمحاق (مثلث الميم) : قيل : هو اخر الشهر حيث يمحق نور القمر ، وقيل : هو ثلاث ليال من آخره .

عشرون خاقاناً نَمَوْكَ وعَشْرةٌ ... غرٌّ الفتوح خلائفٌ أعلام(١)
نسبٌ إذا ذُكِر الملوكُ فإنه ... لِرَفيع أنسابِ الملوكِ سَنَام(٢)
لا تحفلنَّ من الجِراح بقيةً ... إن البقيةَ في غدٍ تلتام(٣)
جرت النحوس لغاية فتبدَّلت ... ولكل شيء غايةٌ وتمام
تعِبت بأُمّتِك الخطوبُ فأقصرَت ... والدهرُ يُقصر والخطوب تنام(٤)
لبِثَت تَنُوشهمُ الحوادثُ حقبةً ... وتصدُّها الأَخلاقُ والأَحلام(٥)
ولقد يُدَاس الذئبُ في فلواته ... ويُهابُ بين قيوده الضرغام(٦)
زِدْهم أميرَ المؤمنين من القُوَى ... إن القُوَى عزٌّ لهم وقوام
الملكُ والدُّولاتُ ما يَبْني القنا ... والعلمُ ، لا ما ترفعُ الأَحلام(٧)
والحقُّ ليس – وإن علا – بمؤيَّدٍ ... حتى يُحَوِّطَ جانبيْه حسام(٨)
خطَّ النبيُّ براحتيهِ خَندقا ... ومشى يُحيط به قناً وسهام(٩)

* * *

يا بربروسُ ، على ثراكَ تحيةٌ ... وعلى سَمِيِّكَ في البحارِ سلام(١٠)

---

١ – الخاقان : هو كل ملك من الاتراك . ونموك : اى رفعوك بالانتساب اليهم . وعشرة غر الفتوح : اى ونماك ايضا عشرة خواقين ، امتازوا . بالفتح والتوسع فى الملك ، فاختصوا بوصف الفاتحين،فلا يقال هذا الوصف لغيرهم من سلاطين آل عثمان . وخلائف : جمع خليفة – ٢ – السنام : اللحم المرتفع على ظهر البعير –٣– لاتحفلن بقية : أى لاتبال بها . فهى ستبرأ وتلتحم يشير بذلك الى حوادث كانت تشغل الدولة التركية يومئذ –٤– اقصرت : أى انتهت وامسكت عنها –٥– تنوشهم : تتناولهم . وتصدها اى تصد الحوادث . والأحلام : العقول – ٦ – الضرغام : الاسد – ٧ – القنا : الرماح والاحلام هنا : جمع حلم ، وهو ما يراه النائم – ٨ – يحوط جانبيه ، بواو مشددة . اى يحفظهما ويتعهدهما . والحسام : السيف – ٩ – الخندق : حفير حول أسوار المدينة – ١٠ – بربروس : هو خير الدين بربروس من ابطال العثمانيين ، جعلت الحكومة التركية اسمه علما لبارجة هى الاولى فى الاسطول العثماني .

أَعَلِمتَ ما أهدى إليك عصابةٌ   غرُّ المآثر من بنيك كرام ؟(١)
نشروا حديثَك فى البرية بعد ما   همَّت بطىٍّ حديثِك الأيام
خصُّوك من أُسطولِهم بدعامةٍ   يُبنى عليها ركنُه ويقام(٢)
شماءُ فى عرضِ الخِضَمِّ ، كأنَّها   برجٌ بذات الرجع ليس يرام(٣)
كانت كبعض البارجات ، فحفَّها   لما تحلَّت باسمك الإعظام
ما مات من نبلِ الرجال وفضلهم   يحيا لدى التاريخ وهو عظام
تمضى ويُنسَى العالمون ، وإنما   تبقى السيوفُ ، وتَخلُدُ الأقلام(٤)
وتلاك (طرغودُ) كما قد كنتُما   جَنباً لجنبٍ والعُبابُ ضِرام(٥)
أَرسى على بابِ الإمام كأنَّه   للفُلك من فرط الجلال إمام(٦)
جمعتكما الأيامُ بعد تفرُّق   ما للقاءِ وللفراق دوام
سيشدُّ أزرَك والشدائدُ جُمةٌ   ويُعِزُّ نصرَك والخُطوبُ جِسام(٧)
ما السُّفنُ فى عدد الحصى بنوافع   حتى يهزَّ لواءها مِقدام
لما لمحتُكما سكبْتُ مدامعى   فرحاً ، وطال تشوُّفٌ وقِيام(٨)

---

١ ـ عصابة غر المآثر : هم رجال الحكومة العثمانية الذين اوجدوا البارجة بربروس ـ ٢ ـ الدعامة : عماد البيت ـ ٣ ـ شماء : مرتفعة عظيمة . والخضم : البحر • والبرج : واحد بروج السماء • وذات الرجع : هي السماء والرجع : المطر بعد المطر ـ ٤ ـ وانما تبقى السيوف : أى يبقى ما تفعله السيوف ويخلد ما تسطره الأقلام ـ ٥ ـ تلاك : أى جاء تاليا لك • وطرغود : هو أيضا من ابطال البحر العثمانيين ، جعلت الحكومة التركية اسمه كذلك علما لبارجة أخرى . والعباب : كثرة السيل وارتفاعه • والمراد به هنا كثرة ماء البحر • والضرام اشتعال النار • والمعنى : أن البارجة التى سميت باسم طرغود ، هى مع البارجة المسماة باسمك ، فهما فى البحر كما كنتما فيه من قبل ، حين كانت تشتعل نار القتال فوق عبابه .

٦ ـ أرسى : وقف وثبت • والفلك : السفن ، يستعمل للمفرد وللجمع بلفظ واحد ، وفى البيت اشارة الى ان مرسى البارجتين كان أمام قصر الخليفة .

٧ ـ الأزر : الظهر • والجمة : الكثيرة • والجسام : العظام جمع جسيم

٨ ـ سكبت : صببت . والتشوف : التطلع •

وسألتُ : هل من (لؤلؤ) أو (طارقٍ) … في البحر تخفقُ فوقَه الأعلام؟(١)

* * *

يا معشرَ الإسلامِ ، في أُسطولِكم … عزٌّ لكم ، ووقايةٌ ، وسلام

جودوا عليه بمالِكم ، واقضوا له … ما توجبُ الأعلاقُ والأرحام(٢)

لا الهندُ قد كرُمت ، ولا مصرٌ سخت … والغربُ قصَّر عن ندًى، والشام

سيلُ الممالكِ جارفٌ من شدَّةٍ … وقُوًى ، وأنتم في الطريق نِيام(٣)

حبُّ السيادة في شمائِل دينكم … والجِدُّ روحٌ منه والإقدام(٤)

والعلمُ من آياته الكبرى إذا … رجعت إلى آياتِه الأقوام(٥)

لو تُقرئون صِغارَكم تاريخَه … عرف البنون المجدَ كيف يُرام

كم واثقٍ بالنفس ، نهّاضٍ بها … ساد البريةَ فيه وهو عِصام(٦)

الأندلس الجديدة

يا أُختَ أندلسٍ ، عليكِ سلامُ … هَوَت الخلافةُ عنكِ ، والإسلام(٧)

نزل الهلالُ عن السماء ، فليتها … طُوِيَتْ ، وعمَّ العالمين ظلام

---

١ — لؤلؤ : هو حسام الدين لؤلؤ ، أمير الاسطول المصرى فى الحروب الصليبية ، وطارق : هو طارق بن زياد بطل الاندلس المشهور — ٢ — الاعلاق : نفائس الاشياء — ٣ — جارف ، من جرف الشيء : ذهب به كله أو أكثره .

٤ — الجد : الاجتهاد فى الامر . وروح منه ، أى من دينكم — ٥ — والعلم من آياته : أى من آيات الدين — ٦ — النهاض : مبالغة من النهوض ، وهو القيام . وهو عصام : أى كعصام ، وهو رجل شرف بنفسه وعمله ، لا بنسبه وآبائه ، حتى قيل فيه : « نفس عصام سودت عصاما » ، فضرب به المثل فى ذلك — ٧ — يا اخت اندلس : يخاطب مدينة ادرنة ، وقد كانت من امهات المدن العثمانية فى مقدونية ، وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الانباء بغلبة البلغار عليها فى الحرب سنة ١٩١٢ بعد أن أبلت حاميتها فى الدفاع عنها بلاء حسنا .

أزرى به ، وأزاله عن أَوْجِهِ   قدَرٌ يَحُطُّ البدرَ وهو تمام(١)
جُرحان تمضى الأَمتان عليهما   هذا يسيل ، وذاك لا يلتام(٢)
بكما أُصيبَ المسلمون ، وفيكما   دُفِنَ اليراعُ ، وغُيِّب الصَّمصام(٣)
لم يُطوَ مأْتمُها ، وهذا مأْتمٌ   لبسوا السوادَ عليكِ فيه وقاموا(٤)
مابين مَصرعِها ومصرعِكِ انقضت   فيما نُحِبُّ ونكره الأَيام
خلت القرونُ كليْلةٍ . وتصرَّمت   دولُ الفتوحِ كأَنها أَحلام(٥)
والدهرُ لا يأْلو الممالكَ مُنذرًا   فإذا غفلنَ فما عليهِ مَلام(٦)

* * *

مقدونيا — والمسلمون عشيرةٌ —   كيف الخئولةُ فيكِ والأَعمام؟(٧)
أَتريْنهم [illegible] وكان بعزِّهم   وعلوِّهم يتخايلُ الإِسلام؟(٨)
إذ أَنتِ [illegible] ، كل كتيبة   طلعت عليكِ فريسةٌ وطعام(٩)
ما زالت الأَ[illegible] بُدِّلَت   وتغيَّرَ الساقى ، وحالَ الجام(١٠)

---

١ — ازرى به : وضع من شانه ، والاوج : العلو — ٢ — جرحان : احدهما خروج أدرنة من ايدى المسلمين ، والث[illegible] خروج الاندلس من أيديهم ، والامتان: هما العرب أيام نكبة الاندلس ، والترك أيام ضياع أدرنه — ٣ — اليراع : القلم والصمصام : السيف — ٤ — لم يطو ماتمها : أى ماتم الاندلس — ٥ — خلت : مضت . وتصرمت : انقضت — ٦ — لا يالو : لا يقصر ولا يبطىء

٧ — مقدونيا : اسم الاقليم الذى تقع فيه ادرنة . والعشيرة : قبيلة الرجل والخئولة النسبة الى الخال ، كالعمومة ، وهى النسبة الى العم — ٨ — يتخايل يتبختر — ٩ — اذ انت ناب الليث : أى مثل ناب الليث ، فى انه مخوف لايمكن الوصول اليه . والكتيبة : الجيش ، وقيل القطعة منه . والمعنى ان الاسلام كان يتخايل بعز أبنائه فى مقدونيا ، حينما كانت ممتنعة على العدو كامتناع ناب الليث على من يريده ، وحينما كانت تفنى دونها جيوش الاعداء

١٠ — حال : تحول من حال الى حال . والجام : اناء من فضة تسقى فيه الخمر .

أرأيتِ كيف أديلَ من أسْدِ الشَّرَى ... وشهدتِ كيف أبيحتِ الآجام؟(١)

زعموكِ همًّا للخلافةِ ناصبًا ... وهل الممالكُ راحةٌ ومنام؟(٢)

ويقول قومٌ: كنتِ أشأمَ مَوْرِدٍ ... وأراكِ سائغةً عليكِ زِحام

وبراكِ داء المُلك ناسٌ جَهالةٍ ... بالمُلك منهم علةٌ وَسَقَام

لو آثروا الإصلاحَ كنتِ لعرشِهم ... رُكنًا على هام النجوم يُقام(٣)

وهُمُ يقيِّدُ بعضُهم بعضًا به ... وقيودُ هذا العالَمِ الأوهام

صورُ العمى شتَّى ، وأقبحُها إذا ... نظرتْ بغير عيونِهنَّ الهام

ولقد يُقام من السيوفِ ، وليس من ... عثراتِ أخلاقِ الشعوبِ قيام

* * *

ومُبَشِّرٍ بالصلحِ قلت : لعله ... خيرٌ ، عسى أن تصدقَ الأحلام(٤)

ترك الفريقان القتالَ ، وهذه ... سِلْم أمرُّ من القتالِ عُقام(٥)

ينعى إلينا الملكَ ناعٍ لم يطأْ ... أرضاً ، ولا انتقلت به أقدام(٦)

برق جوائبُه صواعقُ كلُّها ... ومن البروقِ صواعقٌ وغمام(٧)

إن كان شرٌّ ، زار غيرَ مفارقٍ ... أو كان خيرٌ ، فالمزارُ لِمام(٨)

---

١ ـ الشرى : مكان تكثر فيه الاسود . والاجام : جمع اجم ، وهو الشجر الملتف تألفه الاسودايضا ـ ٢ ـ الهم الناصب : المتعب ـ ٣ ـ لو آثروا الاصلاح اى لو اختاروه . والهام : جمع هامة ، وهى راس كل شىء ـ ٤ ـ ومبشر بالصلح : يشير الى ماكان قد جاء من الانباء بان الصلح سيتم بين المتحاربين .
٥ ـ يقال : داء عقام ، اى لايرجى البرء منه ، وحرب عقام : اى شديدة ، وكلا المعنيين صالح هنا . ويشير بقوله : هذه سلم .. الخ ، الى ماكان من ممالأة الدول الاوربية الكبرى ، لدول البلقان الصغيرة على تركيا ، وارهاقها بشروط الصلح ـ ٦ ـ ينعى الينا .. الخ : يشير الى الانباء البرقية التى تنقل شروط الصلح الظالم . والناعى الذى لم يطأ ارضا .. الخ : هو سلك البرق
٧ ـ الجوائب : الاخبار الطارئة . جمع جائبة ـ ٨ ـ اللمام : جمع لمة ، وهى المرة ، يقال : انت ماتزورنا الا لماما : اى من حين الى حين .

بالأمس (أفريقا) تولّتْ، وانقضى　　مُلكٌ على جيدِ الخِضمِّ جسام(١)
نظمَ الهلالُ به ممالكَ أربعًا　　أصبحنَ ليس لعقدِهن نظام(٢)
من فتحِ هاشم أو أميةَ، لم يُضِعْ　　آساسَها تترٌ ولا أعجام(٣)
واليومَ حكمُ الله فى مقدونيا　　لا نقضَ فيه لنا ولا إبرام
كانت من الغرب البقيةُ، فانقضت　　فعلى بَنى عثمانَ فيه سلام!

* * *

أخذَ المدائنَ والقُرى بخناقها　　جيشٌ من المتحالفين لُهام(٤)
غطَّت به الأرضُ الفضاء وجوهَها　　وكست مناكِبَها به الآكام(٥)
تمشى المناكرُ بين أيدى خَيله　　أنَّى مَشى، والبغىُ، والإجرام(٦)
ويحثه باسم الكتاب أقِسَّةٌ　　نَشطوا لما هو فى الكتابِ حرام(٧)
ومسيطرونَ على الممالك، سخِّرت　　لهم الشعوبُ، كأنها أنعام(٨)
من كل جزّار يروم الصدرَ فى　　نادى الملوكِ، وجَدُّه غنام(٩)

---

١ — الجيد : العنق . والخضم : البحر . وجسام : عظام جمع : عظيم
٢ — ممالك اربعا ، هن : مصر ، وطرابلس ، وتونس والجزائر .
٣ — من فتح هاشم او امية : اى هذه الممالك الاربع مما فتحه بنو هاشم وبنو امية فى عصر الاسلام الاول . والآساس (بالمد) : جمع اساس
٤ — المتحالفون : هم دول البلقان : اليونان ورومانيا ، والبلغار ، والصرب، تحالفوا على حرب الدولة التركية . واللهام بضم اللام : الجيش العظيم ، كانه يلتهم كل شىء — ٥ — مناكبها : نواحيها . والاكام : التلال ، وقيل : هى الحجارة المجتمعة فى امكنة واحدة — ٦ — المناكر : جمع منكر ، وهو كل قول او فعل ليس فيه رضاء الله ، وانى مشى : اى كيف مشى — ٧ — الاقسة : جمع قسيس . ونشطوا : خفوا واسرعوا — ٨ — ومسيطرون : اى ويحثه مسيطرون . والمسيطر : المسلط على الشىء ليشرف عليه ويتعهد احواله . والمراد بهم ملوك دول البلقان — ٩ — يروم الصدر : يطلبه . والصدر — هنا — معناه اعلى امكنة النادى .

سكّينه ، ويمينُه ، وحزامه ، والصولجانُ ، جميعُها آثام(١)

* * *

«عيسى» ، سبيلُك رحمةٌ ، ومحبةٌ في العالمين ، وعصمةٌ ، وسلام
ما كنتَ سفاك الدماء ، ولا امرأً هانَ الضِّعافُ عليه والأيتام(٢)
ياحاملَ الآلامِ عن هذا الورَى كثُرَت عليه باسمك الآلام(٣)
أنت الذى جعل العبادَ جميعَهم رَحِمًا ، وباسمك تُقطَع الأرحام
نَتت القيامةُ فى ولايةِ يوسفٍ واليومَ باسمك مرتين تقام(٤)
كم هاجَه صيدُ الملوكِ وهاجهم وتكافأَ الفُرسانُ والأعلام(٥)
البغىُ فى دين الجميع دنيَّةٌ والسِّلمُ عهدٌ ، والقتالُ زِمام
واليومَ يهتف بالصليبِ عصائبٌ هم للإلّه وروحِه ظلَّام(٦)
خلَطوا صليبكَ والخناجرَ والمُدى كلٌّ أداةٌ للأذى وحمام(٧)
أوما تراهم ذبَّحوا جيرانهم بين البُيوت كأنَّهم أغنام؟
كم مُرضَعٍ فى حِجْرِ نعمته غدًا وله على حَدِّ السيوف فطام(٨)

---

١ - الصواجان : المحجن ، وهو عصا منعطفة الراس — ٢ — سفاك الدماء : مريقها بكثرة —٣— يشير بقوله : ياحامل الالام ، الخ الى ما يعتقده النصارى من ان السيد المسيح صلب ليحمل عن بني آدم خطيئتهم الاولى ،أى ياحامل الالام فيما يزعمه هؤلاء السفاكون الذين يزعمون انهم على طريقك — ٤ — يوسف : هو السلطان يوسف صلاح الدين الايوبى ، قامت فى ايامه قيامة الصليبيين على المسلمين ، فحاربهم ونصره الله عليهم —٥— هاجه : أثاره ، والضمير ليوسف . وصيد الملوك : جمع أصيد ، وهو الملك ، لانه لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا ، كالبعير الذى اصيب بداء الصيد فى عنقه فلا يلتفت .

٦ — العصائب : جمع عصابة ، وهى الجماعة من الرجال ، وقيل ما بين العشرة والاربعين . وظلام : جمع ظالم — ٧ — خلطوا صليبك : اى الصليب الذى ينسبونه اليك . والحمام : الموت — ٨ — كم مرضع : اى طفل ترضعه أمه . والفطام : فصله عن الرضاع .

وصبيةٍ هُتِكت خميلةُ طُهرها وتناثرت عن نَوْرِه الأكمام(١)
وأخى ثمانين استبيحَ وقارُه لم يُغنِ عنه الضعفُ والأعوام
وجريحِ حربٍ ظامىءٍ وأدُوه ، لم يعطفْهمُ جرحٌ دمٍ وأُوام(٢)
ومهاجرين تنكرت أوطانُهم ضلُّوا السبيلَ من الذهول وهاموا(٣)
السيفُ إن ركبوا الفِرارَ سبيلُهم والنِّطْعُ إن طلبوا القَرار مُقام(٤)
يتلفتون مودِّعين ديارَهم واللحظُ ماءٌ ، والديارُ ضِرام(٥)

* * *

يا أمة (بفروقَ) فرّق بينهم قَدَرٌ تطيشُ إذا أتى الأحلام(٦)
فيم التخاذلُ بينكم ووراءَكم أمم تُضاع حقوقُها وتُضام؟(٧)
الله يشهدُ لم أكن متحزِّباً ، فى الرُّزء لا شِيعٌ ولا أحزام(٨)
وإذا دعوتُ إلى الوِئامِ فشاعرٌ أقصى مُناهُ محبةٌ ووِئام(٩)
من يضجر البلوى فغايةُ جهدِه رُجعَى إلى الأقدار واستسلام(١٠)
لا يأخذنّ على العواقبِ بعضُكم بعضًا ، فقِدْماً جارت الأحكام

---

١ ــ الخميلة ، هنا : الدثار ، من المخمل ، وهو ثوب له وبر كالهداب، أو هى الشجر الكثير الملتف • والنور : هو الزهر الابيض • والاكمام : جمع كم ــ بكسر الكاف ــ وهو غطاء النور ــ٢ــ وادوه : اى قتلوه ، كما تقتل البنت بالواد ، وهو دفنها حية • وجرح دم : اى يقطر منه الدم • والاوام : العطش ودوار الراس ــ ٣ ــ هاموا : ذهبوا على وجوههم من الظلم ، فلا يدرون أين يتوجهون ــ٤ــ النطع : بساط من الجلد يفرش لمن يضرب عنقه، والقرار : المكان الذى يقر فيه الانسان ، او هو الثبات فى المكان والسكون فيه

٥ ــ والديار ضرام : أى مشتعلة نارا ــ٦ــ فروق : والاستانة • والاحلام : العقول ــ٧ــ التخاذل : التدابر وان يخذل بعضهم بعضا ــ ٨ ــ الرزء ، المصيبة • والشيع : جمع شيعة : وهى اتباع الرجل وانصاره • والاحزام : الاحراب ــ٩ــ الوئام : الوفاق ــ١٠ــ رجعى الى الاقدار : اى رجوع اليها •

تَقضى على المرء الليالى ، أَوْ له ... فالحمدُ من سلطانها ، والذّام(١)
من عادة التاريخ ملءُ قضائه ... عدل وملءُ كِنانَتَيْهِ سِهام(٢)
ما ليس يدفعه المهنَّدُ مصلَتًا ... لا الكتبُ تدفعه ، ولا الأَقلام(٣)
إن الأُلى فتحوا الفتوحَ جلائلًا ... دخلوا على الأُسدِ الغياضَ وناموا(٤)
هذا جناه عليكم آباؤكم ... صبرًا وصفحًا ، فالجناةُ كرام(٥)
رفعوا على السيفِ البناء ، فلم يدم ... ما للبناء على السيوف دوام
أبقى الممالكَ ما المعارفُ أُسُّه ... والعدلُ فيه حائطٌ ودِعام(٦)
فإذا جرى رشدًا ويمنًا أمرُكم ... فامشوا بنورِ العلم ، فهو زِمَام
ودعوا التفاخرَ بالتُّراث وإن غلا ... فالمجدُ كسبٌ ، والزمانُ عِصام
إنّ الغرورَ إذا تملَّك أُمةً ... كالزهر يُخفِى الموتَ وهو زؤام(٧)
لا يعدلنّ الملك فى شهواتكم ... عرَضٌ من الدنيا بدا وحُطام(٨)
ومناصب فى غير موضِعها ، كَما ... حلَّت محلَّ القدوة الأَصنام(٩)
الملك مرتبةُ الشعوب ، فإن يفتْ ... عزُّ السيادة، فالشعوبُ سَوام

---

١ — الذام : الذم —٢— الكنانتان : تثنيه كنانة ، وهى جعبة السهام ، من الجلد أو من الخشب —٣— المهند : السيف — ٤ — الغياض : جمع غيضة ، وهى مجتمع الشجر فى مغيض ماء ، وهى ايضا الاجمة ، والمعنى : أن أسلافكم قنعوا من البلاد التى فتحوها بمجرد الفتح والغلبة ، ولم يلتفتوا الى أن اهلها يضمرون لهم العداوة ، ويتربصون بهم الدوائر — ٥ — هذا ، أى ما انتم فيه من عداوة — ٦ — الدعام : عماد البيت — ٧ — كالزهر يخفى الموت : ذلك أن الزهر يتنفس فيفسد الهواء فى الأمكنة الضيقة · فيحدث الاختناق ، والزؤام : السريع من الموت —٨— عرض الدنيا : مالا دوام له منها · وحطامها : ما فيها من مال كثير أو قليل — ٩ — مناصب جمع منصب · بكسر الصاد ، وهو فى كلام المولدين ما يتولاه الرجل من العمل وأصله المقام · والاصنام : جمع صنم ، وهو تمثال انسان أو حيوان يتخذ للعبادة ·

ومن البهائم مشبَعٌ ومُدلَّلٌ ومن الحرير شكيمة ولجام
وقفَ الزمانُ بكم كموقِف «طارق» اليأسُ خلفٌ ، والرجاءُ أمام(١)
الصبرُ والإقدامُ فيه إذا هما قُتلا فأقتلُ منهما الإحجام
يُحصى الدليلُ مدى مطالبه ، ولا يحصِى مدى المستقبلِ المِقدام
هذى البقيةُ — لو حرصتم — دولةٌ صال الرشيد بها ، وطالَ هِشام(٢)
قِسْم الأئمة والخلائِف قبلكم فى الأرض لم تُعتَل به الأقسام(٣)
سرت النبوّةُ فى طَهور فضائِه ومشى عليه الوحىُ والإلهام
وتدفّق النهران فيه ، وأزهرت بغدادُ تحت ظلاله ، والشام(٤)
أثْرَتْ سواحلُه ، وطابت أرضُه فالدرُّ لُجٌّ ، والنُّضارُ رَغام(٥)

* * *

شرفاً أدرنةُ ! هكذا يقفُ الحمى للغاصِبين ، وتثبتُ الأقدام(٦)
وتُرَدُّ بالدم بقعةٌ أُخذت به ويموتُ دون عرينِه الضرغام(٧)
والملكُ يؤخذ ، أو يُرَدُّ ، ولم يزل يرثُ الحسامَ على البلاد حسام(٨)

---

١ — طارق : هو طارق بن زياد بطل الاندلس المشهور ، يروى بعض المؤرخين انه لما عبر بجيشه البحر ليقاتل الاعداء : امر فاحرقت السفائن ، ثم خطب فى الجيش : أن البحر وراءه والعدو امامه ، فاذا نكص عن القتال وقع بين عدوين ليس منهما غير الهلاك — ٢ — هذى البقية : اى ما بقى للاتراك من البلاد بعد حرب البلقان . ولو حرصتم : اى لو حرصتم عليها . والرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى . وهشام : هو ابن عبد الملك احد خلفاء بنى امية — ٣ — القسم (بكسر القاف) : النصيب — ٤ — النهران : دجلة والفرات ، وبغداد : حاضرة العراق —٥— اثرت : كثر فيها الغنى والمال . فالدر لج : اى كثير كاللج . والنضار : الذهب . والرغام : التراب ، اى انه لكثرته صار كالتراب — ٦ — شرفا ادرنة : اى لقد شرفت شرفا . والحمى : ما يحمى من الشىء — ٧ — العرين : ماوى الاسد . والضرغام : الاسد . ٨ — الحسام : السيف .

عِرْضُ الخلافةِ ذاد عنه مجاهدٌ   في الله ، غازٍ في الرسول ، همام(١)
تستعصم الأوطانُ خلف ظُباته   وتَعزُّ حول قناتِه الأعلام(٢)
(عثمان) في بُرْدَيْه يمنعُ جيشَه   (وابنُ الوليد) على الحِمى قوّام(٣)
علم الزمانُ مكانَ (شكرى) ، وانتهى   شكرُ الزمان إليه والإعظام(٤)

* * *

صبرًا أدرنةُ ! كلُّ ملكٍ زائلٌ   يوماً ، ويبقى المالك العلاّم(٥)
خَفَتَ الأذانُ ، فما عليكِ مُوحِّد   يسعى ، ولا الجُمَعُ الحِسانُ تُقام(٦)
وخبتْ مساجدُ كن نورًا جامعاً   تمشي إليه الأُسد والآرام(٧)
يَدْرُجْنَ في حَرَم الصلاةِ قوانتًا   بيضَ الإزارِ ، كأنّهن حَمام(٨)
وَعَفَتْ قبورُ الفاتحين ، وفُضَّ عن   حُفَر الخلائفِ جَنْدَلٌ ورِجام(٩)
نُبِشَتْ على قعساءِ عِزَّتِها ، كما   نُبشتْ على استعلائها الأهرام(١٠)
في ذمّةِ التاريخ خمسةُ أشهرٍ   طالت عليكِ ، فكلُّ يوم عام(١١)

---

١ ــ العرض : جانب الرجل الذى يصونه من نفسه او سلفه ، او هو موضع المدح والذم منه • وذاد عنه : طرد عنه العدو ودفعه ــ ٢ ــ تستعصم : تلجأ وتمتنع . الظبات : جمع ظبة ــ بضم الظاء ، وهى حد السيف . وتعز تصير عزيزة مكرمة ــ ٣ ــ ابن الوليد : هو خالد بن الوليد ، قائد عظيم من الصحابة

٤ ــ شكرى هو بطل ادرنة ، وقائد حاميتها الذى تولى الدفاع عنها أثناء شهور الحصار ــ ٥ ــ صبرا ادرنة : اى اصبرى صبرا ــ ٦ ــ خفت : سكن وانقطع . والموحد : من يعتقد أن الله واحد لا شريك له ولا ولد . والجمع : هى صلوات الجمع الاسبوعية ــ٧ــ خبت : سكنت • والاسد هم الرجال الذاهبون الى المساجد • والارام : النساء الذاهبات اليها . والرئم . الظبى الابيض ــ ٨ ــ يدرجن : يمشين ، والضمير للارام فى البيت المتقدم . والقوانت : جمع قانتة ، من القنوت ، وهو الطاعة والدعاء ــ ٩ ــ عفت : اضمحلت وامحت . وفض جندل ورجام : اى كسر متفرقا . والجندل : الحجارة • والرجام : مايبنى عليه البئر وتعرض فوقه الخشبة للدلو •

١٠ ــ العزة القعساء : المنيعة الثابتة ــ ١١ ــ خمسة اشهر : هى مدة حصار أدرنة .

السيفُ عارٍ ، والوباءُ مُسلَّطٌ ... والسيلُ خوفٌ ، والثلوجُ رُكام(١)
والجوعُ فتَّاك ، وفيه صحابةٌ ... لو لم يجوعوا فى الجهادِ لصاموا
ضَنُّوا بعرضِك أن يُباعَ ويشترى ... عِرْضُ الحرائر ليس فيه سُوام(٢)
ضاق الحصارُ كأنما حلقاتُه ... فلَكٌ ، ومقذوفاتُها أجرام(٣)
ورمى العِدَى ، ورميتِهم بجهنمٍ ... مما يصبُّ الله لا الأقوام
بِعْتِ العدوَّ بكل شبر مهجة ... وكذا يُباعُ الملكُ حين يُرام(٤)
مازال بينكِ فى الحصارِ وبينَه ... شُمُّ الحصونِ ، ومثلُهن عِظام(٥)
حتى حواكِ مقابرًا ، وحويتِه ... جُثثًا ، فلا غَبْنٌ ولا استِذمام(٦)

ضيف أمير المؤمنين (*)

رضىَ المسلمون والإسلامُ ... فَرْعَ عثمانَ ، دُمْ ، فِداك الدوامُ(٧)
كيف نحصى على عُلاكَ ثناءً ؟ ... لك منك الثناءُ والإكرام

---

١ ـ السيف عار : اى مجرد من غمده كما يتجرد الانسان من ثيابه ، والمراد ان القتال مستمر . والوباء مسلط : هو الوباء الذى يحدث عادة فى كل مكان يكثر فيه القتل والقتال ويكون محصورا من الخارج . والسيل خوف : اى مخيف . والثلوج ركام : اى متراكم بعضها فوق بعض ـ ٢ ـ الحرائر : جمع حرة . والسوام (بضم السين) : ان تعرض السلعة ويذكر ثمنها .

٣ ـ الفلك : مدار النجوم . والاجرام ، هى الاجسام التى فى الفلك .

٤ ـ المهجة : الروح او دم القلب . اى ان العدو لم ينلك الا بعد أن بذل فى كل شبر من ارضك رجلا من رجاله ـ ٥ ـ شم الحصون : اى الحصون العالية ـ ٦ ـ حواك : ملكك . والاستذمام : فعل ما يقتضى الذم . والمعنى : ان الحصون بقيت ثابتة بينك وبين الاعداء كما كان بينك وبينهم من عظام القتلى اكوام كالحصون ، فلم يأخذك الا بعد ان صرت مقابر لرجاله جثثا هامدة وبهذا لم تفعل ما فيه غبن ولا ما يقتضى الذم

* ـ نزل صاحب الديوان بالاستانة ، فبلغ انه ضيف أمير المؤمنين ما اقام بها

٧ ـ فرع عثمان : هو السلطان عبد الحميد .

هل كلامُ العبادِ فى الشمسِ إلاّ أنها الشمسُ ليس فيها كلام ؟
ومكانُ الإمام أعلى ، ولكن بأحاديثه يَتِيهُ الأنام(١)
إيه « عبدَ الحميد » ، جلَّ زمانٌ أنت فيه خليفةٌ وإمام(٢)
ما رأت مثلَ ذا الذى تَبتنِى الأقـــوامُ مجدًا ، ولن يَرى الأقوام
دولةٌ شاد ركنَها ألفُ عام ومئاتٌ ، تعيدها أعوام(٣)
وأساسٌ من عهدِ عثمان يُبنى ى ثمانٍ ومثلهن يُقام
حكمةٌ حال كلٌّ هذا التجلِّى دونها أن تنالها الأفهام
يسأل الناسُ عندها الناسَ : هل فى الناس ذو المقلةِ التى لا تنام ؟(٤)
أم مِن الناسِ — بعدُ — مَنْ قولُه وحْـ ـيٌ كريمٌ ، وفعلُه إلهام ؟(٥)
صدق الخلقُ ؛ أنت هذا ، وهذا يا عظيما ما جازه إعظام(٦)
شرفٌ باذخٌ ، وملكٌ كبيرٌ ويمينٌ بُسطٌ ، وأمرٌ جسام(٧)
(عُمَرٌ) أنتَ ، بَيْدَ أنك ظلٌّ للبرايا ، وعصمةٌ ، وسلام(٨)
ما تتوجتَ بالخلافةِ حتى تُوِّجَ البائسون والأيتام

---

١ — يتيه : يتكبر — ٢ — ايه : اسم فعل ، معناه الاستزادة من الحديث
٣ — شاد ركنها الف عام ومئات : اى رفع ركنها الف عام ومئات ، وهى دولة الاسلام منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام . تعيدها اعوام : اى ترجعها الى مثل قوتها اعوام معدودة ، هى التى توليت فيها أمرها .
٤ — يسأل الناس عندها : اى عند هذه الحكمة . والمعنى ان بعضهم يسال بعضا : هل فيهم من هو مثلك ساهر على الملك فلا تنام عينه ؟ — ٥ — أم من الناس : أى يسألون ايضا : امنهم من يكون له ذكر بعدك ، انت الذى يصدر عنك القول صادقا مطاعا كانه الوحى ، ويصدر عنك العمل صوابا كأنه الهام من الله — ٦ — صدق الخلق : أى صدقوا فى الحالين ، فانت الذى لاتنام عينك ، وانت القائل المصدق ، والفاعل الصواب — ٧ — شرف باذخ : طويل ويمين بسط (بضم الباء) : اى مبسوطة مطلقة ، كناية عن الجود والسخاء . امر جسام — بضم الجيم : عظيم ضخم — ٨ — عمر انت : اى انت كعمر بن الخطاب فى عدله وتقواه .

وسرى الخِصبُ والنماءُ ، ووافى الـ ... بِشرُ ، والظلُّ ، والجنَى ، والغَمام(١)
وتلقَّى الهلالَ منك جبينٌ ... فيه حسنٌ ، وبالعُفاةِ غَرام(٢)
فسلامٌ عليهمُ وعليه ... يومَ حيَّتهمُ به الأيام
وبدا الملكُ ملكُ عثمانَ من عَلْـ ... ياكَ في الذُّروَة التي لا تُرام(٣)
يهرعُ العرشُ ، والملوكُ إليه ... وبنو العصر ، والولاةُ الفِخام(٤)
هكذا الدَّهرُ : حالةٌ ، ثم ضدٌّ ... ما لحالٍ مع الزمان دوام
ولأَنت الذى رعيَّته الأُسْـ ... ـدُ ، ومَسْرَى ظلالها الآجام(٥)
أمة التركِ ، والعراقُ ، وأهلو ... ه ، ولبنانُ ، والربى ، والخيام
عالمٌ لم يكن ليُنْظَم ، لولا ... أنك السِّلمُ وَسْطَهُ والوئام(٦)
هذَّبته السيوفُ فى الدهر ، واليو ... مَ أتمتْ تهذيبَه الأقلام(٧)
أيقولون : سَكرةٌ لن تَجلَّى ... وقعودٌ مع الهوى ، وقيام؟(٨)
ليذوقُنَّ للمُهلهِلِ صَحْوًا ... تَشرُف الكأسُ عنده والمدام(٩)

---

١ ــ الخصب : رغد العيش . والجنى : مايجنى من الشجر ــ ٢ ــ وبالعفاة غرام : اى وفيه غرام العفاة . والعفاة : جمع عاف وهو طالب الفضل والرزق
٣ ــ من علياك ، أى من عليائك . والعلياء : ما علامن الشىء ــ ٤ ــ يهرع : يمشى اليه بسرعة . والفخام : جمع فخم ، وهو العظيم القدر ــ ٥ ــ المسرى : السريان ، كما يسرى الماء أو السير عامة الليل . والآجام : جمع أجم ، وهو الشجر الكثير الملتف ــ ٦ ــ ينظم : اى ينتظم . والسلم : ضد الحرب . والوئام : الوفاق ــ ٧ ــ هذبته : أصلحته ــ ٨ ــ لن تجلى : اى لن تنجلى ، تنفرج وتنكشف ــ ٩ ــ ليذوقن : هنا قسم ، أى والله ليذوقن . والضمير فى هذا الفعل للجماعة ، يرجع الى القائلين الذين يدل عليهم قوله « أيقولون » فى البيت المتقدم . والمهلهل بكسر الهاء الثانية : هو عدى بن ربيعة ، أخو كليب ابن ربيعة ، وكليب هذا كان من الرؤساء فى الجاهلية ، قتله جساس أخو امرأته وخبرهما مشهور فى أيام العرب وحروبهم ، وكان المهلهل صاحب شراب وقمار ونساء ، فلما علم بقتل أخيه هجر النساء والغزل ، وحرم القمار والشراب ، وشغل عن هذا كله بالحرب وطلب الثار . والى هذا يشير بقوله : ليذوقن للمهلهل صحوا . الخ : أى ليذوقن صحوا كصحو المهلهل ، وحربا كالحرب التى أثارهـــا .

وضع الشرقُ فى يديك يديه   وأنت من حُماتِه الأقسام(١)
بالولاء الذى تُريد الأيادى   والولاء الذى يريه المقام(٢)
غيرَ غاوٍ ، أو خائن ، أو حسود   برئت من أولئك الأحلام(٣)
كيف تُهدَى لما تشيد عيونٌ   فى الثرى ملؤها حصًى ورغام ؟ (٤)
مُقَلٍ عانت الظلامَ طَويلاً   فعماها فى أن يزولَ الظلام(٥)
قد تعيش النفوسُ فى الضيم حتى   لترى الضيمَ أنها لا تضام(٦)
أيها النافرون ، عودوا إلينا   ولِجُوا البابَ ؛ إنه الإسلام(٧)
غرضٌ أنتمُ ، وفى الدهر سهمٌ   يومَ لا تدفعُ السهامَ السهام(٨)
نِمتمُ ، ثم تطلبون المعالى   والمَعالى على النيامِ حرام(٩)
شَرُّ عيشِ الرجال ما كان حُلْمًا   قد تسيغ المنيَّةَ الأحلام(١٠)
ويبيت الزمانُ أندلسيًّا   ثم يُضحِي وناسُه أعجام(١١)

* * *

عالىَ البابِ ، هَزَّ بابُكَ مِنَّا   فسعينا . وفى النفوسِ مَرام(١٢)

---

١ — الحماة : جمع حام ، وهو المانع الدافع · والاقسام : الايمان : جمع قسم — ٢ — الذى تريد الايادى ·· الخ : أى أتوا يحثهم الولاء الذى تقتضيه اياديك عليهم — جمع يد ، وهى النعمة — والولاء الذى يستوجبه مقامك الرفيع — ٣ — برئت من أولئك : أى من هذه الاصناف الثلاثة . والاحلام : العقول — ٤ — لما تشيد : لما تبنى · والثرى : التراب ، وكذلك الرغام ·

٥ — مقل : جمع مقلة ، وهى العين — ٦ — الضيم : الظلم والقهر ·

٧ — النافرون : المتفرقون المتباعدون · لجوا : ادخلوا — ٨ — الغرض : الهدف الذى يرمى اليه — ٩ — المعالى : جمع معلاة (بفتح الميم) وهى الرفعة والشرف — ١٠ — الحلم (بضم الحاء) : ما يراه النائم . جمعه احلام .

١١ — أندلسيا : اى كزمان الاندلس ايام عز العرب والاسلام فيها .

١٢ — عالى الباب ، اى يا من بابك العالى . هز بابك منا : اى هزنا . وفى النفوس مرام : مطلب .

وتجلَّيتَ ، فاستلمنا ، كما للنـــاسِ بالركن ذى الجلالِ استلام(١)

نستميحُ الإمامَ نصرًا لمصرٍ   مثلَما ينصرُ الحسامَ الحسام(٢)

فلمصرٍ – وأنت بالحبِّ أدرى –   بكَ – ياحاميَ الحمى – استعصام(٣)

يشهدُ اللهُ للنفوسِ بهذا   وكفانا أن يشهدَ العلام

وإلى السيدِ الخليفةِ نشكو   جورَ دهرٍ ، أحرارُه ظُلّام(٤)

وعدوها لنا وعودًا كبارًا   هل رأيت القُرى علاها الجهام؟(٥)

فمللنا ، ولم يكُ الداءُ يحمى   أن تملَّ الأرواحُ والأجسام(٦)

يمنعُ القيدُ أن نقوم ، فهل تا   جٌ ؟ فبالتاج للبلاد قيام

فارفع الصوتَ : إنها هى مصرٌ   وارفع الصوتَ : إنها الأهرام

وارعَ مصرًا ولم تزل خيرَ راعٍ   فلها بالذى أرتكَ زِمام

إن جهد الوفاء ما أنت آتٍ   فليقم فى وقائك الخدّام(٧)

وليصولوا بمن له الدهرُ عبدٌ   وله السعدُ تابعٌ وغلام(٨)

فاللواء الذى تلقَّوْا رفيعٌ   والأمورُ التى تولَّوْا عِظام

مَن يُردْ حقَّهُ فللحق أنصا   رٌ كثيرٌ ، وفى الزمانِ كرام

لا تروقنَّ نومةُ الحقِّ للبا   غي ، فللحقِّ هبَّةٌ وانتقام

---

١ – تجليت : ظهرت . والركن : ركن الكعبة . والاستلام ، اللمس اما بالقبلة او باليد – ٢ – نستميح : نسال . والحسام: السيف – ٣ – الحمى : ما حمى من شىء . استعصام : استمساك – ٤ – الجور : الظلم . وظلام : جمع ظالم – ٥ – القرى : جمع قرية . والجهام (بفتح الجيم) : السحاب لا ماء فيه ، يعنى ان تلك الوعود كانت كالسحاب الذى لا خير فيه .

٦ – ولم يك الداء يحمى .. الخ : اى لم يكن من شان الداء ان يمنع الارواح والاجسام من ان تمله وتسامه – ٧ – ان جهد الوفاء : اى غاية الوفاء . ما انت آت : اى آتيه وفاعله – ٨ – وليصولوا : اى وليسطوا بامرك على من ظلموا مصر حتى يقهروهم .

إنّ للوحش ـ والعظامُ مناها ... لمنايا أسبابُهن العظام(١)
رافعَ الضادِ للسُّها ، هل قبولٌ فيباهى النجومَ هذا النظام؟(٢)
قامت الضادُ فى فمِى لك حُبًّا فَهْى فيه تحيةٌ وابتسام
إن فى « يلدز » الهوى لَخلالا أنا صَبٌّ بلُطفها ، مُستَهام(٣)
قد تجلّت لخير بدرٍ أقلّت فى كمالٍ بدت له أعلام(٤)
فالزم التمّ أيها البدرُ دوما والزم البدرَ أيهذا التمام(٥)

ذكرى دنشواى (*)

يا دِنشواىَ ، على رُباكِ سلامُ ذهبتْ بِأُنسِ رُبُوعِكِ الأيامُ
شهداءُ حُكمكِ فى البلاد تفرّقوا هيهاتَ للشملِ الشتيت نظام
مرّت عليهم فى اللحود أهلّةٌ ومضى عليهم فى القيودِ العام
كيف الأراملُ فيكِ بعد رجالِها؟ وبأىِّ حالٍ أصبح الأيتام ؟
عشرون بيتًا أقفرت ، وانتابَها بعد البشاشةِ وحشةٌ وظلام
ياليت شعرى : فى البروج حمائمٌ أم فى البروج منيةٌ وحِمام ؟
«نيرونُ» ،لوأدركتَ عهدَ «كرومِرٍ» لعرفتَ كيف تُنفَّذ الأحكام !

---

١ ـ العظام : جمع عظم ومناها : جمع امنية . ومنايا : جمع منية ، اى ان الوحوش تجد منيتها فى العظام وهى تطلبها للاكل والغذاء ـ ٢ ـ الضاد : اللغة العربية . والسها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى . هذا النظام : اى الشعر ـ ٣ ـ يلدز : قصر السلطان عبد الحميد فى الاستانة ـ ٤ ـ اقلت : حملت ـ ٥ ـ التم والتمام : الكمال .

(*) قيلت بعد مرور عام على حادثةهذه القضيه فى سبيل طلب العفو عن سجنائها .

نوحى حمائمَ دنشِواىَ ، وروِّعى شعبًا بوادى النيل ليس ينام
إن نامت الأحياءُ حالتْ بينه سَحرًا وبين فراشِه الأحلام
متوجِّع ، يتمثلُ اليومَ الذى ضجَّتْ لشدةِ هَوله الأقدام
السوطُ يعملُ ، والمشانقُ أربعٌ متوحِّدات والجنودُ قيام
والمستشارُ إلى الفظائع ناظرٌ تَدْمَى جلودٌ حوله وعِظام
فى كل ناحيةٍ وكلِّ محلةٍ جزعاً من الملأ الأسيف زحام
وعلى وجوهِ الثاكلين كآبةٌ وعلى وجوهِ الثاكلات رغام

الهلال الأحمر (*)

يا قَومَ عثمان ـ والدنيا مداوَلةٌ ـ تعاونوا بينكم يا قومَ عثمان(١)
كونوا الجدارَ الذى يقوى الجدارُ به فالله قد جعل الإسلامَ بنيانا(٢)
أمسى المسبيل لغير المحسنين دماً فشأنكم وسبيلاً نورُهُ بانا
البِرُّ مِنْ شُعبِ الإيمان أفضلُها لا يقبل اللهُ دون البر إيمانا(٣)
هل ترحمون ـ لعل الله يرحمُكم ـ بالبيد أهلاً ، وبالصحراء جيرانا؟
فى ذمةِ اللهِ ـ أوْفى ذمةٍ ـ نَفَرٌ على طرابُلُسٍ يقضون شجعانا(٤)

ـ * ـ كانت جماعة الهلال الاحمر المصرية قد احيت ليلة تجمع بهـا التبرعات ، لاعانة المقاتلين فى طرابلس الغرب من الجيش العثمانى ، حـين اغارت ايطاليا عليها ، فقال فى ذلك هذه القصيدة ـ ١ ـ مداولة : من داول الله الايام بين الناس ، اى صرفها بينهم ـ ٢ ـ الجدار : الحائط ـ ٣ ـ البر : الخير والطاعة . والشُعَب : جمع شعبة ، وهى غصن الشجرة ، أو هى الطائفة من الشىء ـ ٤ ـ يقضون : يموتون .

إن سال جرحاهُمْ من غُربةٍ ووغًى ... باتوا على الجمرِ أرواحاً وأبدانا(١)
هذا يَحنُّ إلى البسفور مُحْتَضَرًا ... وذاك يبكي الغَضَا ، والشيحَ ، والبانا(٢)
يُودِّعون على بعدٍ ديارَهُمُ ... وينشدون بُنَيّاتٍ وصِبيانا(٣)
أَذَنْبُهم عند هذا الدهر أنهمُ ... يحمون أرضاً لهم دِيست وأوطانا؟
ماتوا ، وعِرضُهم الموفورُ بعدهم ... والعِرضُ لا عزَّ في الدنيا إذا هانا(٤)
قَومِي ــ وجلّت وجُوهُ القوم ــ مصرُبكم ... ألقت على كرماء الدهر نسيانا(٥)
لاتسألون عن الأعوان إن قعدوا ... وتنهضون إلى الملهوف أعوانا(٦)
أكلما هَزَّكُم داعٍ لصالحةٍ ... قمتم كُهولا إلى الداعي وفتيانا؟(٧)
لو صُوِّر الشرق إنساناً أخاكرم ... لكنتمُ الروحَ ، والأقوامُ جثمانا(٨)
إذا هُزِزتم تلاقى السيفُ منصَلِتاً ... والريحُ مُرْسَلةً ، والغيثُ هتَّانا(٩)
إذا المكارمُ في الدنيا أُشِيدَ بها ... كانت كتاباً ، وكنا نحن عُنوانا(١٠)

---

١ ــ جرحاهم : اى الجرحى منهم ، والوغى : الحرب ــ ٢ ــ هذا يحن الى البسفور .. الخ : اى من كان منهم تركيا يحن الى بلاده التى كنى عنها بالسفور ، ومن كان عربيا بكى فرقة بلاده التى كنى عنها بالغضا والبان ، وهما نوعان من الشجر ينبتان فى بلاد العرب ، والشيح : هو نبات طيب الرائحة . والمحتضر : من حضرته الوفاة ــ ٣ ــ ينشدون بنيات .. الخ : يطلبونها ويسالون عنها ، اى ينشدون بنياتهم وصبيانهم ــ ٤ ــ ماتوا وعرضهم الموفور : اى ماتوا فى سبيل صيانة عرضهم ، فتركوه عزيزا موفورا .

٥ ــ قومى : أى ياقومى . وجلت وجوه القوم : اى وجوهكم ، وهذه جملة معترضة بين المنادى وما كان من أجله النداء ، وهو الاخبار بانهم لما جاءوا بالخبر العظيم نسى سواهم من الكرماء في غير مصر ، فلم يعد لهم ذكر

٦ ــ لا تسالون : اى انتم لا تسالون . وتنهضون : تقومون . والملهوف : المظلوم المستغيث ــ ٧ ــ أكلما : الهمزة للاستفهام ، وكلما هى لفظ « كل » مضافة الى « ما » المصدرية الظرفية ، وهى حينئذ تفيد التكرار . ولصالحة : اى فعلة صالحة . والكهول : جمع كهل ، وهو الرجل من اربع وثلاثين الى احدى وخمسين ــ ٨ ــ الجثمان : الجسم ــ ٩ ــ السيف المنصلت : المجرد من غمده . والهتان : المنصب ــ ١٠ ــ اشيد بها اى ذكرت بالثناء عليها

إنَّ الحياةَ نهارٌ أو سحابتُه ... فعِشْ نهارَك من دنياك إنسانا
أرى الكريمَ بوجدانٍ وعاطفةٍ ... ولا أرى لبخيل القومِ وجدانا(١)

* * *

هذا الهلالُ الذى تُحيون ليلتَه ... أبهى الأهلَّةِ عند اللهِ ألوانا(٢)
أراه من بين أعلامِ الوغَى مَلَكاً ... وما سواه من الأعلامِ شيطانا(٣)
فَإنٍ ، ففيه من الجَرْحَى مُشاكلةٌ ... حتى إذا قيل ماتوا اخضرَّ رَيْحانا(٤)
لحامليه جلالٌ منه مقتبَسٌ ... كأنما رفعوا للناسِ قُرآنا(٥)
كأن ما احمر منه حول غُرتِه ... دمُ البرىء ذَكِيُّ الشَّيْبِ عُثمانا(٦)
كأن ما ابيضّ فى أثناء حُمرته ... نورُ الشهيد الذى قدمات ظمآنا(٧)
كأنه شفقٌ تسمو العيون له ... قد قَلَّدَ الأفقَ ياقوتاً ومَرجانا
كأنه من دم العُشاق مختضَبٌ ... يُشْهِرُ حيثُ بدا وجدًا وأشجانا(٨)
كأنه من جمال رائع وهُدًى ... خدودُ يوسفَ لما عَفَّ وَلْهانا(٩)
كأنه وردةٌ حمراءُ زاهيةٌ ... فى الخُلْدِ قد فُتِّحت فى كف رضوانا(١٠)

---

١ — الوجدان والعاطفة : من استعمالات المولدين ، يراد بهما الشعور القلبى .

٢ — الهلال : اسم لراية الدولة التركية ، وهى حمراء اللون فى وسطها رسم الهلال بلون ابيض — ٣ — أراه من بين اعلام الوغى : أى من بين الاعلام المنشورة في الحرب . وملكا : اى كالملك فى تنزهه وطهارة عمله ، وهو واحد الملائكة — ٤ — المشاكلة : المشابهة — ٥ — الجلال : التناهى فى عظم القدر . ومقتبس : متخذ ومستفاد .

٦ — الغرة : بياض فى جبهة الفرس قدر الدرهم ، شبه بها رسم الهلال لانه ابيض . وعثمان : هو الخليفة عثمان بن عفان — ٧ — الاثناء : تضاعيف الشىء ومطاويه ، واحدها ثنى ، بكسر الثاء — ٨ — مختضب : ملون . والوجد : الحب . والاشجان الاحزان والهموم — ٩ — الجمال الرائع : الذى يروع الرائى ، اى يعجبه . يوسف : هو يوسف الصديق . وعف : كف عمالا يحل . والولهان : الحزين ، او الذى ذهب عقله حزنا

١٠ — رضوان : من الملائكة ، وهو — كما يقول رجال الدين — موكل بابواب الجنة .

رومة (*)

صديقى المحترم :

صدرتُ(١) عن باريس وكأَنها بابلُ ذات البرج والجسرِ وهى فى دولتها ، أَوطيبةٌ(٢) في الزمن الأَول ، إلا أَنها مدينة الشمس ؛ وباريس مدينة النور ، أَورومةُ (٣) مقر القياصِر ، ومزدحمُ الأَجناسِ والعناصر ، وهى فى رِفعة مُلْكِها الفاخِر ، تموج بالأُمم كالبحر الزاخر ، أَو الإسكندريةُ (٤) ذاتُ المسلة

---

* — نظم صاحب الديوان هذه القصيدة ، وقدمها بكتاب الى صديقه المؤرخ الأستاذ اسماعيل بك رافت — ١ — صدرت عن باريس : رجعت وانصرفت . وبابل : مدينة قديمة بناها بختنصر فى آسيا الصغرى ؛ وكان بها بناء عظيم ذو طبقات بعضها فوق بعض ، وهو ما يسمى برجا ؛ وقالوا فى صفته : انه كان ذا طبقات ، طول كل من جوانب الطبقة الأولى بلغ ٢٧٢ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما ؛ وفوقها طبقة ثانية طول كل من جوانبها ٢٣٠ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما ؛ كانت مائلة فوق الطبقة الأولى الى الطرف الجنوبى الغربى ، وكانت الطبقات الباقية موضوعة هذا الوضع ، وكان طول الثالثة ١٨٨ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما ، وكان طول الرابعة ١٤٦ والخامسة ١٠٤ ، والسادسة ٦٢ والسابعة ٢٠ ، وكان ارتفاع كل من هذه الطبقات الأربع الأخيرة ١٥ قدما ؛ ويقولون انه كانت هناك قنطرة او قبة تغطى راس الطبقة السابعة او معظمه ، وكان ارتفاعها ١٥ قدما ايضا ، وكان يتالف من ذلك كله هرم منحن ، اضعف ميله الى الشمال الشرقى ، واشده الى الجنوب الغربى ؛ وكان لكل طبقة لون مخصوص ، ويزعمون انه كان فوق هذا كله مذبح ، فيه مائدة ذهبية وفراش نفيس ، وكان ارتفاعه ١٥ قدما . وأما جسر بابل فيذكرون عنه أنه كان هناك نهر يشق المدينة من الشمال الى الجنوب ؛ وكان على كل من جانبى النهر سور له باب عند منتهى كل سوق من أسواق المدينة ، وكان فوق هذا النهر جسر واحد ، هو الجسر المنسوب الى بابل . ويذكرون لها عجائب أخرى ، كالبساتين المعلقة وسواها — ٢ — طيبة : مدينة مصرية قديمة كانت مقر الملك فى بعض الأزمنة ، وكانت بها عبادة الشمس ، ولهذا سماها مدينة الشمس — ٣ — رومة : عاصمة الدولة الايطالية فى هذا الزمن ، وكانت مقر ملك الرومان فى الزمن القديم . والقياصر : جمع قيصر ، وهو لقب لكل ملك من ملوك الروم — ٤ — الاسكندرية : المدينة الثانية فى الدولة المصرية ؛ مشهورة فى التاريخ القديم بمسلاتها العجيبة ، والمسلة التى فى باريس نقلها الفرنسيون حين أغاروا على البلاد المصرية منذ نحو قرن .

- والمسلّة في باريس - وهى في ذروة سعدها ، وأوج كمالها ، تُغيرُ الشمس في سرير مجدها بجلالها وجمالها ، أو « بغدادُ »(١) في إبان إقبالها ، وسلطان أقيالها ، وأيمنِ أمرها ، وأسعدِ حالها ، فسبحان المنعم ، أعطى « مدينة المعرِضِ » الأسماء كلَّها ، وجلت قُدرتُه ، بعث المدائن في واحدة .

رحلتُ عنها في اليوم الذى أسفر صباحُه عن ليلةِ الاحتفال بتوزيع الجوائز على العارضين ، وقد نالها منهم ستون ألفاً أو يزيدون ، كلهم من مشهوري الصُّناع ، وكبار المخترعين ، شيعوا في ذلك جنازة القرن التاسع عشر ومشي الخلائق فيها حتى دفناه ، وكأنه نهار مرّ ، أوليلة تقضت بالسمر(٢) ، ثم انقلبنا ننفض الأنامل من ترابه ، ونذكر من محاسنه أنه جيلٌ واضح الغُرر والتحجيل(٣) ، يذكره التاريخُ بالتعظيم والتبجيل ، قام العلمُ فيه على أمتن بُنيان ورُفِعت الحجب بين الحقائق والإنسان ، ضُربت له أطولُ سماء من ضروب العرفان ، واستمد من القادر(٤) مبالغ الإمكان ، فاقتاد البَرّ بشعرة ، وزمّ البحر بإبرة(٥) ، وفرَق(٦) الأرض وبلغ الجبال ، وأوشك أن يمدّ إلى السماء بحبال ، ونفذَ على النجم المدى ، ووجد على القطب هدى ، وغاص على الحروب الماء ، وركب إلى الوقائع الهواء ، وكسر شِرَّة الداء(٧) وقتل قَتَّاله وراض العياء ، ودخل بصره على الجسم الأحشاء ، وأنطق الآلة الصماء ، ونقل الحديث من

---

١ - بغداد : عاصمة العراق العربى ، كانت مقر ملك الدولة العباسية . وسلطان اقيالها : قوة ملوكها . وأيمن امرها : اى اتم امرها يمنا وبركة .
٢ - السمر : حديث الليل - ٣ - الغرر : جمع غرة ، وهى بياض قدر الدرهم فى جبهة الفرس . والتحجيل : بياض فى قوائم الفرس أيضا .
٤ - القادر : اسم من أسماء الله تعالى .
٥ - زم البحر : من قولهم زم الشيء ، اذا شده وجمعه .
٦ - فرق الأرض ، بتخفيف الراء : فصلها وابان مسالكها .
٧ - الداء العياء : الذى لا برء منه .

فضاء إلى فضاء ، على انقطاع الصلةِ بين النطق والإصغاء ، وحرَّك الصُّوَرَ وهي هباء ، إذا رأيتها حسبتها جماعة الأحياء ، ونال سرائرَ الحوْباء(١) ، وخاض في الطبائع(٢) والأهواء ، فانكشف له الغِطاء وبرح الخفاء(٣) ، ونثرَ فكاد يوحَى إليه في الإنشاء ، ونظم فلم يدعْ من آية في الأرض ولا في السماء .

كل هذا أيها الأستاذ عرضته (باريس) للناس في خير معرضٍ أخرِج لهم ، فواهاً(٤) له من سوق ثم ينفضّ ، ويا أسفاً على بنيانه يومَ ينقض .

برحتُها وهي تجر الذيلَ على المدائن الكُبَر(٥) ، وتزرى بالحضارات ما حضر منها وما غبر(٦) ، وقصدت إلى رومةَ لعلي أرد النفسَ إلى الخشوع ، وأداوى الفؤاد من نشوة اغتراره بما رأى ، فبلغتها وإذا أنا بين أثر يكاد يتكلم ، وحجرٍ كان لكرامته يُستلم(٧) ، فوقفت أتأمل ذا الجدارَ وذا الجدار(٨) وأنشد(٩) ذلك القصر وتلك الدار ، إلى أن ثار الشعر — والشعر ابن أبوين : « التاريخ » والطبيعة » — فنظمت ، وكأني بها في يديك تقرأ .

أحب التوفيق إليّ — أيها الأستاذ — إكرام العالم ، وإجلال الصديق ، وأنت لي — بحمد الله — هذان كلاهما ، فهل تمنّ بقبول هدية هي إلى التاريخ أدنى منها إلى الشعر ؟

* * *

١ — السرائر : جمع سريرة ، وهي السر الذي يكتم • والحوباء : النفس.
٢ — الطبائع : جمع طبيعة ، وهي السجية التي جبل عليهـا الانسـان ، وقيل : هي القوة السارية في الأجسام ، التي بها يصل الجسم الى كماله الطبيعي — ٣ — برح الخفاء : اي وضح .
٤ — واها : كلمة للتعجب من طيب كـل شيء ، اي ما اطيبه ، وتكون للتلهف ، وللتفجع ايضا ، يقال : واها على ما فات — ٥ — الكبر : جمع كبرى .
٦ — تزرى : تضع منها أو تصغر شأنها . وما غبر : ما مضى .
٧ — استلم الحجر : لمسه بالقبلة او باليد — ٨ — الجدار : الحائط .
٩ — انشد ذلك القصر ... الخ : اسال عنه ، او اطلبه .

قِفْ بروما ، وشاهد الأَمرَ ، واشهد   أن للمُلكِ مالكاً سبحانَه
دولةٌ فى الثرى ، وأَنقاضُ مُلكٍ   هدَمَ الدهرُ فى العُلا بنيانه(١)
مَزقت تاجَه الخطوبُ ، وأَلقت   فى الترابِ الذى أرى صولجانه(٢)
طللٌ ، عند دِمْنةٍ ، عند رسمٍ   ككتابٍ مَحا البِلى عُنوانه(٣)
وتماثيلُ كالحقائقِ ، تزدا   دُ وضوحاً على المدى وإبانه(٤)
من رآها يقولُ : هذِى ملوكُ   الدّهر ، هذا وقارُهم والرزانه(٥)
وبقايا هياكلٍ وقصورٍ   بين أَخذِ البِلى ودفع المتانه(٦)
عبثَ الدهرِ بالحوارىِّ فيها   و « بيليوس » لم يَهب أرجوانه(٧)
وجرت هاهنا أُمورٌ كبارٌ   واصل الدهرُ بعدها جَريانه
راح دينٌ ، وجاء دينٌ ، وولَّى   ملكُ قومٍ ، وحلَّ مالكٌ مكانه(٨)
والذى حصَّلَ المجدون إهرا   قُ دماءِ خليقةٍ بالصيانه(٩)

---

١ ــ الثرى : التراب . والانقاض : جمع نقض ، بضم النون ، وهى ما انتقض من البنيان . والعلا : الرفعة والشرف ــ ٢ ــ الصولجان : هو المحجن ، وهو عصا منعطفة الرأس .

٣ ــ الطلل : ما شخص من آثار ، والدمنة : آثار الديار أيضا . والرسم : ماكان لاصقا بالأرض من آثار الدار ــ٤ــ تماثيل : جمع تمثال : بكسر التاء . والابانة : الايضاح ــ٥ــ الوقار والرزانة : بمعنى واحد ، وهو الحلم والعظمة .

٦ ــ هياكل : جمع هيكل ، وهو هنا اما البناء المرتفع ، واما بيت الأصنام .

٧ ــ الحوارى : الناصر ، والناصح ايضا . وبيليوس : هو يليوس قيصر احد قياصرة الرومان الأقدمين . والأرجوان : صبغ أحمر ، وقيل هو الجمرة من الألوان ، والمراد به هنا الدم لحمرته ، كناية عن القوة التى يستحل صاحبها سفك الدماء .

٨ ــ راح دين : ذهب ، وهو دين الرومان قبل النصرانية . وجاء دين : وهو النصرانية . وولى ملك الرومان الأقدمين ، وحل مكانه ملك الغالبين بعد ذلك التاريخ .

٩ ــ والذى حصل المجدون ... الخ . اى ان أولئك الذين سعوا بالحرب والقتال ، ليحلوا فى رومة دينا بدل دين ، ويقيموا ملكا جديدا على أنقاض ملك ذاهب ، لم يجنوا من ذلك كله ثمرة ، الا اراقة دماء البشر التى تستحق الصيانة والحفظ .

ليتَ شعرى . إلامَ يقتتل النا ... سُ على ذى الدَّنِيَّة الفتانه ؟(١)
بلدٌ كان للنصارى قتادًا ... صارملْكَ القُسوس ، عرش الديانه (٢)
وشعوبٌ يمحون آيةَ عيسى ... ثم يُعلون فى البريَّةِ شانه
ويُهينون صاحبَ الروح ميْتاً ... ويُعِزّون بعدَه أكفانه (٣)
عالمٌ قُلّبٌ ، وأحلامُ خَلْقٍ ... تتبارى غباوةً وفطانه (٤)
رومة الزهوِ فى الشرائعِ ، والحكـ ... ـمةِ فى الحُكم ، والهوى ، والمجانه (٥)
والتناهى « فما تعدَّى عزيزًا ... فيكِ عِزٌ ، ولا مَهينًا مهانه (٦)
ما لحىٍّ لم يُمْسِ منكِ قبيلٌ ... أو بلادٌ يُعدُّها أوطانه (٧)
يصبحُ الناسُ فيك مولى وعبدًا ... ويرى عبدُكِ الورى غِلمانه (٨)
أين مُلْكٌ فى الشرقِ والغربِ عالٍ ... تحسُدُ الشمسُ فى الضحى سلطانه ؟(٩)
قادرٌ ، يمسخُ الممالكَ أعما ... لاً ، ويعطى وَسِيعَها أعوانه (١٠)
أين مالٌ جَبَيْتِهِ ، ورعايا ... كلّهم خازنٌ ، وأنتِ الخزانه ؟(١١)

---

١ — الدنية الفتانة : هى الدنيا — ٢ — القتاد : شجر صلب له شـوك كالابر ، والمراد ان وصولهم اليه كان صعبا شاقا ، كالمشقة التى يجدهـا الانسان من القتاد فى خرطه واشاكته .

٣ — المعنى فى هذا البيت والبيت الذى قبله انهـم يخالفون شريعة عيسى ، بينما يدعون تعظيمه — ٤ — القلب — بتشـديد اللام : المحتال .
٥ — الزهو : المنظر الحسن والكبر ، والتيه ، والفخر . والمجانة : الهزل .
٦ — التناهى : بلوغ النهايه . فماتعدى عزيزا... الخ : أى انك بلغت النهاية فى كل شىء ، فمن كان فيك عزيزا لم يفته شىء من اسباب العز ، ومن كان مهينا لم يفته شىء من موجبات المهانة — ٧ — اى لم يكن لغير اهلك عشيرة يعتزون بها ، ولا بلاد يتخذونها وطنا يلجئون اليه ، لانك أسقطت العشائر والعصبيات ، وغلبت الجميع على أوطانهم — ٨ — يصبح الناس فيـك . الخ : يعنى ان اهلك كانوا سادة وعبيدا ، وكان للعبيد على الأجانب عز السادة وسلطانهم .

٩ — سلطانه : قوته — ١٠ — قادر : وصف الملك فى البيت المتقدم . ويمسخ الممالك اعمالا : اى يحولها اعمالا . والاعمال ما يكون من البـلاد تحت حكم المملكة ومضافا اليها — ١١ — جبيته : جمعته .

أين أشرافُكِ الذين طَغَوْا فى الدهـــرِ حتى أذاقهم طغيانه ؟(١)
أين قاضيكِ ؟ ما أناخ عليه ؟ أين ناديكِ ؟ ما دهَى شيخانه ؟(٢)
قد رأينا عليكِ آثارَ حزنٍ ومن الدُّور ما ترى أحزانَه
اقصِرى ، واسألى عن الدهر مصرًا هل قضتْ مَرَّتَيْن منه اللُّبانه ؟(٣)
إنّ من فرّق العبادَ شعوباً جعل القِسط بينها ميزانه(٤)
هبْكِ أفنيتِ بالحدادِ الليالى لن تَردّى على الورى رومانه(٥)

على قبر نابليون

قِف على كنز بباريسَ دفينْ من فريد فى المعانى وثمين
وافتقِد جوهرةً من شرف صَدَفُ الدهر بِتربَيْها ضنين(٦)
قد توارت فى الثرى ، حتى إذا قَدُم العهدُ توارت فى السنين
غرُبَت حتى إذا ما استيأست دنتِ الدارُ ، ولكن لاتَ حين
لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتَها وأذابته، تباريحُ الحنين(٧)
لا تلوموها ، أليست حُرَّةً وهوى الأوطانِ للأحرار دين ؟

* * *

١ ــ الأشراف : جمع شريف ، وكان فى رومة لعهدها القـــديم طائفة الاشراف تسودت على من عداهـــا ؛ ونشأ بذلك فى الشعب فريقيـــان منفصلان : هما فريق السادة المسيطرين ، وفريق العامة المسخرين .
٢ ــ أين ناديك : المراد به دار ندوةالرومان ، وكانت هى ما نسميه الآن فى النظم الدستورية مجلس الشيوخ . وما دهى : ما أصاب . وشيخـانه : جمع شيخ ، وهو الرجـل تتالف منهومن ســواه جمــاعة المجلس .
٣ ــ اقصرى : أى انتهى عند هذاالحد وامسكى عن الإسترســال ، واللبانة : الحاجة ــ ٤ ــ القسط :العدل .
٥ ــ هبك : اسم فعل ، اى افرضى انك افنيت ... الخ .
٦ ــ الترب : اللدة والنظير ، والتثنية هنا فى معنى الافراد .
٧ ــ تباريح الشوق : توهجه ، على انه جمع لا مفرد له ، أو هو جمع تبريح .

غيّبتْ باريسُ ذخرًا ، ومضى   تُرْبُها القيِّمُ بالحرزِ الحصين(١)
نزلَ الأرضَ ، ولكن بعد ما   نزلَ التاريخَ قبرَ النابغين
أعظُمُ الليثِ تلقاها الشَّرى   ورفاتُ النسرِ حازته الوكون(٢)
وحوَى الغِمدُ بقايا صارمٍ   لم تُقلِّب مثلَه أيدى القُيون(٣)
شيَّد الناسُ عليه ، وبَنوْا   حائطَ الشكِّ على أُسِّ اليقين(٤)
لستَ تُحصِى حولَه ألوِيةً   أُسِرَت أمسِ ، ورايات سُبين(٥)
نامَ عنها وهى فى سُدَّتِهِ   ديْدَبانٌ ساهِرُ الجَفْنِ أمين
وكأىٍّ من عدوٍّ كاشِحٍ   لك بالأمس هو اليومَ خَدين(٦)
وولىٍّ كان يسقيك الهوى   عسلاً قد بات يسقيك الوزين(٧)
فإذا استكرمتَ وُدًّا فاتَّهِم   جوهرَ الود ـ وإن صَحَّ ـ ظنين(٨)

* * *

مَرْمَرٌ أُضْجِعَ فى مسنونِهِ   حَجرُ الأرض وضِرغامُ العَرين(٩)
جلَّلته هيبَةُ الثاوى به   رَوعةَ الحكمةِ فى الشعرِ الرصين(١٠)

---

١ ـ الحرز : الموضع الحصين ـ ٢ ـ الشرى : ماسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل . والوكون : جمع وكن ، وهو عش الطائر فى جبل او جدار ـ٣ـ الصارم : السيف القاطع . والقيون : جمع قين وهو صانع الحديد . والشرى والوكون والغمد : كلها فى هذين البيتين كنايات عن باريس ـ ٤ ـ حائط الشك : كناية عن القبر واس اليقين : هو الموت الذى يتمثل فيما ضم القبر من رفات ـ ٥ ـ يشير الى تلك الاعلام التى غنمها نابليون فى حروبه ، ثم وضعت على قبره ، رمزا لما نال فى هذه الحروب من نصر وتوفيق ـ ٦ ـ العدو الكاشح : هو الباطن العداوة . والخدين : هو الصاحب والحبيب ـ ٧ ـ الوزين : حب الحنظل المطحون ٨ ـ الظنين : المتهم .

٩ـ المرمر المسنون : المصقول . وحجر الارض : كناية عن محورها والمراد به نابليون . والضرغام : الأسد ـ ١٠ ـ الثاوى : المقيم .

هل دَرى المرمرُ ماذا تحته   من قُوَى بنفسٍ ، ومن خَلق متين ؟
أيها الغالون فى أجداثهم   ابحثوا فى الأرض: هل عيسى دفين ؟(١)
بمَحِى الميْتُ ، ويبلَى رمسُه   ويَغولُ الربعَ ما غالَ القطين(٢)
حصِّنوا ما شئتمُ موتاكُم !   هل وراء الموتِ من حصنٍ حصين ؟
ليس فى قبرٍ – وإن نال السها –   ما يزيدُ الميْتَ وزناً ويزين(٣)
فانزل التاريخَ قبرًا ، أو فنمْ   فى الثرى غُفْلاً كبعضِ الهامدين(٤)
واخدَع الأحياء ما شئتَ ، فلن   تجدَ التاريخ فى المنخدعين !

* * *

يا عصاميا حوى المجد سوَى   فَضلةٍ قد قُسِّمت فى المُعرقين(٥)
أمُّكَ النفسُ قديماً أكرَمتْ   وأبوكَ الفضلُ خيرُ المُنجبين(٦)
نَسبُ البدرِ أو الشمسِ – إذا   جِيءَ بالآباء – مغمورٌ رهين
وأصولُ الخمر ما أزكى على   خُبْثِ ما قد فعلَت بالشاربين
لا يقولَنَّ امرُؤ : أصْلِي ، فما   أصلُه مسكٌ وأصل الناس طين
قد تتوجْتَ ، فقالت أمَم :   ولَدُ الثورةِ عقٌّ الثائرين
وتزوجتَ ، فقالوا : مَالَه   ولحورٍ من بنات المُلْكِ عِين ؟(٧)
قسماً لو قدَروا ما احتشموا   لا يَعِفُّ الناسُ إلا عاجزين

* * *

---

١ – الغالون : جمع غال ، وهو المسرف – ٢ – يمحى : اى يزول . والرمس : القبر . والقطين : السكان – ٣ – السها : كوكب من بنات نعش الصغرى ، يضرب به المثل فى السمو والارتفاع – ٤ – غفلا : اى مجهولا .
٥ – الفضلة : البقية من كل شىء . والمعرق : العريق فى الأصل .
٦ – اكرمت : اى ولدت كراما .
٧ – بشير الى زواجه من مارى لويز ابنة امبراطور النمسا .

أرأيتَ الخيرَ وافى أمّةً ... لم ينالوا حظَّهم فى النابغين ؟
يصلحُ الملْكُ على طائفةٍ ... هم جمالُ الأرض حينًا بعد حين
ملئوا الدنيا ، على قِلَّتهم ... وقديماً مُلِئتْ بالمرسَلين
يحسُنُ الدهرُ بهم ما طلعوا ... وبهم يزدادُ حسنًا آفلين(١)
قد أقاموا قدوةً صالحةً ... ومضوْا أمثلةً للمحتذِين
إنما الأُسوةُ – والدنيا أُسى – ... سببُ العُمران ، نظمُ العالَمين(٢)
يا صريعَ الموتِ ندمانَ البِلى ... كلُّ حيٍّ بالذى ذُقت رهين(٣)
كِدْتَ من قتْل المنايا خبرةً ... تعلمُ الآجالَ أيّانَ تحين؟(٤)
يا مبيدَ الأُسْد فى آجامها ... هل أبادت خيلُكَ الدودَ المهين؟
يا عزيز السجن بالبابا ، إلى ... كم تردَّى فى الثرى ذلَّ السجين؟(٥)
ربَّ يومٍ لكَ جَلَّى وانثنى ... سائلَ الغُرَّةِ ممسوحَ الجبين(٦)
أحرز الغايةَ نصرًا غالياً ... لفرنسا ، وحوى الفتحَ الثمين
قيصرا الأنسابِ فيه نازَلَا ... قيصرَ النفسِ عصامَ المالكين(٧)
مُجلِسَ التاج على مفرِقه ... بيديه ، لا بأَيدى المُجلسين(٨)

---

١ – أفول النجم : غروبه ، والمراد به هنا الموت – ٢ – الاسوة : القدوة وجمعها اسى – ٣ – الندمان : النديم على الشراب وندمان البلى : كناية عن الميت .

٤ – يشير الى قول نابليون : « ان الرصاصة التى تخرق هذا الصدر لم تخلق بعد » يقول : انك لكثرة ما اختبرت المنايا بقتل اعدائك اصبحت تعرف متى تحين الآجال .

٥ – يشير الى ما فعل نابليون بالبابا – ٦ – جلى : سبق . والغـرة – فى جبين الفرس : بياض . ومسح الجبين : عادة لسواس الخيل يأتونها بعد سبق جيادهم فى حلبة الرهان . ولا يخفى ما فى البيت كله من مراعاة النظير – ٧ – يريد بقيصرى الانساب : ملكى الروسيا والنمسا ، وقد ولدا للملك والسلطان . وقيصر النفس نابليون ، وهو الذى سود نفسه ولم تسوده الانساب .

٨ – الاشارة الى نابليون ، يشير الى أنه هو الذى توج نفسه بيده يوم قدم اليه التاج ، ولم ير لأحد ممن قدموه له حقا فى هذا العمل .

حولَ (استرلتزَ) كان المتلقى واصطدامُ النَّسرِ بالمستنسِرين(١)
وُضِع الشطرنْجُ ، فاستقبلْتَه ببنانٍ عابث باللاعبين
فإذا المَلْكان : هذا خاضعٌ لك فى الجمعِ ، وهذا مُستكين(٢)
صِدْتَ شاهَ الروسِ والنمسا معًا من رأى شاهَيْنِ صِيدا فى كمين؟

* * *

يا مُلَقَّى النصرِ فى أحلامِه أين من وادى الكرى (سنتِ هلين)؟(٣)
يا مُنيلَ التاجِ فى المهد ابنَه ما الذى غرّك بالغيبِ الجنين ؟(٤)
اتَّئِدْ فى أمّةٍ أرْهَقتَها إنها كالناسِ من ماء وطين
أتعبَ الريحَ مَدَى ما سَلكتْ من سُهولٍ وأجازت من حُزون(٥)
من أديم يَهْرَأُ الدبَّ ، إلى فلواتٍ تُنضِجُ الضَّبَّ الكنين(٦)
لك فى كلِّ مُغارٍ غارةٌ وعليها الدمعُ فيه والأنين(٧)
ومن المكرِ تَغنِّيك بها هل يُزَكِّى الذِّبحَ غيرُ الذابحين ؟(٨)
سُخِّرَ الناسُ وإن لم يشعروا لقوىٍّ ، أو غنىٍّ ، أو مُبين
والجماعاتُ ثنايا المرتقى فى المعالى ، وجُسورُ العابرين

* * *

يا خَطيبَ الدهرِ ، هل مال البلى بلسانٍ كان ميزانَ الشئون ؟

---

١ ــ استرلتز : موقعة من المواقع التى انتصر فيها نابليون ــ ٢ ــ الملك : بتسكين اللام : هو الملك ــ ٣ ــ سانت هيلين : الجزيرة التى نفى اليها نابليون .
٤ ــ يشير الى قول نابليون يوم بشر بولى عهده أو كما سماه « ملك رومة » : المستقبل لى ــ ٥ الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض .
٦ ــ الاديم هنا : سطح الأرض . وهرأ اللحم : انضجه . والكنين : المستور فى جحره ــ ٧ ــ المغار : الغارة على الأعداء . والغار : ورق الكروم ، وقد كان يتخذ منه اكاليل للفاتح المنصور عند القدماء .
٨ ــ التزكية : المدح . والذبح : ما يذبح .

تُرْجَحُ السلمُ إذا حرّكته كِفّةٌ ، أو تُرْجَحُ الحربُ الزَّبون
خُطَبٌ لا صوتَ إلّا دونَها في صداها الخيلُ تجري والسنين
من قَصيرِ اللفظِ ، في مكرِ النُّهى وطويلِ الرُّمحِ ، في كيدِ الوتين
غيرَ وضّاعٍ ، ولا واشٍ ، ولا مُنكرِ القولِ ، ولا لغوِ اليمين
سِرْنَ أمثالاً ، فلو لم يُحيِهِ سيفُهُ أحْيينَه في الغابرين(١)

* * *

قُمْ إلى الأهرام ، واخشعْ ، واطَّرِحْ خَيْلةَ الصِّيدِ ، وزهوَ الفاتحين(٢)
وتمهَّلْ ، إنما تمشي إلى حَرَمِ الدهر ومحرابِ القرون
هو كالصخرةِ عند القبط ، أو كالحَطيمِ الطُّهْرِ عند المسلمين
وتسنَّم مِنْبَرًا من حَجَرٍ لم يكنْ قبلَكَ حظَّ الخاطبين
وادْعُ أجيالاً تولّتْ يسمعوا لك ، وابعث في الأوالي حاشرين
وأعِدْها كلماتٍ أربعاً قد أحاطت بالقرون الأربعين(٣)
ألهبت خيلاً ، وحضّت فَيْلَقًا وأحالت عسلاً صابَ المَنون
قد عَرَضْتَ الدهرَ والجيشَ معاً غايةٌ قصَّر عنها الفاتحون
ما علمنا قائدًا في موْطِنٍ صَفحَ الدهرَ ، وصفَّ الدارعين(٤)
فترى الأحياءَ في معتَركٍ وترى الموتى عليهم مُشرِفين
عظةٌ قومي بها أولى وإن بعُد العهدُ ، فهل يعتبرون ؟
هذه الأهرامُ تاريخُهُمُ كيف من تاريخهم لايستحون ؟

* * *

١ — الغابر : الماضي والآتي ، من أسماء الأضداد — ٢ — الصيد : الملوك .
٣ — يشير الى تلك الجملة المشهورة التي قالها وهو على قمة الهرم يشجع جنوده البواسل : « أيها الجنود : ان اربعين قرنا تنظر اليكم من قمة الأهرام » .
٤ — صفح الكتاب : قلب صفحاته .

يا كثيرَ الصَّيدِ للصَّيد العُلا ... قُمْ تأمَّلْ : كيف صادتْك المَنون ؟
قمْ ترَ الدنيا كما غادرتَها ... منزِلَ الغدر وماء الخادعين
وتَرَ الحقَّ عزيزًا فى القنا ... هيِّنًا فى العُزَّل المستضعفين(١)
وترَ الأَمرَ يدًا فوق يدٍ ... وترَ الناسَ ذئاباً وضِئين(٢)
وترَ العزَّ لسيفٍ نَزِقٍ ... فى بناء المُلْكِ ، أو رأىٍ رزين
سننٌ كانت ، ونَظْمٌ لم يزلْ ... وفسادٌ فوق باعِ المصلحين

تكريم(*)

وطنٌ يرفُّ هوًى إلى شُبّانه ... كالرّوض رِقَّته على رَيحانه(٣)
هم نَظْمُ حِليتِه ، وجَوهرُ عِقدِه ... والعِقد قيمتُه يتيمُ جُمانه(٤)
يرجو الربيعَ بهم ويأْملُ دولةً ... من حسنِه ، ومن اعتدالِ زمانه(٥)
من غاب منهم لم يغب عن سَمعِه ... وضميرِه ، وفؤادِه ، ولسانه
وإذا أتاه مبشِّر بقدومِهم ... فمن القميص ومن شذى أردانه(٦)

---

١ — القنا : جمع قناة ؛ وهى الرمح — ٢ — الضئين : الغنم — * — نظم صاحب الديوان هذه القصيدة الاجتماعية فى احتفال تكريمى اقيم للاساتذة : عبد الملك حمزة ، واسماعيل كامل ، وعوض البحراوى ، فى فندق شبرد — ٣ — يرف هوى الى شبانه : يرتاح اليهم . والروض : الارض المخضرة بالنبات ، جمع روضة — ٤ — نظم حليته : جمعها وضم بعضها الى بعض . واليتيم : الثمين الذى لا نظير له . والجمان : اللؤلؤ . واحدته : جمانة .

٥ — يرجو الربيع ... الخ : اى ان هذا الوطن يرجو ان يكونوا له مثل الربيع ، وهو خير فصول السنة ، ويامل ان تقوم له دولة منهم ، لها من الحسن والاعتدال مايكون منها للربيع وزمنه — ٦ — واذا اتاه مبشر .. الخ : اى اذا اتى الوطن مبشر بانهم قادمون عليه من غيبتهم ، كان تاثير هذه البشرى فيه كتاثير قميص يوسف فى ابيه يعقوب . والشذى : قوة ذكاء الرائحة . والاردان : جمع ردن ، وهو اصل الكم .

ولقد يخُصُّ النافعين بعطفِه ... كالشيخ خَصَّ نجيبَه بحنانه(١)
هيهات ينسَى بذلَهم أرواحَهم ... فى حفظِ راحتِه وجلب أمانه
وقفوا له دون الزمانِ ورَيبِه ... ومشت حداثتُهم على حدَثانه(٢)
فى شدّةٍ نُقِلَتْ أناةُ كُهولِه ... فيها ، وحكمتُهم إلى فتيانه(٣)

* * *

قم ياخطيبَ الجمع ، هات من الحلى ... ما كنتَ تنثرُه على آذانه
فلطالما أبدى الحنينَ لقُسِّه ... واهتزَّ أشواقاً إلى سَحبانه(٤)
نادِ الشبابَ ، فلم يزلْ لك نادياً ... والمرءُ ذو أثر على أخدانه(٥)
أُمْدُدْ حُداءك فى النَّجائب تنصرفْ ... بهوى أعنَّتِها إلى تحنانه(٦)
ألْقِ النصيحةَ غيرَ هائبِ وقعِها ... ليس الشجاعُ الرأيِ مثلَ جبانه
قل للشباب : زمانُكم مُتحرِّك ... هل تأخذون القسطَ من دورانه؟(٧)
تمتم على الأحلامِ تلتزمونَها ... كالعالِمِ الخالى على أوثانه(٨)
وتنازعون الحيَّ فضلَ ثيابه ... والميْتَ ما قد رثَّ من أكفانه
ولقد صدقتم هذه الأرضَ الهوَى ... والحرُّ بصدُق فى هَوى أوطانه
أملٌ بذلتم كلَّ غالٍ دونَه ... وفقدتمُ ما عزَّ فى وجدانه(٩)
الليثُ يدفعكم بشدةِ بأسه ... عنه ، ويطعِمُكم بفرط لِبانه(١٠)

---

١ — يخص النافعين بعطفه : يفردهم به . والنجيب : الولد كرم حسبه وحمد رأيه أو قوله أو فعله — ٢ — الحداثة : صغر السن . والحدثان (بفتح الدال) : نوائب الدهر .

٣ — الأناة : الحلم والوقار — ٤ — قس بن ساعدة : خطيب عربى من نجران يضرب المثل ببلاغته . وسحبان : خطيب كذلك ، وهو من وائل ، والضمير فيهما للوطن .

٥ — الشباب : جمع شاب . والاخدان : الأصدقاء ، جمع خدن — ٦ — الحداء : الغناء للابل لتنشط فى مسيرها . والنجائب : النياق الكريمة . والأعنة : جمع عنان ؛ وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . والتحنان : الحنين — ٧ — القسط : النصيب — ٨ — الاحلام : جمع حلم ؛ وهو ما يراه النائم . والخالى : الماضى . والأوثان : جمع وثن : وهو ما يتخذ للعبادة من حجر ونحوه — ٩ — وجدان الشىء : ادراكه والظفر به — ١٠ — اللبان : اللبن .

ويريد هذا الطيرَ حرًّا مطلقاً   لكن بأَغْيُنِه وفى بُستانه

* * *

أوفدتمُ وفدًا ، وأوفد ربُّكم   معه العنايةَ ، فهْى من أعوانِه
العصرُ حرٌّ ، والشعوبُ طليقةٌ   ما لم يَحُزْها الجهلُ فى أرسانِه(١)
فاضَ الزمانُ من النبوغِ : فهل فتى   غمَرَ الزمانَ بعلمه وبيانه ؟
أين التجارةُ وهى مضمارُ الغنى ؟   أين الصناعةُ وهى وجهُ عَنانه ؟(٢)
أين الجوادُ على العلوم بماله ؟   أين المشاركُ مصرَ فى فدانه ؟(٣)
أين الزراعةُ فى جنانٍ تحتكم   كخمائل الفردوس أو كجنانه ؟(٤)
أئذا أصاب القطنَ كاسدُ سوقِه   قمنا على ساقٍ إلى أثمانه ؟
يامَنْ لشعبٍ رزؤه فى مالِه   أنساه ذكرَ مصابِه بكيانه ؟(٥)
الملكُ كان ، ولم يكن قطنٌ ، فلم   يُغلَب أبوّتُنا على عُمرانه(٦)
(الفاطميةُ) شيِّدت من عزِّهِ   وبَنَى (بنو أيوبَ) من سلطانه(٧)
بالقطنِ لم يرفعْ قواعدَ مُلكه   فرعونُ ، والهرمان من بنيانه
لكن بأوّلِ زارع نقض الثّرى   بذكائه ، وأثاره ببنانه(٨)

---

١ ــ الارسان : جمع رسن ، وهو الزمام يكون على انف الدابة .
٢ ــ العنان (بفتح العين) : السحاب .
٣ ــ الجواد : الكريم الكثير الجود ــ ٤ ــ الجنان : جمع جنـــة . والخمائل : جمع خميلة ، وهى الشجر الكثير الملتف . والفردوس : الجنة او نعيمها .
٥ ــ يامن لشعب ... الخ : كان قد لحق القطن كساد عظيم ، فارتاع له المصريون جميعا : وكاد يشغلهم امره عن الجهاد فى قضية الاستقلال : فهو يشير الى ذلك .
٦ ــ أبوتنا : آباؤنا ــ ٧ ــ الفاطمية : اى الخلفاء الفاطميون ، او الدولة الفاطمية ، وهى احدى الدول التى قامت فى مصر بعد الاسلام ، ومؤسسها المعز لدين الله ، قدم من بلاد المغرب ففتح مصر ، وكانت دولتهم عزيزة الجانب مرهوبة السلطان . وبنو ايوب ايضا : مؤسسو الدولة الايوبية ، وكان أعظمهم شانا السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبى .
٨ ــ الثرى : التراب ، والمراد به الأرض . ونقضها : اى شقها للزرع . والبنان : اطراف الاصابع .

وبكلِّ مُحسنٍ صنعةٍ فى دهرِه تتعجبُ الأَجيالُ من إتقانه
وبهمةٍ فى كلِّ نفسٍ حلَّقت فى الجو ، وارتفعت على كيوانه(١)
ملكٌ من الأَخلاقِ كان بناؤه من نحت أَوَّلكم ومن صَوَّانه
فأتوا الهيا كلَ إن بنيتم ،واقبسوا من عرشه فيها ، ومن تيجانه(٢)

اعتداء(*)

نجَا وتَمَاثَلَ رُبَّانُها ودقَّ البشائر رُكْبانُها(٣)
وهلَّل فى الجو قيْدومُها وكبَّر فى الماء سُكّانُها(٤)
تحوَّل عنها الأَذى ، وانثنى عُبابُ الخطوبِ وطوفانُها
نجا (نوحُها) من يدِ المعتدى وضلَّ المقاتلَ عُدْوانُها(٥)
يدٌ للعنايةِ ، لا ينقضى — وإن نَفد العمْرُ — شُكرانُها
وقى الأَرضَ شرٌّ مقاديرِه لطيفُ السماء ورَحْمَانُها(٦)

---

١ — حلقت : من حلق الطائر ، اذا ارتفع فى طيرانه واستدار كالحلقة . وكيوان : اسم زحل بالفارسية — ٢ — الصوان — بفتح الصاد وتشديد الواو : ضرب من الحجارة شديد .

* — اعتزم سعد زغلول السفر الى انجلترا للمفاوضة مع حكومتها ، وكان على راس الوزارة المصرية يومئذ ، فترصد له شاب واطلق عليه النار ، ولكن الله انجى حياته ، ووقى البلاد شر فتنة كادت تعصف بين الأحزاب ، فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة تهنئة له ، ونصيحة لأهل النزق والطيش من الشبان ، وحضا على الاصلاح العملى ، وتذكيرا بمنزلة السودان وقناة السويس ، اللذين هما من مصر بمنزلة الروح من الجسد — ٣ — تماثل العليل : اقبل وقارب البرء . والربان : مجرى السفينة

٤ — هلل : قال لا اله الا الله . وقيدومها : صدرها . وسكانها — بضم السين — ذنبها — ٥ — المقاتل : جمع مقتل : وهو العضو الذى اذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم — ٦ — المقادير : جمع مقدور ، وهو الأمر المحتوم . والضمير للطيف السماء وهو الله تعالى .

ونجّى الكنانةَ من فتنةٍ   تهدّدتِ النيلَ نيرانُها(١)
يسيلُ على قرنِ شيطانها   عقيقُ الدماء وعِقيانُها(٢)
فيا (سعدُ) ، جُرحُك ساء الرجالَ   فلا جُرِحَتْ فيك أوطانُها
وقَتْكَ العنايةَ بالراحتَينِ   وطَوَّقَ جيدَك إحسانُها(٣)
منايا أبى اللهُ إذ ساورتكَ   فلم يلق نابيْه ثُعبانُها(٤)
حَوَتْ دَمكَ الأرضُ فى أنفِها   زكيًّا ، كأنك (عثمانُها)(٥)
ورقَّت لآثاره فى القميص   كأن قميصَك قرآنُها
ورِيعَتْ كما ريعت الأرضُ فيك   نواحى السماء وأعنانُها(٦)
ولو زُلتَ غُيِّبَ (عَمْرُو) الأمورِ   وأخلى المنابرَ (سَحبانُها)(٧)

* * *

رماكَ على غِرَّةٍ يافعٌ   مُثارُ السريرةِ غضبانُها(٨)
وقِدْماً أحاطت بأهلِ الأمورِ   ميولُ النفوسِ وأضغانُها(٩)
تلمَّس نفسَك بين الصفوفِ   ومن دونِ نفسِكَ إيمانُها(١٠)
يريدُ الأمورَ كما شاءها   وتأبى الأمورُ وسلطانُها

---

١ ـ الكنانة : مصر ـ ٢ ـ العقيان : الذهب ، اى الدماء التى تشبه فى حمرتها العقيق والعقيان ـ ٣ ـ الراحتان : تثنية راحة ، وهى الكف . والجيد : العنق ـ ٤ ـ المنايا : جمع منية ، وهى الموت ، وساورتك وثبت عليك

٥ ـ عثمانها : يريد الخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، قتل وهو جالس يتلو القرآن وفى حجره المصحف ـ ٦ ـ ريعت : فزعت ، بتشديد الزاى . واعنان السماء : نواحيها ـ ٧ ـ عمرو الامور : اى مصرف الامور بحذقه وفطنته ، وهو عمرو بن العاص ، وسحبان : خطيب عربى مشهور من بنى وائل ـ ٨ ـ اليافع : من راهق العشرين ، او من ترعرع وناهز البلوغ . والسريرة : ما يسره الانسان من امره ـ ٩ ـ الاضغان . الاحقاد ـ ١٠ ـ تلمس نفسك : تطلبها مرة بعد اخرى .

وعند الذى قهر القَيْصَرَيْنِ مصيرُ الأُمور وأحيانها(١)
ولو لم يسابق دروسَ الحياةِ لبصَّره الرُّشدَ لقمانها(٢)
فإن الليالى عليها يَحُول شعورُ النفوس ووجدانها(٣)
ويختلف الدهرُ حتى يَبِينَ رُعاةُ العهودِ وخُوّانها(٤)

* * *

أرى مصرَ يلهو بحدِّ السلاح ويلعبُ بالنار ولدانها(٥)
وراح بغير مجال العقول يُجيل السياسةَ غلمانها
وما القتلُ تحيا عليه البلاد ولا همةُ القولِ عمرانها
ولا الحكمُ أن تنقضى دولةٌ وتُقبِلَ أُخرى وأعوانها
ولكن على الجيش تقوى البلادُ وبالعلم تشتدُّ أركانها
فأين النبوغ ؟ وأين العلوم ؟ وأين الفنون وإتقانها ؟
وأين من الخُلُق حظُّ البلادِ إذا قتل الشيبَ شبانها ؟(٦)
وأين من الرِّبح قسطُ الرجال إذا كان فى الخُلْقِ خسرانها ؟
وأين المعلِّمُ ؟ ما خطبُه ؟ وأين المدارسُ ؟ ما شأْنها ؟
لقد عبثت بالنِّياق الحداةُ ونام عن الإبْل رُعيانها(٧)

---

١ ــ مصير الأمور : مرجعها . واحيانها : جمع حين ، وقالوا : انه وقت مبهم يصلح لجميع الازمان طالت او قصرت . والقيصران : ملك الروم وملك الفرس حين الفتح الاسلامى، والله تعالى هو الذى قهرهما .

٢ ــ لقمانها ، أى من هو كلقمان ، وهو يضرب به المثل .

٣ ــ عليها يحول : اى يتحول ويتبدل . والمراد أن ما يكون للنفوس من ميول ووجدان يتغير بمضى الزمن ــ ٤ ــ رعاة العهود : الحافظون لها ، جمع راع . وخوانها : جمع خائن ــ ٥ ــ الولدان : الصبيان ، جمع وليد .

٦ ــ الخلق : المروءة والدين والسجية ، ويغلب الآن على السجية الفاضلة والمعنى انه اذا كان شبان البلاد يقتلون شيبها فلا حظ لها من الخلق النافع .

٧ ــ الحداة : جمع حاد ، وهو من يغنى للابل لتنشط فى سيرها .

إلى الخُلْقِ أنظُرُ فيما أقول وتأْخذُ نَفسِيَ أشجانها

* * *

ويا (سعدُ)، أنت أمينُ البلاد قد امتلأت منك أَيْمَانها(١)
ولن ترتضى أن تُقدَّ القناة ويُبْتَرَ من مصر سودانها(٢)
وحُجَّتُنا فيهما كالصباح وليس بمُعييك تبيانها(٣)
فمصرُ الرياضُ، وسودانُها عيون الرياضِ وخلجانها(٤)
وما هو ماءٌ، ولكنّه وريدُ الحياةِ وشِريانها(٥)
تُتمِّمُ مصرَ ينابيعُه كما تمّمَ العينَ إنسانها(٦)
وأهلوه منذ جرى عذْبُه عشيرة مصرَ وجيرانها
وأما الشريكُ فعِلَّاته هي الشركاتُ وأقطانها
وحربٌ مَضَتْ نحن أوزارُها وخيلٌ خَلَتْ نحن فرسانها(٧)
وكم مَنْ أتاك بمجموعة من الباطل، الحقُّ عنوانها
فأين من (المَنشِ) بحرُ الغزالِ وفيض (نيانزا) وتهتانها ؟(٨)

---

١ — ايمانها : جمع يمين ، وهى احدى يدى الانسان ، والمراد انها تأكدت فيما بلغ اليه حسن ظنها انك امين عليها ، كما يتأكد الانسان مما يكون فى يده — ٢ — القد والبتر هنا : بمعنى الضياع — ٣ — وليس بمعييك : اى بمعجزك

٤ — الرياض : اى كالرياض فى نضرتها وجمالها . والسودان : كالعيون والخلجان التى تستقى منها ماءها ، فكما تجف الرياض وتقفر اذا انقطعت عنها العيون والخلجان ، كذلك تقفر مصر وتبور اذا فصل عنها السودان — ٥ — الوريد : عرق فى العنق من الاوردة التى ترتبط بها الحياة . والشريان : العرق الذى يحمل الدم من القلب .

٦ — الينابيع : عيون الماء ، واحدها ينبوع . وانسان العين : الدائرة التى ترى فى سوادها — ٧ — أوزارها : أسلحتها ، جمع وزر ، وهو السلاح — ٨ — المنش : بحر فى الشمال الغربى لاوربة ، بين انجلترا شمالا وفرنسة جنوبا . وبحر الغزال : احد فروع النيل الابيض فى السودان . ونيانزا : احدى البحيرات الثلاث التى يخرج منها النيل .

وأين التماسيحُ من لُجّةٍ ... يموت من البردِ حيتانها !(١)
ولكنْ رءوسٌ لأموالهم ... يحرّك قرْنَيْه شيطانها
ودعوى القوىّ كدعوى السباع ... من النابِ والظفرِ برهانها

توت عنخ آمون

قفِى – يا أُختَ (يوشَعَ) – خبّرينا ... أحاديثَ القرونِ العابرينا(٢)
وقُصّى من مصارعِهم علينا ... ومن دُولاتِهم ما تعلمينا(٣)
فمثلُكِ من روى الأخبارَ طرًّا ... ومن نسب القبائلَ أجمعينا(٤)
نرى لكِ في السماء خضيبَ قرْنٍ ... ولا نُحصى على الأرض الطعينا(٥)
مشيتِ على الشباب شواظَ نارٍ ... ودرتِ على المشيبِ رحًى طحونا(٦)

١ – وأين التماسيح ... الخ : اى ان مسافة التقاطع وعدم الاتصال بعيدة جدا بين السودان وبلاد الانكليز ، بقدر التناقض بين طبيعتهما ، فهذا نعيش التماسيح فى مائه ، وتلك تموت الحيتان فى مائها – ٢ – الخطاب للشمس ، وقد أشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم . وقد لمح ابن مطروح الى هذه القصة بقوله :

وما انس لا انس المليحة اذ بدت ... دجى ، فأضاء الأفق من كل موضع
فحدثت نفسى أنها الشمس اشرقت ... وانى قد أوتيت آية يوشع

القرون العابرون : الاجيال الماضية .

٣ – قصى : حدثى ، ومنه : « نحن نقص عليك احسن القصص » . ومصارعهم ، مهالكهم . ودولاتها : جمع دولة ، بضم ففتح ، وهى الداهية ، يقال : جاء الدهر بدولاته ، أى بدواهيه – ٤ – طرا : جميعا من دون أن تترك منها شيئا . ونسب القبائل : ذكر انسابها – ٥ – الخضيب : الملون بالخضاب . والقرن : حاجب الشمس . والطعين : المطعون – ٦ – (بالضم والكسر) : دخان النار .

تُعينين المَوالدَ والمنايا ... وتبنين الحياة وتهدمينا(١)
فيالكِ هِرَّةً أكلت بنيها ... وما وَلدوا وتنتظر الجنينا(٢)

* * *

أأمَّ المالكينَ بنى (أمونٍ) ... ليهْنِكِ أنهم نزعوا (أمونا)(٣)
ولدتِ له (المآمين) الدواهى ... ولم تلدِى له قطُّ (الأمِينا)(٤)
فكانوا الشُّهبَ حين الأَرض ليلٌ ... وحين الناسُ جِدٌّ مضَلَّلينا
مشتْ بمنارهم فى الأَرض (روما) ... ومن أنوارهم قبستْ (أثينا)(٥)
مُلوكُ الدهر بالوادى أقاموا ... على (وادى الملوك) مُحجَّبينا(٦)
فربَّ مصفَّدٍ منهم ، وكانت ... تُساقُ له الملوكُ مصفَّدينا(٧)
تقيَّد فى التراب بغير قَيْد ... وحلّ على جوانبه رهينا
تعالى الله ، كان السحرُ فيهم ... أليسوا للحجارة مُنْطِقينا ؟(٨)

---

١ ـ المنايا : جمع منية ، وهى الموت ـ ٢ ـ الهرة : القطة ، ويقال فى المثل : « اعق من الهرة » لأنها تأكل اولادها . والجنين : الولد ما دام فى الرحم ـ ٣ ـ نزع اباه : اشبهه . اشارة الى ام (امون) . واختلف المؤرخون : هل كانت امه زوجة شرعية لابيه او احدى سرارية ؟ وكان من عادتهم ان لا يتولى الملك الا من كانت امه زوجة شرعية لأبيه ، الا ان (توت عنخ آمون) تولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خون آتون .

٤ ـ اشارة للخليفتين : الأمين والمامون ، وقد اختار المامون ، لأنه كان افضل بنى العباس حزما ، وحلما ، وعلما ، ورأيا ، ودهاء ، وهيبة ، وشجاعة ، اى ولدت له ابناء صاروا ملوكا ، وكانت صفاتهم فى الملك كالصفات التى عرفناها فى المأمون .

٥ ـ روما : عاصمة ايطالية . وقبست : اخذت . واثينا : عاصمة اليونان . وفيه اشارة الى ما اخذته الامم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة .

٦ ـ وادى الملوك : هو الى الشاطىء الغربى للنيل بالاقصر على مسير نصف ساعة تقريبا وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الاسرة الثامنة عشرة وما بعدها . وقد كانوا يبالغون فى العناية بها واتقانها الى حد يفوق الوصف ـ ٧ ـ مصفدين : مقيدين ، يصف فراعنة مصر فى مقرهم الاخير . وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة ـ ٨ ـ منطقين : اى اليسوا هم الذين انطقوا الحجارة ؟ ويريد انهم انشئوا من الأبنية =

غدَوْا يبنون ما يبقى ؛ وراحوا وراء الآبداتِ مُخَلَّدينا
إذا عَمدوا لمأْثُرةٍ أعدُّوا لها الإتقان والخلقَ المتينا
وليس الخلدُ مرتبةً تلَقَّى وتُؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن مُنتهى هِمَمٍ كِبارٍ إذا ذهبتْ مصادِرُها بقينا
وسرُّ العبقرية حين يسرى فينتظم الصنائعَ والفنونا
وآثارُ الرجال إذا تناهتْ إلى التاريخ خيرُ الحاكمينا
وأَخذُك من فمِ الدنيا ثناءً وتركُك فى مسامعِها طنينا(١)
فغالِ فى بنيك الصيدِ غالى فقد حُبَّ الغلوُّ إلى بنينا(٢)
شبابٌ قُنَّعٌ لا خيرَ فيهم وبُورك فى الشبابِ الطامحينا(٣)
فناجيهم بعرشٍ كان صِنْواً لعرشك فى شبيبتِه سَنينا(٤)
وكان العزُّ حليتَه ، وكانتْ قوائمُهُ الكتائبَ والسفينا(٥)
وتاجٍ من فرائده (ابنُ سيتى) ومن خرزاته (خوفو) و (مينا)(٦)

= ما يدل على عظمة شانهم دلالة النطق على معنـاه ، واشهر الابنية الأهرمان القائمان بجانب الجيزة ، وهما من أعجب ما بنى البناة ، وفيهمـا دليل على ان المصريين القدماء كانوا أعلم الامم قاطبة بفن العمارة وهندستها ، وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الجوادث وعصف الرياح وهطـل السحاب ، قال أحد الحكماء : « كل شيء يخشى عليه الدهر الا الاهرام ، فان الدهر يخشى عليه منها » .

١ — الطنين : صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك .

٢ — الصيد : جمع أصيد ، وهو الرجل يرفع راسه كبرا وعجبا ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا — ٣ — شباب قنع : أى قانعون لا يطلبون شيئا وراء ما بلغوا . والطامحون : المتغالون فى طلب المعـالى — ٤ — الصنو : الاخ الشقيق والابن . والسنين — بفتح السين — من يكـون فى سنك .

٥ — الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجيش .

٦ — ابن سيتى ، هو رمسيس الثانى المعروف بسوزستريس ، ويلقب بالاكبر لانه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة ، وطالت مدة حكمه ، وكثرت فيها الآثار المصرية ، وتزايدت العمارات ، حتى لا يكاد يوجد بوادى النيل اثر من الآثار القديمة والعمـائر المشهورة الا وعليه اسـمه ورسمه . =

عَلا خَدًّا به صَعَرٌ ، وأنفًا ترفَّع فى الحوادث أن يدينا(١)

ولستُ بقائلٍ : ظلموا ـ وجاروا على الأُجراء ، أو جلدوا القطينا(٢)

فإنا لم نُوَقَّ النقصَ حتى نطالبَ بالكمال الأولينا(٣)

وما (البستيلُ) إلا بنت أمسٍ وكم أكلَ الحديدُ بها صحينا(٤)

ورُبَّةَ بيعةٍ عَزَّتْ وطالتْ بناها الناسُ أمسِ مُسخرينا(٥)

مُشَيَّدةٍ لشافى العُمْيِ (عيسى) وكم سَمَلَ القسوسُ بها عيونا(٦)

* * *

= وولى الملك صغيرا فى حياة والده ، وقد تربى على الشجاعة والحماسة ، واراد أبوه ان يعلمه اقتحام الأهوال ، فأرسله فى جيش الى بلاد الشام ، وكان عمره عشر سنين ، فغزاها حتى ادخلها تحت الطاعة ، وله حروب عظيمة ، ثم حارب فى جملة فتوح وبخاصة فى آسيا الشمالية ، وكان فى ايامه بنتاءور الشاعر المصرى ، وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته واقدامه . « خوفو » و « مينا » : من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر فى عهدهم شوطا بعيدا فى المدنية ، ومن آثارهما الخالدة الاهرامات — ١ — علا خدا : اى ذلك التاج : والصعر : أن يميل الرجل بخده عن النظر الى الناس تهاونا وكبرا — ٢ — القطين : الخدم ، اى انه لايجارى بعض المؤرخين الذين يزعمون ان الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ، ويجلدون الخدم ليسخروهم فى انشاء تلك الأبنية — ٣ — لم نوق النقص : اى لم نحفظ منه — ٤ — البستيل : سجن يرجع تاريخ انشائه الى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفى هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل فى فرنسا اشد أنواع العذاب ايام الاستبداد ، فكم هلك فيه فيلسوف عظيم ، وفنى بين جدرانه المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسى جنى عليه عمله لخير بلاده فدخله حيا وفارقه ميتا . وقد ذكر الفرنسيون « البستيل » واسم « البستيل » ، وعدوه مستقر الظلم ، ومعهد العسف والقسوة ، فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم « البستيل » ، فهدموه ، واقتلعوا أصوله ، وأخذت فتات احجاره فجعلها النسوة عقودا يتحلين بها فى أمكنة اللالىء ، اشارة لغلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين ، وكان اخذه فى ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ ، وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ، ولايزال الفرنسيون يحتفلون بذكره الى الآن — ٥ — البيعة « بكسر الباء » : معبد النصارى . ومسخرين : أى كلفوا عملهم بلا أجرة — ٦ — سمل العين : فقأها بحديدة محماة وأ ماها .

(أخا اللوردات) ، مثلُك من تحلَّى بحليةِ آله لمُتطوِّلينا(١)
لك الأصل الذى نَبَتَتْ عليه فروعُ المجد من (كرنارفونا)(٢)
ومالُكَ لا يُعدّ ، وكلُّ مال سَيَفْنَى . أو سَيُفْنِى المالكينا(٣)
وجدتَ مذاق كلِّ تليدِ مجد فكيف وجدْت مجدَ الكاسبينا؟(٤)
نشرتَ صفائحًا ، فجزتكَ مصرٌ صحائفَ سؤددٍ لا ينطوينا
فإن تلكُ قد فتحتَ لها كنوزًا فقد فتحتْ لك الفتحَ المبينا(٥)
فلو (قارون) فوق الأرض إلا تمنى لو رضيتَ به قرينا(٦)
سبيلُ الخلد كان عليك سهلاً وعادتُه يكدُّ السالكينا
رأيتَ تنكُّرًا ، وسمعت عتباً فعذرًا للغضاب المحنقينا(٧)
أبوَّتُنا وأعظُمُهم تُراثٌ نحاذرُ أن يئول لآخرينا(٨)

---

١ — المخاطب اللورد كارنارفون الذى اهتدى الى الكنوز ، وكانت وفاته بالقاهرة فى سحر ليلة الخميس ٥ ابريل سنة ١٩٢٣ بفندق الكونتنتال ، وكانت قد عضته بعوضة ، فطبب خمسة عشر يوما حتى أخذت تزول اعراض التسمم الذى أصابه من هذه العضة ، ولكنه لم يقو على احتمال ذات الرئة التى اصيب بها ، فأودت به . المتطولين : اصحاب الغنى والسعة — ٢ — لك الاصل .. الخ : وذلك أنه من بيوتات انجلترا القديمة فى المجد — ٣ — ومالك لا يعد .. الخ : فهو يملك فى بلادالانجليز الف فدان

٤ — وجدت مذاق ... الخ : اشارة الى استمراره فى أعمال الحفر والتنقيب فى وادي الملوك ، فقد بدأها منذ ست عشرة سنة ، ولم يزل حتى اهتدى الى أعظم اثر بين الآثار التى عثر عليها العلماء منذ قرن من الزمن ، وقد ضمن له هذا العمل الجليل خلود اسمه ، ورفعة ذكره ، وكان اهتداؤه الى هذا الكنز الثمين فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٣٢ ، وفى مدافن ملوك طيبة ؛ تحت مدفن رعمسيس السادس . والصفائح : حجارة القبور .

٥ — اشارة الى ما حواه هذا الكنز العظيم من التحف الثمينة النادرة المثال ، واللآلىء الغالية القليلة الوجود — ٦ — قارون : رجل كان صاحب كنوز عظيمة يضرب به المثل فى الغنى — ٧ — التنكر : تغير الرجل عن حال تسره الى حال يكرهها ، وفى الاساس تنكر لى فلان : لقينى لقاء بشعا . والمحنقون : الذين ملأهم الغيظ — ٨ — أبوتنا : أى آباؤنا . والتراث : الميراث ، وفيه اشارة الى ما قيل يومئذ ونشرته الصحف ، من أن اللورد كرنارفون ، أخذ خفية اغلى ما فى الكنز من تحف ، بينها تاج الملكة وعقدها .

ونأبى أن يَحُلَّ عليه ضَيْمٌ ... ويذهبَ نهبةً للناهبينا(١)
سَكَتَّ ، فحام حولَكَ كلُّ ظنٍّ ... ولو صَرَّحت لم تُثر الظنونا(٢)
يقول الناسُ فى سرٍ وجهرٍ ... ومالكَ حيلةٌ فى المرجفينا :(٣)
أمَن سرقَ الخليفةَ وهو حىٌّ ... يَعِفُّ عن الملوك مكفَّنينا ؟(٤)

* * *

خليلىَّ اهبطا الوادى ، وميلا ... إلى غُرف الشموس الغاربينا(٥)
وسيرا فى محاجرِهم رويدًا ... وطُوفا بالمضاجع خاشعينا(٦)
وخُصَّا بالعمار وبالتحايا ... رفاتَ المجدِ من (توتنخمنا)(٧)
وقبرًا كاد من حسنٍ وطيبٍ ... يضىءُ حجارةً ، ويضوعُ طينا(٨)
يُخال لروعةِ التاريخ قُدَّتْ ... جنادلُه العلا من (طورسينا)(٩)

---

١ ـ الضيم : الظلم ؛ أى نابى أن يظلم ذلك التراث بذهابه نهبا كما روت الأنباءالبرقية فى ذلك الحين ـ ٢ ـ سكت فحام حولك .. الخ ، اى ان الذى قيل وشاع لاقى منك سكوتا عن نفيه . فلحقتك الشبهات بسبب سكوتك ـ ٣ ـ المرجفون : من يخوضون فى الاخبار السيئة ـ ٤ ـ أمن سرق الخليفة .. الخ ، هذا ما يقوله الناس ، وذلك ان انجلترا هى التى نقلت الخليفة وحيد الدين من قصره فى الآستانة ، والجاته الى المدرعة البريطانية « مالايا » هربا من الكماليين . فذهبت به الى مالطة فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢١ ، فاذا كانت هذه الدولة تفعل ذلك بالملوك الأحياء ، فلا يبعد على رجالها ان يفعلوه بالملوك الاموات ، وبما فى قبورهم من جواهر ودرر ، وقد ذكرت الأنباء فى اثبات ذلك ، ان اللورد كرنارفون أهدى الى ابنة مالك الانكليز عقدا مصريا قديما له قيمة عظيمة ، وانها لما علمت بوفاته وان بعوضة من القبر عضته ، نزعت من عنقها ذلك العقد خوفا من انتقام توت عنخ آمون الذى نسبت اليه يومئذ وفاة اللورد ـ ٥ ـ يريد بالشموس الغاربين : ملوك الفراعنة . وغرفهم : مدافنهم ـ ٦ ـ المحاجر : ما يحميه الملوك حولمنازلهم ، ومنها محاجر اقيال اليمن ، وهى احماؤهم ، اى ما كان يحميه كل واحد منهم ـ٧ـ العمار : التحية ، وهو ايضا الريحان يزين به مجلس الشراب ، واستعماله هنا على الاطلاق ، اذ لا يليق أن يكون مقيدا بتزيين هذا المجلس . التحايا : جمع تحية . والرفات : كل ما تكسر وبلى .

٨ ـ يضوع : يتحرك وينتشر ، اى كادت حجارته تضىء حسنا ، وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية ـ٩ـ الروعة : المسحة من الجمال . والجنادل : جمع جندل، وهو الحجارة . وطور سينا : هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى .

وكان نزيلُهُ بالمَلْكِ يُدعَى فصار يُلقَّبُ الكنزَ الثمينا (١)
وقوما هاتفَيْن به ، ولكن كما كان الأوائلُ يهتفونا(٢)
فثَمَّ جَلالةٌ قَرَّتْ ورامت على مرِّ القرون الأربعينا(٣)
جلالُ الملك أيامٌ وتمضى ولا يمضى جلالُ الخالدينا(٤)
وقولا للنزيل قدوم سعد وحيًّا الله مَقْدَمَكَ اليمينا(٥)
سلامٌ يومَ وارتك المنايا بواديها ، ويومَ ظهرتَ فينا(٦)
خرجتَ من القبور خروجَ عيسى عليكَ جلالةٌ فى العالمينا(٧)
يجوب البرقُ باسمك كلَّ سهلٍ ويخترقُ البُخارُ به الحزونا(٨)
وأقسمُ كنتَ فى (لوزانَ) شُغلاً وكنتَ عجيبةَ المتفاوضينا(٩)
أتعلمُ أنهم صَلِفُوا . وتاهوا وصَدُّوا البابَ عنا مُوصِدينا ؟ (١٠)
ولو كنا نجر هناك سيفًا وجدنا عندهم عطفاً ولينا(١١)

---

١ ــ النزيل : الضيف ــ ٢ ــ اتفين به : اى بالملك الذى هو نزيل القبر ، وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له ايام حياته ــ ٣ ــ فثم : فهناك . والجلالة : عظم القدر . ورامت : اقامت . والقرون الاربعون : هى التى مضت منذ عهد توت عنخ آمون ــ ٤ ــ اى ان الجلال الصحيح ما خلد به صاحبه فى التاريخ ، اما جلال الملك فلا بقاء له ــ٥ــ اليمين : المبارك ، وهو من اليمن ــ٦ــ وارتك : اخفتك ــ٧ــ خروج عيسى : اى كما خرج عيسى من القبر على راى النصارى ، وصاحب الديوان لا يعتقد ذلك ، وانما ينظر فيه الى رايهم ــ ٨ ــ يجوب : يقطع . والبرقَ : اسم منقول من معناه الاصلى للتلغراف . والبخار : اسم منقول كذلك للوابور ، او هو من باب تسمية الشىء باسم المؤثر فيه . والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الارض

٩ ــ لوزان : احدى مدن سويسرة ، وقد عرفت بمؤتمر الدول الذى اجتمع بها للنظر فيما بينهن من الخلاف ، ولتقرير الصلح بين الترك واليونان ، وقد وافق اجتماع المؤتمر ظهور قبر الملك توت عنخ آمون ومعرفة ما فيه ــ ١٠ ــ صلفوا : تمدحوا بما ليس فيهم ، وادعوا فوق ذلك اعجابا وتكبرا . وصدوا الباب عنا : منعوه عنا ، اى لم يفتحوه لنا . وموصدين : من اوصد الباب ، اطبقه واغلقه ــ١١ــ اى لو كانت لنا قوة من السلاح لعاملونا باللين والمودة ، لانهم يدارون الاقوياء ويمالئونهم .

سيقضى (كرزنٌ) بالأمر عنّا وحاجاتُ (الكنانةِ) ما قُضينا(١)

* * *

تعالَ اليومَ خبِّرنا : أكانت نواكَ سِناتِ نومٍ ، أم سنينا ؟(٢)

وماذا جبتَ من ظلماتِ ليلٍ بَعيدِ الصبح ، يُنضِى المُدلجينا؟(٣)

وهل تبقَى النفوسُ إذا أقامت هياكلُها ، وتبلى إن بلينا ؟

وما تلك القبابُ ؟ وأين كانت؟ وكيف أضلّ حافرُها القرونا ؟(٤)

مُمرَّدة البناء ، تُخالُ برجاً ببطن الأرض محطوطاً دفينا(٥)

تغطّى بالأثاث فكان قصراً وبالصورِ العِتاق فكان زونا(٦)

حملتَ العرشَ فيه : فهل تُرجَّى وتأملُ دولةً فى الغابرينا؟(٧)

وهل تَلقَى المهيمنَ فوق عرشٍ ويلقاه الملا مُترجلينا ؟(٨)

وما بالُ الطعام يكاد يَقدى كما تركته أيدى الصانعينا؟(٩)

---

١ — كرزن : وزير انكليزى مشهور ، كان هو منـــدوب انكلترا فى مؤتمر لوزان . والكنانة : هى مصر —٢— تعال اليوم .. الخ : الخطاب لتوت عنخ آمون ، ونواك : بعدك . والسنات : جمع سنه ، بكسر السين ، وهى النعاس —٣— ينضى : يهزل . والمدلجون الذين يســيرون من أول الليل —٤— وما تلك القباب .. الخ : أى وخبرنا ما تلك القباب جمع قبة : وهى ما ظهر من ابنية المقبرة الفخمة . والقرون : جمع قرن ، وهو مائة عام—٥— ممردة البناء : مملسته—٦—تغطى : أى هذا البناء تغطى .. الـخ والأثاث : متاع البيت ، والصور : جمع صورة ، يريد بها الرسوم التى تحاكى صور الأشياء . والعتاق : جمع عتيق ، وهو القديم ، أو النجيب من الخيل ، والجارح من الطير . والزون : الموضع تجمع فيه الأصنام .

٧ — فى الغابرين : فى الباقين ، وفى القرآن الكريم : « فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين » ، ويكون أيضا بمعنى الماضين ، فهو من الكلمات التى تستعمل للاضداد —٨— المهين : من اسماء الله تعالى . والمترجلون : الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم .

٩ — ما بال الطعام : ما حاله . ويقدى : من قدى الطعام ، أى طاب طعمه ورائحته .

ولم تكُ أمسِ تصبرُ عنه يوماً فكيف صبرتَ أحقاباً مئينا؟(١)
لقد كان الذى حَذِرَ الأوالى وخاف بنو زمانك أن يكونا(٢)
يحبّ المرءُ نبشَ أخيه حيًّا وينبشه ولو فى الهالكينا
سُلِلتَ من الحفائر قبل يومٍ يَسُلُّ من التراب الهامدينا(٣)
فإن تكُ عند بعثٍ فيه شك فإنَّ وراءه البعثَ اليقينا(٤)
ولو لم يعصموكَ لكان خيرًا كفى بالموت معتصَما حصينا(٥)
يُضَرُّ أخو الحياةِ ، وليس شىءٌ بضائره إذا صحبَ المنونا(٦)

* * *

زمانُ الفرد — يا (فرعونُ) — ولَّى ودالتْ دولة المتجبِّرينا(٧)
وأصبحت الرعاةُ بكل أرضٍ على حكمِ الرعيةِ نازلينا

---

١ — الأحقاب : جمع حقب ، بضم الحاء ، وهو الدهر . والمئين : جمع مائة —٢—لقد كان : أى لقد حصل الذى حذر الاوالى . والاوالى : جمع اول ، والمعنى : ان ما كنتم تخافونه ، وتحذرون وقوعه من نبش قبوركم ، قد حصل ، ولم تمنعه مبالغتكم في الوقاية منه —٣— سللت : أخرجت منها برفق . الحفائر : جمع حفيرة ، واليوم الذى يسل الهامدين من التراب : هو يوم القيامة —٤— فان تك عند بعث .. الخ : اى فان تكن الان تشك فى هذا البعث الذى خرجت به من قبرك . فلا محالة سيأتى البعث الذى لاتشك فيه ، وهو بعث يوم القيامة .

٥ — يعصموك : يمنعوك من المكروه ، أى لو انهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة للاصابك مكروه . لان الموت يمنع الاذى أن يصل اليك ، وجلاء هذا المعنى فى البيت الثانى —٦— يضر ، بضم الياء وفتح الضاد .

٧ — زمان الفرد : أى زمان حكم الفرد . ودالت : انقلبت من حال الى حال . والمتجبرون : المتكبرون .

تحية المؤتمر الجغرافى

هل تهبط النيِّراتُ الأَرضَ أحيانا ؟ وهل تَصورُ أفرادًا وأعيانا؟(١)
نزلنَ أولَ دارٍ فى الثرى رَفعَت للشمس مُلكًا ، وللأَقمارِ سلطانا(٢)
تفننت قبل خلق الفن ، وانفجرت عِلماً على العُصُرِ الخالى وعِرفانا(٣)
أُبوَّةٌ لو سكتنا عن مفاخرهم تواضعًا نطقت صخرًا وصَوَّانا(٤)
هم قلَّبوا كرَة الدنيا فما وجدَتْ أقوى على صَولجانِ الملك أَيْمانا(٥)
وصيَّروا الدهرَ هزءًا يسخرون به حتى ينال لهم بالهدمِ بنيانا(٦)
لم يَسلكِ الأَرضَ قومٌ قبلهم سُبُلا ولا الزواخرَ أثباجاً وشُطَّانا(٧)
تقدم الناسَ منهم محسنون مضَوا للموت تحت لواءِ العِلم شجعانا

---

١ — النيرات : الكواكب ، واحدها نير ، بالياء المشددة • وتصور • تتصور • والاعيان : جمع عين ، وهو شريف القوم • يقول : ان هؤلاء العلماء الذين أقبلوا من البلاد الأخرى ليحضروا المؤتمر فى مصر ، هم الكواكب المنيرة ، ولكنهم مع ذلك أفراد من الناس ، وأعيان شرفاء فى أقوامهم ، فهل الكواكب تهبط الارض وتكون كذلك ؟

٢ — نزلن : أى هذه النيرات • وأول دار .. الخ : هى مصر ، وذلك كناية عن انها سبقت العالم الى العلم والمدنية، حتى رسخت قدمها فيهما .

٣ — تفننت : تنوعت فنونها ، أو اخذت فى فنون كثيرة . والعصر ، بضمتين : الدهر • والخالى : الماضى —٤— أبوة : جمع أب ، أى لنا أبوة أو أولئك أبوة . والمفاخر : جمع مفخرة ، بفتح الخاء وضمها ، وهى المأثرة ، أو مايفتخر به . والصوان : نوع من الحجارة —٥— الصولجان : عصا منعطفة الرأس • والايمان : جمع يمين ، وهى اليد ، أى ما وجد ايمانا أقوى على صولجان الملك من ايمانهم —٦— حتى ينال لهم بالهدم بنيانا : اى وهو لاينال ذلك فهم يسخرون به أبدا —٧— لم يسلك الأرض .. الخ : وذلك أن المصريين القدماء هم أول من طاف الارض برا وبحرا • والسبل : جمع سبيل . والزواخر : البحار ، مفردها زاخر • والاثباج : جمع ثبج ، وهو معظم البحر . والشطان : جمع شط ، وهو الشاطىء .

جابوا العُبابَ على عودٍ وساريةٍ ... وأوغلوا فى الفَلا كالأُسْدِ وحْدانا(١)

أزمانَ لا البرُّ « بالوابور » منتهَبًا ... ولا « البخارُ » لبنت الماء رُبَّانا(٢)

هل شيَّع النشءُ رَكْبَ العلم ، واكتنفوا ... لعبقريةٍ أحمالًا وأظعانا ؟(٣)

وسايروا الموكبَ المرموقَ مُتَّشِحا ... عِزَّ الحضارة أعلاماً وركبانا ؟(٤)

يسيرُ تحت لواء العلم مؤتلفًا ... ولن ترى كجنودِ العلم إخوانا

العلمُ يجمعُ فى جنسٍ ، وفى وطنٍ ... شتى القبائلِ أجناساً ، وأوطانا(٥)

ولم يزِدْكَ كرسمِ الأرض معرفةً ... بالأرض دارًا ، وبالأحياء جيرانا(٦)

علمٌ أبان عن الغبراء ، فانكشفتْ ... زَرعا ، وضرعا ، وإقليما ، وسُكانا(٧)

وقسم الأرض آكاماً ، وأوديةً ... وفصل البحرَ أصدافاً ، ومرجانا(٨)

---

١ ـ جابوا : طافوا : والعباب : اكثر السيل ، والمراد البحر • والعود : الخشب ، والمراد به السفينة • والسارية : عمود ينصب فى وسط السفينة ليعلق القلع به ، والفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء الواسعة ، وقيل : المفازة لاماء فيها . والوحدان : جمع واحد ـ٢ـ ازمان : اى فعلوا ذلك من ازمان لم يكن بها الوابور ينهب البر ، ولا البخار يجرى السفن . والربان : من يجرى السفينة . وجوب الارض على هذه الحال يستدعى عزائم قوية ، ويؤدى الى مخاطر عظيمة ـ٣ـ هل شيع النش .. الخ : اى هل خرجوا مع ركب العلم يودعونهم . والنشء : جمع ناشىء : وهو الغلام جاوز حد الصغر • وركب العلم : هم العلماء الذين جاءوا فحضروا المؤتمر ، ثم رجعوا الى بلادهم ، واكتنفوا احمالا واظعانا : احاطوا بها • والعبقرية : اصلها نسبة الى عبقر ، وهو موضع كانت العرب تزعم انه كثير الجن ، وقد جعله المعاصرون اسما وارادوا به التناهى فى حذق الشىء واتقانه ، والاحمال : الهوادج ، واحدها حمل ـ بكسر الحاء وفتحها ، والأظعان : الهوادج أيضا ـ٤ـ المرموق : الذى ينظر اليه طويلا . ومتشحا : لابسا •

٥ ـ شتى القبائل : اى القبائل المتفرقة ـ٦ـ كرسم الأرض : يريد العلم الذى يعرف به رسم الارض ، وهو علم الجغرافيا ـ٧ـ ابان عن الغبراء : اوضحها ، والغبراء : الارض ـ٨ـ الآكام : التلال ، وقيل : مااجتمع من الحجارة فى مكان واحد . والاودية : جمع واد ، وهو المنفرج بين جبلين أو تلين • والاصداف : جمع صدف ، وهو غشاء الدر • والمرجان : عروق حمر ، تطلع من البحر .

وبيّن الناسَ عادات وأمزجةً ... وميّز الناسَ أجناساً وأديانا

وفدَ الممالكِ ، هزّ النيلُ مَنكبَه ... لما نزلتم على واديه ضِيفانا(١)

غدا على الثغرِ غادٍ من مواكبِكم ... فراح مبتسمَ الأَرجاءِ جذلانا(٢)

جرت سفينتُكم فيه ، فقلَّبها ... على الكرامةِ قَيْدوماً وسكانا(٣)

بلقاكمُ بسماء البحر ضاحيةً ... وتارةً بفضاء البَرِّ مُزدانا(٤)

ولو نزلتم به والدهرُ معتدلٌ ... نزلتمُ بعَروسِ المُلكِ عُمرانا(٥)

إذ (الفنارُ) وراءَ البحر موتلقٌ ... كأنه فلقٌ من خِدره بانا(٦)

أناف خلف سماء الليل متقدًا ... يُخال فى شُرَفات الجوِّ (كِيوانا)(٧)

تَطْوِى الجوارى إليه اليمَّ مقبلةً ... تجرى بوارجَ أو تنساب خُلجانا(٨)

نورُ الحضارة لا تبغى الركابُ له ... لا بالنهار ولا بالليل برهانا

---

(١) المنكب : هو من الحيوان مجتمع رأس الكتف والعضد ، ومن غير الحيوان ناحية كل شيء وجانبه ، والمراد المعنى الأول ، كناية عن نهوضه لاكرامهم .

(٢) غدا : اقبل . والثغر : هو ثغر الاسكندرية . والمواكب : جمع موكب ، وهو الجماعة ركبانا أو مشاة . والأرجاء : النواحى . والجذلان : الفرحان .

(٣) الكرامة : العزازة . والقيدوم : الصدر . والسكان — بالضم : ذنب السفينة

(٤) ضاحية : بارزة منكشفة ، وهو كناية عن صفائها (٥) ولو نزلتم به : اى بالثغر . ومعتدل : مستقيم . اى ليس منحرفا ولا معوجا عن انصافنا .

(٦) اذ الفنار : اى اذ يكون الفنار .. الخ . والفنار : هو منارة السفن تقام عالية فى الميناء ليهتدى الربابنة فى الليل بنورها . ومؤتلق : لامع . والفلق : الصبح ، أو ما انفلق من عموده . والخدر : الستر ، وقيل : هو كل ما واراك من بيت ونحوه (٧) اناف : طال وارتفع . وشرفات : واحدتها شرفة ، وهى ما اشرف من بناء القصر . وكيوان : اسم فارسى لكوكب زحل (٨) الجوارى السفن : جمع جارية . واليم : البحر . والبوارج : جمع بارجة ، وهى سفينة كبيرة للقتال ، وتنساب : تجرى وتتدافع . والخلجان : جمع خليج ، وهو شرم من البحر .

يامو كبَ العلم ، قِفْ في أرض منْفَ به ... يُناج مَهْداً ، ويذكُرْ للصِّبا شابا(١)
بكى تمائمَهُ طفلاً بها ، ويبكى ... ملاعباً من رُبَى الوادى وأحضانا(٢)
أرض ترَعْرَع لم يصحَبْ بساحتها ... إلاّ نبيين قد طابوا ، وكهانا
عيسى ابنُ مريم فيها جرَّ بُردتَه ... وجرّ فيها العصا موسى بن عِمرانا
لولا الحياءُ لناجتكم بحاجتِها ... لعل منكم على الأيام أعوانا
إذا تفرقْتمُ فى الغربِ ألسنةً ... ليَّنتُمُ كلَّ قلبٍ لم يكن لانا

الصليب الأحمر

سر يا (صليبَ) الرِّفقِ فى ساحِ الوغى ... وانشر عليها رحمةً وحنانا(٣)
وادخل على الموت الصفوفَ مُوَاسياً ... وأعِنْ على آلامه الإنسانا
والمسْ جراحاتِ البريَّةِ شافيًا ... ما كنت إلا للمسيح بنانا(٤)
وإذا الوطيسُ رمى الشبابَ بناره ... خُضْ (كالخليل) إليهمُ النيرانا(٥)

---

(١) ارض منف : هى الأرض المصرية . ومنف : مدينة مصرية قديمة ، بناها الملك « مينا » مؤسس الأسرة الأولى الفرعونية ، وجعلها مقر ملكه ، وبقيت مقرا للملك حتى زالت الأسرة الثامنة . وينا ج ، من ناجاه : ساره ، والمهد : الموضع يهيأ للصبي ويوطأ . يقول : قف بالعلم في الأرض التى نشأ فيها ، ليناجى مهده الأول ، ويذكر عهد صباه (٢) بكى : اى العلم . وتمائمه : جمع تميمة ، وهى العوذة التى تعلق للاطفال مخافة العين . والملاعب : جمع ملعب ، وهو مكان اللعب . والربى : جمع ربوة وهى ماارتفع من الارض (٣) الساح جمع ساحة . والوغى : الحرب .

(٤) الجراحات : جمع جراحة . والبنان : أطراف الاصابع ، مفردها بنانة .

(٥) الوطيس : شدة الحرب . والخليل : هو ابراهيم عليه السلام ، وقصة القائه فى النار مشهورة .

واجعل وسيلتك المسيحَ وأمّه واضرَع ، وسلْ فى خلقِه الرّحمانا(١)
اللهُ جارُك فى عوانٍ لم تَهب للهِ لا بِيَعًا ولا صُلبانا(٢)
وسلمتَ يا « حرمَ المدارك » من يدٍ هَدَمَتْ لِسلم العالمين كيانا(٣)

* * *

يا أهلَ مصر ، رمى القضاءُ بلطفِه وأراد أمراً بالبلاد فكانا
إن الذى أمرُ الممالك كلِّها بيديه ؛ أحدثَ فى «الكنانة» شانا
أبقى عليها عرشَها فى بُرهةٍ ترمى العروشَ وتنثُر التيجانا(٤)
وكسا البلادَ سكينةً من أهلها ووقى من الفتنِ العبادَ ؛ وصانا
أوَما ترونَ الأرضَ تُخرَّب نصفُها وديارُ مصرٍ لا تزال جِنانا؟(٥)
يرعى كرامتَها . ويمنعُ حوضَها جيشٌ يعاف البغىَ والعُدوانا(٦)
كجنودِ (عَمْرٍو) . أينما ركزوا القنا عَفُّوا يداً . ومُهنَّداً . وسِنانا(٧)
إن الشجاعَ هو الجبانُ عن الأذى وارى الجرىءَ على الشرورِ جبانا

* * *

أممَ الحضارةِ ، أنتمُ آباؤنا منكم أخذنا العلمَ والعرفانا

---

(١) الوسيلة : ما يتقرب به الى الغير . واضرع ، من ضرع اليه ، خضع وذل . والرحمن : اسم من اسماء الله تعالى .
(٢) العوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد اخرى . والبيع ، بكسر الباء : جمع بيعة ، بكسرها أيضا ، وهى متعبد النصارى .
(٣) السلم : ضد الحرب . وكيان الشىء ، وجوده او طبيعته .
(٤) البرهة : قطعة من الزمن طويلة ، وتنثر التيجان: ترميها متفرقة .
(٥) الجنان : جمع جنة ، (٦) يعاف : يكره .
(٧) كجنود عمرو : هو عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب ، وركزوا القنا : غرزوها فى الأرض ، والقنا : الرماح : جمع قناة ، عفوا : تركوا الشهوات ، والمهند : السيف ، والسنان: نصل الرمح .

رقّت لكم منا القلوبُ ، كأنّما ... جَرحاكمُ يومَ الوغى جَرحانا

ومن المروءةِ ـ وهْي حائطُ دِيننا ـ ... أن نذكرَ الإصلاحَ والإحسانا(١)

ولئن غزاكم من ذوينا معشرٌ ... فلرُبَّ إخوان عَزَوْا إخوانا

حتى إذا الشحناءُ نامت بينهم ... لم يعرفوا الأَحقاد والأَضغانا(٢)

تحية للترك (*)

بحمدِ اللهِ ربِّ العالمينا ... وحمدِك يا أميرَ المؤمنينا

لقينا في عدوِّكَ ما لقينا ... لقينا الفتحَ والنصرَ المبينا

هُمُ شهروا أذًى ، وشهرتَ حربا ... فكنتَ أجلَّ إقداماً وضربا

أخذت حدودَهم شرقاً وغربا ... وطهَّرْتَ المواقعَ والحصونا

وقبل الحربِ حربٌ منك كانت ... نتائجُها لنا ظهرت وبانت

ألنْتَ الحادثاتِ بها ، فلانت ... وغادرت القياصرَ حائرينا

جمعتَ لنا الممالكَ والشعوبا ... وكانت في سياستِها ضروبا

فلما هبَّ (جُورجِيهم) هبوبا ... تلفَّتَ لا يصيبُ له معينا(٣)

(١) الحائط : الجدار ؛ اى وهى من ديننا كالحائط من الدار .

(٢) الشحناء : عداوة امتلأت منها النفوس . والأضغان : الاحقاد .

(*) قيلت في الحرب بين اليونان والاتراك سنة ١٣١٤ هجرية ، وقلما نالت قصيدة فى العالم العربى باجمعه ما نالته هذه القصيدة ايام ظهورها من حفاوة وانتشار ، وذلك لما ورد فيها من وصف وتهكم صادفا هوى فى النفوس .

(٣) جورجى : ملك اليونان يومئذ .

وأى كيف السبيلُ إلى كريد وكيف عواقبُ الطيش المزيد
موكيف تنامُ ياعبدَ الحميد وتغفل عن دماء العالمينا ؟

ولا واللهِ والرسْلِ الكرام وبيتِك خير بيتٍ فى الأنام
لما كانوا – وسيفُك ذو انتقام – يعادِلُ جَمعُهم منا جنينا

وأيتَ الحلمَ لما زاد غرًّا وجرّأ مَلْكَهم حتى تجرّا(١)
فجاءتك الدعاوى منه تتْرَى وجاءته جنودُك ميطلينا

بخيْلٍ فى الهضابِ ، وفى الروابى ونارٍ فى القلاع ، وفى الطوابى
وسيفٍ لا يلينُ ، ولا يحابى إذا الآجالُ رجّت منه لينا

وجيشٍ من غُزاةٍ عن غزاة همُ الأبطالُ فى ماضٍ وآتى
ومن كرمٍ أذلُّوا كل عاتى وذلُّوا فى قتال المؤمنينا

أبعد بلائِهم فى كلِّ حرب وضربٍ فى الممالكِ أىِّ ضرب
تحاولُ صبيةٌ فى زىِّ شعب وتطمع أن تدوسَ لهم عَرِينا ؟

جنودٌ للجراحِ الدهرَ مِرهَمْ يدبرُوها البعيدُ الصيتِ أدهمْ
فأنجدَ فى تساليةٍ وأتهَمْ وكنت للعدا حصنا حصيناً(٢)

أروترُ ، لا تدسّ السم دسًّا ومهلاً فى التهوّس يا (هَوَسا)(٣)

---

(١) تجرا : مخفف تجرأ .
(٢) تسالية : موقعة من مواقع هذه الحرب . وانجد واتهم : نزل نجدا وتهامة والمراد انه اتى على كل ما فيها ما ارتفع منه وانخفض .
(٣) هوسا : المراد به هافاس ، وهى الشركة البرقية المعروفة .

سلِ اليونانَ: هل ثبتت (لرِسّا) وهل حُفِظَ الطريقُ إلى أثينا ؟(١)

معاذَ الله ، كَلّا ، ثم كَلّا هم البحارةُ الغرُّ الأَجِلا !
وما أسطولُهم فى البحر إلا (شَخاشِخُ) مايَرُحنَ وما يجينا !(٢)

وكم بعثوا جيوشاً من أمانى أتت دارَ السعادة فى أمان
وما سارت سوى يومَىْ زمان فأهلاً بالغزاة الفاتحينا !

وكم باتوا على هَرْجٍ ومَرْجٍ وقالوا : المالُ مبذولٌ لجورجى(٣)
وكلُّ المالِ من دخْلٍ وخَرْجٍ ديونٌ لا تقدّرها ديونا !(٤)

وكم فتحوا الثغورَ بلا توانى وبالأُسطولِ جاءوا من موانى
وللبيسفورِ طاروا فى ثوانى فأهلاً بالأوزِّ العائمينا(٥)

وفى الآستانة انتصروا انتصارا وبطرسبرجَ دكُّوها حصارا
فيا للمسلمين وللنصارى وقيصرَ والملوكِ الآخرينا !

ويا غليومُ ، أين لك الفِرارُ إذا جورجى وعسكرُه أغاروا ؟
فضاقت عن سفينِهمُ البحارُ وضاق البرُّ عنهم واجفينا !

أمورٌ تضحكُ الصبيانُ منها ولا تدرى لها العقلاءُ كُنْها

(١) لرسا : موقعة من مواقع هذه الحرب .
(٢) شخاشخ : جمع (شخشيخة) وهى لعبة معروفة للاطفال .
(٣) الهرج والمرج : الفتنة والاختلاط .
(٤) لا تقدرها ديونا : اى لضآلتها ، والمراد فى كل هـــذه الابيات التهكم باليونان .
(٥) وصف الاوز بجمع المذكر ، قد يراد به التعظيم .

فسَلْ روتبرْ ، وسَلْ هافاسَ عنها　　فإن لديهما الخبرَ اليقينا

ويومَ مَلونَ إذ صحنا ، وصاحوا　　ذكرنا الله من فرح ، وناحوا
ودارتْ بينهم بالراح راحُ　　ودارتْ راحةُ الإيمان فينا(١)

على الجبلين قد بتنا ، وباتوا　　وقُتناهم منيَّتهم . وقاتوا
وقد متنا ثباتاً ، واستماتوا　　وما البسلاءُ كالمستبسلينا

خسفنا بالحصون الأرضَ خسفا　　تزيد تأبِّياً فنزيد قذفا
بنارٍ تنسِفُ الأجبالَ نسفا　　وتلقَفُ نارَهم والمطلقينا

مدافعُ ما تئوبُ بغير زادِ　　براكينٌ تصوبُ بلا نفاد(٢)
نصبناها لهم في كل وادي　　فكنّ الموتَ ، أو أهدى عيونا

جعلنا الأرضَ تحتَهمُ دماءَ　　وصيَّرنا الدخانَ لهم سماءَ
وإذ راموا من النار احتماءَ　　حَمَتْ أسيافُنا منهم متينا

وربَّ مجاهدٍ شيخٍ مُبَجَّل　　ترجلتِ الجبالُ وما ترجَّلْ
أرادَ ليركبَ الموتَ المحجَّل　　إلى أجدادِه المستشهدينا

وفى لجوادِه ، وحنا عليه　　وقد شَخَصتْ بنادقُهم إليه
وصابَ رصاصُها يُدْمِى يديه　　وأوشكتِ السواعد أن تخونا

تعوَّدَ أن يصيبَ ، وأن يُصابا　　فخوطبَ فى النزول ، فما أجابا

---

(١) ملون : موقعة ، والراح الاولى : الاكف ، والثانية : الخمر ،
(٢) تصوب : اى يسقط حممها كالمطر .

وقال — وقد قضى — قولاً صوابا : هنا فليطلب المرءُ المَنونا

وقد زاد البسالةَ من وقارِ هِزبر من ليوثِ الترك ضارى
تقدم نحو نارٍ أى نارِ ليسبِقَ نحوَ خالِقه القرينا

جرى ، فأذلّ هاتيكَ الأُلوفا وزحزح عن مواضعها الصفوفا
فخاض إلى مكامنِها الحُتوفا وما هاب الرُّماةَ مسدِّدينا

دعا لله فى وجه الأعادى كليثٍ زائرٍ فى بطن وادى
فلبّتْه الفيالقُ والأرادى ودارَ هلالُ رايتنا يمينا(١)

فلما أذعنوا أنّا المنايا وأنّا خيرُ من قاد السرايا(٢)
تفرّق جمعُهم إلّا بقايا على قُلَل الجبالِ مُجندَلينا

صلاةُ الله ربى والسلامُ على قتلى بفرسالو أقاموا(٣)
هم الشهداء ، حولَ الله حاموا فأدناهم ، وكانوا الفائزينا

أنالوا الملك فتحاً أىَّ فتح وشادوا للخلافةِ أىَّ صرحِ
وجاءوا ربّهم منهم بذِبْح تَقَبَّلَه ، وكان به ضنينا(٤)

سلاماً سفحَ فرسالو سلاما وكن خيرَ المُقامِ لمن أقاما
وضمَّ بها وإن بليتْ عظاما تطيف بها الملائك حائمينا

---

(١) الأرادى : جمع اردى ، وهو الجيش .
(٢) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش .
(٣) فرسالو : موقعة .
(٤) الذبح : ما يذبح .

أأدهمُ ، هكذا تُقْنَى المعالى وتُقْنَى بالقواضِب والعوالى(١)
لقد بيَّضْتَ للملْك الليالى بسيفٍ يفضح الفجرَ المبينا

أخذتَ النصرَ بالجبلين غصبا وكنتَ الليثَ تخطاراً ووثبا
حملْتَ ، فماجَتْ الحُمْلانُ رُعْبا يظنُّهمُ الجهولُ مقاتلينا

وفى فرسالَ قد جئتَ العُجابا بسطتَ الجيشَ تقرؤه كتابا
وقد أحصيتَه باباً فبابا وكانوا عن كتابك غافلينا

ثبتَّ مؤمَّلا منك الثباتُ توافيكَ الرسائلُ والسُّعاةُ
وحولَكَ أهلُ شوراك الثقاتُ تسوسون الجيوش مظَفَّرينا

هناك الصحْفُ سارت حاكيات وطيَّرتِ البروقُ محدِّثات
وحدّثتِ الممالكُ آخذاتِ علومَ الحربِ عنكم والفنونا

بنى عثمانَ ، إنا قد قَدَرنا فتوحَكمُ الكِبارَ وقد شكرنا
سألنا الله نصراً ، فانتصرنا بكم ، والله خيرُ الناصرينا

---

(١) القواضب : السيوف . والعوالى : الرماح .

الدستور العثمانى

بشرى البريةِ قاصيها ودانيها — حاطَ الخلافةَ بالدستورِ حاميها(١)
لما رآها بلا ركنٍ تداركَها — بعد (الخليفة) بالشورى ، وناديها(٢)
وبالأبيِّين من قومٍ أماتهم — بُعدُ الديارِ ، وأحياهم تدانيها(٣)
حنّوا إليها كما حَنّتْ لهم زمناً — وأوشك البينُ يُبليهم ، ويُبليها(٤)
مُشتّتين على الغبراء ، تحسبُهم — رحّالةَ البَدْو هاموا فى فيافيها(٥)
لايقربُ اليأسُ فى البأساء أنفسَهم — والنفسُ إن قَنَطَتْ فاليأسُ مُرْديها(٦)

* * *

أسدى إلينا (أميرُ المؤمنين) يدًا — جلّت ، كما جلّ فى الأملاكِ مُسديها(٧)
بيضاء ، ما شابَها للأبرياء دمٌ — ولا تكدّر بالآثامِ صافيها(٨)

---

(١) حاط الخلافة : حفظها وتعهدها . وحاميها : هو الله تعالى .

(٢) الشورى : التشاور فى الأمر ، والمراد الرجوع فى الحكم الى رأى الأمة .

(٣) الابيون : جمع أبى من الاباء ، وهو الكبر والنخوة (٤) البين : الفرقة .

(٥) البدو : الصحراء . ورحالة البدو : أى الرحالة من أهل البدو . وهاموا : ذهبوا لايدرون أين يتوجهون . والفيافى : جمع فيفاء ، وهى المكان المستوى ، أو المفازة لا ماء فيها .(٦) اليأس : ان يقطع الانسان أمله من الشىء ، وهو القنوط ايضا (٧) اسدى : احسن . وامير المؤمنين : هو السلطان عبد الحميد . واليد : النعمة ، والمراد الدستور . وجلت : عظمت . والأملاك : الملوك .

(٨) بيضاء .. الخ : وذلك أنه لم تكد امة تستخلص الحكم من الملك المستبد به ، وتعيده الى رأيها ، الا بعد حرب تقع بينه وبينها ، ولكن السلطان عبد الحميد لم يكد يعلم أن الجيوش زاحفة لتستخلص الحكم الشورى حتى رضيه وأقره ، فلم تقع يومئذ حرب ، ولا اريقت دماء ، وان كانت قد حدثت بعد ذلك فتنة اريد بها ارجاع الاستبداد ، وانتهت بخلع السلطان .

وليس مُستعظَماً فضلٌ ، ولا كرمٌ من صاحب (السكة الكبرى) ومُنشيها(١)
إن الندَى والرضَى فيه وأُسرتِه والله للخير هاديه وهاديها
قومٌ على الحبِّ والإخلاص قد ملكوا وحسبُ نفسك إخلاصٌ يُزكِّيها(٢)
إذا الخلائفُ من بيتِ الهدى حُمِدَتْ أعلى الخواقينَ مِنْ عثمانَ ماضيها(٣)
خلافةُ الله فى أحضانِ دولتهم شابَ الزمانُ ، وما شابت نواصيها
دروعُها تحتمى فى النائباتِ بهم من رمح طاعنِها ، أو سهمِ راميها

* * *

الرأيُ رأىُ «أميرِ المؤمنين» إذا حارتْ رجالٌ وضلَّتْ فى مرائيها(٤)
وإنما هى شُورى اللهِ ، جاء بها كتابُه الحقُّ ، يُعليها ، ويُغليها
حقَنتَ عند مناداةِ الجيوش بها دمَ البريَّةِ إرضاءً لباريها(٥)
ولو منعت أُريقت للعباد دِماً وطاحَ من مُهَجِ الأجناد غاليها(٦)
وَمَنْ يَسُسْ دولةً قد سُسْتَها زمنًا تهُنْ عليه من الدنيا عواديها(٧)
أَتى ثلاثون حولاً لم تذُقْ سِنةً ولا استخفَّكَ للذَّاتِ داعيها
مُسَهَّد الجفنِ ، مكدودَ الفؤادِ بما يُضنى القلوبَ ، شجىَّ النفس ، عانيها(٨)

---

(١) السكة الكبرى : هى السكة الحديدية الحجازية ، وقد انشأتها الدولة فى أيامه . (٢) يزكيها : يطهرها .

(٣) الخلائف : جمع خليفة . وبيت الهدى : هو بيت النبـوة . والخوافين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من الترك . وعثمان : هو مؤسس الدولة التركية .

(٤) المرائى : الآراء ، جمع مراى .

(٥) حقنت دم البرية : منعته أن يسفك . والبرية : الخلق . والبارى : الخالق

(٦) أريقت ، من أراق الماء : صبه والدما : جمـع دم . وطاح ، هلك . والمهج : الارواح . والأجناد : العسكر ، جمع جند .

(٧) عواديها : جمع عادية من عدا عليه : ظلمه ، اى العوادى التى تصيبه منها .

(٨) مسهد الجفن : من سهده ؛ بالتشديد جعله يسهد . اى لا ينام . ومكدود الفؤاد : متعبه . ويضنى القلوب : يثقلها . وشجى النفس :مشغولها والعانى : الأسير .

تَكادُ من صُحبةِ الدنيا وخِبْرتِها   تسىءُ ظَنَّك بالدنيا ومافيها

* * *

أَما ترى المُلكَ فى عرسٍ وفى فرح   بدولةِ الرأيِ والشورى وأهليها؟
لمَّا استعدَّ لها الأَقوامُ جِئتَ بها   كالماءِ عند غليلِ النفسِ صاديها؟(١)
فضلٌ لذاتك فى أعناقِنا ، ويدٌ   عند الرعيةِ من أسنى أياديها(٢)
خلافةُ اللهِ جرَّ الذيلَ حاضرُها   بما منحتَ ، وهزَّ العطفَ باديها(٣)
طارت قناها سرورًا عن مراكِزها   وألقت الغِمد إعجاباً مواضيها(٤)
هبَّ النسيمُ على «مقدونيا» بَردًا   من بعد ماعَصَفَتْ جمرًا سوافيها(٥)
تغلى بساكنِيها ضِغنًا ونائرةً   على الصدور إذا ثارت دواعيها(٦)
عاثت عصائبُ فيها كالذئاب عَدَتْ   على الأَقاطيعِ لمَّا نام راعيها(٧)
خَلالها من رسُوم الحكم دارسُها   وغَرَّها من طلول الملك باليها(٨)

---

(١) الغليل : شدة العطش • وغليل النفس : أى مغلولها ، من غل الرجل يضم الغين : اشتد عطشه • وللصادى : الشديد العطش ايضا •

(٢) اليد هنا : النعمة (٣) الحاضر : المقيم فى الحضر • والبادى : المقيم فى البادية •

(٤) مراكزها : جمع مركز ، من ركز القناة ، اذا غرزها في الأرض . والغمد : جفن السيف . والمواضى : السيوف . . (٥) مقدونيا : هى اقاليم البلقان ، من تركية أوربة . والبرد : حب الغمام . والعصف : اشتداد الريح • والسوافى : الرياح تذرى التراب ، جمع سافية • (٦) تغلى : أى مقدونية • والضغن : الحقد • والنائرة : يقال : نارت فى الناس نائرة، أى هاجت هائجة ، ودواعى الصدور : همومها •

(٧) عاثت : افسدت . والعصائب : جمع عصابة ، وهى الجماعة من الرجال ، قيل : العشرة ، وقيل : مابين العشرة الى الاربعين • عدت : وثبت • والاقاطيع : جمع قطيع ، وهو الطائفة من الغنم • (٨) الرسم الدارس : العافى القديم . والطلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار .

فسامَرَ الشرُّ فى الأَجبالِ رائحُها   وصبَّح السهلَ بالعدوانِ غاديها(١)
مظلومةٌ فى جوار الخوفِ، ظالمةٌ   والنفسُ مؤذيةٌ من راحَ يؤذيها
رثتْ لها وبكتْ من رقَّةٍ دوَلٌ   كالبوم يبكى رُبُوعًا عزَّ باكيها(٢)
أعلامُ مملكةٍ فى الغرب خائفةٌ   لآل عثمانَ كادَ الدَّهرُ يطويها
لمَّا مُلئنا قنوطاً من سلامتها   تَوَثَّبَتْ أُسُدُ الآجام تحميها(٣)
من كل مستبسلٍ يرمى بمهجتِه   فى الهول إن هى جاشت لايراعيها(٤)
كأنَّها — وسلامُ الملك يطلبها —   أمانةٌ عند ذى عهدٍ يؤدِّيها

* * *

الدينُ لله، من شاء الإلٰهُ هَدَى   لكل نفسٍ هَوًى فى الدين داعيها
ما كان مُخْتلِفُ الأديانِ داعيةً   إلى اختلافِ البرايا، أو تعاديها
الكُتْبُ، والرسْلُ، والأَديانُ قاطبةً   خزائنُ الحكمةِ الكبرى لِواعيها
محبةُ اللهِ أصلٌ فى مراشِدها   وخَشيةُ اللهِ أُسٌّ فى مبانيها(٥)
وكل خيرٍ يلقَّى فى أوامرها   وكل شرٍّ يوقَّى فى نواهيها
تسامُحُ النفسِ معنًى من مروءتها   بل المروءةُ فى أسمى معانيها

---

(١) فسامر الشر: من المسامرة، وهى الحديث ليلا. وصبح، بتشديد الباء: أتاه صباحا. (٢) رثت لها: رحمتها. وهذا البيت والأبيات قبله وصف لحالة مقدونيا، وذلك أن دول أوربة كانت دائما تدبر المكايد للدولة التركية، وكانت تجد مقدونية أصلح مكان لمكايدها؛ لما بين أهلها من اختلاف كثير فى الجنس والدين واللغة، وكانت الدولة العلية لا تكاد تطفىء فتنة فى ناحية منها حتى تشب فتنة فى ناحية اخرى، وكلما كانت تتذرع بالقوة واظهار الحزم فى القضاء على أصحاب الثورات كان يشتد خوف الناس فى هذا الاقليم.

(٣) يريد بأسد الآجام: رجال الجيش الذين طلبوا من السلطان عبد الحميد اعلان الدستور فأذعن لهم.

(٤) المستبسل: المستقتل والمهجة: الروح. والهول: الخوف من الأمر لايدرى ما يهجم عليه منه. وجاشت: اضطربت.

(٥) المراشد: مقاصد الطرق.

تخلَّقِ الصفحَ تسعدْ في الحياةِ به ... فالنفسُ يسعدها خُلْق ويُشقيها(١)
اللهُ يعلمُ ما نفسِي بجاهلةٍ ... مَن أهلُ خِلَّتها ممن يُعاديها ؟(٢)
لئن غدوتُ إلى الإحسانِ أصرفها ... فإن ذلك أجرى من معاليها
والنفسُ إن كبرت رقَّتْ لحاسدِها ... واستغفرت كرماً منها لشانيها(٣)

* * *

ياشعبَ عثمانَ من تركٍ ومن عربٍ ... حيّاكَ مَنْ يبعث الموتى ويُحييها
صبرتَ للحقِّ حين النفسُ جازعةٌ ... واللهُ بالصبر عند الحقِّ موصيها
نِلْتَ الذى لم ينله بالقنا أحدٌ ... فاهتفْ (لأنورها) وأحمدْ (نيازيها)(٤)
ما بين آمالِك اللائى ظفِرْتَ بها ... وبين (مصر) معانٍ أنتَ تدريها

---

(١) تخلق الصفح : اى أجعله خلقا لك . والصفح : الاعراض عن ذنوب الغير .

(٢) الخلة (بكسر الخاء) : المصادقة والاخاء .

(٣) شانيها : مبغضها .

(٤) القنا : الرماح ، جمع قناة . وانور ونيازى : هم بطلا الدستور العثمانى المشهوران .

الهلال والصليب الأحمران

(جبريل)، أنت هدى السما ء، وأنت برهانُ العِنايه (١)
أَبِسُطْ جَناحَيْكَ اللذيْ ـن هما الطهارةُ والهدايه
وَذِدِ (الهلالَ) من الكرا مةِ، و(الصليبَ) من الرعايه
فهما لربِّك رايةٌ والحربُ للشيطان رايه
لم يخلق الرحمن أكـ بر منهما في البِرِّ آيه
الأحمران عن الدم الـ غالى وحرمتِه كنايه(٢)
الغـــاديان لنجـــدةٍ الرائحان إلى وقايه(٣)
يتألّقان على الوَغى رشدًا تَبَيَّن من غوايه(٤)
يقفان في جنب الدُّما كالعُذْرِ في جنب الجنايه
لو خَيَّما في (كربلا) لم يُمْنع (السِّبْطُ) السِّقايه(٥)
أو أدركا يوم المسيـ ح لعاوناه على النكايه(٦)
ولناولاهُ الشهدَ، لا الـ خَلَّ الذى تصِفُ الروايه(٧)

---

(١) جبريل: من الملائكة مختص بالوحى.
(٢) الأحمران .. الخ: اى اللذان جعلا احمرين ليكنى بهما عن الدم وحـــرمته.
(٣) النجدة: الاعانة. (٤) يتألقان: يلمعـــان ويضيئان.
(٥) كربلا: مدينة في العراق بها قبر الحسين بن على رضى الله عنهما. والسبط: ولد الولد: والحسين سبط النبى صلى الله عليـــه وسلم. يشير بذلك الى مقتل الحسين؛ وما قيل من أن قتلته منعـــوا عنه الماء حين طلبه وهو فى النزع.
(٦) يوم المسيح: اى اليوم الذى يزعم النصارى أن المسيح صلب فيه.
(٧) ولناولاه الشهد .. الخ: وذلك أن النصارى تدعى أن المسيـــح طلب وقت شدة الصلب ماء فاعطوه خلا.

يـأيها (اللادى) التى ألقت على الجرحَى حِمايه(١)
أبلَيْتِ فى نزع السها م بلاءَ دَهْرِكِ فى الرمايه(٢)
ومررتِ بالأسرى ، فكنـ تِ نسيمَ واديهم سِرايه(٣)
وبناتُ جنسكِ إن بَنَيْـ نَ البِرَّ أَحْسَنَّ البنايه
بالأمس لادى (لوثر) لم تألُ جيرتَها عنايه(٤)
أسْدَتْ إلى أهل الجنو د يدًا ، وغالت فى الحفايه(٥)
ومُحجَّباتٍ هنّ أطـ هرُ عند نائبةٍ كفايه(٦)
يشبعفن رِيًّا ، أو قِرًى كنساء طَيٍّ فى البدايه(٧)
إن لم يكنَّ ملائكَ الر حمن كُنَّ هُمُ حِكايه(٨)
لَبَيْنَ دعوتَكِ الكريـ مةَ ، واستبقن البرَّ غايه(٩)
المحسنون همُ اللبا بُ ، وسائرُ الناسِ النفايه(١٠)
يا أيها الباغون ، ركا بَ الجهالة والعَمايه

---

(١) اللادى : لقب عام لزوجات لوردات الانكليز ، وهى هنا زوجة المعتمد البريطانى فى مصر أثناء الحرب الكبرى ، وذلك انها قامت بجمع المال إعانة للصليب الأحمر ، وتدعو الى ذلك .
(٢) أبليت ، من أبلى فى الحرب : اظهر بأسه حتى اختبره الناس وامتحنوه .
(٣) السراية : مصدر سرى ، اى تسلل .
(٤) لادى لوثر : انكليزية أخرى . ولوثر : اسم زوجها . والجيرة : الجيران .
(٥) الحفاية : الحفاوة ، وهي أن تتلطف بالرجل وتبالغ فى اكرامه وتظهر السرور به ، (٦) ومحجبات :أى ورب نساء محجبات لسن سافرات مثلكن . والكفاية : ما يحمل به الاستغناء والقناعة .
(٧) الرى : (بكسر الراء وفتحها) : اى تشرب الماء حتى تشبع . والقرى : ما قرى به الضيف . وطى : قبيلة من العرب مشهورة بالكرم .
(٨) الملائك : جمع ملك ، بفتح اللام .
(٩) لبين : اجبن . واستبقن البر : جاوزنه (١٠) اللباب : المختار الخالص من الشىء . والنفاية (بضم النون وفتحها) : ما نفيته من الشىء لرداءته .

الباعثونَ الحربَ حُبّـــاً للتوسُّع فى الولايه
المدَّعون على الورى حقَّ القيامةِ والوصايه
المثكِلون ، الموتِمو ن ، الهادِمون بلا نهايه(١)
كلٌّ الجِراح لها التئا م من عزاءٍ أو نِسايه(٢)
إلاَّ جراح الحقِّ فى عصر الحصافة والدرايه(٣)
ستظلُّ داميةً إلى يوم الخصومة والشكايه

(انتهى)

(١) المثكلون ، من اثكلها ولدها : أماته . والموتمون : الذين يجعلون الابناء يتامى بقتل آبائهم فى الحرب
(٢) النسايه : النسيان .
(٣) الحصافة : استحكام العقل وجودة الراى .

فهـرس
الجزء الأول من الشوقيات

صفحة

٣ مقدمه الطبعة الأولى بقلم الدكتور محمد حسنين هيكل .

١٧ كبار الحوادث فى وادى النيل ،مطلعها :

همت الفلك ، واحتواها المـاء وحداها بمن تقـل الرجاء

٣٤ الهمزية النبوية ، مطلعها :

ولد الهدى ، فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثنـاء

٤٢ صدى الحرب ، مطلعها :

بسيفك يعلو الحق،والحق أغلب وينصر دين الله أيـان تضرب

٥٩ انتصار الأتراك ، مطلعها :

الله أكبر ، كم فى الفتح من عجب ياخالد الترك جدد خالد العرب

٦٤ بعد المنفى ، مطلعها :

أنادى الرسم لو ملك الجوابا وأجـزيه

٦٨ ذكرى المولد ، مطلعها :

سلوا قلبى غداة سـلا وتابا لعل على الجمـال له عتـابا

٧٢ مشروع ملنر ، مطلعها :

اثن عنان القلب ؛ واسـلم به من ربرب الرمـل ، ومن سربه

٧٦ مشروع ٢٨ فبراير ، مطلعها :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبـا وفاز بالحق من لم يأله طلبـا

٨٠ الله والعلم ، مطلعها :

لمن ذلك الملك الذى عز جانبه ؟ لقد وعظ الأملاك والناس صاحبه

٨٤ ذكرى كارنارفون ، مطلعها :

فى الموت ما أعيا وفى أسـبابه . كل امرىء رهن بطى كتـابه

صفحة

٩٠ أيها العمال ، مطلعها :

أيها العمـــال ، افنوا الـ ـعمر كدا واكتســـــابا

٩٢ نجاة ، مطلعها :

هنيئا أمير المؤمنين ، فانمـــا نجاتك للدين الحنيف نجـــاة

٩٨ الى عرفات ، مطلعها :

الى عرفات الله ياخـير زائـر عليك ســــلام الله فى عرفات

١٠٢ مصر تجدد مجدها ، مطلعها :

قم حى هذى النيـــــرات حى الحســـان الخيـــرات

١٠٥ خلافة الاسلام ؛ مطلعها :

عادت أغانى العرس رجع نواح ونعيت بين معـــــالم الأفراح

١٠٩ تكريم ، مطلعها :

بأبى وروحى الناعمات الغيـدا الباسمات عن اليتيـم نضيدا

١١٣ على سفح الأهرام ، مطلعها :

قف ناج أهرام الجلال ، وناد: هل من بناتك مجلس أو ناد ؟

١١٦ المطرية تتكلم ؛ مطلعها :

ياناشر العـــلم بهذى البلاد وفقت ، نشر العلم مثل الجهاد

١١٩ الانقلاب العثمانى ؛ مطلعها :

ســل « يلدزا » ذات القصــور هل جاءها نبــأ البــدور ؟

١٢٥ انتحار الطلبة ، مطلعها :

ناشىء فى الورد من أيـــامه حسبه الله ، أبالورد عثــر ؟

١٢٩ عبث المشيب ؛ مطلعها :

ظلم الرجال نساءهم ،وتعسفوا هل للنساء بمصر من أنصار ؟

صفحة

١٣٢ أبو الهول ، مطلعها :

أبا الهـول ؛ طال عليك العصر   وبلغت فى الأرض أقصى العمر

١٤٥ مملكة النحل ، مطلعها :

مملكة   مدبرة   بامرأة   مؤمرة

١٤٩ فى سبيل الهلال الاحمـــــر ، مطلعها :

جبريل ، هلل فى السماء ، وكبر   واكتب ثواب المحسنين وسطر

١٥١ الأزهر ، مطلعها :

قم فى فم الدنيا ، وحى الأزهرا   وانثر على سمع الزمان الجوهرا

١٥٤ وداع فروق ، مطلعها :

تجلد للرحيل ، فما استطاعا   وداعا جنة الدنيـــــا وداعا

١٥٥ رحالة الشرق ، مطلعها :

أقدم ، فليس على الاقدام ممتنع   واصنع به المجد ، فهو البارع الصنع

١٥٨ براءة ، مطلعها :

النـــاس للدنيـــــا تبــــع   ولمن تحــــالفه شــــيع

١٥٩ الصحافة ؛ مطلعها :

لـــكل زمـــان مضى آية   وآية هـــذا الزمان الصـــحف

١٦١ عيد الفداء ، مطلعها :

أما العتاب فبالأحبـــــة أخلق   والحب يصلح بالعتاب ، ويصدق

١٦٢ نكبة بيروت ، مطلعها :

يارب أمرك فى الممـــالك نافذ   والحكم حكمك فى الدم المسفوك

١٦٣ تكليل أنقرة ، مطلعها :

قم ناد (أنقرة) ، وقل يهنيــك   ملك بنيت على سيوف بنيك

صفحة

١٦٩ عيد الدهر ، مطلعها :
الملك بين يديك فى اقبـــاله عـــوذت ملكك بالنبى وآلـــه

١٧٢ وداع اللورد كرومر ، مطلعها :
أيامكم ، أم عهـــد اسماعيلا ؟ أم أنت فرعون يسوس النيلا ؟

١٧٦ بين الحجاب والسفور ، مطلعها:
صـــداح ، ياملك الكنـــار ويا أميــــر البلبـــــل

١٨٠ العلم والتعليم ، مطلعها :
قم للمعـــــلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رســـــولا

١٨٤ بنك مصر ؛ مطلعها :
قف بالممالك ، وانظر دولة المال وانظر رجالا أدالوها باجمـــال

١٨٥ مرحبا بالهلال ، مطلعها :
العام أقبـــل ، قم نحى هلالا كالتاج فى هام الوجـــود جلالا

١٨٨ ياشباب الديار ، مطلعها :
غال فى قيمة ابن بطرس غالى علم الله ، ليس فى الحق غالى

٢٠١ نهج البردة ؛ مطلعها :
ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

٢٠٨ خاتمة رياض ، مطلعها :
كبير الســـابقين من الكرام برغمى أن انالك بالمـــلام

٢١١ ضجيج الحجيج ، مطلعها :
ضج الحجاز ، وضج البيت الحرم واستصرخت ربها فى مكة الأمم

٢١٥ استقبال ، مطلعها :
ياراكب الريح حى النيل والهرما وعظم السفح من سيناء والحرما

٢١٨ أرسطاليس وترجمـــاته ، مطلعها :
علمت بالقـــلم الحـــكيم وهـــديت بالنجـــم الكريم

صفحة

٢٢١ شهيد الحق ، مطلعها :

الام الخلف بينـــكم ؟ الاما ؛ وهذى الضجة الكبرى علاما ؟

٢٢٥ تحية للترك ، مطلعها :

الدهر يقظان ، والاحداث لم تنم فما رقادكم يا أشرف الأمم ؟

٢٢٦ الأسطول العثمانى ، مطلعها :

هز اللواء بعزك الاســـلام وعنت لقائم سـيـفك الأيام

٢٣٠ الأندلس الجديدة ، مطلعها :

يا أخت أندلس ، عليك سلام هوت الخلافة عنك ، والاسلام

٢٣٩ ضيف أمير المؤمنين ، مطلعها :

رضى المسلمون والاســـلام فرع عثمان ، دم ، فداك الدوام

٢٤٤ ذكرى دنشواى ، مطلعها :

يادنشواى ، على رباك سلام ذهبت بأنس ربوعـك الأيام

٢٤٥ الهلال الأحمر ، مطلعها :

ياقوم عثمان ـ والدنيا مداولة ـ تعاونوا بينكم ياقوم عثمـانا

٢٤٨ رومة ، مطلعها :

قف بروما ، وشاهد الأمر ، واشهد أن للملك مالكا سبـحانه

٢٥٣ على قبر نابليون ، مطلعها :

قف على كنز بباريس دفين من فريد فى المعـالى وثمين

٢٥٩ تكريم ، مطلعها :

وطن يرف هوى الى شـبانه كالروض رفته على ريحـانه

٢٦٦ توت عنخ آمون ، مطلعها :

نجـا وتماثل ربانهـا ودق البشـائر ركبانهـا

٢٦٦ توت عنخ آمون ، مطلعها :

قفى ـ ياأخت (يوشع) ـ خبرينا أحاديث القـرون الغابرينا

صفحة

٢٧٥ تحية المؤتمر الجغرافى ، مطلعها

هل تهبط النيرات الأرض أحيانا؟ وهل تصور أفرادا وأعيانا ؟

٢٧٨ الصليب الأحمر مطلعها :

سريا (صليب) الرفق فى ساح الوغى وانشر عليها رحمة وحنـــــانا

٢٨٠ تحية للترك ، مطلعها :

بحمد الله رب العالمينـــــــــا وحمدك يا أمير المؤمنينـــــا

٢٨٦ الدستور العثمانى ، مطلعها :

بشرى البرية قاصيها ودانيهـــا حاط الخلافة بالدستور حاميها

٢٩١ الهلال والصليب الأحمـــــران مطلعها :

(جبريل) : أنت هدى السماء وأنت برهـــــان العنـــــاية

الشوقيات

شعر المرحوم

أحمد شوقي

الجزء الثاني

باب الوصف

آيةُ الْعَصْر فى سَمَاءِ مِصْرَ

نظمت عند قدوم (فدرين) و(يونيه) طائرين من باريز إلى مصر سنة ١٩١٤ :

يافرنسا ، نِلْتِ أسبابَ السماءْ وتملَّكتِ مقاليدَ الجواءْ(١)
غَلبَ النَّسرُ على دولته وتنحَّى لك عن عرشِ الهواءْ
وأتتْكِ الريحُ تمشى أمَةً لكِ - يابلقيْسُ - من أوفى الإماءْ(٢)
رُوِّضتْ بعدَ جِماحٍ ، وجرتْ طوعَ سُلطانيْنِ : علمٍ ، وذكاءْ
لكِ خَيْلٌ بجَنَاحٍ أشبهت خَيْلَ جبريلَ لنصرِ الأنبياء
وبَرِيدٌ يسحبُ الذيلَ على بُرُد(٣) فى البرِّ والبَحْرِ بِطاءْ(٤)
تطلعُ الشمسُ ، فيَجْرى دُونها فوقَ عُنْقِ الرِّيحِ ،أومتْنِ العَمَاءْ(٥)
رِحلةُ المشرقِ والمغربِ ما لبثتْ غيرَ صَبَاحٍ وَمَسَاء
بُسلاءُ الإنسِ والجنّ فِدًى لِفريقٍ من بَنيكِ البُسلاء
ضاقت الأرضُ بهم ، فاتَّخذُوا فى السَّمٰوات قبورَ الشهداء
فِتيةٌ يُمْسون جِيرانَ السُّها سُمَرَاءَ النجْمِ فى أوجِ العَلاءْ(٦)
حُوَّماً فوقَ جبالٍ لم تكن للرياحِ الهُوجِ يوماً بِوِطاء
لِسليمانَ بِساطٌ واحِدٌ ولهم ألفُ بِساطٍ فى الفضاء
يركبُون الشُّهْبَ والسُّحْبَ إلى رِفْعَةِ الذكرِ ، وعَلياءِ الثناء

---

١ ــ اسباب السماء : مراقيها ، أوطرقها ، أو نواحيها ، او أبوابها
٢ ــ الأمة : المملوكة ، وبلقيس : صاحبة نبى الله سليمان الذى سخرت له الريح ــ ٣ ــ برد : جمع بريد ــ ٤ ــ بطاء : جمع بطىء ــ ٥ ــ العماء : السحاب المرتفع ، او الكثيف ، اوالمطر ، أو الرقيق ــ ٦ ــ السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .

يا « نسورًا » هَبطوا « الوادى » على سالِف الحُبِّ ، ومأثورِ الوَلاء
داركُم مصرُ ، وفيها قومُكم مرحباً بالأقربينَ الكُرَماء
طِرتمُ فيها ، فطارت فرحاً بأعزِّ الضيفِ خيْرِ النزلاء(١)
هَل شجاكم فى ثَرى أهرامِها ما أرَقْتُمْ من دُموع ودماء ؟
أين نَسرٌ قد تلقَّى قبلكم عِظة الأجيالِ مِنْ أعلى بِناء ؟(٢)
لو شهِدتم عصرَه ! أضحى له عالمُ الأفلاكِ معقودَ اللواء
جَرَحَ الأهرامَ فى عِزَّتها فمشى للقبر مجروحَ الإباء
أخَذَتْ تاجاً بتاجٍ ثأرَها وَجَزَتْ من صَلفٍ بالكبرياء(٣)
وَبَنَت لو حَوَت أعْظُمَه بين أبناء الشموسِ العُظماء

* * *

جلَّ شأنُ الله هادى خَلْقِه بِهُدَى العِلم ، ونورِ العلماء
زفَّ من آياته الكبرى لنا طِلْبةً طال بها عَهدُ الرجاء
مركبٌ لو سلف الدهرُ به كان إحدى مُعجزاتِ القدَماء
نصفُه طيرٌ ، ونصفٌ بشرٌ ! يالها إحدى أعاجيب القضاء !
رائعٌ : مرتفعًا أو واقعاً . أنْفُسَ الشجعانِ قبلَ الجبناء
مُسرَجٌ فى كلّ حين ، مُلجَمٌ كامِلُ العُدّة ، مَرموقُ الرُّواء(٤)
كبِساطِ الريحِ فى القدرة ، أو هُدْهُدِ السيرةِ فى صِدق البلاء
أو كحُوتٍ يرتمى الموج به سابح بين ظُهور وخَفاء
راكب ما شاء من أطرافه لا يُرَى من مركب ذى عُدَوَاء(٥)

---

١ — الضيف : النـزيل على غيره ويكون للواحد والجمع لأنه فى الأصل مصدر .
٢ — يريد به نابليون الأول — ٣ — الصلف : مجاوزة قدر الظرف .
٤ — الرواء : حسن المنظر — ٥ — مركب ذى عدواء : اى ليس بمطمئن .

ملأ الجوَّ فعالاً ، وغدا   عَجَبَ الغربانِ فيه والحِداء
وترى السُّحْبَ به راعِدةً   من حديدٍ جُمِّعت ، لامن رَواء(١)
حمل الفولاذَ ريشاً ، وجرى   فى عنانيْن له : نارٍ ، وماء
وجَنَاحٍ غيرِ ذى قادمةٍ   كجَناح النحل مصقولٍ سَواء(٢)
وذُنابَى ، كلُّ ريحٍ مسَّها   مسَّهُ صاعقةٌ من كهرُباء
يتراءَى كوكباً ذا ذَنَب   فإذا جَدَّ فَسَهماً ذا مَضاء
فإذا جاز الثريّا للثرى   جرّ كالطاوُوس ذيلَ الخُيَلاء
يملأُ الآفاقَ صوتاً وصدًى   كعزيفِ الجنّ فى الأَرض العَرَاء
أرسلته الأرضُ عنها خبراً   طَنَّ فى آذانِ سكّانِ السماء

* * *

ياشبابَ الغدِ ، وأبناى الفِدَى   لكُمُ : أَكرِمْ وأعزِزْ بالفِداء
هل يمدُّ اللهُ لِى العيشَ ، عسى   أن أَراكم فى الفريقِ السُّعَداء ؟
وأَرى تاجَكُمُ فوق السُّها   وأرى عرشَكُمُ فوق ذُكاء؟(٣)
مَن رآكم قال : مصرُ استرجعتْ   عِزَّها فى عهد « خوفو » و « مِناء »
أُمَّةٌ للخلد ما تبنى ، إذا   ما بنى الناسُ جميعًا للعَفاء(٤)
تَعْصِمُ الأَجسامَ من عادى البلا   وتَقِى الآثارَ من عادى الفناء
إن أسأْنا لكُمُ ، أو لم نُسِئْ   نحن هَلْكَى ، فلكم طولُ البقاء
إنما مصرُ إليكمْ وبكمْ   وحُقوقُ البرِّ أَوْلى بالقضاء
عَصرُكم حرٌّ ، ومُستقبَلُكم   فى يمين الله خيرِ الأمناء
لا تقولوا : حطَّنا الدّهرُ ، فما   هو إلّا من خيالِ الشعراء

---

١ ــ الرواء : الماء العــذب ــ ٢ ــ القادمة : واحدة القوادم ، وهى عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش ــ ٣ ــ ذكاء : اسم للشمس ــ ٤ ــ العفاء : الدروس والهلاك والفناء

هل علمتمْ أمةً فى جهلها ... ظهرتْ فى المجد حسناء الرِّداء ؟
باطِنُ الأُمةِ مِن ظاهِرِها ... إنما السائلُ مِن لونِ الإناء
فخُذوا العلمَ علَى أعلامه ... واطلبوا الحكمةَ عندَ الحكماء
واقرءُوا تاريخكم ، واحتفظوا ... بفصيح جاءكمْ من فصحاء
أنزلَ اللهُ على ألسُنهِم ... وَحيَه فى أعْصُر الوَحْيِ الوِضاء(١)
واحكموا الدنيا بِسلطانٍ ، فما ... خُلِقتْ نَضْرتُها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض ، فإن ... هى ضاقت فاطلبوهُ فى السماء

شِيكِسْبِير

أعْلى الممالكِ ماكرسيُّه الماءُ ... وما دِعامتُه بالحقِّ شمَّاءُ(٢)
ياجيرةَ (المَنْشِ) ، حَلَّاكم أبُوَّتُكم ... ما لم يُطَوِّقْ به الأَبناءَ آباءُ
مُلكٌ يطاول ملكَ الشمس ، عِزَّتُه ... فى الغرب باذخةٌ ، فى الشرق قَعْساءُ(٣)
تأْوى الحقيقةُ منه والحقوقُ إلى ... رُكن بَناهُ من الأَخلاق بَنَّاءُ
أعلاه بالنظرِ العالى ، ونطَّقه ... بحائط الرأْى أشياخٌ أَجِلَّاءُ
وجَاطَهُ بالقَنا فِتيانُ مملكةٍ ... فى السلم زَهرُ رُبىً ، فى الروح أرزاءُ
يُسْتَصْرَخون ، ويُرجَى فضلُ نَجدتِهم ... كأنَّهم عربٌ فى الدهر عَرباءُ(٤)
ودولةٌ لا يراها الظنُّ من سَعَة ... ولا وراءَ مداها فيه عَلْياءُ
عصماءُ ، لاسببُ الرحمنِ مُطَّرَح ... فيها ، ولا رَحِمُ الإنسانِ قَطْعاءُ

---

١ — الوضاء : المشرقة الحسنة — ٢ — الدعامة أو الدعام : عماد البيت .
٣ — قعساء : اى ثابتة — ٤ — العرباء من العرب : الصرحاء الخلص .

تلك (الجزائرُ) كانت تحتَهم رُكُنًا … وراءَهُنَّ لباغي الصَّيدِ عَنْقَاءُ(١)
وكان وُدُّهُم الصافى ونُصْرَتُهم … للمسلمين وراعيهم كما شاءُوا

* * *

دستورُهم عجبُ الدنيا ، وشاعرُهم … يَدٌ على خلقهِ لله بيضاءُ
ماأنجبتْ مثلَ (شيكسبيرَ) حاضرةٌ … ولا نَمتْ من كريم الطير غَنَّاءُ(٢)
نالتْ به وَحْدَه (إنكلترا) شرفاً … ما لم تنلْ بالنجوم الكُثْر جَوْزاءُ(٣)
لم تُكْشَف النفسُ لولاهُ ، ولابُليت … لها سرائرُ لا تُحصَى وأهْوَاءُ(٤)
شِعرٌ من النَّسَق الأعلى، يُؤَيِّدُه … من جانب الله إلهامٌ وإيحاءُ
من كلّ بَيْتٍ كآيِ الله ، تسْكنُه … حَقيقةٌ من خَيَال الشِّعر غرَّاءُ(٥)
وكلٌّ معنًى كعيسى فى محاسنه … جاءتْ به من بناتِ الشعر عَذراءُ
أو قِصَّة ككتابِ الدهر جامعة … كِلاهُما فيه إضحاكٌ وإبكاءُ
مهما تُمَثِّلْ تُرَ الدنيا مُمَثَّلَةً … أو تُتْلَ فهى من الإنجيل أجْزاءُ

* * *

ياصاحبَ العُصُرِ الخالى : ألا خبَر … عن عالَمِ الموْتِ يَرْويه الألِبَّاءُ؟(٦)
أما الحياةُ ؛ فأمْر قد وصفتَ لنا … فهل لِمَا بعدُ تمثيلٌ وإدناءُ ؟(٧)
بمن أماتك قل لى : كيف جُمجمةٌ … غبراءُ فى ظُلمات الأَرض جَوْفاءُ؟(٨)
كانتْ سماءَ بيانٍ غيْرَ مُقْلِعةٍ … شُؤْبُوبها عَسَلٌ صافٍ وَصهباءُ(٩)
فأَصبحت كأصِيصٍ غير مُفتقَدٍ … جفَتْه ريحانة للشعر فَيْحاءُ(١٠)
وكيف بات لِسَانٌ لم يدع غرضاً … ولم تَفتْه من الباغين عوْراءُ(١١)

---

١ ــ طائر معروف الاسم مجهول الجسم ــ ٢ ــ الروضة الكثيرة العشب ــ ٣ ــ الجوزاء برج فى السماء ــ ٤ ــ بليت امتحنت ــ ٥ ــ ناصعة
٦ ــ الألباء : العقلاء ، جمع لبيب ــ ٧ ــ أدنى الشىء : قربه اليه .
٨ ــ جوفاء : فارغة ٩ ــ مقلعة : ذاهبة ، والشؤبوب : الدفعة من المطر . ١٠ ــ الأصيص : نصف الجرة يزرع فيها الرياحين
١١ ــ العوراء : الكلمة او الفعلة القبيحة .

عفا ، فأمسى زُنابَى عقربٍ بَلِيَتْ ... وسُمُّها فى عروقِ الظلم مشّاءُ
وما الذى صنعتْ أيدى البلى بيَدٍ ... لها إلى الغيب بالأقلامِ إيمَاءُ ؟
فى كلِّ أنملة منها إذا انبجَسَتْ ... بَرْقٌ ، وَرَعْدٌ ، وأرواحٌ ، وأنواءُ(١)
أمستْ من الدودِ مثلَ الدُّودِ فى جَدَثٍ ... قُفّازُها فيه حَصباءٌ وبَوغاءُ(٢)
وأينَ تحت الثرى قلبٌ جَوَانبُه ... كأنهن لوادى الحقِّ أرْجَاءُ ؟
تُصْغى إلى دَقّه أذْنُ البيان ، كما ... إلى النواقيس للرُّهبانِ إصْغاءُ
لئن تمشّى البلى تحت التراب به ... لا يُؤْكَلُ الليثُ إلا وهْوَ أشلاءُ(٣)

* * *

والناسُ صِنْفَان : موتَى فى حَيَاتِهِمُ ... وآخرُون ببطنِ الأرضِ أحْيَاءُ
تأبَى المواهبُ ، فالأحياءُ بينهُمُ ... لا يستوُون ، ولا الأمواتُ أكفاءُ
ياواصِفَ الدّم يجرى هٰهنا وهُنا ... قُمِ انْظر الدّمَ ، فهْو اليومَ دَأْمَاءُ(٤)
لاموكَ فى جَعْلِكَ الإنسانَ ذِئبَ دَمٍ ... واليومَ تبدو لهم من ذاك أشياءُ
وقيل : أكْثرَ ذِكرَ القتل ، ثم أتوْا ... ما لم تَسَعْهُ خيالاتٌ وأنباءُ
كانوا الذئابَ ، وكان الجهلُ داءهُمو ... واليومَ عِلمُهُمُ الراقى هو الداءُ
لؤمُ الحياة مَشَى فى الناس قاطبةً ... كما مَشَى آدمٌ فيهم وحَوّاءُ
قمْ أيّدِ الحقَّ فى الدنيا ، أليس له ... كتيبةٌ منكَ تحت الأرضِ خرْسَاءُ ؟
وأين صوتٌ تَميدُ الراسياتُ له ... كما تمايَدَ يومَ النار سَيناءُ ؟(٥)
وأين ماضيةٌ فى الظلم ، قاضيةٌ ؟ ... وأين نافذةٌ فى البَغْى ، نَجْلاءُ ؟
أيترُكُ الأرضَ جانوها وليس بها ... صحيفةٌ منك فى الجانين سوداءُ ؟
تأْوى إليها الأيَامَى ، فهْىَ تعزيَةٌ ... ويَسْتريحُ اليتامَى ، فهْى تأْسَاءُ(٦)

---

١ — انبجست : اى انفجرت — ٢ — الحصباء : الحصى ، الواحدة حصبة ، والبوغاء : مايثور من الغبار ودقاق التراب . — ٣ — اشلاء واحدها شلو : العضو والجسد من كل شيء . — ٤ — الدأماء : البحر .
٥ — يريد النار التى ظهرت لموسى الكليم وهو سائر باهله شطر طورسينا — ٦ — ايامى : جمع ايم ، وهى المراة التى تفقد زوجها ، او الرجل الذى يفقد امراته ، وتأساء : تعزية وتسلية .

أَثَرُ الْبَالِ فى الْبَال

فى وصف ليلة راقصة اقيمت فى قصر عابدين

حَفَّ كأْسَها الحبَبُ فهى فِضة ذَهَبُ(١)
أو دوائرٌ دُرَرٌ مائجٌ بها لبَبُ(٢)
أو فمُ الحبيبِ ، جلا عن جُمانِهِ الشَنَب(٣)
أو يَدٌ ، وباطِنُها عاطِلٌ ومختضِب
أو شَقيقٌ وجنتِه حينَ لى به لعِب(٤)
راحةُ النفوسِ ، وهَل عندَ رَاحةٍ تعَب
يانديمُ ، خِفَّ بها لا كَبَا بكَ الطرب
لا تقلْ : عواقبُها فالعواقبُ الأَدب
تنجلِي ولى خُلُق ينجلى وينسكِب
يرقُب الرفاقُ له كلما سَرَى شرِبوا
شاعرُ العزيز ، وما بالقليل ذا اللقب
ليلةٌ لسيِّدِنا فى الزمان تُرتَقب
دونها الرشيدُ ، وما أَخلَدَت له الكتُب

---

١ ـ الحبب : الفقاقيع التى تعلو الخمر
٢ ـ اللبب : موضع القـلادة من الصدر .
٣ ـ جلا : اى كشف ، والجمان : اللؤلؤ . والشنب : عذوبة الأسنان .
٤ ـ الشقيق : واحد شـقائق النعمان ، وهى ازاهر حمراء فيها بقع سوداء .

يُهْرَعُ النزيلُ لها والرّعيّةُ النُّخَبُ(١)
فالسرايُ جَوْهرةٌ للعُقول تَخْتَلِب
أو كبَاقة زهْرَا لِلعُيون تأْتشِب(٢)
الجَلالُ قبّتُه والسّنا لهُ طُنُب(٣)
ثابتٌ ، وذِرْوتُهُ فى الفضاء تضطرب
أشرقَت نوافِذهُ فهْىَ مَنظرٌ عجَب
وآستنارَ رفرَفهُ والسُّجوفُ ،والحُجُب(٤)
تعجَب العيونُ له كيفَ تَسكنُ الشُّهُب؟(٥)
أقبلتْ شموسُ ضُحًى ما لهن مُنتقَب(٦)
الظلامُ رَايتُها وهْىَ جَيْشُهُ اللَّجِب(٧)
فى هَوَادجٍ عَجَلًا بالجيادِ تنسَحِب
قامَ دُونها سَببٌ وآستحثَّها سبب(٨)
فهْىَ تارةً مَهَلٌ وهْىَ تارةً خبَب(٩)
تَرْتمى بهنّ حِمًى لا يَجوزُه رَغب(١٠)
بابُه لِداخِلِه جَنّةٌ ، هى الأرَب

---

١ – النخب : جمع نخبـــة وهى المختار من كل شىء .
٢ – ائتشب الشجر : التـــف ، والزهرا : الزهراء .
٣ – السناهنا قصور من السناء :بمعنى الرفعة . والطنب : الوتد ، او الحبل الذى يشد به سرداق البيت – ٤ – الرفرف : الرقيـــق من ثياب الديباج . والسجوف : الستور جمع سجاف . – ٥ – يشبه مصـــابيح القصر بشهب ثابتة . – ٦ – المنتقب : النقاب . – ٧ – الجيش اللجب : ذو الكثرة والضجيج – ٨ – السبب : الحبل ، ويشير به اولا الى زمام الدابة ، وثانيا الى سوط السائق . – ٩ – الخبب : سرعة عدو الجيـــاد .
١٠ – ترتمى : بمعـــنى تـرمى ، والرغب : الابتهال ، والمعنى انها تذهب بهن الى ملجأ هو وحده غاية الراجى وكعبة الضارع .

قامتِ السّراةُ به والمعِيَّةُ النجُبُ(١)
وانبرَى النساءُ له عُجْمُهُنّ ، والعرَبُ
العفافُ زينتُها والجمالُ ، والحسَب
أَنْجُمُ ، مَطالِعُهَا عابدينُ والرَّحَب(٢)
سيِّدى لها فلَكٌ وهْيَ منه تقترب
عنْد رُكن حُجْرَتِه بَدْرُه لنا كَثَب(٣)
يزدهى السَّريرُ به والمطارِفُ القُشُب(٤)
حَوْلَ عَرْشِه عَجَمٌ حوْل عرشِه عَرَب
رُتبةُ الجُدُودِ له تستوى بها الرُّتَب
شُرِّفَتْ به وسَما تالِدٌ ، ومُكْتَسَب(٥)
الليوثُ ماثِلةٌ والظباءُ تنسَرِب
الحريرُ ملبَسُها واللُّجَيْنُ ، والذهب(٦)
والقصورُ مَسْرَحُها لا الرِّمالُ ، والعُشُب
يستفزُّها نَغَمٌ لا صدًى ، ولا لجَب(٧)
يُستعادُ مُرْقِصُه تارةً ويُقْتَضَب
فالقدودُ بانُ رُبًى بَيْدَ أنها تثِب(٨)
يلعبُ العِناقُ بها وهْوَ مُشْفِقٌ حَدِب(٩)

---

١ — السراة : جمع سرى ، وهوالسيد الشريف فى سخاء ومروءة . والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم الحسيب . — ٢ — الرحب : جمع رحبة ، وهى الأرض المتسعة . — ٣ـ الكثب : القريب . — ٤ — المطارف: أردية من خز . والقشب : الجدد . — ٥ — التالد : القديم .
٦ — اللجين : الفضة . — ٧ — اللجب : الضجيج .
٨ — البان : شجر سبط القوام لين ويشبه به القد لطوله .
٩ — الحدب : العطوف .

فهْىَ مَرَّةً صُعُدٌ وهْىَ مرَّةً صَبَب(١)
وهْىَ هٰهنا ، وهُنا تَلتقى ، وتَصْطخِب
مِثلما التقتْ أَسَلٌ أوْ تعانقتْ قُضُب(٢)
الرءُوسُ ماثلةٌ فى الصدور تحتجِب
والنُّحورُ قائِمةٌ قاعدٌ بها الوَصَب(٣)
والنُّهودُ هامِدةٌ والخدودُ تلتهب
والخصورُ واهيةٌ بالبنان تَنْجَذِب
سالتِ الأَكفُّ بها فهْىَ أَغْصُنٌ نُهب(٤)
الخوانُ دائِرةٌ المَلَا لها قُطُب(٥)
للوفودِ مائدةٌ منه أينما انقلَبوا
والطريقُ مُتَّصلٌ نحوَه ، ومُنشعِب
والطعامُ حاضِرهُ والمزيدُ مُنْتَهَب
باردٌ ، ومِن عَجَبٍ يُشتهَى ، ويُطَّلب
سائغٌ لِذِى سَغَبٍ سائغٌ ولا سَغَب(٦)
حاضرٌ لذى طَلب حاضرٌ ولا طلب
والمُدامُ أكؤُسُها ما تغيضُ والعُلَب(٧)

---

١ — الصعد : جمع صعد بكسر العين وهو المرتفع . والصبب : المنحدر .
٢ — الأسل : الرماح . والقضب : السيوف . — ٣ — الوصب : التعب .
٤ — النهب : جمع نهبة ، وهى المنهوب .
٥ — الخوان — بكسر الخاء وضمها —: ما يوضع عليه الطعام . والقطب . بتسكين الطاء ويخفف : سيد القوم . — ٦ — السغب : الجوع .
٧ — العلب : نوع من الأقداح الضخمة .

وهْيَ بيننا سَلَب والنُّهَى لها سَلَب(١)
شَرُفتْ منافِحُها واعتلى بها العِنب
حَوْلَها الحوائمُ ، ما ينقضى لها قَرَب(٢)
يغتبِطْنَ فى حَرَم لا تناله الرِّيَب
ما سِوى الحديث به يُبتغى ويُجتذَب
هكذا الكرامُ : كرا مُ «وإن همو طَربوا »
ليلةٌ علَتْ . وغلَتْ ليتَ فجْرَها كَذِب
يكفلُ الأميرُ لنا أن تعِيدَها الحِقب(٣)
عاش للندَى مَلِكٌ سيِّدٌ لنا : وأبُ
حاتمُ الملوكِ إذا ضاق بالنَّدَى النَّشَب(٤)
السرورُ أنعُمُه والهناءُ ما يَهب
والنَّدَى سجيَّتُه والحنانُ ، والحَدَب(٥)
يا عزيزُ ، دام لنا رَوْضُ عِزِّك الأَشِب(٦)
هذه عروسُ نُهًى فى القبول تَرتغِب(٧)
زفَّها لكم . وجَلا شاعرُ الحِمَى الأرِب
احتفى الحضورُ بها واكتفى بها الغُيَب(٨)
أنتم الظلالُ لنا والمنازلُ الخُصُب
لو مَدَحْتكم زَمَنِى لم أقم بما يَجب

---

١ ــ السلب : مايسلب وينهب .
٢ ــ الحوائم : العطاش . والقــرب : سير الليل لورد الغد .
٣ ــ الحقب : جمع حقبة وهى هنا بمعنى السنة . ــ ٤ ــ النــدى : الكرم ، والنشب : العقار أو المال
٥ ــ الحدب : العطف والاشفاق .
٦ ــ الروض الأشب : الملتف .
٧ ــ ارتغب فى الأمر : رغب فيه .
٨ ــ الغيب : جمع غائب .

مَرْقَص

نظمت هذه القصيدة فى وصف مرقص اقيم بسراى عابدين سنة ١٩٠٤

مالَ واحتجبْ وادَّعى الغضبْ
ليت هاجرى يشرحُ السبب
عَتْبُه رضًى ليته عتب
علَّ بيننا واشياً كذب
أو مفنِّدًا يخلُقُ الرِّيَب(١)
مَن لِمُدْنَفٍ دمعُه سُحُب ؟(٢)
بات متعَباً هَمُّهُ اللَّعِب
يستوى خَلٍ عندَه وَصَب
ذقتُ صدَّه غيرَ محتسِب
ضقتُ فيه بالـ رُسْل والكتب
كلما مَشى أخجل القُضُب
بيْن عَينه والمها نسب
ماءُ خدِّه شفَّ عن لَهب
ساقَ الطِّلا شُرْبُها وجب(٣)
هاتِها مَشَتْ فوقها الحِقَب(٤)
بابلِيَّـــــــةً تنفثُ الحبَب(٥)
إن كَرْمَها آدمُ العِنَب

---

١ ـ مفند : مكذب
٢ ـ المدنف : الذى أثقله المرض .
٣ ـ الطلاء : الخمر .
٤ ـ الحقب : جمع حقبة ، وهى السنة .
٥ ـ الحبب : الفقاقيع التى تعلو الماء والخمر .

هُذِّبَتْ فى دَنِّها الأَدب
اِسْقِها فتًى خيرَ مَن شرِب
كلما طغَى راضَها الحسب
(عابدينْ) أَمْ هالةٌ عجب ؟(١)
أُسُّهُ الهدَى والعُلا طُنُب(٢)
مُشرِفُ الذرى مائجُ الرُّحَب
قام ربُّه يرفع الحجُب
عند عرشه عَرشِ (مِنْحُتب)
دون عِزِّه (تُبَّعُ) الغَلَب
السُّراةُ من وفده النُّخَب
حول سُدَّةٍ حقُّها الرَّغَب
طابَ عِندَها الـ عُجْمُ والعرَب
وارتضى المَلا من بنى الصُّلُب
مِن حِسانِهم بِسِربٌ انسرَب
بين كوكبٍ يَسحَب الذَّنَب
عند جُؤْذَرٍ فاتنٍ الشنب(٣)
عند شادنٍ حاسِرِ اللَّبَب(٤)
تَذهبُ النُّهَى أينما ذهب
يَلْفِتُ الملا كلما وثب

---

١ ــ الهالة : دِارة القمر .   ٢ ــ الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت او الوتد .   ٣ ــ الشنب : ماء ورقة وعذوبة فى الأسنان .
٤ ــ الشادن : ولد الظبية . واللبب : المنحر ، وموضع القلادة من الصدر .

فى غلائلٍ سُندسٍ قُشُب(١)
دونهنَّ لا يثبت اليَلَب(٢)
قرَّ نَهْدُه عِطْفُه اضطرب
خصرُه هبا صدره صبَب
يُرْكِضُ النُّهَى مَشْيُهُ الخَبَبْ
رائعاً كما شاءَ فى الكتب
آنساً إلى شِبهِهِ انجذب
يستخِفُّـــــــه أينما انقلب
مُطربٌ من الْـ لَحْنِ مُنتَخَب
يَجمَعُ المَلا يُحضِر الغَيَب
ما حدا المها قبلَه طرِب

* * *

يا ابنَ خير أَب يا أَبا النُّجُب
أَنت (حاتمٌ) للقِرَى انتدب
فى خِوانِه كُلُّ ما يجب
لم تقمْ على مِثلِه القُبَب
أَنهلَ البرا يا وما نضب
أَطعم الورى لم يقل جدب
ما بهمْ صدًى ما بهم سغب(٣)

---

١ — قشب : جمع قشيب وهو الجديد ، والقشيب ايضا : الابيض والنظيف .

٢ — اليلب : الترسة او الدروع اليمانية من الجلود وقيل جلود يخرز بعضها الى بعض. تلبس على الرؤوس ، واليلب : الفولاذ ، واليلب : خالص الحديد .

٣ — السغب : الجوع : وقيل لا يكون الا مع تعب .

قمْ أبا (نوا سٍ) انظر النّشب(١)
ما الخصيبُ؟ ما الْ بحرُ ذو العُبُب ؟
هل عهدتَه يُمطِرُ الذهب ؟
ذا هو الجنا بُ الذى خصب
ظلَّلَ الورى روضُه الأَشِب(٢)
خيرُ من دعا خيرُ من أَدَب(٣)

* * *

(رَبَّ مصر) ، عش وابْلُغِ الأَرب
لم تزل ليا ليك تُرتَقب
مثلَ صفوِها الـــدّهرُ ما وهب
أَحيِها لنا عِدّةَ الشُّهب
هاكَ مِدْحة الشــــاعر الأَرِب(٤)
زفّها إلى خيرِ منْ خَطب
فارسِـــــيّةٌ بزّتِ العَرَب
لم يجِئْ بها شاعرٌ ذهب
إن تُراعِها تسمَعِ العَجَب(٥)
بيدَ أنها بعضُ ما وجَب

---

١ ــ النشب : المال والعقار ٢ ــ الأشب : الملتف . ٣ ــ ادب : اقام المأدبة . ٤ ــ الأرب : الماهر البصير ٥ ــ تراعها : تصغ اليها .

تَحْلِيَةُ كِتَاب

قيلت بمناسبة تأليف كتاب فتح مصر الحديث لحافظ بك عوني

صفة الكتاب – صفة التاريخ – صفة الجبرتي – واقعة الأهرام

أنا من بدَّل بالكتْبِ الصِّحابَا ... لم أَجِد لي وافيًا إلا الكِتابا
صاحبٌ – إن عِبتَه أو لم تعِبْ – ... ليسَ بالواجد للصاحبِ عابا
كلّما أخلقتُه جَدَّدَني ... وكساني من حلى الفضل ثيابا
صُحبةٌ لم أشْكُ منها رِيبةً ... ووِدادٌ لم يُكلِّفني عتَابا
رُبَّ ليلٍ لم نُقصِّر فيه عن ... سَمَرٍ طالَ على الصمت وطابا
كان من همِّ نهاري راحتي ... وندامَايَ . ونَقْلي ، والشرابا(١)
إن يَجِدْني يتحدَّثْ ، أو يَجِدْ ... مَللاً يَطوِ الأَحاديثَ اقتضابا
تجدُ الكُتْبَ على النقدِ كما ... تجدُ الإخوانَ صِدقاً وكِذَابا
فتَخيَّرْها كما تختاره ... وادَّخِر في الصَّحْب والكُتْبِ اللُّبابا
صالحُ الإخوانِ يبغيكَ التُّقى ... ورشيدُ الكتْب يَبغيك الصوابا

* * *

غالِ بالتاريخ ، واجعل صُحْفَهُ ... مِن كتابِ الله في الإجلال قابا
قلِّب الإنجيلَ ، وانظر في الهدَى ... تَلقَ للتاريخ وزنًا ، وحِسابا
رُبَّ مَن سافر في أسفارِه ... بليالي الدهرِ والأيامِ آبا
واطلب الخلْدَ ، ورُمْهُ مَنزلًا ... تجد الخُلْدَ مِن التاريخ بابا
عاشَ خلْقٌ ، ومَضوْا ، ما نَقصوا ... رُقعَةَ الأَرضِ ، ولا زادوا التُّرابا

---

(١) النقل بالفتح : ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.

أخذَ التاريخُ مما تركوا عملًا أحسنَ ، أو قولًا أصابا
ومن الإحسانِ ، أو من ضِدِّهِ نجَح الراغبُ فى الذكر ، وخابا
مَثَلُ القَوْمِ نَسُوا تاريخَهُم كلقيطٍ عَىَّ فى الناس انتسابا
أو كمغلوبٍ على ذاكِرة يشتكى من صِلةِ الماضى انقضابا(١)

* * *

يا أبا « الحُفَّاظِ » ، قد بلَّغتنا طِلْبةً ، بَلَّغكَ اللهُ الرِّغابا
لكَ فى الفتح وفى أحداثِهِ فَتَحَ اللهُ حديثًا وخِطابا
مَن يُطالعْهُ ، ويستأنِس به يجِد الجِدَّ ، ولا يَعدَم دِعابا
صُحُفٌ أَلَّفْتَهَا فى شِدَّةٍ يتلاشى دونها الفكرُ انتهابا
لغة « الكامل » فى استرساله « وابنِ خَلْدُون » إذا صحَّ وصابا
إنَّ للفصحَى زِماماً ويَدًا تَجنِب السهلَ ، وتقتادُ الصِّعابا(٢)
لغةُ الذكرِ ، لسانُ المُجْتبى كيف تعْيا بالمُنادين جوابا ؟
كلُّ عَصْرٍ دارُها إن صادفت منزلاً رحْبًا ، وأهلاً ، وجَنابا(٣)
إئتِ بالعُمرانِ رَوْضًا يانعًا وادْعُها تجرِ ينابيعَ عِذابا
لا تجئها بالمتاع المُقْتَنَى سَرَقاً من كلِّ قوم ونِهابا
سَل بها أندلُسًا : هل قَصَّرت دون مضمارِ العُلى حين أهابا ؟
غُرِسَتْ فى كلِّ تُرْبٍ أَعْجَمٍ فزَكتْ أصلاً ، كما طابت نِصابا
ومَشتْ مِشْيَتَها ، لم ترتكِب غيرَ رِجْلَيْهَا ، ولم تحجل غُرابا(٤)

* * *

إنَّ عَصرًا قمتَ تجلوه لنا لبِس الأيامَ دَجْنا وضَبابا(٥)

---

(١) انقضابا : انقطاعا . ٢ – تجنب : تنحى . ٣ – الجناب : الفناء (٤) لم تحجل غرابا : كناية عن أنها لم تقلد كما قلد الغراب الطاوس (٥) الدجن : الباس الغيم الأرض .

المماليك تَمشّى ظلمُهم ظُلمات ، كدُجى الليل حِجاباً
كلُّهم كافورُ ، أو عبدُ الخَنَا غيرَ أنَّ المتنبي عنه خابا ؟(١)
ولكلٍّ شِيعةٌ من جنسِه إن للشرّ إلى الشرّ انجذابا
ظلماتٌ لا ترى فى جُنْحِها غيرَ هذا الأزهرِ السمْحِ شِهابا(٢)
زيدتِ الأخلاق فيه حائطاً فاحتمى فيها رِواقاً وقبابا
وترى الأعزالَ من أشياخِه صَيَّروه بسلاح الحقِّ غابا(٣)
قسَماً لولاه لم يبقَ بها رَجُلٌ يقرأُ أو يَدرى الكتابا
حَفِظَ الدينَ مَلِيًّا ، ومضى يُنقِذُ الدنيا ، فلم يَملِك ذَهابا(٤)
أُوذِيَتْ هَيْبَتُه مِن عَجزه وقُصارَى عاجزٍ أن لا يُهابا
لم تغادر قلماً فى راحة دَوْلَةٌ ما عَرَفَتْ إلا الحِرابا
أقعدَ اللهُ (الجبرتىَّ) لها قلماً عن غائب الأقلام نابا(٥)
خَبَّأَ (الشيخُ) لها فى رُدْنِه مِرقماً أدهى من الصِّلِّ انسيابا(٦)
مَلَكٌ لم يُغْضِ عن سَيِّئةٍ ياله من مَلَكٍ يَهْوَى السِّبابا(٧)
لا يراه الظُّلمُ فى كاهِلِه وهو يكوى كاهلَ الظلم عِقابا
صُحُفُ (الشيخِ) ، ويَوْمِيّاتُه كزمان الشيخ سُقماً واضطرابا
من حواشٍ كَجَليدٍ لم يذبْ وفصولٍ تشبِه التِّبرَ المذابا
و (الجبرتىُّ) على فِطنَتِه مَرَّةً يَغْبَى . وحيناً يتغابَى(٨)

---

(١) كافور : هو كافور الاخشيدى ممدوح المتنبى . وعبد الخنا : اى كافور .
(٢) الأزهر : يعنى به معهد الازهر . — ٣ — الأعزال : الذين لاسلاح لهم .
(٤) لم يملك ذهابا : اى لم يستطع . — ٥ — الجبرتى : المؤرخ المعروف . ٦ — الشيخ يعنى به الجبرتى . والردن : أصل الكم . وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير . والمرقم : القلم . والصل : الثعبان .
(٧) السباب : السب . ٨ — يتغابى : يتغافل .

مُنصفٌ مالم يَرُضْ عاطفةً   أو يُعالج لهوى النفسِ غلابا(١)
وإذا الحيُّ تَوَلّى بالهوى   سيرةَ الحيِّ بَغَى فيها وحابَى

* * *

وقعَةُ الأهرامِ جلّتْ مَوْقِعًا   وتعالت فى المغازى أن ترابا(٢)
عِظةُ الماضى ، ومُلقَى دَرْسِه   لعقولٍ تجعلُ الماضى مَثابا(٣)
من بناتِ الدهرِ ، إلا أنها   تَنشُر الدهر وتطويهِ كَعَابا(٤)
ومن الأيامِ ما يَبقَى وإن   أمْعَن الأبطالُ فى الدهر احتجابا
هى من أىِّ سبيلٍ جِئتَها   غايةٌ فى المجدِ لا تدنو طِلابا
انظُر الشرقَ تَجدها صَرَّفتْ   دولةَ الشرقِ استواءً وانقلابا
جلبتْ خيرًا وشرًّا ، وسَقتْ   أُمَمًا فى مهدِهم شُهدًا وصابا(٥)
فى (نصيبِينَ) لبسْنَا حُسنَها   وعلى التَلِّ لبسناها مَعابا(٦)
إن سِرباً زَحفَ (النَّسرُ) به   قطعَ الأرضَ بِطاحاً وهِضابا(٧)
إن ترامتْ بلدًا عِقبانُه   خَطفتْ تاجاً ، واصطادت عُقابا(٨)
شَهِد (الجيزىُّ) منهم عُصْبةً   لبسوا الغارَ على الغار اعتصابا(٩)
كذئابِ القفرِ من طول الوغى   واختلاف النَقع لوناً وإهابا(١٠)
قادَهم للفتح فى الأرض فتًى   لو تأنَّى حظَّه قادَ السحابا
غَرَّت الناسَ به نكبتُه   جَمَعَ الجُرحُ على الليثِ الذبابا

---

(١) غلابا : اى مغالبة   ٢ ـ المغازى : وقائع الحروب والمعانى . ترابا ، اى يشك فى قيمتها بالنظر لعظيم اثرها فى مستقبل الشرق .
(٣) مثابا : أى مرجعا .
(٤) بنات الدهر : اى شدائده . وكعاب : اى وهى صبية لم تكبر .
(٥) الصاب عصارة شجر مر ـ ٦ ـ نصيبين اكبر الوقائع واشهرها بين ابراهيم بن محمد على وبين الأتراك . التل: واقعة التل الكبير المشهورة التى جرت على مصر الاحتلال الانجليزى . ٧ ـ النسر: يعنى به نابليون.
(٨) عقبان : واحدها عقاب وهو طائر من الجوارح . ٩ ـ الجيزى: يعنى به هرم الجيزة . واعتصب : تتوج . ١٠ ـ النقع : الغبار : والاهاب : الجلد .

بَرَزت بالمنظرِ الضاحى لهم فيلق كالزهر حُسْنًا والتهابا ؟(١)
حُلِّيَ الفُرسانُ فيها جوهرًا وجِلالُ الخيلِ دُرًّا وذَهابا(٢)
فى سلاح كحُلِيّ الغِيد ، ما لمَسَت طَعْنًا ، ولا مَسَّتْ ضِرابا
طرِحَت مصرٌ ، فكانت (مُومِيًا) بين لِصَّيْن أراداها جُذابا
نالها الأعرضُ ظفرًا منهما من ذئاب الحربِ ، والأطولُ نابا
وبنو الوادى رِجالاتُ الحِمَى وقفوا من ساقة الجيش ذُنابى
موقفَ العاجز من حلفِ الوغى يَحرُسُ الأحمالَ ، أو يسقى مُصابا

الرَّبِيعُ وَوادِي النِّيلِ

الى (هول كين) الكاتب الروائى الشهير

آذارُ أقبلَ ؛ قُمْ بنا يا صاحِ حىِّ الربيعَ حديقةَ الأرواحِ
واجمعْ نَدامى الظَّرفِ تحت لوائه وانشرْ بساحتِه بساطَ الرَّاحِ
صفوٌ أُتِيحَ ، فخذْ لنفسِك قِسطَها فالصفوُ ليس على المدَى بمُتاحِ
واجلس بضاحكة الرياضِ مُصَفِّقًا لتجاوُبِ الأوتارِ والأقداحِ
واستأْنِسَنَّ من السُّقاةِ برُفقَةٍ غُرٌّ ، كأمثال النجوم ، صِباحِ
رقَّتْ كنُدمانِ الملوك خلالُهُم وتجمَّلوا بمروءةٍ وسَماحِ
واجعل صَبوحَكَ فى البكور سَليلةً للمنجِبَيْنِ : الكرْمِ والتفاحِ(٣)
مهما فضضتَ دِنانَها فاستضحكت مُلِئَ المكانُ سَنًى ، وطيبَ نُفاحِ
تطغى ، فإن ذكرتْ كريمَ أصولِها خلعت على النشوانِ حِلْيَةَ صاحِ

---

(١) الضاحى : البارز . والزهر : يعنى بها النجوم ٢ — الجلال : واحدها جل وهو للدابة كالثوب للانسان تصان به ٣ — الصبوح : ما اصبح عند القوم من الشراب فشربوه .

(فرعونُ) خبَّأها ليومِ فُتوحه ... وأعدَّ منها قُرْبَةً (لفتاح)(١)
ما بين شادٍ فى المجالس أيْكُهُ ... ومُحجَّباتِ الأيْكِ فى الأدواح(٢)
غَرِدٌ على أوتارِه ، يُوحى إلى ... غَرِدٍ على أغصانه ، صَدَّاح
بِيضُ القلانِس فى سواد جَلابِبٍ ... حُلِّينَ بالأطواق والأوضاح
رَتَّلْنَ فى أوراقهن مَلاحِنًا ... كالراهباتِ صبيحةَ الإفصاح
يخطرن بين أرائكٍ ومنابرٍ ... فى هيكل من سُندس فيَّاح

* * *

مَلِكُ النبات ، فكلُّ أرضٍ دارُه ... تلقاه بالأعراس والأفراح
منشورَةٌ أعلامُه ، من أحمرٍ ... قانٍ ، وأبيضَ فى الرُّبَى لمَّاح
لبِستْ لمَقْدَمه الخمائلُ وَشْيَها ... ومَرَحْنَ فى كنَف له وجناح
يغشى المنازلَ من لواحظ نرجس ... آناً ، وآناً من ثغور أقاح(٣)
ورءُوس «منثورٍ» خَفَضْنَ لعزِّه ... تيجانَهنَّ عواطرَ الأرواح
الوردُ فى سُرُر الغصونِ مُفتَّح ... متقابل يُثنى على الفتَّاح
ضاحِي المواكب فى الرياض ، مُميَّزٌ ... دون الزهور بشَوْكة وسلاح
مرَّ النسيمُ بصفحتيه مُقبِّلاً ... مرَّ الشِفاه على خدود ملاح
هتكَ الردى من حسنِه وبهائه ... بالليل ما نسجتْ يدُ الإصباح
ينبيك مصرعُه — وكلٌّ زائلٌ — ... أن الحياة كغُدوة ورَواح
ويقائقُ النَّسْرينِ فى أغصانها ... كالدُّرِّ رُكِّب فى صدور رماح(٤)
و «الياسَمينُ» ؛ لَطِيفُه ونَقِيُّه ... كسريرة المتنزِّه المِسماح

---

(١) احد آلهة قدماء المصريين ٢ — الأيك : الشجر الكثير الملتف وقيل الغيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر .
(٣) أقاح : واحدها اقحوانة وهو نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صفيرة صفراء ٤ — يقائق : جمع يقق ، وابيض يقق أى شديد البياض ناصعه . والنسرين : ورد أبيض عطرى قوى الرائحة .

مُتألِّقٌ خَلَلِ الغصون ، كأنه   فى بُلجَةِ الأفنانِ ضوءُ صباح(١)
و «الجُلّنارُ» دمٌ على أوراقِه   قانى الحروفِ ، كخاتَمِ السفاح
وكأن مخزونَ «البنفسَجِ» ثاكلٌ   يَلْقَى القضاء بخشية وصلاح
وعلى «الخواطرِ» رِقَّةٌ وكآبةٌ   كخواطر الشُّعراء فى الأتراح(٢)
والسَّرْوُ فى الحِبَرِ السوابغِ كاشفٌ   عن ساقِه كمليحة مِفْراح(٣)
و «النخلُ» ممشوقُ العُذُوقِ ، مُعصَّبٌ   متزينٌ بمناطقٍ ووِشاح
كبناتِ فرعونٍ شهدنَ مواكبًا   تحتَ (المراوح) فى نهارٍ ضاح
وترى الفضاء كخائط من مَرْمَرٍ   نُضِدَتْ عليه بدائعُ الألواح
الغَيْمُ فيه كالنَّعام : بَدِينةٌ   بركتْ ، وأخرى حَلَّقتْ بجَناح
والشمسُ أبهى من عروسٍ بُرقعتْ   يوم الزِّفاف بعسجَد وضَّاح
والماءُ بالوادى يُخالُ مَساربا   من زئبق ، أو مُلْقَياتِ صِفاحِ(٤)
بعثتْ له شمسُ النهار أشعَّةً   كانت حُلَى (النَّيْلُوفَرِ) السباح
يزهو على ورقِ الغصون نثيرُها   زَهْوَ الجواهِرِ فى بطون الرّاح
وجرت سواقٍ كالنّواداب بالقُرى   رُعْنَ الشجىَّ بأنّةٍ ونُوَاح
الشاكياتُ وما عَرَفْنَ صبابةً   الباكياتُ بمَدْمَع سحَّاح
من كلِّ باديةِ الضاوع غليلةٍ   والماءُ فى أحشائها ، مِلواح(٥)
تبكى إذا رَتَبَتْ ، وتَضحكُ إنهَفَتْ   كالعِيس بين تَنَشُّطٍ ورَزاح(٦)
هى فى السلاسل والغلول ؛ وجارُها   أعمى ، ينوءُ بنِيرِه الفدّاح

* * *

---

(١) البلجة : آخر الليل عند انصداع الفجر ٢ — الخطر : نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به ٣ — الحبر : جمع حبرة بالتحريك ضرب من برود اليمن ، وملاءة سوداء تلبسها نساء مصر ٤ — صفاح : واحده صفح وهو عرض السيف ٥ — الملواح : السريع العطش .

(٦) رزحت الناقة رزوحا ورزحا : القت نفسها اعياء وهزالا .

إنى لأذكرُ بالربيع وحسنهِ عهدَ الشباب وطِرفِه المِمراح(١)
هل كان إلّا زهرةً كزهورِه عجلَ الفناءُ لها بغير جُناح؟

* * *

(هول كين)، مصرُ رواية لاتنتهى منها يدُ الكُتّاب والشُّرّاح
فيها من البَرْدِىِّ، والمُزْمور، وال توراةِ، والفرقان، والإصحاح(٢)
(ومِنَا)، (وقمبيزٌ)، إلى (إسكندرٍ) فالقيصَرين، فذِى الجلال (صلاح)
تلك الخلائقُ والدهورُ خزانةٌ فابعثْ خيالَكَ يأْتِ بالمفتاح
أفقُ البلاد — وأنت بين رُبوعها — بالنجم مزدانٌ وبالمصباح

مَسْجدُ أَيَا صُوفْيَا

كنيسةٌ صارت إلى مسجدِ هديّةُ السيِّدِ للسيِّد
كانت لعيسَى حرماً، فانتهت بنُصرة الرُّوح إلى أحمد
شيَّدَها الرومُ وأقيالُهُم على مثالِ الهرَمِ المُخْلَد(٣)
تُنبئُ عن عزٍّ، وعن صَولةٍ وعن هوًى للدين لم يخمُد
مَجَامِرُ الياقوتِ فى صَحْنِها تملؤهُ من نَدِّها المُوقَد(٤)
ومثل ما قد أودِعَتْ من حُلىً لم تتَّخذْ دارًا ولم تُحشَد
كانت بها العذراءُ من فضّةٍ وكانَ روحُ الله من عسجد
عيسى من الأمِّ لدى هالةٍ والأمُّ من عِيسَى لدَى فَرْقَد
جَلّاهُما فيها، وحلّاهُما مصوِّرُ الروم القديرُ اليد
وأودعَ الجدرانَ من نقشه بدائعاً من فنِّه المفردَ

---

(١) الطرف: هو الكريم من الخيل ٢ — المزمور: واحد المزامير وهى الأناشيد والأدعية التى كان يترنم بها داود عليه السلام.
(٣) أقيالهم ملوكهم.
(٤) مجامر الياقوت: جمع مجمرة وهو اسم ما يجعل فيه الجمر.

فمن ملاكٍ فى الدُّجَى رائحٍ عند ملاكٍ فى الضُّحى مغتدى
ومن نباتٍ عاش كالبَبَّغا وهْوَ على الحائط غَضٌّ نَدِى
فقلْ لمن شادَ ، فهَدَّ القُوَى قوَى الأجيرِ . المُتْعَبِ ، المُجهَد
كأنه فرعونُ لما بنى لربّه بيتًا . فلم يَقصِد : (١)
أيُعبدُ اللهُ بسومِ الوَرَى ما لا يُسام العَيْرُ فى المِقْود؟(٢)
كنيسةٌ كالفَدَن المعتلِى ومسجدٌ كالقصر من أصْيدِ(٣)
واللهُ عن هذا وذا فى غنًى لو يعقِلُ الإنسان أو يهتدى
قد جاءها (الفاتحُ) فى عُصْبةٍ من الأُسْود الرُّكَّع ، السُّجَّد
رمى بِهم بنيانَها ، مثلَما يصطدِمُ الجلْمَد بالجلْمَد(٤)
فكبَّروا فيها ، وصلَّى العِدا واختلط المشهد بالمشهد
وما توانى الرومُ يَفدُونَها والسيف فى المفْدِىّ والمفتدِى
فخانها من قيصرٍ سعدُه وأيِّدتْ بالقيصرِ الأسعد
بفاتحٍ . غازٍ ، عفيفِ القَنا لا يحملُ الحقدَ ، ولا يعتدى
أجار من ألقى مقاليدَه منهم . وأصفى الأمنَ للمرتدى
وناب عمّا كان من زُخرفٍ جلالةُ المعبود فى المعبَد
فيا لثأرٍ بيننا بعده أقام ، لم يقرُبْ . ولم يبعُد
باقٍ كثأر (القدس) من قبله لا ننتهى منه . ولا يبتدى
فلا يغرّنْك سكونُ الملا فالشرُّ حولَ الصّارمِ المُغْمَد
لن يتركَ الرومُ عباداتِهم أو ينزلَ التركُ عن السُّؤدَد
هذا لهم بيت على بيتِهم ما أشبه المسجدَ بالمسجد

---

(١) لم يقصد : لم يعدل ٢ ــ المقود : ما يقاد به من حبل او غيره .
(٣) الفدن : القصر المشيد ٤ ــ الجلمد : الصخر .

فإنْ يُعادوا فى مفاتيحِهِ فيا ليومٍ للورَى أسود .
يَشيب فيه الطفلُ فى مهدِهِ ويُزعَج الميْتُ من المرقد
فكنْ لنا اللهمَّ فى أمسنا وكن لنا اليومَ ، وكنْ فى غد
لولا ضَلالٌ سابقٌ لم يقمْ من أجلكَ الخلقُ ولم يَقْعُد
فكلُّ شرٍّ بينهم أو أذى أنت بَراءٌ منه طُهْرُ اليد

غَابُ بُولونيَا(١)

يا غابَ بولون ، ولِى ذِمَمٌ عليك ، ولى عُهودْ
زمنٌ تقضّى لِلهوَى ولنا بِظلّكَ ، هل يعود ؟
حُلُمٌ أُريدُ رجوعَه ورجوعُ أحلامى بعيد
وهَبِ الزّمانَ أعادَها هل للشبيبةِ مَن يُعيد ؟
يا غابَ بولونَ ، وبى وجْدٌ مع الذكرى يَزيدْ
خَفَقَتْ لرؤيتكَ الضلو عُ ، وزُلْزِلَ القلبُ العَميد(٢)
وأراكَ أقسى ما عَهِدْ تُ ؛ فما تَميلُ ، ولا تَميد
كم يا جمادُ قساوةٌ ؟ كم ؟ هكذا أبدًا جُحود ؟
هلّا ذكرتَ زمانَ كنّا والزمانُ كما نريد ؟
نطوى إليك دُجَى اللّيا لى ، والدّجَى عنا يَذود
فنقولُ عندكَ ما نقو لُ ، وليس غيرُكَ من يُعيد
نُطْقِى هوًى وصبابةٌ وحديثُها وَتَرٌ وعُود

(١) غاب بولونيا : متنزه مشهور فى باريس .
(٢) العميد : الذى هزه العشق .

نَسْرِى ، ونَسرحُ فى فضا ئلك ، والرياحُ به هُجودْ
والطيرُ أقعدَها الكرى والناسُ نامت والوجود
فنبيتُ فى الإيناس يغ بطنا به النجمُ الوحيد
فى كلّ رُكْن وقفةٌ وبكلِّ زاوية قُعود
نَسقى ونُسقى . والهوى مابين أعيننا ولِيد
فمِن القلوب تمائم ومن الجُنوبِ له مُهود
والغصنُ يسجُدُ فى الفضا ء ، وحبَّذا منه السجود
والنجمُ يلحظنا بعيْ ن ما تَحُولُ ولا تحيد
حتى إذا دَعت النَّوى فتبدَّد الشملُ النضيد
بِتنا ، وبما بيننا بحر . ودون البحر بيد
ليلِى بمصرَ ، وليلُها بالغرب ، وهو بها سعيد

المرأةُ العُثمانِيةُ

يامَلَكاً تعبَّدا مُصَلِّيًا موحِّدا
مبارَكاً فى يومه والأمسِ ، ميموناً غدا
مُسَخَّرًا لأُمّةٍ من حقها أَنْ تَسْعَدا
قد جعلَتْه تاجَها وعِزَّها ، والسُّؤددا
وأَعرضتْ حيث مشى وأطرقَتْ حيث بدا
تُجِلُّه فى حسنه كما تُجِلُّ الفرْقَدا
أَنت شُعاعٌ من عَلٍ أنزله اللهُ هُدَى

كم قد أضاء منزلًا وكم أنار مسجدًا
وكم كسا الأسواقَ من حُسْنٍ ، وزانَ البلدا
لولا التُّقَى لقلتُ : لم يَخلُقْ سواك الولدا
إن شئت كان العَيْرَ ، أو إن شئت كان الأَسدا
وإن تُرِدْ غَيًّا غَوَى أو تبغِ رُشْدًا رَشَدا
والبيتُ أنت الصوتُ فيه ، وهو للصوت صَدَى
كالببَّغا فى قفص قِيل له ، فقلَّدا
وكالقضيبِ اللَّدنِ ، قد طاوع فى الشكل اليدا
يأْخذ ما عوَّدتَه والمرءُ ما تعوَّدا
مما انفردتَ فى الورَى بفضله وانفردا
وكلُّ ليثٍ قد رَمَى به الإمامُ فى العدا
أنتَ الذى جنَّدتَه وسُقْتَه إلى الردى
وقلتَ : كنْ لله ، والسلطانِ ، والتركِ ، فِدى

الْهِلَالُ

سنونٌ تُعادُ ، ودهرٌ يعيدْ لَعَمْرُكَ ما فى اللَّيالِى جديد
أضاء لآدمَ هذا الهلالُ فكيف تقولُ : الهلالُ الوليد؟
نعدُّ عليه الزمانَ القريبَ ويُحصِى علينا الزمانَ البعيد
على صفحتيْه حديثُ القُرى وأيامُ (عاد) ، ودنيا (ثمود)
و (طِيبةُ) آهلةٌ بالملوك (وطيبةُ) مُقْفِرَةٌ بالصعيد

يزول ببعض سناه الصّفا ويفنى ببعض سناه الحديد(١)
ومن عجَبٍ وهْوَ جَدٌّ الليالى يُبيد الليالىَ فيما يُبيد !!

* * *

يقولون ياعامُ : قد عدتَ لى فياليت شعرى بماذا تعود ؟
لقد كنتَ لى أمسِ مالم أرِدْ فهل أنت لى اليومَ ما لا أريد؟
ومَنْ صابَر الدهرَ صبرى له شكا فى الثلاثين شكوى (لَبيد)(٢)
ظمِئتُ ، ومثلى بِرِىٌّ أحقُّ كأنّى حسينٌ ، ودهرى يَزيد(٣)
تغابيتُ حتى صحِبتُ الجهولَ وداريتُ حتى صحبتُ الحسود

منظر الشروق والغروب فى عالم الماء من أعلى السفينة

لِمَنْ غُرةٌ تَنجلى من بعيد بمرأًى كما الحُلْم ضاحٍ سعيد ؟
تَهُزُّ الوجودَ تباشيرُها كما هزَّ مِنْ والديه الوليد
ويغشى الدُّنا من حُلاها سَنًى أضاء لنا كلَّ حالٍ نضيد(٤)
من الموج مُلْتَمِعٌ ، مثلما تَحَلّتْ نحورُ الدُّمى بالعقودْ(٥)
أتتنا من الماء مُهتزَّةً منوَّرةً ، تَعتلى للوجود
وتصْعَد من غير ما سُلّمٍ فيا للمصوِّر هذا الصعود !
وهذا المنيرُ القريبُ القريب وهذا المنيرُ البَعيدُ البعيد
وهذا المنير الذى لن يُرى وهذا المنير وكلٌّ شهيد

---

(١) الصفاء : الصخر ٢ ــ لبيد : هو لبيد بن ابى ربيعة احد المعمرين .
(٣) حسين : هو الحسين بن على بن ابى طالب . ويزيد : هو يزيد بن معاوية بن ابى سفيان ٤ ــ السنا : الضوء . وحليت المراة : لبست حليها اى ما تتزين به . ونضيد : اى متسق ٥ ــ الدمى : واحدتها دمية وهى الصورة المنقشة المزينة .

وهذا الجُسامُ الخفيفُ الخُطا — وهذا الجُسامُ الذى ما يَميد
ويا للمصوِّر آثارها — بكل بحارٍ ، وفى كل بيد ! !
وتقليلها كلَّ جمٍّ السنا — وتصغيرها كلَّ عالٍ مَشِيد
من النار ، لكنّ أطرافَها — تدورُ بياقوتة لن تَبيد
من النار ، لكنّ أنوارَها — إلَهيَّةٌ ، زُيِّنَتْ للعبيد
هى الشمسُ ، كانت كما شاءها — مماتُ القديمِ ، حياةُ الجديد
تَردّ المياهَ إلى حَدِّها — وتُبلِى جبالَ الصفا والحديد(١)
وتطلُعُ بالعيشِ ، أو بالرَّدى — على الزرعِ : قائمِهِ ، والحَصِيد
وتسعى لذا الناسِ مهما سعتْ — بخيرِ الوعودِ ، وشرِّ الوعيد
وقد تتجلَّى إذا أقبلتْ — بنُعْمى الشقىِّ ، وبؤسَى السعيد
وقد تتولَّى إذا أدبرتْ — وليست بمأمونة أن تعود
فما للغروب يَهِيجُ الأسى — وكان الشروقُ لنا أىَّ عيد ؟
كذا المرءُ ساعةَ مِيلادِهِ — وساعةَ يدعو الحِمامُ العنيد
وليس بجارٍ ولا واقعٍ — سوى الحقِّ مما قضاه المُريد

مَنْظَرُ طُلُوعِ الْبَدْرِ مِن سَفِينَةٍ

مَلِكَ السماء ، بَهَرت فى الأنوار — ففداك كلُّ مُتوَّجٍ من سارى
لما طلعتَ على المياه تُنيرها — سكنتْ ، وقدكانت بغير قرارِ
وزَهَتْ لناظرِها السماءُ ، وقرّ ما — فى البحر من عُبُب ، ومن تيّار(٢)

---

(١) الصفا : الصخر — ٢ ـ العبب : الماء المتدفق .

وأهلّ للهِ السُّراةُ ، وأزلفوا   لك فى الكمال تحيَّةَ الإكبار

وتأمّلوك ، فكل جارحةٍ لهم   عينٌ تُسامِر نورَها وتسارى

والبدر منكَ على العوالم يَجتلِى   بِشْرَ الوجوه وزحمة الأبصار

مُتقدِّمٌ فى النور ، محجوبٌ به   مُوفٍ على الآفاق بالأسفار

يادُرَّةَ الغوّاصِ أخرَج ظافرًا   يُمناه يجلوها على النُّظار

مُتَهَلِّلا فى الماء ، أبدَى نصفَه   يسْمُو بها ، والنصفُ كاسٍ عار

وافى بك الأُفُقُ السماء ، فأسفرتْ   عن قُفْل ماسٍ ، فى سِوارِ نُضَار

ونهضتَ ، يزهو الكونُ منكَ بمنظرٍ   ضاحٍ ، ويحملُ منك تاجَ فَخَار

الماءُ والآفاقُ حولك فِضّةٌ   والشُّهْبُ دينارٌ لدى دينار

والفلكُ مشرقةُ الجوانبِ فى الدُّجَى   يبدو لها ذيلٌ من الأنوار

بينَا تخطَّرُ فى لُجَيْنٍ مائجٍ   إذ تَنثنِى فى عسجدٍ زَخّار

وكأنها والموجُ منتظمٌ وقد   أوفيتَ ثم دنوتَ كالمُحتار

غيداءُ لاهيةٌ ، تَخُطُّ لأغيَدٍ   شِعْرًا ليقرأه ، وأنتَ القارى

فليهْنِ بدرَ الأرضِ أنكَ صِنوُهُ   ونظيرُه قُرْباً وبُعْدَ مَزار

وحلاكُما ، ما البدرُ إلا أنتما   وسواكما قمرٌ من الأقمار

أنت الكريمُ على الوجودِ بوجهه   وهى الضنينةُ بالخيالِ السارى

هيفاءُ أهواها ، وأعشقُ ذكرَها   لكن أدارى ، والمحبُّ يُدارى

لى فى الهوى سِرٌّ أبيتُ أصونه   والله مُطَّلِعٌ على الأسرار

بَلْدَةُ الْمُؤْتَمَرِ لِنَاظِرِهَا فى بَهْجَةِ مَنَاظِرِها

(جنيف وضواحيها)

لا السُّهْدُ يُدنيني إليه . ولا الكرى　　طَيْفٌ يزورُ بفضله مهما سرى
تَخِذَ الدُّجَى ، وسماءه ، ونجومَه　　سُبُلاً إلى جفنيك ، لم يرضَ الثرى
وأتاكَ موفورَ النعيم ، تخالُه　　مَلَكًا تنمُّ به السماءُ ، مُطَهَّرا
علِم الظلامُ هبوطَه ، فمشتْ له　　أهدابُه يأخذْنه مُتحدِّرا
وحَمى النسائمَ أن تروحَ وأن تَجِى　　حَذَرًا وخوفاً أن يُراع ويُذعَرا
ورقدْتَ تُزْلِف للخيال مكانَه　　بين الجفون ، وبين هُدبك ، والكرى
فهَنِئْتَهُ مثلَ السعادةِ شائقًا　　متصورًا ما شئتَ أن يَتصورا
تَطوى له الرقباء منصورَ الهوى　　وتَدوس ألسنةَ الوشاةِ مظفَّرا
لولا امتنانُ العين ياطيفَ الرضا　　ماسامحت أيامَها فيما جرى
باتت مُشوَّقةً ، وبات سوادها　　زُونًا بتمثال الجمال منوّرا
تُعطَى المنى ، وتنيلهنَّ خليقة　　بك أن تُقدّم فى المنى وتؤخّرا
وتعانِق القمرَ السَّنِيَّ عزيزةً　　حتى إذا ودّعتَ عانَقَت الثرى
فى ليلةٍ قدِم الوجودَ هلالُها　　فدنت كواكبُها تُعلِّمه السُّرى
وتريه آثارَ البدورِ ايقتفى　　ويرى له الميلادُ أن يتصدّرا
ناجيتُ مَن أهوى ، وناجانى بها　　بين الرياض ، وبين ماء (سُوَيْسِرا)
حيث الجبالُ صِغارُها وكبارُها　　من كل أبيضَ فى الفضاء وأخضرا
تَخِذَ الغمامُ بها بيوتاً . فانجلت　　مشبوبةَ الأجرام ، شائبةَ الذُّرَى

والصخرُ عالٍ ، قام يشبه قاعدًا وأناف مكشوفَ الجوانبِ مُنذِرا
بين الكواكب والسحابِ ، ترى له أذُناً من الحجر الأصمّ ومِشفَرا(١)
والسفحُ من أيِّ الجهاتِ أتيتَه ألفيته دَرَجاً يَموج مُدوَّرا
نثرَ الفضاءُ عليه عِقدَ نجومِه فبدا زَبَرْجَدُه بهنّ مجوهرا
وتنظَّمتْ بِيضُ البيوتِ ، كأنَّها أوكارُ طيرٍ ، أو خَمِيسٌ عسكرا(٢)
والنجمُ يبعث للمياه ضياءه والكهرباءُ تضيءُ أثناءَ الثرى
هام الفراشُ بها ، وحام كتائبًا يحكى حواليْها الغمامَ مسيَّرا
خُلِقت لرحمته ، فباتت نارُه بَرْدًا ، ونار العاشقين تَسَعُّرا
والماءُ من فوق الديار ، وتحتَها وخِلالها يجرى ، ومن حول القرى
مُتصوِّبًا ، مُتصعِّدًا ، مُتمهِّلاً مُتسرِّعاً ، مُتسلسِلًا ، مُتعثِّرا
والأرضُ جِسْرٌ حيث دُرْت ومَعْبَرٌ يصلان جسرًا فى المياه ومعبرا
والفُلكُ فى ظلِّ البيوت مواخِرًا تطوى الجداولَ نحوها والأنهُرا
حتى إذا هَدأَ المَلا فى ليله جاذبتُ لَيْلِى ثوبَه متحيِّرا
وخرجت من بين الجسور . لعلَّنى أستقبِل العَرْفَ الحبيبَ إذا سرى
آوِى إلى الشجرات . وهْىَ تهزُّنى وقد اطمأنَّ الطيرُ فيها بالكرى
وبهزّ منى الماءُ فى لمعانه فأميلُ أنظر فيه ، أطمعُ أن أرى
وهنالك ازْدَهَت السماءُ . وكان أن آنَستُ نورًا ما أتمَّ وأبهرا ! !
فدريتُ فى لألائه ، وإذا به بدرٌ تسايره الكواكبُ خُطَّرا
حُلُم أعارتنى العشيةُ سمعها فيه ، فما استتممْتُ حتى فُسِّرا
فرأيتُ صفوى جَهرةً ، وأخذتُ أذ نِىَ يقظةً ، ومُناىَ لَبَّتْ حُضَّرا

(١) المشفر : الشفة من الانسان . — ٢ — الخميس : الجيش .

وأشرت : هل لُقْيا ؟ فأُوحِيَ : أنْ غدًا ... بالطّود أبيض من جبال (سُوَيْسِرا)
إن أشرقت زهراء تسمو للضحى ... وإذا هوت حمراء فى تلك الذُّرى
فشروقُها منه أتمُّ معانيًا ... وغروبُها أجلى وأكملُ منظرا
تبدو هنالك للوجود وَلِيدةً ... تهْنا بها الدنيا ، ويغتبط الثرى
وتضىءُ أثناءَ الفضاء بغُرَّةٍ ... لاحَت برأسِ الطَّوْدِ تاجاً أزهَرا
فسمَتْ ، فكانتْ نصفَ طارٍ ، ما بدا ... حتى أنافَ ، فلاحَ طارًا أكبرا
يعلو العوالِمَ ، مُسْتَقِلاًّ ، ناميًا ... مُستعصيًا بمكانه أن يُنْقَرا
سالت به الآفاقُ ، لكنْ عسجدًا ... وتغطت الأشباحُ ، لكنْ جوهرا
واهتزَّ ، فالدنيا له مُهتزَّةٌ ... وأنار ، فانكشف الوجودُ منوَّرًا
حتى إذا بلغ السُّمُوُّ كمالَه ... أذِنت لداعى النقصِ تهوى القهقرى(١)
فدنت لناظرِها ، ودان عنانُها ... وتبدّل المستعظمُ المستصغرا
واصفرَّ أبيضُ كلِّ شىءٍ حولَها ... واحمرَّ برْقُعُها وكان الأصفرا
وسما إليها الطَّودُ يأخذُها ، وقد ... جعلتْ أعالِيَهُ شريطًا أحمرا
مدَّته ، فاشتعلت بها جَنَباته ... وبدتْ ذُراه الشُّمُّ تحمل مِجْمرا
فكأنما مدَّتْ به نيرانَها ... شَرَكاً لتصطادَ النهارَ المدْبِرا
جرقته ، واحترقت به ، فتولّيا ... وأتى طُلولَهما الظلامُ فعسكرا
فشروقُها الأملُ الحبيبُ لمن رأى ... وغروبُها الأجلُ البغيضُ لمن درى
خَطبانِ قاما بالفناء على الصَّفا ... ما كان بينهما الصفاءُ ليعمُرا
تتغير الأشياءُ مهما عاودا ... والله عزّ وجلّ لن يتغيرا
أنهارنا تحت (السليف) ، وفوقَه ... ولدى جوانبه ، وما بين الذُّرى

---

(١) اذنت : انصتت .

رَجْلاً ، ورُكْباناً ، وزَحْلَقَةً على ... عَجلٍ هنالك كهربائىٌّ السرَى
فى مركبٍ مُستأْنِسٍ ، سالت به ... قُضُبُ الحديدِ ، تعرُّجاً وتحدُّرا
ينساب ما بين الصخور تمهُّلاً ... ويخفُّ بين الهُوَّتين تَخطُّرا
وإذا اعتلى بالكهرباء لِذروةٍ ... عصماء ؛ همّ معانقاً متسوِّرا
لمّا نزلنا عنه فى أُمّ الذُّرى ... قمنا على فرع (السليف) لننظرا
أرضٌ تموجُ بها المناظرُ جَمَّةٌ ... وعوالمٌ نِغَمَ الكتابُ لمن قرا
وقُرًى ضربن على المدائنِ هالةً ... ومدائنٌ حَلَّيْنَ أجيادَ القُرَى
ومزارعٌ للناظرين روائعٌ ... لَبِس الفضاءُ بها طرازًا أخضرا
والماءُ غُدْرٌ ما أرقَّ وأغْزَرا ! ! ... وجداولٌ هنّ اللُّجَيْنُ وقد جرى
فحشون أفواهَ السهولِ سبائكًا ... وملأْنَ أقبالَ الرواسخِ جوهرا(١)
قد صغَّر البعدُ الوجودَ لنا ، فيا ... لله ما أحلى الوجودَ مصغَّرا ! !

وقال يصف مشاهد الطبيعة فى طريقه إلى الآستانة قادما من أوروبا :

تلك الطبيعةُ ؛ قِف بنا يا سارى ... حتى أُريكَ بديعَ صُنْعِ البارى
الأرضُ حولك والسماءُ اهتزَّتا ... لروائع الآياتِ والآثار
من كلّ ناطقةِ الجلال ، كأنّها ... أُمُّ الكتاب على لسان القارى(٢)
دَلَّتْ على مَلِكِ الملوكِ ، فلم تَدَعْ ... لأدلَّة الفقهاءِ والأحبار(٣)
مَنْ شكَّ فيه فنظرةٌ فى صُنْعِه ... تمحو أثيمَ الشكِّ والإنكار

* * *

(١) اقبال الجبال : أى وجوهها ٢ — أم الكتاب : فاتحته .
(٣) الاحبار : جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .

كشف الغطاء عن (الطرول) وأشرقت ... منه الطبيعةُ غيرَ ذاتِ سِتار
شَبَّهْتُهَا (بلقيسَ) فوق سريرها ... فى نَضْرَةٍ ، ومواكبٍ ، وجوارى
أو (بابنِ داوُدٍ) وواسعِ مُلكه ... ومعالمٍ للعزّ فيه كبار(١)
هُوجُ الرِّياح خواشعٌ فى بابه ... والطيرُ فيه نواكسُ المِنقار(٢)

* * *

قامت على ضاحى الجنان كأنها ... رضوانُ يُزجى الخُلد للأبرار(٣)
كم فى الخمائل وهى بعض إمائها ... من ذاتِ خلخالٍ ، وذاتِ سوار(٤)
وحَسِيرَةٍ عنها الثيابُ ، وبَضَّةٍ ... فى الناعماتِ تجر فضلَ إزار(٥)
وضَحوكِ سنٍّ تملأُ الدنيا سنًى ... وغريقةٍ فى دمعها المِدْرار
ووحيدةٍ بالنجدِ تشكو وحشةً ... وكثيرةِ الأتراب بالأغوار(٦)

* * *

ولقد تمرُّ على الغدير تخاله ... والنَّبْت مرآةً زهتْ بإطار(٧)
حلو التسلْسُل موجُهُ وجريرُه ... كأنامل مرَّت على أوتار
مدّت سواعد مائه وتألّقت ... فيها الجواهر من حَصًى وجِمار(٨)
ينساب فى مُخضلَّةٍ مُبتلَّةٍ ... منسوجةٍ من سُندُسٍ ونُضار(٩)
زهراءَ عَوْنِ العاشقين على الهوى ... مختارةِ الشعراءِ فى آذار
قام الجَليدُ بها وسالَ ، كأنه ... دَمعُ الصبابةِ بلَّ غصنَ عذار
وترى السماءَ ضحًى وفى جنحِ الدجى ... مُنشقَّةً من أنهرٍ وبحار(١٠)

---

(١) المعالم : جمع معلم وهو مايستدل به على الطريق من اثر ونحوه .
(٢) هوج : جمع هوجاء ، والريح الهوجاء التى تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت ٣ ـ الضاحى المكان البارز . ويزجى : يسوق ويستحث .
(٤) الاماء : الجوارى . ٥ ـ الازار : الملحفة وكل ما ستر .
(٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . والغور : القعر من كل شئ .
(٧) اطار الشىء : كل ما احاط به ٨ ـ الجمار : جمع جمرة وهى الحصى .
(٩) احضل الشىء : صار نديا بليلا . والنضار : الذهب .
(١٠) الدجى : الظلمة ، أو سواد الليل .

فى كلِّ ناحيةٍ سلكتَ ومذهبٍ ... جبلانِ من صخر وماءٍ جارى

من كلِّ مُنهمرِ الجوانبِ والذُّرى ... غَمْرِ الحضيضِ . مُحلَّل بوقار(١)

عقد الضريبُ له عمامةَ فارعٍ ... جَمِّ المهابةِ من شيوخ نِزَار(٢)

ومكذِّبٍ بالجنّ ريع لصوتها ... فى الماء منحدرًا وفى التيار

مَلأَ الفضاءَ على المسامع ضجَّةً ... فكأنَّما ملأَ الجهاتِ ضَوارى

وكأنَّما طوفانُ نوحٍ ما نرى ... والفلكُ قد مُسِخَتْ حثيثَ قِطار

يجرى على مثل الصِّراط ، وتارةً ... ما بين هاويةٍ وجُرْفٍ هارى

* * *

جاب الممالكَ حَزْنَها وسهُولَها ... وطوى شِعابَ (الصرب) (والبلغار)(٣)

حتى رمى برحالنا ورجائنا ... فى ساحِ مَأْمولٍ عزيز الجار

مَلِكٌ بمَفْرَقِه إذا استقبلتَه ... تاجان : تاجُ هُدًى . وتاجُ فَخارِ

سكَنَ (الثريَّا) مُستقرَّ جلالِه ... ومشت مكارمُه إلى الأمصار

فالشرقُ يُسقَى دِيمةً بيمينه ... والغربُ تمطره غيوثُ يَسار(٤)

ومدائنُ البرَّيْنِ فى إعظامه ... وعوالمُ البحرَيْنِ فى الإكبار

اللهُ أيّده بآساد الشَّرى ... فى صورة المُتَدجِّج الجرّار

الصاعدين إلى العدوِّ على الظُّبى ... النازلين على القنا الخطّار(٥)

المشترين اللهَ بالأبناء ، والـ ... أزواجِ ، والأموالِ ، والأعمار

القائمين على لواء نبيِّه ... المنزَلين منازلَ الأنصار

* * *

ياعرشَ (قسطنطينَ) ، نلت مكانةً ... لم تُعْطَها فى سالف الأعصار

---

(١) الحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل — ٢ — الضريب: الثلج . والفارع : المرتفع الهيىء الحسن ٣ — الحزن ما غلظ من الارض ٤ — الديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ٥ — الخطار : المضطرب .

شُرِّفتَ بالصِّدّيقِ ، والفاروق ، بل بالأَقربِ الأَدنى من المُختار
حامى الخلافةِ مجدِهَا وكِيَانِها بالرأيِ آونةً وبالبَتّار(١)

* * *

تاهَتْ (فروقُ) على العواصم ، وازدَهت
بجلوسِ أَصْيَد باذِخٍ المقدار(٢)
(جَمِّ الجلالِ ، كأنما كرسيُّه جُزءٌ من الكرسى ذى الأَنوار)
أَخذت على (البوسفور) زُخْرفَها دُجًى
وتلأْلأَتْ كمنازِلِ الأَقمار

فالبدرُ ينظر من نوافِذِ منزل والشمسُ ثَمَّ مُطِلَّةٌ من دار
وكواكِبُ الجوزاءِ تَخْطُر فى الرُّبَى (والنَّسْر) مطلعُه من الأَشجار
واسم الخليفة فى الجهاتِ منوّر تَبدو السبيلُ ، به ويهدى السّارى
كتبوه فى شُرفِ القصور ، وطالما كتبوه فى الأَسماع والأَبصار

* * *

يا واحدَ الإِسلام غيرَ مُدافَعٍ أنا فى زمانك واحدُ الأَشعار
لى فى ثنائِك ـ وهو باقٍ خالدٌ ـ شعرٌ على الشِّعْرَى المنيعةِ زارى(٣)
أَخلصتُ حبى فى الإِمام ديانةً وجعلته حتى المماتِ شِعارى
لم أَلتمس عَرَضَ الحياةِ ، وإنما أَقرضْتُهُ فى الله والمُخْتار
إن الصنيعةَ لا تكون كريمةً حتى تُقَلِّدَها كريمَ نِجار
والحبُّ ليس بصادق مالم تكن حَسَنَ التكرُّمِ فيه والإِيثار
والشعر إنجيلٌ إذا استعملتَه فى نَشْرِ مَكْرُمَةٍ وسَتْرِ عَوار

---

(١) البتار : السيف القاطع — ٢ — الأصيد : الملك ، لأنه لا يلتفت من زهو يمينا وشمالا — ٣ — الشعرى : الكوكب الذى يطلع فى الجوزاء وطلوعه فى شدة الحر . وزرى عليه فعله : عابه .

وثنَيْتَ عن كَدَرِ الحِياضِ عِنانَه　　إنّ الأديبَ مُسامحٌ ومُدارِى
عند العواهِلِ من سياسة دهرهم　　سِرٌّ ، وعندك سائرُ الأسرار
(هذا مُقام أنت فيه محمدٌ　　أعداءُ ذاتك فِرقةٌ فى النار)
(إن الهلالَ — وأنتَ وحدَك كهفُه —　　بين المعاقِلِ منك والأسوار)
لم يبقَ غيرك مَنْ يقول : أصونُه　　صُنْه بحولِ الواحدِ القهّار

الْبُسْفُورُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ

على أيِّ الجنانِ بنا تَمُرُّ ؟　　وفى أىِّ الحدائق تَستقِرُّ ؟
رويدًا أيها الفُلْكُ الأبرُّ　　بلغتَ بنا الربوعَ ، فأنتَ حُرٌّ ؟(١)

* * *

سهرتَ ولم تنم للركبِ عَيْنُ　　كأن لَّمْ يُضْوِهِم ضَجَرٌ وأيْنُ(٢)
يَحُثُّ خُطاكَ لُجٌّ ، بل لُجَيْنُ　　بل الإبريزُ ، بل أُفُقٌ أغرّ(٣)

* * *

على شِبه السهول من المياه　　تُحيط بك الجزائرُ كالشِّياه
وأنتَ لهنّ راعٍ ذو انتباه　　تكرُّ مع الظلام ولا تَفِرُّ

* * *

يُنيف البدرُ فوقك بالهَباء　　رفيعًا فى السموِّ بلا انتهاء(٤)
تَخالُكما العيونُ إلى التقاء　　ودون المُلتقى كَوْنٌ ودهرُ

* * *

إلى أن قيل : هذا (الدردنيلُ)　　فسِرتَ إليه . والفجرُ الدليلُ

---

(١) الفلك : السفينة ، يؤنث ويذكر　٢ — الاين : الاعياء .
(٣) اللجين : الفضة　٤ — الهباء : الغبار أو مايشبه الدخان .

يُجيزكَ ، والأمانُ به سبيلُ   إذا هو لم يُجزْ فالماءُ خمر

* * *

تَمرُّ من المعاقلِ والجبالِ   بعالٍ ، فوقَ عالٍ ، خلفَ عالى
إذا أومأْن وقَّفتِ الليالى   وتَحمى الحادثات ، فلا تمرُّ

* * *

مدافعُ ، بعضها متقابلاتُ   ومنها الصاعداتُ النازلاتُ
ومنها الظاهِرات وأُخرياتُ   تَوارى فى الصخور وتستسرُّ

* * *

فلو أنَّ البحارَ جرتْ مِئِينا   وكان اللُّجُّ أجمعُه سفينا
لِتَلْقى منفذًا ، لَلقِينَ حَيْنا   ولمّا يمْسَسِ (البوغازَ) ضُرُّ

* * *

وبَعْدَ الأرخبيل وما يليه   وتِيهٍ فى العيالم أىِّ تيه(١)
بدا ضوءُ الصباح فسِرتَ فيه   إلى (البسفور) واقترب المَقَرُّ

* * *

تُسايِرُكَ المدائنُ والأناسِى   وفُلْكٌ بين جوّالٍ وراسى(٢)
وتحضُنك الجزائرُ والرّواسى   وتجرى رِقَّةً لك وهى صخر

* * *

تسير من الفضاء إلى المَضِيق   فآناً أنتَ فى بحر طليق
وآونةً لدى مَجْرًى سحيق   كما الشلالُ قام لديه نهر

* * *

وتأْتى الأفْقَ تطويه بِسجِلاّ   لآخَرَ كالسّراب إذا أَضَلّا

---

(١) العيالم : جمع عيلم وهو البحر — ٢ — الاناسى : جمع انسى .

إذا قلنا : المنازلُ ، قيل : كلَّا	فدُون بلوغها ظُهرٌ وعصْرُ

* * *

إلى أن حلّ فى الأَوْج النهارُ	ولِلرّائى تبيَّنت الدّيارُ
فقلنا : الشمسُ فيها أم نُضار	وياقوتٌ ، ومَرْجانٌ ، ودُرٌّ ؟

* * *

ودِدنا لو مَشيتَ بنا الهُوَينا	وأين لنا الخلودُ لديك ؟ أينا ؟
لِنَبهَجَ خاطرًا ونَقَرَّ عينا	بأحسنِ ما رأى فى البحر سَفْرُ

* * *

بلَوْحٍ جامع الصُّور الغَوالى	وديوانٍ تفرّد بالخيال
ومِرآةٍ . المناظر والمجالى	تمرّ بها الطبيعةُ ما تمرّ

* * *

فضاءٌ مُثِّلَ الفِردوسُ فيه	ومَرْأىً فى البحار بلا شبيه
فإيهٍ — يابناتِ الشعرِ — إيه	فمالَكِ فى عقوقِ الشعر عُذرُ

* * *

لأجلكِ سِرْتُ فى برٍّ وبحرِ	وأنتِ الدهرَ أنتِ بكل قُطْرِ
حننتِ إلى الطبيعة دون مصرِ	وقُلتِ لدى الطبيعة : أين مصرُ؟

* * *

فهلّا هزَّكِ التِّبرُ المذابُ	وهذا اللَّوحُ . والقلمُ العُجاب
وما بينى وبينهما حجابُ	ولا دونى على الآيات ستر ؟

* * *

جهاتٌ ، أَمْ عذارى حالياتُ ؟	وماءٌ ، أم سماءٌ . أم نباتُ ؟
وتلك جزائرٌ . أم نيِّراتُ ؟	وكيف طلوعُها والوقت ظهرُ ؟

* * *

جلاها الأُفق صُفْراً وهْىَ خُضْرُ ‏ كزَهرٍ دونَه فى الروض زهرُ
لوى بحرٌ بها . والتفّ بحرٌ ‏ كما مُلِّكت جهاتِ الدَّوْحِ غُدْر (١)

* * *

تلوح بها المساجدُ باذخاتٍ ‏ وتتَّصل المعاقلُ شامخات
طِباقاً فى العلى . متفاوتات ‏ سما بَرٌّ بها ، وانحطَّ برٌّ

* * *

وكم أرضٍ هنالك فوق أرضٍ ‏ وروضٍ ، فوق روضٍ ، فوق روض
ودُور بعضُها من فوق بعض ‏ كسَطرٍ فى الكتاب علاه سطر

* * *

سُطورٌ لا يحيط بهنّ رَسْم ‏ ولا يُحصى معانيهنّ عِلم
إذا قُرِئتْ جميعًا فهْىَ نَظْم ‏ وإن قرئت فُرَادى فهْىَ نثر

* * *

تأرَّجُ كلما اقتربت وتزكو ‏ ويجمعها من الآفاق سِلك (٢)
تشاكل ما به . فالقصرُ فُلْكُ ‏ على بُعْدٍ لنا . والفُلْكُ قصرُ

* * *

ونونٌ دونها فى البحر نونٌ ‏ من البسفور نقَّطها السَّفين
كأنَّ السُبْلَ فيه لنا عيون ‏ وإنسانُ السفينة لا يَقِرّ

* * *

هنالك حفّت النُعْمى خُطانا ‏ وحاطتنا السلامةُ فى حمانا
فألقينا المراسِىَ واحتوانا ‏ بناءٌ للخلافةِ مُشْمَخِرُّ

* * *

فيامَن يطلب المرأى البديعا ‏ ويعشقه شهيدًا أو سميعًا
رأيت محاسنَ الدنيا جميعًا ‏ فهنّ الواوُ . والبسفورُ عمرو

---

(١) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة المتسعة من أى شجر كانت ــ ٢ ــ تأرج : أى فاح .

الرِّحْلَةُ إِلَى الأَنْدَلُسِ

لما وضعت الحربُ الشُّوْمى أوزارها(١) . وفضحها الله بين خلقه وهتك إزارَها(٢) ؛ ورمَّ لهم ربوعَ السلم ، وجدّد مَزارَها(٣) ؛ أصبحتُ وإذا العوادى(٤) مُقصرة ! والدواعى غير مقصِّرة ، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب ، والنفس بحق زيارته أطلب ؛ فقصدته من برشلونة وبينهما مسيرة يومين بالقطار المجدّ ، والبخار المشتدّ ، أو بالسفن الكبرى الخارجة إلى المحيط ، الطاوية القديم نحو الجديد من هذا البسيط.(٥) ، فبلغتُ النفس بِرآه الأرب ، واكتحلت العينُ فى ثراه بآثار العرب ، وإنها لشتّى المواقع ، متفرقة المطالِع : فى ذلك الفلكِ الجامع ، يسرِى زائرُها من حرَم ، كمن يُمسِى بالكرنك ويُصبح بالهرم ، فلا تقاربَ غيرَ العِتق والكرم : (طُلَيْطِلة) تُطِلُّ على جسرها البالى ، و (أشبيلية) تُشبِل(٦) على قصرها الخالى ، و (قرطبة) منتبذةٌ ناحية بالبيعةِ(٧) الغراء ، و (غرناطة) بعيدةُ مَزارِ الحمراء . وكان « البحترى » رحمه الله رفيقى فى هذا الترحال ، وسميرى فى الرحال ، والأحوال تصلح على الرجال ، كل رجل لحال . فإنه أبلغُ مَن حَلّى الأثر ، وحيّا الحجر ، ونشر الخبر ، وحشرَ العِبَر ، ومَن قام فى مأتم على الدول الكُبَر ، والملوك البهاليل الغُرر ، عطفَ على (الجعفرى) حين تَحمل(٨) عنه الملا ، وعطل منه الحُلى ، ووُكِل بعد (المتوكل) إلى البِلى . فرفع قواعدَه فى السِّير ، وبنى رُكنَه فى الخبر ، وجمع معالمه فى الفكَر ، حتى عاد كقصور الخُلدِ امتلأت منها البصيرةُ وإن خلا البصر وتكفل بعد ذلك (لكسرى) بإيوانه ، حتى زال عن الأرض إلى ديوانه .

---

(١) أوزار الحرب : آلاتها ٢ — الازار : الملحفة ٣ — المزار : الزيارة — ٤ — العوادى : العوائق — ٥ — البسيط : الأرض الواسعة .
(٦) اشبل عليه : أى عطف والمرأة تشبل على أولادها : أقامت عليهم بعد وفاة زوجها ولم تتزوج . ٧ — البيعة : متعبد النصارى .
(٨) تحمل : ارتحل .

وسينيّتُه المشهورةُ فى وصفه ؛ ليست دونه وهو تحت (كسر) فى رصّه ورَصْفه(١) ، وهى تُريك حسنَ قيامِ الشعرِ على الآثار ، وكيف تتجدد الديار فى بيوته بعد الاندثار . قال صاحب الفتح القُسى فى الفتح القدسى بعد كلام : « فانظروا إلى إيوان كسرى وسينيةِ البحترى فى وصفه ، تجدوا الإيوانَ قد خرّت شَعَفاته ، وعُفّرت شرفاته ، وتجدوا سينية (البحترى) قد بَقِى بها (كسرى) فى ديوانه ، أضعاف ما بَقِى شخصُهُ فى (إيوانه) » .

وهذه السينية هى التى يقول فى مطلعها :

صنت نفسى عما يُدنس نفسى   وترفعت عن ندى كل جبس

والتى اتفقوا على أن البديع الفرد من أبياتها قوله :

والمنايا مواثل وأنو شر   وان يُزجى الجيوش تحت الدَرَفس

فكنت كلما وقفتُ بحجر ، أو أطفتُ بأثر ، تمثّلتُ بأبياتها ، واسترحتُ من مواثل العبر إلى آياتها ، وأنشدت فيما بينى وبين نفسى :

وعظ البحترىَّ إيوان كسرى   وشفتنى القصورُ من عبد شمس

ثم جعلتُ أروض القولَ على هذا الروى ، وأُعالجه على هذا الوزن حتى نظمت هذه القافية المُهلهلة ، وأتممت هذه الكلمة الرِّيضة . وأنا أعرضها على القراء راجيًا أن يلحظوها بعين الرضاء ، ويسحبوا على عيوبها ذيل الإغضاء ، وهذه هى :

اختلافُ النّهارِ والليل يُنسى   اذكرا لى الصِّبا ، وأيامَ أُنسى

وصفا لى مُلاوةً من شباب   صُوِّرت من تصورات ومَسّ(٢)

---

(١) رصف الحجارة رصفا : ضم بعضها الى بعض .
(٢) الملاوة : البرهة من الدهر .

عصفتْ كالصَّبا(١) اللعوبِ ومرّت ... سِنةً(٢) حُلوةً ولذَّةُ خَلْس(٣)
وسلا مصرَ : هل سلا القلبُ عنها ... أَو أَسا(٤) جُرحَه الزمان المؤسّى ؟
كلما مرّت الليالى عليه ... رقَّ . والعهدُ فى الليالى تُقسِّى(٥)
مُستَطارٌ(٦) إذا البواخِرُ رنَّتْ(٧) ... أولَ الليلِ . أو عَوَتْ بعد جَرْس(٨)
راهبٌ(٩) فى الضلوع للسفن فَطْن(١٠) ... كلما ثُرْنَ شاعَهن بنَقس(١١)
يا آبنةَ اليمِّ(١٢) . ما أبوكِ بخيلٌ ... مالَه مولَعًا بمنعٍ وحبس ؟
أحرامٌ على بلابله الدَّوْ ... حُ ، حلالٌ للطير من كل(١٣) جنس ؟
كلُّ دارٍ أحقُّ بالأهل ، إلا ... فى خبيثٍ من المذاهب رِجْس(١٤)
نفسى مِرجَلٌ(١٥) ، وقلبى شِراعٌ ... بهما فى الدموع سِيرِى وأرسى
واجعلى وجهَكِ (الفنارَ) ، ومجرا ... كِ يدَ (الثغرِ) بين (رملٍ) و (مكس)
وطنى لو شُغِلتُ بالخلدِ عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
وهفا(١٦) بالفؤاد فى سلسبيلٍ ... ظمأٌ للسواد من (عين شمس)(١٧)
شهِد اللهُ ، لم يَغِب عن جفونى ... شخصُه ساعةً ، ولم يخلُ حِسّى
يُصبح الفكرُ و (المسلّةُ) ناد ... يه ، و (بالسَّرحة الزكية) يُمسى
وكأنّى أرى الجزيرةَ أَيْكًا(١٨) ... نَغَمَتْ طَيْرُه بأَرخم جَرس(١٩)

---

(١) الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش ٢ — السنة : النعاس ٣ — خلس الشيء : اخذه فى نهزة ومخاتلة ٤ — اسا الجرح : داواه ٥ — قساه تقسية : اى صيره قاسيا ٦ — مستطار : استطير الشيء : طير وانتشر ٧ — رن : اى صاح ورفع صوته بالبكاء ٨ — الجرس : الصوت ٩ — الراهب : هو من تبتل لله ، واعتزل عن الناس الى الدير ، طلبا العبادة ، ويشبه به القلب ١٠ — فطن للشيء : اى حذق به ١١ — النقس : ضرب النواقيس ١٢ — اليم : البحر ١٣ — الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة

(١٤) الرجس : المأثم (١٥) المرجل : القدر من الحجارة والنحاس

(١٦) هفا : أى اسرع ١٧ — السواد : ما حول البلدة من القرى

(١٨) الايك : الشجر الكثير الملتف ، وقيل : الغيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر ١٩ — الجرس : الصوت ، أو خفيه .

هى (بلقيسُ) فى الخمائل صَرْحٌ(١)   من عُباب(٢) ، وصاحبٌ غيرُ نِكس(٣)

حَسْبُها أن تكونَ للنيل عِرْسًا   قبلها لم يُجنَّ يومًا بعرس

لبستْ بالأصيل حُلّةَ وَشْيٍ   بين صنعاء(٤) فى الثياب وقَسّ(٥)

قدّها النيلُ ، فاستحتْ ، فتوارتْ   منه بالجسرِ بين عُرْىٍ ولُبس

وأرى النيلَ (كالعقيق)(٦) بواديه   ه وإن كان كوثرَ المتحسّى(٧)

ابنُ ماء السماء ذو الموكب الفخم   الذى يَحسُر العيونَ ويُخسى(٨)

لا ترى فى ركابه غيرَ مُثْنٍ   بخَميلٍ ، وشاكرٍ فضلَ عرس

وأرى (الجيزة) الحزينة ثَكْلَى   لم تُفِقْ بعدُ من مَناحة (رمسى)(٩)

أكثرتْ ضجّةَ السواقى عليه   وسؤالَ اليراع عنه بهَمْس(١٠)

وقيامَ النخيل ضَفَّرْنَ شعرًا   وتجرَّدْنَ غيْرَ طَوقٍ وسَلْس(١١)

وكأنَّ الأهرامَ ميزانُ فرعو   نَ بيومٍ على الجبابر نَحْس

أو قناطيرُه تأنَّق فيها   ألفُ جَاب(١٢) وألفُ صاحبِ مَكْس(١٣)

روْعةٌ فى الضحى ، مَلاعِبُ جِنٍّ   حين يغشَى الدّجى حماها ويُغسى(١٤)

و(رهينُ الرمال) أفطسُ ، إلّا   أنه صُنْعُ جِنّةٍ غير فُطْس(١٥)

تتجلّى حقيقةُ الناس فيه   سَبُعُ الخَلْقِ فى أسارير إنسى

---

(١) الصرح : القصر ، وكل بناء خال — ٢ — العباب : كثرة الماء ، والعباب : معظم السيل ، والعباب : ارتفاعه وكثرته — ٣ — النكس : الرجل الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه — ٤ — صنعاء : قصبة بلاد اليمن . وقرية بباب دمشق — ٥ — ثوب قسى وتكسر قافه ، منسوب الى قس وهو موضع بين العريش والفرما ؛ من أرض مصر .

(٦) العقيق : كل ما شقه ماء السيل فأنهره ووسعه ، ويعنى بالعقيق هنا عقيق المدينة ، وهو معروف — ٧ — المتحسى : اى الشارب

(٨) يخسى : من خسا البصر . كل واعيا — ٩ — رمسى : اى رمسيس — ١٠ — اليراع : القصب — ١١ — سلسلت النخلة سلسا : ذهب كربها — ١٢ — جاب : الجابى الذى يجمع الخراج — ١٣ — المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق فى الجاهلية .

(١٤) يغسى : يظلم — ١٥ — فطس الرجل : تطامنت قصبة انفه وانتشرت فى وجهه ، فهو افطس ، والجمع فطس .

لعِبَ الدَّهرُ فى ثراه صبيًّا ... والليالى كواعبًا غيرَ عُنْس(١)
ركِبتْ صُيَّدُ(٢) المقادير عينيه ... لنَقْدٍ ، ومِخْلَبَيْهِ لفَرْس(٣)
فأصابت به الممالكَ : (كسرى) ... (وهِرَقْلاً) ، (والعبقرىَّ الفرنسى)
يافؤادى ، لكلِّ أمرٍ قرارٌ ... فيه يبدو ويَنْجلِى بعدَ لَبْس
عَقَلتْ(٤) لُجَّةُ الأُمورِ عقولًا ... طالتِ الحوتَ طُولَ سَبْحٍ وَغَسّ(٥)
غَرِقتْ حيثُ لا يُصاحُ بطافٍ ... أو غريقٍ ، ولا يُصاخُ لِحِسّ
فَلَكٌ يَكسِفُ الشموسَ نهارًا ... ويسومُ البدورَ ليلةَ وَكْس(٦)
ومواقيتُ للأُمورِ ، إذا ما ... بَلَغَتْها الأُمورُ صارتْ لِعَكْس
دُوَلٌ كالرجالِ ، مرتهناتٌ ... بقيامٍ من الجُدُودِ وتَعْس
وليالٍ من كلِّ ذاتِ سِوارٍ ... لطَمَتْ كلَّ رَبِّ (رُومٍ) (وفُرْس)
سدّدتْ بالهلالِ قوساً ، وسلتْ ... خِنْجَرًا يَنْفُذان من كل تُرْس
حكمتْ فى القرون (خوفو)و (دارا) ... وعفت(٧) (واثلا)وألْوَتْ (بعَبس)
أين (مروانُ) : فى المشارق عرشٌ ... أمَوِىٌّ ، وفى المغارب كرسى ؟(٨)
سَقِمتْ شَمْسُهم ، فردَّ عليها ... نورَها كلُّ ثاقبِ الرأى نَطْس(٩)
ثم غابتْ ، وكلُّ شمسٍ سِوَى هاتيـ ... ـكَ تَبْلَى ، وتنطوى تحتَ رَمْس(١٠)
وعظ (البحترىَّ) إيوانُ (كسرى) ... وشَفَتْنِى(١١)القصورُ من (عبدشمس)
رُبَّ ليلٍ سريتُ والبرقُ طِرْفى ... وبِساطٍ طويتُ والريحُ عَنْسى(١٢)

---

(١) عنس : جمع عانس ، وهى الجارية التى طال مكثها فى اهلها بعد ادراكها ولم تتزوج — ٢ — صيد : واحدها صائد — ٣ — الفرس: الافتراس — ٤ — عقلت : قيدت ٥ — غس فى البلاد غسا : دخل فيها ومضى قدما ٦ — ليلة الوكس : اى ليلة دخول القمر فى نجم منحوس ٧ — عفت : درست ومحت ٨ — كرسى : اى عرش.

(٩) نطس: اى عالم — ١٠ — الرمس : القبر — ١١ — شفتنى: اى وعظتنى هى ايضا وعظا شافيا — ١٢ — العنس : الناقة

أَنْظِمُ الشرقَ فى (الجزيرة) بالغر   بِ ، وأَطْوِى البلادَ حَزْنًا(١) لدَهس(٢)
فى ديارٍ من الخَلائف(٣) دَرْسٍ   ومنارٍ(٤) من الطوائف طمس
ورُبًى كالجنانِ ، فى كنفِ الزيتو   نِ خُضْرٍ ، وفى ذَرا الكَرْمِ طُلْس(٥)
لم يَرُعْنى سوى ثَرىً قُرْطُبِيٍّ   لمستْ فيه عِبْرَةَ الدهر خَمسى
يا وقَى اللهُ ما أُصَبِّحُ منه   وسَقَى صَفْوَةَ الحيَا ما أُمَسِّى
قَرْيَةٌ لا تُعَدُّ فى الأَرض ، كانت   تُمسِكُ الأَرضَ أن تَميدَ وتُرْسى
غَشِيتْ ساحلَ المحيط ، وغطَّتْ   لُجَّةَ الرُّومِ من شراعٍ وقَلْسٍ(٦)
رَكِب الدهرُ خاطرى فى ثراها   فأَتى ذلك الحِمَى بعد حَدْس(٧)
فتجلَّتْ لىَ القصورُ ومن فيـ   ـها من العزِّ فى منازلَ قُعْس(٨)
ما ضفتْ(٩) قَطُّ فى الملوكِ على نَدْ   لِ المعالى ، ولا تردَّتْ بنَجْس
وكأَنى بلغتُ للعلمِ بيتًا   فيه ما لِلعقولِ من كل دَرس
قُدُساً فى البلادِ شرقاً وغرباً   حَجَّهُ القومُ من فقيهٍ وقَسّ
وعلى الجمعةِ الجلالةُ ، و(النا   صرُ) نورُ الخميس تحت الدَّرَفس(١٠)
يُنزل التاجَ عن مفارقِ (دُونٍ)   ويُحَلَّى به جبينَ (البرنس)
سِنَةٌ من كرًى ، وطيفُ أَمانٍ   وصحا القلبُ من ضلالٍ وهَجْس(١١)
وإذا الدارُ ما بها من أنيسٍ   وإذا القومُ ما لَهم من مُحِسٍ(١٢)
ورقيق من البيوت عتيق   جاوز الأَلفَ غيرَ مذموم حَرْس(١٣)

---

(١) الحزن : ما غلظ من الارض — ٢ — الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب — ٣ — الخلائف : جمع خليفة — ٤ — المنار : العلم يجعل للطريق — ٥ — طلس : واحدها اطلس ، وهو ما لونه اسود تخالطه غبرة — ٦ — القلس : حبل السفينة — ٧ — الحدس : السير على غير هداية — ٨ — القعس : العز الثابت — ٩ — ضفت : من ضفا : سبغ واتسع — ١٠ — الخميس : الجيش والدرفس : العلم الكبير — ١١ — الهجس : كل ما وقع فى خلد الانسان
(١٢) محس : اى حاس بهم — ١٣ — الحرس : الدهر

أثرٌ من (محمَّد) ، وتُراثٌ صار (للروح) ذى الولاء الأمَسِّ(١)
بَلَغَ النجمَ ذِرْوَةً ، وتناهى بينَ (ثَهْلَانَ)(٢)فى الأَساس و(قُدس)(٣)
مَرْمَرٌ تسبَحُ النواظرُ فيه ويطول المدى عليها فتُرسى
وسَوارٍ(٤) كأنَّها فى استواءٍ أَلِفاتُ الوزيرِ فى عَرْضِ طِرْس(٥)
فَترَةُ الدهر قد كست سَطرَيْها(٦) ما اكتسى الهدبُ من فتور ونعس
وَيْحَهَا ! كَمْ تزيَّنتْ لعليم واحِدِ الدَّهْرِ ، واستعدت لخمس(٧)
وكأنَّ الرفيفَ(٨) فى مسرح العيـ ن مُلاءٌ مُدَنَّراتُ الدِّمَقس(٩)
وكأنَّ الآياتِ فى جانبيه يتنزَّلن فى معارج قدس(١٠)
مِنبرٌ تحت (مُنذرٍ)(١١) من جلال لم يزل يكتسيه ، أو تحتَ (قُسّ)
ومكانُ الكتاب يُغريكَ رَيًّا وَرْدِه غائبًا ، فتدنو لِلَمْس(١٢)
صَنْعَةُ (الداخِل)(١٣) المباركِ فى الغر ب ، وآلٍ له مَيامِينَ شُمْس(١٤)

* * *

مَنْ (لحمراء) جُلِّلَتْ بغُبار الـ ـدهرِ ، كالجُرح بين بُرْءٍ ونُكس
كسَنا البرقِ ، لو محا الضوءُ لحظًا لمحتها العيونُ من طول قَبْس
حِصْنُ (غرناطة) ، ودارُ بنى (الأحـ ـمر) : من غافلٍ ، ويقظانَ نَدْس(١٥)
جَلَّلَ الثلجُ دونَها رأسَ (شِيرى) فبدا منه فى عصائبَ بِرس(١٦)

(١) الأمس : الأقرب — ٢ — نهلان : جبل بالعالية — ٣ — قدس جبل عظيم بنجد .
(٤) السواري : واحدتها سارية ، وهى الاسطوانة (العمود)
(٥) الوزير : يعنى به ابن مقلة المشهور بجودة الخط
(٦) سطريها : صفيها — ٧ — ويحها كم تزينت لعليم اى لمدرس عالم ، وابستعدت لاقامة الصلوات الخمس — ٨ — الرفيف : السقف — ٩ — الدمقس : الحرير — ١٠ — المعارج : واحدها معرج وهو السلم والمصعد — ١١ — منذر : هو قاضى الأندلس منذر ابن سعيد المعروف بالعدل والزهد — (١٢) ريا ورده : اى رائحة ورده — ١٣ — الداخل : هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام مؤسس الدولة الأموية بالأندلس — ١٤ — الشمس : الأباة
(١٥) الندس : الفهم — ١٦ — عصائب برس : اى بيض كالقطن .

سَرْمَدٌ شَيْبُهُ ، ولم أَرَ شَيْبًا   قبلَه يُرجى البقاءَ ويُنْسى
مَشَتِ الحادثاتُ فى غُرَفِ (الحمـ   ـراءِ) مَشْيَ النَّعِيِّ فى دار عرس
هَتَكَتْ عِزَّةَ الحجابِ . وفضّت   سُدَّةَ الباب من سمير وأنس
عَرَصاتٌ تخلّت الخيلُ عنها   واستراحت من احتراسٍ وعَس(١)
ومَغانٍ على الليالى وِضاءٌ   لم تجد للعَشِيِّ تكرارَ مَسّ
لا ترى غيرَ وافدين على التا   ريخ . ساعِينَ فى خشوع ونكس
نقّلوا الطرفَ فى نضارةِ آسٍ   من نقوش . وفى عُصارة وَرْس(٢)
وقِبابٍ من لازَوَرْدٍ وتِبرٍ   كالرُّبى الشُّمِّ بين ظل وشمس
وخطوطٍ تكفَّلَتْ للمعانى   ولألفاظها بأزين لِبْس
وترى مجلسَ السباع خَلاءً   مُقْفِرَ القاعِ من ظباءٍ وخنس
لا (الثُّريَّا) . ولا جوارى الثريا   يتنزَّلْنَ فيه أقمارَ إِنْس
مرمَرٌ قامت الأُسودُ عليه   كَلَّةَ الظُّفرِ . لَيِّنَاتِ المَجسّ
تنثر الماءَ فى الحياض جُماناً   يَتنزَّى على ترائبَ مُلس
آخرَ العهدِ بالجزيرة كانت   بعد عَرك من الزمان وضَرس(٣)
فتراها . تقول : رايةُ جيشٍ   بادَ بالأمس بين أسرٍ وحَسّ(٤)
ومفاتيحُها مقاليدُ مُلكٍ   باعها الوارثُ المُضِيعُ بِبَخْسٍ
خرج القومُ فى كتائبَ صُمٍّ   عن حفاظ ، كموكب الدَّفن خُرْس(٥)
ركِبوا بالبحار نَعْشًا . وكانت   تحت آبائهم هى العرش أمس
رُبَّ بانٍ لهادِمٍ . وجَمُوعٍ   لمُشِتٍّ ، ومُحْسِنٍ لمُخِسّ

(١) العس : احتراس الليل . — ٢ — الورس : نبات احمر اللون .
(٣) الضرس : من ضرس الزمان القوم : اشتد عليهم .
(٤) الحس : القتل .
(٥) الحفاظ : الذب عن المحارم .

إمْرةُ الناسِ هِمّةٌ ، لا تَأتّى لجبانٍ ، ولا تسَنّى لجِبس(١)
وإذا ما أصاب بنيانَ قومٍ وهْيُ خُلْقٍ ، فإنه وَهْيُ أُسّ
يا ديارًا نزلتُ كالخُلد ظِلاً وَجَنًى دانيًا ، وسَلْسالَ أنس
مُحسِناتِ الفُصولِ ، لا ناجِرٌ(٢) فيها بِقَيْظٍ ، ولا جُمادَى بِقَرس(٣)
لا تَحِسُّ العيونُ فوق رُباها غيرَ حُورٍ حُوٍّ(٤) المراشف(٥) ، لُعْس(٦)
كُسِيَتْ أفْرُخى بظلِّكِ رِيشاً وَرَبا فى رُباكِ واشتدّ غَرْسى
هم بنو مصرَ ، لا الجميلُ لديهم بمُضاعٍ ، ولا الصنيعُ بمَنْسى
من لسانٍ على ثنائكِ وَقْفٌ وجَنانٍ على ولائكِ حَبْس
حَسْبُهم هذه الطلولُ عِظَاتٍ من جديدٍ على الدهور ودَرْس
وإذا فاتك التفات إلى الما ضى فقد غاب عنك وجهُ التأسّى

كُوكْ صُو

قال يصف (كوك صو) وهو موقع جميل فى الاستانة العليه . ومعنى اللفظين اللذين سمى بهما (ماء السماء)

تحية شاعرٍ يا ماءَ (جَكْسو) فليس سواكَ للأرواح أُنْس
فدَتك مياهُ (دِجلةَ) وهى سَعْدٌ ولا جُعلتْ فداءَك وهى نحس
وجاءكَ ماءُ (زمزمَ) وهو طُهْرٌ وأمواهٌ على الأُرْدُنّ قُدْس
وكان (النيلُ) يعرِس كلَّ عامٍ وأنت على المدى فَرَحٌ وعُرس

---

(١) الجبس : الجبان — ٢ — شهر رجب ، أو صفر ، أو شهر من شهور الصيف — ٣ — بقرس : ببارد — ٤ — حو المراشف : اى سمر الشفاه ، وهو مستملح من النساء — ٥ — المراشف : الشفاه (٦) اللعس : سواد مستحسن فى الشفة

وقد زعموه للغادات رَمْسًا   وأنت لِهَمِّهِنَّ الدهرَ رَمسُ
وِرَدنكَ كوثرًا ، وسَفَرنَ حُورًا   وهل بالحور إن أسفرنَ بأْس ؟
فقل للجانحين إلى حجاب   أتُحجَب عن صنيع الله نَفسُ ؟
إذا لم يَسترِ الأدبُ الغوانى   فلا يُغنى الحريرُ ، ولا الدمِقس
تأمل . هل ترى إلا جلالاً   تُحِسُّ النفسُ منه ما تحس ؟
كأن الخُود(١) (مريمُ) فى سُفور   ورائيها حوارِىٌّ وقَسّ
تَهيَّبها الرجالُ ، فلا ضميرٌ   يهم بها ، ولا عينٌ تُحِس
غَشِيتُك والأصيلُ يَفيض تبرًا   ويَنسجُ للرُّبى حُللاً ويكسو
وتذهب فى الخليج له وتأْتى   أناملُ تَنْثر العِقيانَ(٢) خَمْس
وفى جِيد الخميلةِ(٣) منه عِقدٌ   وفى آذانها قُرْطٌ وسَلس(٤)
ولألأت الجبالُ فضاءٌ سَفْح   يَسُرّ الناظرين ، ونارَ رأس
على فُلكٍ تسير بنا الهُوَيْنى   ومِنْ شعرى نديمٌ لى وجِلس
تُنازِعُنا المذاهبَ حيثُ مِلْنا   زَوارقُ حولنا تجرى وترسو
لها فى الماء مُنسابٌ كطير   تُسِفُّ(٥) عليه أحياناً وتَحسو
صغارِ الحجم ، مُرْهَفَةِ الحواشى   لهاعُرفٌ(٦) إذا خطرت وجَرْس(٧)
إذا المِجدافُ حَرَّكَها اطمأنَّت   وإنْ هو لم يُحَرِّكْ فَهْىَ رعس(٨)
وإنَّ هوَ جَدَّ فى الماء انسيابا   فكُلٌّ طريقه وَتَرٌ وقَوْس
حَملْنَ اللؤلؤ المنثورَ عِيناً(٩)   كما حَمَلَتْ حَبابَ الراحِ كأْس

---

(١) الخود : جمع خودة وهى المراة الشابة — ٢ — العقيان : الذهب الخالص — ٣ — الخميلة : الموضع الكثير الشجر
(٤) السلس : الخيط الذى ينظم به الخرز الأبيض تلبسه الاماء ، وقيل القرط من الحلى — ٥ — أسف الطائر : طار على وجه الأرض
(٦) العرف : لحمة مستطيلة فى اعلى راس الديك — ٧ — الجرس : الصوت : أو خفيه — ٨ — رعس من رعس الرجل اذا مشى مشيا ضعيفا — ٩ — العين : جمع عيناه ، وهى المراة التى عظم سواد عينها فى سعة .

كأن سوافِرَ(١) الغادات فيها ... ملائكُ هَمُّها نَظَرٌ وهَمْس
كأن براقعَ الغادات تهفو ... على وجناتها غَيْمٌ وشمس
كأن مآزر(٢) العِين انتسابا ... زهورٌ لا تُشمُّ . ولا تُمَسُّ
إذا نُشِرت ؛ فريحانٌ وورْدٌ ... وإن طُويت ؛ فنَسْرينٌ ووَرْس
عجبتُ لهنّ يجمعُهنّ حسنٌ ... ولكنْ ليس يجمعُهنّ لُبس
فكان لنا بظلّكَ خيرُ وقتٍ ... وخيرُ الوقتِ ما لَك فيه أُنس
نمتّع منكَ .(ياجكسو) نفوساً ... بها من دهرها هَمٌّ وبُؤس
إلى أن بان سِرُّكَ فانثنينا ... وقد طُوِيَ النهارُ . ومات أمس

* * *

وقال فى كلاب الآستانة وكان يضرب بها المثل فى الكثرة والقذارة :

قالوا (فروقُ) الملكِ دارُ مَخاوفٍ ... لا ينقضى لنزيلها وسْواسُ
وكلابُها فى مأمنٍ ، فاعجب لها ... أمِنَ الكلابُ بها . وخاف الناسُ

أُنْسُ الوُجُود

إلى المستر روزفلت

الرئيس الأسبق للولايات المتحدة

أتأذن لرجلٍ تعوّد أن يخرجَ عن دائرةِ (الموظف) كلما عرضت حال يخدم الوطنَ فيها الرجالُ يرفع لشعره ذكره . ويشرّفَ قدرَه . مهدياً إليكَ منه هذه القصيدة فى لغة (الضاد) ، وهى مما قلتُ فى (أنس الوجود) ذلك الأثر المحتضر ، الذى جمع العِبَر . ومحاه الدهر أو كاد وكان إحدى آياته

---

(١) سوافر : جمع سافرة ، وهى المرأة التى كشفت عن وجهها .
(٢) مآزر : جمع ازار ، وهو الملحفة .

الكبر ، هياكل « لفرعون » و« بطليموس » . توراثها عن « الكهنة » « القسوس » . وصارت « للمسيح » وكانت « لهوروس » . ثم ظهرَ « الأذانُ » فيها على « الناقوس » . ثم لا تكون عَشية أو ضُحاها حتى يهوى فى الماء كلُّ حجر كان يُقبَّل (كالأسْوَد)(١) . وكل ركن كان يُستلم « كالحطيم »(٢) شهدتُ على « أنس الوجود » ما يُعلم الإنسانَ — ولو أنه (روزفلت) علماً وحكمة وأدباً — كيف يَحتقرُ الدنيا ويحترم الدين جميعًا .

دخلتُه ذات يوم وكان « الدوق أوف كونوت » لديه يتمشى فى ظِلالِه ويتنقلُ بين رسومِه وأطلالِه . عيناه ونفسه فى إكباره وإجلاله . فكانت منى التفاتة فرأيت « فلّاحا » أقبلَ ثم ألقى عباءته وتوجه يصلى « العصر » غيرَ مُلقٍ بالاً « لفرعون » كيف كان يعبد ويُعبد ، ولا « لبطليموس » كيف كان يُعظَّم ويُمجَّدْ . ولا للمسيحية السمحةِ كيف دخلت على « الوثنية » المَعْبَد . ولا « للملكِ إدوارد » الذى تحتل جنودُه الآن مصر وهو فى ثياب أخيه « الدوق » يرفع البصرَ ويُسدِله ممتلئًا من آيات الدهر مهابة وإعجاباً ، مشتغِلا بالتاريخ القائم المجسم . يقرؤه كتاباً كتاباً . دين سهل سَمْح يَسَر . وإله واحد يُعبَد حيث وجِد العابد . على العَرَاء كما فى الهياكل ، والكنائس والمساجد .

التاريخ — أيها الضيفُ العظيم — غابر متجدد . قديمه مِنوال . وحاضره مِثال . والغدُ بيد الله المتعال . وأنت اليوم تمشى فوق مَهد الأعصُر الأوَل ، ولحد قواهر الدول . أرض اتخذها « الإسكندر » عرينا . وملأها على أهلها

(١) الأسود : هو الحجر الأسود الذى بمكة — ٢ — الحطيم : جدار حجر الكعبة ، وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام .

«قيصر» سفيناً ، وخلّف «ابن العاص» فيها لساناً وجنساً وديناً ، فكان أعظمَ المستعمرين حقيقة وأكبرهم يقيناً ، وهو الذى لم يعلم عليه أن بغى أو ظلم أو سفك الدمَ ، أو نهى ، أو أمر ، إلا بين الرجاء والحذر ، من عدل «عمر» ، الذى تنبيك عنه السِّير .

قمتَ – أيها الضيف العظيم – فى السودان خطيباً فأنصت العصر ، والتفتت مصر ، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون : «كيف خالف الرئيس سُنة الأحرار من قادة الأمم وساسة الممالك أمثاله ، فطارد الشعور وهو يهب ، والوجدان وهو يشب ، والحياة وهى تدِب ، فى هذا الشعب ؟! ومن حرمة العواطف السامية ؟ ألا تطارد كأنها وحوش ضارية ، على صحراء أو بادية ، كما طاردتَ السباع بالأمس نقماً من طبائعها الجافية» .

المصرىُّ – أيها الضيف العظيم – سمح كريم التجاوز ، فقد ظفِرت بمن مهّد عذرك ، ونفى الظن عن كرمك ، وادخر ودك الذى تخطبه الأمم المستضعفة ، والشعوب المتاهفة ، المتشوِّفة ، إذ قيل : إنما أراد الرئيس أن يمدح ديناً من حقه أن يمدح بكل لسان ، وفى كل مكان ، فكيف به فى بعض معاهده فى السودان؟! وأراد كذلك أن يحذِّر من الفتنة فى الجيوش ، وينهى عن إيقاظها ، ويذكر للمحسن من الحكام ما رأى أو سمع من حسناته ، ويدعو هذه الأمة التى حركتُها المستقبلة فى السكون ، إلى العملِ فى ظلِّ الحق والصبر بإذن الله مضمون ، ومستقبل بمشيئة الله مأمون ، وقديماً فاز بالصبر الصابرون» .

فإن كان ذلك – أيها الضيف العظيم – وهو مالا نعتقد غيره – فمثلك من نصحَ للأمم ، وبعث العزائمَ والهمم . وعلم باللسان والقلم .

على أننا نرجو أن سعدكرنا عند قومك الكرام الأحرار بما أنتم جميعًا أهله ، وأن ستعطينا عهدلك ، وتصفينا ودّك ، وتملأ من أجمل الظنون وأحسنها بردّك : يوم تقل السفينة عظمتك ومجدَك ، وتنقل من أقصى البروج إلى أقصاها سعدَك .

على يد الله تجرى إن هي اندفعت وفي حِمى الله — لا في الماء — تحتجب

* * *

أيها المنتحى (بأسوان) دارًا كالثريّا تريد أن تنقضا
اخلع النعلَ ، واخفِض الطرفَ ، واخشع
لا تحاول من آيةِ الدهر غَضّا
قف بتلك (القصورِ) في اليَمِّ غرقى
مُمسكاً بعضُها من الذعر بعضا
كعذارى أخفَيْنَ في الماء بَضّا(١) سابحاتٍ به ، وأبْدَيْنَ بضّا
مُشرفاتٍ على الزوالِ ، وكانت مشرفات على الكواكب نهضا
شابَ من حولها الزمانُ وشابت وشبابُ الفنونِ ما زال غضّا
رُبَّ «نَقْشٍ» كأنما نفض الصا نعُ منه اليَدَيْنِ بالأمس نفضا
و «دهانٍ» كلامع الزيت ، مرّت أعصرٌ بالسراج والزيت وُضّا(٢)
و «خُطوطٍ» كأنها هدب ريم(٣) حَسُنَتْ صنعةً ، وطولاً ، وعرضا
و «ضحايا» تكاد تمشى وترعى لو أصابتْ من قدرَةِ الله نبضا
و «محاريبَ» كالبروج ، بَنتها عزماتٌ من عزمة الجنِّ أمضى(٤)
شيَّدتْ بعضَها الفراعينُ زُلْفَى(٥) وبَنَى البعضَ أجنبٌ يترضَّى(٦)

(١) البض : الرخص الجسد — ٢ — وضا : وضاء — ٣ — ريم : غزال — ٤ — أمضى : احد — ٥ — زلفى : تقربا — ٦ يترضى : يطلب الرضـــا .

و «مقاصيرُ» أُبْدِلَت بفُتاتِ الـ … ـمسكِ تُرْباً ، وباليواقيت قضًّا (١)
حظُّها اليومَ هَدّةٌ ، وقديماً … صُرِّفتْ فى الحظوط ، رفعًا وخَفضا
سَقَتِ العالمينَ بالسعد والنحـ … ـس ، إلى أن تعاطت النحس محضا (٢)
صنعةٌ تدهش العقولَ ، وفنٌّ … كان إتقانُه على القوم فرضا

* * *

يا قصورًا نظرتُها وهْىَ تقضى (٣) … فسكبتُ الدموعَ ، والحقُّ يُقضى
أنتِ سَطرٌ ، ومجدُ مصرَ كتابٌ … كيف سامَ البِلى كتابَك فضًّا ؟
وأنا المحتفى بتاريخ مصرٍ … مَنْ يَصُنْ مجدَ قومه صان عِرضا
رُبَّ سرٍّ بجانبيك مُزالٍ … كان حتى على «الفراعين» غمضا
قل لها فى الدعاء لو كان يجدى … : يا سماءَ الجلالِ ، لا صِرْتِ أرضا
حارَ «فيكِ» المهندسون عقولاً … وتولَّت عزائمُ العِلمِ مَرضى
أين ملكٌ حيالَها وفريد … من نظام النعيمِ أصبح فضا ؟ (٤)
أين «فرعونُ» فى المواكب تَتْرَى … يركض المالكين كالخيل ركضا ؟
ساق للفتح فى الممالك عَرضاً … وجلا للفخارِ فى السِلم عَرضا
أين «إيزيس» تحتها النيل يجرى … حكمت فيه شاطئيْن وعَرضا ؟
أسْدَلَ الطرفَ كاهنٌ ومليكٌ … فى ثراها ، وأرسل الرأسَ خَفضا
يُعْرَضُ المالكون أسْرَى عليها … فى قيود الهوانِ ، عانِينَ ، جَرضَى (٥)
ما لها أصبحت بغيرِ مُجيرٍ … تشتكى من نوائب الدهر عضًّا ؟

---

(١) قضا : حصى — ٢ — محضا : خالصا — ٣ — تقضى : تفنى .
(٤) فضا : منفضوضا — ٥ — جرضى : مغمومين .

هى فى الأَسْرِ بين صَخْرٍ وبحرٍ مَلَكة فى السجون فوق حَضوضَى(١)
أين «هوروسُ» بين سيفٍ ونِطْعٍ ؟ أبهذا فى شرعهم كان يُقْضَى؟
ليت شعرى : قضى شهيدَ غرامٍ أم رَماه الوشاةُ حقدًا وبغضًا ؟
رُبَّ ضَربٍ من سَوْطِ فرعونَ مَضٍّ(٢) دونَ فعلِ الفِراقِ بالنفس مَضًّا
وهلاكٍ بسيفه وهْوَ فانٍ دون سيفٍ من اللواحظ يُنْضَى (٣)
قتلوه ، فهل لذاك حديثٌ ؟ أين راوى الحديثِ نثرًا وقرضا ؟

* * *

يا إمامَ الشعوبِ بالأمس واليو م ، ستُعطَى من الثناء ، فترضى
(مصر) بالنازلين من ساحِ (معنٍ) (٤)
وحِمى الجود (حاتمٍ) الجود أفضى
كن ظهيرًا (٥) لأهلها ونصيرًا وابذل النصحَ بعد ذلك مَحضا
قل لقوم على (الولايات) أيقا ظٍ إذا ذاقت البَرِيّةُ غُمضا
شيمةُ (النيل) أن يفى ، وعجيب أحرجوه ، فضيّع العهدَ نقضا
حاشه(٦) الماءُ ، فهْوَ صيدٌ كريمٌ ليت بالنيل يوم يسقط غيضا(٧)
شيد والمال والعلوم قليل أنقلوه بالمال والعلم نقضا(٨)

---

(١) حضوضى : جبل فى البحر — ٢ — مض : موجع .
(٣) ينضى : يسل — ٤ — معن : هو معن بن زائدة أحد كرما العرب — ٥ — ظهيرا : نصيرا — ٦ — حاشه : من حاش الصيد ، احرجه فى كل مكان — ٧ — غيضا : من غاض الماء غيضا : نقص أو غار فذهب فى الأرض — ٨ — نقضا : ما انتقض من البنـاء ، أى انتكث .

النفس

قال الرئيس ابن سينا :

هبطتْ إليكَ من المحل الأرفعِ ورقاءُ ذاتُ تَعَزُّزٍ وتمنُّع
محجوبةٌ عن كلِّ مُقْلَةِ عارفٍ وهى التى سَفَرَتْ ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك ، وربما كرِهت فراقَكِ وهْىَ ذاتُ تفجُّع
ألِفت وما سكنت ، فلما واصلت ألِفت مجاورةَ الخرابِ البَلْقَع
وأظنها نسيت عهودًا بالحمى ومَنازِلاً بفراقها لم تَقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها عن ميم مركزها بذات الأجرَع
عَلِقت بها ثاءُ الثقيل ، فأصبحت بينَ المعالمِ والطُّلولِ الخُضَّع
تبكى وقد ذكرت عهودًا بالحمى بمدامع تَهْمِى . ولما تُقْلِع
. . . . الخ الخ الخ

وقد قال المقتطف فى الشاعرين بعد كلام طويل : « والاثنان جريا مجرى أفلاطون ، فى حسبهان النفس روحاً كانت عند الخالق . ثم هبطت ودخلت جسم الإنسان ، إلا أن أفلاطون تصورها فرساً مجنحة ، غذاؤها الجمال والحكمة والصلاح ، فلما هبطت فقدت جناحيها ودخلت جسم الإنسان . والفلاسفة يشعرون بشىء لا يستطيعون معرفته فيصفونه كما يتصورونه ، ويجاريهم الشعراء فى التصور ، ويفوقونهم فى الوصف

* * *

ضُمِّى قِناعَك ياسُعادُ . أو ارْفَعِى هذِى المَحَاسِنُ ماخُلِقْنَ لِبُرْقُعِ (١)

(١) الخطاب للنفس ، خاطبها كما يخاطبها فيلسوف ، علم بدائعها ، وبحث عن حقيقتها ، فرآها تزيد غموضا كلما زاد بحثا . مع أنهـا أقرب ما يكون اليه .

الضاحياتُ ، الضاحكاتُ ، ودونَها   سِترُ الجلالِ ، وبُعْدُ شأْوِ المطْلَعِ(١)
يا دُمْيَةً لا يُستزاد جمالُها   زيديه حُسْنَ المُحْسِنِ المتبرِّعِ
ماذا على سلطانِه من وقفة   للضَّارعين ، وعَطْفةٍ للخُشَّعِ؟
بل ما يضرك لو سمحتِ بجَلْوَة ؟   إنَّ العروسَ كثيرةُ المتطلِّعِ
ليس الحجابُ لَمن يَعِزُّ مَنالُه   إنَّ الحجابَ لِهيِّنٍ لم يمنعِ
أنتِ التى اتَّخذ الجمالَ لعزِّه   مِنْ مَظْهرٍ ، ولسرِّهِ مِن مَوضعِ(٢)
وهو الصَّنَاعُ . يَصوغ كلَّ دَقيقة   وأدقُّ منكِ بَنانُه لم تَصْنَعِ(٣)
لستلكِ راحتُه ، ومسَّكِ روحُه   فأتَى البديعُ على مِثال المُبْدِعِ
اللهَ فى الأحبار : مِنْ مُتهالكٍ   نِضْوٍ ، ومَهْتوكِ المُسوحِ مُصَرَّعِ(٤)
من كلِّ غاوٍ فى طَويَّةِ راشدٍ   عاصِى الظواهرِ فى سريرةِ طَيِّعِ
يَتَوَهَّجون ويَطفأون ، كأنَّهم   سُرُجٌ بِمُعْتَرَكِ الرِّياحِ الأربعِ
عِلموا ، فضاق بهم وشَقَّ طريقُهم   والجاهلون على الطريق المَهْيَعِ
ذهب (ابنُ سينا) ، لم يَفُزْ بكِ ساعةً   وتَولَّت الحكماءُ . لم تَتَمَتَّعِ
هذا مَقامٌ ؛ كلُّ عِزٍّ دونَه   شمسُ النهارِ بمثله لم تَطْمَعِ
(فمحمدٌ) لك و (المسيحُ) تَرَجَّلا   وترجَّلَتْ شمسُ النهار (لِيُوشَعِ)(٥)
مابالُ (أحمدَ) عَيَّ عنكِ بيانُه ؟   بل ما (لعيسى) لم يَقُلْ أو يَدَّعِ؟
ولسانُ (موسى) انحلَّ . إلا عقدةً   مِنْ جانبيكِ ؛ عِلاجُها لم يَنْجَعِ؟

---

(١) الضاحيات : الطاهرات البارزات ، وصفه بها محاسن النفس ، وقال : انها مع ذلك . مطلعها بعيد وجلالها مستور — ٢ — «من» زائدة ، والمعنى : أن النفس اتخذها الجمال مظهرا لعزه ، وموضعا لسره .

(٣) الصناع : الماهر فى الصناعة — ٤ — نصب اسم الجلالة على الاستغاثة ، والكلام فى الأبيات الخمسة بعد، وصف لما عاناه الأحبار والفلاسفة من البحث عن حقيقة النفس ، فشق طريقهم كلما زادوا بحثا ، اما الجاهلون ففى راحة سائرون فى المهيع ، اى الطريق الواسع البين .

(٥) الضمير فى ذلك يرجع الى النفس ، اراد بها الجوهر الالهى

لما حلَلْتِ (بآدمٍ) حلَّ الحِبا ومشى على الملإِ السُّجودِ الرُّكَّع(١)
وأرى النبوَّةَ فى ذَراكِ تكرَّمَتْ فى (يوسفٍ)، وتكلَّمت فى المُرْضَع(٢)
وسَقَتْ (قريشَ) على لسان (محمد) بالبابلىِّ من البيان المُمْتِع(٣)
ومَنَتْ (بموسى) فى الظلام مُشَرَّدًا وحدَتْه فى قُلَلِ الجبالِ اللُّمَّع(٤)
حتى إذا طُوِيَتْ ورِثتِ خِلالَها رُفِعَ الرَّحيقُ وسِرُّه لم يُرْفَع(٥)
قَسَمَتْ مَنازِلَكِ الحُظوظُ: فمنزِلاً أترَعنَ منكِ، ومنزلاً لم تُترِعِ
وخَلِيَّةً بالنحل منك عَمِيرةً وخليَّةً مَعمورةً (بالتُّبَّع)(٦)
وحَظيرةً قد أُودِعَت غُرَرَ الدُّمَى وحَظيرةً محرومةً لم تودَع(٧)
نظر (الرئيسُ) إلى كمالكِ نظرةً لم تَخْلُ من بَصَرِ اللبيبِ الأَرْوَع
فرآه منزلةً تعرَّضَ دُونَها قِصَرُ الحياةِ، وحالَ وَشْكُ المَصْرَع
لولا كمالُكِ فى (الرئيس) ومِثْلِه لم تَحْسُنِ الدنيا، ولم تَتَرَعْرَع(٨)
اللهُ ثبَّت أرضَه بدعائمٍ هم حائطُ الدنيا، وركنُ المجمع
لو أن كلَّ أخِى يراعٍ بالغٌ شأْوَ (الرئيس) وكلَّ صاحبِ مِبضَع
ذهب الكمالُ سُدًى، وضاع مَحلُّه فى العالَم المتفاوِتِ المتنوِّع

* * *

يانفسُ، مثلُ الشمس أنتِ: أشِعَّةٌ فى عامرٍ، وأشِعَّةٌ فى بَلْقَع

---

(١) حل الحبا: نهض، والمقصود هنا تقديس الروح العالى الذى نفخ الله فى آدم.

(٢) أراد بيوسف: يوسف الصديق، ومعنى تكرم النبوة فيه أنها سمت بنفسه وبلغت بها الكمال لما عف، واراد بالمرضع: السيد المسيح.

(٣) اراد بالبابلى: السحر اشارة الى قوله «ان من البيان لسحرا».

(٤) اشارة الى العليقة الملتهبة — ٥ — فاعل طويت يعود الى النبوة. والخلال: الصفات والمزايا التى يبقى اثرها كما يبقى أثر الخمر بعد مازول

(٦) التبع: يعسوب النحل الأعظم، وهو ما يسمونه الملكة

(٧) الدمى: الصور، أو التماثيل الجميلة، أشار بما فى الأبيات الثلاثة المتقدمة الى تفاوت النفوس فى الناس — ٨ — اى لولا كبار النفوس لما ارتقى العالم وصلحت الأنام، والمقصود من الكمال هنا: بلوغ النفس الكمال فى النبوة، أو ما يقرب من الكمال فى بعض العبقريين من الناس، والرئيس منهم.

فإذا طوى اللهُ النهارَ تراجَعَتْ　　شتَّى الأشِعةِ ، فالتقَتْ فى المرجِع
لما نُعِيتِ إلى المنازل غُودِرَتْ　　دَكًّا ، ومثلُكِ فى المنازل ما نُعى
ضَجَّتْ عليكِ معالماً ومعاهدًا　　وبكَتْ فراقكِ بالدموع الهُمَّع(١)
آذَنْتِها بنوًى ، فقالت : لَيْتَ لَمْ　　تَصِلِ الحبالَ ، وليتها لم تَقْطع
ورداء جُثمانٍ لبستِ مُرَقَّمٍ　　بيد الشباب على المشيبِ مُرَقَّع
كم بِنْتٍ فيه ، وكم خَفِيتِ ، كأنَّه　　ثوبُ الممثِّل ، أو لباسُ المَرْفع؟ (٢)
أَسَئِمتِ من دِيباجِهِ ، فنزعْتِه ؟　　والخزُّ أكفانٌ إذا لم يُنْزَع
فزِعَتْ وما خفِيَتْ عليها غايَةٌ　　لكنَّ مَنْ يَرِدِ القِيامةَ يَفزع(٣)
ضرَعَتْ بأدْمُعِها إليك ، ومادَرَتْ　　أنَّ السفينةَ أقلعت فى الأدمع
أنتِ الوفيَّةُ ، لاالذِّمامُ لديكِ مَذْ　　مومٌ ، ولا عهدُ الهوى بمُضَيَّع
أزْمَعْتِ ، فانهلَّتْ دموعُكِ رِقَّةً　　ولو استطعتِ إقامةً لم تُزْمِعى
بان الأحبةُ يومَ بَيْنِكِ كلُّهم　　وذَهبتِ بالماضى وبالمتوَقَّع

مَيْدَانُ الكُونكُورد

(ميدان الكونكورد (الوفاق) بباريز ، وهو الذى اعدم فيه الملك لويس السادس عشر فى ايام الثورة الفرنساوية)

أَمَيدانَ الوِفاقِ ، وكنتَ تُدعى　　بميدان العداوةِ والشِّقاقِ
أتدرِى : أىُّ ذنبٍ أنتَ جَانٍ ؟　　وأىّ دمٍ ذهبتَ بهِ مُراقِ ؟
هَوَى فيكَ السريرُ ومَنْ عليه　　وماتَ الثائرون ، وأنتَ باق
أصابوا ، واستراح (لويسُ) منهم　　لذا سُمِّيتَ مَيْدانَ الوفاق

---

(١) فاعل ضجت عائد الى المنازل اى الاجسام ، ومعالم ومعاهد منصوبتان على التمييز . اراد بالمعالم : ذوى النفوس الصغيرة ، وبالمعاهد : ذوى النفوس الكبيرة — ٢ — المرفع : الكرنفال الذى يلبس الناس فيه ثيابا مزوقة — ٣ — فزعت : تأهبت او استجارت ، والضمير عائد الى اجسام واراد بالقيامة : ساعة الموت .

أيها النيلُ

الى الاستاذ مرجليوث مدرس اللغة العربيـة فى جامعة اكسفورد

أيها الأستاذ الكريم :

تذكرتُ «أثينا» مدينةَ الحكمة فى الدهور الخالية ، وأياماً غنمناها على رسومها العافية . وأطلالها البالية ، فكأنى أنظر إلى المؤتمر ، علماؤه الهالة ، وأنت القمر . أو زُمَرُ الحجيجِ وأنت حادى الزُّمَر . وأرى الملوكَ فى الحفر ، بُنيانهم مصدوعُ الجُدر ، وبيانهم نور البشر ، نزلنا بهم فإذا الدول خبر ، وإذا الممالك أثر . والطولُ شُغْلُ الفؤادِ والبَصر ، منّا العبرات ومنها العِبَر، صَمَت الإنسان ونَطقَ الحجر ، فسبحان العزيز المقتدر القاهرِ فوق عبادِه بالقدَر . كان ذلك والحوادث أجنة ، والأمور فى أحسن الأعنّة ، والأرض بالسلم مطمئنة ، مغتبطة بسلامةِ الشباب ، منبسطة بتلاقى الأحباب ، والصَّفْوُ فى الدار والأكدارُ بالباب ، ثم أخذ الله الأممَ بذنوبهم فرماهم بعَوانٍ فى الماء ، ضَروسٍ فى الأرض والسماء ، مَنهومةٍ بالأموال مُدمِنةٍ للدماء ، نزلتْ بالبريّةِ فعصفتْ بأحسن شبابها ونبابها ، ونَقضت موفورَ أمنها وأقواتها ، وهتكتْ فى الثرَى مَصونَ رُفاتها ، وخالطتْ فى الخنادقِ أحياءها بأمواتها . وعدَتْ على الوحشِ فى فلواتِها ، وعلى الطيرِ فى وكناتِها ، وعلى الرِّياح فى مخترقاتها ، وعلى بَلَمِ(١) البحار وأخواتها . وهَوامِّ القِفَار وحشراتها . وعلى بيوت الله فى ستراتها ، والنواقيس فى قِبابها ، والمآذن فى سماواتها . فسبحان الملك الأكبر ، الذى يَقهر ولا يُقهر ، ويُغَيِّر ولا يَتغيَّر ، والذى يقيم القيامة فى ميقاتها

١ ـــ البلم : صغار السمك .

الشعر كالأحلام ، تدخل على المسرور الكرى ، وتكثر على المحزون فى السُّرى . وقريحة الشاعر كعَين صاحب الأيام ، عندها للحزن عَبرة ، وللسرور عِبرة ، وهذه أيها — الأستاذ الكريم — كلمة قيلت والهموم سارية ، والأقدار بالمخاوف جارية ، والدموع متبارية ، وذئاب البشر يقتتِلون على الفانية ، نظمتها تَغنِّياً بمحاسن الماضى ، وتقييداً لمآثر الأباء ، وقضاءً لحق «النيل» الأسعد الأمجد ، ونسبتها إليك ، عِرفاناً لفضلك على لغة العرب ، وما أنفقت من شباب وكهولة فى إحياء علومها ، ونشر آدابها ، وإلقائها كلما طلعت الشمس خلف الضَّباب دروساً نافعة على أنبل شباب العصر ، فى أعظم جامعات العالم ، فلعلها تقع إليك ، فنتذاكر على النوى تلك الأيام ، ونتنادم من بعد على بِساط الأدب والكلام ، ونسأل الله أن يحقنَ الدماء ، ويقيم جِدارَ السلام .

* * *

مِنْ أَيِّ عَهدٍ فى القُرَى تَتَدَفَّقُ ؟ وبأَيِّ كَفٍّ فى المدائن تُغْدِقُ ؟

ومن السماء نزلتَ أَم فُجِّرتَ من عَلْيا الجِنان جَداوِلاً تَتَرقرق؟

وبأَيِّ عَيْنٍ ، أَم بأَيَّة مُزْنَةٍ(١) أَم أَيِّ طُوفانٍ تفيض وتَفْهَق ؟(٢)

وبأَيِّ نَوْلٍ(٣) أنتَ ناسِجُ بُرْدَةٍ للضفَّتيْن ، جَديدُها لا يخلق ؟(٤)

تَسْوَدُّ ديباجاً إذا فارقتها فإذا حضرتَ اخْضَوْضَرَ الإِسْتَبْرَق(٥)

فى كلِّ آونةٍ تُبدِّل صِبغةً عجباً ، وأنت الصابغُ المُتَأَنِّق

أَتَت الدهورُ عليكَ ، مَهْدُكَ مُتْرَعٌ(٦) وحِياضُكَ الشُّرق (٧) الشهيَّةُ دُفَّق

تَسْقِى وتُطْعِمُ ، لا إناؤكَ ضائِقٌ بالواردين ، ولا خوانُك يَنفُق(٨)

---

١ — المزنة : هى هنا السحابة الممطرة — ٢ — تفهق : فهق الاناء اى امتلأ حتى صار يتصبب .
٣ — النول : خشبة الحائك ينسج عليها — ٤ — يخلق : يبلى .
٥ — الاستبرق : الحرير — ٦ — مترع : ممتلىء — ٧ — الشرق : الغرقى
٨ — تنفق : يفنى ويقل .

والماءُ تَسْكُبُه فيُسْبَكُ عَسْجَدًا (١) والأَرضُ تُغْرِقها فيحيا المُغْرَقُ
تُعيِي مَنابِعُك العقولَ ، ويستوي مُتخبِّطٌ فى علمِها ومُحقِّقُ
أخلَقْتَ راووقَ(٢) الدهورِ ، ولم تزل بكَ حَمْأَةٌ(٣) كالمسك ، لا تتروَّقُ(٤)
حمراءُ فى الأحواضِ ، إلاّ أنها بيضاءُ فى عُنُق الثرى تتألَّقُ
دِينُ الأوائِل فيك . دِينُ مُروءةٍ لِمَ لا يُؤلِّه مَنْ يَقُوتُ ويَرزُقُ ؟
لو أن مخلوقاً يُؤلَّه لم تكن لِسواكَ مَرْتبةُ الألوهَةِ تَخلُقُ(٥)
جعلوا الهوى لك والوَقارَ عبادةً إنَّ العبادةَ خَشيةٌ وتعلُّقُ
دانوا ببحرٍ بالمكارمِ زاخرٍ عَذْبِ المشارعِ ، مَدُّهُ لا يُلْحَقُ
مُتقيِّد بعهودِه ووُعودِه يَجرى على سَنَنِ الوفاءِ ويَصدُقُ(٦)
يَتقبَّلُ الوادى الحياةَ كريمةً من راحتَيْكَ عَميمةً تتدفَّقُ
متقلِّب الجنبيْن فى نَعْمائه يَعْرَى ويُصْبَغُ فى نَداك فيُورِقُ
فيبيتُ خِصْبًا فى ثَراه ونِعْمة ويعُمُّه ماءُ الحياةِ الموسِقُ(٧)
وإليكَ — بَعْدَ اللهِ — يَرجِع تحته ما جَفَّ ، أو ما مات ، أو ما يَنْفُقُ(٨)

* * *

أين الفراعنةُ الأُلى استذرى(٩) بهم (عيسى) ، و (يوسفُ) ، و(الكَليمُ) المصْعَقُ؟
المُورِدونَ الناسَ مَنْهَلَ(١٠) حكمةٍ أفضَى إليه الأنبياءُ ليَستقوا
الرافعون إلى الضحى آباءهم فالشمسُ أصلُهمُ الوَضِيءُ المُعْرِقُ(١١)
وكأنما بين البِلى وقبورِهم عهدٌ على أنْ لا مِساسَ ، ومَوْثِقُ

---

١ — العسجد : الذهب — ٢ — الراووق : المصفاة — ٣ — الحماة : الطين الأسود — ٤ — تتروق : من روق الشراب : صفاه — ٥ — تخلق : اى تكون خليقة وجديرة — ٦ — السنن : النهج .

٧ — الموسق : اسم فاعل من أوسق ، والهمزة فيه للتعدية ، وثلاثيه وسق من وسقت الشاة ونحوها بمعنى لقحت ، أو من وسقت الشيء اذا حملته — ٨ — ينفق : من نفق الرجل والدابة : ماتا ، يعنى ما مات من الانسان ، وما هلك من الحيوان — ٩ — استذرى بفلان : التجأ اليه ، واستذرى بالشجرة : اى استظل بها — ١٠ — المنهل : المورد — ١١ — المعرق: عريق فى النسب .

فحجابُهم تحت الثرى من هَيْبَة كحجابهم فوق الثرى لا يُخرَق
بلغوا الحقيقةَ مِنْ حياة علمُها حُجُبٌ مُكَثَّمَةٌ ، وسِرٌّ مُغْلَق
وتبيَّنوا معنى الوجودِ . فلم يَرَوْا دونَ الخلودِ سعادةً تَتحقَّق
يَبنون للدنيا كما تَبنِي لهم خِرَبًا ، غرابُ البَيْن فيها يَنْعَق
فقصورُهم ، كُوخٌ ، وبيتُ بَداوة وقبورُهم ، صرحٌ أَشَمُّ ، وجَوْسَق(١)
رفعوا لها مِنْ جَنْدَلٍ وصفائحٍ ، عَمَدًا ، فكانت حائطًا لا يُنْتَق(٢)
تتشابهُ الدَّاران فيه : فما بدا دُنيا ، وما لم يَبْدُ أخرى تَصْدُق
للموتِ سِرٌّ تحتَه . وجدارُه سُورٌ على السرِّ الخفيِّ ، وخَنْدَق
وكأنَّ منزلهم بأعماقِ الثرى بين المحلَّةِ(٣) والمحلَّةِ ، فُنْدُق
مَوْفورةً تحت الثرى أَزْوَادُهم(٤) رَحْبٌ بهم بين الكهوف المُطْبِق(٥)

* * *

ولِمَنْ هياكلُ قد علا البانى بها بين الثريَّا والثَّرى تتنسَّق ؟(٦)
منها المشيَّدُ كالبروجِ ، وبعضُها كالطَّوْدِ مُضطَّجعٌ أَشَمُّ مُنَطَّق(٧)
جُدُدٌ كأوَّلِ عهدِها . وحِيالَها تتقادَمُ الأرضُ الفضاءُ وتَعْتُق(٨)
مِنْ كلِّ ثِقْلٍ كاهِلُ الدُّنيا به تَعِبٌ . ووَجْهُ الأرضِ عنه ضَيِّق
عالٍ على باعِ البِلى ، لا يَهتدى إلا يَعتلى منه وما يَتسلَّق
مُتمكِّنٌ كالطودِ أَصلاً فى الثرى والفرعُ فى خرمِ السماءِ مُحلِّق
هي من بناءِ الظلمِ ، إلا أنه يَبيضُّ وجهُ الظلمِ منه ويُشْرِق
لم يُرْهِقِ الأُمَمَ الملوكُ بِمثلِها فخرًا لهم يَبْقَى وذكرًا يَعْبَق

---

١ — الجوسق : القصر ٢ — ينتق : يزعزع ٣ — المحلة : المنزل
٤ — الأزواد : جمع زاد وهو الطعام يتخذ للسفر ٥ — المطبق : السجن تحت الأرض ٦ — تتنسق : تنتظم ٧ — منطق : مرتفع لا يبلغ السحاب رأسه ٨ — تعتق : من عتق الشيء قدم .

فَتِنَتْ بشطَّيْكَ العِبَادُ . فلم يزل ... قاصٍ يَحُجُّهُمَا . ودانٍ يَرْمُق
وتضوعتْ مِسْكَ الدهورِ . كأنما ... فى كلِّ ناحية بَخورٌ يُحْرَق
وتقابلتْ فيها على السُّرُرِ الدُّمَى(١) ... مُسْتَرْدِيات(٢) الذلّ لا تَتَفَنَّق(٣)
عَطِلَتْ(٤) ، وكان مكانُهنّ من العُلى ... (بِلْقِيسُ)تَقْبِسُ من حلاهُ وتَسْرِق
وعَلا عليهن الترابُ . ولم يكن ... يَزْكُو بِهِنّ سوى العبير(٥) ويَلْبَق(٦)
حُجُراتُها مَوْطوءةٌ . وستورُها ... مَهتوكةٌ . بيد البِلى تَتخرّق
أَوْدَى بزينتها الزمانُ وحَلْيِها ... والحسنُ باقٍ والشبابُ الرَّيِّق(٧)
لو رُدَّ فِرعونُ الغداةَ ؛ لراعه ... أنّ الغَرانيق(٨) العُلَى لا تَنطق
خلع الزمانُ على الورى أيامَه ... فإذا الضُّحى لكَ حِصَّةٌ والرَّوْنَق
لكَ من مواسمه ومن أعياده ... ما تَحْسِرُ(٩) الأبصارُ فيه وتَبْرَق
لا (الفرسُ) أُوتوا مثله يوماً . ولا ... (بغدادُ) فى ظلِّ (الرشيد) و(جِلَّق(١٠)
فَتْحُ الممالك : أوقيامُ (العِجْلِ) ، أو ... يومُ القبور . أو الزفافُ المُونِق؟
كم موكب تَتخَايلُ الدنيا به ... يُجْلَى كما تُجْلَى النجومُ ويُنْسق!
(فرعونُ) فيه من الكتائبِ مُقبِلٌ ... كالسُّحْب .قَرْنُ الشمس منها مُفتِق(١١)
تَعْنو(١٢) لعزّتِه الوجوه ، ووجهُه ... للشمسِ فى الآفاق عانٍ مُطرِق
آبتْ من السفرِ البعيدِ جنودُه ... وأتته بالفتحِ السعيدِ الفَيْلَق(١٣)

---

١ — الدمى : جمع دمية ، وهى الصورة المنقشة ٢ — مستردیات : لابسات — ٣ — تتفنق : تتنعم .
٤ — عطلت : من عطلت المرأة لم يكن عليها حلى — ٥ — العبير : اخلاط من الطيب .
٦ — يلبق : يليق — ٧ — الريق من كل شيء : اوله واصله .
٨ — الغرانيق : جمع غرنيق ، وهو الشاب الابيض الجميل ، ويقصد التماثيل .
٩ — تحسر : من حسر البصر كل لطول مدى ١٠ — جلق : دمشق
١١ — مفتق : من نتق قرن الشمس اصاب فتقا من السحاب فبدأ منه .
١٢ — تعنو : تخضع وتذل — ١٣ — الفيلق : الكتيبة العظيمة .

ومشى الملوكُ مُصفَّدين : خدودُهم   نعلٌ لفرعونَ العظيمِ ونُمرُقُ(١)
مملوكةٌ أعناقُهم ليمينهِ   يأبى فيَضرِبُ ، أو يَمُنُّ فيُعتِقُ
ونجيبةٍ بين الطفولةِ والصِّبا   عذراءَ ، تشرَبُها القلوبُ وتَعلَقُ
كان الزفافُ إليكَ غايةَ حَظِّها   والحظُّ إن بلغَ النهايةَ مُوبِقُ(٢)
لاقَيْتَ أعراساً ، ولاقَتْ مأتَماً   كالشيخِ يَنْعَمُ بالفتاةِ وتُزْهَقُ
فى كلِّ عامٍ دُرَّةٌ تُلْقَى بلا   ثمنٍ إليكَ ، وحُرَّةٌ لا تُصدَقُ(٣)
حَوْلٌ(٤) تُسائِل فيه كلّ نجيبةٍ   سَبقتْ إليكَ : متى يحولُ فتَلْحقُ ؟
والمجدُ عند الغانياتِ رَغيبةٌ   يُبْغَى كما يُبْغَى الجمالُ ويُعْشَقُ
إن زوّجوكَ بهنّ فهْىَ عقيدةٌ   ومن العقائدِ ما يَلَبُّ(٥) ويَحْمُقُ
ما أجملَ الإيمانَ !! لولا ضَلَّةٌ   فى كلِّ دينٍ بالهدايةِ تُلْصَقُ
زُفّتْ إلى ملكِ الملوكِ يَحُثُّها   دِينٌ ، ويَدْفعها هَوًى وتَشَوُّقُ
ولربَّما حَسَدَتْ عليكَ مكانَها   تِربٌ(٦) تَمَسَّحُ بالعروس وتُحْدِقُ
مَجْلُوَّةٌ فى الفُلْكِ يَحدو(٧) فُلْكَها   بالشاطئَيْن مُزَغْرِدٌ ومُصفِّقُ
فى مِهْرجانٍ هَزَّتْ الدنيا به   أعطافَها ، واختالَ فيه المَشْرِقُ
فِرعونُ تحتَ لوائِه ، وبَناتُه   يَجرى بهنّ على السفينِ الزَّوْرَقُ
حتى إذا بلغتْ مواكبُها المَدَى   وجرى لغايتِه القضاءُ الأَسْبَقُ
وكسا سماءَ المِهرجانِ جلالةً   سيفُ المنيةِ وهو صَلْتٌ(٨) يبرقُ
وتلفّتتْ فى اليَمِّ كلُّ سفينةٍ   وانثال(٩) بالوادى الجموعُ وحدّقوا
ألقتْ إليكَ بنفسِها ونفيسِها   وأتتكَ شيِّقةً حواها شيِّقُ

---

١ ــ النمرق : الوسادة الصغيرة ٢ ــ موبق : مهلك .
٣ ــ تصدق : من اصدق الرجل المراة اى سمى لها صداقها
٤ ــ الحول : السنة .
٥ ــ يلب : من لب أى صار لبيبا ٦ ــ الترب : من ولد معك .
٧ ــ يحدو : من حدا الابل ساقها وغنى لها ٨ ــ الصلت : السيف الصقيل الماضى ٩ ــ انثال : اى انصب .

خلعَت عليك حياءَها وحياتَها ... أأعزُّ من هذين شيءٌ يُنفَق؟
وإذا تَناهى الحبُّ واتفقَ الفِدى ... فالروحُ فى بابِ الضحيَّة أَلْيَق
ما العَالمُ السُّفليُّ إلا طِينَةٌ ... أزليَّةٌ(١) فيه تُضىءُ وتَغسِق(٢)
هى فيه للخِصْبِ العميمِ خميرةٌ ... يَنْدَى بما حملتْ إليه ، ويَبثُق(٣)
ما كان فيها للزيادةِ مَوْضِعٌ ... وإلى حماها النقصُ لا يتطرّق
مُنبثَّةٌ فى الأرضِ ، تَنتظِمُ الثَّرى ... وتنالُ مِمَّا فى السماءِ . وتَعْلَق
منها الحياةُ لنا ، ومنها ضِدُّها ... أبداً نَعودُ لها . ومنها نُخْلَق
والزَّرعُ سُنْبُلُه يطيبُ ، وحَبُّه ... منها . فيخرج ذا . وهذا يفلَق
وتَشدُّ بيتَ النحلِ ، فهو مُطنَّبٌ ... وتمدُّ بيتَ النملِ ، فهو مروَّق
وتظلُّ بين قوى الحياةِ ، جوائِلاً ... لا تستقِرُّ ، دوائِلاً لا تُمْحَق(٤)
هى كِلْمَةُ الله القديرِ ، ورُوحُه ... فى الكائنات . وسرُّه المستغلِق
فى النجم والقمرين مظهرُها ، إذا ... طلعَتْ على الدنيا . وساعةَ تَخفُق
والذَّرُّ(٥) والصَّخَراتُ مِمَّا كَوَّرَتْ ... والفيلُ مما صَوَّرَتْ ، والخِرْنِق(٦)
فتنتْ عقولَ الأولين : فأَلَّهوا ... من كلّ شىءٍ ما يَرُوع ويَخرُق
سجَدوا لمخلوق ، وظنُّوا خالقاً ... مَنْ ذا يُمَيِّزُ فى الظلام ويَفْرُق؟
دانت (بآبيس) الرعيةُ كلُّها ... من يستغلُّ الأرضَ ، أو من يَعزق
جاءوا من المرعى به يمشى ، كما ... تمشى وتَلْتَفِتُ المهاةُ وترْشُق
داجٍ كجنحِ الليلِ زانَ جبينَهُ ... وَضَحٌ عليه من الأَهلَّة أَشْرَق(٧)
العسجدُ(٨) الوهَّاجُ وشْىُ جلالِه ... والوردُ مَوْطِىءُ خُفِّه ، والزَّنْبَق(٩)

---

١ — أزلية : الأزل : القدم — ٢ — تغسق : تظلم — ٣ — يبثق : من بثق السيل موضع كذا : خرقه وشقه — ٤ — تمحق : من محقه اهلكه ٥ — الذر : الهباء المنبعث فى الهواء ، الواحدة ذرة — ٦ — الخرنق : الفتى من الأرنب ٧ — الوضح : الغرة ، والوضح : التحجيل فى القوائم ٨ — العسجد : الذهب — ٩ — الزنبق : نبات له زهر طيب الرائحة .

ومن العجائبِ بَعْدَ طولِ عبادةٍ ... يُؤتَى به حوضَ الخلودِ فيُغْرَق
ياليتَ شعرى : هل أضاعوا العهدَ ، أم ... حَذِروا من الدنيا عليه وأشفقوا ؟
قومٌ وقارُ الدّين فى أخلاقهم ... والشعبُ ما يَعتاد أو يتخلَّق
يَدْعُون خلفَ السّتر آلهةً لهم ... ملأُوا النَّدِىَّ جلالةً ، وتأبَّقوا(١)
واستحجبوا(٢) الكُهّانَ ، هذا مُبلغٌ ... ما يهتفون به ، وذاك مُصدِّق
لا يُسألون إذا جرت ألفاظُهم ... مِنْ أين للحجر اللسانُ الأَذْلَقُ ؟
أوكيف تخترق الغيوبَ بهيمةٌ ... فيما يَنوب من الأُمور ويَطْرُق ؟
وإذا همو حَجُّوا القبورَ حسبتهم ... وَفْدَ (العتيقِ)(٣) بهم تَرامَى الأَيْنُق(٤)
يأْتون (طيبةَ) بالهَدِىِّ(٥) أمامَهم ... يغشى المدائنَ والقرى ويُطَبِّق
فالبرُّ مشدودُ الرّواحلِ مُحْدَجٌ(٦) ... والبحرُ ممدودُ الشّرَاعِ مُوَسَّق
حتى إذا أَلْقَوْا بهيكلها العصا ... وَفَّوا النذورَ ، وقرَّبوا ، واصَّدَّقوا
وجَرَتْ زوارقُ بالحجيج ، كأنها ... رُقْطٌ تَدافعُ ، أو سهامٌ تَمْرُق(٧)
من شاطئٍ فيه الحياةُ لشاطئٍ ... هو مُضْجَعٌ للسابقين ومِرفق(٨)
غرَبوا غروبَ الشمسِ فيه ، واستوى ... شاهٌ ورُخٌّ(٩) فى الترابِ وبَيْدق(١٠)
حيثُ القبورُ على الفضاءِ كأنها ... قِطَعُ السحابِ ، أو السرابُ الدَّيْسَق(١١)
للحقِّ فيه جَوْلةٌ ، وله سَنًا ... كالصبح من جَنَباتِها يَتَفلَّق

---

١ ــ الندى : النادى ٢ ــ استحجبوا الكهان : أى ولوهم الحجابة ؛ وهى خطة الحاجب أى البواب ــ ٣ ــ العتيق : الكعبة ــ ٤ ــ الاينق : جمع نافة ــ ٥ ــ الهدى : ما يهدى الى الحرم من النعم ؛ وقيل : هو جمع الهدى ؛ واحدتها هدية ــ ٦ ــ محدج . من حدج الأحمال : شدها ووسقها

٧ ــ رقط : واحدتها رقطاء وهى الحية ــ ٨ ــ المرفق : المتكأ .

٩ ــ الرخ : قطعة شطرنج يلعب بها ــ ١٠ ــ البيدق : قطعة شطرنج يلعب بها .

١١ ــ الديسق : بياض السراب وترقرقه ؛ وهو اسم للسراب ايضا ؛ ويطلق كذلك على كل شىء ينير ويضىء .

نزلوا بها فمشى الملوكُ كرامةً وجثا المُدِلُّ بماله والمُمْلَق(١)
ضاقت بهم عَرَصاتُها . فكأنما رَدَّتْ ودائعَها الفلاةُ الفَيْهَقُ(٢)
وتَنادم الأحياءُ والموتى بها فكأنهم فى الدهر لم يتفرّقوا

* * *

أصلُ الحضارةِ فى صَعيدِكَ ثابتٌ ونَباتُها حَسَنٌ عليك مُخلَّق(٣)
وُلِدَتْ . فكنتَ المهدَ ، ثم ترعرعَتْ فأظلَّها منكَ الحَفِيُّ المُشْفِق
ملأَتْ ديارَك حكمةً ، مأثورُها فى الصخر والبَرْدِيِ الكريمِ مُنَبَّق(٤)
وَبَنَتْ بيوتَ العلم باذخةَ الذُّرَى يسعى لهن مُغَرِّبٌ ومُشَرِّق
واستحدثتْ دِينًا ، فكان فضائلاً وبِناءَ أخلاقٍ يطول ويَشهَق(٥)
مَهَدَ السبيلَ لكلِّ دِينٍ بعدَه كالمسك رَيَّاه بأُخرى تُفْتَق(٦)
يدعو إلى بِرٍّ ، ويرفع صالِحًا ويَعاف ما هو للمروءة مُخْلِق
للناسِ من أسرارِه ماعُلِّموا ولشُعْبةِ الكَهَنوت ما هو أعْمق
فيه محلٌّ للأقانيم(٧) العُلى ولجامع التوحيدِ فيه تَعَلُّق
تابوتُ موسى ؛ لا تزال جلالةٌ تبدو عليك له ، ورَيًّا تُنْشَق(٨)
وجمالُ يوسُفَ ؛ لا يزال لواؤُهُ حَوْلَيك فى أُفُق الجلال يُرنِّق (٩)
ودموعُ إخوته ؛ رسائلُ توبةٍ مَسْطُورُهُنّ بشاطئيْك مُنَمَّقُ
وصلاةُ مريم ؛ فوقَ زرعك لم يزل يَزكو لذكراها النبات ويَسمُق(١٠)
وخُطَى المسيح عليك روحاً طاهرًا بركاتُ ربِّك ، والنعيمُ الغَيْدَق(١١)

---

١ ــ المملق : الفقير ٢ ــ الفيهق : الواسع من كل شيء
٣ ــ مخلق : متطيب .
٤ ــ منبق : مسطر ــ ٥ ــ يشهق : من شهق الجبل : ارتفع .
٦ ــ تفتق : من فتق المسك بغيره استخرج رائحته بشيء يدخله عليه .
٧ ــ الأقانيم : جمع أقنوم وهو الأصل والشخص .
٨ ــ تنشق : تشم ٩ ــ يرنق : يخفق ويتحرك ١٠ ــ يسمق : سمق النبات أي طال وعلا ١١ ــ الغيدق : من غيدق المطر : كثر .

وودائعُ (الفاروقِ)(١) عندك ، دينه ... ولواؤه ، وبيانُه ، والمنطِق
بعث الصحابةَ يَحملون من الهدىٰ ... والحقُّ ما يُحيي العقولَ ويَفتق
فَتْحُ الفتوح ، من الملائك رَزْدَقٌ(٢) ... فيه ، ومن (أصحاب بدرٍ) رَزْدَق
يبنون لله الكنانةَ بالقنا ... واللهُ من حول البناء مُوَفِّق
أحلاسُ(٣) خيل ، بَيْدَ أن حسامَهم ... فى السلم من حذرِ الحوادثِ مُقْلَق
تُطوَى البلادُ لهم ، ويُنْجِدُ جيشُهم ... جيشٌ من الأخلاقِ غازٍ مُورِق(٤)
فى الحقِّ سُلَّ وفيه أُغمِد سيفُهم ... سيفُ الكريم من الجَهالة يَفْرَق(٥)
والفتحُ بَغْيٌ لا يُهَوِّن وَقْعَه ... إلا العفيفُ حسامُه ، المترفِّق
ماكانت . «الفسطاطُ» إلا حائطاً ... يأوِى الضعيفُ لركنه والمُرْهَق
وبه تلوذُ الطيرُ فى طلبِ الكرَى ... ويبيتُ «قيصرُ» وهْو منه مُؤَرَّق
«عَمْرٌو» على شطبٍ(٦) الحصير مُعَصَّبٌ(٧) ... بقلادةِ اللهِ العَلِيِّ . مُطَوَّق
يدعو له «الحاخامُ» فى صلواته ... (موسى) ، ويسأل فيه عيسى البَطْرَقُ
يانيلُ ، أنتَ بطيبِ ما نَعَتَ «الهدى» ... وبمدْحةِ (التوراةِ) أحرَى أخلَق
وإليك يُهْدِى الحمدَ خَلْقٌ حازهم ... كَنَفٌ على مَرِّ الدهورِ مُرَهَّق(٨)
كَنَفٌ «كمَعْنٍ» ، أو كساحة «حاتمٍ» ... خَلْقٌ يُوَدِّعُه ، وخَلْقٌ يَطْرُق
وعليك تُجلَى من مَصونات النُّهَى ... خُودٌ ، عرائسُ ، خِدْرُهنّ المُهرَق(٩)
الدرُّ فى لَبّاتهنّ(١٠) مُنَظَّمٌ ... والطيبُ فى حَبَراتهنّ مُرَقْرَق
لى فيكَ مدْحٌ ليس فيه تكلُّفٌ ... أملاه حُبٌّ ليس فيه تَمَلُّق

---

١ ــ الفاروق : عمر بن الخطاب ٢ ــ الرزدق : الصف من الناس ــ ٣ ــ احلاس خيل : أى ملازمون ظهورها ــ ٤ ــ مورق : هو هنا بمعنى غانم ــ ٥ ــ يفرق : يحذر ــ ٦ ــ الشطب : السعف الأخضر الرطب من جريد النخل ــ ٧ ــ معصب : متوج ــ ٨ ــ المرهق : من يغشاه الناس والأضياف كثيرا ــ ٩ ــ المهرق : الصحيفة ــ ١٠ ــ لباتهن : واحدتها لبة وهى النحر .

مما يُحمِّلنا الهوى لكَ أَفْرُخٌ ... سنطير عنها ، وهى عندك تُرزَق
تَهْفُو إليهم فى التراب قلوبُنا ... وتكاد فيه بغير عِرْقٍ تَخفُق
تُرْجَى لهم ، واللهُ جلَّ جلالُه ... منا ومنك بهم أَبَرُّ وأرفق
فاحفظ ودائعَك التى استُودِعْتَها ... أنت الوفىُّ إذا اؤتمنتَ الأَصدق
للأَرض يومٌ ، والسماء قيامةٌ ... وقيامةُ « الوادى » غداةَ تحلّق(١)

نَكْبَةُ دِمَشْق

قيلت فى حفلة أقيمت لاعانة منكوبى سوريا
بتياترو حديقة الازبكية فى يناير سنة ١٩٢٦

سلامٌ من صَبا (بَرَدَى)(٢) أَرقُّ ... ودمعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دِمَشْقُ
ومعذِرة اليَرَاعةِ والقوافى ... جلالُ الرُّزْءِ(٣) عن وَصْفٍ يَدِقُّ
وذكرى عن خواطرِها لقلبى ... إليكِ تلفُّتٌ أبدًا وخَفْق(٤)
وبى مما رَمَتْكِ بهِ الليالى ... جراحاتٌ لها فى القلب عُمْق
دخلتكِ والأَصيلُ له ائتلاقٌ(٥) ... ووجهُك ضاحكُ القسماتِ طَلْق
وتحتَ جِنانِك الأَنهارُ تجرى ... ومِلْءُ رُباك أوراقٌ ووُرْق(٦)
وحولى فتيةٌ غُرٌّ صِباحٌ ... لهم فى الفضلِ غاياتٌ وسَبْق
على لهواتهم(٧) شعراءُ لُسْنٌ(٨) ... وفى أعطافِهم خُطباءُ شُدْق(٩)
رُواةُ قصائدِى ، فاعجبْ لشعرٍ ... بكلِّ محلّةٍ يَرْويه خَلْق

١ — تحلق : تجف ، من حلقت الابل اذا ارتفع لبنها وجف .
٢ — بردى : نهر دمشق — ٣ — الرزء : المصيبة .
٤ — خفق : خفوق — ٥ — ائتلاق : من ائتلق لمع واضاء — ٦ — الورق : جمع ورقاء وهي الحمامة — ٧ — لهوات : جمع لها ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .
٨ — لسن : من لسن الرجل فصح ، أو تناهى فى الفصاحة والبلاغة .
٩ — شدق : جمع أشدق ، أى بليغ مفوه كريم .

غَمزتُ إباءهم حتى تلظَّتْ ... أنوفُ الأُسْدِ واضطرَم(١) المَدَق(٢)
وضجَّ من الشَّكيمةِ(٣) كلُّ حُرٍّ ... أبِيٍّ من أُمَيَّةَ فيه عِتْق(٤)

* * *

لحاها اللهُ أنباءً توالتْ ... على سَمْعِ الولىِّ بما يَشُقّ(٥).
يُفصّلها(٦) إلى الدنيا بَرِيدٌ ... ويُجْمِلُها إلى الآفاق بَرْقُ(٧)
تكادُ لروعةِ الأحداثِ(٨) فيها ... تخال من الخُرافةِ وَهْى صِدْق
وقيل : معالمُ التاريخ دُكَّت ... وقيل : أصابها تلفٌ وحَرق
ألستِ - دِمَشقُ - للإسلام ظِئْرًا(٩) ... ومُرْضِعَةُ الأُبُوَّةِ لا تُعَقّ ؟
صلاحُ الدين ، تاجُك لم يُجَمَّل ... ولم يُوسَم بأزين منه فَرْق
وكلُّ حضارةٍ فى الأرض طالتْ ... لها من سَرْحِكِ العُلْوِىِّ عِرْق(١٠)
سماؤكِ من حُلَى الماضى كتابٌ ... وأرضُك من حلى التاريخ رق(١١)
بنيْتِ الدولةَ الكبرى ومُلْكًا ... غبارُ حضارتَيْه لا يُشَقّ
له بالشامِ أعلامٌ وعُرْسٌ ... بشائرُه ، بأندلُسٍ تدَق

* * *

رباعُ الخلدِ - وَيْحكِ - ما دَهاها ؟ ... أحقٌّ أنها دَرَستْ ؟ أحَقُّ ؟
وهل غُرَفُ الجِنانِ مُنضَّداتٌ(١٢)؟ ... وهل لنعيمهن كأمسِ نَسْقُ ؟
وأين دُمًى(١٣) المقاصِر(١٤) من حِجالٍ ... مُهتَّكَةٍ ، وأستارٍ تُشَقُّ

---

١ - اضطرم ، من اضطرمت النار : اشتعلت - ٢ - المدق : قصبة الانف - ٣ - الشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة فى فم الفرس
٤ - العتق : الكرم وخلوص الأصل .
٥ - الولى : المحب والصديق - ٦ - فصل : بين - ٧ - يجمل : من اجمل الكلام : فصله وبينه - ٨ - الاحداث : المصائب - ٩ - الظئر : المرضعة - ١٠ - السرح : الشجر العظام - ١١ - الرق : جلد رقيق يكتب فيه - ١٢ - منضد : منسق - ١٣ - الدمى : واحدتها دمية ، وهى الصورة المنقشة - ١٤ - المقاصير : واحدتها مقصورة وهى الحجر .

بَرزْنَ وفى نواحى الأَيْكِ نارٌ ... وخَلفَ الأَيكِ أفراخٌ تُزَقُّ
إذا رُمْنَ السلامةَ من طريق ... أتتْ من دونه للموت طُرْق
بلَيْلٍ للقذائفِ والمنايا ... وراء سمائِه خَطْفٌ، وصَعْقُ
إذا عصفَ الحديدُ، احمَرَّ أُفْقٌ ... على جنباتِه، واسودَّ أُفْق
سَلِى مَنْ راعَ غِيدَكِ بعدَ وَهْنٍ(١) ... أبيْن فؤادِه والصخرِ فَرْق؟
وللمستعمرِين – وإن ألانوا – ... قلوبٌ كالحجارةِ، لا تَرِقّ
رمالِكِ بطَيْشِه، ورمى فرنسا ... أخو حربٍ، به صَلَفٌ، وحُمْق
إذا ما جاءه طُلّابُ حَقٍّ ... يقول: عصابةٌ خرجوا وشَقّوا
دَمُ الثّوارِ تعرفُه فرنسا ... وتعلم أنه نورٌ وحَقّ
جرى فى أرضِها، فيه حياةٌ ... كمُنْهَلِّ السماء، وفيه رزقُ(٢)
بلادٌ ماتَ فِتْيَتُها لِتحْيا ... وزالوا دونَ قومِهِمُ ليبقوا
وحُرِّرَت الشعوبُ على قَناها ... فكيف على قناها تُسْتَرَق؟(٣)
بنى سوريَّةَ، اطَّرِحوا الأمانى ... وألقُوا عنكمُ الأحلامَ، ألْقُوا
فمِنْ خِدَعِ السياسة أن تُغَرّوا ... بألقاب الإمارةِ وهْىَ رِقٌّ(٤)
وكم صَيَدٍ(٥) بدا لك من ذليل ... كما مالت من المصلوب عُنْق
فُتُوق المُلكِ تَحْدُثُ ثمّ تمضى ... ولا يمضى لمختلفِين فَتْق
نَصَحْتُ ونحن مختلفون دارًا ... ولكنْ كلُّنا فى الهمِّ شرق
ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ ... بيانٌ غيرُ مختلفٍ ونُطْق
وقفتم بين موتٍ أو حياةٍ ... فإن رمتم نعيمَ الدهر فاشقوا
وللأوطانِ فى دَمِ كلِّ حُرٍّ ... يَدٌ سلفتْ ودَيْنٌ مُستحِق

---

(١) الوهن: نصف الليل، أو بعده بساعة – ٢ – منهل السماء: أى قطره – ٣ – تسترق: تستعبد – ٤ – الرق: العبودية – ٥ – الصيد: ميل العنق وهو يضرب للكبر.

ومن يَسقى ويَشربُ بالمنايا إذا الأحرارُ لم يُسقوا ويَسقوا ؟
ولا يبنى الممالكَ كالضحايا ولا يُدنى الحقوقَ ولا يُحِقّ
ففى القتلى لأجيالٍ حياةٌ وفى الأسرى فِدًى لهمو وعِتق(١)
وللحريةِ الحمراءِ بابٌ بكلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقّ
جزاكم ذو الجلالِ بنى دِمَشقٍ وعزُّ الشرقِ أولُهُ دِمَشق
نصرتم يومَ مِحنتِهِ أخاكم وكلُّ أخٍ بنصرِ أخيه حق
وما كان الدروزُ قَبيلَ(٢) شرٍّ وإن أُخِذوا بما لم يستحقّوا
ولكنْ ذادَةٌ(٣) ، وقُراةُ ضيفٍ كينبوعِ الصَّفا خَشُنوا ورَقّوا
لهم جبلٌ أشمُّ له شعافٌ موارد فى السحاب الجُونِ تُلْق
لكلِّ لبوءةٍ ، ولكلِّ شِبلٍ نِضالٌ دونَ غايتِه ورَشْق
كأن مِن السَّمَوْألِ (٤) فيه شيئاً فكلُّ جهاتِه شَرفٌ وخُلْق

رَمَضانُ وَلّى

الابيات التى بين قوسين ترجمتها جريدة الطان بقلم المرحوم عثمان باشا غالب

رمضانُ وَلّى ، هاتِها ياساق مُشتاقةً تسعى إلى مُشتاقِ
ما كان أكثَرَه على أُلّافِها وأقلَّهُ فى طاعةِ الخَلّاق !!
اللهُ غفّارُ الذنوبِ جميعِها إن كان ثَمَّ من الذنوب بَواق
بالأمس قد كُنّا سَجِينَىْ طاعةٍ واليومَ مَنَّ العيدُ بالإطلاق

(١) العتق : الحرية — ٢ — القبيل : جمع قبيلة وهى العشيرة .
(٣) الذادة : جمع ذائد وهو الحامى — ٤ — السموال : هو السموال ابن عادياء اليهودى صاحب القصيدة التى مطلعها :
اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

ضحِكتْ إليَّ مِن السرور، ولم تزل بنتُ الكُروم كريمةَ الأعراق
هاتِ اسقِنِيها غيرَ ذاتِ عواقبٍ حتى نُراعَ لصَيْحَة الصَّفَّاق(١)
صِرفاً مُسَلَّطةَ الشُّعاعِ . كأنّما من وَجْنَتَيْكَ تُدار والأحداق
حمراء أو صفراء ، إنّ كريمَها كالغِيدِ ، كلٌّ مَليحةٍ بمذَاق
وحَذارِ من دَمِها الزكِيِّ تُريقُهُ يَكفيك ـ ياساقِى ـ دَمُ العشاق
لا تَسقِنِى إلا دِهاقاً(٢)، إننى أُسقَى بكأسٍ فى الهموم دِهاق
فلعلَّ سلطانَ المدامةِ مُخْرِجِى مِن عالَمٍ لم يَحْوِ غيرَ نِفاق
(وطنى ،أَسِفْتُ عليكَ فى عيدالمَلا وبكيتُ من وَجْدٍ ، ومن إشفاق)
(لا عيدَ لى حتى أراك بأمّةٍ شمّاء راويةٍ من الأخلاق)
(ذهب الكرامُ الجامعون لأمرهم وبقيتُ فى خَلَفٍ بغير خَلاق)
(أيظلّ بعضُهمُ لبعضٍ خاذِلًا ويقال : شعبٌ فى الحضارة رَاقِى)؟
(وإذا أراد اللهُ إشقاءَ القُرَى جعلَ الهُداةَ بها دُعاةَ شِقاق)

* * *

العيدُ بينَ يَدَيْكَ ياابْنَ محمدٍ نَثَرَ السُّعودَ حُلًى على الآفاق
وأتى يقبِّل راحَتَيْكَ ، ويَرتجى أن لا يفوتكما الزمانَ تَلَاق
قابلْتَه بسُعودِ وجهك والسَّنا فازداد من يُمْنٍ ، ومن إشراق
فاهنأْ بطالعهِ السعيدِ ، يَزِينُه عيدُ الفقير ، وليلةُ الأرْزاق
يتنزَّلُ الأجْرانِ(٣) فى صُبحيْهما جَزْلَيْن عن صَوْم وعن إنفاق
إنى أُجِلٌّ عن القتالِ سرائرى إلاّ قِتالَ البؤسِ والإملاق(٤)
وأرى سُمومَ العالَمين كثيرةً وأرى التعاونَ أنجعَ التِّرياق(٥)

(١) الصفاق : الديك — ٢ — الدهاق من الكئوس : الممتلئة .
(٣) الأجران : مثنى اجر اى اجر زكاة الفطر والصوم — ٤ — الاملاق : من أملق الرجل انفق ماله حتى افتقر — ٥ — الترياق : دواء مركب يدفع السموم .

قسَمتْ بَنِيها ، واستبدَّتْ فوقَهم ... دُنيا تَعُقُّ ، لئيمةُ الميثاق
واللهُ أتعبها ، وضلَّلَ كيدَها ... من راحتيْك بوابلٍ غَيْداق(١)
يَأْسُو جِراحَ اليائسين من الورى ... ويُساعِدُ الأنفاسَ فى الأَرْماق(٢)
بلغ الكرامُ المجدَ حين جَرَوْا له ... بسوابقٍ ، وبَلغْتَه (ببُراق)
ورأَوْا غُبارَك فى السُّها ، وتَراكَضُوا ... مَنْ للنجومِ ، ومَنْ لهم بلَحاق؟
مَوْلاىَ ، طِلْبَةُ مصرَ أن تَبْقَى لها ... فإذا بَقِيتَ فكلُّ خيرٍ باق
سبق القريضُ إليك كلَّ مُهَنِّئٍ ... مِن شاعرٍ ، مُتَفَرِّدٍ ، سَبَّاق
لم يَدَّخِرْ إلّا رِضاكَ ، ولا اقتنَى ... إلّا وَلاءَك أنْفَسَ الأَعلاق(٣)
إن القلوبَ — وأنتَ ملءُ صَميمِها — ... بَعَثَتْ تَهَانِيهَا من الأَعماق
وأنا الفتى (الطَّائِىُّ)(٤) فيك ، وهذه ... كَلِمِى هَزَزْتُ بها أَبا إسحاق(٥)

مِصْــر

(قال وقد كان اعد وليمــــة الى الكاتب الانجليزى المستر هول كين)

أيها الكاتبُ المصوِّرُ ، صَوِّرْ ... مصرَ بالمنظر الأَنيق الخليق
إن مصرًا روايةُ الدهرِ ، فاقرأْ ... عِبرَةَ الدهرِ فى الكتاب العتيق
ملْعبُ مَثَّل القضاءُ عليه ... فى صِبا الدهر آيةَ (الصِّدّيق)(٦)
وامِّحاء(٧) (الكَليمِ)(٨) آنَسَ نارًا ... والتجاء (البَتُولِ)(٩) فى وقت ضيق

---

(١) الغيداق : الكريم الجواد الواسع الخلق الكثير العطية .
(٢) الأرماق : جمع رمق وهو بقية الحياة — ٣ — الاعلاق : جمع علق وهو النفيس من كل شئ ٤ — الطائى : أبو تمام الطائى الشاعر .
(٥) ابو اسحاق : المعتصم بالله — ٦ — الصديق : يوسف عليه السلام
(٧) امحاء : صعق — ٨ — الكليم : موسى عليه السلام — ٩ — البتول : مريم العذراء عليها السلام .

ومنايا (مِنا)، (فكسرى)، فذِى (القرْ
نَيْنِ)، فالقَيْصَرَيْنِ، (فالفاروق)(١)

دُوَلٌ لم تَبِدْ، ولكنْ توارت خلْفَ سِتْرٍ من الزمان رَقيق
رَوْضَتي ازْيَّنَتْ، وأبدَتْ حُلاها حين قالوا: رِكابُكم فى الطريق
مثلَ عَذْراءَ من عجائِزِ (روما) بشّروها بزَوْرَةِ البطريق
ضَحِكُ الماءِ، والأقاحي(٢) عليها قابلته الغصونُ بالتصفيق
زُرْتَها والربيعُ فَصْلًا، فخفّت نحوَ رَكْبَيْكُما خُفوفَ المشوق
فانزلا فى عيون نرجِسِها الغضّ صِياناً، وفوق خَدِّ الشقيق(٣)

البَحْرُ الأَبْيَضُ المُتَوَسِّطُ

أيُّ الممالكِ؟ أيُّها فى الدهرِ مارفعتْ شِراعَك؟
يا أبيضَ الآثارِ، والصَّفَحاتِ، ضُيِّعَ مَنْ أضاعَك
إنّ البيانَ، وإنّ حُسْنَ العقلِ؛ ما زالا متاعَك
أبدًا تُذَكِّرنا الذين جَلَوْا على الدنيا شُعاعك
وبَنَوْا منارَك عالياً مُتألِّقًا، وبَنَوْا قِلاعك
وتحكَّموا بك فى الوجودِ، تَحَكُّمًا كان ابتداعَك
حتى إذا جئتَ الأنامَ بأهلِ حكمتِه أطاعَك
واليومَ عَقَّ، كأنّما ينسى جميلَك واصطناعَك
فابْلَعْ — فَدَيْتُكَ — كلَّ ما تلك، فالملا ينوى ابتلاعك

(١) الفاروق: عمر بن الخطاب رضى الله عنه — ٢ — الأقاحى: جمع أقحوانة وهو نبات له زهر ابيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء.
(٣) الشقيق: زهر.

وقال عندما زار قسم الأزهار والثمار فى المعرض بباريس سنة ١٩٠١ :

رزق اللهُ أهلَ باريسَ خيرًا ... وأرى العقلَ خيرَ ما رُزِقوه
عندهم للثمارِ والزهرِ ممّا ... تُنجِب الأرضُ مَعْرِضٌ نَسقوه
جنّةٌ تَخلِب العقولَ ، وروضٌ ... تجمعُ العينُ منه ما فرقوه
من رآه يقول : قد حُرِموا الفر ... دوسَ ، لكنْ بسحرهم سرقوه
ما ترى الكَرْمَ قد تشاكلَ ، حتى ... لو رآه السُّقاةُ ما حقّقوه ؟
يُسكِرُ الناظرين كَرْمًا ، ولمّا ... تَعْتَصِرْهُ يَدٌ ، ولا عتّقوه
صوّروه كما يشاءون ، حتى ... عَجِبَ الناسُ : كيف لم يُنْطِقُوه ؟
يجدُ المتّقى يدَ الله فيه ... ويقول الجَحودُ : قد خَلَقوه

بَارِيسُ

جَهْدُ الصَّبابةِ ما أُكابِدُ فيكِ ... لو كان ما قد ذُقْتُه يكفيكِ
حتّامَ هِجرانِى ؟ وفيمَ تَجنِّيِ ؟ ... وإلامَ بى ذُلُّ الهوى يُغريكِ ؟
قد مُتُّ من ظَمَإٍ ، فلو سامَحْتِنِى ... أن أشتهى ماءَ الحياةِ بِفِيكِ ! !
أَجِدُ المنايا فى رضاكِ هى المُنَى ... ماذا وراءَ الموتِ ؟ ما يُرْضِيكِ ؟
يابنتَ مَخضوبِ الصوارمِ والقنا ... بَرِئتْ بَنانُكِ من سلاحِ أبيكِ
فخضابُ تلك ؛ من العيونِ وِقايةٌ ... وخضابُ ذاك من الدمِ المسفوكِ
جَفْناكِ ؛ أيُّهما الجرىءُ على دمى ؟ ... بأَبى هُمَا مِنْ قاتلٍ وشَريكِ ! !
بالسيفِ ، والسحرِ المُبينِ ، وبالطِّلَى ... حَمَلا عَلَىَّ ، وبالقَنا المَشْبوكِ(١)

(١) الطلى : الخمر .

بهما وبي سقمٌ ، ومِنْ عَجَب الهوى عُدْوَانُ مُنْكَسِرٍ على مَنْهوك
وِفقًا بمُسْبِلَةٍ(١) الشئونِ(٢) قريحة(٣) تسلو عن الدنيا ولا تَسْلوك
أبكيتها ، وقعدت عن إنسانها(٤) يا لَلرجالِ لِمُغْرَق متروك
ضَلَّت كَرَاها(٥) في غَياهِب(٦) حالك ضَلَّ الصباحَ عليه صوتُ الديك
رقَّ النسيمُ على دُجاه لأنَّتِي ورثَى لحالى فى السماء أخوك(٧)
قاسيته ، حتى انجلى بالصبح عن سِرِّى المَصُونِ ، ومَدْمَعِى المهتوك
سُلَّت سيوفُ الحىِّ ، إلَّا واحدًا إفرندُه(٨) فى جَفْنِه يَحْميك
جَرَّدْتَه فى غيرِ حقٍّ ، كالأُلَى سَلُّوا سيوفَهمُ على أهليك
طلعتْ على حرَمِ الممالكِ خيلُهم دارًا سَنابِكُها(٩) على (البلجيك)
البأْسُ والجبروتُ فى أعْرافِها(١٠) والموتُ حولَ شَكيمها(١١) المعْلوك(١٢)
عَرتْ (لياجَ) عن الحصونِ ،وَجَرَّدتْ (نامورَ) عن فُولاذِها المشكوك(١٣)
تمشى على خطِّ الملوكِ وخَتْمِهم وعلى مَصُونِ مَوَاثِقٍ وصُكُوك(١٤)
والحربُ لاعقلٌ لها فتسومها ما يَنبغى من خُطَّةٍ وسلوك
دَكَّت حصونَ القوم إلَّا مَعْقِلاً من نَخْوَةٍ ، وحَمِيَّةٍ ، وفُتوك
وإذا احتمى الأقوامُ باستقلالهم لاذوا بركنٍ ليس بالمدْكوك
ولقد أقول وأدمُعى مُنْهَلَّةٌ : (باريزُ) ، لم يعرفْكِ مَنْ يَغْزوكِ

---

(١) مسبلة : من اسبل الدمع ، اى ارسله — ٢— الشئون : الدموع
(٣) قريحة : اى ذات قرحة ، وهى الجرح — ٤ — انسانها : انسان العين ، وهو المثال يرى فى سوادها ٥ — كراها : نومها ٦ — غياهب : جمع غيهب وهو الظلمة .
(٧) اخوك : يعنى البدر — ٨ — الافرند : جوهر السيف ووشيه .
(٩) سنابكها : جمع سنبك ، وهو طرف الحافر — ١٠ — أعرافها : الواحد عرف ، وهو شعر عنق الفرس .
(١١) شكيمها : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس
(١٢) المعلوك : من علك الفرس اللجام : لاكه وحركه فى فمه .
(١٣) المشكوك : اى المشدود — ١٤ — اى انها انتهكت المعاهدات .

ما خِلْتُ جَنَّاتِ النعيم ولاالدُّمَى(١) … تُرْمَى بمشهود النهار(٢) سَفوك
زعموكِ دارَ خلاعةٍ ، ومَجانةٍ … ودَعارة : يا إفْكِ ما زعموك !
إن كنتِ للشهواتِ رِيًّا ؛ فالعُلا … شَهَوَاتُهُنَّ مُرَوَّيَاتٌ فيك
تلِدِينَ أعلامَ البيانِ ، كأنهم … أصحابُ تيجانٍ ، ملوكُ أَرِيك
فاضت على الأجيال حكمةُ شِعرِهم … وتفجَّرَتْ كالكوثر المعْروك(٣)
والعلمُ فى شرقِ البلادِ وغربِها … ما حجَّ طالبُه سوى ناديك
العصرُ ؛ أنتِ جمالُه . وجلالُه … والركنُ من بُنْيَانِه المَسْمُوك(٤)
أَخذَتْ لواءَ الحقِّ عنكِ شُعوبُه … ومشَتْ حَضارتُه بنور بَنيك
وخِزانَةُ التاريخِ ؛ ساعةَ عَرْضِها … للفَخْرِ ؛ خيرُ كنوزِها ماضيك
ومن العجائِبِ أنواديكِ الشَّرَى(٥) … ومَراتع الغزلانِ فى واديك
يامكتبى قبلَ الشبابِ . ومَلْعبى … ومَقِيلَ أيامِ الشباب النُّوك(٦)
ومراحَ لذَّاتى . ومَغْداها على … أُفُقٍ كجنّاتِ النعيم ضَحُوك
وسماءَ وَحْيِ الشِّعر من مُتدفِّقٍ … سَلِسٍ على نَوْلِ(٧) السماء مَحُوك(٨)
لما احتملتُ لكِ الصَّنيعةَ ؛ لم أجد … غيرَ القوافى ما به أجزيك
إن لَّم يَقُوكِ بكل نفسٍ حُرَّةٍ … فاللهُ جلّ جلالُه واقيك

وقال فى صاحب أهوج كثير الحركة والكلام :

لنا صاحبٌ قد مُسَّ إلا بقيَّة … فليس بمجنون ، وليس بعاقل
له قَدَمٌ لا تستقرُّ بموضع … كمايتنَزَّى(٩)فى الحصى غيرُ ناعل

(١) الدمى : جمع دمية . وهى الصورة المنقشة — ٢ — يعنى الحرب .
(٣) ماء معروك : اى مزدحم عليه — ٤ — المسموك : المرتفع .
(٥) الشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل ٦ـ النوك : جمع ابوك . وهو الأحمق . وقيل : العاجز الجاهل — ٧ النول : خشبة الحائك ينسج عليها — ٨ — محوك : من حاك اى نسج .
(٩) يتنزى : يثب .

إذا ما بدا فى مجلسٍ ظُنّ حافلاً   من الصَّخَب العالى ، وليس بحافل
ويُمطرنا من لفظهِ كلَّ جامدٍ   ويُمطرنا من رَيْلِه(١) شرَّ سائل
ويُلقى على السُّمَّارِ كفًّا دِعابُها   كمَضَّةِ بَرْدٍ فى نواحى المفاصل

وقال يشيع صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو مسافر : وفيها وصف لبعض الأماكن المقدسة :

(محجوبُ) ، إن جئتَ «الحجا   زَ» ، وفى جوانحك الهوى له
شوقاً ، وحباً بالرسو   ل ، وآلهِ أزكى سُلاله
فلَمحتَ نَضْرَةَ (بانِه)   وشممتَ كالرَّيْحان (ضالَه)
وعلى (العتيق)(٢) مَشَيْتَ تنـ   ـظر فيه دمعَك وانهماله
ومضى السُّرى بك حيثُ كا   ن الروحُ يسرى والرِّساله
وبلغتَ (بيتًا) بالحجا   ز : يُبارك البارى حِياله
اللهُ فيه جلا الحرا   مَ لخلقه ، وجلا حلاله
فهناك طِبُّ الروحِ ، طِـ   ـبُّ العالَمين من الجهاله
وهناكَ أطلالُ الفصَا   حةِ ، والبلاغةِ ، والنَّباله
وهناك أزكى مسجَدٍ   أزكى البريَّة قد مشى له
وهناك عُذْرِىٌّ الهوى   وحديثُ (قَيْسٍ)(٣) والغزاله
وهناك مُجْرِى الخيل ، يجرى   فى أعنتها خياله
وهناك مَنْ جمعَ السَّماحَةَ . والرجاحة : والبساله(٤)

---

(١) الريل : اللعاب . من رال الصبى ريلا اى جرى لعابه .
(٢) العتيق : الحرم المكى — ٣ — هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون بنى عامر ، وله أحاديث يرجع اليها فى الأغانى ، ومنها حديث الغزالة الآنفة.
(٤) البسالة : الشجاعة .

وهناك خَيَّمت النُّهَى والعلمُ قد ألقى رِحاله
وهناك سَرْحُ حضارةٍ الله قَيَّأنا ظِلالَه
إنّ الحسينَ بنَ الحسـ ـينِ أميرَ مَكَّةَ والإياله
قمرُ الحجيجِ إذا بدا دارُ الحجيجِ عليه هاله
أنتَ العليلُ ، فلُذْ به مُستشفيًا ، واغنَم نَواله
لا طِبٌ إلا جَدُّه شافى العقولِ من الضَّلاله
قَبِّل ثراه ، وقُلْ له عنى ، وبالِغْ فى المقاله
أنا يا ابنَ أحمدَ بعدَ مَدْ حى فى أبيك بخير حاله
أنا فى حِمَى الهادى أبيـ ـك ، أُحِبُّهُ ، وأُجِلُّ آلَه
شوقى إليك على النَّوى شوقُ الضرير إلى الغزالة(١)
يا ابنَ الملوك الراشديـ ـن ، الصالحين : أولِى العَداله
إن كان بالملك الجلا لةُ ، فالنبىُّ لكم جلاله
أوَليس جدُّكمُ الذى بلغَ الوجودُ به كماله ؟

طُوكْيُو

وصف نكبة اليابان الأخيرة بالزلزال الشهير

قِف (بطوكيو) ، وطُف على (يوكاهامَه)
وسل القريتيْن : كيف القيامه ؟
دنت الساعةُ التى أُنْذِرَ النا سُ ، وحَلَّتْ أشراطُها(٢) والعلامه

---

(١) الغزالة : الشمس . — ٢ — الأشراط : المفرد شرط : العلامة .

قِفْ، تأمّلْ مَصارعَ القوم، وانظُرْ ... هل ترى من ديار عادٍ دِعامه؟
خُسِفَت بالمساكن الأرضُ خَسْفًا ... وطوَى أهلَها بِسَاطَ الإقامه(١)
طوّفَتْ بالمدينتين المنايا ... وأدارَ الردَى على القوم جامَه(٢)
لا تَرى العينُ منهما أين جالت ... غيرَ نِقْضٍ(٣)، أو رِمّةٍ، أو حُطامه(٤)
حازَهم من مراجِلِ(٥) الأرضِ قبرٌ ... فى مدى الظّنّ — عُمْقُه ألفُ قامه
تحسبُ الميْتَ فى نواحيه يُعيِي ... نفخةَ الصور أن تَلُمَّ عِظامه
أصبحوا فى ذَرا الحياة، وأمسَوْا ... ذهبَتْ رِيحُهم وشالوا نَعامه(٦)
ثِقْ بما شئتَ من زمانكِ، إلَّا ... صحبةَ العيشِ، أو جِوارَ السلامه
دولةُ الشرق وهى فى ذِرْوَة العزِّ ... تَحارُ العيونُ فيها فخامه
خانها الجيشُ وهْوَ فى البرِّ دِرْعٌ ... والأساطيلُ وهْيَ فى البحر لامه(٧)
لو تأمَّلْتَها عشيّةَ جاشتْ ... خِلْتَها فى يد القضاء حمامه
رجَّها رجّةً أكبّتْ على قَرْ ... نَيْهِ (بوذا)، وزلزلتْ أقدامه
استعذنا بالله من ذلك السَّيْـــلِ الذى يكسحُ البلادَ أمامه
مَن رأى جَلْمَدًا يَهُبُّ هُبوباً ... وحميماً(٨) يَمُجّ سحَّ الغمامه؟
ودخاناً يَلُفُّ جُنْحًا بجُنْحٍ(٩) ... لا ترى فيه مُقْصَميها اليَمامه؟(١٠)
وهَزِيماً كما عَوى الذئبُ فى كـ ... ـلِّ مكانٍ، وزَمْجَرَ الضِّرغامه؟

* * *

أتَت الأرضُ والسماءُ بطوفا ... نٍ يُنَسّى طوفانَ نوحٍ وعامه

---

(١) اى ارتحلوا — ٢ — الجام: الكاس — ٣ — النقض: اسم البنـاء المنقوض.
(٤) الحطامة: ما تحطم من الشيء المحطوم، أى ما تكسر منه.
(٥) مراجل: جمع مرجل، وهو القدر من الحجارة والنحاس.
(٦) اى ارتحلوا وتفرقوا
(٧) اللامة: الدرع — ٨ الحميم: الماء الحار — ٩ — جنح الليل: طائفة منه — ١٠ — هى زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر.

فترى البحرَ جُنّ ، حتى أجاز(١) الـــــبرّ . واحتلّ مَوْجُه أعلامه
زَبِدًا ، ثائرَ اللُّجاجِ ، كجيشٍ قوَّضَ العاصفُ الهَبوبُ خِيامه
فُلْكُ نوحٍ تعوذُ منه بنوحٍ لو رآته . وتستجير زِمامه
قد تخيَّلتُهم مَتابيلَ سحرٍ من قراعِ القضاء صَرْعَى مُدامه
وتخيّلتُ مَنْ تخلَّف منهم ظَنَّ ليلَ القيامِ ذاك . فنامه
أبراكينُ تلكَ . أم نَزَواتٌ(٢) من جراحٍ قديمةٍ مُلْتامه ؟
تجد الأرضُ راحةً حيثُ سالتْ راحةُ الجسم من وراء الحجَامه(٣)
ما لها لا تَضِجُّ مما أقلّتْ من فساد ، وحُمِّلَت من ظُلامه؟
كلما لُبِّسَتْ بأهل زمانٍ شهِدَتْ من زمانهم آثامه
استووا بالأذى ضِريًا ، وبالشـ ـرِّ وُلوعا ؛ وبالدماء نَهامه
لبِّسَتْ هذه الحياةُ علينا عالَمَ الشرِّ : وَحْشَه ؛ وأنامه
ذاك من مُؤنساتِه الظُّفْرُ والنّا بُ ، وهذا سلاحُه الصَمْصَامه
مَرّةٌ من أسامةَ البَطْشُ والفتـ ـكُ ؛ فسَمّى وليدَه بأُسامه(٤)
لَؤُمَتْ منهما الطباعُ ؛ ولكن وَلَدُ العاصِيَيْنِ شرٌّ لآمه !(٥)

طَابِعُ الْبَرِيد

(العيد الفضى — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٠٠ —
لطابع البوستة فى جنيف — سلام على لسان البريد)

أنا من خمسة وعشرين عاما لم أرِحْ فى رِضاكمُ الأقْداما
أركبُ البحرَ تارةً ، وأجوبُ الـ ـبَرَّ طَوْرًا . وأقطعُ الأيّاما

---

(١) اجاز الموضع : سلكه — ٢ — نزوات الجرح : سوراته ونزفاته .
(٣) الحجامة : الفصد .
(٤) أسامة : الأسد ٥ — العاصيين : آدم وحواء .

ويُوافى النفوسَ مِنّى رسولٌ ... لم يكن خائنًا ، ولا نَمّاما
يَحمِلُ الغِشَّ والنصيحةَ ، والبغضا ... ءَ والحُبَّ ، والرِّضَى والمَلاما
ويَجى ما تُسِرُّه من كلامٍ ... ويُؤدّى كما وعَاهُ الكلاما
ولقد أُضْحِكُ العَبُوسَ بيومٍ ... فيه أُبْكِى المُنَمَّمَ البسّاما
وأُهنّى على النوَى وأُعزِّى ... وأُفِيدُ الحِرْمانَ والإنعاما
وجزَائِى عن خدمتى ووَفائى ... ثمنٌ لا يُكلِّف الأَقواما
رُبَّ عبدٍ قد اشترانى بمالٍ ... وغُلامٍ قد ساقَ مِنّى غُلاما
عرفَ القومُ فى (جنيفا) مَحلِّى ... وجَزَوْنى عن خدمتى إكراما
جامَلونى ـ إذ تَمَّ لى رُبْعُ قَرْنٍ ... مِثْلَما جامَلوا الملوكَ العِظاما
ويوبيلُ الملوكِ يَلْبَثُ يوماً ... ويوبيلى يدوم فى الناس عاما

الطَّيّارُونَ الْفَرَنْسِيُّون

قُمْ (سليمانُ) ؛ بِساطُ الريح قاما ... مَلَكَ القومُ من الجوِّ الزِّماما
حينَ ضاقَ البرُّ والبحرُ بهم ... أَسْرَجوا الريحَ ، وساموها اللِّجاما(١)
صارَ ما كان لكم مُعْجِزةً ... آيةً للعلم آتاها الأَناما
قدرةٌ كنتَ بها مُنفَرِدًا ... أَصبحَتْ حِصَّةَ مَنْ جَدَّ اعتزاما
(عينُ شمسٍ) قام فيها مارِدٌ ... من عفاريتكَ يُدْعَى (شاتَهاما)
يملأُ الجَرَّ عَزِيفًا كُلَّمَا ... ضرب الريحَ بسَوْطٍ والغَماما
مَلِكُ الجوِّ تليه عُصْبَةٌ ... جمعتْ شَهْمًا ، ونَدْباً ، وهماما(٢)

---

(١) سام : من سام فلانا الأمر : كلفه اياه — ٢ — الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ، لأنه اذا ندب اليها خف لقضائها .

اسْتَوَوْا فوقَ «مَناطيدهمُ» ما يُبالونَ : حياةً ، أم حِماما
وقبورًا فى السَّمٰواتِ العُلا نزَلوا ، أم حُفَرات ورَغاما(١)
مُطْمئِنِّين نفوساً ، كلَّما عبَسَت كارثةٌ زادوا ابتساما
صهوةَ العِزِّ اعتلوْا ، تحسبهم جَمْعَ أملاكٍ على الخيلِ تَسامى
رفعوا «لَوْلَبَها» ، فاندفعَتْ هل رأيتَ الطيرَ قد زَفَّ وحاما ؟(٢)
شال(٣) بالأذناب كلٌّ ، ورَمَى بجَناحَيْهِ كما رُعْتَ النَّعاما
ذهبتْ تَسْمُو ، فكانت أعْقُبًا(٤) فنسورًا ، فصقورًا ، فحماما
تَنْبَرِى فى زَرَقِ الأفْقِ ، كما سبحَ الحُوتُ بدَأْماءِ وعاما(٥)
بعْضُها فى طلبِ البعْضِ ، كما طاردَ «النّسرُ» على الجوِّ القُطاما(٦)
ويراها عالَمٌ فى زُحَلٍ(٧) أرسلتْ من جانب الأرضِ سِهاما
أو نجوماً ذاتَ أذنابٍ بدتْ تُنْذِرُ الناسَ نُشورًا وقِياما(٨)
أترى القوّة فى جُؤجُؤِهِ(٩) وهو بالجؤجؤ ماضٍ يَترامى؟
أم تراها فى الخوافى(١٠) خَفِيَتْ أم مَقَرُّ الحَوْلِ(١١) فى بعض القُدامى؟(١٢)
أم ذُناباه إذا حرّكه يَزِنُ الجسمَ هُبوطاً وقِياما ؟
أم بعينيه إذا ما جالتا تكشفان الجوَّ غيثًا أم جَهاما ؟(١٣)
أم بأظفارٍ إذا شبّكها نفذت فى الريح دفْعًا واستلاما ؟
أم أمدّتْهُ بروحٍ أمّه يوم ألقته وما جاز الفطاما ؟

---

(١) الرغام : التراب — ٢ — زف الطائر : رمى بنفسه او بسط جناحيه.
(٣) شالت الناقة بذنبها : رفعته — ٤ — اعقبا : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح
(٥) الدأماء : البحر — ٦ — القطاما : الصقر — ٧ — زحل : كوكب من الخنس ، سمى به لبعده وتنخيسه ٨ — نشورا : من نشر الله الموتى : احياهم ٩ — الجؤجؤ من الطائر : الصدر ١٠ — الخوافى : ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، وقيل : هى الاربع اللواتى بعد المناكب .
(١١) الحول : القوة والقدرة على التصرف — ١٢ — القدامى : جمع قادمه ، وهى عشر ريشات فى مقدم الجناح ١٣ — الجهام : السحاب الذى لاماء فيه .

فتلقّاه أبٌ ، كم من أبٍ دونَه فى الناس بالوُلْدِ اهتماما !
فَلَكِيٌّ هو ، إلّا أنه لم يَنَلْ فَهْمًا ، ولم يُعْطَ الكَلاما
طِلْبةٌ قد رامها آباؤنا وابتغاها من رأى الدهرَ غُلاما
أسقطَتْ «إيكارَ» فى تَجْرِبَةٍ «وابنَ فِرْناسٍ» ، فما اسْطاعا قياما
فى سبيلِ المجدِ أوْدَى نَفَرٌ شهداءُ العلمِ أعلاهُمْ مَقاما
خلفاءُ الرُّسْلِ فى الأرض همو يَبْعَثُ اللهُ بهم عاماً فعاما
قطرةٌ من دمهم فى مُلْكه تملأُ الملكَ جمالاً ونظاما

* * *

رَبِّ ، إن كانت لخيرٍ جُعِلَتْ فاجعل الخيرَ بناديها لزاما
وإن اعتزَّ بها الشرُّ غدًا فتعالَتْ تُمطِرُ الموتَ الزُّؤاما
فاملأ الجوَّ عليها رُجُمًا رحمةً منكَ ، وعدلاً ، وانتقاما

* * *

يا «فرنسا» ، لا عَدِمنا مِنَنًا لكِ عند العلم والفنّ جُساما
لَطف اللهُ «بباريسَ» ، ولا لَقِيَتْ إلّا نعيمًا وسلاما
رَوَّعَتْ قلبى خُطوبٌ رَوَّعَتْ سامِرَ الأحياء فيها والنِّياما
أنا لا أدعو على «سِينٍ» طَغَى إنَّ «للسِّينِ» — وإن جار — ذِماما
لستُ بالناسى عليه عِيشَةً كانت الشهدَ ، وأحباباً كراما
اجعلوها رُسْلَكم أهلَ الهوى تحملُ الأشواقَ عنكم والغراما
واستعيروها جَناحاً طالما شَغف الصَّبُّ وشاقَ المستَهاما
يحمِلُ المُضْنَى إلى أرض الهوى «يَمَنًا» حلَّ هَوَاهُ ، أم «شَآما»

* * *

أركبُ الليثَ ، ولا أركبُها وأرى لَيْثَ الشَّرَى أوفى ذِماما

غَدَرَتْ «جيرونَ» . لم تَخفِلْ به وبما حاوَلَ مِنْ فَوْزٍ وراما
وقعتْ ناحيةً . فاحترقت
مِثْلَ قُرْصِ الشَّمسِ بالأُفْقِ اضطراما
راضَها باليُمْنِ مِنْ طَلْعَتِه خيرُ مَنْ حَجَّ . وَمَنْ صَلَّى . وصاما
كخليلِ الله ، فى حَضْرته خَرَّتِ النارُ خُشُوعاً واحتراما

* * *

ما (لروحى) صاعدًا ماينتهى؟ أتُراه آثرَ الجوَّ . فَرَاما ؟
كلّما دارَ به دوْرَتَه أبدَت الريحُ آمْتِثالا وارْتِساما
أنا لو زِلْتُ الذى قد ناله ماهَبطَتُ الأَرضَ أرضاها مُقاما
هل ترى فى الأرضِ إلا حَسَدًا ورياءً . ونِزاعاً . وخِصاما ؟

* * *

مُلْكُ هذا الجوِّ فى مَنْعَتِه طالما للنَّجمِ والطَّيْرِ استقاما
حَسَدَ الإنسانُ سِرْبَيْهِ(١) بما أُوتيا فى ذرْوَةِ العزِّ اعتصاما
دخلَ العُشَّ على «أنْسُرِه» أتُرى يخشى من النَّجمِ السَّناما(٢)؟
أيُّها الشرق ، انْتَبِهْ من غفلةٍ ماتَ مَنْ فى طُرُقاتِ السَّيلِ ناما
لا تقولَنَّ : عِظامِىٌّ أنا فى زمانٍ كان للناسِ عِصاما
شاقت العلياءُ فيه خَلَفًا ليس يَأْلُوها طِلاباً واغتناما
كلَّ حينٍ منهمو نابغةٌ يفضُلُ البدرَ بهاءً وتماما

* * *

خالِقَ العُصْفورِ . حَيَّرْتَ به أُمَمًا بادوا وما نالوا المَرَاما
أفْنَوا النَّقْفَيْنِ فى تقليدِه وهو كالدِّرهم ريشاً وعِظاما

---

(١) السرب : القطيع من الظباء والنساء وغيرها .
(٢) السنام : حدبة فى ظهر البعير .

وَصْفُ مَرْقَصٍ

وقال يصف « البال » الخديوى الذى اقيم سنة ١٩٠٣ بسراى عابدين

طال عليها القِدَم فهى وجودٌ عَدَمْ
قد وُئِدَتْ فى الصِّبا(١) وانبعثَتْ فى الهَرَم
بالغَ فِرعونُ فى كَرْمتِها من كَرَم
أهرَق عُنقودَها تَقْدِمةً للصنم
خَبَّأها كاهِنٌ ناحِيةً فى (الهَرَم)
اكتُشِفَتْ فامَّحَتْ(٢) غيرَ شَذًا (٣) أو ضَرَم(٤)
أو كخيال لها بعد متابٍ ألَمّ(٥)
نَمَّ بها دَنُّها وهْىَ عليه أنَمّ
بى رَشَأٌ ناعمٌ(٦) ما عرف العمرَ هَمّ
أخرجها اللهُ كالـ زَّهرة ، والحسنُ كِمّ(٧)
تخطُر عن عادلٍ لم يُرَ إلّا ظَلَم
تَبْسِمُ عن لؤلؤٍ قَدَّره مَنْ قَسَم
كرَّم فى النَّوَى هذَّبه فى اليتم(٨)
مُضطهَدٌ خَصْرُها بجانبيْه مُهْتَضَم
طاوعَ مِنْ صَدْرِها أىَّ قَوِىٍّ حَكَم

---

(١) وئدت : من واد ابنته دفنها فى القبر وهى حية — ٢ — امحى الشىء ذهب اثره .
٣) الشذا : قوة ذكاء الرائحة . — ٤ — الضرم : الاشتعال
(٥) اى كخيال الخمر اذا الم بالتائب عنها ٦ — رشا : الرشا ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى .
(٧) الكم : غطاء النور — ٨ — اليتم مصدر : يقال : درة يتيمة اى ثمينة لا نظير لها .

حَمَّله ثِقْلَه ثُمَّ عليه ادَّعم(١)
تسأل أترابَها مُومِئَةً بالعَنَم(٢)
أىٌّ فتى ذلِكُنَّ العربىّ العَلَم ؟
يشربها ساهرًا ليلتَه لم يَنَم
قُلْنَ : تجاهَلْتِه ذلك ربُّ القلم
شاعرُ مصرَ الذى لو خَفِى النَّجمُ لَم
قلتُ لها : ليتَ لم نُرْمَ وفى نُتَّهَم
عاذلَتِى فى الطِّلى(٣) لو أنصفتْ لم ألَم
إن عَبس العيشُ لى عُذْتُ بها فابتسم
يشربُها كابرٌ(٤) بين ضلوعى أشَمّ
يبذلُ ، إلَّا النُّهى يَهتِك ، إلَّا الحُرَم
يُكْسِبُها خُلْقَه يَمزجُها بالشِّيم
يَمنعها حلمَه إن دفعتْه احتشم
تلك شموسُ الدّجَى أم ظَبياتُ الخِيَم ؟
تُقبِلُ فى موكبٍ شَقَّ سناه الظُّلَم
خِلْتُ بأنواره قَرْنَ ذُكاء نَجَم(٥)
مقصِدُها سُدَّةٌ آلَ إليها العِظَم
حيث كبارُ المَلا بعضُ صغارِ الخدم
قد وقفوا للمَها فانسربتْ(٦) من أَمَم(٧)

---

(١) ادعم : ارتكز ٢ — العنم : شجرة حجازيه لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب — ٣ — الطلى : الخمر — ٤ — الكابر : الكبير ، والكابر: الرفيع الشان والشرف .
(٥) ذكاء : الشمس ٦ — اسربت : يقال انسرب الظبى اذا دخل فى سربه — ٧ — من امم : اى من قريب .

تخطِر مِن جمعهم	بين ليوثٍ بُهَم(١)
خارجةً مِن شَرًى	داخلةً فى أجَم
ناعِمةً لم تُرَعْ	لاهيةً لم تَجم
انتثرت . لؤلؤًا	فى المُهَجاتِ انتظم
تَمرَح فى مَأْمَنٍ	مثلَ حَمَامِ الحَرَم
مُؤتلِفٌ سِربُها	حيث تلاقى التأم
مندفعاتٌ على	مختلفاتِ النَّغم
بين يَدٍ فى يَدٍ	أو قَدَم فى قَدَم
تذهب مَشْىَ القطا	ترجع كَرَّ النَّسَمْ
تبحث أنَّى بَدَتْ	ضوء جبينٍ وفَم
تُعْجِل خطوًا تَنى(٢)	فاتنة بالرَّسَم (٣)
تجمع مِنْ ذَيلها	تتركه لَمْ يُلَمّ
ترفُل فى مُخْمَلٍ	نَمَّ ولمَّا يَنِمّ
تَتبعُ . إلَّا الهوى	تَقرَبُ ، إلَّا التُّهَم
فاجتمعتْ فالتقتْ	حولَ خِوانٍ نُظِم
مُنْتَهَبٍ كلَّما	ظُنَّ به النقصُ تَمّ
مائدةٌ مَدُّها	بحرُ نوالٍ خِضَمّ
تحسَبها صُوِّرَتْ	من شهواتِ النَّهم
لم تُرَ فى (بابلٍ)	ما عُهِدَتْ فى (إرَم)
(حاتِمُ) لو شامَها	أقلعَ عما زَعَم

---

(١) بهم : واحدها بهمة وهو الشجاع — ٢ — تنى : تتأنى .
(٣) الرسم : حسن المشى .

(مَعْنُ) لو انتابها أدركَ معنى الكرم
أشبَهُ بالبحر ، لا يُخرِجُها مُزْدَحَم
قام لديها المَلا يبلغ ألفين ثَم
مقترحاً ما اشتهى ملتقياً ما رَسَم
لو طَلَب الطيرَ من أيكتِه ما احترم(١)
ياملِكًا لم تضِق ساحتُه بالأُمَم
تجمعُ أشرافَها من عَرَبٍ أو عَجَم
تُخْطِر مَنْ أمَّها بين صنوف النِّعَم
سادةُ أفريقيا لُجِّها والأَكَم
أنت رشيدُ العُلَى فى المَلأَيْنِ احْتَكِم(٢)
ليلتُكم قدْرُها فوقَ غوالى القِيَم
مُشرِقةٌ ، مثلُها فى زمنٍ لم يَقُم
لا برح الصفوُ فى ظِلِّكمو يُغْتَنَم
ما شربوها وما طال عليها القِدَم

تُوت عَنْخ آمُونَ وحضَارَةُ عَصْرِه

دَرَجَتْ على الكنزِ القُرونْ وأتتْ على الدَّنِّ السُّنونْ(٣)
خيرُ السيوفِ مضى الزما نُ عليه فى خيرِ الجفون(٤)

---

(١) احترم الشيء : منعه — ٢ — الملأين : العرب والعجم
(٣) الدن : باطية الخمر — ٤ — الجفون : الأغماد .

فى منزلٍ كمُحَجَّب الـ غَيْبِ استَتَرَ عن الظنون(١)
حتى أتى العلمُ الجسو رُ ففضَّ خاتَمَه المَصون
والعلم (بَدْرِىٌّ)(٢) ، أُحِ لَّ لأهله ما يصنعون
هتك الحِجالَ(٣) على الحضا رةِ ، والخُدورَ على الفنون
واندسَّ كالمِصباح فى حُفَرٍ مِنَ الأَجْداثِ جُون(٤)
حُجَرٌ مُمَرَّدَةٌ(٥) المعا قِلِ فى الثَّرى ، شُمٌّ الحُصون
لا تَهتدى الريحُ الهَبو بُ لها ، ولا الغيثُ الهَتون
خانت أمانةَ جارِها والقبْرُ كالدّنيا يَخون

* * *

يا ابنَ الثواقبِ من (رَعٍ) وابنَ الزّواهرِ من (أَمُونْ)(٦)
نَسَبٌ عريقٌ فى الضُّحى بَذَّ القبائلَ والبُطون
أرأيتَ كيف يَئُوب من غَمْرِ القضاء المُغْرَقون ؟
وتَدونُ آثارُ القُرو نِ ، على رَحَى الزَّمنِ الطَّحون ؟
حُبُّ الخلودِ بَنَى لكم خُلُقًا به تَتفرّدون
لم يأْخذِ المتقدِّمو ن به ولا المتأَخِّرون
حتى تسابقتم إلى الإ حسان فيما تعملون
لم تَتركوه فى الجليـ لِ ولا الحقيرِ من الشئون
هذا القيامُ ، فقل لنا : الـ يَوْمُ الأخيرُ متى يكون ؟
البعثُ غايةُ زائلٍ فانٍ ، وأنتم خالدون

---

(١) استسر : توارى — ٢ — بدرى : نسبة الى بدر ، وفى الاثر أن أهل بدر مغفورة لهم هفواتهم — ٣ — الحجال : جمع حجلة وهو ستر العروس فى جوف البيت .

(٤) جون : سود — ٥ — ممرده : مطولة — ٦ — رع وامون : معبودان مصريان قديمان .

السَّبْقُ مِنْ عاداتِكم أتُرى القيامةَ تسبِقون ؟
أنتم أساطينُ الحضا رةِ والبُناةُ المحسِنون
المتقِنون ، وإنما يُجزَى الخلودَ المتقنون

* * *

أنزَلْتَ حُفرةَ هالكٍ أم حجرةَ الملكِ المَكينْ ؟
أم فى مكانٍ بينَ ذَ لكَ يُدهِش المتأمِّلين ؟
هو من قبور المُتْلَفِ ين ، ومن قصور المُتْرَفين
لم يبقَ غالٍ فى الحضا رةِ لم يَحُزْهُ ، ولا ثَمين
ميْتٌ تُحيط به الحيا ةُ ، زمانُه معه دَفين
وذخائرٌ من أعْصُرٍ ولَّ تْ ، ومن دُنيا ودين
حملَتْ على العَجَبِ الزّما نَ وأهلَه المستكبِرين
فتلفَّتَتْ (باريسُ) تَحْ سَبُ أنها صنعُ البنين

* * *

ذهبٌ ببطنِ الأرضِ لم تذهبْ بلَمْحَتِه القُرون
استحدثتْ لك جَنْدَلاً وصفائحًا منه القُيُون(١)
ونَواوِسًا(٢) وَهَّاجَةً لم يتَّخذها الهامدون
لو يفطنُ الموتى لها سَرَحوا الأنامِلَ يَنبِشُون
وتنازعوا الذهبَ الذى كانوا له يتفاتَنون

* * *

أكفانُ وَشْيٍ فُصِّلتْ برقائق الذهب الفَتِينْ(٣)
قد لفَّها لَفَّ الضِّما دِ مُحَنِّطٌ آسٍ رَزين
وكأنَّهنَّ كمائمٌ وكأنَّكَ الوردُ الجَنين

(١) القيون : الصناع — ٢ — نواوس : توابيت — ٣ — الفتين : المحرق .

وبكلِّ رُكن صورةٌ ‏ ‏ وبكلِّ زاوية رَقِين(١)
وترى الدُّمَى ، فتخالها اذْ ‏ ‏ تَثَرَتْ على جَنباتِ زُون(٢)
صُوَرٌ تُريكَ تَحَرُّكًا ‏ ‏ والأصلُ فى الصُّوَرِ السُّكون
ويمرُّ رائعُ صَمْتِها ‏ ‏ بِالحِسِّ كالنُّطق المُبين
صحبَ الزمانَ دِهانُها ‏ ‏ حينًا عهيدًا بعدَ حين(٣)
غَضٌّ على طولِ البِلَى ‏ ‏ حَيٌّ على طول المَنُون
خَدَعَ العيونَ ولم يَزَلْ ‏ ‏ حتى تَحَدَّى اللَّامِسين
[illegible] قَصْرِك فى الرُّكا ‏ ‏ بِ يُناولونَ ، ويَطْرُدون(٤)
والبوقُ يهتِفُ ، والسِّها ‏ ‏ مُ تَرِنُّ ، والقوسُ الحَنون
وكلابُ صيدِكَ لُهَّثٌ ‏ ‏ والخيلُ جُنٌّ لها جُنون
والوحشُ تَنْفِرُ فى السُّهو ‏ ‏ لِ ، وتارةً تَثِبُ الحُزُون
والطيرُ تَرْسُفُ فى الجِرا ‏ ‏ حِ ، وفى مَناقِرِها أنين
وكأنَّ آباءَ البريَّـ ‏ ‏ ـةِ فى المدائن مُحضَرون
وكأنَّ دُولةَ (آلِ شمـ ‏ ‏ ـسٍ) عن شِمالكَ واليَمين(٥)

* * *

مَلِكَ الملوكِ ، تحيَّةً ‏ ‏ وولاءَ مُحتفِظٍ أمين
هذا المقامُ عرفتُه ‏ ‏ وسبقتُ فيه القائِلين
ووقفتُ فى آثارِكم ‏ ‏ أَزِنُ الجلالَ وأستبين
وبنيتُ فى العشرينَ من ‏ ‏ أحجارِها شِعْرِى الرَّصين
سالتْ عيونُ قصائدى ‏ ‏ وجَرى من الحجَرِ المَعين

(١) الرقين : الرقيم وهو الكتاب — ٢ — الزون : معرض الأصنام
(٣) العهيد : القديم — ٤ — يطردون : يزاولون الصيد
(٥) آل شمس : الفراعنة .

أقعدتْ جيلاً الهوى وأقمتُ جيلاً آخرين
كنتمْ خيالَ المجدِ يُرْ فعُ للشبابِ الطامحين
وكمِ استعرتَ جلالكم لمحمَّد والمالكين(١)
تاجٌ تنقَّلَ فى الخيا لِ : فما استقر على جَبين
خَرَزاتُه السيفُ الصقيـ ـلُ يَشدُّه الرمحُ السَّنين

* * *

قلْ لى : أحينَ بدا الثَّرى لكَ ، هل جزعتَ على العَرين ؟
آنَسْتَ مُلْكًا ليس بالشا كى السِّلاحِ . ولا الحَصين
البَرُّ مغلوبُ القنا والبحرُ مَسلوبُ السفين
لما نظرتَ إلى الديا رِ صدَفتَ بالقلب الحزين(٢)
لم تلقَ حولكَ غيرَ (كرْ تَرَ) . والنَّطاسِىُّ المُعين
أقبلتَ من حجُبِ الجلا لِ على قبيلٍ مُعرضِين
تاجُ الحضارة حين أشر قَ لم يجدْهم حافِلين
واللهُ يعلم لم يَرَوْ هُ من قرونٍ أربعين

* * *

قَسَماً بمن يُحيِي العظا مَ . ولا أزيدُكَ من يَمين
لو كان مِنْ سَفَرٍ إيا بُكَ آمِنٍ ، أو فتحٍ مُبين
أو كان بعثُكَ من دبيـ ـبِ الرُّوح ، أو نَبْضِ الوَتِين
وطلعتَ من وادِى الملو كِ ، عليكَ غارُ الفاتحين
الخيلُ حولَك فى العِجلا لِ العَسْجَدِيَّةِ يَنْثنين(٣)

---

(١) الخديو محمد توفيق الأول — ٢ — صدفت : أعرضت .
(٣) الجلال : جمع جل وهو غطاء الفرس .

وعلى نِجادِكَ هالتا نِ من القَنا ، والدّارعين
والجندُ يدفعُ فى ركا بكَ بالملوكِ مُصَفَّدين
لرأيتَ جيلاً غيرَ جيـ لِك ، بالجبابرِ لا يَدِين
ورأيتَ محكومين قد نصبوا ، وردّوا الحاكمين
روحُ الزّمانِ ونَظْمُه وسبيلُه فى الآخرين
إن الزمانَ وأهلَه فرَغَا من الفردِ اللعين
فإذا رأيتَ مَشايخًا أو فِتيةً لك ساجدين
لاقِ الزمانَ ، تَجِدْهمو عن رَكْبِه مُتخلّفين
همْ فى الأواخرِ مَوْلِدًا وعقولُهم فى الأولين !

دِمَشْق

قم ناجِ جِلّقَ(١) ، وانْشُدْ رسمَ مَن بانوا
مَشَتْ على الرَّسم أحداثٌ وأزمان
هذا الأديمُ(٢) كتابٌ لا كِفاء له رَثُّ الصحائفِ ، باقٍ منه عُنوان
الدِّينُ والوَحْيُ والأخلاقُ طائفةٌ منه . وسائرُه دُنْيا وبُهتان
ما فيه إن قُلِّبَتْ يوماً جواهرُهُ إلّا قرائحُ مِن رادٍ وأذهان(٣)
بنو أميَّةَ للأنباء مافتحوا وللأحاديثِ ما سادوا وما دانوا(٤)
كانوا ملوكاً ، سَريرُ الشرقِ تَحتَهُمُ فهل سألتَ سريرَ الغرب : ما كانوا؟
عالينَ كالشمسِ فى أطراف دولتِها فى كلِّ ناحيةٍ مُلكٌ وسلطان

(١) جلق : دمشق — ٢ — الأديم : الارض — ٣ — الراد : الراديوم .
(٤) مادانوا : ماغلبوا من الامم وقهروا .

يا ويحَ قلبيَ! مهما انتاب أرْسُمَهُم   سَرى به الهمُّ، أو عادتهُ أشجان
بالأمس قمتُ على (الزهراء) (١) أندُبُهم
واليوم دمعي على (الفَيْحَاء) هَتّان(٢)
فى الأرضِ منهم سماواتٌ، وألْوِيَةٌ   ونَيِّراتٌ، وأنواءٌ، وعقبان
معاذنُ العزِّ قد مال الرَّغام(٣) بهم   لو هانَ فى تُرْبِهِ الإبْرِيزُ ماهانوا
لولا دِمَشْقُ لمَا كانت (طُلَيْطِلَةٌ)   ولا زَهتْ ببنى العبّاسِ بَغْدان(٤)
مررتُ بالمسجدِ المحْزونِ أسألُه   هل فى المُصَلّى أوالمحراب (مَرْوان)؟
تَغيَّرَ المسجدُ المحزونُ، واختلفَتْ   على المنابرِ أحرارٌ وعِبدان
فلا الأذانُ أذانٌ فى منارته   إذا تعالى. ولا الآذانُ آذان

* * *

آمنتُ بالله، واستثنيتُ جَنَّتَه   دمشقُ رَوْحٌ. وجَنَّاتٌ، ورَيْحان
قال الرفاقُ وقد هبَّتْ خمائلُها :   الأرضُ دارٌ لها (الفيحاءُ) بستان
جَرَى وصفَّقَ يلقانا بها (بَرَدَى) (٥)   كما تلقَّاك دونَ الخُلْدِ رضوان
دخلتُها وحواشيها زُمُرُّدَةٌ   والشمسُ فوق لُجَينَ الماءِ عِقْيان(٦)
والحورُ فى (دُمَّر) (٧)، أو حولَ (هامَتِها)
حورٌ(٨) كَوَاشِفُ عن ساقٍ، وولدان
و (رَبْوَةُ) الوادِ فى جِلبابِ راقصةٍ   الساقُ كاسِيَةٌ، والنحرُ عُريان
والطيرُ تَصدح من خلف العيونِ بها   وللعيونِ كما للطَّير ألحان

(١) الزهراء : قصر خلفاء بنى امية بالأندلس — ٢ — الفيحاء : دمشق .
(٣) الرغام : التراب ٤ — بغدان : احدى لغات كثيرة فى بغداد .
(٥) بردى : نهر دمشق .
(٦) العقيان : الذهب الخالص — ٧ — دمر : ضاحية دمشق .
(٨) الحور : شجر عظيم يشبه السرو .

وأقبلتْ بالنَّبات الأرْضُ مُختلِفًا أفوافُه ، فهْوَ أصباغٌ وألوان(١)
وقد صَفَا (بَرَدَى) للرِّيح ، فابترَدَتْ (٢)
لدى ستورٍ ، حَوَاشيهنَّ أفنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال (٣) ، ولا جفَّتْ من الماء أذيالٌ وأردان(٤)
خَلَّفتُ (لُبنانَ) جنّاتِ النعيم ، وما نُبِّئْتُ أن طريقَ الخلدِ لُبنان
حتى انحدرتُ إلى فيحاء وارفةٍ فيها النَّدَى ، وبها (طَيٌّ) (وشَيْبان)(٥)
نزلتُ فيها بفِتْيانٍ (٦) جَحَاجِحَةٍ آباؤهم في شبابِ الدَّهرِ غَسَّان(٧)
بِيضِ الأَسِرَّةِ (٨) ، باقٍ فيهُمُ صَيَدٌ (٩)
من (عبد شمسٍ)(١٠) وإن لم تَبْقَ تِيجان
يافتيةَ الشام ، شكرًا لانقضاءَ له لو أن إحسانَكم يَجزيه شُكران
مافوقَ راحاتِكم يومَ السماحِ يَدٌ ولا كأوطانكم في البشر أوطان
خميلةُ اللهِ وشَّتْها يَدَاهُ لكم فهل لها قَيِّمٌ منكم وجَنَّان ؟ (١١)
شِيدُوا لها الملكَ ، وابنوا ركنَ دَولتها فالملكُ غرسٌ ، وتجديدٌ ، وبنيان
لو يُرجعُ الدهرُ مفقودًا له خَطرٌ لآبَ بالواحد المُبْكِيِّ ثَكلان
المُلكُ أنْ تعملوا ما اسْطَعْتُمو عملاً وأن يَبِينَ على الأعمالِ إتقان
الملكُ أن تُخرَجَ الأموالُ ناشِطةً لمطلبٍ فيه إصلاحٌ وعُمران
الملكُ تحتَ لسانٍ حوله أدبٌ وتحتَ عقلٍ على جَنْبَيْهِ عِرفان

---

(١) افوافه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب ، والمراد هنا الزهر .
(٢) ابتردت : اغتسلت — ٣ — البلال : اى البلل — ٤ — اردان : جمع ردن وهو الكم .
(٥) طى وشيبان : قبيلتا حاتم ومعن ٦ — جحاجح : جمع جحجح وهو السيد المسارع الى المكارم — ٧ — غسان : ابو قبيلة باليمن ، منهم ملوك غسان وكانوا ملوكا للشام .
(٨) الأسرة : الوجوه ٩ — الصيد : رفع الراس كبرا ١٠ — عبد شمس يعنى بنى امية ١١ — جنان : بستانى .

الملكُ أن تتلاقَوْا فى هوى وطنٍ   تفرَّقت فيه أجناسٌ وأديان

* * *

نصيحةٌ مِلْؤها الإخلاصُ، صادِقةٌ   والنُّصحُ خالصُه دِينٌ وإيمان
والشِّعر مالم يكن ذكرى وعاطفةً   أو حكمةً ؛ فهو تقطيع وأوزان
ونحن فى الشرق والفُصْحى بنورَحِمٍ   ونحن فى الجُرح والآلام إخوان

أختُ أمينَة

وقال وقد رأى فى الفلك وهى ترجع به الى مصر طفلة فيها من كريمته أمينة مشابهة :

هذه نورُ السفينة   هذه شِبْهُ (أمينهْ)
هذه صورتُها مُذْ   بِنْتُ عنها مُبينه
هذه لؤلؤةٌ عنـ   ـدى لها مِثْلٌ ثمينه
من بناتِ الرومِ، لكن   لم تكن عندى مَهينه
أنا مَنْ يترك للديَّـ   ـان فى الدنيا شُئونه
يامَلاكَ الفُلْكِ،لى صِنْـ   ـوٌ كِ فى تلك المدينه(١)
أنتِ فى الفُلْك بَهاءٌ   وهْو فى (حُلْوانَ) زِينه
ناجِهِ . واذكرْ له وجْـ   ـدَ أبيه ، وحَنينَه
وأفِدْهُ : أننى فى الـ   ـبحر مذْ دُسْتُ عَرينه
لستُ بالنفس ضَنيناً   وبه نفسى ضَنينه
أسأَل الرحمٰنَ يَرْعيـ   ـكَ وإيَّاهُ عُيونَه

(١) الصنو : الأخ .

أَنْدَلُسِيَّةٌ

نظمها فى منفاه باسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز
ويصف كثيرا من مشاهده ومعاهده .

يانائح (الطلْح)(١) ،أشباهٌ عَوَادِينا(٢) نَشْجى لِوَادِيكَ ، أم نَأْسَى لوادينا ؟
ماذا تقُصُّ علينا غيرَ أنَّ يداً قصَّتْ جَناحك جالت فى حواشينا؟
رمى بنا البينُ أَيْكاً غيرَ سامِرنا —أخا الغريب— وظِلاًّ غيرَ نادينا
كلٌّ رَمَتْه النَّوى : رِيشَ(٣) الفِراقُ لنا سَهْمًا ، وسُلّ عليكَ البينُ سِكِّينا
إذا دعا الشوقُ لم نَبرحْ بمُنْصَدِعٍ من الجناحين عىٍّ لا يُلَبِّينا
فإن يَكُ الجنسُ ياابنَ الطَّلْحِ فرّقنا إنَّ المصائبَ يجمعْنَ المُصابينا
لم تأْلُ ماءك تَحْنانًا ، ولا ظمأً ولا ادِّكارًا(٤) ، ولاشجْوا أفانينا(٥)
تَجُرُّ من فنَنٍ(٦) ساقاً إلى فَنَنٍ وتسحبُ الذيلَ ترتادُ المؤاسينا
أُساةُ(٧)جسمِكَ شتَّى حين تطلبهم فمَنْ لروحك بالنُّطْس(٨) المُداوينا؟

* * *

آها لنا نازِحَيْ أَيْكٍ(٩) بأَنْدَلُسٍ وإن حَلَلْنا رفيقًا(١٠) من رَوَابينا !!
رَسْمٌ وقفنا على رَسْمِ الوفاء له نَجيش بالدَّمع ، والإجلالُ يَثْنينا
لِفِتْيَةٍ لا تنال الأرضُ أدمُعَهم ولا مَفارقَهم إلَّا مُصَلِّينا(١١)
لو لم يسودوا بدينٍ فيه مَنْبَهةٌ(١٢) للناسِ ، كانت لهم أخلاقُهم دينا

---

(١) الطلح نوع من الشجر ، سمى به واد بظاهر أشبيليا كان ابن عباد شديد الولع به — ٢ — عوادينا : عوادى الدهر النازلة بنا ، وهى مصائبه .
(٣) ريش : من راش السهم الصق عليه الريش — ٤ — ادكارا ،تذكرا.
(٥) افانين : اجناس —٦— الفنن : الغصن المستقيم .
(٧) الأساة : الاطباء .
(٨) النطس : الاطباء الحذاق — ٩ — الايك : الشجر الكثيف الملتف .
(١٠) الرفيف : الخصب — ١١ — يقصد بهم ملوك الاندلس
(١٢) منبهة : أى شرف ورفعة .

لم نَسْرِ من حرَمٍ إلّا إلى حَرَمٍ   كالخمرِ من (بابلٍ) سارت (لدارينا)(١)
لما نَبا الخلدُ نابت عنه نُسْخته   تَماثُلَ الورْدِ (خِيريًّا) و(نسْرينا)(٢)
نسْقِي ثراهُمْ ثَنَاءً ، كلَّما نُثِرتْ   دُموعُنا نُظِمتْ منها مراثينا
كادت عيونُ قوافينا تُحَرِّكُه   وكِدْنَ يوقِظْنَ في التُّرْبِ السلاطينا
لكنّ مصرَ وإن أغضتْ على مِقَةٍ(٣)   عَيْنٌ من الخُلْدِ بالكافور تَسقينا
على جوانبِها رَفَّتْ تَمائمُنا   وحولَ حافاتِها قامتْ رَواقينا(٤)
ملاعِبٌ مَرِحَتْ فيها مَآرِبُنا   وأربُعٌ أَنِسَتْ فيها أمانينا
ومَطْلَعٌ لِسُعودٍ من أَوَاخِرِنا   ومَغْرِبٌ لجُدُودٍ من أَوَالينا(٥)
بِنَّا ، فلم نَخْلُ من رَوْحٍ(٦) يُراوِحُنا   من بَرِّ مصرَ ، ورَيْحانٍ يُغادِينا
كأُمِّ موسى ، على اسمِ الله تكفُلُنا   وباسمِه ذهبتْ في اليَمِّ تُلقينا(٧)
ومصرُ كالكَرْمِ ذي الإحسان : فاكهةٌ   لحاضِرِينَ ، وأكوابٌ لبَادينا

* * *

يا ساريَ البرقِ يَرمِي عن جوانِحنا   بعدَ الهدوءِ ، ويهمِي عن مآقينا
لما ترقرق في دمع السماء دماً   هاجَ البكا ، فخَضَبْنا الأرضَ باكِينا
الليلُ يشهد لم نَهتِك دَيَاجِيَهُ   على نيامٍ ، ولم نهتِف بسالينا
والنَّجمُ لم يَرَنا إلّا على قدمٍ   قيامَ ليلِ الهوى ، للعهد راعِينا
كزفْرَةٍ في سماء الليل حائرةٍ   مِمّا نُرَدِّدُ فيه حين يُضْوِينا

---

(١) بابل ودارينا مدينتان مشهورتان بجودة الخمر ٢ — خيريا ونسرينا : نوعان من الزهر — ٣ — المقة : المحبة — ٤ — الرواقي : واحدها راقية ، وهي التي ترقى الصبي اذا كان به سحر — ٥ — الجدود : الحظوظ .

(٦) الروح : الرحمة والرزق .

(٧) شبه مصر — حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج الى المنفى — بأم موسى عليه السلام حين القته في اليم صبيا وسألت الله ان يكفله .

بالله إن جُبتَ ظلماءَ العُبابِ على   نَجائبِ النُّورِ مَحْدُوًّا (بجرينا)
تَرُدُّ عنك يداه كلَّ عاديةٍ   إنساً يَعِثْنَ فساداً ، أو شياطينا
حتى حَوَتْكَ سماءُ النيلِ عاليةً   على الغيوث ، وإن كانت مَيامينا
وأحرزتكَ شُفوفُ اللّازوَرْدِ على   وَشْيِ الزَّبَرْجَدِ من أفْوافِ وادينا(١)
وحازكَ الريفُ أرجاءً مُؤَرَّجَةً   رَبَتْ خمائِلَ ، واهتزَّت بساتينا
فقِف إلى النيل ، واهتف فى خمائِله   وانزل كما نزل الطلُّ الرَّياحينا
وآسِ ما بَاتَ يَذْوِى من منازلنا   بالحادثات ، ويَضوَى من مغانينا

* * *

ويا مُعطَّرَةَ الوادى سرَتْ سَحَرًا   فطابَ كلُّ طرُوحٍ من مرامينا
ذكِيَّةَ الأَيل ، لو خِلْنَا غِلالتها   قميصَ يوسفَ لم تُحْسَبْ مُغالينا
جَشمتِ شَوْكَ السُّرَى حتى أتيْتِ لنا   بالوَرْدِ كُتْبًا ، وبالرَّيَّا عناوينا
فلو جزيناكِ بالأَرواحِ غاليةً   عن طيب مَسْراكِ لم تنهضْ جَوازينا
هل من ذيولكِ مسْكِيٌّ نُحَمِّلُه   غرائبَ الشوق وَشْيًا من أمالينا ؟
إلى الذين وجدنا وُدَّ غيرِهمُ   دُنْيَا ، وودُّهمو الصافى هو الدينا

* * *

يا من نَغارُ عليهم من ضمائرنا   ومن مَصون هواهم فى تناجِينا
ناب الحنينُ إليكم فى خواطِرنا   عن الدّلال عليكم فى أمانينا
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا   فى النائبات ، فلم يأْخذ بأَيْدِينا
وما غُلبنا على دمع ، ولا جَلَدٍ   حتى أتتنا نَواكُمْ من صَياصِينا(٢)

---

١ — الشفوف : واحدها شف : الثوب الرقيق ، واللازورد : حجر صاف شفاف أزرق ، والأفواف : يريد بها الخمائل ٢ — الصياصى : الحصون وكل ما امتنع به .

ونابِغِيٍّ (١) كأنَّ الحشرَ آخرُه … تُميتُنا فيه ذكراكم وتُحيينا
نَطوى دُجَاه بجُرحٍ من فراقِكمو … يكاد فى غلَس الأسحار يَطوينا
إذا رَسا النجمُ لم ترْقأْ مَحاجِرُنا … حتى يزولَ ، ولم تهدأْ تراقينا
بِتنا نقاسِى الدواهى من كواكِبِه … حتى قعدنا بها حَسْرَى تُقاسِينا
يبدو النهارُ فيخفيه تجلُّدُنا … للشامتين ، ويَأْسُوه تأسِّينا

* * *

سَقْيًا لعهدٍ كأكنافِ الرُّبَى رِفةً (٢) … أنَّى ذهبنا ، وأعطافِ الصَّبا لِينا
إذِ الزمانُ بنا غَيْناءُ زاهِيةٌ … تَرِفُّ أوقاتُنا فيها رَيَاحينا
الوصلُ صافِيَةٌ ، والعيشُ ناغيَةٌ … والسعدُ حاشيةٌ ، والدهرُ ماشينا
والشمسُ تَختال فى العِقْيان، تَحْسبها … (بِلقيسَ) تَرْفُلُ فى وَشْيِ اليمانِينا
والنيلُ يُقبِل كالدنيا إذا احتفلتْ … لو كان فيها وفاءٌ للمُصافِينا
والسعدِ لوْ دامَ ، والنعمَى لوِ اطَّردتْ … والسيلِ لَوْ عَفَّ ، والمقدارِ لَوْ دِينا
ألقى على الأرضِ ـ حتى ردَّها ذَهبًا ـ … ماءً لمَسْنا به الإكْسِيرَ ، أو طِينا
أعداه من يُمْنِه (التابوتُ) ، وارتسَمَتْ … على جوانبه الأنوارُ من سِينا
له مَبالغُ ما فى الخُلْقِ من كَرَمٍ … عهدُ الكرامِ ، وميثاقُ الوفيِّينا
لم يَجرِ للدهرِ إعذارٌ (٣) ولا عُرُسٌ … إلَّا بأيَّامِنا ، أو فى ليالينا
ولا حوى السعدُ أطْغَى فى أعِنَّتِه … منَّا جِيَاداً ، ولا أرْحَى ميادِينا
نحن اليواقيتُ ، خاضَ النارَ جَوهَرُنا … ولم يَهُنْ بِيَدِ التَّشْتيتِ غالينا
ولا يَحُول لنا صِبْغ ، ولا خُلُقٌ … إذا تلوَّن كالحِرْباء شانِينا

---

١ ـ يريد : الليل الذى ملؤه الهم والارق اشارة الى قول النابغة :
كلينى لهم يا اميمة ناصب … وليل اقاسيه بطىء الكواكب
٢ ـ الرفة : النضرة ـ ٣ ـ الاعذار : طعام يتخذ لسرور حادث

لم تنزل الشمسُ ميزاناً ، ولاصعدتْ ... في مُلْكِها الضخمِ عرشاً مثلَ وادينا
ألم تُؤلِّهْ على حافاتِه ، ورأتْ ... عليه أبناءها الغُرَّ الميامينا ؟
إن غازلتْ شاطئيه في الضحى لبسا ... خمائلَ السُّنْدُسِ المَوْشِيَّةِ الغِينا(١)
وبات كلُّ مُجاجٍ(٢) الوادِ من شجَرٍ ... لوافِظَ القزُّ بالخيطان ترمينا
وهذه الأرضُ من سَهْلٍ ومن جبلٍ ... قبل (القياصر) دِنَّاها (فراعينا)
ولم يَضَعْ حجرًا بانٍ على حجرٍ ... في الأرضِ إلَّا على آثار بانينا
كأن أهرامَ مصرٍ حائطٌ نهضت ... به يَدُ الدهرِ ، لا بنيانُ فانينا
إيوانُه الفخمُ من عُليا مقاصره ... يُفْنِي الملوك ، ولا يُبقي الأواوينا(٣)
كأنها ورمالا حولها التطمتْ ... سفينةٌ غَرِقتْ إلَّا أساطينا(٤)
كأنها تحت لألاءِ الضُّحى ذَهباً ... كنوزُ (فِرْعَوْن) غَطَّيْنَ الموازينا

* * *

أرضُ الأُبُوَّةِ والميلادِ طيَّبها ... مَرُّ الصِّبا في ذيول من تصابينا
كانت مُحَجَّلةً فيها مواقِفُنا ... غُرًّا مُسَلْسَلَةَ المَجْرى قوافينا
فآبَ مِنْ كُرَةِ الأيامِ لاعِبُنا ... وثابَ مِنْ سِنَةِ الأحلامِ لاهِينا
ولم نَدَعْ لليالي صافياً ، فدَعتْ ... (بأن نغصَّ ، فقال الدهرُ : آمينا)
لو استطعنا لخُضْنا الجوَّ صاعِقةً ... والبرَّ نارَ وَغًى ، والبحرَ غِسْلِينا(٥)
سَعْيًا إلى مصرَ نقضِي حقَّ ذاكرنا ... فيها إذا نَسِيَ الوافي ، وباكِينا
كَنْزٌ (بحُلوان) عندَ اللهِ نطلبُهُ ... خيرَ الودائعِ من خير المؤدِّينا(٦)
لو غاب كلُّ عزيز عنه غَيْبَتَنا ... لم يَأْتِه الشوقُ إلَّا من نواحينا
إذا حمَلْنا لمصرٍ أو له شَجَنًا ... لم ندْرِ : أيُّ هوى الأُمَّيْن شاجِينا ؟

---

١ — الغين : واحدها اغين : الخضر ٢ — المجاج : ما تمجه الارض من شجر وغيره أي ما تخرجه — ٣ — جمع ايوان — ٤ — الاساطين : واحدتها اسطوانة ، وهي السارية ٥ الغسلين : الصديد ٦ — اشارة الى المرحومة والدة الناظم .

وَصْفُ الْغَوَّاصَة ونَكبَةُ الباخِرةِ لُوزِيتَانْيا

قال فى حادثة نسف غواصة المانية للباخـــرة لوزيتانيا :

رأيت على لَوْحِ (الخيالِ)(١)يتيمةً ... قضى يومَ (لوسيتانيا) أبَواها
فيالك من حالكٍ أمين مُصَدَّقٍ ... وإن هاج للنفس البُكا وشَجَاها
فوَاهًا عليها . ذاقَت اليُتْمَ طِفلةً ... وقُوِّضَ رُكْناها ، وذَلَّ صِباها
وليت الذى قاست من الموت ساعة ... كما راح يَطْوى الوالديْن طواها
كفَرْخٍ رمى الرامى أباهُ فغالهُ ... فقامت إليه أُمُّهُ فرماها
فلا أبَ يَسْتَذْرِى(٢) بظلّ جناحِه ... ولا أُمَّ يَبغى ظِلَّها وذَراها(٣)
ودبَّابةٍ(٤) تحتَ العُباب بمَكمَنٍ ... أمينٍ ، تَرى السارى وليس يَراها
هى الحوتُ ،أوفى الحوت منهامَشابهٌ ... فلو كان فولاذًا لكان أخاها
أبَثُّ لأصحابِ السَّفين غوائِلا ... وألأَمُ ناباً حينَ تَفْغَرُ فاها
خَئُونٌ إذا غاصتْ ، غدورٌ ، إذا طَفت ... مُلعَّنةٌ فى سَبْحِها وسُراها
تُبَيِّتُ(٥) سُفْنَ الأبرياء من الوغى ... وتَجْنى على من لا يخوض رَحاها
فلو أدركت تابوت موسى لَسلَّطتْ ... عليه زُبانَاها(٦) ، وحرَّ حُمَاها
ولو لم تُغَيَّبْ فُلْكُ نُوحٍ وتحْتَجِبْ ... لما أمِنَتْ مَقلوفَها ولَظَاها
فلا كان بانيها ، ولا كان رَكْبُها ... ولا كان بحرٌ ضمَّها وحواها
وأفٌّ على العلم الذى تَدَّعونه ... إذا كان فى علم النفوس رَدَاها

---

١ ـ الخيال : السينما توغراف ـ ٢ ـ يستذرى : يستظل ـ ٣ ـ الذرى بالفتح:الفناء ـ ٤ ـ الدبابة : يعنى بها الغواصة ـ ٥ ـ يقال : بيت العدو اذا اوقع به ليلا من دون ان يعلم ـ ٦ ـ زبانا العقرب : قرناها .

جِسْرُ الْبُسْفُور

هذه القصيدة اهتم بها المغفور له السلطان
عبد الحميد وطلبها وقرأها باهتمام

أمير المؤمنين ، رأيتُ جسرًا   أمرُّ على الصراطِ ، ولا عليْهِ
له خشبٌ يجوع السوسُ فيه   وتمضى الفأْرُ لا تَأْوِى إليه
ولا يتكلَّفُ المِنْشارُ فيه   سوى مرِّ الفطيمِ بساعديْه
وكم قد جاهد الحيوانُ فيه   وخَلَّف فى الهزيمة حافِرَيْه
وأسمجُ منه فى عينى جُباةٌ(١)   تراهم وَسْطَه وبجانِبَيْه
إذا لاقيتَ واحِدَهم تَصدَّى   كعِفْريتٍ يُشيرُ براحَتَيْه
ويمشى (الصدرُ)(٢) فيه كلَّ يوم   بموكِبه السَنِىِّ وحارِسَيْه
ولكن لا يمرُّ عليه إلّا   كما مرَّتْ يَداه بعارِضَيْه
ومن عجبٍ هو الجسرُ المعلَّى   على البسفور ، يجمع شاطِئَيْه
يُفيدُ حكومةَ السلطانِ مالاً   ويُعطيها الغنى من مَعْدِنيْه
يجود العالَمون عليه . هذا   بعَشْرتِه ، وذاك بعَشْرَتَيْه
وغايةُ أمرِه أنّا سمِعنا   لسانَ الحال يُنشِدُنا لديه
(أليس من العجائب أنَّ مثلى   يَرَى ما قلَّ مُمتنِعا عليه)؟
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعًا   وما من ذاك شىءٌ فى يديه)؟

---

١ — جباة : جمع جابى وهو المحصل — ٢ — يريد به الصدر الأعظم ، وهو كبير الوزراء

كتاب بعث به إلى المرحوم حسين واصف باشا ، يستهديه لكرمة ابن هانى بالمطرية شجيرات ، وكان مشهوراً باقتناء الرياحين والعناية بتربيتها

إلى حسينٍ حاكمِ القَنالِ   مثالِ حُسْنِ الخُلْق فى الرِّجالِ
أُهْدِى سلاماً طيِّبًا كخُلْقِهِ   مع احترامٍ هو بعضُ حَقِّه
وأحفظ العهدَ له على النَّوَى   والصدقَ فى الودّ له وفى الهوى
وبَعدُ فالمعروفُ بين الصَّحبِ   أنَّ التهادِى من دواعى الحبِّ
وعندك الزّهرُ ، وعندى الشِّعرُ   كلاهما فيما يقال نَدْرُ
وقد سَمعتُ عنك من ثِقاتِ   أنك أنتَ مَلِكُ النباتِ
زهرُك ليس للزهور رَوْنَقُه   تكاد من فَرْطِ اعتناءٍ تَخلُقه
ما نظرتْ مثلَكَ عينُ النرجسِ   بعد ملوك الظرف فى الأندلسِ
ولى من الحدائق الغنَّاء   رَوْضٌ على (المطْرِيَّةِ) الفيْحاء
أتيتُ أستهدى لها وأسألُ   وأرتضى النَّزْر ولا أثَقِّلُ
عشرَ شُجيْرَاتٍ من الغوالى   تَندُر إلَّا فى رياض الوالى
تزكو وتزهو فى الشتا والصيف   وتجمع الألوانَ مثلَ الطيْفِ
تُرسلها مُؤَمِّنًا عليها   إن هلَكَتْ لى الحقُّ فى مِثليْها
والحق فى الخرطوم أيضا حقِّى   والدرسُ للخادم كيف يسقِى
وبعد هذا لى عليك زورَهْ   لكى تدور حول روْضِى دوْرهْ
فإن فعلت فالقوافى تفعلُ   ما هو من فعل الزهور أجملُ
فما رأيتُ فى حياتى أزينا   للمرء بين الناس من حُسْنِ الثَّنَا

باب النسيب

خَدَعُوها

خدعوها بقولهم : حسناءُ ... والغوانى يَغُرُّهُن الثناءُ
أَتُراها تناست اسمِىَ لمّا ... كثُرت فى غرامِها الأَسماءُ ؟
إن رأتنى تميل عنى ، كأن لم ... تكُ بينى وبينها أشياءُ !
نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ ... فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ
يومَ كُنا — ولا تسلْ : كيف كُنَّا ؟ — ... نتهادَى من الهوى ما نشاءُ
وعلينا من العَفافِ رقيبٌ ... تَعِبَتْ فى مِراسه الأَهواءُ
جاذبتنى ثوبى العصِىَّ وقالت : ... أنتمُ الناسُ أَيُّها الشعراءُ
فاتقوا اللهَ فى قلوبِ العذارَى ... فالعذارى قلوبُهنّ هواءُ

أخذ البيت الرابع فزاد قوله :

نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ ... فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ
ففراقٌ يكون فيه دواءٌ ... أو فراقٌ يكون منه الداءُ

وقال :

لا السُّهْدُ يَطويه ولا الإغضاءُ ... لَيْلٌ عِدادُ نُجُومِه رُقَباءُ
داجِى غُبابِ الجُنْحِ ، فَوْضَى فُلْكُه ... ما للهموم ولا لها إرْساءُ
أغزالة الإشراق ، أنتِ من الدُّجى ... ومن السُّهادِ إذا طلعْتِ شِفاءُ
رفقًا بجفنٍ كلَّما أبْكَيْتِهِ ... سال العَقيقُ(١) به ، وقام الماءُ

---

١ — العقيق : كناية عن الدم

ما مَدَّ هُدْبَيْهِ ليصطادَ الكرى إلَّا وطيفُكِ في الكرى العنقاءُ
مَنْ لي بهنَّ لياليًا نَهِلَ(١) الصِّبا مما أَفَضْنَ وَعَلَّتِ(٢) الأَهواءُ ؟
أَلِّفْنَ أوطاري ، فعَيْشِيَ والمُنَى في ظلِّهنَّ الكأسُ والصَّهباءُ

وقال :

سُوَيْجعَ النيلِ ، رِفْقًا بالسُّوَيْداءِ فما تُطيق أنينَ المفردِ النائي(٣)
لله وادِكما يَهْوَى الهوى عَجَبٌ تركتَ كلَّ خَلِيٍّ فيه ذا داء
وأنتَ في الأَسْرِ تشكو ماتُكابده لصخرةٍ من بني الأعجام صَمَّاء
اللهَ في فَنَنٍ تلهو الزمانَ به فإنما هو مشدودٌ بأحشائي
وفي جوانحك اللّاتي سمحْتَ بها فلو ترفَّقْتَ لم تسمح بأعضائي
ماذا تريدبذي الأَنّاتِ في سهري؟ هذي جفوني تُسْقِي عهدَ إغفائي
حَسْبُ المضاجعِ مني ماتعالج من جَنْبي ، ومن كَبِدي في الجَنْبِ حَرَّاء
أُمْسِي وأُصْبِحُ مِنْ نَجْواك في كَلَفٍ حتى ليَعْشَقُ نُطقي فيك إصغائي
الليلُ يُنهضني من حيث يُقعدني والنجمُ يَملأُ لي ،والفكرُ صَهبائي
آتي الكواكبَ لم أنقل لها قَدَمًا لا ينقضي سهري فيها وإسرائي
وألحظُ الأرضَ ،أطوي مايكونُ إلى ما كان مِنْ آدمٍ فيها وحَوّاء
مُؤيِّدًا بك في حِلِّي ومُرْتَحَلِي وما هما غيرُ إصباحي وإمسائي
تُوحِي إليَّ الذي تُوحِي ، وتسمع لي وفي سماعك بعد الوحي إغرائي

قال أبو نواس :

ياويْحَ أهْلِيَ ، أُبْلَي بينَ أعيُنِهم على الفراشِ ، ولا يَدْرُون مادائي

---

١ ــ نهل ، من نهلت الابل : شربت أول الشرب ــ ٢ ــ علت ، من عل الرجل : شرب شربة ثانية ــ ٣ ــ سويجع : تصغير ساجع . والسويداء حبة القلب

وطلب إليه تشطير هذا البيت فقال :

ياويحَ أهلِيَ ، أبلَى بين أعينهم ويَدْرُجُ الموتُ فى جسمى وأعضائى
وينظرون لجنْبٍ لا هدوءَ له على الفراشِ ، ولا يدرون ما دائى

وقال :

منكَ ياهاجرُ دائى وبكفَّيْكَ دَوائى
يا مُنَى روحى ، ودنيا ىَ ، وسُؤْلى ، ورَجائى
أنت إن شئتَ نعيمى وإذا شئتَ شقائى
ليس مِنْ عُمْرِىَ يومٌ لا ترى فيه لِقائى
وحياتى فى التَّدانى ومماتى فى التَّنائى
نَمْ على نسيان سُهدى فيك ، واضحكْ من بُكائى
كلُّ ما ترضاه يا مَوْ لاىَ يرضاه وَلائى
وكما تعلم حُبِّى وكما تدرى وَفائى
فيك يا راحة روحى طال بالواشى عَنائى
وتوارَيْتُ بدمعى عن عيون الرُّقَباء
أنا أهواكَ ، ولا أرْ ضَى الهوى مِن شُركائى
غِرْتُ . حتى لَترى أر ضِىَ غَيْرَىَ من سمائى
ليتنى كنتُ رِداءً لك ، أو كنت رِدائى
ليتنى ماؤك فى الغُ لَّةِ ، أولَيْتَكَ مائى

وقال :

لقد لامنى ياهندُ فى الحب لائمٌ ، مُحِبٌّ إذا عُدَّ الصِّحابُ حبيبُ
فما هو بالواشى على مذهب الهوى ولا هو فى شَرع الوداد مُريب

وصفتُ له مَنْ أنتِ ، ثم جرى لنا … حديثٌ يَهُمُّ العاشقين عجيب
وقلت له : صبرًا ؛ فكلُّ أخِي هَوى … على يَدِ مَنْ يَهْوى غدًا سيتوب

وقال :

على قدرِ الهوى يأْتى العِتابُ … ومَنْ عاتبتُ يَفْدِيه الصِّحابُ
أَلومُ مُعذِّبى ، فأَلومُ نفسى … فأُغضِبها ويُرضيها العذاب
ولو أَنى استطعتُ لتبتُ عنه … ولكنْ كيف عن روحى المَتاب؟
ولى قلب بأَن يهْوَى يُجَازَى … ومالِكُه بأَن يَجْنِى يُثاب
ولو وُجد العِقابُ فعلتُ ، لكن … نِفارُ الظَّبْى ليس له عِقاب
يلوم اللائمون وما رأَوْه … وقِدْماً ضاع فى الناس الصَّواب
صَحَوْتُ . فأَنكر السُّلْوان قلبى … علىّ ، وراجع الطَّرَب الشباب
كأَنَّ يَد الغرامِ زِمامُ قلبى … فليس عليه دون هَوًى حِجاب
كأَنَّ روايةَ الأَشواقِ عَوْدٌ … على بَدْءٍ وما كمل الكتاب
كأَنى والهوى أَخَوا مُدامٍ … لنا عهدٌ بها ، ولنا اصطحاب
إذا ما اعْتَضْتُ عن عشقٍ بعشقٍ … أُعِيدَ العهدُ ، وامتد الشَّراب

وقال :

أُريدُ سُلوَّكم ، والقلبُ يأْبَى … وأُعتِبُكم ، وملءُ النفس عُتْبَى
وأَهجركم ، فيهجرنى رُقادى … ويُضْوِينى الظلامُ أَسىً وكرْبا (١)
وأَذكركم برؤيةِ كلِّ حُسْنٍ … فيصبو ناظرى ، والقلبُ أَصْبَى (٢)
وأَشكو من عذابى فى هواكم … وأَجزيكم عن التعذيبِ حُبّا
وأَعلمُ أَن دَأْبكُمُ جفَائى … فما بالى جعلتُ الحبَّ دأْبا ؟

١ ــ يضوينى : يضعفنى ؛ من اضواه الأمر : اضعفه ٢ ــ والقلب اصبى : أى أشد صبوة .

وربّ مُعاتَبٍ كالعيش، يُشكي ... وملءُ النفس منه هَوًى وعُتْبى
أتَجزيني عن الزُّلفى نِفارًا ؟ ... عَتَبْتُكَ بالهوى، وكفاكَ عَتبا
فكلّ ملاحةٍ فى الناس ذنبٌ ... إذا عُدَّ النِّفارُ عليكَ ذنبا
أخذتُ هواكَ عن عينى وقلبى ... فعينى قد دَعَتْ، والقلبُ لَبّى
وأنتَ من المحاسن فى مِثالٍ ... فديتكَ قالَباً فيه وقَلْبا
أُحِبُّكَ حين تثنى الجيدَ تِيهًا ... وأخشى أن يصيرَ التِّيهُ دَأبا
وقالوا : فى البديلِ رضاً ورَوْحٌ ... لقد رُمْتُ البديلَ، فرمتُ صَعْبا
وراجعتُ الرشادَ عَساى أَسلو ... فما بالى مع السُّلوانِ أَصْبى ؟
إذا ما الكأْسُ لم تُذْهِبْ همومى ... فقد تَبَّتْ يدُ الساقى، وتَبّا
على أنى أَعَفُّ مَن احتساها ... وأكرمُ مِنْ عَذارَى الدير شربا
ولى نفسٌ أُرَوِّيها فتزكو ... كزهر الورد نَدَّوْهُ فهبّا

وقال :

رَوَّعوه، فتَولَّى مُغْضَبا ... أعلِمتم كيف ترتاعُ الظِّبا ؟
خُلِقت لاهِيةً ناعمةً ... رُبَّما رَوَّعها مَرُّ الصَّبا
لى حبيبٌ كلَّما قيل له ... صَدَّقَ القولَ، وزكَّى الرِّيَبا
كذب العُذّالُ فيما زعموا ... أَمَلِى فى فاتِنِى ما كذبا
لو رَأَوْنا والهوى ثالثُنا ... والدُّجى يُرْخِى علينا الحُجُبا
فى جِوار الليل، فى ذِمَّتِهِ ... نذكر الصبحَ بأنَّ لا يقربا
مِلءُ بُرْدَينا عفافٌ وهوى ... حفظ الحسنَ، وصنتُ الأدبا
يا غزالاً أَهِلَ (١) القلبُ به ... قلبِىَ السَّفْحُ وأَحْنى ملْعبا

---

١ ــ أهل به : عمر

لكَ ما أحببتَ مِنْ حَبَّتِه　　مَنهلاً عَذباً ، ومَرْعًى طَيِّبا
هو عندَ المالكِ الأَوْلَى به　　كَيف أشكو أنه قد سُلِبا ؟
إن رأى أبقى على مملوكه　　أو رأى أتلفه واحتسبا
لكَ قدٌّ سجدَ البانُ له　　وتمنّتْ لو أقلّته الرُّبى
ولِحاظٌ ، من معانى سحرِه　　جمع الجفنُ سهاماً وظُبى(١)
كان عن هذا لقلبى غُنْيَةٌ　　ما لقلبى والهوى بعد الصِّبا ؟
فطرقى لا آخُذ القلبَ بها　　خُلِقَ الشاعِرُ سَمحًا طَرِبا
لو جَلَوْا حُسْنَكَ أو غَنَّوْا به　　« لِلَبيدٍ » فى الثمانين صَبا(٢)
أيها النفسُ ، تجدّين سُدًى　　هل رأيتِ العيشَ إلا لَعِبا ؟
جَرِّبى الدنيا تَهُنْ عندكِ ، ما　　أهونَ الدنيا على من جرّبا !!
نلتِ فيما نِلْتِ من مَظهرها　　ومُنِحْتِ الخلدَ ذكرًا ، ونَبَا

وقال والمعنى لشاعر تركى :

ما تلكَ أهدابى تَنَظَّ　　مَ بينها الدمعُ السَّكوبْ
بل تلك سُبحةُ لؤلؤٍ　　تُحْصَى عليكَ بها الذنُوب

وقال :

لا والقوامِ الّذِى ، والأعينِ اللّاتى　　ما خُنْتُ رَبَّ القَنا والمَشْرَفيّاتِ
ولا سَلوْتُ ، ولم أهْمُمْ ، ولاخطرَتْ　　بالبالِ سَلْوَاكِ فى ماضٍ ولا آت
وخاتَمُ الملكِ للحاجات مُطّلَبٌ　　وثَغْرُكِ المتمنّى كلُّ حاجاتى

---

١ — الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف — ٢ — هو لبيد بن ربيعة الشاعر الذى قال حين بلغ الثمانين وقد شكا ثقل السمع وتهدم الشيخوخة :

ان الثمانين — وبلغتهـــا —　　قد احوجت سمعى الى ترجمان

وقال :

لَحظها لَحظها ، رُوَيْدًا رُويْدا كم إلى كم تكيد للروح كَيْدا ؟
كُفَّ أو لا تكُفَّ ، إنّ بجنبي لَسِهامًا أرْسَلْتَها لن تُرَدّا
تصِلُ الضربَ ما أرى لك حدًّا فاتّقِ اللهَ ، والتزِمْ لك حدًّا
أو فصُغ لى من الحجارة قلبا ثم صُغ لى من الحدائدِ كِبْدا
واكفِ جَفْنَيَّ دافقًا ليس يرقا واكْفِ جَنْبَيَّ خافِقا ليس يَهْدا
فمن الغَبْنِ أن يصير وعيدًا ما قطعتُ الزمانَ أرجوه وعْدا

وقال :

الرُّشْدُ أجملُ سِيرة يا أحمدُ ودُّ الغوانى مِنْ شَبابِكَ أبعدُ
قد كانَ فيك لِوُدِّهِنّ بَقِيَّةٌ واليومَ أوْشَكَتِ البقيةُ تَنْفَدُ
« هاروتُ » شِعْرِكَ بعدَ « ماروتِ » الصبا
أعيا ، وفارقه الخليلُ المُسعِد
لما سَمِعْنَكَ قُلْنَ : شعرٌ أمْردٌ ياليت قائلَهُ الطَّرِيرُ الأمْرَدُ
ما لِلّواهِى الناعماتِ وشاعرٍ جعل النسيبَ حبالةً يتصيَّد ؟
ولكَمْ جمعتَ قلوبَهن على الهوى. وخدَعْتَ مَنْ قَطَعَتْ ومَنْ تتودّد
وسَخِرْتَ من واشٍ ، وكِدْتَ لعاذِلٍ واليومَ تنْشُدُ من يَشِى ويُفَنِّد
أئذا وَجَدْتَ الغِيدَ ألهاكَ الهوى وإذا وجدت الشِّعْرَ عزَّ الأغيد ؟

وقال :

إن الوُشاةَ — وإن لم أحْصِهم عَددا — تعلموا الكَيْدَ من عينيك والفَنَدَا (١)

١ — الفند : الكذب وكفر النعمة .

لا أخلفَ اللهُ ظنّى فى نواظرِهم ... ماذا رأتْ بِىَ ممّا يبعثُ الحسدا؟
هم أغضبوكَ فراح القدُّ مُنْثنيًا ... والجفنُ مُنكسرًا ، والخدُّ مُتّقدا
وصادفوا أُذُنا صَغْواءَ لَيِّنةً ... فأَسمعوها الذى لم يُسمِعوا أحدا
لولا احترابىَ من عينَيْك قلتُ : ألا ... فانظر بعينيك ، هل أبقَيْتَ لى جَلَدَا؟
اللهَ فى مُهْجَةٍ أيْتَمْتَ واحدَها ... ظلمًا ، وما اتَّخذَتْ غيرَ الهوى ولدا
ورُوحِ صبٍّ أطالَ الحبُّ غُرْبتَها ... يخافُ إن رَجَعَتْ أن تُنكرَ الجسدَ
دع المواعِيدَ ؛ إنى مِتٌّ مِنْ ظمَإٍ ... وللمواعيدِ ماءٌ لايَبُلُّ صَدى
تدعو ، ومَنْ لِىَ أن أسعى بلا كَبِدٍ؟ ... فمن مُعيرِىَ من هذا الورى كَبِدا؟

وقال :

يئسْت شكواى ؛ فذابَ الجليدْ ... وأشفق الصخرُ ، ولان الحديدْ
وقلبُك القاسى على حاله ... هيهاتَ ! بلْ قَسْوَتُه لى تزيدْ

وقال :

يَمُدُّ الدُّجَى فى لَوْعتى ويَزيدُ ... ويُبدِئُ بَثّى فى الهوى ويُعيدُ
إذا طال واستعصى فما هى ليلة ... ولكنْ ليالٍ ما لهنّ عَديدُ
أرِقْتُ وعادتنى لذكرى أحِبّتى ... شُجونٌ قِيامٌ بالضلوع قُعودُ
ومَنْ يَحْمِلِ الأشواقَ يتعَب ، ويَختلفْ
عليهِ قديمٌ فى الهوى ، وجديد
لَقِيتَ الذى لم يَلْقَ قلبٌ من الهوى
لكَ اللهُ يا قلبى ، أأنت حديد ؟
ولم أخْلُ من وجدٍ عليك ؛ ورِقّةٍ ... إذا حلَّ غِيدٌ ، أو ترحّل غِيدُ

وروضٍ كما شاء المُحِبُّون ، ظِلُّهُ لهم ولأسرارِ الغرامِ مَدِيدُ
تُظَلِّلُنا والطيرَ فى جَنَبَاتِهِ غصونٌ قيامٌ للنسيم سجود
تميل إلى مُضْنَى الغرامِ ، وتارةً يعارضها مُضْنَى الصَّبا فتَحيد
مَشَى فى حوَاشِيها الأَصيلُ ، فذُهِّبَتْ ومارتْ عليها الحلْىُ وهْىَ تَميد
وقامت لديها الطَّيْرُ شتَّى ، فآنِسٌ بأَهلٍ ، ومَفقودُ الأَليفِ وَحيد
وباكٍ ولا دمعٌ ، وشاكٍ ولا جوًى وجَذْلانُ يَشْدُو فى الرُّبَى ويُشيد
وذى كَبْرَةٍ لم يُعْطَ بالدهر خِبْرَةً وعُرْيان كاسٍ تَزْدَهيه مُهود
غَشِيناهُ والأَيامُ تَنْدَى شَبيبَةً ويَقْطُر منها العيشُ وهْوَ رَغيد
رَأَتْ شفقًا يَنْعَى النهارَ مُضَرَّجًا فقلتُ لها : حتى النهارُ شَهيد
فقالت : وما بالطير؟ قلتُ : سكينةٌ فما هى مِمَّا نبتغى ونَصيد
أُحِلَّ لنا الصيدان : يومَ الهوى مَهًا ويومَ تُسَلُّ المُرْهَفاتُ أُسودُ
يُحَطِّمُ رُمْحٌ دوننا ومُهَنَّدٌ ويَقْتُلنا لَحْظٌ ، ويأْسِر جِيدُ
ونحكم حتى يقبلَ الدهرُ حُكْمَنا ونحن لسلطان الغرام عبيد
أَقول لأَيام الصِّبا كلَّما نأَتْ : أَما لكَ ياعهدَ الشباب مُعيد ؟
وكيف نَأَتْ والأَمسُ آخرُ عهدِها ؟ لأَمْسُ كباقى الغابراتِ عهيد(١)
جَزِعْتُ ، فراعتنى من الشَّيْبِ بَسْمةٌ كأَنى على دَرْبِ المشيبِ (لَبيد)
ومن عبَث الدنيا وما عبثت سدًى شَبَبْنا وشِبنَا والزَّمانُ وَليدُ

وقال :

هام الفؤادُ بشادنٍ أَلِفَ الدَّلالَ على المَدَى
أَبْكِى ، فيضحكُ ثَغْرُه والكِمُّ يفتحه النَّدَى(٢)

---

١ ـ العهيد : القديم ـ ٢ ـ الكم بكسر الكاف : الغلاف الذى ينشق عن الثمر .

وقال عن شاعر تركى :

للعاشقين رِضاكَ والْ حُسنَى ، ولى هَجْرٌ وصدٌّ
ذُكِروا ، فكانوا سُبْحَةً وأنا العلامةُ ، لا تُعدّ

وقال :

فى مقلتيك مَصارعُ الأكبادِ اللهَ فى جنْبٍ بغير عِماد
كانت له كَبِدٌ ، فحاق بها الهوى قُهِرتْ ، وقد كانت من الأطواد
وإذا النفوسُ تطوَّحَتْ فى اللَّذةِ كانت جنايتُها على الأجساد
نَشْوى ، وما يُسْقِيْنَ إلَّا راحتى وَسْنَى ، وما يَطْعَمْن غير رُقادى
ضَعْفى ، وكم أَبْلَيْنَ من ذى قوة مَرْضَى ، وكم أفْنيْنَ من عواد
يا قاتلَ اللهُ العيونَ ؛ فإنها فى حَرِّ ما نَصْلَى الضعيفُ البادى
قاتلنَ فى أجفانهنّ قلوبَنا فصَرَعْنَها ، وسلِمْنَ بالأغماد
وصبَغْنَ من دمها الخدودَ تَنَصُّلاً ولقِينَ أرباب الهوى بسَواد

وقال :

قفْ باللَّواحظِ عندَ حَدِّكْ يكفيكَ فتنةُ نارِ خَدِّك
واجْعلْ لِغِمْدِكَ هُدْنَةً إن الحوادث مِلءُ غِمْدِك
وصُنِ المحاسن عن قلو بٍ لا يَدَيْنِ لها بجُنْدِك
نظرتْ إليكَ عن الفُتو رِ ، وما اتَّقَتْ سَطَواتِ حَدِّك
أعلى رِواياتِ القَنَا ما كان نِسْبتُه لقَدِّك
نال العواذلُ جهدَهم وسمعْتَ منهم فوق جهْدك
نقلوا إليكَ مقالةً ما كان أكثَرُها لعبدك

قسمًا بما حمَّلتنى فحملتُ من وَجْدِى وصَدِّك
ما بى السهامُ الكُثْرُ من جَفْنَيْكَ ، لكنْ سهمُ بُعدِك

وقال :

مُضْناك جفاهُ مَرْقَدُه وبكاه ورَحَّمَ عُوَّدُهُ
حيرانُ القلبِ مُعَذَّبُهُ مَقْروحُ الجَفْنِ مُسهَّدُه
أوْدَى حَرَقًا إلا رَمَقًا يُبقيه عليك وتُنْفِدهُ
يستهوى الوُرْقَ تأَوُّهه ويُذيب الصخرَ تَنهُّدهُ
ويُناجى النجمَ ويُتعبه ويُقيم الليلَ ويُقْعِدهُ
ويُعلم كلَّ مُطَوَّقَةٍ شَجَنًا فى الدَّوحِ تُرَدِّدهُ
كم مدَّ لِطَيْفِكَ من شَرَكٍ وتأَدَّب لا يتصيَّدهُ
فعساك بغُمْضٍ مُسعِفهُ ولعلَّ خيالَك مُسعِدهُ
الحسنُ ، حَلَفْتُ بيُوسُفِهِ (والسُّورَةِ) إنك مُفرَدهُ
قد وَدَّ جمالَك أو قَبَساً حوراءُ الخُلْدِ وأَمْرَدُه
وتمنَّت كلُّ(١) مُقطِّعةٍ يَدَها لو تُبْعَثُ تَشهدُهُ
جَحَدَتْ عَيْنَاك زَكِيَّ دَمِى أكذلك خدُّك يَجْحَدُه؟
قد عزَّ شُهودِى إذ رمَتا فأَشَرْتُ لخدِّك أُشْهِدُه
وهَممتُ بجيدِك أشرَكُه فأبَى ، واستكبر أصْيَدُه
وهزَزْتُ قَوَامَك أَعْطِفهُ فنَبا ، وتمنَّع أَمْلَدُه
سببٌ لرِضاك أُمَهِّده ما بالُ الخصْرِ يُعَقِّدُه ؟

---

١ ـ يعنى بكل مقطعة يدها الخ .. صواحبات يوسف الصديق اللواتى ورد ذكرهن فى السورة

بيني في الحبِّ وبينَكَ ما ... لا يَقدِرُ واشٍ يُفسِدُه
ما بالُ العاذِلِ يَفتحُ لي ... بابَ السُّلْوانِ وأُوصِدُه ؟
ويقولُ : تكادُ تُجَنُّ به ... فأقولُ : وأُوشِكُ أَعْبُده
مَوْلايَ ورُوحي في يَدِهِ ... قد ضَيَّعها سَلِمتْ يَدُه
ناقوسُ القلبِ يَدُقُّ لهُ ... وحنايا الأَضْلُعِ مَعْبَدُه
قسماً بثنايا لؤلؤها ... قَسمِ الياقوتِ مُنَضَّدُه
ورُضابٍ يُوعَدُ كَوْثَرُهُ ... مَقتولُ العِشقِ ومُشْهَدُه
وبخالٍ كاد يُحَجُّ له ... لو كان يُقَبَّلُ أَسْوَدُه
وقَوامٍ يَرْوِي الغُصْنُ له ... نَسَبًا ، والرُّمْحُ يُفَنِّدُه
وبخَصْرٍ أَوْهَنَ مِنْ جَلَدِي ... وعَوَادِي الهجرِ تُبدِّدُه
ماخُنْتُ هواكَ ، ولاخطرَتْ ... سَلْوَى بالقلبِ تُبَرِّدُه

وقال :

باللهِ يانَسَماتِ النيلِ في السَّحَرِ ... هل عندَكُنَّ عن الأَحبابِ مِنْ خبَرِ ؟
عرفتكُنَّ بعَرْفٍ لا أُكَيِّفُه ... لا في الغَوَالي ، ولا في النَّوْرِ والزَّهَرِ
من بعضِ ماسمحَ الحسنُ الوجوهَ به ... بينَ الجبينِ ، وبينَ الفَرْقِ والشَّعَرِ
فهل عَلِقْتُنَّ أثناءَ السُّرَى أرَجًا ... من الغدائرِ ، أو طيبا من الطُّرَرِ ؟
هِجْتُنَّ لي لَوْعةً في القلبِ كامنةً ... والجُرْحُ إنْ تعْتَرِضْه نَسْمَةٌ يَثُرِ
ذكرتُ مصرَ ، ومَنْ أهوى ، ومجلسَنا ... على الجزيرةِ بين الجسرِ والنَّهَرِ
واليومُ أشْيَبُ ، والآفاقُ مُذْهَبَةٌ ... والشمسُ مُصْفرَّةٌ تجري لمُنْحَدَرِ
والنخلُ مُتَّشِحٌ بالغيمِ ، تحسبُهُ ... هِيفَ العرائسِ في بيضٍ من الأُزُرِ
وما شجانيَ إلّا صوتُ ساقيةٍ ... تستقبلُ الليلَ بين النَّوْحِ والعِبَرِ

لم يتركَ الوجدُ منها غيرَ أَضْلُعِها ... وغيرَ دَمعٍ كصَوْب الغَيْثِ مُنْهَمِر
بخيلة بِمآقيها . فلو سُئلتْ ... جَفْنًا يُعين أخا الأَشواقِ لم تُعِر
فى ليلة من ليالى الدهر طَيِّبَةٍ ... محا بها كلٌّ ذنب غيرِ مُغْتَفَر
عَفَّتْ . وعفَّ الهوى فيها ، وفاز بها ... عَفُّ الإشارةِ ، والأَلفاظِ ، والنظر
بتْنا ، وباتَتْ حَناناً حولَنا ورِضًا ... ثلاثةٌ بين سمْعِ الحبِّ والبصر
لا أكذِبُ اللهَ ، كان النجمُ رابعَنا ... لو يُذْكرُ النجمُ بعد البدر فى خبر
وأنصفَتْنا ، فظُلمٌ أن نُجازِيَها ... شكوى من الطول . أو شكوى من القِصَر
دَعْ بعد رِيقَةِ مَنْ تهوَى ومَنْطِقِه ... ماقيل فى الكأْس . أوماقيل فى الوتر
ولا تُبالِ بكنزٍ بعد مَبْسِمِه ... أغلى اليواقيت ما أُعْطِيتَ والدُّرَر
ولم يَرُعْنِى إلَّا قولُ عاذِلةٍ ... ما بالُ أحمدَ لم يَحلُمْ ولم يَقِر ؟
هلا ترفَّع عن لَهْوٍ وعن لَعِبٍ ؟ ... إن الصغائرَ تُغْرِى النفسَ بالصَّغَر
فقلتُ : للمجد أشعارى مُسَيَّرة ... وفى غوانى العُلا — لافى المَها — وَطَرى
مصرُ العزيزةُ ، مالِى لا أُودِّعُها ... وداعَ مُحتفِظٍ بالعهد مُدَّكِرِ
خلَّفتُ فيها القَطا مابين ذى زَغَبٍ ... وذى تمائمَ لم ينهض ولم يَطِرِ
أسلمتُهم لعيون الله تحرسُهم ... وأسلمونى لظلِّ الله فى البشر

وقال .

عَرضوا الأَمانَ على الخواطرْ ... واستعرضوا السُّمْرَ الخواطر(١)
فوقفتُ لى خَذَرٍ ، ويأْ ... بَى القلبُ إلا أن يُخاطِر

---

١ — السمر : الرماح . والخواطر : المهتزات ، يقال : خطر الرمح اذا اهتز ، وهى هنا كناية من القدود

يا قلب شأنك والهوى هذى الغصونُ وأنت طائر
إن التى صادتْك تسـ ـعى بالقلوب لها النواظر
يا ثغرَها ، أمسيتُ كالـ ـغوّاص ، أحْلُم بالجواهر
يالحظَها ، مَنْ أمُّها ؟ أو مَنْ أبوها فى الجآذِر ؟
يا شعرَها ، لا تَسْعَ فى هتكى ؛ فشأْنُ الليلِ ساتر
يا قدّها ، حتّام تغـ ـدو عاذِلاً وتروح جائر ؟
وبأَىِّ ذنبٍ قد طعنـ ـتَ حَشاىَ يا قدُّ الكبائر ؟

وقال :

فى ذى الجفونِ صوارمُ الأقدار راعى البريّةَ يا رَعاكِ البارى
وكفى الحياةُ لنا حوادثَ ، فافتِنى مَلَأَ النجومِ وعالَمَ الأقمار
ما أنتِ فى هذى الحلى إنسيّة إنْ أنتِ إلا الشمسُ فى الأنوار
زهراءِ بالأُفُق الذى من دونه وثبُ النُّهى ، وتطاوُلُ الأفكار
تتهتّكُ الألبابُ خَلْفَ حجابها مهما طلَعتِ ، فكيف بالأبصار ؟
يازينة الإصباحِ والإمساء ، بل يارَوْنَقَ الآصال والأسحار
ماذا تحاول من تنائينا النّوى ؟ أنتِ الدُّنى وأنا الخيالُ السارى
ألقى الضُّحى ألقاكِ ، ثم من الدّجى سبُلٌ إليكِ خَفيّةُ الأغوار
وإذا أنِسْتُ بوحدتى فلأنّها سببى إليكِ ، وسُلّمى ، ومَنارى
إيهِ زمانى فى الهوى وزمانَها ما كنتما إلا النّميرَ الجارى
مُتسَلْسلا بين الصبابة والصّبا مُترقرِقاً بمسارحِ الأوطار
نظر الفراقُ إليكما ، فطواكما إن الفراقَ جَهَنّمُ الأقدار

وقال :

لك أن تلومَ ، ولي من الأعذار أن الهوى قَدَرٌ من الأقدار
ما كنتُ أسْلَمُ للعيون سلامتى وأبيحُ حادثةَ الغرام وَقارى
وطَرٌ تَعَلَّقَه الفؤادُ وينقضى والنفسُ ماضيةٌ مع الأوطار
ياقلبُ ،شأنَك ،لاأمُدُّك في الهوى أبدا ، ولا أدعوك للإقصار
أسرى وأمرُك في الهوى بيدِ الهوى لو أنه بيَدِى فككْتُ إسارى
جاوِ الشبيبةَ ، وانتفع بجوارها قبلَ المشيب ، فما له من جار
مَثَلُ الحياة تُحَبُّ في عهد الصِّبا مَثَلُ الرياضِ تحَبُّ في آذار(١)
أبدًا (فروقُ) من البلاد هى المُنى ومناىَ منها ظبيةٌ بسِوار
ممنوعةٌ إلا الجمالَ بأسْره محجوبةٌ إلّا عن الأنظار
خُطُواتُها التقوى ، فلا مَزْهُوَّةٌ تمشى الدَّلال ، ولابِذات نِفار
مرّتْ بنا فوق الخليج ، فأسفرتْ عن جَنّة ، وتلفتت عن نار
فى نِسْوَةٍ يُورِدْن مَنْ شِئْن الهوى نظرا ، ولاينظرْن فى الإصدار
عارضتُهنّ ، وبين قلبى والهوى أمرٌ أحاول كتْمَه وأُدارى

وقال :

أتغلبنىَ ذاتُ الدلالِ على صبرى؟(٢) إذن أنا أولى بالقناع وبالخِدْر
تتيهُ ، ولى حِلمٌ إذا ما ركِبتُه رددتُ به أمرَ الغرامِ إلى أمرى
وما دَفْعِىَ اللُّوّامَ فيها سآمةٌ ولكنّ نفسَ الحرّ أزجرُ للحرّ
وليلٍ كأنّ الحشرَ مطلعُ فجرِه تراءتْ دموعى فيه سابقةَ الفجر

---

١ ــ آذار : شهر مارس وهو اول فصل الربيع ٢ ــ هذا الشطر من المطلع للمرحوم محمود سامى باشا البارودى ، نظمه ثم امسكه ، فاكمله الشاعر واضاف اليه هذه الأبيات .

سرَيْتُ به طيفًا إلى مَنْ أُحِبُّها ... وهل بالسُّها فى حُلَّةِ السُّقمِ من نُكر
طرقْتُ حِماها بعدَ ما هبَّ أهلُها ... أخوضُ غِمارَ الظنِّ والنظرِ الشزْر
فما راعنى إلَّا نساءٌ لِقينَنى ... يبالِغن فى زَجْرى ، ويُسرفن فى نَهرى
يقلْن لمن أهوى وآنَسْنَ رِيبةً : ... نرى حالةً بين الصَّبابة والسِّحر
إليكنّ جاراتِ الحمى عن ملامَتى ... وذَرْنَ قضاءَ الله فى خَلْقه يجرى
وأحْرَجنى دمعى ، فلما زجرتُه ... رددتُ قلوبَ العاذِلاتِ إلى العُذْر
فساءلْنها :ماالسمى؟فسمَّتْ ، فجئننى ... يَقُلْنَ : أماناً للعذارى من الشِّعر
فقلتُ : أخافُ اللهَ فيكُنَّ ، إننى ... وجدتُ مقالَ الهُجْرِ يُزْرى بأن يُزْرِى
أخذتُ بحَظٍّ من هواها وبينِها ... ومَنْ يَهْوَ يَعْدِلْ فى الوصال وفى الهجر
إذا لم يكن للمرء عن عيشةٍ غِنىً ... فلا بدّ من يُسر ، ولا بد من عُسر
ومن يَخبُرِ الدنيا ويشربْ بكأسها ... يجدْ مُرَّها فى الحلو ، والحلوَ فى المرّ
ومن كان يغزو بالتَّعِلّات فقرَه ... فإنى وجدتُ الكَدَّ أقتلَ للفقر
ومن يستعنْ فى أمرِه غيرَ نفسه ... يَخُنْه الرفيقُ العون فى المسلك الوعْر
ومن لم يُقِم سترًا على عيبِ غيره ... يعِش مستباحَ العِرْضِ ، مُنهَتِكَ السِّتر
ومن لم يُجمِّل بالتواضع فضلَه ... يَبِنْ فضلُه عنه ، ويَعْطَلْ من الفخر

وقال :

قلبٌ يذوب ، ومدمعٌ يجرى ... ياليلُ ، هل خبرٌ عن الفجر
حالت نجومُك دون مطلعه ... لا تبتغى حِوَلاً ، ولا يسرى
وتطاولَتْ جُنْحًا ، فخُيِّل لى ... أن الصباحَ رهينةُ الحشر
أرسيتَها وملكتَ مذهبَها ... بدُجُنَّةٍ كسريرة الدَّهر
ظُلَمٌ تَجىءُ بها وتُرجِعُها ... والموجُ منقلبٌ إلى البحر

ليتَ الكرى (موسى) فيُوردَها (فِرْعَون) هذا السُّهدِ والفِكر

* * *

ولقد أقول لهاتفٍ سحرًا يَبكي لغيرِ نَوًى ولا أسْر
والروضُ أخرسُ غيرَ وسوسةٍ خَفَقَ الغصونِ ، وجرْيةِ الغُدْر
والطيرُ مِلءَ الأيْكِ ، أرؤسُها مثلُ الثمار بدت من السِّدْر
ألقى الجناحَ ، وناء بالصدر ورَنا بصَفرَاوَيْن كالتِّبر
كلَمَ السهادُ بيوتَ هدْبهما وأقام بين رُسومِها الحُمْر
تهدًا جوانِحه ، فتحسبهُ من صَنْعة الأيدى أو السِّحْر
وتثور ، فهْوَ على الغصون يَدٌ عَلِقتْ أنامِلُها من الجمر

* * *

يا طيرُ ، بُثَّ أخاك ما يَجرى إنّا كِلانا مَوْضِعُ السِّرّ
بى مثلُ ما بِك من جوًى ونوًى أنا فى الأنام ، وأنتَ فى القُمْر(١)
عَبث الغرامُ بنا وروّعنا أنا بالمَلام ، وأنت بالزَّجْر
يا طيرُ ، لا تجزَعْ لحادثةٍ كلُّ النفوسِ رهائنُ الضرّ
فبما دهاك لو اطّلعتَ رضًى شرٌّ أخفُّ عليك من شَرّ
ياطيرُ ، كَدْرُ العيشِ لو تدرى فى صفوه ، والصفْوُ فى الكَدْر
وإذا الأُمورُ استُصعِبتْ صَعُبَتْ ويهون ما هوّنتَ من أمْر
يا طيرُ ، لو لُذْنا بمصْطَبَرٍ فلعلّ رُوحَ اللهِ فى الصَّبْر
وعسى الأمانىُّ العذابُ لنا عونٌ على السلوان والهجر

---

١ — القمر : جمع قمرية وهى ضرب من الحمام .

وقال :

بَدَأَ الطيفُ بالجميلِ وزَارا يا رسولَ الرِّضى وُقِيتَ العِثارا
خذ من الجفن والفؤاد سبيلا وتَيَمَّمْ من السُّوَيْداء دارا
أنت إن بتَّ فى الجفون فأَهلٌ عادةُ النورِ ينزل الأَبصارا
زار ، والحربُ بين جفنى ونومى قد أعدَّ الدُّجى لها أوزارا
حَسَنٌ ياخيالُ صُنْعُك عندى أجملُ الصنعِ ما يُصيبُ افتقارا
ما لربِّ الجمالِ جارَ على القلـ ـبِ ، كأَن لم يكن له القلبُ جارا ؟
وأَرى القلبَ كلما ساء يَجزيـ ـه عن الذنب رقَّةً واعتذارا
أجريحُ الغرامِ يطلب عطفاً وجريحُ الأَنام يطلب ثارا ؟
أَيها العاذلون ، نِمتم ، ورام السُّـ ـهدُ من مقلتىَّ أمراً ، فصارا
آفةُ النُّصحِ أن يكونَ لَجاجاً وأذى النصحِ أن يكون جِهارا
ساءلَتنى عن النهار جفونى رحِمَ اللهُ ياجفونى النهارا
قلن : نَبكيه ؟ قلت : هاتى دموعاً قلن :صبرًا ،فقلت:هاتى اصطبارا
يا ليالىَّ ، لم أَجِدْكِ طوالاً بعد ليلى ، ولم أجدْك قِصارا
إن مَنْ يحملُ الخطوبَ كِباراً لا يُبالى بحملهن صِغارا
لم نُفِقْ منك يازمانُ فنشكو مُدْمنُ الخمر لا يُحِس الخُمارا
فاصرف الكأْسَ مُشفِقًا ، أوفواصِلْ خرج الرشدُ عن أكُفِّ السُّكارى

وقال :

أَبثُّكَ وَجْدى ياحَمامُ ، وأُودِعُ فإنك دونَ الطَّيرِ للسرِّ مَوْضِعُ
وأنت مُعينُ العاشقين على الهوى تئِنُّ فنُصْغِى ، أو تحنُّ فنَسْمَع
أراك يَمانِيًّا ، ومصرُ خميلتى كلانا غريبٌ ، نازحُ الدارِ ، مُوجَع

هما اثنان : دانٍ فى التغرُّب آمنٌ ... وناءٍ على قربِ الديار مُرَوَّع
ومن عجبِ الأشياء أبكى وأشتكى ... وأنت تُغَنِّى فى الغصونِ وتَسْجَع
لعلك تُخفى الوجدَ ، أو تكتمُ الجَوى ... فقد تُمْسِك العينان والقلبُ يَدْمَع
شجاكَ صِغارٌ كالجُمانِ ومَوْطِنٌ ... نَدٍ مثلُ أيام الحَدَاثةِ مُمْرِعُ
إذا كان فى الآجال طولٌ وفسحةٌ ... فما البينُ إلا حادثٌ مُتَوَقَّع
وما الأهلُ والأحبابُ إلّا لآلِئٌ ... تُفرِّقُها الأيامُ ، والسِّمْطُ يجمع
أمُنكِرتى ، قلبى دليل وشاهدى ... فلا تُنكريه ، فهْو عندكِ مُودَع
أسيرُكِ ، لو يُفْدَى فَدَتْه بجمعها ... جوانحُ فى شوقٍ إليه وأضْلُع
رماه إليكِ الدهرُ من حالِقِ الهوى ... يُذالُ على سفح الهوانِ ويُوضَع
ومن عجبٍ ، يأْسَى إذا قلت : مُتْعَبٌ ... ويطرَبُ إن قلت : الأسيرُ المُمنَّع
لقيتِ عليماً بالغوانى ، وإنما ... هو القلبُ ، كالإنسانِ يُغرَى ويُخْدَع
وأعلم أن الغدرَ فى الناس شائعٌ ... وأن خليلَ الغانياتِ مُضيَّع
وأن نِزاعَ الرُّشدِ والغَىِّ حالةٌ ... تجىءُ بأحلامِ الرِّجال وترجِع
وأنَّ أمانىَّ النفوسِ قواتلٌ ... وكثرتُها من كثرة الزَّهرِ أصْرَع
وأن دُعاةَ الخير والحقِّ حربُهم ... زمانٌ بهم من عهد سُقْراطَ مُولَع

وقال :

تأْبَى الدَّلالَ سجيّةً وتصنُّعا ... وأراك فِى حالَىْ دَلالِكَ مُبْدِعا
تِهْ كيف شئت ، فما الجمالُ بحاكم ... حتى يُطاع على الدلال ويُسْمَعا
لك أن يُرَوِّعَك الوشاةُ من الهوى ... وعلىَّ أن أهوى الغزالَ مُروَّعا
قالوا : لقد سَمِع الغزالُ لِمَن وشَى ... وأقول : ما سَمِع الغزالُ ، ولا وعَى

أنا مَنْ يحبُّك فى نِفارك مؤنساً ويُحبُّ تِيهَكَ فى نِفاركَ مطمعا
قدّمتُ بين يدىَّ أيامَ الهوى وجعلتُها أملاً عليكَ مُضيَّعا
وصدقتُ فى حبّى ، فلست مُبالياً أن أُمْنَحَ الدنيا به أو أُمْنَعا
يامَنْ جرى من مُقلتيْهِ إلى الهوى صِرفاً ، ودار بوَجنتيْه مُشَعْشَعاً (١)
اللهَ فى كبدٍ سَقَيْتَ بأَربَع لو صبّحوا (رضْوَى) بها لتصدّعا (٢)

وقال :

رُدَّت الروحُ على المُضْنَى معكْ أحسنُ الأَيام يومٌ أَرجَعَك
مَرَّ من بُعدِك ما رَوَّعَنى أتُرى يا حُلْوُ بُعدى روّعك ؟
كم شكوتُ البيْن بالليل إلى مَطلع الفجر عسى أن يُطْلِعَك
وبعثتُ الشوقَ فى ريح الصَّبا فشكا الحُرقةَ مما اسْتودَعك
يانعيمى وعذابى فى الهوى بعذولى فى الهوى ما جَمعَك ؟
أنت روحى ، ظَلَم الواشى الذى زَعَم القلبَ سَلا ، أو ضيَّعَك
مَوْقِعى عندَك لا أَعلمُه آهِ لو تعلمُ عندى موقِعَك ! !
أَرْجَفوا أنك شاكٍ مُوجَعٌ ليت لى فوق الضَّنا ما أوجعك
نامت الأَعينُ ، إلا مُقلة تسكُب الدمعَ ، وترعى مضجَعَك

وقال مشطِّرًا حيث اجتمع بعض الأُدباء فى مجلس ، فذكر أحدهم بيتاً للبَهاء زهير وهو :

يقول : أُناسٌ : لو وصفت لنا الهوى
فوالله ما أدرى الهوى كيف يوصفُ ؟

---

١ ــ المشعشع : الشراب يمزج بالماء ٢ ــ رضوى : اسم جبل .

فقال :

يقول أناسٌ : لو وصفت لنا الهوى
لعل الذى لا يعرفُ الحبَّ يَعرف
فقلت : لقد ذُقتُ الهوى ، ثم ذُقتُهُ
فوالله ما أدرى الهوى كيف يوصف ؟

وقال :

‹لُموه كيفَ يجفو ‹فجفا	ظالمٌ لاقيْتُ منه ماكفى
مسرفٌ فى هجرِه ما ينتهى	أتُراهم علَّموه السَّرَفا ؟
جعلوا ذنبى لديْه سَهَرى	ليتَ بَدْرِى إذ دَرَى الذنبَ عفا
عرف الناسُ حقوقى عنده	وغريمى ما درى ، ما عَرفا
صحّ لى فى العمرِ منه موعِدٌ	ثم ما صدَّقتُ حتى أخلفا
ويرى لى الصبرَ قلبٌ مادَرى	أنّ ما كلفنى ما كلفا
مُستهامٌ فى هواه مُدْنَفٌ	يترضَّى مستهاماً مُدَنفًا
يا خليلىّ . صِفا لى حيلة	وأرى الحيلةَ أن لا تَصِفا
أنا لو ناديتُه فى ذِلَّةٍ	هى ذى روحى فخذها ، ما احتفى

وقال :

جئْتَنَا بالشعورِ والأَحداقِ	وقسمن الحظوظَ فى العشاقِ
وهَزَزْنَ القَنا قُدودًا ، فأَبلى	كل قلبٍ مُستضعَفٍ خَفَّاقِ
حبذا القسمُ فى المحبين قِسمى	لو يلاقون فى الهوى ما أُلاقى
حيلتى فى الهوى وما أتمنى	حيلة الأذكياء فى الأرزاق

لو يُجازَى المحبُّ عن فَرْطِ شوْقٍ ... لَجُزيتُ الكثيرَ عن أشواقى
وفتاةٍ ما زادها فى غريبِ الـ ... حسن إلا غرائبُ الأخلاق
ذقت منها حلواً ومرًّا ، وكانت ... لذّةُ العشق فى اختلاف المذَاق
ضرَبتْ موعدًا ، فلما التقينا ... جانبتنى تقول : فِيمَ التلاقى ؟
قلت : ماهكذا المواثيقُ ، قالت : ... ليس للغانياتِ من ميثاق
عَطَفتْها نَحافتى ، وشجاها ... شافعٌ بادرٌ من الآماق
فأرتنى الهوى ، وقالت : خَشِينا ... والهوى شُعبةٌ من الإشفاق
يافتاةَ العراقِ ، أكتمُ مَنْ أنْـ ... ـتِ ، وأكنِى عن حبكم بالعراق
لى قوافٍ تَعِفُّ فى الحبّ إلا ... عنكِ ، سارت جوائبَ الآفاق
لا تَمنَّى الزمانُ منها مزيدًا ... إن تمنيتُ أن تفكّى وَثاق
حمّلينى فى الحبّ ما شئتِ إلّا ... حادثَ الصدّ ، أو بلاء الفراق
واسمحى بالعناق إن رضى الدّلُّ ... وسامحت فانياً فى العناق

وقال :

مُضْنًى وليس به حَراكْ ... لكنْ يخِفُّ إذا رآكْ
ويَميل من طربٍ إذا ... ما مِلْتَ ياغصنَ الأراك
إن الجمالَ كساك من ... ورَق المحاسن ما كساك
ونبَتَّ بين جوانحى ... والقلبُ من دَمِه سقاك
حُلوَ الوعودِ ، متى وفاك ؟ ... أتُراكَ مُنْجزَها تُراك ؟
من كلِّ لفظٍ لو أذِنـ ... ـتَ لأجله قبَّلتُ فاك
أخذَ الحلاوةَ عن ثَنا ... ياك العِذاب ، وعن لَمَاك

ظلماً أقول : جنَى الهوى ... لم يجْنِ إلا مُقْلتاك
غدَتا منيَّة مَنْ رأيْـ ... ـتَ ، ورُحْتَ مُنْيَةَ منْ رآك

وقال :

فدَتْكَ الجوانحُ من نازلِ ... وأهلاً بطيْفِكَ من واصِلِ
بَذلت له الجفنَ دون الكرى ... ومَنْ بالكرى للشجِي الباذِل ؟
وقلت : أراك برغم العَذول ... فناب السُّهادُ عن العاذل
فوَيْحَ المتيَّمِ !! حتى الخيالُ ... إذا زارَ لم يَخْلُ من حائل
يَحِنُّ إليك ضلوعٌ عَفَتْ ... من البيْن في جَسَدٍ ناحل
وقلبٌ جَوٍ عندها خافقٌ ... تعلَّقَ بالسَّنَدِ المائل
ومِنْ عَبَثِ العشقِ بالعاشقين ... حنينُ القتيل إلى القاتل
غفلتُ عن الكأْسِ حتى طغت ... ولى أدبٌ ليس بالغافل
وشَفَّتْ . وماشفَّ منى الضميرُ ... وأين الجماد من العاقل ؟
يَظَلُّ نَديمىَ يُسْقَى بها ... ويشربُ من خُلُقى الفاضل
أبدِّدُها كرماً كلما ... بدَتْ لىَ كالذهب السائل

وقال :

لامَ فيكم عذولُه وأطالا ... كَمْ إلى كَمْ يُعالج العُذَّالا ؟
كلَّ يوم لهم أحاديثُ لَوْمٍ ... بدأتْ راحةً ، وعادتَ مَلالا
بعثت ذكرَكم ، فجاءتْ خِفافاً ... واقتضت هجرَكم ، فراحت ثقالا
أيها المُنكِرُ الغرامَ علينا ... حَسْبُكَ اللهُ ، قد جحدتَ الجمالا
آيةُ الحسن للقلوب تجلَّت ... كيف لاتعشق العيون امتثالا ؟

لكَ نُصحى ، وماعليكَ جدالى   آفةُ النصحِ أن يكون جدالا
وهَب الرشدَ أننى أنا أسلو   ما من العقل أن تَروم محالا

وقال :

بات المعنَّى والدجى يبتلى   والبَرْحُ لا وانٍ وما مُنجَلِى
والشُّهْبُ فى كلِّ سبيلٍ له   بموقف اللوَّام والعُذَّل
إذا رعاها ساهيًا ساهرا   رَعينَهُ بالحَدَق الغُفَّل
ياليلُ ، قد جُرْتَ ، ولم تعدِلِ   ما أنت يا أسودُ إلَّا خَلِى
تالله لو حُكِّمْت فى الصبح أن   تفعل أحجمْتَ فلم تفعل
أوشِمتَ سيفاً فى جيوش الضحى   ما كنتَ للأعداء ما أنت لى
أبيتُ أُسقَى ويُدير الجوى   والكأسُ لا تفنى ولا تمتلى
الخدُّ من دمعى ومن فَيْضه   يشرب من عين ومن جدْول
والشوقُ نارٌ فى رَماد الأسَى   والفكرُ يُذكِى ، والحشا يَصطلى
والقلب قَوّامٌ على أضْلُعى   كأنه الناقوسُ فى الهيكل

وقال :

أنا إن بذلتُ الروحَ كيف أُلامُ   لمَّا رمَتْ فأصابَتِ الآرامُ ؟
عَمَدَتْ إلى قلبى بسهمٍ نافذٍ   فيه لمحتومِ القضاء سِهام
ياقلبُ ، لا تجزع لحادثة الهوى   واصبر ، فما للحادثاتِ دَوام
عرَفَتْ قلوبُ الناس قبلكَ : ماالجوى ؟   وأذاقَها قدرٌ له أحكام
تجرى العقولُ بأهلها ، فإذا جرى   كبَتِ العقولُ وزلَّتِ الأحلام
اكنتُ أعلمُ — والحوادثُ جَمَّةٌ —   أن الحوادثَ مُقْلَةٌ وقَوام

جَنَيا على كبدى وما عرَّضتُها كبدى ، عليكِ من البرىء سلام
ولقد أقولُ لمن يَحُثُّ كئُوسَها قعدتْ كئُوسُك والهمومُ قِيام
لم تجرِ بين جوانحى إلّا كما جرَتِ الدِنانُ بها وسال الجَام

وقال :

هل تَيَّمَ البانُ فؤادَ الحَمام فناح فاسْتبكى جفونَ الغمام؟
أم شَفَّه ما شفَّنى فانثنى مُبَلْبَلَ البالِ شريدَ المنام؟
يَهُزُّه الأَيكُ إلى إلفه هَزَّ الفِراشِ المُدْنَفَ المستهام
وتُوقِدُ الذكرى بأَحشائه جمراً من الشوق حثيث الضِّرام
كذلك العاشقُ عند الدجى يا للهوى مما يثير الظلام !
له إذا هبَّ الجوى صَرْعةٌ من دونها السحرُ وفعلُ المدام
ياعادِيَ البينِ ، كفى قسوةً روّعتَ حتى مُهجات الحَمام
تلك قلوب الطيرِ حَمَّلْتَها ما ضعفتْ عنه قلوبُ الأَنام
لا ضرب المقدورُ أحبابَنا ولا أعادينا بهذا الحُسام
يا زمنَ الوصل ، لأَنت المنى وللمُنى عِقْد ، وأَنت النظام
لله عيشٌ لى وعيشٌ لها كنتَ به سمحاً رخِيَّ الزِّمام
وأُنْسُ أوقاتٍ ظفرنا بها فى غفلة الأَيام ، لو دُمْتَ دام
لكنه الدهرُ قليلُ الجَدَى مُضيعُ العهدِ ، لئيمُ الذِّمام
لو سامَحَتْنا فى السلام النَّوَى لطال حتى الحشرِ ذاك السلام
ولانْقضَى العمران فى وقفة نسلو بها الغمضَ ونسلو الطعام
قالت وقد كاد يَميد الثرى من هَدَّةِ الصبر وهَوْلِ المقام

وغابت الأعينُ فى دمعها ونالت الألسن إلّا الكلام :
يابينُ ، وَلّى جَلدى فاتّئِدْ ويا زمالى ، بعضُ هذا حرام
فقلت والصبرُ يجارى الأسى واللبُّ مأخوذٌ ، ودمعى انسجام :
إن كان لى عندك هذا الهوى بِأَيِّمَا قلت كتمت الغرام

وقال :

صريعُ جفنيك ينفى عنهما التهما فما رميت ولكن القضاء رمى
اللهَ فى روح صَبٍّ يَغشيان بها مَوارِدَ الحتْفِ لم ينقل لها قدما
وكُفَّ عن قلبه المعمودِ نَبْلَهما أليس عهدُك فيه حبَّةً ودما ؟
سلوا غزالاً غزا قلبى بحاجبه أما كفى السيفُ حتى جرّد القلما؟
واستخبِروه : إلى كم نارُ جَفْوَتِه؟ أما كفى ما جنت نارُ الخدودِ أما؟
واستوهبوه يدًا فى العمر واحدةً ومَهِّدا عُذْرَه عنى إذا حرما
ولا ترَوْا منه ظلماً أن يُضيِّعنى من ضيَّع العرَضَ المملوكَ ماظلما

وقال :

ذاد الكرى عن مقلتيك حمامُ لبّاه شوقٌ ساهرٌ وغرام
حيرانُ ، مشبوبُ المضاجعِ ، ليلُه حربٌ ، وليلُ النائمين سلام
بين الدّجى لكما وعاديةِ الدّجى مهجٌ تُؤلِّفُ بينها الأسقام
تتعاونان ، وللتعاون أمّةٌ لا الدهرُ يخذلها ولا الأيام
يا أيها الطيرُ الكثيرُ سميرُه هل ريشةٌ لجناحه فيُقام ؟
عانقت أغصاناً ، وعانقتُ الجوى وشكوتَ ، والشكوى علىَّ حرام
أمُحَرَّمَ الأجفانِ إدناءَ الكرى يَهْنِيكَ ما حرِّمتْ حين تنام

حاوَلْن منه إلى خيالك سُلَّما ... لو سامَحَتْ بخيالك الأَحلام
فأْذَنْ لِطَيْفِك أن يُلِمَّ مُجامِلاً ... ومُؤَمَّلٌ من طيفك الإلمام

وقال :

شغلَتْه أَشغالٌ عن الآرام ... وقضى اللُّبانةَ من هوًى وغرامِ
ومَضَى يجرُّ على الهوى أذيالَه ... ويلومُ حامِلَه مع اللُّوَّام
ويذُمُّ عهدَ الغانياتِ كناقِهٍ ... بعد الشِفاءِ يذمُّ عهدَ سَقام
لا تعجلَنَّ وفى الشباب بقيَّةٌ ... إن الشبابَ مَزَلَّةُ الأَحلام
كانت إنابتُك المُرِيبَةُ سَلْوة ... نسجَتْ على جُرحٍ بجنبك دامى
إن الذى جعل القلوبَ أَعِنَّةً ... قاد الشبيبةَ للهوى بزِمام
يا قلبَ أحمدَ ـ والسهامُ شديدةٌ ـ ... ماذا لقِيتَ من الغزال الرامى؟
تَدْرِى، وتسأَلنى تجاهلَ عارفٍ: ... أرَنَا بعينٍ أم رمَى بسهامِ؟
مازلتَ تركَبُ كلَّ صعبٍ فى الهوى ... حتى ركِبْتَ إلى هواك حِمامى
وإذا القلوبُ استرسلت فى غَيِّها ... كانت بليَّتُها على الأَجسام

وقال :

به سِحْرٌ يُتَيِّمُهُ ... كلا جَفْنَيْكَ يَعْلَمُهُ
هما كادا لمهجته ... ومنكَ الكيدُ مُعْظَمُه
تُعَذِّبه بسحرهما ... وتُوجِدُه، وتُعدِمه
فلا هارُوتُ رَقَّ له ... ولا مارُوتَ يَرْحَمُه
وتَظْلِمُه فلا يشكو ... إلى من ليس يَظْلِمُه
أَسرَّ، فماتَ كِتْمَاناً ... وباحَ، فخانه فَمُه

فويحَ المُدنَفِ المعمود، حتى النومُ يُحرَمه
طويلُ الليل ، ترحمُه هواتِفه وأنجُمه
إذا جدّ الغرَامُ به جرَى فى دَمعِه دمُه
يكاد لطول صحبتِه بعادِى السُّقمِ يُسقمُه
ثَنَى الأعناقَ عُوَّدُه وألقى العذرَ لُوَّمُه
قضى عشقًا سوى رَمَقٍ إليكَ غدا يقدِّمه
عسى إن قيل : مات هوًى تقول : اللهُ يرحمُه
فتحيا فى مَراقِدها بلفظٍ منكَ أعظُمُه

* * *

بروحى البانُ يومَ رَنا عن المقدورِ أغصُنُه
ويومَ طُعِنتُ من غُصُنٍ مُعلِّمُه مُنعِّمُه
قضاءُ اللهِ نظرتُه ولطفُ اللهِ مَبْسِمُه
رَمى، فاستهدفَتْ كبدى بَنَ الرَّامى وأسْهمُه
له من أضلُعِى قاعٌ ومِن حَجَبٍ يسلِّمه
ومن قلبى وحَبَّتِه كِناسٌ باتَ يَهدِمُه
غزالٌ فى يديه التِّيـ ـهُ يبينَ الغِيدِ يقسِمُه

وقال :

مَنْ صَوَّرَ السِّحْرَ المُبِينَ عيونا وأحلَّه حَدَقاً لها وجفونا ؟
نَظرتْ ، فحُلْتُ بجانبى ، فاستهدفَتْ كبدِى ، وكان فؤادىَ المغبونا
وَرمَتْ بسهم جالَ فيه جَوْلَةً حتى استقرَّ ، فَرَنَّ فيه رَنينا
فلَمَسْتُ صدرى مُوجَساً ومُرَوَّعاً ولَمَسْتُ جَنْبِى مُشْفِقا وضَنِينا

يا قلبُ ، إن من البَواتر أعْيُنًا سُودًا ، وإنّ من الجآذِر عِينا
لا تأخذنّ من الأُمور بظاهرٍ إنّ الظواهرَ تَخْدعُ الرائينا
فلكم رَجَعتُ من الأسِنّة سالماً وصدرْتُ عن هِيفِ القدودِ طَعِينا
وخَميلةٍ فوق الجزيرة مَسّها ذَهَبُ الأصيل حواشيًا ومُتونا
كالتِّبر أُفْقًا ، والزَّبرْجَدِ ربْوَة والمِسْكِ تُرْبًا ، واللُّجَيْن معِينا
وقف الحيا من دونها مُسْتَأْذِناً ومشى النسيمُ بظلّها مأذونا
وجرى عليها النيلُ يَقْذِفُ فضّة نثراً ، ويكسِر مَرْمَراً مَسْنونا
يُغرى جواريَهُ بها ، فَيجئْنها ويُغِيرُهُنّ بها ، فيَسْتَعْلِينا
راع الظلامُ بها أوانسَ تَرْتَمِي مثلَ الظباء من الرُّبىٰ يَهوِينا
يخطرْن فى ساح القلوب عواليًا ويَمِلْنَ فى مَرْأَى العيون غصُونا
عِفْنَ الذيولَ من الحرير وغيره وسَحَبْنَ ثَمَّ الآسَ والنِّسْرينا
عارضتُهن ولى فؤادٌ عُرْضَةٌ لهوى الجآذرِ دانَ فيه ودِينا
فنظرن لا يَدرين : أذهبُ يَسْرَةً فيَحِدْنَ عَنّى ، أم أميلُ يمينا ؟
ونَفَرْنَ من حَوْلى وبينَ حَبائلى كالسِّربِ صادفَ فى الرَّواحِ كَمِينا
فجمعتُهن إلى الحديثِ بدأتُه فغضبن ، ثم أعدته فرضينا
وسمعتُ من أهوى تقول لِتِربها : أحْرَى بأحمدَ أن يكون رزينا(١)
قالت : أراه عندَ غايةِ وَجْدِه فلعلّ ليلى ترحمُ المجنونا

وقال :

أذْعَنَ للحُسن عَصِيُّ العِنانْ وحاولتْ عيناك أمْراً فكان
يعيش جفناك لبَثّ المُنى أو الأسى فى قلب راجٍ وعان

---

١ — الترب بالكسر : ما ولد معك ، وأكثر مايستعمل فى المؤنث ، يقال هذه ترب فلانة اذا كانت على سنها .

بين الرقيب وبيننا وادٍ تُباعدُه حُزونُه
نغتابُه ونقول : لا بَقِىَ الرقيبُ ولا عيونُه

وقال :

صحا القلبُ ، إلّا من خُمارِ أمانى   يجاذبُنى فى الغِيدِ رَثٌّ عِنانى
حَنانيْكَ قلبى ، هل أعيدُ لك الصِّبا؟   وهل للفتى بالمستحيل يَدان ؟
تحنُّ إلى ذاكَ الزمانِ وطيبِه   وهل أنتَ إلا من دم وحَنان ؟
إذا لم تصُن عهدًا ، ولم ترعَ ذمةً   ولم تدَّكِرْ إلْفا ؛ فلستَ جَنانى
أتذكر إذ نعْطِى الصَّبابةَ حقَّها   ونشربُ من صرفِ الهوى بدِنان؟
وأنتَ خَفوق ، والحبيب مباعدٌ   وأنت خفوق ، والحبيبُ مُدان ؟
وأيامَ لا آلو رِهاناً مع الهوَى   وأنتَ فؤادى عند كل رِهان
لقد كنتُ أشكو من خُفوقِك دائبًا   فولَّى ، فيالهفِى على الخفقان
سقاكَ التَّصابى بعد ما علَّك الصِّبَا   فكيف ترى الكأسين تختلِفانِ ؟
وما زلتُ فى رَيْعِ الشباب ، وإنما   يشيبُ الفتىَ فى مصرَ قبلَ أوان
ولا أكذبُ البارى ، بنى اللهُ هيكلى   صنيعة إحسانٍ ، ورِقُّ حِسان
أدين إذا اقتادَ الجمالُ أزمّتى   وأعنو إذا اقتادَ الجميلُ عِنانى

وقال :

اللهَ فى الخلق من صَبٍّ ومن عانى   تفنى القلوبُ وَيبقى قلبُكِ الجانى
صونى جمالَكِ عنّا ، إنّنا بَشَرٌ   من التراب ، وهذا الحسنُ روحانى
أو فابتغى فَلَكًا تأوينَه مَلَكًا   لم يتّخِذ شَرَكًا فى العالمِ الفانى
يَنسابُ فى النور مَشغوفًا بصورته   مُنعَّمًا فى بديعاتِ الحُلَى هانى
إذا تبسّم أبدى الكونُ زينتَه   وإن تنفّس أهدى طِيبَ رَيْحان

وأشرق من سماءِ العزِّ مُشْرقةً ... بمنظَرٍ ضاحكِ اللألاءِ فتَّان
عسى تَكُفُّ دموعٌ فيكِ هاميةٌ ... لا تطلعُ الشمسُ والأنداءُ فى آن(١)
يا مَنْ هجرتُ إلى الأوطان رؤيتَها ... فرُحْتُ أشوقَ مُشتاقٍ لأوطان
أتذكرين حنينى فى الزمان لها ... وسَكْبِىَ الدمعَ من تذكارها قانى؟
وغَبْطِىَ الطيرَ ألقاه أصيحُ به : ... ليت الكريمَ الذى أعطاك أعطانى؟

وقال :

قلبٌ بوادى الحمى خلَّفْته رَمِقًا ... ماذا صنعْتِ به ياظبيةَ البان ؟
أحنى عليكِ من الكُثبان ، فاتّخذى ... عليه مَرْعاكِ من قاعٍ وكُثْبان
غَرَّبْتِه ، فَوَهَى جَنْبِى افُرقته ... وحَنَّ للنازح المأسورِ جُثْمانى
لا ردّه اللهُ من أسْرٍ ، ومن خَبَلٍ ... إن كان فى ردّه صَحْوِى وسُلْوانى
دلَّهته بعزيزٍ فى مَحاجِره ... ماضٍ ، له من مُبين السِّحرِ جَفنان
رمى فضجَّتْ على قلبى جوانحُه ... وقلن : سهمٌ ، فقال القلبُ : سهمان
ياصورةَ الحُورِ فى جِلباب فانيةٍ ... وكوكبَ الصبحِ فى أعطاف إنسان
مُرِى عَصِىَّ الكرى يَغشَى مُجامَلَةً ... وسامِحِى فى عناق الطيفِ أجفانى
فحسبُ خَدَّىْ مِنْ عَيْنَىَّ ما شربا ... فمثل ما قد جرى لم تلقَ عينان

وقال :

قالوا له : رُوحى فِداه ... هذا التجنِّى ما مَداه ؟
أنا لم أقم بصدودِه ... حتى يُحمِّلَنى نَواه
تجرى الأمور لغايةٍ ... إلَّا عذابى فى هواه

---

١ — الأنداء : الأمطار .

سمّيتُه بدرَ الدُّجى ومن العجائب لا أراه
ودعوتُه غصنَ الرّيا ضِ ، فلم أجِدْ رَوْضًا حواه
وأقولُ عنه : أخو الغزا لِ ، ولا أرى إلَّا أخاه
قال العواذلُ : قد جفا ما بالُ قلبِك ما جفاه ؟
أنا لو أطعتُ القلبَ فيه لم أزِدْه على جَواه
والنُّصحُ مُتَّهَمٌ وإن نَثَرَتْهُ كالدُّرِّ الشفاه
أذُنُ الفتى فى قلبه حيناً ، وحينًا فى نُهاه

وقال :

مقاديرُ من جَفنَيْكِ حوّلْنَ حاليا فذُقْتُ الهوى من بعد ما كنتُ خاليا
نفذْن عليَّ اللبَّ بالسهم مُرْسَلًا وبالسِّحر مَقْضِيًّا ، وبالسيف قاضيا
وألبَسْنَنى ثوبَ الضَّنى فلبستُه فأَحْبِبْ به ثوباً وإن ضمَّ باليا
وما الحبُّ إلَّا طاعةٌ وتجاوزٌ وإن أكثروا أوصافَه والمعانيا
وما هو إلا العينُ بالعين تلتقى وإن نوّعوا أسبابَه والدَّواعِيا
وعندى الهوى ، موصوفُه لا صفاتُه إذا سألونى : ما الهوى ؟ قلتُ : ما بيا
وبى رَشَأٌ قد كان دنيايَ حاضِرًا فغادَرَنى أشتاقُ دُنيايَ نائيا
سمحتُ برُوحى فى هواه رخيصةً ومَنْ يَهْوَ لا يُؤثِرْ على الحبِّ غاليا
ولم تَجْرِ ألفاظُ الوشاة بريبةٍ كهذى التى يجرى بها الدّمعُ واشِيا
أقول لمن وَدَّعْتُ والركبُ سائرٌ : برغم فؤادى سائرٌ بفؤاديا
أماناً لقلبى من جفونِكِ فى الهوى كفى بالهوى كأْسًا ، وراحاً ، وساقيا

ولا تجعليه بين خدَّيْكِ والنوى　　من الظلم أن يغدو لنارَيْن صاليا
ولم يَنْدملْ من طعنة القَدِّ جُرحُه　　فرفقًا به من طعنة البيْن داميا

وقال :

أهلَ القُدودِ التى صالت عَوَاليها　　اللهَ فى مُهَجٍ طاحت غَوَاليها
خُذْن الأمانَ لها لو كان ينفعها　　واردُدْنها كرَماً لو كان يُجديها
وانظرنَ ما فعلَتْ أحْداقُكُنّ بها　　ما كان من عَبَثِ الأحداقِ يكفيها
تعرّضت أعينٌ مِنّا ، فعارَضَنا　　على (الجزيرة) سِرْبٌ من غَوَانيها
ما ثُرْن من كُنُسٍ(١) إلّا إلى كُنُسٍ　　من الجوانح ضَمَّتْها حَوَانيها
عَنَّتْ لنا أُصُلًا ، تُغْرِى بنا أَسَلًا　　مَهزوزةً شكَلاً ، مشروعةً تِيها(٢)
وأَرْهَفَتْ أعْيُنًا ضَعْفَى حمائلُها　　نَشْوَى مَناصِلُها ، كَحْلَى مَواضِيها
لنا الحبائلُ نُلْقِيها نَصِيدُ بها　　ولم نَخَلْ ظَبَيَاتِ القاعِ تلْقِيها
نُصَبْنها لكَ من هُدْبٍ ومن حَدَقٍ　　حتى انثنيْتَ بنفسٍ عزَّ فاديها
من كلّ زهراءَ فى إشراقها ضَحِكَت　　لَبّاتُها عن شبيه الدُّرّ مِن فيها
شمسُ المحاسنِ يُسْتَبْقَى النهارُ بها　　كأن يُوشَعَ مفتونٌ يُجاريها
مَشت على (الجسر) رِيماً فى تلفُّتها　　للناظرين ، وباناً فى تَثَنِّيها
كأن كلَّ غوانيه ضرائرُها　　عُجْبًا ، وكلّ نواحيه مَرائِيها
عارَضْتُها وضميرى من محارمها　　يَزْوَرُّ عن لحظاتى فى مَساريها
أعِفُّ من حَلْيها عمّا يُجاوِرُه　　ومن غلائلها عمّا يُدانيها
قالت : لعلّ أديبَ النيلِ يُحرجُنا　　فقلت : هل يُحرجُ الأقمارَ رائيها

١ ـ الكنس : جمع كناس ، وهو بيت الظبى　٢ ـ يقال : شكلت المرأة شكلا : كانت ذات شكل أى غنج ودلال وغزل .

بينى وبينك أشعارٌ هتفتُ بها ماكنتُ أعلم أن الرِّيم يرويها

والقولُ إن عفّ أو ساءت مواقِعُه

صدى السريرةِ والآدابِ يَحكِيها

وقال :

أدارى العيونَ الفاتراتِ السَّواجيا

وأشكو إليها كَيْدَ إنسانِها لِيا

قتلنَ ومنَّين القتيلَ بألْسُنٍ من السحر يُبْدِلْنَ المنايا أمانيا

وأَنَشْنَ بالألحاظِ مَرْضَى كَلِيلةً

فكانت صِحاحاً فى القلوب مَواضِيا

حَبَبْتُكِ ذاتَ الخالِ ، والحبُّ حالةٌ إذا عرَضت للمرءِ لم يَدْرِ ماهيا

وإنكِ دُنيا القلب مهما غَدَرْتِه أتى لكِ مملوءًا من الوجْد وافيا

صدودُكِ فيه ليس يألُوه جارحاً ولفظُكِ لا ينفَكُّ للجرح آسِيا

وبين الهَوى والعَذْلِ للقلب موقِفٌ

كخالِكِ بينَ السيفِ والنارِ ثاويا (١)

وبين المُنى واليأسِ للصبر هِزَّةٌ

كَخَصْرِكِ بينَ النَّهْدِ والرِّدْفِ واهيا

وعرّض فى قومى ، يقولونَ : قد غوى

عدِمتُ عذولى فيكِ إن كنتُ غاويا

يَرومونَ سُلوانًا لقلبى يُريحُهُ ومن لِىَ بالسُّلْوانِ أشريه غاليا ؟

وما العشقُ إلا لذةٌ ثم شِقوةٌ كما شَقِىَ المخمورُ بالسُّكرِ صاحيا

---

١ — يعنى الشاعر بهذه التورية أن خالها بين نار الخد — وهى كناية عن الحمرة — وبين سيف اا ؛ وهو معروف

متفرقات

مَصايرُ الأيَّامِ

ألا حَبَّذَا صُحبةُ المكتَبِ وأحبِبْ بأيَّامه أحببِ !

وياحبّذا صِبيةٌ يَمرحو ن ، عِنانُ الحياةِ عليهم صَبى

كأنهمو بَسماتُ الحيا ةِ وأنفاسُ رَيْحانِها الطيِّب

يُراحُ ويُغدَى بهم كالقَطيـ ـع على مشرِقِ الشمس والمَغرب

إلى مَرْتَعٍ ألِفوا غيرَه وراعٍ غريبِ العصا أجنبي

ومُستقبَلٍ من قيود الحيا ةِ شديدٍ على النفس مُستصعَب

فِراخٌ بأيكٍ : فمن ناهضٍ يَروضُ الجناحَ ، ومن أزغَب

مقاعِدُهم من جَناحِ الزَّما نِ وما علِموا خطَرَ المَرْكَب

عصافيرُ عند تَهجِّى الدرو سِ(١) ، مِهارٌ عرابيدُ فى المَلْعَب

خَلِيُّون من تَبِعات الحيا ةِ ، على الأُمِّ يُلقونها والأب

جنونُ الحَداثةِ من حولهم تضيقُ به سعَةُ المذهب

عدا فاستبدَّ بعقل الصبىّ وأعدى المؤدّبَ حتى صَبى !

لهم جَرَسٌ مُطرِبٌ فى السرا ح ، وليس إذا جَدَّ بالمطرِب

توارتْ به ساعةٌ للزما نِ على الناس دائرةُ العَقرب

تشُولُ(٢) بإبرتها للشبا بِ ، وتقذِف بالسّم فى الشُّيَّب

١ ــ المهار : جمع مهر ، والعرابيد جمع عربيد بالكسر ، والعربيد الكثير العربدة ٢ ــ تشول : ترفع ، أخذا من قولهم : شالت الناقة ذنبها اذا رفعته.

يَدُقُّ بمِطرقتيْها القضا ءِ وتجرى المقاديرُ فى اللَّوْلَب
وتلك الأَواعى بأَيْمانهم(١) حقائبُ فيها الغدُ المُختَبى
ففيها الذى إن يُقِم لا يُعدَّ من الناس، أويمضِ لايُحسب
وفيها اللُّواءُ، وفيها المنا رُ، وفيها التَّبيعُ، وفيها النَّبى
وفيها المؤخَّرُ خلفَ الزحا مِ، وفيها المقدَّمُ فى الموكِب

* * *

جميلٌ عليهم قشيبُ(٢) الثيا بِ، وما لم يُجمَّل ولم يَقشب
كساهم بَنانُ الصِّبا حُلَّةً أعزَّ من المخمِلِ المُذْهَب
وأبهى من الورد تحت الندى إذا رفَّ فى فرعه الأهْذب
وأطهرَ من ذيلها لم يَلُمّ من الناس ماشٍ، ولم يَسحَب

* * *

قطيعٌ يُزَجِّيه راعٍ من الدهـ رِ، ليس بليِّنٍ ولا صُلَّب
أهابت هِرواتُه بالرِّفا قِ، ونادت على الحُيَّدِ الهُرَّب
وصرَّفَ قطعانَه، فاستبدّ ولم يخشَ شيئًا، ولم يَرهَب
أراد لمن شاءَ رَعْىَ الجَدِيـ بِ، وأنزلَ من شاءَ بالمُخصِب
ورَوَّى على رِيِّها النَّاهلا تِ، وردَّ الظِّماءَ فلم تَشْرَب
وألقى رِقاباً إلى الضاربيـ نَ، وضَنَّ بأُخرى فلم تُضرَب
وليس يبالى رضا المستَريـ حِ، ولا ضَجَرَ الناقمِ المُتعَب
وليس بمُبْقٍ على الحاضريـ نَ، وليس بباكٍ على الغُيَّب

* * *

فياوَيْحَهم! هل أحَسُّوا الحيا ةَ؟ لقد لعبوا وهْىَ لم تَلْعَب
تجرُّبُ فيهم وما يعلمو نَ، كتجربة الطبِّ فى الأرْنب

---

١ ـ الايمان جمع يمين، وهى اليد اليمنى ٢ ـ القشيب: الجديد.

سقتْهم بسُمّ جرى فى الأُصو ل ، ورَوّى الفروعَ ولم يَنضُب
ودار الزمانُ ، فدالَ الصِّبا وشبَّ الصِّغارُ عن المكتب
وجَدَّ الطِّلابُ ، وكدَّ الشبا بُ وأَوغَل فى الصَّعب فالأَصعب
وعادت نواعِمُ أَيّامِه سِنينَ من الدَّأْبِ المُنصِب
وعُذِّبَ بالعلم طُلّابُه وغصُّوا بِمَنْهَلِهِ الأَعذب
رَمَتْهم به شهواتُ الحيا ةِ ، وحُبُّ النَّباهَةِ والمَكسب
وزَهْو الأُبُوَّةِ من مُنجبٍ يفاخرُ مَنْ ليس بالمُنجب
وعقلٌ بعيدُ مَرامى الطِّما حِ ، كبيرُ اللُّبانةِ والمأْرَب
وَلوعُ الرّجاءِ بما لم تَنَلْ عقولُ الأَوالى ولم تطلُب
تنقَّلَ كالنَّجم من غَيْهَبٍ يَجوبُ العصورَ إلى غَيْهَب
قديمُ الشُّعاعِ كشمسِ النها رِ جديدٌ كمِصباحها المُلهب
أَبوقْراطُ مثلُ ابنِ سينا الرئيـ ـسِ ، وهوميرُ مثلُ أَبى الطَّيِّب
وكلُّهمو حَجَرٌ فى البنا ءِ ، وغرسٌ من المثمرِ المُعقِب

* * *

تُؤلِّفُهم فى ظِلال الرخا ءِ ، وفى كَنَفِ النسبِ الأَقرب
وتَكسِرُ فيهم غرورَ الثرا ءِ ، وزَهْوَ الولادةِ والمنصِب
بيوتٌ مُنَزَّهةٌ كالعتيـ ـقِ وإن لم تُستَّرْ ولم تُحجَب
يُدانى ثراها ثَرَى مكَّةٍ ويقربُ فى الطُّهر من يَثرب
إذا ما رأَيتَهمو عندها يموجون كالنحل عند الرُّبى
رأَيتَ الحضارةَ فى حصنِها هناك ، وفى جُنْدِها الأَغلب

وتَعرِضُهم مَوكِبًا موكِبًا وتسأل عن عَلَم الموكِب
دَعِ الحظَّ يطلُعْ به فى غدٍ فإنَّك لم تَدرِ من يجتبى
لقد زيَّنَ الأرضَ بالعَبْقَرِىّ مُحَلِّى السماواتِ بالكوكب

* * *

وَخَدَّشَ ظفرُ الزمانِ الوجو هَ، وغيَّض من بشرِها المُعْجِب
وغال الحداثةَ شَرْخُ الشبا بِ، ولُوشِيَتِ المُرْدُ فى الشُّيَّب
سَرَى الشيبُ مُتَّئِدًا فى الرءو سِ سُرَى النارِ فى الموضع المُعْشِب
حريقٌ أحاطَ بخيط. الحيا ةِ، تعَجَّبْتُ كيف عليهم غَبِى؟
ومن تَظهرِ النارُ فى دارِه وفى زرعه منهمو يَرْعَب
قد انصرفوا بعد علمِ الكتا بِ لبابٍ من العلم لم يُكْتَب
حياةٌ يُغامِرُ فيها امرؤٌ تسلَّحَ بالنَّابِ والمِخْلَب
وصار إلى الفاقةِ ابنُ الغنىّ ولاقى الغِنَى ولدُ المُتْرب
وقد ذهب الممتلى صِحَّةً وصَحَّ السقيمُ فلم يَذْهَب
وكم مُنْجِبٍ فى تَلَقِّى الدرو سِ تَلَقَّى الحياةَ فلم يُنجِب
وغاب الرفاقُ، كأن لم يكن بهم لك عهدٌ، ولم تَصْحَب
إلى أن فنوا ثُلَّةً ثُلَّةً فناءَ السرابِ على السَّبْسَب

لُبْنَان

السِّحْرُ من سُود العيونِ لقيتُهُ والبابِلِىُّ بلحظهنّ سُقِيتُهُ
الفاتراتِ وما فَتَرْنَ رمايةً بمُسَدَّدٍ بينَ الضلوع مَبيتُه
الناعساتِ الموقظاتِ للهوى المُغْرِياتِ به وكنتُ سَلِيتَه

القاتلاتِ بعابثٍ فى جَفنه ثمل الغِرار مُعَرْبِد إصْليته(١)
الشارعاتِ الهُدْبَ أمثالَ القنا يُحيي الطَّعينَ بنظرة ويُميته
الناسجاتِ على سواء سطورهِ سَقماً على منوالهن كُسِيته

* * *

وأَغنَّ أكحلَ من مَها «بِكْفيّة» علِقت محاجرُه دمى وعَلِقته
لُبنانُ دارَتُه وفيه كِناسُه بين القنا الخطَّار خُطَّ نحيته
السلسبيلُ مِن الجداول وِرْدُه والآسُ من خُضْرِ الخمائل قوتُه
إن قلتُ تمثال الجمال مُنَصَّبا قال الجمال براحتىَّ مَثلْته
دخل الكنيسةَ فارتقبْتُ فلم يُطِل فأتيت دون طريقِه فزحمته
فازْور غضباناً وأعرض نافِرًا حالٌ من الغِيد الملاحِ عرفتُه
فصرفتُ تلْعَابى إلى أترابه وزَعمتهن لُبانتى فأَغرتُه
فمشى إلىّ وليس أوّلَ جوْذَرٍ وقعت عليه حبائلى فقنصته
قد جاء من سحر الجفون فصادَنى وأتيتُ من سحر البيان فصدْته
لما ظفرتُ به على حَرَم الهُدَى لابن البتول وللصلاة وهبته(٢)
قالت ترى نجمَ البيان فقلت بل أُفق البيان بأَرضكم بمته
بلغ السُّها بشموسه وبدُوره لُبنانُ وانتظم المشارقَ صيته
من كلّ عالى القدر من أعلامه تتهالُ الفُصْحى إذا سميته
حامى الحقيقة ، لا القديم يئُودُه حفظاً ولا طلبُ الجديد يفوته
وعلى المشيد الفخمِ من آثاره خلُق يبين جلالُه وثبوته
فى كلِّ رابيةٍ وكل قرارة تبْرُ القرائح فى التراب لمحته
أَقبلتُ أبكى العلم حول رسومهم ثم انثنيت إلى البيان بكيته

١ ــ الاصليت : السيف ــ ٢ ــ ابن البتول هو المسيح عليه السلام .

لبنانُ والخُلد ، اختراع الله لم ... يُوسَم بأَزينَ منهما ملكوته
هو ذِرْوة فى الحسن غير مَرُومة ... وذُرا البراعة والحجى « بَيروته »
مَلِكُ الهضاب الشم سلطانُ الرُّبى ... هامُ السحاب عروشه وتُخوته
سيناءُ شاطَره الجلالَ فلا يُرى ... إلّا له سُبُحاته(١) وسُموته(٢)
والأبلقُ الفردُ انتهت أوصافهُ ... فى السُّودد العالى له ونعوته
جبل عن آذار يُزْرى صيفُه ... وشتاؤه يَئِد القرى جبروته
أبهى من الوَشْى الكريم مروجُه ... وألَذُّ من عَطلِ(٣) النُّحور مُروتُه(٤)
يغْشى روابيَه على كافورها ... مِسْك الوهادِ فَتيقُه وفَتيتُه(٥)
وكأن أيامَ الشباب ربوعُه ... وكأن أحلامَ الكعاب بيوتُه
وكأن ريْعانَ الصِّبا ريْحانُه ... سِرُّ السرور يَجودهُ ويقوتُه(٦)
وكأن أثداءَ النواهد تِينُه ... وكأن أقراط الولائد توته
وكأن هَمس القاع فى أُذن الصفا(٧) ... صوتُ العتابِ ظهوره وخُفوته
وكأن ماءهما وَجَرْسَ(٨) لُجَينه ... وَضحُ(٩) العروس تبينه وتصيتُه(١٠)

* * *

زعماء لُبنان وأهلَ نَديِّه ... لبنانُ فى ناديكمو عظمتُه
قد زادنى إقبالُكم وقبولُكم ... شرَفاً على الشرف الذى أوليته
تاجُ النيابة فى رفيع رءوسكم ... لم يُنْشر لؤلؤه ولا ياقوتُه

١ـ السبحة : بضمتين : الجلال ٢ـ السمت بالفتح : هيئة أهل الخير، ٣ـ عطل النحر من الحلى : خلا ٤ـ المروت : جمع مرت وهى المفازة بلا نبات ٥ـ فتق المسك ، استخرجه بشىء يدخله عليه ، والفتيت : المفتوت ٦ ـ يقوته : يطعمه ٧ ـ الصفا : الصخر ٨ ـ الجرس : الصوت ٩ ـ الوضح : حلى من الفضة ١٠ ـ تصيته : تجعله يصوت .

«موسى»(١) عدوُّ الرِّقِّ حولَ لوائكم ... لا الظُّلمُ يرْهبه ، ولا طاغوتُه
أنتم وصاحبكم إذا أصبحتمو ... كالشهرِ أكملَ عدَّة موقوتُه
هو غرَّةُ الأيامِ فيه ، وكلكم ... آحادُه في فضلها وسُبوته

المُؤْتمر(٢)

صرحٌ على الوادى المباركِ ضاحى ... مُتظاهرُ الأعلامِ والأوْضاحِ
ضافى الجلالة كالعَتيق مُفَصل ... ساحاتِ فضل فى رِحابٍ سَماح
وكأن رَفْرَفَه رِواقٌ من ضحًى ... وكأن حائطَه عمودُ صَبَاح
الحقُّ خَلْفَ جَناحٍ استَذرَى(٣) به ... ومَرَاشِدُ السلطانِ خلفَ جَناح
هو هيكلُ الحريّةِ القانى ، له ... ما لِلهياكلِ من فِدًى وأضاح
يبنى كما تُبنى الخنادقُ فى الوغى ... تحتَ النبالِ وصَوْبِها السَّحّاح
يَنهارُ الاستبدادُ حولَ عِراصِه ... مِثلَ انهيارِ الشِّركِ حولَ (صَلاح)(٤)
وَيُكَبُّ طاغوتُ الأُمور لوَجهِه ... مُتَحَطِّمَ الأَصنامِ والأَشباح
هو ما بَنى الأَعْزَال بالرَّاحات ، أو ... هو ما بَنى الشهداءُ بالأَرواح
أخذَتْه (مصرُ) بكل يومٍ قانىٍ ... وَرْدِ الكواكب أحمرِ الإِصْباح
هَبَّتْ سِماحاً بالحياةِ شبابها ... والشيبُ بالأَرْماق غَيْرُ شحاح
ومشتْ إلى الخيل الدوَارع وانبرَتْ ... للظّافر الشاكى بغير سِلاح
وَقَفاتُ حقٍّ لم تقفْها أُمّةٌ ... إلا انْثنتْ آمالُها بنجاح

---

١ — موسى نمور بك رئيس مجلس النواب اللبنانى — ٢ — مؤتمر سياسى اجتمعت فيه كلمة الاحزاب السياسية المصرية على انقاذ الدستور برياسة المغفور له سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٦ ٣ — استذرى : استظل .
٤ — صلاح : اسم لمكة .

إذا الشُّعوبُ بَنَوْا حقيقةَ مُلْكِهِم   جعلوا المآتمَ حائطَ الأفراحِ

* * *

بشرى إلى الوادى تهزُّ نَباتَه   هَزَّ الربيعِ مَناكِبَ الأدواح
تسرى ملمَّحة الحجول(١) على الرُّبى   وتسيل غُرَّتُها بكل بِطاح
التَامَتِ الأحزابُ بعدَ تَصَدُّعٍ   وتصافتِ الأقلامُ بعد تَلاحِى
سُحِبَتْ على الأحقاد أذيالُ الهوى   وَمَشَى على الضِّغْن الودادُ الماحى
وَجَرَتْ أحاديثُ العتابِ كأنها   سَمَرٌ على الأوتارِ والأقداح
ترْمى بِطرْفِكَ فى المجامع لا ترى   غيرَ التعانُقِ واشتباكِ الراح

* * *

شمسَ النهارِ ، تعلَّمِى الميزانَ من   (سَعْدٍ) الديار وشيخِها النَّضَّاح(٢)
مِيلى انظُريه فى النَّدِىِّ كأنَّه   (عثمانُ) عن أمِّ الكتابِ يُلاحِى
كم تاجِ تضحيةٍ وتاجِ كرامةٍ   للعين حولَ جبينه اللماحِ
والشيبُ مُنْبَثِقٌ كنور الحقِّ من   فوْدَيْه ، أو فجرِ الهدى المِنْصاحِ(٣)
لَبَّى أذانَ الصُّلحِ أوّلَ قائمٍ   والصُّلحُ خُمس قواعِد الإصلاح
سبقَ الرجَالَ مُصافِحًا ومُعانِقًا   يمْنىُ السَّماحِ وهيكَلَ الإسجاح(٤)
(عدلى) الجليل ابن الجليلِ من المَلا   والماجد ابن الماجد المِسماح
حُلْوُ السجيَّة فى قناةٍ مُرَّةٍ   ثَمِلُ الشمائل فى وَقارٍ صاح

* * *

شَتَّى فضائلَ فى الرجال ، كأنها   شَتَّى سلاحٍ من قنًا وصِفاح(٥)
فإذا هىَ اجتمعت لِمُلك جَبْهَةً   كانت حصونَ مَناعَةٍ ونِطاح
اللهُ ألَّف للبلاد صدورَها   من كل داهيةٍ وكل صُراح

---

١ ــ الحجول : الخلاخيل   ٢ــ النضاح : الرامى بالنبل وهو كناية عن الحامى والمدافع ــ٣ــ المنصاح : الخالص ــ٤ــ يقال سجح خلقه : سهل ولان   ــ ٥ ــ الصفح : السيوف .

وزراءُ مملكةٍ . دعائمُ دولةٍ أعلامُ مُؤْتَمرٍ . أسودُ صَباحٍ (١)
يَبنون بالدستورِ حائطَ مُلكِهم لا بالصِّفاحِ ولا على الأرْماحِ
وجَوَاهرُ التيجانِ مالم تُتَّخَذْ من مَعدِنِ الدستورِ غيرُ صِحاحِ

* * *

احْتَل حِصْنَ الحقِّ غيرُ جنودِهِ وتكالبت أيْدٍ على المفتاحِ
ضَجَّتْ على أبطالها ثُكُناتُه واسْتوْحَشَتْ لِكُماتِها النُّزاحِ
هُجِرَت أرائِكُهُ ، وعُطِّلَ عودُه وخلا من الغادين والرُّوّاحِ
وعَلاهُ نَسْجُ العنكبوتِ . فزاده كالغارمِين شرفٍ وسمتٍ(٢) صلاحِ

* * *

قلْ للبنين مقالَ صدقٍ . واقْتَصِدْ ذَرْعُ الشباب يضيق بالنُّصّاحِ :
أنتم بنو اليوم العصيبِ . نشأتمو فى قَصْفِ أنواءٍ ، وعَصْفِ رياحِ
ورأيتمو الوَطَنَ المؤلَّفَ صخرةً فى الحادثات وسَيْلِها المجتاحِ
وشهدتمو صَدْعَ الصفوفِ وما جَنَى من أمْرِ مُفْتاتٍ ونَهْيِ وَقَاحِ
صوتُ الشعوب من الزئير مُجمَّعًا فإذا تفرَّقَ كان بعضَ نُبَاحِ
أظْمَتْكُمو الأيامُ ، ثم سقتكمو رَنقًا من الإحسانِ غيرَ قَراحِ
وإذا مُنِحْتَ الخيرَ من مُتَكلِّفٍ ظَهَرَتْ عليه سجيّةُ المنّاحِ
تركَتْكُمو مثلَ المَهيضِ جناحُه لا فى الحبال ، ولا طليق سَراحِ
مَنْ صَيَّرَ الأغلالَ زَهْرَ قَلائدٍ وكسا القيودَ محاسنَ الأوضاحِ؟
إن التى تبغون ؛ دون منالِها طولُ اجتهادٍ ، واضطرادُ كِفاحِ
سيروا إليها بالأناة طويلةً إن الأناةَ سبيلُ كلِّ فَلاحِ
وخذوا بناءَ المُلكِ عن دستوركم إن الشِّراعَ مُثَقِّفُ الملّاحِ

١ـ صباح هنا : اى حرب ٢ـ السمت : هيئة اهل الخير .

يا دارَ محمودٍ ، سَلِمْتِ ، وبورِكتْ   أركانُكِ الهرميّةُ الصُّفّاح (١)
وازددْتِ من حسنِ الثناء وطيبه   حجرًا هو الدُّرِّىُّ فى الأمداخ
الأُمّةُ انتقلَتْ إليكِ ، كأنّما   أنزلْتِها من بيتها ، بجناح
بركاتُ شيخٍ بالصعيد مُحمَّل   عِبْءَ السنينَ مُؤمِّلٍ نفّاح
بالأمسِ جادَ على الصعيدِ بابنه   واليومَ آواها بأكْرَم ساح

النَّسْرُ المِصْرىُّ(٢)

أعُقابٌ فى عَنان الجوِّ لاح   أم سحابٌ فرّ من هُوج الرياحْ؟
أم بساطُ الريحِ ردّته النوى   بعد ما طوَّف فى الدهر وساحْ ؟
أو كأنّ البرجَ ألقى حوتَه   فتراءى فى السماوات الفِساح

* * *

أقبلَتْ مِنْ بُعْدٍ تحسبُها   نَخْلَةً عَنَّتْ وطَنَّتْ فى الرياح
يا سلاحَ العصر بُشْرِنا به   كلُّ عصرٍ بكَمِىٍّ وسلاح
إن عزًّا لم يظلَّلْ لى غدٍ   بجناحَيْكَ ذليلٌ مُسْتَباح
فتكاثرْ وتألّفْ فَيْلَقاً   تَعْصِمُ السِّلمَ وتعلو للكفاح
مصرُ للطير جميعًا مسرحٌ   مالنا فيه ذُنابَى أو جَناح
رُبَّ سِرْبٍ قاطعٍ مَرَّ به   هبط الأرض مَلِيًّا واستراح
لِمَ لا يفتن فتيانَ الحمى   ذلك الإقدامُ ، أو ذاك الطِّماح ؟
من فتًى حلّ من الجوِّ بهم   فتلقَّوْهُ على هامٍ وراح

---

١ – الصفاح : حجارة عريضة –٢– قيلت بمناسبه قدوم صدقى الطيار المصرى الأول من برلين الى القاهرة طائرا فى سنه ١٩٣٠

إنه أوّلُ عُصفورٍ لهم هزّ فى الجوِّ جَناحيْه وصاح
دَبّتْ الهِمّةُ فيه ، ومشت عزماتٌ منكَ يا (حربُ) صِحاح(١)
ناطَحَ النّجمَ فتًى علّمَتَه فى حياةٍ حُرّةٍ كيف النِّطاح
لك فى الأجيالِ تمثالٌ مشى وجدوا الرشدَ عليه والصّلاح
جاوز النيل وعبْرَيْه إلى أكَم الشام وهاتيك البطاح

* * *

فارسَ الجوِّ ، سلامٌ فى الذُّرَى وعلى الماء ، ومن كل النواح
ثِبْ إلى النجم ، وزاحِمْ ركنَه وامتلئْ من خُيَلاءٍ ومِراح
إنَّ هذا الفتحَ لا عهدَ به لضِفافِ النيلِ من عهد (فتاح)
تلك أبوابُ السماء انفتحت ما وراء البابِ ياطيرَ النجاح؟
أسماءُ النيلِ أيضاً حَرَمٌ من طريق الهندِ ، أم جَوٌّ مُباح؟

* * *

عينُ شمسٍ مُلِئَتْ من موكب كان للأبطالِ أحياناً يُتاح
ربّما جلَّل وجهَ الأرض ، أو ربّما سدَّ على الشمسِ السراح
إن يَفُتْه الجيشُ أو روعتُه لم يفتْه النَّشَأُ الزُّهْرُ الصِّباح
وفِدى (فائزةٍ) سُمْرُ القَنا وفِدى حارِسِها بيضُ الصِّفاح
ولقد أبطأْتَ حتى لم يَنَمْ للحمى ليلٌ ولم يَنعم صَباح
فابتغى العُذْرَ كِرامٌ ، وانبَرَتْ ألسنٌ فى الثَّلْمِ والهَدْمِ فِصاح
تلتوى الخيلُ على راكبها كيف بالعاصف فى يوم الجِماح؟
ليس مَنْ يركبُ سَرْجاً لَيِّنًا مثلَ مَنْ يركب أعرافَ الرياح
سِرْ رُوَيْدًا فى فضاءٍ سافرٍ ضاحكِ الصفحةِ كالفردوس صاح

---

١ — طلعت بك حرب مدير بنك مصر .

طارت عَيْنًا به الشمسُ ، فلو خُيِّرَتْ لم تتحفَّز للرواح
وتكاد الطيرُ من خفَّته تتعالى فيه من غير جَناح
قف تأمل من عُلُوٍّ قُبَّةً رُفِعتْ للفصل والرأيِ الصُّراح
نزل النوّابُ فيها فتيةً فى جَناح وشيوخاً فى جَناح
حملوا الحقَّ وقاموا دونَهُ كرَعِيلِ الخيل أو صفٍّ الرماح

* * *

يا أبا الفاروقِ ، مَنْ ترعى فنى كنَفِ الفضل وفى ظلِّ السَّماح
أنت من آبائك السُّحْب ، وما فى بناء السُّحُبِ الأَيدى الشِّحاح
يَدُكَ السَّمْحَةُ فى الخير ، وفى هِمَّةِ الغَرْسِ ، وفى أَسْوِ الجراح
نحن أفلحنا على الأرض بكم ورجونا فى السماوات الفلاح

تُوتْ عَنْخ آمُون وَالبَرْلمان

قُمْ ، سابِقِ (الساعةَ) ، واسْبِقْ وعدَهَا
الأَرضُ ضاقَت عنكَ ، فاصدعْ غِمْدَهَا

واملأْ رماحاً غورَها ونَجْدَها والفتح أُصولَ النيل واستردَّها
شَلَّالَها ، وعَذْبَها ، وعِدَّها (١) واصرفْ إلينا جَزْرَها ومَدَّها
تلك الوجوهُ لا شَكَوْنا فَقْدَهَا بَيَّضتِ القُرْبَى لنا مُسْوَدَّها
سُلِلْتَ من (وادى الملوكِ)فازْدَهَى وأَلقت الشمسُ عليه زَأْدَها
واسترجَعتْ دولتُه إفرِنْدَها أَبيضَ ، ريَّانَ المُتونِ ، وَرْدَها
أَبْلَى ظُبَى الدهرِ ، وفَلَّ حَدَّها وأَخْلَقَ العصورَ ، واستجدَّها

---

١ — العد : الماء الجارى له مادة لاتنقطع .

سافَرَ أربعينَ قَرْنًا عدَّها ... حتى أتى الدارَ ، فألْفَى عِندها
إنجلترا ، وجَيْشَها ، ولُوردَها ... مَسلولَةَ الهِندِيِّ تَحمِي هِنْدَها
قامت على السودانِ تَبْنِي سدَّها ... وركَزتْ دونَ القناةِ بَنْدَها(١)

* * *

فقال والحسرةُ ما أشدَّها ... : ليت جدارَ القبرِ ما تَدَهْدَها(٢)
وليتَ عَيني لم تفارق رَقْدَها ... قُمْ نَبِّني يا بنتوُورُ : ما دها؟(٣)
مِصرُ فَتاتِي لم تُوَقِّرْ جَدَّها ... دَقَّتْ وراءَ مَضجعِي جازْبَنْدَها
وخَلَطتْ ظِباءَها وأُسْدَها ... وسكبَ الساقِ الطِّلا ، وبَدَّها(٤)
قد سَحبتْ على جلالي بُرْدَها ... ليتَ جلالَ الموتِ كان صَدَّها

* * *

فقلت : يا ماجدَها وجَعْدَها(٥) ... لولم تلكُ ابنَ الشمس كنتَ رِئْدَها(٦)
لَحْدُكَ وَدَّتْهُ النجومُ لحدَها ... أريتنا الدنيا بهِ وجِدَّها
سلطانَها ، وعزَّها ، ورَغْدَها ... وكيف يُعْطَى المتَّقُون خُلْدَها
آثاركم يُخطِي الحسابُ عَدَّها ... انهدَمَ الدهرُ ولم يَهُدَّها
أبوابُكَ اللاَّتى قَصَدْنا قَصْدَها ... (كارترُ) في وجهِ الوفودِ رَدَّها
لولا جهودٌ لا نريدُ جَحْدَها ... وحُرمةٌ من قُربك استمدَّها
قلتُ لك : اضربْ يَدَه وقُدَّها ... وابعث له من البعوضِ نُكْدَها

* * *

مِصرُ الفتاةُ بَلغَتْ أَشُدَّها ... وأثبتَ الدمُ الزكِيُّ رُشْدَها
ولعِبتْ على الحبالِ وَحْدَها ... وجَرَّبَتْ إرْخاءَها وشَدَّها
فأرسلتْ دُعاتَها ولُدَّها (٧) ... في الغرْب سدُّوا عنده مَسَدَّها

---

١ ـ البند : العلم ـ٢ـ تدهده : انقض وتدحرج . ـ ٣ ـ بنتاءور :شاعر مصرى قديم ـ ٤ ـ بد الشيء : فرقه ، وهنا بمعنى أراقها ـ٥ـ الجعد : الكريم . ـ ٦ ـ الرئد : الترب . ـ ٧ ـ اللد : الأشداء في الخصومة .

وبَعَثت للبرلمان جُنْدَها وحَشَدَتْ للمِهْرَجانِ حَشْدَها
حَدَتْ إليه شِيبَها ومُرْدَها وأبرزَتْ كَعابَها وخَوْدَها
ونثرتْ فوق الطريق وَرْدَها واستقبَلت فؤادَها ووَفْدَها
مَوْئلَها ، وكهفَها ، ورِدَّها (١) وابنَ الذين قَوَّموا مَقدَّها
وأنَّفوا بعد انفراطٍ عِقْدَها وجَعلوا صحراءَ ليبيا حَدَّها
وبَسطوا على الحجازِ أَيْدَها وصيَّروا العَاتِيَ فيه عَبْدَها
حتى أتى الدارَ التى أعدَّها لمصرَ تبْنِى فى ذَراها مَجْدَها
فثبَّتَ الشُّورى ، وشَدَّ عَقْدَها وقلَّدَ الجيلَ السعيدَ عَهْدَها
سُلْطَتُه إلى بنينا ردَّها
يارَبِّ قَوِّ يَدَهَا ، وشُدَّها وافْتح لها السُّبْلُ ، ولاتَسُدَّها
وقِسْ لكلِّ خطْوَةٍ ما بعدها وعن صغيرات الأُمور حُدَّها
واصرف إلى جِدِّ الشئونِ جِدَّها ولا تُضِعْ على الضحايا جُهْدَها
واكبحْ هوى الأنفُسِ ، واكْسِرْ حِقْدَها
واجمعْ على الأُمِّ الرَّءُوم وُلْدَها
واملأْ بألبانِ النُّبوغِ نَهْدَها ولا تَدَعْها تُحْيِ مُسْتَبِدَّها
وتنتحِتْ براحَتَيْها فَرْدَها

مَصْرَعُ اللُّوردِ كِتْشنر

قِفْ بهذا البحرِ وانظُرْ ماغَمَرْ مظهر الشمس وإقبال القمرْ
واعرضِ الموجَ مَلِيًّا ، هل ترى غَمْرَةً أَوْدَتْ بخَوَّاض الغُمَر ؟
أخذَتْ ناحيةَ الحقِّ بهِ وسبيلَ الناس فى خالى العُصُر

---

١ — الرد : العماد .

نَبَعَ اللُّبْثَ وإن طال المدَى ... فَلَكٌ ما لعصاه مُسْتَقَرّ
الدُّولابِ بالناس على ... جانبَيْهِ المُرْتَقَى والمُنْحَدَر
نقضَ (الإيوانَ) من آساسِهِ ... وأتى (الأهرامَ) من أُمِّ الحُجَر
ومَحا (الحمراءَ)(١) إلا عمدًا ... نَزْعُها من عَضُدِ الأرضِ عَسِر
أين (رومِيَّةُ)؟ ما قَيْصَرُها؟ ... ما لياليها المُرِنَّاتُ الوَتَر؟
أين (وادى الطَّلْحِ)(٢) واللاَّئى به ... من دُمًى يَسْحَبْنَ فى المِسْكِ الحِبَر(٣)
أين (نابليونُ)؟ ما غاراتُه؟ ... شَنَّها الدهرُ عليه من غِيَر
أيُّها الساكنُ فى ظلِّ المنى ... نَمْ طويلاً، قد تَوَسَّدْتَ الزَّهَر
شجرٌ نامٍ، وظِلٌّ سابغٌ ... بَيْدَ أن الصِّلَّ(٤) فى أصل الشجر
يَذَرُ المرءُ ويأتى ما اشتهى ... وقضاءُ اللهِ يأتى ويَذَر
كلُّ محمولٍ على النعش أخٌ ... لك صافٍ ودُّه بعدَ الكَدَر
إنْ تكن سِلْمًا له لم ينتفع ... أو تكن حرباً فقد فات الضَّرَر
راكبَ البحرِ، أمَوْجٌ ما ترى؟ ... أم كتابُ الدهرِ، أم صُحْفُ القَدَر؟
لُجَّةٌ (كاللَّوْحِ)، لا يُحْصَى على ... قَلَمِ القُدرةِ فيها ما سطِر
فتلفَّتْ، وتنسَّمْ حكمةً ... والمِسِ العِبْرَةَ من بين الفِقَر(٥)
وتأمَّلْ مَلعباً أعْجَبُهُ ... آيةً جانبُه المُرْخَى السُّتُر
ههنا تمشى الجوارى مَرَحاً ... وجَوارى الدَّهرِ يَمْشِينَ الخَمَر(٦)
رُبَّ سيفٍ ضرَب الجمع به ... فى كنوز البحر مطروح الكِسَر(٧)
ونِجاد لم يُطاوِل صَحْوَةً ... ناله الفجرُ عِشاءً بالقِصَر

---

١ — الحمراء: قصر عظيم بالأندلس — ٢ — وادى الطلح: منتزه بأشبيلة للمعتمد بن عباد ٣ — الحبر: جمع حبرة، وهى ضرب من برود اليمن ٤ — الصل: الثعبان ٥ — الفقر: كل كلام مختار نظما كان أو نثرا. ٦ — يمشى الخمر: جملة تقال لمن يختل صاحبه ٧ — الكسر: جمع كسرة: وهى القطعة من الشىء.

وسفين آمر فيها البِلى ... طالما أَوْحَتْ إليه فأْتَمَر
ووجوه ذهب الماءُ بها ... فى نهار الفَرْقِ ، أو ليلِ الشَّعَر
وعيون ساجياتٍ سُجِّيَتْ ... برُفاتِ السحرِ ، أو فَلِّ الحَوَر(١)
قُلْ لِلَيْثٍ خُسِفَ الغِيلُ به ... بين طِمٍّ ، وظلامٍ مُعْتَكِر(٢)
انظر الفُلْكَ : أَمِنْهَا أثرٌ ؟ ... هكذا الدنيا إذا الموتُ حَضَر
هذه منزلةٌ لو زدتَها ... ضاق عنك السعدُ ، أوضاق العُمُر
فامْضِ شيخًا فى هوى المجدِ قضَى ... رحمةَ المجدِ ، ورفقاً بالكِبَر
مِيتةٌ لم تَلْقَ منها عَلَزًا(٣) ... من وَقار الليْثِ أن لا يُحْتَضَر

* * *

أنتمُ القومُ حِمَى الماء لكم ... يَرجع الوِرْدُ إليكم والصَّدَر
لُجَجُ الدَّأماء أوطانٌ لكم ... ومن الأَوطانِ دُورٌ وحُفَر
لَسْتَ فى البحرِ وحيدًا ،فاستَضِف ... فيه آباءك تنزِلْ بالدُّرَر
رسَبوا فيه كراماً وطفا ... طائفُ النصرِ عليهم والظَفَر

* * *

نَشَأ (النيلِ) ، إليكم سِيرة ... لكمو فيها عِظاتٌ وعِبَر
إقرأوها يَكْشِف العصرُ لكم ... كلَّ عصرٍ برجالٍ وسِيَر
لا تقولوا : شاعرُ الوادى غَوَى. ... مَنْ يُغَالِطْ نفْسَه لا يعتبر
موقفُ التاريخ من فوق الهوى ... ومَقامُ الموتِ من فوق الهَذَر
ليس مَنْ مات بخافٍ عنكمو ... أو قليلِ الفعلِ فيكم والأثَر
شِدْتُمو دنياهُ فى أَحْسَنِها ... غزوة السودان والفتحَ الأَغَرّ
وبنى مملكةَ النُّوبِ بكم ... فاذكروا القتلى ، ولا تنسوا البِدَر(٤)

---

١ ــ الفل : الكسر فى حد السيف ــ٢ــ الطم : البحر ــ٣ــ العلز : القلق والهلع من الموت ٤ ــ البدر : جمع بدرة ، وهى عشرة آلاف درهم •

واحذَروا من قِسْمَةِ النيلِ فيا ضيْعَةَ الوادى إذا النيلُ شُطِر

* * *

رجلٌ ليس ابنَ (قارونَ) ، ولا بابن (عادىٍّ) من العَظْمِ النَّخِر
ليس بالزاخر فى العلم ، ولا هو ينبوعُ البيانِ المنفَجِر
رَضَع الأَخلاقَ من ألبانها إن للأَخلاق وقعاً فى الصِّغَر
ورآها صورةً فى أُمَّةٍ ومن القُدْوَةِ ما تُوحِى الصُّوَر
ذلك المجدُ ، وهذى سُبْلُهُ بَيِّنٌ فيها سبيلُ المُعْتَذِر
أَبْعَدَ الساعونَ يَبغُون المَدى والمدى فى المجد دانٍ لِنَفَر
كجياد السَّبْقِ ، لن تُغنِيَها أدواتُ السبْقِ ما تغنى الفِطَر

* * *

وجَناحُ السِّلمِ إلا أنها ساعةَ الرَّوْعِ جَناحٌ من سَقَر
من حديدٍ جانِباها سابغٍ ربَض الموتُ عليه وفَغَر
أشبَهَتْ أفواهُها أَعجازَها قُنْفُذٌ فى اليَمِّ مشروعُ الإبَر
أَرهفَتْ سَمْعَ العصا(١) واكتحلت إِثْمِدَ الزرقاء(٢) فى عرض السَّدَر(٣)
وتؤدِّى القولَ ، لا يسبِقُها رُسُلُ الأَرواحِ فى نَقْلِ الفِكَر
خطَرَتْ فى مَحْجَرَيْها ومشَتْ بعيون الملكِ فى بحرٍ وبَرّ
غابةٌ تجرى بسلطان الشَّرَى خادرًا فى ألف نابٍ وظُفر(٤)
وإذا الموتُ إلى النفس مشى ورَكِبْتَ النجمَ بالموت عَثَر
رُبَّ ثاوٍ فى الظُّبَى مُمْتَنِعٍ سَلَّهُ المِقدارُ من جفن الحَذَر
تسحَبُ الفولاذَ فى مُلْتَطِمٍ بالعوادِى مُتعالٍ مُعْتَكِر

---

١ — العصا : الفرس المشهورة التى ورد ذكرها فى مصرع الزباء ، وقد كانت لقصير الذى يقول فيه المثل « لأمر ما جدع قصير أنفه » ٢ — هى زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر ٣ — السدر : البحر ٤ — الخادر : كناية عن أسد ، يقال أسد خادر : مقيم فى خدره .

لو أشارَتْ جاءها ساحلُهُ   في حديدٍ وعديدٍ مُنْتَصِر
أو فَدَى الميْتَ حَيٌّ فُدِيَتْ   بوَقَاحٍ في الجواري وخَفِر(١)
بعث البحرُ بها كالموج من   لُجَج السِّنْدِ وخُلْجَانِ الخزَر(٢)
لمَسَتْها للمقاديرِ يَدٌ   تلْمس الماءَ فَيَرمى بالشَّرَر
ضربتها وهي سرٌّ في الدُّجى   ليس دونَ اللهِ تحتَ الليلِ سِرّ
وجَفَتْ قلباً ، وخارَتْ جُؤْجُؤاً   ونَزَتْ جَنْبًا ، ونَاءَتْ من أُخَر
طُعِنَتْ ، فانْبَجَسَتْ ، فاسْتصرخت
فأتَاها حَيْنُها ، فَهْيَ خَبَر(٣)

الْبَرْلَمَانُ

على أثر ائتلاف الأحزاب

سكن الزمانُ ، ولانت الأقدارُ   ولكلِّ أمرٍ غايةٌ وقرارُ
أرْخِي الأعِنَّةَ للخطوبِ وردَّها   فَلَكٌ بكلِّ فُجاءة دوّار
يجري بأمرٍ ، أو يدور بضدِّه   لا النقضُ يُعجزه ، ولا الإمرار
هل آذنتنا الحادثاتُ بهدنة ؟   وهل استجاب ، فسالَم المقدار؟
سُدِلَ الستارُ ، وهل شَهِدْتَ روايةً   لم يعترضها في الفصول ستار؟
وجَرتْ فما استولَتْ على الأمد المُنى   وعدَتْ فما حَوَت المدى الأوطار
دونَ الجلاء ، ودون يانِع وَرْدِه   خطواتُ شعبٍ في القَتادِ تُسار
وبناءُ أخلاقٍ عليه من النُّهى   سُورٌ ، ومن عِلْم الزمانِ إطار
وحضارةٌ من منطق الوادي لها   أصلٌ ، ومن أدب البلادِ نِجار

* * *

أعْمَى هوى الوطن العزيز عصابة   مُسْتَهْتَرين ، إلى الجرائم ساروا

١ ـ الوقاح : ذو الوقاحة ، يقال امرأة وقاح الوجه ٢ ـ بحر الخزر : هو بحر قزوين ، والخزر ايضا : جيل من الناس ٣ ـ الحين : الهلاك .

ياسوءَ سُنَّتِهم وقُبْحَ غُلُوِّهم ... إن العقائدَ بالغُلُوِّ تُضار
والحقُّ أرفعُ مِلَّةً وقضيَّةً ... من أن يكون رسولَه الإضرارُ
أُخِذَتْ بذنبهم البلادُ وأُمَّةٌ ... بالريف مايدرون : ماالسُّردار ؟
فى فتنةٍ خُلِطَ البرىءُ بغيرِهِ ... فيها ، ولُطِّخَ بالدم الأبرار
لَقِيَ الرجالُ الحادثاتِ بصبرهم ... حتى انجلَتْ غُمَمٌ لها وغِمار
لانوا لها فى شِدَّةٍ وصلابةٍ ... لينَ الحديدِ مَشَتْ عليه النار
الحقُّ أبلجُ ، والكِنانةُ حُرَّةٌ ... والعزُّ للدستور والإكبارُ
الأمرُ شورَى ، لا يَعِيثُ مُسَلَّطٌ ... فيه ، ولا يَطْغَى به جبّار
إن العنايةَ للبلاد تخيَّرَتْ ... والخيرُ ماتقضى وما تختار
عهدٌ من الشُّورَى الظَّليلةِ نُضِّرَتْ ... آصالُه ، واخْضَلَّت الأسحار
تجنى البلادُ به ثمارَ جهودها ... ولكل جهدٍ فى الحياةِ ثمار
بنيانُ آباءٍ مَشَوْا بسلاحهم ... وبَنِينَ لم يجدوا السلاحَ فثاروا
فيه من التلِّ المُدَرَّجِ حائطٌ ... ومن المشانق والسجون جِدار
أبت التقيُّدَ بالهوى ، وتَقَيَّدَتْ ... بالحقِّ أو بالواجبِ الأحرارُ
فى مجلس لا مالُ مصرَ غنيمةٌ ... فيه ، ولا سلطانُ مصر صَغارُ
ما للرجال سوى المَراشد منهجٌ ... فيه ، ولا غيرَ الصَّلاحِ شِعار
يتعاونون كأهل دارٍ زُلْزِلَتْ ... حتى تَقَرَّ وتَطمئِنَّ الدار
يُجرون بالرفق الأُمورَ وفُلْكَها ... والريحُ دونَ الفلكِ والإعصارُ
ومع المجدِّدِ بالأناة سلامةٌ ... ومع المجدِّد بالجِماح عِثار
الأُمَّةُ ائتلَفَتْ ، ورَصَّ بناءها ... بانٍ زعامتُه هدًى ومَنار
أسدٌ وراءَ السنِّ مَعقودُ الحُبا ... يأبَى ويَغضبُ للشَّرَى ويَغار
كَهْفُ القضيَّةِ لا تنام نُيوبُه ... عنها ، ولا تتناعس الأظفار

يومَ الخميس ، وراءَ فجرِك للهدى | صبحٌ ، وللحقّ المبين نهار
ما أنت إلّا فارسِىٌ ، لَيْلُهُ | عُرسٌ ، وصدرُ نهارِه إعذار
بَكَرَتْ تُزاحِم مِهْرَجانَك أمّةٌ | وتلَفَّتَتْ خلفَ الزحامِ ديار
وروى مواكبَك الزمانُ لأهله | وتنقَّلَتْ بجلالها الأخبار
أقبلْتَ بالدستور أبْلَجَ زاهرًا | يَفْتَنُّ فى قَسَماتِه النُّظار
وذُؤابةُ الدنيا تَرِفُّ حَداثةً | عن جانبيه ، وللزمان عِذار
يحمى لَفَائِفَهُ ، ويحرس مَهْدَه | شيخٌ يَذودُ ، وفتيةٌ أنصار
وكأنه عيسى الهُدى فى مهدِه | وكأنّ سعدًا يوسُفُ النجار
التاج فُصِّل فى سمائك بالضحى | منك الحلَى ، ومن الضحى الأنوار
يكسو من الدستور هامةَ رَبِّهِ | ما ليس يكسو الفاتحين الغار
بالحق يفتح كلُّ هادٍ مُصلحٍ | ما ليس يفتح بالقنا المِغْوارُ

* * *

وطنى ، لديكَ — وأنت سَمْحٌ مُفْضِلٌ —
تُنْسَى الذنوبُ ، وتُذكَر الأعذار
تاب الزمانُ إليكَ من هفواته | بوزارة تُمْحَى بها الأوزار

وقال وقد أُلقيت فى حفلة نسائية عظيمة انعقدت بدار التمثيل العربى برئاسة السيدة هدى شعراوى

قُلْ للرِّجَالِ : طغى الأسيرْ | طيرُ الحِجالِ متى يَطيرْ ؟
أوْهَى جناحَيْهِ الحديـ | ـدُ ، وحَزَّ ساقَيْهِ الحرير
ذهب الحِجابُ بصبره | وأطال حيْرتَه السُّفور
هل هُيِّئَتْ دَرَجُ السما | ء له ، وهل نُصَّ الأثير ؟
وهل استمرَّ به الجَنا | حُ ، وهَمَّ بالنَّهْض الشكير ؟(١)

---

١ — الشكير : صغار الريش بين كباره ٠

وسما لمَنزله من الد نيا ، ومنزلُه خطير ؟
ومتى تُساس به الريا ضُ كما تُساس به الوكور ؟
أوَ كُلُّ ما عند الرجا لِ له الخواطبُ والمهور ؟
والسجنُ فى الأكواخ ، أو سجنٌ يقال له : القصور ؟

* * *

تالله لو أن الأد يمَ جميعَه روضٌ ونور
فى كلّ ظلٍّ ربوةٌ وبكلّ وارفة غدير
وعليه من ذَهبٍ سيا جٌ ، أو من الياقوت سور
ما تَمَّ من دون السما ء له على الأرض الحُبور
إن السماء جديرةٌ بالطير ، وهْوَ بها جدير
هي سَرْجُهُ المشدودُ ، وهو على أعِنَّتها أمير
حُرّيَّةٌ خُلِق الإنا ثُ لها ، كما خُلِقَ الذكور

* * *

هاجَتْ بناتِ الشعرِ عيـ نٌ من بنات النيل حُور
لى بينهن ولائدٌ هم من سواد العين نور
لا الشعْر يأْتى فى الجما ن بمثلهن ، ولا البحور
من أجلهن أنا الشفيـ قُ على الدُّمَى ، وأنا الغيور
أرجو وآمل أن ستجـ رى بالذى شِئنَ الأمور

* * *

ياقاسمُ ، انظر : كيف سا ر الفكرُ وانتقل الشعور ؟
جابت قضيَّتُكَ البلا دَ ، كأنها مَثَلٌ يسير
ما الناسُ إلا أوّلٌ يمضى فيخلُفه الأخير
الفكرُ بينهما على بُعْدِ المَزارِ هو السفير

هذا البناءُ الفخمُ ليـ ـس أساسُه إلا الحَفير
إن التى خلَّفْتَ أمـ ـسِ، وما سِواكَ لها نصير
نهض الحفىُّ بشأْنها وسعى لخدمتها الظهير
فى ذمة الفُضْلَى هدى جِيلٌ إلى هادٍ فقير
أَقبلْنَ يسأَلْنَ الحضا رةَ ما يُفيد وما يَضير
ما السُّبْلُ بيِّنَةٌ ، ولا كلُّ الهُداةِ بها بصير

* * *

ما فى كتابكَ طَفْرَةٌ تُنْعَى عليكَ ، ولا غرور
هَذَّبْتَهُ حتى استقامت من خلائقك السطور
ووضعْتَه ، وعلمْتَ أن حسابَ واضعِه عسير
لك فى مسائله الكلا مُ العفُّ والجدلُ الوَقور
ولك البيانُ الجذلُ فى أثنائه العلمُ الغزير
فى مطلبٍ خَشِنٍ ، كثـ ـيرٌ فى مَزالقه العُثور
ما بالكتاب ولا الحديـ ـث إذا ذكرْتَهُما نَكير
حتى لَنسأَلُ : هل تَغا رُ على العقائد ، أم تُغير ؟
عشرون عاماً من زوا لك ما هى الشىءُ الكثير
رُعْنَ النساءَ ، وقد يَرُو عُ المُشْفِقَ الجلَلُ اليسير
فنَسِينَ أنك كالبدو رِ ، ودونَ رِفعتِكَ البُدور
تفنى السِّنون بها ، وما آجالُها إلا شهور

* * *

لقد اختلفنا ، والمُعا شِرُ قد يخالفه العَشير
فى الرأى ، ثُمَّ أهاب بى وبك المُنادِمُ والسَّمير
ومحا الرَّوَاحُ إلى مغا نى الودِّ ما اقترف البُكور

فى الرأى تَضْطَغِنُ العقو لُ وليس تضطغن الصدور

* * *

قل لى بعيشِك : أَين أنـ ـت ؟ وأَين صاحبُك الكبير ؟
أَين الإمامُ ؟ وأَين إسـ ـماعيلُ والمَلأُ المنير ؟
لما نزلتم فى الثرى تاهت على الشهب القبور
عصر العباقرةِ النجو مِ بنوره تمشى العصور

تكْرِيمُ حسَنين بك بمُنَاسَبَة طَيَرانه

جِنٌّ على حَرَمِ السماء أَغاروا أَم فتيةٌ ركبوا الجَناح فطاروا ؟
من كلِّ أَهوجَ فى الهواءِ عِنانُه هُوجُ الرياحِ ، وسَرْجُه الأَعصار
يبغى حجابَ الشمس يطلب عندها
عِزًّا تَحَمَّله الجدودُ وساروا
لم يبقَ منه ومن حضارةِ عهدِه إِلَّا صُوًى مَحجوجةٌ ومنار
ومقالةُ الأَجيالِ لم يَلْحَقْ بهم بانٍ ، ولم يُدرِكْهُمُ حَفَّار

* * *

طلعوا على الوادى براية عصرهم ولكلِّ عصرٍ رايةٌ وشِعار
اثنان ثم ترى النسور كثيرةً من كلِّ ناحية لها أَوْكار
سِرٌّ النجاحِ ورُكْنُ كلِّ حضارةٍ هِمَمٌ من المتطوعين كِبار
نُسِخَتْ بأَبطال السماء بطولةٌ فى الأَرض يوشِكُ ركنُها ينهار
هذا زمانٌ لا الأَعِنَّةُ منزلٌ للبأْس فيه ، ولا الأَسِنَّةُ دار
ماالبأْسُ إلا من جَنَاحَىْ خاطف فى البرِّ والبحرِ اسمُه الطيّار
أترى السلامة فى السماء وظلِّها أَم بالسماء يصولُ الاستعمار ؟

حَرَمُ الهدى والحقِّ رِيعَ جلالُه   وغدا وراح بجانبَيْه دَمار
ياجانبَ الصحراء مِلْءُ سرابها   غَرَرٌ ، ومِلْءُ تُرابها أخطار
يكفيك من هِمَمِ الشجاعةِ ليلةٌ   لك من غوائلها خَلَتْ ونهار
لما اعتمدْتَ على الجناحِ تلفَّتَتْ   بِيدٌ . وقَلَّبَت العيونَ قِفار
فى كلِّ صحراءٍ ، وكلِّ تَنُوفَةٍ   أرضٌ عليك من السماء تَغار
(حَسَنَيْنُ) ،لولم يَعذِروكَ لبادرَتْ   لكَ من لسانِ جراحِكَ الأَعذار
لله سرجُكَ فى السماء . فإنه   سَرْجُ الأَهِلَّةِ ما عليه غُبار
عَرَضَ الخُسوفُ له فما أَزْرَى به   ما فى الخسوف على الأَهِلَّة عار
أوَلَمْ تطأْ أرضَ السماء ، ولم تَدُرْ   حيثُ الشموسُ تَدورُ والأَقمار؟
ألقى أبو الفاروق نحوَك بالَه   وتشاغلت بك أُمَّةٌ ودِيار
مَلِكٌ رُحِمْتَ بقُرْبِهِ وجِوارِه   حتى كأَنك للعناية جار

* * *

نُصِبَ السُّرادِقُ والمطارُ . وحَلَّقَتْ   فى الجوِّ تَلْمَسُ شَخْصَكَ الأَبصار
فلمسْتَ أَقْضِيَةَ السماء ، وأَسْفَرَتْ   حتى نَظَرْتَ وجوهَها الأَقدار
قَدَرٌ على يُمْنَى يَدَيْهِ سلامةٌ   لك حيثُ مِلْتَ ، وفى السماء عِثار
فإذا سَقَطْتَ على حديد مُضْرَمٍ   صَدَفَ الحديدُ ، ولم تَنَلْكَ النار
ماذا لَقِيتَ من النجائب كُلِّها؟   قُلْ لى ، أعندكَ للنجائب ثار؟
هذى تَعَثَّرُ فى الزِّمام ، وتلك لا   تمضى ، وأُخرى فى السُّلوك تَحار
فَشَلٌ يُعَظَّمُ كالنجاح عليه من   شَرَفِ الجروحِ ونورِهِنَّ فَخار
لولم يكن قَتْلَى وجَرْحَى فى الوَغَى   لم يَعْلُ هامَ الظافرين الغار

صَقْرُ قُرَيْش (عَبْدُ الرَّحْمٰن الدَّاخل)

موشح أندلسى

مَنْ لِنضوٍ يتَنَزَّى(١) أَلما بَرَّحَ الشوقُ به فى الغَلَسِ
حَنَّ للْبان وناجَى العَلَما أَين شرقُ الأَرضِ من أَنْدَلُسِ

* * *

بُلْبُلٌ علَّمه البينُ البيانْ بات فى حَبْلِ الشُّجونِ ارتَبكا
فى سماءِ الليلِ مَخلوعَ العِنان ضاقت الأَرضُ عليه شَبَكا
كلما اسْتَوْحَشَ فى ظلِّ الجِنانْ جُنَّ فاسْتَضْحَكَ مِنْ حَيْثُ بكى
ارتدى بُرْنُسَه والْتَثَما وخَطا خُطْوَةَ شَيْخٍ مُرْعَسِ(٢)
ويُرَى ذا حَدَبٍ إن جَثَما فإن ارتَدَّ بدا ذا قَعَسِ(٣)

* * *

قَمُّهُ القانى على لَبَّتِه كبقايا الدَّمِ فى نَصْلٍ دَقيق
مَدَّه فانْشَقَّ من مَنْبِتِه مَنْ رأى شِقَّىْ مِقَصٍ مِنْ عَقيق؟
وبكى شجوًا على شعْبه شَجْوَ ذاتِ الثُّكْلِ فى السِّتْرِ الرَّقيق
سَلَّ من فِيهِ لساناً عَنَمًا(٤) ماضيًا فى البَثِّ لم يَحْتَبِسِ
وتَرٌ من غير ضربٍ رَنَّما فى الدُّجى ، أو شَرَرٌ من قَبَسِ

* * *

نَفَرَتْ لَوْعَتُه بعدَ الهدوءْ والدُّجى بيتُ الجَوَى والبُرَحا
يَتعايا بجَناحٍ ويَنوءْ بجناحٍ مُذْ وَهَى ما صلحا
ساءه الدهرُ ، وما زال يَسوءْ ما عليه لو أَسا ما جَرَحَا

---

١ ـ يتنزي : يتوثب ـ٢ـ المرعس : من رعس الرجل : اذا مشى مشيا ضعيفا من الاعياء ٣ ـ القعس : ضد الحدب ، وهو نتوء الصدر ·
٤ ـ العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ·

كلّما أدمَى يَدَيْه نَدَمَا ... سالتا من طَوْقِه والبُرنُسِ
فنِيَتْ أهدابُه إلّا دَمَا ... قام كالياقوت لم يَنْبَجِسِ(١)

* * *

مَدَّ فى الليلِ أنينًا وَخَفَقْ ... خَفَقَانَ القُرْطِ فى جُنح الشَّعَرْ
فرَغَتْ منه النَّوى غيرَ رَمَقْ ... فضلَةَ الجُرحِ إذا الجُرحُ نَغَرْ(٢)
يتلاشى نَزَوَاتٍ فى حُرَقْ ... كذُبَالِ آخِرَ الليلِ اسْتَعَرْ
لم يكن طَوْقاً ، ولكنْ ضرَما ... ما على لَبَّتِه من قَبَسِ
رحمةُ اللهِ له ! هل عَلِما ... أنّ تلك النفسَ من ذا النَّفَسِ؟

* * *

قُلْتُ للَّيْلِ — وللّيل عَوَادْ — ... مَنْ أخو البَثِّ؟ فقال : ابنُ فِراقْ
قلت : ماواديه؟ قال : الشَّجْوُ وادْ ... ليس فيه من حِجازٍ أو عِراقْ
قلتُ : لكنْ جَفْنُه غيرُ جوادْ ... قال : شرُّ الدمعِ ما ليس يُراقْ
نَغْبِطُ الطيرَ ، وما نعلم ما ... هى فيه من عذاب بَئِسِ
فدَعِ الطيرَ وحظًّا قُسِما ... صَيَّرَ الأَيْكَ كُدورِ الأَنَسِ

* * *

ناحَ إذ جَفْناىَ فى أَسْرِ النجومْ ... رسَفَا فى السُّهْدِ والدَّمعُ طليقْ(٣)
أيُّها الصارخُ من بحر الهموم ... ما عسى يُغْنى غريقٌ عن غريقْ؟
إن هذا السَّهمَ لى منه كُلُومْ ... كلُّنا نازحُ أَيْكٍ وفريق
قلِّب الدنيا تَجِدْهَا قِسَمًا ... صُرِّفَتْ من أَنْعُمٍ أو أَبْؤسِ
وانظر الناسَ تَجِدْ من سَلِما ... من سهام الدهر شَجَّتْهُ القِسِى

* * *

ياشبابَ الشرقِ عُنْوانَ الشبابْ ... ثمراتِ الحَسَبِ الزّاكى النَّمير

---

١ — لم ينبجس : لم يتفجر ٢ — يقال جرح نغاز : أى جياش بالدم .
٣ — رسف مشى مشية المقيد .

حَسْبُكم فى الكرم المحْضِ اللُّبَابْ سِيرةٌ تبقى بقاءَ ابنَىْ سَميرْ(١)
فى كتاب الفخرِ (للداخلِ)(٢) بابْ لم يَلِجْه من بنى المُلْكِ أميرْ
فى الشموس الزُّهْرِ بالشام انتمى ونَمَى الأقمارَ بالأندلسِ
قعد الشرقُ عليهم مأتَما وانثنى الغربُ بهم فى عُرُسِ

* * *

هل لكم فى نَبَإٍ خيرِ نَبَأْ حِلْيةِ التاريخِ، مأثورٍ عظيمْ
حَلَّ فى الأنباء ما حلَّتْ سَبَأْ منزلَ الوُسْطَى من العِقْدِ النَّظيمْ
مِثْلَه المقدارُ يوماً ما خَبَأْ لسَليب التاجِ والعرشِ كَظيم
يُعْجِزُ القُصّاصَ إلا قَلَمَا فى سوادٍ مِنْ هوًى لم يَغْمَسِ
يُؤْثِرُ الصدقَ ويَجْزِى عَلَما قَلَبَ العالَمَ لو لم يُطْمَسِ؟

* * *

عن عِصامِىٍّ نبيلٍ مُعْرِقِ فى بُناةِ المَجدِ أبناءِ الفخَارْ؟
نهضت دَوْلَتُهم بالمشرقِ نهضةَ الشمسِ بأطرافِ النهارْ
ثم خان التاجُ وُدَّ المَفْرِقِ ونبَتْ بالأنْجُمِ الزُّهْرِ الديارْ
غفلوا عن ساهرٍ حولَ الحِمى باسطٍ من ساعِدَىْ مُفْترِسِ
حام حولَ الملكِ ثم اقتحما ومشى فى الدم مَشْىَ الضَّرِسِ

* * *

ثأرُ عثمانَ لمروانَ مَجازْ بِدَمِ السِّبْطِ(٣) أثار الأقربونْ
حَشَّنوا للشام ثأراً والحجازْ تتغالى الناسُ فيما يطلبونْ
مَكْرُ سُوّاسٍ على الدَّهْماء جازْ ورُعاةٌ بالرعايا يلعبون
جعلوا الحقَّ لبَغْىٍ سُلَّمَا فهو كالسُّتر لهم والتُّرُسِ
وقديماً باسمه قد ظَلَما كلُّ ذى مِئْذَنةٍ أو جَرَسِ

---

١ — ابنى سمير : الليل والنهار — ٢ — هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بنى أمية فى الأندلس — ٣ — يعنى بالسبط الحسين بن على صلوات الله عليه.

جُزِيَتْ مَرْوَانُ(١) عن آبائِها ... ما أراقوا من دِماءٍ ودُموعْ
ومن النفسِ ومن أهوائها ... ما يؤدِّيه عن الأصلِ الفُروعْ
خلَت الأعوادُ من أسمائها ... وتَغطَّتْ بالمصاليبِ الجُذوعْ
ظَلَمتْ حتى أصابَتْ أظْلَما(٢) ... حاصدَ السيفِ ، وليَّ المَحبَسِ
فَطِنًا فى دعوة الآلِ لما ... هَمس الشَّانِئ وما لم يَهْمِسِ

* * *

لبِسَتْ بُرْدَ النبيِّ النَّيِّراتْ ... من بنى العباس نورًا فوقَ نُورْ
وقديماً عند مَرْوَانٍ تِراتْ ... لزكِيَّاتٍ من الأنفُسِ نُورْ
فنجا الداخلُ سَبْحًا بالفُراتْ ... تاركَ الفتنةِ تطْغَى وتَنور(٣)
غَسَّ(٤) كالحُوتِ به واقتحما ... بين عِبْرَيْهِ عيونَ الحرَسِ
ولقد يُجْدِى الفتى أن يَعلَما ... صَهوةَ الماءِ ومَتْنَ الفَرَسِ

* * *

صَحِبَ الداخلَ من إخْوَتِهِ ... حَدَثٌ خاض الغُمَارَ ابْنَ ثَمَانْ
غلَبَ الموجَ على قُوَّتِه ... فكأنَّ الموجَ من جُندِ الزمانْ
وإذا بالشَّطِّ من شِقْوَتِهِ ... صائحٌ صاحَ به : نِلتَ الأمانْ
فانثنى مُنْخَدِعاً مُسْتَسْلِما ... شاةٌ اغْتَرَّتْ بعهدِ الأطْلَسِ(٥)
خَضَبَ الجندُ به الأرضَ دَمًا ... وقلُوبُ الجندِ كالصخرِ القَسِى

* * *

أيُّها اليائسُ ، مُتْ قبلَ المماتْ ... أو إذا شئتَ حياةً فالرَّجا
لا يَضِقْ ذَرْعُك عند الأزَماتْ ... إن هى اشتدَّتْ وأمِّلْ فَرَجا
ذلك الداخلُ لاقَى مُظْلِماتْ ... لم يكن يأْمُل منها مَخْرَجا

---

١ – يعنى بمروان : بنى مروان –٢– الاظلم هنا : هو ابومسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى العباس وقد سلب بنى أمية ملكهم –٣– نارت الفتنة : وقعت وانتشرت –٤– غس : دخل ومضى –٥– الأطلس : الذئب .

قد تَوَلَّى عِزَّه وانصرَما ــ فمضى من غَدِه لم يَيْأَسِ
رامَ بالمغرب مُلْكًا فرمى ــ أبعدَ ، الغَمْرِ ، وأقصى اليَبَسِ

* * *

ذاك ــ والله ــ الغِنَى كلُّ الغِنَى ــ أىّ صعبٍ فى المعالى ما سَلَكْ
ليس بالسائل إن هَمَّ : مَتى؟ ــ لا . ولاالناظرِ ما يُوحِى الفَلَكْ
زايَلَ المُلْكُ ذَوِيهِ فأَتى ــ مُلكَ قومٍ ضَيَّعوه فملَكْ
غَمَراتٌ عارَضَتْ مُقْتَحِما ــ عالِىَ النفسِ أَشَمَّ المَعْطِسِ(١)
كلُّ أَرضٍ حَلَّ فيها ، أو حِمَى ــ منزلُ البدرِ ، وغابُ البَيْهَسِ(٢)

* * *

نَزَلَ النَّاجى على حُكم النَّوَى ــ وتَوارَى بالسُّرَى من طالبِهْ
غيرَ ذى رَحْلٍ ولا زادٍ سوى ــ جَوْهَرٍ وافاه من بيت أبيهْ
قمرٌ لاقى خُسوفاً فانزَوى ــ ليس من آبائه إلا نبيهْ
لم يَجِدْ أعوانَه والخَدَما ــ جانبوه غيرَ (بَدْرٍ) الكَيِّسِ
من مَوَالِيه الثِّقاتِ القُدما ــ لم يخنه فى الزمان المُونِسِ

* * *

حينَ فى إفريقيا انحلَّ الوِئَامْ ــ واضمحلَّتْ آيةُ الفتحِ الجليلْ
ماتت الأُمَّةُ فى غير التئامْ ــ وكثيرٌ ليس يلتامُ قليلْ
يَمَنٌ سَلَّتْ ظباها والشآمْ ــ شامَهَا(٣) هِنْدِيَّةٌ ذاتَ صَليلْ
فرَّق الجندَ الغِنَى فانقَسَما ــ وغدا بينهم الحقُّ نَسِى
أَوحَشَ السُّؤددُ فيهم . وسَما ــ للمعالى مَنْ به لم تَأْنَسِ

* * *

رُجِموا بالعَبقرىِّ النَّابِهِ ــ البعيدِ الهِمَّةِ الصَّعْبِ القِيادْ

---

١ ــ المعطس : الأنف ــ٢ــ البيهس : الأسد ــ٣ــ شام : سل .

مَنْ فى الفتحِ وفى أطنابِهِ   لم يَقِفْ عندَ بِناءِ ابنِ زِيادْ (١)
هجرَ الصَّيْدَ ، فما يُغْنَى به   وهْوَ بالملك رفيقٌ ذو أصطيادْ
سَلْ به أندلساً : هل سَلِما   من أخى صَيْدٍ رفيقٍ مَرِسٍ ؟ (٢)
جرَّد السيفَ . وهزَّ القلما   ورمى بالرأى أمَّ الخُلَسِ (٣)

* * *

بسلامٍ يا شِراعًا ما دَرَى   ما عليه من حياءٍ وسَخاءْ
فى جَنَاحِ المَلَكِ الرُّوح (٤) جَرَى   وبريحٍ حفَّها اللطفُ رُخَاءْ
غسل اليَمُّ جِراحَاتِ الثَّرى   ومحا الشِّدَّةَ مَنْ يمحو الرَّخاءْ
هل دَرى أندلُسٌ مَنْ قدِمَا   دارَه من نحو بيتِ المَقدِسِ ؟
سليل الأَمويِّين سَما   فتحُ موسى مُسْتَقِرَّ الأُسُسِ

* * *

أمويٌّ للعُلا رِحلَتُهْ   والمعالى بمطِيٍّ وطُرُقْ
كالهلال انفردَتْ نُقْلَتُهْ   لا يُجاريه ركابٌ فى الأُفُقْ
بُنِيَتْ من خُلُقٍ دُولتُهْ   قد يَشِيدُ الدُّوَلَ الشُّمَّ الخُلُقْ
وإذا الأخلاقُ كانت سُلَّما   نالت النجمَ يَدُ المُلتَمِسِ
فارْقَ فيها تَرْقَ أسبابَ السما   وعلى ناصيةِ الشمسِ أجْلِسِ

* * *

أىّ مُلكٍ من بِداياتِ الهِمَمْ   أَسَّسَ الدّاخلُ فى الغربِ وشادْ ؟
ذلك الناشئُ فى خيرِ الأُمَمْ   ساد فى الأرض ولم يُخْلَقْ يُساد
حكمَتْ فيه الليالى وحَكَمْ   فى عَوادِيها قِيادًا بقِيادْ
سُلِبَ العزَّ بشرقٍ فرَمى   جانبَ الغربِ لعزٍّ أقْعَسِ

---

١ — هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس فى عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى ٢ — المرس : الشديد المجرب فى الحروب . يقال : أنه لمرس حذر ٣ — الخلس : جمع خلسة وهى الفرصة
٤ — الملك الروح : جبريل .

وإذا الخيرُ لعبدٍ قُسِما ... سنح السَّعدُ له فى النَّحَسِ

* * *

أيُّها القلبُ . أحقٌّ أنتَ جارْ ... للذى كان على الدهر يجيرْ ؟
هاهنا حلّ به الرّكبُ وسارْ ... وهنا ثاوٍ إلى البعث الأسيرْ
فَلَكٌ بالسعدِ والنحسِ مُدارْ ... صَرع الجَامَ(١)وألْوَى بالمُديرْ
هاهنا كنتَ تَرى حُوَّ الدُّمَى ... فاتنات بالشِّفاه اللُّعُسِ(٢)
ناقلاتٍ فى العَبيرِ القَدَما ... واطئاتٍ فى حَبير السُّندُسِ

* * *

خُذْ عن الدنيا بليغَ العِظَةِ ... قد تَجَلَّتْ فى بليغ الكَلِمِ
طرَفاها جُمِعا فى لَفظَةِ ... فتأمَّلْ طرَفَيْها تَعْلَمِ
الأمانى حُلُمٌ فى يَقْظَةِ ... والمنايا يقظةٌ من حُلُمِ
كلُّ ذى سِقْطَيْنِ(٣) فى الجوِّ سما ... واقعٌ يوماً وإن لم يُغْرَسِ
وسيلقى حَيْنَهُ نَسْرُ السما ... يوم تُطْوَى كالكتاب الدرس

* * *

أين — يا واحدَ مروانَ — عَلَمْ ... من دعاك الصقر سَمَّاه العُقابْ؟(٤)
رايةٌ صرفَّها الفرْدُ العَلَمْ ... عن وجوه النصر تصريفَ النقابْ
كنتَ إن جرَّدْتَ سيفًا أو قَلَمْ ... أُبْتَ بالألباب أو دِنْتَ الرِّقابْ
ما رأى الناسُ سواه عَلَما ... لم يُرَمْ فى لُجَّةٍ أو يبسِ
أعلى رُكن السِّماك ادَّعَما ... وتغطَّى بجَناح القُدُسِ

* * *

قصرُك (المُنْيَةُ) من قُرْطُبَةٍ ... فيه وارَوْكَ : ولله المَصيرْ

١ — الجـام : الكأس —٢— اللعس : سـواد مستحسن فى الشفة .
٣ — السقط : جناح الطائر —٤— العقاب : اسم راية الداخل .

صَدَفٌ خُطَّ على جوهرةٍ بَيْدَ أن الدهر نَبَّاشٌ بصيرْ
لم يَدَعْ ظلاً لقصر (المُنْيَةِ) وكذا عُمْرُ الأمانِيِّ قصيرْ
كنتَ صقرًا قُرَشِيًّا عَلَمَا ما على الصقر إذا لم يُرْمَسِ
إن تَسَلْ : أين قبورُ العُظَما ؟ فعلى الأفواه أو فى الأنفُسِ

* * *

كم قبورٍ زَيَّنَتْ جِيدَ الثرى تحتها أنجسُ من مَيْتِ المجوسْ
كان مَنْ فيها وإن جازوا الثرى قبلَ موتِ الجسم أمواتُ النفوسْ
وعظامٌ تتزكَّى . عنبرا من ثناءٍ صِرْنَ أغفالَ الرُّموسْ
فاتخِذْ قبرَكَ من ذِكرٍ ، فما تَبْنِ من محموده لا يُطْمَسِ
هَبْكَ من حرص سكنْتَ الهرما أين بانيه المنيعُ الملْمَسِ ؟!

رَحْلَة

شيّعتُ أحلامى بقلبٍ باكٍ ولمحتُ من طُرُق المِلاحِ شِباكى
ورجعتُ أدراجَ الشباب ووِرْدَه أمشى مكانَهما على الأشواك
وبجانبى واهٍ . كأن خُفوقَه لما تلفَّتَ جَهْشَةُ المتباكى
شاكى السلاحِ إذا خلا بضلوعه فإذا أُهِيبَ به فليس بشاك
قد راعه أنى طوَيْتُ حبائلى من بعد طول تناولٍ وفكاك
وَيْحَ ابنِ جَنْبِى ؟ كلُّ غايةِ لذَّةٍ بعدَ الشباب عزيزةُ الإدراك
لم تبقَ منا ــ يافؤادُ ــ بقيّةٌ لفتوّةٍ ، أو فَضلةٌ لعِراك
كنا إذا صفَّقْتَ نستبق الهوى ونَشُدُّ شَدَّ العُصبةِ الفُتّاك

واليومَ تبعث فيّ حين تَهُزُّني ما يبعث الناقوسُ في النُّسّاك

* * *

ياجارةَ الوادي ، طَرِبْتُ وعادني ما يشبهُ الأَحلامَ من ذكراك
مَثَّلْتُ في الذكرى هواكِ وفي الكرى والذكرياتُ صَدَى السنينَ الحاكي
ولقد مررْتُ على الرياض برَبْوَةٍ غَنَّاء كنتُ حِيالَها أَلقاك
ضحِكَتْ إليَّ وجُوهها وعيونُها ووجدْتُ في أنفاسها ريّاك
فذهبتُ في الأيام أذكر رَفْرَفًا بين الجداولِ والعيونِ حَوَاك
أذكَرْتِ هَرْوَلَةَ الصبابةِ والهوى لما خَطَرْتِ يُقبِّلان خُطاك ؟
لم أدرِ ماطِيبُ العِناقِ على الهوى حتى ترفَّق ساعدي فطواك
وتأَوَّدَتْ أعطافُ بانِك في يدي واحمرّ من خَفَرَيْهما خدّاك
ودخَلْتُ في ليلين : فَرْعِكِ والدُّجى ولثمتُ كالصّبح المنوِّرِ فاكِ
ووجدْتُ في كُنْهِ الجوانحِ نَشْوَةً من طيب فيك ، ومن سُلاف لَمَاك
وتعطَّلَتْ لغةُ الكلامِ وخاطبَتْ عَيْنَيَّ في لغة الهوى عيناك
ومَحَوْتُ كلَّ لُبانةٍ من خاطري ونَسِيتُ كلَّ تَعاتُبٍ وتَشاكي
لا أمسِ من عمرِ الزمان ولا غَدٌ جُمِع الزمانُ فكان يومَ رِضاك

* * *

لُبنانُ : ردّتني إليكَ من النوى أقدارُ سَيْرٍ للحياة دَرَاك
جمعَتْ نزيلَيْ ظَهرِها من فُرقةٍ كُرَةٌ وراءَ صَوالجِ الأَفلاك
نمشي عليها فوقَ كلِّ فجاءةٍ كالطير فوقَ مَكامِنِ الأَشراك
ولو انّ بالشوق المزارُ وجدتني مُلْقَى الرحالِ على ثَراك الذاكي

* * *

بِنْتَ البِقاعِ وأُمَّ بَرَدُونِيِّها طِيبِي كجِلَّقَ ، واسكبي بَرداك

ودِمَشْقُ جَنَّاتُ النعيم ، وإنما … ألفَيْتُ سُدَّةَ عَدْنِهِنَّ رُباك
قَسَمًا لو انتمت الجداولُ والرُّبا … لتهلَّل الفردوسُ ، ثُمَّ نَماك
مَرْآكِ مَرْآه وَعَيْنُكِ عَيْنُه … لِمْ يا زُحَيْلَةُ لا يكون أباك ؟
تلك الكُرُومُ بقيَّةٌ من بابلٍ … هَيْهَاتَ ! نَسَّى البابليَّ جَناك
تُبْدِى كَوَشْيِ الفُرْسِ أَفْتَنَ صِبْغَةٍ … للناظرين إلى أَلَذِّ حِياك
خَرَزاتِ مِسْكٍ ، أوعُقودَ الكهربا … أُودِعْنَ كافورًا من الأَسلاك
فكَّرْتُ فى لَبَنِ الجِنانِ وخمرِها … لما رأيْتُ الماءَ مَسَّ طِلاك
لم أنْسَ من هِبَةِ الزمانِ عَشِيَّةً … سَلَفَتْ بظلِّكِ وانقضَتْ بذَراك
كُنْتِ العروسَ على مِنصَّة جِنْحِها … لُبنانُ فى الوَشْيِ الكريمِ جَلاك
يمشى إليكِ اللَّحظُ فى الديباج أو … فى العاج من أيِّ الشِّعابِ أتاك
ضَمَّتْ ذراعيْها الطبيعةُ رِقَّةً … صِنِّينَ والحَرَمُونَ(١) فاحتضناك
والبدرُ فى ثَبَج السماء مُنَوِّرٌ … سالت حُلاه على الثرى وحُلاك
والنيِّراتُ من السحاب مُطِلَّةٌ … كالغِيد من سِتْرٍ ومن شُبّاك
وكأنَّ كلَّ ذُؤابةٍ من شاهِقٍ … ركنُ المجرَّةِ أو جدارُ سِماك
سكَنَتْ نواحى الليلِ ، إلا أنَّةً … فى الأَيْكِ ، أو وَتَرًا شَجِىَّ حَراك
شرفاً — عروسَ الأَرْزِ — كلُّ خَريدةٍ … تحتَ السماءِ من البلاد فِداك
رَكَزَ البيانُ على ذراك لواءَه … ومشى ملوكُ الشعر فى مَغناك
أُدباؤكِ الزُّهْرُ الشموسُ ، ولا أرى … أرضاً تَمَخَّضُ بالشموس سِواك
من كلِّ أَرْوَعَ عِلْمُه فى شعره … ويراعُه من خُلْقه بمَلاك
جمع القصائدَ من رُباكِ ، وربَّما … سرق الشمائلَ من نسيم صَباك

---

١ ـ هضبتان فى زحلة .

(موسى) ببابكِ فى المكارم والعلا | وعَصاه فى سحر البيانِ عَصاكِ
أحْلَلْتِ شعرى منكِ فى عُليا الذُّرا | وجَمَعتِه بروايةِ الأملاكِ
إن تُكرمى يازَحْلُ شعرى إننى | أنكرْتُ كلَّ قصيدة إلّاك
أنتِ الخيالُ : بديعُهُ ، وغريبُه | اللهُ صاغكِ ، والزمانُ رَواك

ذِكرَى اسْتِقْلالِ سُورِيّا وذِكْرَى شُهَدَائِها

حياةٌ ما نريدُ لها زِيالا | ودنيا لا نَودُّ لها انتقالا
وعيشٌ فى أُصول الموتِ سمٌّ | عُصارتُه ، وإن بَسَط الظلالا
وأيامٌ تطيرُ بنا سحاباً | وإن خِيلَتْ تَدِبّ بنا نِمالا
نُريها فى الضمير هَوًى وحُبًّا | ونُسمِعها التبرُّمَ والملالا
قِصارٌ حين نجرى اللهوَ فيها | طوالٌ حين نقطعها فعالا
ولم تضق الحياةُ بنا ، ولكنْ | زحامُ السوءِ ضيَّقها مَجالا
ولم تقتل براحتها بَنيها | ولكنْ سابقوا الموتَ اقتتالا
ولو زاد الحياةَ الناسُ سعياً | وإخلاصاً لزادتهم جمالا

* * *

كأن الله إذ قَسَم المعالى | لأهل الواجب ادّخر الكمالا
ترى جِدًّا ، ولستَ ترى عليهم | ولوعاً بالصغائر واشتغالا
وليسوا أرغَد الأحياء عيشًا | ولكنْ أنعَمَ الأحياء بالا
إذا فعلوا فخيرُ الناس فعلاً | وإن قالوا فأكرمُهم مَقالا
وإن سَألَتْهُمُو الأوطانُ أعطَوْا | دماً حرًّا ، وأبناء ، ومالا

* * *

بَنِى البلدِ الشقيقِ ، عزاءُ جارٍ   أهاب بدمعه شَجَنٌ فسالا
قضى بالأمس للأبطال حقًّا   وأضحى اليومَ بالشهداء غالى
يُعظِّم كلَّ جُهدٍ عبقرىٍّ   أكان السِّلمَ أم كان القتالا
ومازلنا إذا دَهَت الرزايا   كأرحمِ مايكون البيتُ آلا
وقد أنسى الإساءةَ من حسودٍ   ولا أنسى الصنيعةَ والفَعالا
ذكرتُ المِهْرَجانَ وقد تجلَّى   ووفدَ المشرقين وقد توالى
ودارِى بينَ أعراسِ القوافى   وقد جُلِيَتْ سماءُ لا تُعالَى
تسلَّلَ فى الزحام إلىَّ نِضْوٌ   من الأحرار تحسبه خيالا
رسولُ الصابرين ألمَّ وهناً   وبلَّغنى التحيةَ والسؤالا
دنا مى فناولنى كتاباً   أحسَّتْ راحتاى له جلالا
وجدتُ دمَ الأسودِ عليه مِسْكًا   وكان الأصلُ فى المِسْكِ الغزالا
كأنَّ أسامىَ الأبطالِ فيه   حَوَاميمٌ علىٰ رَقٍّ تتالى
رواةُ قصائدى قد رتَّلوها   وغنَّوْها الأسِنَّةَ والنِّصالا
إذا ركزوا القنا انتقلوا إليها   فكانت فى الخيام لهم نِقالا

* * *

بَنِى سوريَّةَ ، التئموا كيومٍ   خرجتم تطلبون به النِّزالا
سَلُو الحريةَ الزهراءَ عنَّا   وعنكم :هل أذاقتنا الوِصالا؟
وهل نِلْنَا كلانا اليومَ إلا   عراقيبَ المواعدِ والمِطالا ؟
عرفتم مهرَها فمهرتموها   دماً صَبَغَ السباسبَ والدِّغالا
وقمتم دونها حتى خضبتم   هَوَادِجَها الشريفةَ والحِجالا
دعوا فى الناس مفتوناً جباناً   يقول :الحربُ قد كانتْ وبالا

أيطلب حقَّهم بالروح قومٌ فتسمع قائلا :ركبوا الضلالا؟
وكونوا حائطًا لا صدعَ فيه وصفًّا لا يُرَقَّع بالكسالى
وعيشوا فى ظلالِ السلم كدًّا فليس السلمُ عجزًا واتّكالا
ولكن أبْعَدَ اليومين مَرْمىً وخيرَهما لكم نصحاً وآلا
وليس الحربُ مَرْكَبَ كلِّ يومٍ ولا الدمُ كلَّ آونةٍ حلالا

* * *

سأذكر ما حَييتُ جدارَ قبرٍ بظاهر جِلَّق رَكِبَ الرمالا
مقيمٌ ما أقامت (ميسلونٌ) يذكر مصرعَ الأُسدِ الشِّبالا
لقد أوْحَى إلىّ بما شجانى كما توحى القبورُ إلى الثَّكالى
تَغَيَّبَ عظْمةُ العَظَماتِ فيه وأوّلُ سيِّدٍ لَقِىَ النِّبالا
كأن بُناتَهُ رفعوا مَنارًا من الإخلاص، أونصبوا مِثالا
سراجُ الحقِّ فى ثبَجِ الصحارى تَهاب العاصفاتُ له ذُبالا
ترى نورَ العقيدةِ فى ثراه وتَنْشَقُ من جوانبه الخِلالا
مشى ومشَتْ فيالقُ من فرنسا تجرّ مَطارِفَ الظفرِ اختيالا
ملأْنَ الجوّ أسلحةً خِفافاً ووجهَ الأرضِ أسلحةً ثِقالا
وأرسَلْن الرياحَ عليه نارًا فما حفل الجنوبَ ولا الشِّمالا
سلوه : هل ترجَّل فى هبوبٍ من النيران أرْجَلَت الجبالا؟
أقام نهارَه يُلْقِى ويَلْقَى فلما زال قرصُ الشمس زالا
وصاح : ترى به قَيْدَ المنايا ولستَ ترى الشَّكيمَ ولا الشِّكالا
فكُفِّن بالصوارم والعوالى وغُيِّبَ حيثُ جال وحيثُ صالا
إذا مرّتْ به الأجيالُ تَتْرَى سمِعْتَ لها أزيزًا وابتهالا
تَعلَّق فى ضمائرهم صليباً وحلَّق فى سرائرهم هلالا

تمثالُ نَهْضةِ مِصْر

جعلتُ حُلاها وتمثالها عيونَ القوافى وأمثالَها
وأرسلتُها فى سماء الخيال تجرُّ على النجم أذيالها
وإنى لغِرِّيدُ هذى البِطاحِ تَغَذَّى جَناها وسَلْسالها
ترى مِصرَ كعبةَ أشعاره وكلُّ معلَّقةٍ قالها
وتلمَحُ بين بيوتِ القصيدِ حِجالَ(١) العروسِ وأحجالها(٢)
أدار النسيبَ إلى حبِّها وولَّى المدائحَ إجلالها
أَرَنَّ بغابرها العبقرىّ وغنَّى بمثل البُكا حالها
ويَرْوِى الوقائعَ فى شعره يَروضُ على البأس أطفالها
وما لمَحوا بعدُ ماءَ السيوفِ فما ضَرَّ لو لمَحوا آلها

* * *

ويومٍ ظليلِ الضحى من بشَنسَ أفاء على مصرَ آمالها
رَوَى ظِلُّه عن شباب الزمانِ رفيفَ الحواشى وإخضالها(٣)
مشَت مصرُ فيه تُعيد العصورَ ويغمرُ ذكرُ الصِّبا بالها
وتَعْرِض فى المِهرجان العظيمِ ضُحاها الخوالى وآصالها

* * *

وأقبل (رمسيسُ) جَمَّ الجَلالِ سَنِيَّ المواكبِ ، مُختالها
وما دان إلا بِشُورَى الأُمور ولا اختال كِبْرًا ، ولا استالها(٤)
فحيَّا بأَبْلَجَ مثلِ الصَّباحِ وجوهَ البلادِ وأرسالها
وأوْما إلى ظلماتِ القرونِ فشقَّ عن الفنِّ أسدالها

* * *

١ ــ الحجال : جمع حجلة ، وهى بيت العروس ــ٢ــ الأحجال : الخلاخيل ــ٣ــ اخضل الشىء : ابتل ــ٤ــ استالها : أصله استآله ، أى تشبه بالآله .

فمن يُبْلِغُ (الكرنكَ) الأَقصُرىَّ ويُنْبِئُ (طِيبةَ) أطلالها
ويُسمِع ثَمَّ بِوادى الملوكِ ملوكَ الديار وأقيالها
وكلٌّ مخلَّدةٍ فى الدُّمَى هنالك لم نُحْصِ أحوالها
عليها من الوَحْيِ ديباجةٌ ألحّ الزمانُ فما ازدالها
تكاد — وإن هى لم تتصل بروحٍ — تُحَرِّك أوصالها
وما الفنُّ إلا الصريحُ الجميلُ إذا خالَط النفسَ أوحى لها
وما هو إلا جمالُ العقول إذا هى أوْلَتْه إجمالها

* * *

لقد بعث اللهُ عهدَ الفنون وأخرجت الأَرضُ مَثَّالها
تعالوْا نرى كيف سوَّى الصَّفاةَ فتاةً تُلَمْلِمُ سِربالها
دنت من أبى الهول مَشىَ الرَّءُومِ إلى مُقْعَدٍ هاج بَلْبالها
وقد جاب فى سَكَرات الكرَى عُرُوضَ الليالى وأطوالها
وألْقى على الرمل أرْواقَه(١) وأرْسَى على الأَرض أثقالها
يُخال لإِطراقه فى الرِّمال سَطِيحَ(٢) العصورِ ورَمَّالها
فقالت: تَحرَّكْ، فَهمَّ الجمادُ كأَن الجمادَ وعَى قالها
فهل سَكَبَتْ فى تجاليده شُعاعَ الحياةِ وسَيَّالها؟
أتذكُر إذ غضِبَت كاللَّباةِ(٣) ولمّت من الغِيل أشبالها؟
وألقت بهم فى غِمار الخطوبِ فخاضوا الخطوبَ وأهوالها
وثاروا، فجنّ جُنونُ الرياحِ وزُلزِلتِ الأَرضُ زِلزالها

---

١ — يقال ألقى أرواقه بالمكان: نزل به وضرب خيمته ٢ — سطيح: اسم لكاهن من كهان العرب، والسطيح أيضا: البطىء القيام لضعف أو زمانة
٣ — اللباة: لغة فى اللبؤة.

وبات تَلَمَّسُهم شيخَهم حديثَ الشعوب وأشغالها
ومن ذا رأَى غابةً كافحتْ فردَّت من الأَسْرِ رئبالها ؟
وأَهْيَبُ ما كان بأْسُ الشعوبِ إذا سلَّح الحقُّ أَغزَالها

* * *

(فوادُ) ، ارفع السِّترَ عن نهضة تقدّم جَدُّك أبطالها
ورُبَّ امرئٍ لم تَلِده البلادُ نماها ، ونبَّه أنسالها (١)
وليس اللآلئُ مِلْكَ البحورِ ولكنها مِلْكُ من نالها
وما (كعليٍّ) ولا جيلِه إذا عرَضت مصرُ أجيالها
بَنَوْا دولةً من بنات الأَسِنَّةِ لم يشهد (النيلُ) أمثالها
لئن جلَّل البحرَ أسطولُها لقد لبِس البرُّ قسطالها(٢)
فأما أبوكَ فدنيا الحضارةِ لو سالم الدّهرُ إقبالها
تخيّر (إفريقيا) تاجَه وركّب فى التاج (صُومالها)
ركابُك يا (ابن المُعِزِّ) الغُيوثُ ويفضُلْنَ فى الخير مِنوالها
إذا سِرْن فى الأَرض نَسَّيْنها ركابَ السماء وأفضالها
فَلَم تبرح القصرَ إلا شفيْتَ جُدوبَ العقول وإمحالها
لقد ركَّب اللهُ فى ساعديك يمينَ الجدود وشمالها
تخُطُّ وتَبني صُروحَ العلومِ وتفتح للشّرق أقفالها

---

١ ـ انسال : جمع نسل ٢ ـ القسطال : غبار الحرب .

الحُرّيّة الحمْراءُ

قيلت فى احتفال بيوم ١٣ نوفمبر

فِى مِهرجانِ الحقِّ أَو يوم الدمِ ... مُهَجٌ من الشهداء لم تتكلم
يبدو على هاتورَ نورُ دمائها ... كدمِ الحسينِ على هلال محرّم
يومُ الجِهادِ بها كصدر نَهارِهِ ... متَهلِلُ الأَعطافِ مُبْتسِمُ الفم
طلعت تَحُجُّ البيتَ فيه كأَنها ... زُهُرُ الملائكِ فى سماء المَوْسم
لم لا تُطِلُّ من السماء وإنما ... بين السحابِ قبورُها والأَنجم؟
ولقد شَجاها الغائبون، وراعها ... ما حلَّ بالبيت المضىء المظلم
وإذا نظرتَ إلى الحياة وجدْتَها ... عُرساً أُقيم على جوانب مأْتم
لا بُدَّ للحرّية الحمراء من ... سَلوى تُرَقِّد جرحَها كالبَلسم
وتبسُّمٍ يعلو أَسِرَّتَها كما ... يعلو فمَ الثَّكْلَى وثغرَ الأَيِّم
يومُ البطولة لو شهدْتُ نهارَه ... لنظمْتُ للأَجيالِ ما لم يُنْظَم
غُبِنَتْ حقيقتُه، وفات جمالُها ... باغٍ الخيالِ العبقرىِّ الملهَم
لولا عوادى النَّفْىِ أَو عقباتُه ... والنفْىُ حالٌ من عذاب جَهَنَّم
لجمعتُ أَلوان الحوادثِ صورةً ... مَثَّلتُ فيها صورةَ المُسْتبسِلم
وحكيتُ فيها النيلَ كاظمَ غيظِه ... وحكيتُه مُتغيِّظًا لم يَكْظِم
دَعَت البلادَ إلى الغِمار فعامرتْ ... وطنيّةٌ بمُثَقَّفٍ ومُعلِّم
ثارتْ على الحامى العتيدِ، وأَقسمَتْ ... بسواه جلَّ جلالُه لا تحتمى
نثر الكنانةَ ربها، وتخيَّرتْ ... يدُه لنُصرتها ثلاثةَ أَسهم
من كلِّ أَعزلَ حقُّه بيمينه ... كالسيف فى يُمْنَى الكَمِىِّ المُعْلَم
لم يُحجِموا فى ساعةٍ قد أَظفرتْ ... مَلِكَ البحارِ بكلِّ قيْصَرَ مُحجِم

وقفوا مَطِيَّهمو بِسُلَّمِ قصرِه والبأْسُ والسلطانُ دون السُّلَّمِ
وتقدّموا ، حتى إذا ما بلّغوا أَوْحَوْا إلى مصرَ الفتاةِ : تقدَّمى
سالت من الغاب الشُّبولُ غَلا بها لبنُ اللُّباةِ ، وهاج عِرْقُ الضَّيْغَمِ
يومَ النضالِ ، كَسَتْكَ لونَ جمالِها حرّيّةٌ صَبَغَتْ أديمَكَ بالدم
أصبحتَ مِن غُرَرِ الزمان ، وأصبحت
ضحكتْ أَسِرَّةُ وجهِكَ المتجهِّمِ
ولقد يتمْتَ ، فكنت أعظمَ رَوْعةً ياليت من « سعد » الحمى لم تَيتَمِ
لِيَنَمْ أبو الأشبالِ مِلْءَ جفونِه ليس الشُّبولُ عن العرين بنُوَّمِ

وقال فى تكريم الدكتور على بك إبراهيم الجراح العبقرى :

ابتغوا ناصيةَ الشمس مكانا وخُذوا القمّةَ علمًا وبيانا
واطلبُوا بالعبقريات المدى ليس كلُّ الخيلِ يشهدن الرِّهانا
ابعثوها سابقاتٍ نُجُباً تملأُ المضمارَ معنًى وعِيانا
وثِبوا للعزِّ من صَهْوَتِها وخذوا المجدَ عِنانًا فعنانا
لا تُثيبوها على ما قلّدَتْ من أيادٍ ، حسدًا أو شنآنا

* * *

وضئيلٍ من أُساةِ الحىِّ لم يُعْنَ باللحم وبالشحم اختزانا
ضامرٍ فى مُفنَعَة تحسبه نِضْوَ صحراءَ ارتدى الشمسَ دِهانا
أو طبيبًا آيبًا من « طِيبة » لم تَزَلْ تَنْدَى يداه زَعْفَرَانا
تُنكر الأرضُ عليه جسمَه واسمُه أعظمُ منها دَوَرانا
نال عرشَ الطبِّ من « امحوتب » وتَلقّى من يَدَيه الصَّوْلَجانا
يا لأمحوتبَ من مُنْتَسِلِه لم يلد إلا حواريًا هِجانا
خاشعًا لله ، لم يُزْهَ ، ولم يُزْهِق النفسَ اغترارًا وافتتانا

يلمس القدرة لمساً كلّما قلب الموت وجسّ الحيوانا
لو نُرِى اللهُ بمصباحٍ لما كان إلا العلمَ جلّ اللهُ شانا
فى خلالٍ لفتَتْ زهرَ الرُّبَى وسجايا أنسَتْ الشَّرْبَ الدِّنانا
لو أتاه جعًا حاسدُه سَلّ من جنب الحسودِ السرطانا
خيرُ مَنْ علَّم فى «القصر» ومَن شقّ عن مُستتِرِ الداء الكِنانا
كلُّ تعليمٍ نراه ناقصًا سُلَّمٌ رَثٌّ إذا استعمل خانا
دَرَكٌ مُستحدَثٌ من دَرَجٍ ومن الرِّفعة ما حطّ الدخانا

* * *

لا عَدِمْنا «للسيوطىِّ» يدًا خُلقَتْ للفتْقِ والرتْقِ بَنانا
تَصْرِف المِشْرَطَ للبُرْء كما صرف الرُّمْحُ إلى النصر السِّنانا
مَدّها كالأجل المبسوطِ فى طلب البُرْء اجتهادًا وافتنانا
تجد الفولاذَ فيها محسنًا أخذ الرفقَ عليها واللِّيانا
يدُ «إبراهيمَ» لو جئتَ لها بذبيح الطيرِ عاد الطيرانا
لم تَخِطْ للناس يوماً كفنًا إنما خاطت بقاءً وكِيانا
ولقد يُؤْسَى ذوو الجرحى بها من جراح الدهر ، أو يُشْفَى الحزانَى
نَبغَ الجيلُ على مِشْرطها فى كفاح الموتِ ضرباً وطِعانا
لو أتت قبل نضوج الطبِّ ما وَجَدَ التنويمُ عوناً فاستعانا

* * *

يا طِرازًا يبعث اللهُ به فى نواحى مُلْكِهِ آناً فآنا
من رجالٍ خُلِقوا ألويةً ونجوماً ، وغيوثاً ، ورعانا
قادة الناسِ وإن لم يقربوا طَبَعَاتِ الهندِ والسُّمْرَ اللِّدانا

وغذاء الجيلِ فالجيلِ وإن نَسِيَ الأجيالُ كالطفلِ اللِّبانا
وهمو الأبطالُ كانت حربُهم منذ شنُّوها على الجهلِ عَوانا

* * *

ياأخي – والذخرُ في الدنيا أخٌ – حاضرُ الخيرِ على الخيرِ أعانا
لك عند ابْنِيَ – أو عندي – يدٌ لستُ آلوها ادكارًا وصِيانا
حَسُنَتْ منّي ومنه موقعًا فجعلنا حِرْزَها الشكرَ الحُسانا
هل ترى أنتَ ؟ فإني لم أجِدْ كجميلِ الصُّنْعِ بالشكرِ اقترانا
وإذا الدنيا خلَتْ من خيِّرٍ وخلَتْ من شاكرٍ هانت هَوانا
دفع اللهُ «حُسَيْنًا» في يدٍ كيد الألطافِ رِفْقًا واحتضانا
لو تناوَلْتُ الذي قد لمَسَتْ منه مازِدْتُ حِذارًا وحَنانا
جرحُه كان بقلبي ، يا أبًا لا أُنَبِّيه بجُرْحِي كيف كانا ؟
لطف اللهُ فعوفينا معاً وارْتَهنَّا لكَ بالشكرِ لسانا

وقال وهي القصيدة التي أُلقيت في دار الأُوبرا الملكية
في حفلة افتتاح مؤتمر تكريمه الذي انعقد فيها

مرحبًا بالربيع في رَيْعَانِهْ وبأنوارِه وطِيبِ زَمانِهْ
رَفَّت الأرضُ في مواكِب آذا رَ ، وشبَّ الزمانُ في مِهْرَجانِه
نزل السهلَ ضاحكَ البِشْرِ يمشي فيه مَشْيَ الأميرِ في بُستانه
عاد حَلْيًا بِراحَتَيْهِ وَوَشْيًا طولُ أنهارِهِ وعَرْضُ جِنانه
لف في طَيْلَسانِه طُرَرَ الأر ضِ ، فطاب الأديمُ من طيلسانه
ساحرٌ فتنةُ العيونِ مُبِينٌ فصَّل الماءَ في الرُّبا بجُمانه
عبقريُّ الخيالِ ، زاد على الطَّيْ فِ ، وأرْبَى عليه في ألوانه

صِبغَةُ اللهِ ! أين منها رقائيـ ... لُ ومِنقاشُه وسحرُ بَنانه
رنَّم الروضُ جَدولاً ونسيمًا ... وتلا طيرَ أيْكِهِ غصنُ بانه
وشدَت فى الرُّبا الرياحينُ هَمساً ... كتغنِّى الطَّروبِ فى وجدانه
كلُّ رَيْحَانةٍ بلحنٍ كعُرْسٍ ... أُلِّفَتْ للغناء شَتَّى قِيانه
نَغَمٌ فى السماءِ والأرضِ شتَّى ... من معانى الربيعِ أو ألحانه
أين نورُ الربيعِ من زهَر الشِّعـ ... ـرِ إذا ما استوى على أفنانه ؟
سَرْمَدُ الحسنِ والبشاشةِ مهما ... تلتمسْهُ تجِدْه فى إبّانه
حَسَنٌ فى أوانِه كلُّ شىءٍ ... وجمالُ القريضِ بعدَ أوانه
مَلَكٌ ظِلُّهُ على رَبْوَة الخُلـ ... ـدِ ، وكُرسيُّه على خُلجانه
أمَرَ اللهُ بالحقيقةِ والحكـ ... ـمةِ فالتفتّا على صَوْلجانه
لم تَثُرْ أُمَّةٌ إلى الحَقِّ إلا ... بهُدَى الشعرِ أو خُطا شَيْطَانه
ليس ضَرْبُ النحاسِ أوقعَ منه ... فى شجاعِ الفؤادِ أو فى جبانه

* * *

ظلَّلَتنى عنايةٌ من «فؤادٍ» ... ظلَّل اللهُ عرشَهُ بأمانه
ورعانى ، رعَى الإلهُ له «الفارو ... قَ» طفلاً ، ويوم مَرْجُوٌّ شانه
مَلِكُ النيلِ من مَصَبّيْهِ بالشـ ... ـطِّ ، إلى مَنْبَعَيْهِ من سودانه
هو فى المُلك بَدْرُهُ المُتجلِّى ... حُفَّ بالهَالَتَيْنِ من (بَرلمانه)
زادهُ اللهُ بالنيابةِ عِزًّا ... فوقَ عِزِّ الجلالِ من سلطانه

* * *

منبرُ الحقِّ فى أمانةِ «سعدٍ» ... وقِوامُ الأُمورِ فى ميزانه
لم يَرَ الشرقُ داعيًا مثلَ «سعدٍ» ... رَجَّه من بِطاحه ورِعانه(١)

---

١ ــ الرعان : رءوس الجبال .

ذكّرته(١) عقيدةُ الناسِ فيهِ .كيف كان الدخولُ فى أديانه
نهضةٌ من فتَى الشيوخِ وروحٌ سريًا كالشبابِ فى عُنْفُوَانه
حرّكا الشرقَ من سكونٍ إلى القيـ ـدِ ، وثارًا بهِ على أرسانه
وإذا النفسُ أنهضتْ من مريض دَرَجَ البُرءُ فى قُوَى جُثْمانه

* * *

ياعُكاظاً تألّفَ الشرقُ فيه من فِلسطينهِ إلى بَغْدانِه
افتقدْنا الحجَازَ فيه ، فلم نعْـ ـثُرْ على قُسِّهِ ولا سَحْبانه
حملَتْ مصرُ دونَه هيكلَ الدِّ ينِ ، وروحَ البيانِ من فُرْقانه
وُطِّدَتْ فيكَ من دعائمها الفُصْـ ـحى ، وشُدَّ البيانُ من أركانه
إنما أنتَ حَلْبَةٌ لم يُسخَّرْ مثلُها للكلامِ يومَ رِهانه
تتبارى أصائلُ الشامِ فيها والمَذاكِى العِتاقُ من لُبنانه
قلّدتنِى الملوكُ من لؤلؤ البحريْـ ـنِ آلاءها ومن مَرْجانه
نخلة لا تزال فى الشرق معنًى من بداواته ومن عُمرانه
حنَّ للشامِ حِقبةً وإليْها فاتحُ الغرب من بنى مَرْوانه
وحبتْنى بُمْبَاىُ فيها يَراعاً أفْرَغَ الوُدُّ فيه من عِقْيانه
ليس تَلْقَى يراعَها الهندُ إلا فى ذَرَا الخُلْقِ أو وراءَ ضَمانه
أنْتَضِيه انتضاءَ موسى عصاه يَفْرَقُ المستبِدُّ من ثعبانه
يَلْتقِى الوحىَ من عقيدةِ حُرٍّ كالحواريِّ فى مدَى إيمانه
غيرَ باغٍ إذا تطلّبَ حقًّا أو لئيمِ اللَّجَاجِ فى عُدوانه
مُوكِبُ الشعرِ حرّكَ المتنبى فى ثراهُ ، وهزَّ من حَسّانه
شرُفَتْ مصرُ بالشموسِ من الشر قِ نجُومِ البيانِ من أعيانه

---

١ — الضمير عائد على الشرق .

قد عَرَفْنا بنجْمَهِ كلَّ أفقٍ — واستبنّا الكتابَ من عُنوانه
لستُ أنسى يدًا لإخوانِ صدقٍ — منحونى جزاءَ مالمْ أُعانِه
رُبَّ سامى البيانِ نَبَّهَ شأْنى — أنا أسمو إلى نَباهة شانه
كان بالسبقِ والميادينِ أَوْلَى — لو جرى الحظُّ فى سَواءِ عنانه
إنما أظهروا يدَ اللهِ عندى — وأذاعوا الجميلَ من إحسانه
ما الوحيقُ الذى يذوقون من كرْ — مِى ، وإن عِشْتُ طائفاً بدِنانه
وهَبونى الحَمامَ لذَّةَ سجعٍ — أينَ فضلُ الحمَام فى تَحنانه ؟
وَتَرٌ فى اللّهاةِ(١) ، ما للمُغَنِّى — من يدٍ فى صَفائه ولِيانه

* * *

رُبَّ جارٍ تَلفَّتَتْ مصرُ تُوليـ — ـه سؤالَ الكريمِ عن جيرانه
بَعثتْنى معزِّياً بمآقى — وطنى ، أو مُهنِّئًا بلسانه
كان شعرى الغناءَ فى فرح الشر — قِ ، وكان العَزاءَ فى أحزانه
قد قضى اللهُ أن يؤلِّفنا الجر — حُ ، وأن نلتقى على أشجانه
كلما أنَّ بالعراقِ جريحٌ — لمس الشرقُ جَنْبَه فى عُمانه
وعلينا كما عليكم حديدٌ — تَتنزَّى اللُّيُوثُ فى قُضبانه
نحن فى الفقه بالديار سَواءٌ — كلُّنا مشفِقٌ على أوطانه

تم بحمد الله

---

١ — اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى اقصى الفم .

فهرس

الجزء الثانى من الشوقيات

باب الوصف

صفحة قصيدة

٣ آية العصر مطلعها :
يافرنسا ؛ نلت أسباب السماء   وتقلدت مقاليد الجواء
٦ شكسبير ، مطلعها :
أعلى الممالك ما كرسيه الماء   وما دعامته بالحق شما
٩ أثر البال في البال ، مطلعها :
حف كأسها الحبب   فهى فضة ذهب
١٤ مرقص ؛ مطلعها :
مات واحتجبه   وادعى الغضب
١٨ تحلية كتاب ، مطلعها :
أنا من بدل بالكتب الصحابا   لم أجد لى وافيا الا الكتابا
٢٢ الربيع ووادى النيل ؛ مطلعها :
آذار أقبل ، قم بنا ياصاح   حى الربيع حديقة الأرواح
٢٥ مسجد أيا صوفيا ، مطلعها :
كنيسة صارت الى مسجد   هدية السيد للسيد
٢٧ غاب بولونيا ؛ مطلعها :
يا غاب بولون ولى   ذمم عليك ولى عهود
٢٨ المرآة العثمانية ، مطلعها :
يا ملكا تعبدا   مصليا موحدا
٢٩ الهلال ؛ مطلعها :
سنون تعاد ودهر يعيد   لعمرك ما في الليالى جديد
٣١ منظر طلوع البدر من سفينة ، مطلعها :
ملك السماء يهرت فى الانوار   ففداك كل متوج من سارى
٣٣ بلدة المؤتمر ، مطلعها :
لاالسهد يدنينى اليه ولا الكرى   طيف يزور بفضله مهما سرى
٤٠ البسفور ، مطلعها :
على أى الجنان بنا تمر   وفى اى الحدائق تستقر
٤٤ الرحلة الى الاندلس ، مطلعها :
اختلاف النهار والليل ينسى   اذكرا لى الصبا وأيام أنسى
٥٢ كولك صو ، مطلعها :
تحية شاعر ياماء جكسو   فليس سواك للارواح أنس
٥٤ انس الوجود ، مطلعها :
أيها المنتحى بأسوان دارا   كالثريا تريد أن تنقضا
٦٠ النفس ، مطلعها :
ضمى قناعك ياسعاد او ارفعى   هذى المحاسن ماخلقن لبرقع

صفحة قصـــيدة

٦٣ الكونكورد ، مطلعها :
أسيــدان الوفاق وكنت تدعى بميــدان العداوة والشقاق

٦٣ أيها النيل ؛ مطلعها :
من أى عهد في القــرى تتدفق وبأى كف فى المدائن تغــدق

٧٢ نكبة دمشق ؛ مطلعها :
سلام من صـبا بردى أرق ودمع لايكفكف يادمشـــق

٧٧ رمضان ولى ، مطلعها :
رمضـــان ولى هاتها ياساقى مشتاقة تسعى الى مشـــتاق

٧٩ مصر ، مطلعها :
أيها الكاتب المصــور صور مصر بالمظهر الانيق الخلـيق

٨٠ البحر الابيض المتوسط ، مطلعها
أى المـــالك ايهـــا فى الدهـــر مارفعت شراعك

٨١ معرض باريس ، مطلعها :
رزق الله أهـــل باريس خيرا وأرى العقل خيـــر مارزقوه
باريس ؛ مطلعها :
جهد الصبابة ما أكابد فيــك لو كان ماقد ذقتـــه يكفيك

٨٤ وداع ، مطلعها :
محجوب ان جئت الحجـــا ز وفى جوانحك الهـــوى له

٨٥ طوكيو ، مطلعها :
قف بطوكيو وطف على يوكو هامه وسل القريتين كيف القيـــامه

٨٧ طابع البريد ، مطلعها :
أنا من خمســـة وعشرين عاما لم أرح فى رضـــاكم الأقداما

٨٨ الطيارون ، مطلعها :
قم سليمان بساط الريح قاما ملك القوم من الجـــو الزماما

٩٢ وصف مرقص ، مطلعها :
طال عليهـــا القـــدم فهى وجـــود عـــدم

٩٥ توت عنخ آمون ، مطلعها :
درجت على الكنـــز القـــرون وأتت على الدن الســـنون

١٠٠ دمشق ، مطلعها :
قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم أحداث وأزمان

١٠٣ أخت أمينة ، مطلعها :
هـــذه نور الســـفينة هـــذه شـــبه أمينـــه

١٠٤ أندلسية ، مطلعها :
يانائح الطلح أشباه عوادينـــا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

١٠٩ غواصة ، مطلعها :
رأيت على لوح الخيال يتيمـــة قضى يوم لو ستيتانيا أبواهـــا

١١٠ جسر البسفور ، مطلعها :
أميـــر المؤمنين رأيت جسرا أمر على الصراط ولا عليـــه

١١١ كتاب ، مطلعها :
الى حسين حاكم القنـــال مثال حسن الخلق فى الرجـــال

باب النسيب

صفحة القصيدة		
١١٢	الهمزة ، مطلع القصيدة :	
	خدعـوها بقولهم حسـناء	والغواني يغـرهن الثناء
	لا السهد يطويه ولا الاغفاء	ليل عداد نجومه رقباء
١١٣	سويجع النيل رفقا بالسويداء	فما تطيق أنين المفرد الناتي
١١٤	ياويح اهلي ابلى بين اعينهم	على الفراش ولا يدرون مادائي
	منـك ياهاجـر دائي	وبكفيـك دوائي
	الباء ، مطلع القصيدة :	
	لقد لامني ياهند في الحب لائم	محب اذا عد الصحاب حبيب
١١٥	على قدر الهوى ياتي العتاب	ومن عاتبت يفديه الصحاب
	أريد سلوكم والقلب يأبى	وأعتبكم وملء النفس عتبى
١١٦	روعوه فتولى مغضبا	أعلمتم كيف ترتاع الظبا
١١٧	ما تلك اهدابي تنـ	ـظم بينها الدمع السكوب
	التاء ، مطلع القصيدة :	
	لا والقدم اللذى والأعين اللاتي	ماخنت رب القنا والمشرفيات
١١٨	الدال ، مطلع القصيدة :	
	لحظها لحظها رويدا رويدا	كم الى كم تكيد للروح كيدا
	الرشد أجمل سيرة يا أحمد	ود الغواني من شبابك أبعد
	ان الوشاة وان لم احصهم عددا	تعلموا الكيد من عينيك والفندا
١١٩	بثثت شكواي فذاب الجليد	وأشفق الصخر ولان الحديد
	يمد الدجى في لوعتي ويزيد	ويبدىء بثي في الهوى ويعيد
١٢٠	هام الفؤاد بشادن	الف الدلال على المدى
١٢١	للعاشقين رضاك والحسـ	ـنى ولي هجر وصد
	في مقلتيك مصارع الاكباد	الله في جنب بغير عماد
	قف باللواحظ عند حدك	يكفيك فتنة نار خدك
١٢٢	مضناك جفاه مرقده	وبكاه ورحم عوده
١٢٣	الراء ، مطلع القصيدة :	
	بالله يانسمات النيل في السحر	هل عندكن عن الاحباب من خبر
١٢٤	عرضوا الأمان على الخواطر	واستعرضوا السمر الخواطر
١٢٥	في ذي الجفون صوارم الاقدار	راعي البرية يارعاك الباري
١٢٦	لك ان تلوم ولي من الاعذار	ان الهوى قدر من الأقدار
	أتغلبني ذات الدلال على صبري	اذن أنا أولى بالقناع وبالخدر
١٢٧	قلب يذوب ومدمع يجري	ياليل هل خبر عن الفجر
١٢٩	بدا الطيف بالجميل وزارا	يارسول الرضا وقيت العثارا
	العين ، مطلع القصيدة :	
	ابثك وجدي يا حمام واودع	فانك دون الطير للسر موضع

صفحة القافية

١٣٠ تأتى الدلال سجية وتصنعا … وأراك فى حالى دلالك مبدعا

١٣١ ردت الروح على المضنى معك … أحسن الأيام يوم أرجعك

١٣٢ الفاء ، مطلع القصيدة :

يقول أناس لو وصفت لنا الهوى … لعل الذى لايعرف الحب يعرف

علموه كيف يجفو فجفا … ظالم لاقيت منه ما كفى

القاف ، مطلع القصيدة :

جئنا بالشعور والاحداق … وقسمن الحظوظ فى العشاق

١٣٣ الكاف ، مطلع القصيدة :

مضنى وليس به حراك … لكن يخف اذا رآك

١٣٤ اللام ، مطلع القصيدة :

فدتك الجوانح من نازل … وأهلا بطيفك من واصل

لام فيكم عذوله وأطالا … كم الى كم يعالج العذالا

١٣٥ بأت المعنى والدجى يبتلى … والبرح لاوان ولا منجلى

الميم ، مطلع القصيدة :

أنا ان بذلت الروح كيف الام … لما رمت فاصابت الآرام

١٣٦ هل تيم البان فؤاد الحمام … فناح فاستبكى جفون الغمام

١٣٧ صريع جفنيك ينفى عنهما التهما … فما رمى ولكن القضاء رمى

ذاد الكرى عن مقلتيك حمام … لباه شوق ساهر وغرام

١٣٨ شغلته اشغال عن الآرام … وقضى اللبانة من هوى وغرام

به سحر يتيمه … كلا جفنيك يعلمه

١٣٩ النون ، مطلع القصيدة :

من صور السحر المبين عيونا … وأحله حدقا لها وجفونا

١٤٠ اذعن للحسن عصى العنان … وحاولت عيناك أمرا فكان

١٤١ يا حسنة بين الحسان … في شكله ان قيل بان

ياناعما رقدت جفونه … مضناك لاتهدأ شجونه

١٤٢ صحا القلب الا من خمار أمانى … يجاذبنى فى الغيد رث عنانى

الله فى الخلق من صب ومن عانى … تفنى القلوب ويبقى قلبك الجانى

١٤٣ قلب بوادى الحمى خلفته رمقا … ماذا صنعت به ياظبية البان

الهاء ، مطلع القصيدة :

قولوا روحى فداه … هذا التجنى ما مداه

١٤٤ الياء ، مطلع القصيدة :

مقادير من جفنيك حولن حاليا … فذقت الهوى من بعد ماكنت خاليا

١٤٥ اهل القدود التى صالت عواليها … الله فى مهج طاحت غواليها

١٤٦ أدارى العيون الفاترات السواجيا … وأشكو اليها كيد انسانها لنا

متفرقات

صفحة القصيدة

١٤٧ مصاير الأيام ، مطلعها :
الا حبــذا صــحبة الكتب   واحبب بأيامهــا أحبب

١٥٠ لبنان ، مطلعها :
السحر من سود العيون لقيته   والبــابلى بلحظهن سقيته

١٥٣ المؤتمر ، مطلعها :
سرح على الوادى المبارك ضاحى   متظاهر الأعلام والأوضــاح

١٥٦ النسر المصرى ، مطلعها :
أعقاب فى عنــان الجو لاح   أم سحاب فر من هـوج الرياح

١٥٨ توت عنخ آمون ، مطلعها :
قم سابق الساعة واسبق وعدها   الأرض ضاقت عنك فاصدع غمدها

١٦٠ مصرع كتشنر ، مطلعها :
قف بهذا البحر وانظر ماغمر   مظهر الشمس واقبال القمـر

١٦٤ البرلمان ، مطلعها :
سكن الزمان ولانت الاقــدار   ولكل أمـر غـاية وقـرار

١٦٦ قصيدة فى حفلة ، مطلعها :
قل للرجال طغى الاســير   طير الحجــال متى يطيــر

١٦٩ حسنين بك ، مطلعها :
جن على جرم الســماء اغاروا   أم فتية ركبوا الجناح فطاروا

١٧١ صقر قريش ، مطلسها :
من لنضــو يتزى المــا   برح الشــوق به فى الغلس

١٧٨ زحله ، مطلعها :
شيعت أحلامى بقــلب باك   ولمحت من طرق الملاح شباكى

١٨١ استقلال سوريا ، مطلعها :
حيــاة ما نريد لها زيالا   ودنيــا لا نود لها انتقــالا

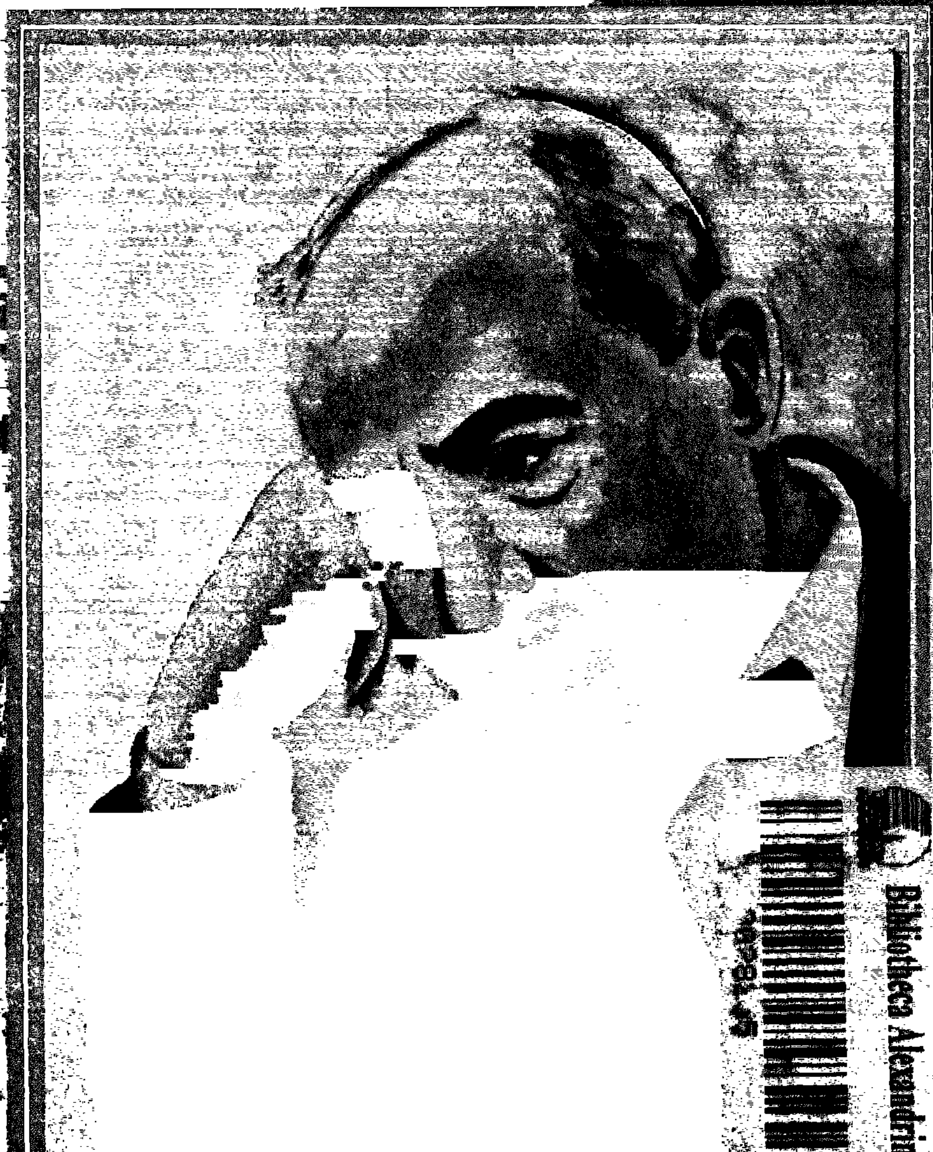
١٨٤ تمثال نهضة مصر ، مطلعها :
جعــلت حلاها وتمثــالها   عيون القــوافى وأمثالها

١٨٧ الحرية الحمراء ، مطلعها :
فى مهرجان الحق أو يوم الدم   مهج من الشــهداء لم تتكلم

١٨٨ على بك ابراهيم ، مطلعها :
ابتغوا ناصــية الشمس مكانا   وخذوا القمــة علما وبيانا

١٩٠ تحية الشاعر ، مطلعها :
مرحبــا بالربيــع فى ريعــانه   وبــانواره وطيب زمــانه

أحمد شوقي



دار العودة - بيروت

الأعمال الشعرية الكاملة

المجلد الثاني

الشوقيات

شعر المرحوم

احمد شوقي

الجزء الثالث

في

المراثي

دار العودة - بيروت

١٩٨٨

يُطلب من دار العودة - بيروت
كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس MEREBI ٢٣٦٨٢_L_E
ص. ب ١٤٦٢٨٤

سليمان باشا أباظه (*)

مَن ظنَّ بعدَكَ أن يقولَ رِثاء — فلْيَرْثِ مِن هذا الورى مَن شاء
فَجع المكارمَ فاجعٌ فى ربِّها — والمجدَ فى بانيهِ ، والعلياء
ونعَى النعاةُ إلى المروءة كنزَها — وإلى الفضائل نجمَها الوضَّاء
أأبا محمدٍ ، اتَّئِدْ فى ذا النَّوى — وارفُقْ بآلك ، وارحمِ الأبناء
واستبق عِزَّهمُ (بطهراء) التى — كانوا النجومَ بها وكنتَ سماء(١)
أدجى بها ليلُ الخطوبِ ، وطالما — مُلِئتْ منازلُها سَنًى وسَناء(٢)
وإذا سليمان استقلّ محلّةً — كانت بساطاً للندى ورجاء(٣)
فانظر من الأعواد حولك هل ترى — من بعدِ طبِّك للعُفاة دواء(٤)
سارت جنازةُ كلِّ فضلٍ فى الورى — لما ركبتَ الآلة الحَدْباء(٥)

(*) سليمان باشا اباظه : احد سراة مصر الكبار ؛ وكان فى حياته كبير الأسرة الأباظية الشهيرة ، وقد اسندت اليه وزارة المعارف العمومية سنة ١٨٨٢ ، وتوفى سنة ١٩٠١ ــ١ــ طهراء : علم على بلد الفقيد ، وهى من اعمال اقليم الشرقية بمصر ــ ٢ ــ تدجى الليل وادجى : كلاهما بمعنى اظلم ، والسنى ــ بالقصر ــ : الضوء ، والسناء ــ بالمد ــ الرفعة . ــ٣ــ المحلة : فى الأصل هى الناحية التى ينزل بها القوم ، ولاتقل عن مائة بيت ، والمراد هنا بقوله : « استقل محلة » اى انه كان عميدها المنفرد بزعامتها وبالعمل لرفعتها . ــ ٤ ــ الاعواد : جمع عود ، يطلق على المنبر ،وعلى السرير للحى أو الميت . كان رجل من العرب يلقب « ذا الاعواد » لانه كان يحمل دائما فى سرير ، والشعراء العظماء يستعملون الاعواد للموتى ، وقلما يستعملون النعش ، تعظيما للموت وتكريما للميت . قال الشريف الرضى : ارايت من حملوا على الاعواد . . الخ . والعفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب فضل او رزق ــ٥ــ الجنازة بكسر الجيم وفتحها ، وقيل : بالكسر : هى الميت ، وبالفتح هى النعش ، وقيل بالعكس ، وارجح تعريف يتناسب مع مالوف عصرنا هو اطلاقها بالكسر على سرير الميت والمشيعين له . والآلة الحدباء : كناية عن النعش ، وشكله أحدب كما هو معروف .

وتيتَّمَ الأيتامُ أوّلَ مرّةٍ ورمى الزمانُ بِصَرفِهِ الفقراءَ(١)
ولقد عَهِدتُكَ لا تُضيّع راجياً واليومَ ضاع الكلُّ فيك رجاءَ
وعلمتُ أنك مَنْ يَوَدُّ ومَنْ يَفِي فقف الغداةَ لو استطعتَ وفاءَ
وذكرتُ سعيَكَ لى مريضاً فانياً فجعلتُ سَعْيِيَ بالرثاء جزاءَ
والمرءُ يُذْكَر بالجمائل بعدَه فارفع لذِكْرِكَ بالجميل بِناءَ(٢)
واعلمْ بأنّك سوف تُذْكَر مَرةً فيقالُ : أحسنَ ، أو يقالُ : أساءَ
أبَنِيه ، كونوا للعِدَى مِن بَعده كيداً ، وكونوا للوَلِيِّ عَزَاءَ
وتجلّدُوا لِلخطْب مثلَ ثَباته أيامَ كان يُدافع الأرْزاءَ
والله ما مات الوزيرُ وكنتمُ فوقَ الترابِ أعزّةً أحياءَ

---

١ ــ صرف الزمان : نوائبه وحدثانه .
٢ ــ جائل : جمع جميلة ، والمقصود أن المرء يذكر بصنيعته الجميلة ، او بمأثرته الجميلة ، فحذف الموصوف ، ثم جمع الصفة واستعملها . اقول : وهذه صنعة قصد بها التجميل الفنى فى الكلام بذكر الجمائل والجميل فى البيت .

مصطفى باشا فهمي (*)

يا أيها الناعى أبا الوُزراء ... هذا أوانُ جلائلِ الأنباء
حُثَّ البريدَ مشارقاً ومغارباً ... واركبْ جناحَ البَرْقِ فى الأرجاء(١)
واستبكِ هذا الناسَ دمعاً أو دَماً ... فاليومُ يومُ مدامعٍ ودماء
لم تَنْعَ للأحياء غيرَ ذخيرةٍ ... ولَّتْ ، وغيرَ بَقيَّةِ الكُبَراء
رُزْءُ البريَّةِ فى الوزير زيادةٌ ... فيما ألَمَّ بها منَ الأرزاء
ذهبَتْ على أثرِ المشيَّع دولةٌ ... برجالها وكرائم الأشياء
نَدمانُ (إسماعيلَ) فى آثاره ... ذهبوا ، وتلك صُبابةُ الندماء(٢)
وُلِدوا على راحِ العُلا ، وترعرعوا ... فى نعمة الأملاك والأمراء
أوْدَى الرَّدى بمُهذَّب لا تنتهى ... إلا إليه شمائلُ الرؤساء
صافى الأديمِ ، أغرَّ ، أبْلَجَ لم يَزِدْ ... فى الشَّيْب غيرَ جلالةٍ ورُواء(٣)
مُتجنِّبِ الخُيلاء إلا عزةً ... فى العزِّ حُسنٌ ليس فى الخيلاء

(*) مصطفى باشا فهمي : كان الهاما موفقا لامير الشعراء حين كناه بابى الوزراء ، فهو والد الزعيمة صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكأن ياورا للخديو اسماعيل ، ووزيرا فى عهد توفيق ، فرئيسا للوزراء ، ثم استقال ، ثم عاد للرئاسة ولم يتركها الا لمرضه قبيل الحرب ، وقد توفى اول سنة ١٩١٤ م .

١ــ البريد : كلمة فارسية ، معناها القطع ، كانوا يقطعون اذناب واعراف الخيل المستعملة لنقل رسائلهم ، علامة لها حتى لا يعوقها احد فى الطريق ، واول اصطناع العرب لهذه الطريقة كان فى زمن معاوية ، وكانوا يسمون الخيل المستعملة فى ذلك خيل البريد ، ونحن نطلق كلمة البريد على رسائل البوستة وغيرها كما هو معروف ، والمقصود بقوله : « حث البريد » « واركب جناح البرق » : هو الامر للناعى باذاعة النعى فى الدنيا باسرع وسائل الاذاعة ، والغرض من ذلك هو اظهار ما للنعى من قيمة وخطر وعلو شان .

٢ــ الندمان ــ بفتح النون الاولى ــ : جمع نديم ، وهو الظريف الكيس، او المجالس على الشراب . واسماعيل : هو سمو الخديو اسماعيل .

٣ ــ الرواء فى المرء : هو مظهر السيادة والعظمة .

عَفُّ السرائرِ والمَلاحَظِ، والخُطا　　نَزِهِ الخلائقِ طاهرِ الأهواءِ(١)
مُتدرِّعٍ صَبْرَ الكرامِ على الأذى　　إن الكرامَ مشاغلُ السفهاء
نقموا عليه رأيَهُ وصَنيعَه　　والحكمُ للتاريخ فى الآراء
والرأىُ إن أخلَصْتَ فيه سريرةً　　مثلُ العقيدةِ فوقَ كلِّ مِراءِ(٢)
وإذا الرجالُ على الأمور تعاقبوا　　كشفَ الزمانُ مواقفَ النُّظراء
يا أيُّها الشيخُ الكريمُ ، تحيةً　　أندَى لقبرِكَ من زُلالِ الماء
هذا المصيرُ ، أكان طولَ سلامةٍ　　أمْ لم يكن إلا قليلَ بَقاء ؟
ماذا انتِفاعُك بالليالى بعد ما　　مرَّتْ بك السبعونَ مَرَّ عِشاء ؟(٣)
أو بالحياةِ ، وقد مشى فى صفوها　　عادى السنين ، وعاثَ عادى الداء؟
من لم يُطبِّبْه الشبابُ فداؤه　　حتى يغيِّبَه بغير دَواء
قسماتُ وجهك في الترابِ ذخائرٌ　　من عِفَّةٍ ، وتكرُّمٍ ، وحياءِ(٤)
ولكم أغارَ على مُحَيَّا ماجدٍ　　وطوى محاسنَ مَسمحٍ مِعطاءِ(٥)
كم مَوقفٍ صعبٍ على من قامه　　ذلَّلتَه ، ونهضتَ بالأعباء
كِبْرُ الغضنفرِ يومَ ذلك زاده　　من نَخْوةٍ وحَمِيَّةٍ وإباءِ(٦)

١ـ الملاحظ : جمع ملحظ : اسم مكان لما تقع عليه اللحاظ . يقول : انه عفيف القلب ، وعفيف الأعين ، فلا يقع لحظه على الريب ـ٢ـ المراء : الجدل ـ٣ـ يقصد سبعين عاما ، ولكنه فى استعمال لفظ السبعين يجرى مجرى العرب الفصحاء فى استعمال هذا اللفظ للدلالة على الكثرة فقط لا العدد بعينه ، وفى هذا الباب جاء القرآن الكريم (ان تستغفر لهم سبعين مرة) فليس المقصود عدد الاستغفار ، ولكن يراد الدلالة على كثرته ـ٤ـ القسمات : ملامح وتقاسيم الوجه ـ٥ـ مسمح ـ بفتح الميم ـ : واسع السماحة . وفى القاموس المحيط : « يقال ان فيه لمسمحا كمسكن ، اى متسعا » . والمعطاء : كثير العطا ـ٦ـ الغضنفر : اسم من أسما الأسد .

مَن يَكذبِ التاريخَ يَكْذِبْ رَبَّه ... ويُسيء للأمواتِ والأحياء
السلم لو لم تُودِ أمسِ بجُرحِها ... أوْدَتْ بهذى الطعنةِ النجلاء(١)
لو أُخِّرَتْ فى العيشِ بعدكَ ساعةً ... لبَكَتْ عليك بمَدْمَعِ الخنساء(٢)
انفض غبارَكَ عنك، وانظر، هل ترى ... إلاّ غبارَ كتيبةٍ ولِواء ؟
ياويحَ وجهِ الأرض : أصبح مَأتماً ... بعدَ الفوارس من بنى حَوّاء
مِن ذائدٍ عن حَوْضه، أو زائدٍ ... فى مُلْكِه من صَولةٍ وثَرَاء
أو مانعٍ جارًا يُناضلُ دونَه ... أو حافظٍ لِعهودِه مِيفاء(٣)
يتقاذفون بذاتِ هولٍ، لم تَهَبْ ... حَرَمَ المسيحِ ولا حِمى العذراء(٤)
من مُحدَثاتِ العِلْمِ، إلا أنها ... إثمٌ عواقبها على العلماء

* * *

لهفى على رُكنِ الشيوخ مُهدَّما ... والحاملاتِ الثُّكْلَ واليُتَماء(٥)
وعلى الشبابِ بكلِّ أرضٍ مَصْرَعٌ ... لهمُ، وهُلْكٌ تحتَ كلِّ سماء
خرجوا إلى الأوطان من أرواحِهم ... كرمٌ يليق بهم ومَحْضُ سخاء(٦)

١ـ يشير الى اتفاق موته مع نشوب الحرب العالمية، كأنه يقول : ان اتفاق موت المرثى مع نشوب الحرب لم يكن الا لان المتوفى كان سلما لقومه يشبه السلم العام للناس، فهو والسلم توأمان ٢ـ يقول فى هذا البيت: ان السلم لو عاشت بعد الفقيد ساعة لبكت عليه بدمع الخنساء، وهى شاعرة عاشت فى صدر الاسلام اشتهرت بمراثيها فى اخيها صخر، وهذا البيت تاكيد لمعنى البيت قبله ٣ـ ميفاء : كثير الوفاء ٤ـ بذات هول : اى مقذوفات موصوفة بانها ذات هول، وهذا من باب اقامة الصفة مقام الموصوف ٥ـ الثكل : فقد الابناء . واليتماء : من اليتم، وهو فى الناس فقد الأب، ويكون فى غير الناس فقد الأم ٦ـ المحض : الخالص من كل شىء .

من كلّ بانٍ بالمنيّةِ فى الصِّبا   لم يتّخِذ عِرْساً سِوى الهَيْجاء(١)
المُرضِعاتُ مَكبْن فى وِجْدانِهِ   حُبَّ الدّيار وبِغضةَ الأعداء
وقرَرْنَ فى أُذنيهِ يومَ فِطامِهِ   أن الدماء مُهورةُ العَلْياء

* * *

آأبا البناتِ ، رُزِقْتَهُنّ كرائِماً   ورُزِقْت فى أصهارِكَ الكُرَماء
لا تذهَبنّ على الذكورِ بحسرةٍ   الذّكْرُ نعمَ سُلالةُ العظماء
وأرى بُناةَ المجدِ يَثْلِمُ مجدَهم   ما خلّفوا من طالحٍ وغُثاء(٢)
إن البناتِ ذخائرٌ من رَحمةٍ   وكنوزُ حبٍّ صادقٍ ووَفاء
والساهراتُ لِعلّةٍ أو كَبْرَةٍ   والصابراتُ لشدّةٍ وبَلاء
والباكياتُكَ حينَ ينقطعُ البكا   والزائِراتُكَ فى العَرَاءِ النائى(٣)
والذاكِراتُكَ ما حَيِينَ تحدُّثاً   بسَوالفِ الحُرماتِ والآلاء
بالأمس عزّاهنّ فيكَ عقائلٌ   واليومَ جامَلَهُنّ فيك رِثائى
أبيكَ ما الدنيا سِوى معروفِها   والبِرِّ ، كلُّ صَنيعةٍ بجزاء
أجَزِعْنَ أن يجرى عليهنّ الذى   مِن قبلهنّ جرى على « الزهراء »؟(٤)
عذراً لهن إذا ذَهبْنَ مع الأسى   وطلبن عندَ الدمعِ بَعضَ عَزاء
ما كلُّ ذِى ولَدٍ يُسمّى والداً   كم من أبٍ كالصخرةِ الصمّاء
هبْهُنّ فى عقل الرجال وحلمِهم   أقلوبُهن سوى قلوب نِساء ؟

---

١ ــ يقال: بنى على فلانة ، اذا اتخذها زوجة . والعرس بكسر العين: الزوجة ، يصف هذا الشباب السخى بروحه للاوطان بانه يألف الحروب ، ويحبها كما يحب غيره من الناس الزوجات والعرائس والعيشة الوادعة .
٢ ــ الغثاء ، بضم الغين : الفاسد ــ ٣ ــ العراء النائى : الخلاء البعيد . ويعنى به هنا القبور ــ٤ــ الزهراء : فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله عليه ، والذى جرى عليها هو موت أبيها سيد الخلق .

أبو هيف بك(*)

اجعَلْ رِثاءكَ للرجالِ جَزاء ... وابعثْهُ للوطنِ الحزينِ عَزاء
إن الديارَ تُريقُ ماء شُئونِها ... كالأُمهاتِ وتندُبُ الأَبناء(١)
ثُكْلُ الرجالِ من البنينَ ، وإنما ... ثكلُ الممالكِ فَقْدُها العلماء
يَجْزَعْنَ للعَلَمِ الكبيرِ إذا هَوى ... جَزَعَ الكتائبِ قد فَقَدْنَ لِوَاء(٢)
عَلَمُ الشريعةِ أدركتْهُ شريعةٌ ... للموتِ يَنظِمُ حكْمُها الأَحياء(٣)
عانى قضاء الأَرضِ عِلْمَ مُحصِّلٍ ... واليومَ عالجَ للسماء قَضاء
ومضى وفيه من الشبابِ بقيّةٌ ... للنفعِ أرجى ما تكونُ بقاء
إنَّ الشبابَ يُحَبُّ جَمًّا حافِلاً ... وتُحَبُّ أيامُ الشبابِ مِلاء(٤)
بالأَمس كانت لابن هَيْفٍ غَضبةٌ ... للحقِّ نَذكرُها يداً بَيضاء(٥)
مَشَتِ البلادُ إلى رسالةِ (ملنَرٍ) ... وتحفَّزَتْ أرضاً لها وسماء(٦)

(*) هو فقيد العلم والقانون عبد الحميد بك ابو هيف ، شغل منصب الاستاذ بكلية الحقوق ، ومنصب القيم على دار الكتب المصرية ، وقد وقف فى معارضة مشروع ملنر موقفاً قانونياً لامعا ، فاقترن اسمه من ذلك الحين باعلام المجاهدين الكبار فى قضية البلاد ، وقد توفى سنة ١٩٢٦ ـ١ـ ماء الشئون : الدموع ـ٢ـ الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة او الفرقة من الجيش لها لواء ، اى رئيس تلتف وحدتها حوله ـ٣ـ الشريعة : القانون ٤ـ الملاء : الاغنياء المتمولون ، الواحد منهم ملىء ومن معانى الملاء ايضا : الحسنو القضاء . يقول : ان الشباب يحب كثيرا على اى حال ، ولكن ايام الشباب يحببن اكثر وهن فى غنى ، من المال الكثير ، ومن تولى المناصب ، كالحال فى شباب الفقيد ـ٥ـ يريد غضبته على مشروع ملنر ، وموقفه فى طليعة معارضيه ـ٦ـ اللورد ملنر : هو احد وزراء انجلترا ، ورسالته التى مشت البلاد اليها وتحفزت لها : هى تقريره المشهور ، بعث من لندن مع اربعة من رجالات مصر الساسة ، وكادت البلاد تتاثر بهذا المشروع ، لولا الفقيد ومعه نفر قليل جدا قاموا بحملتهم ضده ، وفى هذه الحملة نشر الفقيد بحوثا قانونية فى تفنيد المشروع ، كانت من اهم مراجع رجال السياسة فى رفضه بعد .

فلمحتُ أعرجَ فى زَوايا الحقِّ لم ... أعلمْ عليه ذِمَّةً عَرْجاء(١)
ارتَدَّت العاهاتُ عن أَخلاقِه ... لسُمُوِّهِنَّ وحَلَّتِ الأعضاء
عَطفَتْهُ عَطْفَ القوسِ يومَ رِمايةٍ ... وثَنَتْهُ كالماضى ، فزادَ مَضاء(٢)
لما رأى (التقريرَ) ينفُثُ سُمَّهُ ... سَبقَ الحُواةَ فأَخرجَ الرَّقْطاء(٣)
هَتَكَ الحمايةَ والرجال وراءها ... يتلمَّسون لها السُّتورَ رياء
ما قبَّحوا بالصبح من أشباحها ... راحوا إليك فحسَّنوه مَساء
ياقيِّمَ الدارِ التى قد أخرجَتْ ... للمُدْلِجين مَنارةً زَهراء(٤)
وترى لديْها الوارِدِين ، فلا ترى ... إلا ظِماءً ينزلون رواء(٥)
وتُجالِسُ العلماءَ فى حُجُراتِها ... وتُسامِرُ الحكماءَ والشعراء
تَكفيكَ شَيطانَ الفراغِ ، وتَعتنى ... بالجاهلين ترُدُّهم عُقَلاء
دارُ الذخائر كُنْتَ أكملَ كُتْبِها ... مجموعةً ، وأتمَّها أجزاء
لما خلَتْ من كنز علمِكَ أصبحَتْ ... من كلِّ أعلاقِ الكنوزِ خَلاء(٦)
هزَّ الشبابُ إلى رثائك خاطرى ... فوجدْتَ فِىَّ وفى الشباب وَفاء

١ـ كانت ساق الفقيد مبتورة ، وكان يمشى على ساق صناعية .
٢ـ فى هذا البيت وصف لهيئة الاعرج ، بلغ من جماله انه قد يحبب المشية العرجاء للناس ، فتأمل . والماضى : السيف ٣ـ قوله : « سبق الحواة فأخرج الرقطاء » لا يمكن ان يكون هناك أبلغ فى الاعجاز وادق فى الايجاز من هذا الكلام . فقوله : « سبق الحواة » صورة كاملة ، تريك كيف وثب الفقيد فوقف امام المشروع ، كما يثب الحاوى ، فيقف امام جحر الحية . وقوله : «فأخرج الرقطاء» أعظم ما يمكن فى تصوير ذلك المشروع ، فقد نبه على السم الكامن فيه ، بالرغم من جماله الظاهرى ونعومته الشبيهة بنعومة الحية .
٤ـ الدار : هى دار الكتب المصرية ، وكان الفقيد يشغل منصب مديرها .
٥ـ الرواء : الماء الكثير ٦ـ اعلاق الكنوز : نفائسها .

(عبدَ الحميدِ) ، ألا أُسِرُّك حادثاً يكسو عِظامَكَ فى البِلَى السَّراء ؟(١)
قُمْ من صفوف الحقِّ تَلْقَ كتيبةً ملمومةً ، وتَرَ الصفوفَ سَواء
وتَرَ الكِنانةَ شِيبَهَا وشبابَها دونَ (القضيَّةِ) عُرْضَةً وفِداء
جَمَعَ السلامُ الصُّحْفَ مِن غاراتها وتألَّفَ الأحزاب والزُّعَماء
فى كلِّ وِجْدانٍ وكلِّ سَريرةٍ خلَفَ الودادُ الحقْدَ والبَغْضاء
وغَدا إلى دينِ العشيرةِ ينتهى مَنْ خالَفَ الأعمامَ والآباء
لا يحجبون على تجنِّيهم ، ولا يجدون إلا الصفْحَ والإغْضاء
والأهلُ لا أهلاً بِحَبْلِ وَلائهم حتى تراهم بَيْنَهم رُحماء
كذب المُريبُ يقول : بعدَ غدٍ لنا خُلْفٌ يُعِيدُ ويُبْدِئُ الشَّحْناء
قلبى يُحدِّثُنى وليس بخائنى إن العقولَ ستقهرُ الأهواء

* * *

يا (سعدُ) ، قد جرَت الأُمورُ لغايةٍ اللهُ هيَّأها لنا ما شاء(٢)
سُبْحانَهُ جمعَ القلوبَ من الهوى شَتَّى ، وقوَّى حولَهُ الضُّعَفاء
الفُلْك بعد العُسْرِ يُسِّر أَمرُها واستَقبلتْ ريحَ الأُمورِ رُخاء
وتأهَّبَتْ بك تستعدُّ لزاخرٍ تَطأُ العواصفَ فيه والأنواء
رجَعَتْ براكبها إلى رُبَّانها تُلقى الرجاءَ عليه والأعباء
فاشْدُدْ بأرباب النُّهَى سُكَّانَها واجعل مِلاكَ شِراعِها الأكفاء(٣)
من ذا الذى يختارُ أهلَ الفضلِ أو يَزِنُ الرجالَ إذا اختيارُ... اء ؟
أخرِجْ لأبناء الحضارة مَجْلِساً يُبقى على اسمك فى العصور ثَناء

١ـ الحادث : هو حادث ائتلاف الاحزاب المصرية فى وقت نظم هـذه القصيدة التى تعد من مفاخر المراثى فى الشعر العربى ـ٢ـ سعد : هو الزعيم الخالد الذكر سعد باشا زغلول ، وكان رئيس البرلمان فى عهد ذلك الائتلاف.
٣ـ السكان : مؤخر السفينة . وملاك الشىء : قوامه الذى يملك به .

مولانا محمد على(*)

بَيْتٌ على أرضِ الهدى وسمائِه ... الحقُّ حائطُه وأُسُّ بِنائه
الفتحُ من أعلامه ، والطُّهرُ من ... أوصافه ، والقُدْسُ من أسمائه
تَحْنو مَناكِبُه على شعب الهدى ... وتُطِلُّ سُدَّتُه على سينائه(١)
مَنْ ذا يُنازِعُنا مَقالِدَ بابِه ... وجلالَ سُدَّتِه ، وطُهْرَ فِنائه ؟
ومحمدٌ صلَّى على جَنَباته ... واستقبل السَّمحاتِ فى أرجائه ؟
واليومَ ضَمَّ الناسَ مَأْتَمُ أرضِه ... وحَوَى الملائكَ مِهْرَجانُ سَمائه
يا (قدسُ) ،هَيِّئْ من رياضك رَبْوَةً ... لنَزِيل تُرْبكَ ، واحتفل بلقائه(٢)
هو من سُيوفِ اللهِ جَلَّ جلالُه ... أو من سيوف الهندِ عندَ قضائه
فَتَحَ النبيُّ له مناخَ بُراقه ... ومَعارجَ التشريفِ من إسرائه
بَطَلٌ حقوقُ الشرقِ مِن أحماله ... وقضيَّةُ الإسلامِ مِن أعبائه
لم تُنْسِهِ الهندُ العزيزةُ رِقَّةً ... للشرق ، أو سهراً على أشيائه
وقباؤه نَسْجُ الهنودِ ، فهل تُرى ... دفنوا الزعيمَ مُكَفَّناً بقَبائه ؟(٣)
(النيلُ) يذكر فى الحوادثِ مَوْتَهُ ... والتُّرْكُ لا يَنْسَوْنَ صِدْقَ بَلائه

* * *

(*) هو كبير زعماء الهند المسلمين ، توفى سنة ١٩٣١ ، وكان لا يألو جهدا فى خدمة الاسلام فى شتى اقطاره ، وقد اقيمت له فى القاهرة حفلة تأبين كبيرة ألقيت فيها هذه القصيدة .

١ـ السدة : باب الدار ـ٢ـ ياقدس : لانه دفن فى القدس ـ٣ـ القباء بفتح القاف ـ : نوع من الثياب .

قل للزعيمِ محمدٍ : نزل الأسى (بالنيل) واستولى على بَطحائه(١)
فمشى إليكَ بجَفنه وبدمعه وإلى أخيك بقلبه وعَزائه(٢)
اجْتَزْتَهُ فحَواك فى أطرافه ولو انتظرْتَ حَواك فى أحشائه
ولقد تعوّد أن تمرّ بأرضه مَرَّ الغَمامِ بظلّه وبمائه
نَمْ فى جِوار اللهِ ما بِكَ غُرْبَةٌ فى ظِلِّ بيتٍ أنتَ مِن أبنائه
الفتحُ — وهو قضيةٌ قُدْسِيَةٌ — يا طالما ناضلتَ دونَ لِوائه
أفتى بدَفْنِكَ عندَ سيِّدةِ القُرى مُفْتٍ أراد الله من إفتائِه(٣)
بلدٌ بَنُوه الأكرمونَ قصورُهم وقبورُهم وقفٌ على نُزَلائِه(٤)
قد عِشْتَ تنصره وتَمنح أهله عَوْناً، فكيف تكون من غُرَبائه؟

١ـ محمد : هو المرثى ـ٢ـ يريد باخيه : مولانا شوكت علي ، وقد آلت اليه زعامة المسلمين فى الهند بعد اخيه ـ٣ـ سيدة القرى : المقصودة هى القدس الشريف ، ولابد للدفن فى هذا الحرم من تصريح دينى يصدره مفتى الاسلام هناك ، ولا يصرح بذلك الا لمن ثبت نفعه للاسلام وللعرب .
٤ـ يقصد بالبلد : فلسطين وسوريا جميعا ، وكثيرا ما هتف امير الشعراء باهل هذه البلاد اعجابا باخلاقهم .

سيد درويش(*)

كلَّ يومٍ مِهْرَجانٌ كلَّلوا   فيه مَيْتاً برياحين الثناء(١)
لم يعلِّم قومَه حرفاً ، ولم   يُضِيء الأرضَ بنور الكَهْرُباء
جُومِلَ الأحياءُ فيه وقضى   شَهَوات أهلُه والأصدقاء
ما أضلَّ الناسَ ؟ حتى الموتُ لم   يَخْلُ من زُورٍ لهم ، أو من رِياء(٢)

* * *

إنما يُبْكَى شُعاعٌ نابغٌ   كلّما مرّ به الدهرُ أضاء
ملأ الأفواهَ والأسماعَ فى   ضَجَّةِ المَحْيا ، وفى صَمْتِ الفناء
حائطُ الفنِّ ، وباني رُكْنِهِ   (مَعْبَدُ) الألحانِ ، (إسحقُ) الغِناء(٣)
من أناسٍ كالدّرارى جُدُدٍ   فى سَموَاتِ الليالى قُدَماء
غرَس الناسُ قديماً ، وبَنَوْا   لم يَدُمْ غَرْسٌ ، ولم يَخْلُد بناء
غيرَ غَرْسِ نابغٍ ، أو حَجَرٍ   عَبْقَرِىٍّ فيهما سِرُّ البقاء
من يَدٍ مَوْهُوبَةٍ مُلْهَمَةٍ   تَغرسُ الإحسانَ ، أو تَبْنِى العَلاء

* * *

بُلْبُلٌ إسْكَنْدَرِىٌّ أيكُهُ   ليس فى الأرض ، ولكن فى السماء(٤)
هبَطَ الشاطِئَ ، من رابِيَةٍ   ذاتِ ظِلٍّ ورَياحِينَ وماء

(*) الشيخ سيد درويش : كان يعد رحمه الله فى طليعة المجددين فى الموسيقى العربية ، وقد القيت هذه القصيدة فى حفلة اقيمت لذكراه فى سنة ١٩٣١ .

١ــ المهرجان : الاحتفال ، معرب ــ٢ــ الزور : الكذب ــ٣ــ معبد واسحاق : رجلان من اشهر رجال الغناء والموسيقى ــ٤ــ كان رحمه الله من نشء الاسكندرية . والايك : فى الاصل هو الشجر الملتف الكثير . يقول : انه اذا كان لكل بلبل من ايك يتخذه عشا ، فهذا البلبل الاسكندرى أيكه ليس محله الارض ، ولكن السماء هى محله اللائق به .

يَحْمِل الفنُّ نَميراً صافياً غَدَقَ النَّبْع إلى جيلٍ ظِماء(١)
حلَّ فى وادٍ على فُسْحَتِه عَزَّت الطَّيْرُ بِه إلاَّ الحِداء
يملأ الأسحارَ تغريدًا إذا صرف الطَّيرَ إلى الأَيْكِ العِشاء
رُبَّما استلْهَم ظَلْمَاءَ الدُّجى وأتى الكوكبَ فاستوحى الضياء
ورمى أُذْنَيْهِ فى ناحيةٍ يَخْلِس الأَصواتَ خَلْسَ الببَّغاء
فتلقَّى فيهما ما راعهُ من خَفِىِّ الهمْسِ ، أوجَهْرِ النِّداء

* * *

أيها الدرويشُ ، قُمْ بُثَّ الجَوى واشْرَح الحبَّ ، وناجِ الشهداء
اضرب العُودَ تَفُهْ أوتارُه بالذى تَهْوَى ، وتَنْطِقْ ما تشاء
حَرِّك النَّاىَ ، ونُحْ فى غابه وتنفَّسْ فى الثُّقوبِ الصُّعَداء(٢)
واسكُب العَبْرَةَ فى آماقه من تَباريحَ ، وشَجْوٍ ، وعَزاء
واسْمُ بالأَرواحِ ، وادفعْها إلى عالَمِ اللُّطْفِ وأقطارِ الصفاء(٣)

* * *

لا تُرِقْ دمعاً على الفنِّ فلن يَعدِمَ الفنُّ الرُّعاةَ الأُمَناء
هو طيرُ اللهِ فى رَبْوَتِه يبعثُ الماءَ إليه والغِذاء
رَوَّحَ اللهُ على الدنيا به فهى مثلُ الدارِ ، والفنُّ الفِناء
تكتسى منه ومن آذاره نَفحةَ الطِّيبِ وإشراق البَهاء(٤)
وإذا ما حُرِمَتْ رِقَّتَه فَشت القَسْوَةُ فيها والجَفاء

١ــ الغدق ــ بفتح الغين والدال : الكثير ــ٢ــ الصعداء ــ بضم الصاد وفتح العين ــ : تنفس ممدود ــ٣ــ عالم اللطف : هو عالم المعانى والارواح ، ولا تسمو اليه الانفس الا فى أوقات الصفاء والانشراح ــ٤ــ آذار : شهر من فصل الربيع ، أعجمى .

وإذا ما سَئِمَتْ أو سَقِمَتْ طاف كالشمس عليها والهواء
وإذا الفنُّ على المُلْكِ مشى ظهر الحسنُ عليه والرُّواء
قد كسا الكرنكُ مصرًا ماكسا من سَنَى أبْلى اللَّيالى وسَناء
يُرْسِلُ اللهُ به الرُّسْلَ على فترات من ظُهورٍ وخَفاء
كلَّما أدَّى رسولٌ ومضى جاء من يُوفِى الرِّسالاتِ الأداء

* * *

سَيِّدَ الفنِّ ، استرح من عالمٍ آخرُ العهدِ بنُعْماهُ البَلاء
ربَّما ضِقْتَ فلم تنعم به وسَرى الوَحْىُ فنسَّاك الشقاء
لقد استخلفْتَ فنًّا نابغاً دَفع الفنُّ إليه باللِّواء
إن فى مُلْكِ فؤادٍ بُلبلاً لم يُتَحْ أمثالُه للخُلَفاء(١)
ناحلٌ كالكُرَةِ الصغرى سرى صوتُهُ فى كُرَةِ الأَرضِ الفضاء
يستحى أن يهتفَ الفنُّ به وجمالُ العبقريَّاتِ الحيَاء

١ــ يراد بالبلبل هنا : الموسيقار النابغة الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وهو الذى حمل لواء التجديد فى الموسيقى بعد الشيخ سيد درويش .

عمر المختار(*)

رَكَزُوا رُفاتَكَ فى الرِّمال لِواءَ ... يَستنهِضُ الوادى صباحَ مَساءَ(١)
يا وَيْحَهم ! نصبوا مَناراً من دمٍ ... تُوحِى إلى جيل الغدِ البَغْضاءَ(٢)
ما ضرَّ لو جَعلوا العَلاقةَ فى غدٍ ... بين الشعوب مَوَدَّةً وإخاءَ ؟
جُرْحٌ يَصيحُ على المدَى ، وضَحِيَّةٌ ... تتلمَّسُ الحريَّةَ الحمراءَ(٣)
يأيُّها السيفُ المجرَّدُ بالفَلا ... يكسو السيوفَ على الزمان مَضاءَ
تلك الصحارى غِمْدُ كلِّ مُهَنَّدٍ ... أبْلَى فأحسنَ فى العدوِّ بَلاءَ
وقبورُ مَوْتَى من شبابِ أُمَيَّةٍ ... وكهولِهم لم يبْرَحُوا أحياءَ
لو لاذَ بالجوزاءِ منهم معقِلٌ ... دخلوا على أبراجِها الجوزاءَ(٤)
فتحوا الشَّمالَ : سُهولَهُ وجبالَهُ ... وتوغَّلوا ، فاستعمروا الخضراءَ
وبَنَوْا حضارتَهم ، فطَاوَلَ رُكنُها ... (دَارَ السلامِ) ، و(جِلَّقَ) الشَّمّاءَ(٥)

* * *

(*) شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار ، هو من الاسرة السنوسية أصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحانى العظيم فى كثير من اقطار الاسلام ، ظل يقاتل الطليان فى سبيل الذود عن وطنه وقومه ، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقا سنة ١٩٣١ ، واشيع وقتئذ انهم سلكوا فى اعدامه سبلا بشعة متوحشة ، ولم يرحموا سنه التى نيفت على التسعين .

١ـ ركز اللواء : غرزه فى الارض . وهذا استعمال لغوى مشتق من الركيزة ، وهى قطع الفضة والذهب والمعادن ، كان العرب فى الجاهلية يحفرون لها فى الارض ، ويسمونها الدفائن ، فقوله : « ركزوا رفاتك » استعمال أريد به الاشارة الى ان هذا الرفات من النفائس والذخائر ، التى يضن بها ويحرص عليها ـ٢ـ المنار : موضع النور ، وجعلها منارا من دم : هو لون من التشبيه العجيب ، كأنه يعجب كيف جعلوا موضع النور والائتناس محلا للتنفير والازعاج ـ٣ـ الحرية الحمراء : هى المكتسبة بالدم ، اشارة الى قولهم : الحرية شجرة لا تنبت الا بالدماء ـ٤ـ الجوزاء : نجم معروف فى السماء ـ٥ـ دار السلام : بغداد . وجلق : دمشق .

خُيِّرْتَ فاخترتَ المبيتَ على الطَّوَى لم تَبْنِ جاهاً ، أو تَلُمَّ ثراءِ(١)
إنَّ البطولةَ أن تموتَ من الظَّما ليس البطولةُ أن تَعُبَّ الماءَ
إفريقيا مَهْدُ الأُسودِ ولَحْدُها ضجَّتْ عليكَ أراجلاً ونساءَ
والمسلمون على اختلافِ ديارِهم لا يملِكون معَ المُصابِ عَزاءَ
والجاهليةُ من وَراءِ قُبورِهم يبكون زَيْدَ الخيلِ والفَلْحاءَ(٢)

* * *

في ذِمَّةِ اللهِ الكريمِ وحفظِه جَسَدٌ (ببرْقة) وُسِّدَ الصحراءَ(٣)
لم تُبْقِ منه رَحَى الوقائعِ أعظُماً تَبْلَى ، ولم تُبْقِ الرِّماحُ دِماءَ
كَرُفاتِ نَسْرٍ أو بَقيَّةِ ضَيْغَمٍ باتا وراءَ السَّافياتِ هَباءَ(٤)
بطلُ البَداوةِ لم يكن يَغْزو على «تَنْكٍ» ، ولم يَكُ يركبُ الأَجواءَ(٥)
لكنْ أخو خَيْلٍ حَمَى صَهَواتِها وأدارَ من أعرافِها الهيجاءَ

* * *

لَبَّى قضاءَ الأَرضِ أمسِ بُمهْجَةٍ لم تخْشَ إلاَّ للسماءِ قَضاءَ
وافاهُ مَرْفوعَ الجبينِ كأنَّه سُقْراطُ جَرَّ إلى القُضاةِ رِداءَ
شَيْخٌ تَمالَكَ سِنَّهُ لم ينفجرْ كالطفلِ من خوفِ العِقابِ بُكاءَ
وأخو أُمورٍ عاشَ في سَرَّائها فتغيَّرَتْ ، فتوقَّعَ الضَّراءَ

١ــ اللم : الجمع ــ٢ــ الفلحاء : لقب عنترة العبسى ، اما زيد الخيل فعلم على فارس بهذا الاسم ــ٣ــ برقة : هى المنطقة الشرقية من ليبيا ، فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤١م ، وسميت باسم عاصمتها القديمة . وقد اشتهرت بوقائعها الحربية المتعددة التى حدثت بين العرب والطليان .
٤ــ السافيات : الرياح ــ٥ــ تنك : هى الدبابة المستعملة فى الحروب .

الأُسْدُ تزأرُ في الحديدِ ولن ترى ... في السِّجنِ ضِرْغاماً بكى اسْتِخْذاء
وأنى الأَسيرُ يَجُرُّ ثِقْلَ حَديدِهِ ... أَسَدٌ يُجَرِّرُ حَيَّةً رَقْطاء
عَضَّتْ بساقَيْهِ القُيودُ فلم يَنُؤْ ... ومَشَتْ بهَيْكله السّنون فناء
تِسْعُونَ لو رَكِبَتْ مَناكِبَ شاهقٍ ... لترجَّلَتْ هَضَباتُه إعياء(١)
خَفِيَتْ عن القاضى ، وفات نَصِيبُها ... من رِفْقِ جُنْدٍ قادةً نُبَلاء
والسِّنُّ تَعْصِفُ كُلَّ قَلْبٍ مُهَذَّبٍ ... عَرَفَ الجُدودَ ، وأدرَكَ الآباء

* * *

دفعوا إلى الجلَّادِ أَغلَبَ ماجداً ... يأسُو الجراحَ ، ويُطلِقُ الأُسَراء
ويُشاطرُ الأَقرانَ ذُخْرَ سِلاحِهِ ... ويَصُفُّ حَوْلَ خِوانِه الأَعداء(٢)
وتخيَّروا الحبلَ المَهينَ مَنيّةً ... للَّيْثِ يلفِظ حَوْلَهُ الحَوْباء(٣)
حَرموا المماتَ على الصَّوارِمِ والقَنا ... مَنْ كان يُعْطِى الطَّعْنَةَ النَّجْلاء
إنى رأيتُ يَدَ الحضارةِ أُولِعَتْ ... بالحقِّ هَدْماً تارةً وبِناء
شرَعَتْ حُقوقَ الناسِ فى أوطانِهم ... إلَّا أُباةَ الضَّيْمِ والضُّعَفاء

* * *

يأيُّها الشعبُ القريبُ ، أسامعٌ ... فأَصوغَ فى عُمَرَ الشَّهيدِ رِثاء ؟
أم أَلْجَمَتْ فاكَ الخطوبُ وحَرَّمت ... أُذنَيْكَ حينَ تُخاطَبُ الإِصْغاء ؟
ذهب الزعيمُ وأنتَ باقٍ خالدٌ ... فانقُد رِجالَك ، واختَرِ الزُّعَماء
وأَرِحْ شيوخَكَ من تكاليفِ الوَغَى ... واحْمِلْ على فِتْيانِكَ الأَعْباء

١ـ الشاهق : الجبل . والتسعون : هى التسعون عاما التى يحدد بها عمر المرثى حين قبضوا عليه ليعدموه ـ٢ـ الخوان : مائدة الطعام .
٣ـ الحوباء : النفس .

عبد الحليم العلايلى بك(*)

لقد لَبَّى زعيمُكُم النِّداءَ عَزاءً أهلَ دِمْياطٍ عَزاءَ
وإن كان المُعَزِّى والمُعَزَّى وكلُّ الناسِ فى البَلْوَى سَواءَ
فُجِعْنا كلُّنا بعلائِلىٍّ كرُكنِ النَّجمِ أو أسنى عَلاءَ
أرَقُّ شبابِ دِمْياطَ عليها وأنشطُهم لحاجتِها قَضاءَ
وخيرُ بيوتِها كرماً وتَقْوَى وأصلاً فى السِّيادة وانتهاءَ
فتًى كالرمحِ عاليةً وعُوداً وكالصَّمْصام إفْرِنْداً وماءَ(١)
وأعطى المالَ والهِمَمَ العَوالى ولم يُعْطِ الكرامةَ والإباءَ
شبابٌ ضارَعَ الرَّيْحانَ طِيباً ونازَعَهُ البَشاشةَ والبَهاءَ
وجُنْدِىٌّ القضيّةِ منذُ قامَتْ تعلَّمَ تحتَ رايَتِها اللِّقاءَ
ورُوِّعَ شيخُها العالى بيومٍ فكان بمَنْكِبَيْهِ له وِقاءَ(٢)
سعَى لضميرِه ، ولوَجْهِ مصرٍ ولم يَتَوَلَّ ينتظر الجزاءَ

* * *

ونَعْشٍ كالغَمامِ يَرِفُّ ظِلاًّ إذا ذهب الزِّحامُ به وجاءَ
ولم تقعِ العيونُ عليه إلّا أثار الحزنَ أو بعثَ البكاءَ

(*) عبدالحليم العلايلى : كان عالية دمياط ، توفى سنة ١٩٣٢ ، بعد ان ترك له فى القضية المصرية مواقف مذكورة . اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة فانتخب للمجالس النيابية بالنيابة عن دائرة دمياط عدة مرات ، وانتخب سكرتير حزب الاحرار الدستوريين فكان فى رجالات ذلك الحزب ممن يشار اليهم ، وكان من أمير الشعراء بمنزلة الصهر والصديق .

١ــ عالية الرمح : نصفه الاعلى الذى يلى السنان . والصمصام : السيف . وافرنده وماؤه : كلاهما تمييز لجوهره ــ٢ــ يقصد « بشيخها العالى » : المغفور له سعد باشا زغلول .

عَجبنا كيف لم يَخْضَرّ عُوداً وقد حمل المرُوءةَ والوَفاء
مشَتْ دِمْياطُ فالتفتتْ عليهِ تنازعُهُ الذَّخيرة والرجاء

* * *

بَنى دِمْياطَ ، ما شَئٌ بباقٍ سوى الفردِ الذى احتكر البقاء
تعالى اللهُ ، لا يبقَى سِواه إذا وردَتْ بريَّتُه الفناء
وأنتم أهلُ إيمانٍ وتقوى فهل تلْقَوْنَ بالعَتْبِ القضاء ؟
ملأتم من بيوتِ اللهِ أرضاً ومن داعى البُكورِ لها سماء
ألا تستقبلون الفجرَ إلّا على قَدَمِ الصلاةِ إذا أضاء
وترتقبون مَطْلَعَهُ صِغاراً وتَسْتبِقُونَ غُرَّتَهُ نِساء
وكم من مَوْقِفٍ ماضٍ وقفتم فكنتم فيه لِلوطن الفِداء
دفعتم غارةً شعواءَ عنه وذُدْتُمْ عن حواضِره البَلاء

* * *

أخى (عبدَ الحليم) ولسْتُ أدرى أأدعو الصِّهْرَ أم أدعو الإخاء ؟
وكم صَحَّ الودادُ فكان صِهْراً وكان كأقْرَبِ القُرْبَى صَفاء
عجيبٌ تركُكَ الدنيا سقيماً وكنتَ النَّحْلَ تملؤها شِفاء(١)
وكنّا حينَ يُعْضِل كلُّ داءٍ نجئُ إليكَ نجعلك الدّواء
مضت بك آلةٌ حَدْباءُ كانت على الزمن المَطِيَّةَ والوِطاء(٢)
وسارَتْ خلْفكَ الأحزابُ صفًّا وسِرْتَ ، فكُنْتَ فى الصفِّ اللِّواء
تولِّفُ بينهم مَيْتاً ، وتبنى كعهدِكَ فى الحياة لهم وَلاء

---

١ — يريد تشبيه المساعى الكثيرة النبيلة التى كان يقوم بها المرثى بعسل النحل — ٢ — الآلة الحدباء : النعش .

حافظ ابراهيم(*)

قد كنتُ أُوثِرُ أن تقولَ رِثائى يا مُنْصِفَ الموْتى من الأحياء
لكنْ سبَقْتَ ، وكلُّ طولِ سلامةٍ قدرٌ ، وكلُّ مَنِيَّةٍ بقضاء
الحقُّ نادَى فاسْتجَبْتَ ، ولم تَزلْ بالحقِّ تحفِلُ عندَ كلِّ نِداء
وأتيْت صحراء الإمامِ تذوب من طُولِ الحنينِ لساكن الصحراء(١)
فلقيت فى الدار الإمامَ محمداً فى زُمْرَةِ الأبرارِ والحُنفاء(٢)
أثَرُ النعيمِ على كريمِ جبينه ومراشِدُ التفسيرِ والإفتاء
فشكوتما الشَّوْقَ القديمَ ، وذُقْتما طِيبَ التدانى بعدَ طولِ تنائى
إنْ كانت الأُولى منازلَ فُرْقةٍ فالسمْحَةُ الأُخرى ديارُ لِقاء(٣)
وودِدْتُ لو أنى فداكَ من الرَّدَى والكاذبون المُرْجِفونَ فِدائى
الناطقونَ عن الضَّغينةِ والهوى المُوغِرُو المَوْتَى على الأحياء
من كلِّ هَدَّامٍ ويَبْنى مجدَه بكرائمِ الأنقاضِ والأشلاء
ما حَطَّموكَ ، وإنما بكَ حُطِّموا من ذا يُحطِّم رَفْرَفَ الجوزاء ؟(٤)

(*) هو المرحوم محمد حافظ ابراهيم بك ، شاعر سباق معدود فى الطليعة ، وكان يلقب بشاعر النيل ، توفى سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقى بك بهذه القصيدة ، التى ينبىء مطلعها عن مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له .

١ ـ صحراء الامام : المقبرة التى دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للامام الشافعى لوقوع ضريحه ـ رضى الله عنه ـ فى نطاقها ـ٢ـ الامام : هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الدينى الكبير ، وقد اشتهر المرحوم حافظ فى حياته باكتساب عطفه ورضاه ـ٣ـ الأولى : الحياة الدنيا ـ٤ـ الرفرف : ما يجعل عليه طرائف البيت . والجوزاء : نجم معروف فى السماء ، فالتعبير برفرف الجوزاء : كناية عن اسنى مواضع الشرف والسمو .

أُنظُره ، فأنت كأَمْسِ شأْنُكَ باذخٌ ... في الشرقِ ، واسْمُكَ أَرفعُ الأَسماءِ
بالأَمسِ قد حَلَّيْتَنى بقصيدةٍ ... غراءَ تحفَظُ كاليدِ البيضاءِ(١)
غِيظَ الحَسُودُ لها وقمتُ بشكرها ... وكما علمتَ مَوَدَّتى ووفائى
فى مَحفلٍ بَشَّرْتُ آمالى به ... لما رَفعتَ إلى السماءِ لِوَائى
يا مانِحَ السُّودانِ شرْخ شبابِه ... ووَلِيَّهُ فى السِّلمِ والهيْجاءِ
لما نزلْت على خمائله ثوَى ... نبْعُ البيانِ وراءَ نَبْعِ الماءِ
قلَّدْتَهُ السيفَ الحُسامَ ، وزدْتَهُ ... قلماً كصدرِ الصَّعْدةِ السمراءِ(٢)
قلم جرى الحِقبَ الطِّوالَ فما جرى ... يوماً بفاحشةٍ ولا بهجاءِ(٣)
يكسو بِمدْحَتِه الكِرامَ جلالةً ... ويُشَيِّعُ المَوْتى بحسنِ ثَناءِ

* * *

إِسْكَنْدَرِيَّةُ يا عروسَ الماءِ ... وخميلةَ الحكماءِ والشعراءِ(٤)
نشأَتْ بشاطِئِكِ الفنونُ جميلةً ... وتَرعرعَتْ بسمائِكِ الزهراءِ
جاءتْكِ كالطيرِ الكريمِ غرائباً ... فجمعتِها كالرَّبْوَةِ الغنَّاءِ
قد جمَّلوكِ ، فصِرْتِ زِنْبَقَةَ الثرَى ... للوافدين ودُرَّةَ الدَّأْماءِ

١ــ يريد القصيدة التى انشأها المرحوم حافظ وانشدها فى المهرجان العظيم الذى أقيم فى القاهرة ، وقد حضرت اليه وفود الاقطار العربية ، وظل سبعة ايام تكريما لمبايعة امير الشعراء شوقى بامارة الشعر فى الشرق العربى عامة ، وهى التى يقول فيها :

امير القوافى ، قد اتيت مبايعا ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

٢ــ الصعدة : قناة الرمح ينبت عودها مستويا ــ٣ــ الحقب : جمع حقبة ــ بكسر الحاء ــ وهى المدة من الزمن أو السنة ــ٤ــ نظم المرحوم شوقى هذه القصيدة وهو فى الاسكندرية ، فكان لابد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لاقامته فيها وقتئذ .

غرَسُوا رُباكِ على خمائلِ بابلٍ ... وبَنَوْا قصورَك فى سَنا الحمراءِ(١)
واستحدثوا طُرُقاً مُنورّة الهدى ... كسبيلِ عيسى فى فِجاجِ الماءِ(٢)
فخُذى كأسٍ من الثقافة زينةً ... وتجمّلى بشبابكِ النُّجَباءِ
وتقلّدى لغةَ الكتابِ ؛ فإنّها ... حَجَرُ البناءِ ، وعُدّةُ الإنشاءِ
بَنَتِ الحضارةَ مَرَّتيْن ، ومهّدتْ ... للمُلكِ فى بغدادَ والفَيْحاءِ
وسَمَتْ بقرطبةٍ ومصرَ ، فحلّتا ... بين الممالكِ ذِرْوَةَ العَلياءِ(٣)
ماذا حشدتِ مِن الدموع «لحافظٍ» ... وذخرْتِ من حزنٍ له وبُكاءِ ؟
ووجدْتِ مِن وقع البلاءِ بفقدِهِ ... إن البلاءَ مَصارِعُ العظماءِ
اللهُ يشهدُ قد وَفيْتِ سخيّةً ... بالدّمع غيرَ بَخيلةِ الخطباءِ
وأخذتِ قِسطاً من مَناحةِ ماجدٍ ... جَمِّ المآثِرِ ، طيِّبِ الأنباءِ
هَتف الرُّواةُ الحاضرون بشعره ... وحدا به البادون فى البَيْداءِ(٤)
لبنانُ يَبكيه ، وتبكى الضادُ من ... حَلبٍ إلى الفيْحاءِ إلى صَنْعاءِ
عربُ الوَفاءِ وَفوْا بذمّةِ شاعرٍ ... بانى الصفوفِ ، مُؤلفِ الأجزاءِ
ياحافظَ الفصحى ، وحارسَ مَجْدِها ... وإمامَ مَنْ نجلَتْ من البُلغاءِ(٥)
ما زِلْتَ تهتفُ بالقديمِ وفضلِهِ ... حتى حَمَيْت أمانةَ القُدماءِ
جدّدت أسلوبَ (الوليدِ) ولفظَه ... وأتيْت للدّنيا بسحر (الطائى)(٦)

---

١ — بابل : موضع مدينة بالعراق ، ينسب اليها السحر والخمر . والحمراء : قصر مشهور فى الاندلس —٢— الفجاج — بكسر الفاء : جمع فج — بفتحها — الطريق الواسع بين الجبلين —٣— قرطبة : احدى عواصم الأندلس الكبرى ، وكانت فى المغرب مثل بغداد فى المشرق ، كلتاهما منبع العلوم والفنون فى ازهر عصور الاسلام —٤— البادون : السائرون فى البادية ٥— نجلت : أى ولدت —٦— الوليد : هو ابو عبادة البحترى الشاعر العباسى الشهير . والطائى : هو حبيب الطائى الشهير بأبى تمام .

وجريْتَ فى طلبِ الجديدِ إلى المدى حتى اقترنْتَ بصاحب ألبُؤساءِ(١)
ماذا وراءَ الموت من سَلْوَى ، ومن دَعَةٍ ، ومن كرَم ٍ ، ومن إغضاءِ ؟
اشرحْ حقائقَ ما رأيْت ، ولم تزل أهلاً لِشرْحِ حقائِقِ الأشياءِ
رُتبُ الشجاعةِ فى الرِّجالِ جلائلٌ وأَجَلُّهُنَّ شجاعةُ الآراءِ
كم ضِقتَ ذَرْعاً بالحياة وكيْدِها وهتفت بالشكوى من الضَّراءِ
فهلُمَّ فارِقْ يأْسَ نفسِك ساعةً واطلُعْ على الوادى شُعاعَ رجاءِ
وأشِرْ إلى الدنيا بوجهٍ ضاحكٍ خُلِقتْ أسِرَّتُهُ من السَّراءِ
يا طالما مَلأَ النَّدِىَّ بشاشةً وهدى إليك حوائجَ الفقراءِ
اليومَ هادنَت الحوادِثَ ؛ فاطَّرِحْ عِبْءَ السنين ، وألْقِ عِبْءَ الداءِ
خلَّفْت فى الدنيا بياناً خالداً وتركْت أجيالاً من الأبناءِ
وغداً سيذكرك الزمانُ ، ولم يَزلْ للدَّهرِ إنصافٌ وحسنُ جزاءِ

---

١ — البؤساء : كتــاب لفكتور هوجو ، عربه الفقيد .

محمد تيمور(*)

ضربوا القِبابَ على اليَبابِ وثوَوْا إلى يوم الحسابِ(١)
هَمَدوا ، وكلُّ مُحَرَّكٍ يوماً سيسكنُ فى التراب
نزلوا على ذِئْبِ البِلَى فتضيَّفوا شرَّ الذئاب
وكأنَّهم صَرْعَى كرَى بالقاع أو صَرْعَى شراب
فإذا صَحَوْا وتنبَّهوا فاللهُ أعلمُ بالمآب

* * *

من كلِّ مُنْفَضٍّ الوفو دِ هناك مهجورِ الجَنابِ
مَوْرُوثِ كلِّ مَضِنَّةٍ إلا الذَّخيرة مِن ثواب(٢)

* * *

يا نائحاتِ محمدٍ نُحْتُنَّهُ غضَّ الإهاب
فى مأتمٍ لم تخلُ فيـــه المكرماتُ مِن انتحاب
تبكى الكريمَ على العشـــيرة ، والحبيبَ إلى الصحاب
حَسْبُ الحِمامِ دُموعُكُـــنَّ المُسْتهِلَّةُ مِن عِتاب(٣)
فارْجِعْنَ فيه لحكمةٍ أو جِئْنَ فيه إلى احْتِساب
فى العالم الفانى مَصـــيرُ العالمين إلى ذهاب
مَنْ سارَ لمْ يَثْنِ العِنا نَ ، ومَنْ أقام إلى اقتراب

* * *

(*) محمد تيمـوز : اديب كبير اشتهر بوضع القصص الاجتماعيه ، ولكن الموت لم يمهله فاخترم شبابه فى سنة ١٩٢١ .

١ــ القباب : جمع قبة ، والمقصود بضرب القباب هنـا : هو الكناية عن المقبرة ــ٢ــ المضنة : هى الشىء النفيس يكون موضــعا للضن به

٣ ــ الحمام ــ بكسر الحاء ــ : الموت .

يا وارثَ الحَسَبِ الصميـ ـمِ وكاسبَ الأَدبِ اللُّباب
وابنَ الذى علم الرجا لُ حياءه من كل عاب(١)
وكأَنه فى كُتْبِهِ عثمانُ فى ظل الكِتاب(٢)
ماذا نقمْتَ مِن الشبا بِ ، وأَنت فى نِعَم الشباب ؟
مُتحلياً هِبَة النبو عِ ، مُطوَّق المِنح الرِّغاب ؟
ولِم الترحُّلُ عن حيا ةٍ أَنت منها فى رِكاب ؟
لم تعْدُ شاطِئَها ، ولم تبلغْ إِلى ثَبَجِ العُباب ؟(٣)

* * *

رِفقاً على محزونة الـ أَبياتِ ، مُوحِشةِ الحِجاب(٤)
فقدَتْك فى العمر الطريـ ـرِ ، وفى زها الدنيا الكعاب(٥)
تبكى ، وتندُب إِلْفها بين الأَفانين الرطاب
وانظر أَباك وثُكْلَه ورُزوحَه تحت المصاب
لو كان يملك سِر يُو شعَ ردّ شمْسَك من غِياب(٦)

* * *

١ــ وابن الذى .. الخ : هو المرحوم احمد باشا تيمور ، كان عالما بحاثا اشتهر بالاطلاع الواسع وباقتناء اثمن الكتب ــ٢ــ يشبه والد الفقيد في اقباله على الكتب فى شيخوخته بعثمان بن عفان الخليفة الثالث الذى مات والكتاب العزيز فى يده ــ٣ــ العباب : البحر . وثبجه : وسطه ــ٤ــ موحشة الحجاب : كناية عن شدة مصاب هذه السيدة ، يقول : ان خدرها اقفر من الانس حتى صار يبعث الوحشة والهلع فى قلب صاحبه ــ٥ــ العمر الطرير : هو سن الشباب ، ويقصد بقوله : « الدنيا الكعاب » انه كان يعيش فى دنيا مزهوة بنعيمها وثروتها ــ٦ــ يوشع ــ كما فى التوراة ــ : هو يوشع بن نون ، اصطفاه الله وارسله لبنى اسرائيل بعد موسى ، وامره بمحاربة الجبارين ، ففى بعض وقائعه ابتهل الى الله ان تقف الشمس حتى ينتقم من اعدائه ، فوقفت ولم تغرب مدة يوم أو نحو ذلك .

أعلِمْت غيرَك منْ جَلا التـ مثيلَ فى جُدُدِ الثيابِ
وكسا غرائبَ جِدِّهِ حُلَلاً مِن الهزل العُجاب
مُتميزاً حينَ التميُّـ ـزُ ليس من أَرَبِ الشباب
أُفقُ العُلا كنتَ الشها بَ عليه ، لا ذَنَبَ الشهاب
يا رُبَّ يومٍ ضاق ذَرْ عُك فيه بالحُسَّدِ الغِضاب
سَعْهم فأنت جمعتَهم الشهدُ مائدةُ الذُّباب
خُذْ منهُمُ نقْدَ العَفا فِ ، ودَع لهم نقْدَ السباب
دونَ النُّبوغِ وأَوْجِهِ ما لا تَعُدُّ من الصعاب
فإذا بلغت الأَوْجَ كُنْـ ـت الشمس تهزأُ بالضَّباب(١)

* * *

لا تبعدنّ ؛ فهـــذه آمالُ قوْمِك فى اقتراب
أُشرُفْ بروحك فوقَهم ملكاً يُرَفْرِف فى السحاب
وانظر بعينٍ نُزِّهَتْ عن زُخْرُفِ الدنيا الكِذاب
ترَ مِنْ لِدَاتِك أُمّةً كسَتِ الديارَ جلالَ غاب(٢)
أُسْدٌ تجول بغير ظُفْـ ـرٍ ، أَو تصول بغير ناب
جعلوا الثباتَ سِلاحَهم نِعْمَ السلاحُ مع الصواب(٣)
أمّا الأُمورُ فإنها بلغتْ إلى فصْلِ الخِطاب
فإذا ملكْت توَجُّهاً لله فى قُدس الرحاب
سَلْ فاتحَ الأَبوابِ يفـ ـتح للكِنانةِ خيرَ باب

---

١ ــ الأوج : العــلو ــ٢ــ لدات الانســان : المقــاربون له فى السن . والغاب : جمع غابة ، وهى مأوى الآساد ــ٣ــ يصف شباب الامة المصرية فى ثورة سنة ١٩٢٠ .

يعقوب صروف(*)

سماؤُكِ يا دنيا خِداعُ سَرابِ ... وأرضُكِ عُمْرانٌ وَشِيكُ خراب(١)
وما أنتِ إلاَّ جِيفةٌ طالَ حوَلها ... قيامُ ضِباعٍ ، أو قُعودُ ذِئاب
وكم ألجأَ الجوعُ الأُسودَ فأقبلَتْ ... عليك بظُفْرٍ لم يَعِفّ وناب
قَعَدْتِ من الأَظعان في مَقْطعِ السُّرَى ... ومَرُّوا رِكاباً فى غُبارِ رِكاب
وجُدْتِ عليهم فى الوَداعِ بساخرٍ ... من اللَّحْظِ عن مَيْتِ الأَحِبّةِ نابى(٢)
أقاموا ، فلم يؤنِسْكِ حاضرُ صحبةٍ ... ومالوا فلم تستوحشى لغِياب
تسُوقِينَ للموتِ البَنينَ كقائدٍ ... يرى الجيشَ خلْقاً هَيناً كذُباب
رأى الحربَ سُلطاناً له وسلامةً ... وإن آذنتْ أجنادَه بتباب(٣)
ولولا غرورٌ فى لُبانكِ لم يجد ... بَنوكِ مَذاق الضُّرِّ شهدَ رُضاب(٤)
ولا كنتِ للأعمى مَشاهِدَ فتنةٍ ... وللمُقْعَدِ العانى مَجالَ وثاب(٥)
ولا ضلّ رأيُ الناشئِ الغِرِّ فى الصِّبا ... ولا كَرَّ بعدَ الفُرصةِ المتصابى
ولا حسبَ الحفَّارُ للموتِ بعدَما ... بَنى بيديه القبرَ ألف حِساب
يقولون : يَرثِى كلَّ خِلٍّ وصاحبٍ ... أجَلْ ، إنما أقضى حقوقَ صِحابى

(*) هو الدكتور يعقوب صروف ، احد صاحبى مجلة المقتطف وجريدة المقطم ، كان متبتلا للعلم ، معدودا فى طليعة الكتاب والعلماء الذين يشار اليهم بالبنان ، توفى سنة ١٩٢٨ .

١ـ السراب : هو ما يرى فى وسط النهار كأنه الماء . ووشيك : سريع ـ٢ـ النابى : المتجافى المتباعد ـ٣ـ يقال : آذنته بكذا ، اى أنذرته . والتباب : الهلاك ـ٤ـ اللبان ـ بتشديد اللام مضمومة ـ : جمع لبنانة ، وهى الحاجة يطلبها الانسان من غير احتياج اليها ، بل بدافع من علو الهمة والرغبة . الرضاب : هو ريق الانسان مادام فى فمه ـ٥ـ العانى : المقيد ، وهنا سمى الأسير بالعانى ، لأن من شأنه أن يقيد .

جَزيْتُهُمُ دمعى ، فلما جرى المدَى   جعلتُ عيونَ الشعرِ حُسْنَ ثوابى
كفى بذُرَى الأعوادِ منبرَ واعظٍ   وبالمستقلِّيها لسانَ صَواب(١)
دعوتُك يا يعقوبُ من منزلِ البِلَى   ولولا المنايا ما تركْتَ جوابى
أُذكِّرك الدنيا ، وكيف ولم يَزلْ   لها أثرًا شَهدٍ بفيك وصاب ؟(٢)
حملنا إليك الغارَ بالأمسِ ناضراً   وسُقنا كتابَ الحمدِ تِلْوَ كتاب(٣)
وما انفكّتِ الدنيا وإنْ قلّ لُبْثُها   لسانَ ثوابٍ ، أو لسانَ عِقاب
ألا فى سبيلِ العلمِ خمسون حِجَّةً   مَضتْ بين تعليمٍ وبين طِلاب
قطعتَ طوالَىْ ليلِها ونهارِها   بآمالِ نفسٍ فى الكمالِ رِغاب
رأى اللهُ أن تُلقى إليك صحيفةٌ   فنزّهْتَها عن هَوشةٍ وكِذاب(٤)
ولم تتّخذْها آلةَ الحقدِ والهوى   ولا منتدَى لغوٍ وسوقَ سِباب
مَشيْنا بنُورَىْ علمِها وبيانِها   فلم نسْرِ إلاّ فى شُعاعِ شِهاب
وعشنا بها جيليْن قمتَ عليهما   معلِّمَ نشْءٍ ، أو إمامَ شباب
رسائلُ من عَفْوِ الكلامِ كأنها   حواشى عُيونٍ فى الطُّروسِ عِذاب(٥)
هى المحْضُ ، لا يَشْقى به ابنُ تميمَة   غِذاءً ، ولا يشقى به ابنُ خِضاب(٦)

١ـ بالمستقليها : اى براكبيها ـ٢ـ الشهد : عسل النحل . والصاب : المر ـ٣ـ اشارة الى الاحتفال بالفقيد فى اليوبيل الفضى لمجلتـه المقتطف . والغار : ورق شجر كانت تتخذ منه اكاليل الظافرين ـ٤ـ هذه الصحيفة هى مجلة المقتطف التى تعد بحق امجد صحيفة علمية ادبية فى الشرق العربى كله ، وكان الفقيد مختصا بتحريرها ـ٥ـ قوله «كانها حواشى عيون .. الخ» العيون : هى عيون الماء ، ويقصد بحواشيها : النباتات والزهور التى تنبت حواليها ـ٦ـ المحض : هو الخالص من كل شىء ، وابن تميمة وابن خضاب : يقصد بالاول اليفع الناشىء ، وبالثانى الشائب الذى يخضب شعره .

سُهولٌ من الفُصحى وقفتَ بها الهوى — على ما لديها من رُبًى وهِضاب
وما ضِعتَ بين الشرقِ والغربِ مِشيةً — كما قيل فى الأمثال : حَجْلُ غراب
فلم أرَ أنقى منك سُمعةَ ناقلٍ — إذا وَسَم النقلُ الرجالَ بعاب
وكم أخذ القولَ السَّرِىَّ مُعرِّبٌ — فما ردَّه لاسمٍ ، ولا لنِصاب
وفدْتَ على الفُصحى بخيراتِ غيرها — فواللهِ ما ضاقت مناكِبَ باب
وقدْ مادَنتْ (يونانُ) منها و (فارسٌ) — و (روما) فحلُّوا فى فسيح رحاب
تبتَّلْتَ للعلم الشريفِ كأنه — حقيقةُ توحيدٍ وأنت صَحابى
وجشَّمت مَيدان السياسةِ (فارساً) — وكلُّ جوادٍ فى السياسة كابى(١)
وكنا و (نمرٌ) فى شِغابٍ ، فلم يَزلْ — بنا الدهرُ حتى فضَّ كلَّ شِغاب
رأى الثورة الكبرى ، فسلّ يَراعَه — لتحطيم أغلالٍ وفكِّ رِقاب(٢)
وما الشرقُ إلّا أسرةٌ أو عشيرةٌ — تلمُّ بنيها عندَ كلِّ مُصاب

* * *

سلامٌ على شيخ الشيوخِ ورحمةٌ — تحدَّرُ من أعطاف كلِّ سَحاب
ورفّافُ رَيْحانٍ يروحُ ويَغتدى — على طيِّباتٍ فى الخِلال رِطاب
وذِكرى وإن لم ننْسَ عهدك ساعةً — وشوقٌ وإن لم نفتكر بإياب
وويحَ السَّوافى هل عَرضْنَ على البِلَى — جَبينَك ، أم ستَّرْنهُ بحِجاب ؟(٣)

---

١ — المقصود بفارس فى هذا البيت هو الدكتور فارس نمر ، الشريك الثانى للفقيد فى مجلتى المقتطف والمقطم ، ولكنه الشريك المختص بالسياسة، كما كان الفقيد مختصا بالعلم ، وقوله : وكل جواد فى السياسة كابى ، اشارة رقيقة الى المثل القائل : « لكل جواد كبوة ولكل عام هفوة » .
٢ — يريد ان الدكتور نمر لم يشاغب حبا فى المشاغبة ، ولكنه كان متاثرا بفكرة عامة —٣— السوافى : الرياح .

وهل ضُنَّ ماءٌ كان فيه كأنه حياءُ بَتولٍ في الصلاة كَعاب(١)
ويا لحياةٍ لم تدَعْ غيرَ سائلٍ أكانت حياةً ، أم خليَّةُ داب ؟(٢)
وأين يدٌ كانتْ وكان بنانُها يَراعَةَ وَشْيٍ ، أو يَراعة غاب ؟
ولَهْفي على الأخلاقِ في رُكْنِ هَيْكلٍ ببطن الثرى رَثٍّ المعالم خابي

* * *

نعيش ونمضي في عذابٍ كلذَّة من العيش ، أو في لذَّة كعذاب
ذهبنا من الأحلام في كلِّ مذهبٍ فلما انتهينا فُسِّرَتْ بذهاب
وكلٌّ أخي عيشٍ وإن طال عيشُهُ تُرابٌ لعَمْرُ الموتِ وابنُ تُراب

---

١ ــ البتول : المنقطعة عن الرجال وعن الدنيا الى الله تعالى .
٢ ــ الداب : بمعنى الداب .

حسين شيرين بك (*)

أرأيت زينَ العابدينَ مُجَهَّزاً ... نقلوه نقلَ الوَرْدِ من محرابِه(١)
من دار توْأمِهِ وصِنْوِ حياتِه ... والأَوَّلِ المألوفِ من أترابه(٢)
ساروا به من باطلِ الدنيا إلى ... بُحْبوحَةِ الحقِّ المبينِ وغابِه(٣)
ومضَوْا به لسبيل آدمَ قَبله ... ومَصايرِ الأَقوامِ من أعقابه
تحنو السماءُ على زَكِيٍّ سَريرِه ... ويَمَسُّ جِيدَ الأَرضِ طِيبُ رِكابه
وتَطيب هامُ الحاملين وراحُهم ... من طِيب مَحْمِلِه، وطِيبِ ثيابه
وكأَنَّ مصرَ بجانِبَيْهِ رَبْوَةٌ ... آذارُ آذنها بوَشْكِ ذَهابه
ويكاد من طربٍ لعادته الندى ... يَنْسَلُّ للفقراء من أثوابه(٤)
الطيِّبُ ابنُ الطيِّبين ، وربَّما ... نضح الفتى فأَبان عن أحسابه
والمؤمنُ المعصومُ فى أخلاقه ... من كل شائنةٍ ، وفى آدابه
أبدًا يراه اللهُ فى غَلَسِ الدُّجَى ... من صَحْنِ مَسجده ، وحول كِتابه

(*) حسين بك شيرين : كان مثالا عاليا من أمثلة مكارم الاخلاق ، وكانت بينه وبين أمير الشعراء صداقة تشبه القربى ، وقد توفى فى سنة ١٩٣١ ، فنظم فيه هذه القصيدة رثاء له وتعزية لشقيقه اسماعيل بك شيرين .

١ــ اراد تشبيهه بعلى زين العابدين بن سيدنا الحسين رضي الله عنهما ، وفى زين العابدين هذا يقول الشاعر الفرزدق :

ما قال « لا » قط الا فى تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه « نعم »

وتجهيز الميت : تهيئته للقبر .

٢ــ الصنو : الأخ الشقيق . والتوام : المولود مع غيره فى بطن ، وهذه حال الفقيد مع اخيه . والاتراب : لدات المرء وزملاؤه الذين ولدوا فى سن متقاربة معه ــ٣ــ بحبوحة المكان : وسطه ــ٤ــ الندى : الكرم .

ويرى اليتامى لاثذين بظلِّه ... ويرى الأَراملَ يَعتصِمْنَ ببابه
ويراه قد أدّى الحقوقَ جميعَها ... لم يَنْسَ منها غيرَ حقِّ شبابه
أدّى من المعروف حِصَّةَ أهْلِه ... وقضى من الأَحساب حقَّ صِحابه (١)

* * *

(مهويشُ) ، أين أبوكِ؟ هل ذهبوا به ... لِمَ لمْ يَعد؟ أيَّانَ يومُ إيابه؟ (٢)
قد وكَّل اللهُ الكريمَ وعَيْنَه ... بلكِ ، فاحسبيه على كريم رِحابه
ودَعِى البُكا ، يكفيه ما حَمَّلْتِه ... من دمعكِ الشاكى ، ومن تَسْكابه
ولقد شربْتِ بحادث يا طالما ... شربَتْ بناتُ العالمين بِصَابه
كلُّ امرئٍ غادٍ على عُوّاده ... وسؤالِهم : ما حالُه ؟ ماذا به ؟
والمرءُ فى طلب الحياةِ طويلةً ... وخُطى المنيَّةِ من وراءِ طِلابه ؟
فى برِّ (عَمِّكِ) ما يقوم مكانَه ... فى عَطْفه ، وحنانِه ، ودِعابه

* * *

(إسكندريةُ) ، كيف صَبْرُكِ عن فتًى ... الصبرُ لم يُخلق لمثل مُصابه (٣)
عَطِلَتْ سماؤك من بَريق سَحابِها ... وخَبا فَضاؤكِ من شُعاع شِهابه
رَيْنُ الشباب نَضَى ، ولم تتزوَّدِى ... منه ، ولم تتمتَّعى بقَرابه
قد ناب عنكِ ، فكان أصدقَ نائبٍ ... والشعْبُ يَهْوَى الصِّدق فى نُوّابه
أعلمتِه اتَّخذ الأَمانةَ مَرَّةً ... سبَباً يُبلِّغه إلى آرابه ؟
لو عاش كان مؤمَّلاً لمواقفٍ ... يرجو لها الوادى كِرامَ شبابه

١ـ المعروف هنا بمعنى البر بالناس والقيام بواجب المحتاجين .
٢ـ مهويش : اسم تركى ، وهو علم على ابنة الفقيد .
٣ـ كان الفقيد من الاسكندرية منشأ ، وعضو مجلس بلديتها .

يجلو على الألبابِ هِمّةَ فِكْرِه ويناوِلُ الأسماعَ سِحرَ خِطابه
ويَفِي كدَيْدَنِهِ بحقٍّ بلادِه ويَفِي بعهد المسلمين كدابه(١)

* * *

تَقْواكَ (إسماعيلُ)، كلُّ علاقةٍ سَيَبُتُّها الدهرُ العَضوضُ بنابه(٢)
إنَّ الذى ذُقتَ العَشِيَّةَ فَقْدَه بِتٌّ الليالى مُوجَعاً لعذابه
فارقتَ صِنْوَكَ مرّتَيْنِ، فَلاقِهِ فى عالَمِ الذكرى وبينَ شِعابه(٣)
من عادة الذكرى تَرُدُّ من النوى مَن لا يَدَيْنِ لنا بِطَيٍّ غِيابه
حُلُمٌ كأحلام الكَرَى وسِناتِه مُسْتَعْذَبٌ فى صدقه وكِذابه
اسكُبْ دُموعَكَ لا أقول: اسْتَبْقِها فأخو الهوى يَبكى على أحبابه.

---

١ ـ الديدن: العادة ـ٢ـ اسماعيل بك شيرين شقيق المرثى.
٣ ـ يشير هذا البيت الى ان الفقيد كان مغتربا فى سويسرا طيلة زمن الحرب الكبرى.

محمد عبد المطلب(*)

قام من عِلّته الشاكى الوَصِبْ وتلقّى راحةَ الدّهرِ التّعِبْ(١)
أيُّها النفسُ ، اصبرى واسترجعى هتفَ الناعى بعبد المُطّلِب(٢)
نزل التُّرْبَ على مَن قبلَه كلُّ حىٍّ مُنتهاه فى التُّرُب
ذهب اللّيِّنُ فى إرشادِه كالأبِ المُشْفِقِ والحَدِّ الحَدِب
القريبُ العَتْبِ مِنْ مَعْنَى الرِّضا والقريبُ الجِدِّ من معنى اللّعِب
والأخُ الصادقُ فى الوُدّ إذا ظَهرَ الإخوانُ بالوُدّ الكَذِب
خاشعٌ فى درسه ، مُحْتَشِمٌ فَكِهٌ فى مجلس الصَّفْوِ طَرِب
قلَّد الأوطانَ نَشْأً صالحاً وشباباً أهلَ دين وحَسَب
ربّما صالتْ بهم فى غدِها صَولةَ الدولةِ بالجيش اللَّجِب(٣)
جعلوا الأقلامَ أرماحَهُمُ وأقاموها مقاماتِ القُضُب
لا يميلون إلى البَغْيِ بها كيف يَبغِى مَن إلى العلم انتسب ؟
شاعِرَ البَدْوِ ، ومنهم جاءنا كلُّ معنًى رقَّ ، أو لَفْظٍ عَذُب
قد جرت ألسُنُهم صافيةً جرَيانَ الماء فى أصل العُشُب
سَلِمَتْ من عَنَتِ الطبعِ ، ومن كُلْفَةِ الأقلام ، أو حَشْوِ الكُتُب(٤)

(*) هو الاستاذ محمد عبدالمطلب استاذ الادب فى مدرسة دار العلوم كان ينظم الشعر مؤثرا فى نظمه طريقة البادين ، ولذلك كان يلقب بشاعر البدو . وقد توفى سنة ١٩٣١ ، واقيمت له حفلة تأبين القيت فيها هذه القصيدة .

١ـ يريد بالوصب : المتعب من مرض أو من علو الهمة ـ٢ـ الاسترجاع: هو قول : (انا لله وانا اليه راجعون) ـ٣ـ الجيش اللجب : الكثير العدد والعدة ـ٤ـ العنت : المشقة .

قد نزلتَ اليومَ فى باديةٍ عَمرتْ فيها (امْرَأَ القيس) الحِقَبُ(١)
ومشى (المجنونُ) فيها سالياً نَفَضَ اللَّوْعةَ عنه والوَصَبُ(٢)
أَعِرِ الناسَ لساناً ينظموا لكَ فيه الشعرَ أو يُنْشُوا الخُطَب
قُمْ صِفِ الخُلْدَ لنا فى مُلْكِه من جلالِ الخَلْقِ، والصُّنْعِ العَجَب
وثمارٍ فى يواقيتِ الرُّبَى وسُلافٍ فى أباريق الذهب(٣)
وانثرِ الشعرَ على الأبرار فى قُدُس الساحِ وعُلوىِّ الرحب
واستعِر (رضوانَ) عُودَىْ قَصَبٍ وترنَّمْ بالقوافى فى القَصَب(٤)
واسْقِ بالمعنى إلٰهيًّا، كما تَتَساقَوْنَ الرَّحيقَ المنسكِب
كلّما سبَّحْتَ للعرشِ به رَفعَ الرحمٰنُ والرُّسلُ الحُجُب
قُمْ تأمَّلْ؛ هذه الدارُ وفى لكَ من طُلَّابها الجمعُ الأَرِب(٥)
وفَتِ الدارُ لبانى رُكْنِها وقضى الحقَّ بنو الدارِ النُّجُب(٦)
طلبوا العلمَ على شَيخِهِمُ زمناً، ثم إذا الشيخُ طُلِب
غابَ عن أعينهم، لكنّه ماثلٌ فى كلِّ قلبٍ، لم يَغِب
صورةٌ مُحْسِنَةٌ ما تختفى ومثالٌ طيبٌ ما يحتجِب
رجلُ الواجبِ فى الدنيا مضى يُنصِفُ الأُخرى ويقضى ما وَجب
عاش عَيْشَ الناسِ فى دنياهُمُ وكما قد ذهب الناسُ ذهب
أخذ الدرسَ الذى لُقِّنَهُ عُجَمُ الناسِ قديماً والعرب

١ــ امرؤ القيس: الشاعر الجاهلى المعروف ــ٢ــ المجنون: مجنون ليلى، من شعراء البادية كامرىء القيس ــ٣ــ يواقيت الربى: الأكمام المتفتحة بالورد والثمار التى تشبه الياقوت. والسلاف: الخمر.
٤ــ رضوان: هو الملك القائم على الجنة. والقصب: المزمار أو الناى الذى يترنم به ــ٥ــ الجمع الارب: أى الكثير الحصافة والكياسة والدهاء.
٦ــ النجب: جمع نجيب.

يرثي جدته (*)

خُلِقْنا للحياةِ وللمماتِ ومن هذين كلُّ الحادثاتِ
ومَنْ يولَدْ يَعِش ويَمُتْ كأن لَّمْ يَمُرّ خيالُهُ بالكائنات
ومَهْدُ المرء فى أيدى الرواقى كنعش المرء بينَ النائحات(١)
وما سَلِمَ الوليدُ من اشْتكاء فهل يخلو المعمَّرُ من أذاة ؟ (٢)
هى الدنيا ، قتالٌ نحن فيه مقاصدُ للحُسام وللقَناة
وكلُّ الناسِ مدفوعٌ إليه كما دُفِعَ الجبانُ إلى الثبات
نُرَوَّعُ ما نُرَوَّعُ ، ثم نُرمَى بسهمٍ من يدِ المقدورِ آتى
صلاةُ اللهِ يا (تمزارُ) تجزى ثَراكِ عن التِّلاوةِ والصَّلاة
وعن تسعين عاماً كنتِ فيها مثالَ المحسناتِ الفُضْلَيات
بَرَزْتِ المؤمناتِ ، فقال كلٌّ : لعلكِ أنتِ أمُّ المؤمنات
وكانت فى الفضائل باقياتٌ وأنتِ اليومَ كلُّ الباقيات
تبنَّاكِ الملوكُ ، وكنتِ منهم بمنزلة البنين أو البنات
يُظِلُّون المناقبَ منكِ شتَّى ويُؤْوُونَ التُّقَى والصالحات
وما ملكوكِ فى (سوقٍ) ، ولكنْ لدى ظلِّ القَنا والمرهَفات

(*) حدته هى المرحومة السيدة « تمزار » معتوقة جنتمكان ابراهيم باشا والى مصر ، وسترى فى القصيدة كيف بلغت الجـــدة المحترمة تلك المنزلة العالية .

١ـــ المهد : الموضع يهيأ للطفل . والرواقى : جمع راقية ، والراقيـــة عند العرب هى الأم أو نحوها ، تضع التمائم والتعاويذ على الطفل حفظا له من العين أو من الشياطين ، على زعمهم .

٢ـــ المعمر : هو الذى يمد له فى العمر . يقول فى هذه الابيات الثلاثة ، ان الدنيا لا ثبات لها ؛ فالانسان كأنه لم يوجد ، فالراقيات والنائحات والمهد والنعش والصغر والكبر فى لقاء الاقدار سواء ، فلا شيء يرد الموت ولا يمنع القدر .

عَنَنْتِ لهم (بمُورَةَ) بنتَ عشرٍ وسيفُ الموتِ فى هام الكُمَاةِ(١)
فكنتِ لهم وللرّحمٰن صيداً وواسطةً لعِقْدِ المسلمات
تَبِعْتِ محمداً من بعد عيسى لخيركِ فى سنيكِ الأوّلَيَات
فكان الوالدان هدًى وتقْوَى وكان الوِلْدُ هذى المعجزات
ولو لم تَظْهرى فى العُرْبِ إلاّ بأَحمدَ كنتِ خيرَ الوالدات(٢)
تجاوزتِ الولائدَ فاخراتٍ إلى فخر القبائل واللغات
وأحكم مَنْ تَحكَّمَ فى يَراعٍ وأبلغِ مَنْ تَبلَّغَ مِن دَواة
وأبرإِ مَنْ تبرّأ من عداءٍ وأنزهِ مَنْ تنزَّه مِن شَماتٍ
وأصْوَنِ صائنٍ لأخيه عِرْضاً وأحفظِ حافظٍ عهدَ اللّدات
وأقتلِ قاتلٍ للدّهرِ خُبْراً وأصْبَرِ صابرٍ للغاشيات
كأنّى والزمانُ على قتالٍ مُساجلةً بميدان الحياة(٣)
أخاف إذا تثاقلَت الليالى وأُشفِق من خُفوف النائبات
وليس بنافِعى حَذَرى ، ولكنْ إباءٌ أن أراها باغِتات
أمأمونٌ من الفَلَكِ العوادى و (برجَلُهُ) يَخُطُّ الدائرات ؟

١ـ عننت لهم .. الخ : مأخوذة من قولهم « عن الصيد للصائد » اذا ظهر . ومورة : علم على صقع بعينه هو الوطن الاول لجدته . والكماة : جمع كمى ، وهو الفارس المدجج بالسلاح . بعد أن قال ان جدته كانت متبناة للملوك بين كيف وقع لها ذلك ، فقال : انها لاحت للفرسان المغيرين على وطنها (مورة) فأخذوها أسيرة حرب ، وهى لم تجاوز العاشرة ، وكان هذا لخيرها ، حيث أكرمها الله ، فنشأت مسلمة ، ونزلت من الملوك بمنزلة بناتهم ـ٢ـ احمد : هو الاسم الشريف لأمير الشعراء ، يقول لجدته فى هذا البيت : اذا لم يكن لك نسب فى العرب الا ولادتك لى لكنت بهذا خير أمهات العرب . لقد وضع هذا البيت نفسه توأما لبيت المتنبى الذى يخاطب به امه فيقول :

ولو لم تكونى بنت أكرم والد لكان اباك الضخم كونك لى أما

٣ـ المساجلة فى القتال هى من قولهم : « الحرب سجال يوم لك ويوم عليك » .

تأمّلْ : هل ترى إلّا شِباكاً من الأيام حَوْلَك مُلْقَيات ؟
ولو أن الجهاتِ خُلقن سبعاً لكان الموتُ سابعةَ الجهات
لَعاً للنعش ، لا حُبًّا ، ولكنْ لأَجْلِكِ يا سماء المَكْرُمات(١)
ولا خانته أيدى حامِليه وإن ساروا بصبرى والأَناة
فلم أرَ قبله المريخَ مُلْقًى ولم أسمع بدفن النيِّرات
هناكَ وَقفْتُ أسألُكِ إتّئادًا وأمسِكُ بالصفات وبالصَّفاة (٢)
وأنظرُ فى تُرابكِ ، ثم أُغضِى كما يُغضِى الأَبِىُّ على القَذاة
وأذكر من حياتكِ ما تقضّى فكان من الغداة إلى الغداة

١ـ لعا : كلمة دعاء تقال للعاثر ، تقول « لعا له » اذا أردت سلامته و « لا لعا له » اذا أردت غير ذلك ـ٢ـ الصفاة : الحجر الصلد ، والمقصود بها هنا القبر .

محمد عبده (*)

مُفسِّرَ آى الله بالأَمس بيننا قُم اليومَ فسِّرْ للورى آيةَ الموتِ
رُحِمْتَ ، مَصيرُ العالمين كما ترى وكلٌّ هناء أو عزاء إلى فَوْت
هو الدهرُ : ميلادٌ ، فشغلٌ ، فمأْتمٌ
فذِكرٌ كما أبقى الصَّدَى ذاهبَ الصَّوت(١)

(*) هو الاستاذ الامام محمد عبده مفتى الديار المصرية . توفى سنة ١٩٠٥ ، وقد ظهرت أسمى ملكاته فى فهم وتفسير القرآن الشريف .

١ـ يقول : ان الانسان يشبه الصوت ، وذكره من بعده يشبه الصدى والصدى هو ما يرد على الصوت شبيهاً بصوته ، ويقال له الرجع ايضا .

رياض باشا(*)

مَماتٌ فى المواكب ، أم حياةُ ونعشٌ فى المناكب ، أم عِظاتُ ؟
ويَوْمُكَ فى البريَّةِ ، أم قيامٌ وموكبُكَ الأدلَّةُ والشِّيات ؟(١)
وخطبُكَ يا (رياضُ) ، أم الدواهى على أنواعها والنّازلات ؟
يجِلُّ الخطبُ فى رجلٍ جليلٍ وتكبرُ فى الكبير النائبات
وليس الميْتُ تبكيه بلادٌ كمن تَبكى عليه النائحات

* * *

وهل تَلْقَى مناياها الرواسى فتَهْوِى ، ثُمَّ تُضْمِرها فَلاة ؟(٢)
وتُكْسَرُ فى مراكزها العَوالى وتُدْفَنُ فى التراب المُرْهَفات ؟(٣)
ويُغشَى الليثُ فى الغابات ظُهْراً وكانت لا تَقرُّ بها الحَصاة ؟
ويَرْمِى الدهرُ (نادِىَ عينِ شمسٍ) ولا يَحْمِى لِواءهُم الرُّماة ؟(٤)
أَجَلْ ؛ حُمِلَتْ على النعشِ المعالى ووُسِّدَتِ الترابَ المَكْرُمات
وحُمِّلَتِ المدافعُ ركنَ سلمٍ يُشيِّعه الفوارسُ والمُشاة
وحَلَّ المجدُ حُفْرتَه ، وأمسَى يُطِيف به النوائحُ والبُكاة

* * *

(*) يقترن تاريخ رياض باشا بتاريخ كبار الحوادث فى مصر منذ الخديو اسماعيل الى أواخر حكم عباس الثانى تقريبا ، فتاريخه فى الواقع هو تاريخ مصر طيلة هذه الحقبة من الزمن .

١ـ الشيات : جمع شية ، وهى العلامة : يشبه يوم ممات رياض بيوم القيامة ، ويشبه جنازته بأشراط وعلامات القيامة ـ٢ـ الفلاة : الصحراء . ـ العوالى : الرماح . والمرهفات : السيوف ـ٤ـ نادى عين شمس : موضع المؤتمر الذى اقامه أعيان المسلمين ردا على المؤتمر الذى اقامه أعيان القبط فى فترة من خلاف وقع بين الطائفتين المصريتين ، لا أعادها الله .

هوَى عن أوْجِ رِفعتِه (رياضٌ) وحازَتْه القرونُ الخالياتُ
كأن لم يملإِ الدنيا فَعالاً ولا هَتفَتْ بدولته الرُّواة
نعاه (البرقُ) مُضْطرِباً ، فماجَتْ نجومٌ فى السماء مُحلِّقات
كأن الشمسَ قد نُعِيَتْ عِشاءً إليها فهْىَ حَسْرَى كاسفات
صحيفةُ غابرٍ طُوِيَتْ ، وولَّت على آثارِ من دَرجوا وفاتوا
يقول الآخرون إذا تَلَوْها : كذلك فَلْيَلِدْن الأُمَّهات
جزى اللهَ الرضا أبوَىْ (رياضٍ) هما غرَسَا وللوطن النبات
بنو الدنيا على سَفرٍ عَقيمٍ وأسفارُ النوابغِ مُرجعات
أرى الأمواتَ يَجمعُهم نشورٌ وكم بُعِثَ النوابغُ يومَ ماتوا
صلاحُ الأرضِ أحياءً ومَوْتَى وزينتُها وأنجُمُها الهُداة
قرائحُهم وأيديهم عليها هدًى ، ويسارةٌ ، ومُحسَّنات
فلو طُلِبَتْ لهم دِيَةٌ لقالت كنوزُ الأرضِ : نحن هى الدِّيات

* * *

أبا الوطنِ الأسيفِ ، بكتْكَ مصرُ كما بكَت الأبَ الكهفَ البَناتُ
قَضَيْتَ لها الحقوقَ فتًى وكهْلا ويومَ كبرْتَ وانحنَتِ القَناه
ويومَ النَّهْىُ للأُمراء فيها ويومَ الآمرون بها العُصاة(١)
فكنْتَ على حكومتها سِراجاً إذا بَسَطتْ دُجاها المُشْكِلات
يزيد الشيبُ نفسَك من حياةٍ إذا نقصَتْ مع الشيب الحياة
وتملوك السُّنُونَ قوًى وعزماً إذا قيل : السُّنون مُثبطات

١ــ يشير الى ايام الثورة العرابية فى مصر والى لون الحكم قبل تلك الثورة .

كسيْفِ الهندِ أَبْلَى حين فُلَّتْ ورَقَّتْ صَفحتاه والظُّبات(١)
رفيعُ القدرِ بالأمصار يُرنى كما نَظرتْ إلى النَّجم السُّراة(٢)
كأنك فى سماءِ المُلكِ (يحيى) وآلُك فى السماءِ النيِّرات(٣)
تَسوسُ الأَمرَ ، لا يُعطِى نفاذاً عليك الآمرون ولا النُّهاة
إذا الوزراءُ لم يُعطوا قِياداً نبذتهمُ كأنهمُ النَّواة
زَماعٌ فى انقباضٍ فى اختيالٍ كذلك كان (بسمركُ) الثُّبات(٤)
صِفاتٌ بَلَّغتْك ذُرَى المعالى كذلك تَرفع الرجلَ الصِّفات
وجدتَ المجدَ فى الدنيا لِواءً تلقَّاه المقاديمُ الأُباة
ويبقى الناسُ ما داموا رَعايا ويبقى المُقدِمون همُ الرُّعاة

* * *

(رياضُ) ، طَوَيْتَ قرْناً ما طوَتْه مع (المأْمون) (دِجْلةُ) و(الفرات)(٥)
تمنَّت منه أياماً تحلَّى بها الدُّوَلُ الخوالى الباذخات
ووَدَّ (القيصران) لَوَ انَّ (روما) عليها من حَضارته سِمات(٦)
حَباكَ اللهُ (حاشِيَتيْهِ) عُمْراً وأعمارُ الكرام مُبارَكات
فقمتَ عليه تجرِبةً وخُبْرًا ومدرسةُ الرجال التجرِبات
تمرُّ عليك كالآيات تَتْرَى صنائعُ أهلِهِ والمحدَثات

١ـ الظبات جمع ظبة ـ بضم الظاء ـ حد السيف ـ٢ـ السراة ـ بضم السين ـ : جمع سارى ، ولا يكون السرى الا للمشى بالليل . ٣ـ يحيى : هو يحيى البرمكى وزير هارون الرشيد ـ٤ـ بسمرك : وزير المانى ضرب مثلا فى الحنكة والمهارة والسياسة . والزماع : الذى يزمع الامر فى جراة واقدام ثم لا ينثنى ـ٥ـ المأمون : هو المأمون العباسى ، ودجلة والفرات : نهران بالعراق ـ٦ـ سمات : علامات .

فأدركتَ (البخارَ) وكان طفلاً   فشبَّ ، فبايعَتْه الصافِنات(١)
تُجاب على جناحَيْه الفيافى   وتحكم فى الرياح المنشآت
ويُصعَد فى السماء على (بروج)   غداً هى فى العوالمِ بارِجات(٢)
وبَيْنا الكهرُباءُ تُعَدُّ خرقاً   إذا هى كلَّ يومٍ خارقات
ودان البحرُ حتى خِيضَ عُمقاً   وقِيدَتْ بالعِنان السافيات(٣)
وبُلِّغَتَ الرسائلُ ، لا جَناحٌ   يَجوب بها البحارَ ، ولا أداة
كأن القُطرَ حين يُجيب قُطراً   ضمائرُ بينها مُتناجِيات

* * *

رَهينَ الرَّمْسِ ، حدِّثنى مَلِيًّا   حديثَ الموتِ تبْدُ لِيَ العِظات(٤)
هو الخبرُ اليقينُ ، وما سِواه   أحاديثُ المُنى والتُّرَّهات(٥)
سألْتُكَ : ما المنِيَّةُ ؟ أىُّ كأسٍ ؟   وكيف مَذاقُها ؟ ومَن السُّقاة ؟
وماذا يُوجِس الإنسانُ منها   إذا غَصَّت بعلْقَمها اللَّهاة ؟(٦)
وأىُّ المَصْرَعَيْنِ أشدُّ : موتٌ   على عِلْمٍ ، أم الموتُ الفَوات ؟(٧)
وهل تقع النفوسُ على أمانٍ   كما وقعَتْ على (الحرمِ) القطاة؟(٨)

١ــ الصافنات : الخيل ــ٢ــ يريد بالبروج : الطائرات ــ٣ــ العنان الزمام ، والسافيات : الرياح ــ٤ــ الرمس : القبر ــ٥ــ الترهات : جمع ترهة ، بتشديد الراء مفتوحة ، وهى الباطل ــ٦ــ اللهاة ــ بفتح اللام ــ اللحمة المشرفة على الحلق من اقصى الفم ــ٧ــ الموت الفوات : الموت المفاجىء ــ٨ــ القطاة : الحمام ، او طير يشبه الحمام ، ويقصد بالحرم : الحرم المكى حيث يحرم صيد الطيور اللائذة به .

وتَخلُد أم كزعم الغول تَبْلَى ... كما تبلَى العِظامُ أو الرُّفات ؟

تعالى اللهُ قابضُها إليه ... وناعِشُها كما انتعش النبات

وجازيها النعيمَ حِمًى أميناً ... وعيشاً لا تُكدِّره أذاة

أمِثلُك ضائقٌ بالخقِّ ذَرْعاً ... وفى بُرْدَيْك كان له حماة ؟(١)

أليس الحقُّ أن العيشَ فانٍ ... وأن الحيَّ غايتُه المماة ؟

فنَمْ ما شِئْت ، لا تُوحِشْكَ دنيا ... ولا يَحْزُنْكَ من عيشٍ فَوات

تصرَّمَت الشبيبةُ والليالى ... وغاب الأهلُ ، واحتجت اللِّدات

خَلَتْ (حِلْمِيَّةٌ) ممَّن بناها ... فكيف البيتُ حوالك والبنات ؟(٢)

أفيه من (المحلة) قوتُ يوم ... ومن نِعمٍ مَلأْنَ (الطوْدَ) شاة ؟(٣)

وهل لك من حريرهما وِسَادٌ ... إذا خَشُنَتْ لجنبَيْك الصَّفاة ؟(٤)

تَولَّى الكلُّ ، لم ينفعك منه ... سوى ما كان يَلتقِط العُفاة

عِبادُ اللهِ أكرمُهم عليه ... كِرامٌ فى بَرِيَّته ، أُساة

كمائدةِ المسيحِ ، يقوم بُؤْس ... حوالَيها ، وتَقعُد بائسات

أخذتُكَ فى الحياةِ على هَناتٍ ... وأىُّ الناس ليس له هَنات ؟(٥)

فصفحاً فى الترابِ إذا التقينا ... ولُوشِيَتِ العداوةُ والتِّرات

١ـ حماة : جمع حام ، وهو المدافع والمانع من العدوان ، والحامى : الاسد لحمايته عرينه ـ٢ـ الحلمية : حيث كانت دار الفقيد . وقوله : « وكيف البيت حولك والبنات » : يسأله عن حاله فى القبر وعن زاده هناك . ٣ـ المحلة : محلة روح قرية فى اقليم الغربية بمصر ، حيث كانت توجد أملاك الفقيد الواسعة ـ٤ـ الصفاة : الحجر والمقصود به هنا القبر ـ٥ـ الهنات : جمع هنة ، وهى الشيء الصغير ، وقد تعرف أسباب تلك الهنات من قصيدة مطبوعة فى الجزء الاول من الشبوقيات .

خُلِقتُ كأنّنى (عيسى) ، حرامٌ   على قلبى الضَّغِينةُ والشَّمات
يُساءُ إلىَّ أحياناً ، فأمضى   كريماً ، لا أقوت كما أقات
وعَندى للرجال — وإن تجافوْا —   مَنازلُ فى الحفاوَة لا تُفات

* * *

طلعْتَ على (النَّدِىِّ) (بعين شمسٍ)   فوافَتْها بشمسَيْنِ الغداة
على ما كان يَندو القومُ فيها   توافَى الجمعُ وائْتمر السَّراة(١)
تملَّكهم وقارُك فى خشوعٍ   كما نظمَتْ مُقيميها الصَّلاة
رأيتَ وُجوهَ قومِك كيف جَلَّتْ   وكيف تَرعرعَتْ مصرُ الفتاة
أُجِيلَ الرأىُ بين يديك حتى   تبيَّنَت الرَّزانةُ والحَصاة(٢)
وأنتَ على أعِنَّتهم قديرٌ   وهم بك فى الذى تقْضِى حُفاة(٣)
إذا أبدى الشبابُ هَوًى وزَهْواً   أشار إليه حِلْمُكَ والأَناة
فهلَّا قُمْتَ فى النادى خطيباً   لك الكَلِمُ الكبارُ الخالدات ؟
تُفَجِّرُ حكمةَ (التسعين) فيه   فآذانُ الشَّبِيبةِ صاديات ؟(٤)
تقول : متى أرى (الجيرانَ) عادوا   وَضَمٌّ على الإخاء لهم شَتات ؟(٥)
وأين أولو النُّهَى مِنَّا ومنهم   عسى يَأْسُون ما جرح الغُلاة ؟(٦)

١— يندو القوم : اذا اجتمعوا ليتشاوروا فى ناديهم . والسراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف —٢— الحصاة : العقل والراى —٣— الحفاة : جمع حفى ، وهو هنا بمعنى العالم يتعلم باستقصاء . قال الله تعالى « كأنك حفى عنها » ، اى سائل عنها باستقصاء —٤— التسعين : هى مدة عمر الفقيد . وصاديات ، اى ظامئات —٥— الجيران : هم القبط والمسلمون فى مصر —٦— الغلاة : هم البالغون حد الافراط فى عقائدهم وآرائهم .

مَشَتْ بين العشيرة رُسْلُ شرٍّ وفَرَّقَت الظّنونَ السَّيِّئات
إذا الثقةُ اضمحلَّتْ بين قومٍ تمزَّقَت الرَّوابطُ والصِّلات
فثِقْ ، فعسى الذين ارتَبْت فيهم على الأَيام إخوانٌ ثِقات
وربَّ مُحبَّبٍ لا صبرَ عنه بَدَتْ لك فى مَحبَّته بَداة(١)
ومكروهٍ على أَخذاتِ ظنٍّ تُحبِّبُه إليك التجرِبات
بنى الأَوطان ، هبُّوا ، ثم هبُّوا فبعضُ الموتِ يَجلبه السُّبات(٢)
مشى للمجدِ خَطْفَ البرقِ قومٌ ونحن إذا مشينا (السلحفاة)
يُعِدُّون القُوَى برًّا وبحراً وعُدَّتُنا الأَمانِى الكاذبات

---

١ ــ البداة ، من قولهم : بدا لى فى هذا الامر بداء ، اى ظهر لى فيه شىء ــ٢ــ السبات : النوم ، واصله الراحة ، ومنه قوله تعالى : « وجعلنا نومكم سباتا » .

عثمان باشا غالب (*)

ضجّتْ لمصرَع (غالبٍ) ... فى الأرضِ (مملكةُ النباتِ)
أمستْ (بتيجانٍ) عليـ ... ـه من الحِداد مُنكّسات (١)
قامت على (ساقٍ) لغيـ ... ـبته ، وأقعدت الجهات
فى مأتمٍ تَلْقَى الطبيعـ ... ـةَ فيه بين النائحات
وترى (نجومَ الأرضِ) من ... جَزَعٍ مَوَائِدَ كاسفات
والزَّهرُ فى (أكمامِه) ... يَبكِى بدمع الغاديات
وشَقائقُ النُّعمانِ آ ... بَتْ بالخدودِ مُخَمَّشات (٢)
أما مُصابُ الطبِّ فيـ ... ـه فسَلْ به مَلَأَ الأُساةِ (٣)
أوْدَى الحِمامُ بشيخهم ... ومآبهم فى المعضلات
مُلْقِى الدروس المُسْفِرا ... تِ عن الغُروس المُثمِرات
قد كان حَرْبَ الظلمِ ، حر ... بَ الجهلِ ، حربَ التُّرهات
والمُستضاءَ بنوره ... فى الخافيات المظلمات
عَلَمُ الورَى فى عِلْمه ... فى الغربِ مُغْتَربُ الرُّفات

(*) عثمان باشا غالب : كان طبيبا عظيما وعالما بالنبـات يشار اليـه بالبنان ، توفى فى باريس سنة ١٩٢٠ .

١ ــ التيجان للنبات : هى اكاليل الثمار ، كالاكمام ــ٢ــ شقائق : جمع شقيقة ، وهى الموضع ينبت الاعشاب . وشقائق النعمان موضع بعينه كثر فيه النبات المختلف الالوان والشيات ، مر عليه النعمان بن المنذر فأعجبه ، فقال : هو لى ، فلم يعد أحد يمسه ، ومن ذلك سمى شقائق النعمان ، وصار كل موضع ينبت مثل ذلك يقال له : شقائق النعمان ، والخدود فى شقائق النعمان يقصد بها الورد ، وتخميشها : يعنى لطمها او قطعها ــ٣ــ الملأ : الجماعة من الناس . والاساة جمع آسى : وهو الطبيب .

قد كان فيه محلَّ إجـــلالِ الجهابذةِ الثقات
ومُمَثِّلَ المصرىِّ فى حظِّ الشعوبِ من الهِبات
قل للمُريب : إليكَ ، لا تـأْخذْ على الحرِّ الهنات
إن النوابغَ (أهلَ بَدْ رٍ) ما لهم من سيئات(١)
هم فى عُلا الوطنِ الأَدا ةُ فلا تَحُطَّ مِن الأداة
وهمُ الأُلَى جمعوا الضما ئرَ والعزائمَ من شَتات
لهم التَّجِلَّةُ فى الحيا ةِ ، وفوق ذلك فى الممات
(عثمانُ) ، قُمْ ترَ آيةً اللّهُ أحيا (المومياتِ)
خرجَتْ بَنِينَ من الثرى وتحرَّكَتْ منه بَناتِ
واسمَعْ بمصر الهاتفـــين بمجدها والهاتفات
والطالبين لحقها بينَ السَّكينةِ والثبات
والجاعليها قِبْلةً عندَ الترنُّمِ والصَّلاة(٢)
لاقَوْا أبوَّتَهم على غُرِّ المناقبِ والصفات
حتى الشبابُ تراهُمُ غلبوا الشيوخَ على الأَناة
وزنوا الرجالَ ، فكان ما أعْطَوْا على قدر الزِّنات(٣)
قل للمُغالِطِ فى الحقا ئق حاضرٍ منها وآت
الفكرُ جاءَ رسولُه وأتى بإحدى المعجزات
عيسى الشُّعورِ إذا مشى ردَّ الشعوبَ إلى الحياة

---

١ ــ أهل بدر : هم أول الغزاة مع محمد صلى الله عليه وسلم ، شبه النوابغ بهم ، ووجه الشبه بينهما ، هو سبق كل منهما لاحراز أسمى مراتب الشرف والرفعة . نقول : وهذا نوع من وجه الشبه لم نر شاعرا فطن اليه قبل شوقى حياه الله ــ٢ــ الترنم : أحد ضروب العبادة فى المسيحية ، كالصلاة عند المسلمين ــ٣ــ الزنات : جمع زنة (كعدة) وهى المرة من الوزن .

عبد الحى (*)

طُوِىَ البِساطُ وجَفَّت الأَقداحُ　　وغدَتْ عواطلَ بعدكَ الأَفراحُ(١)
وانفضَّ نادٍ بالشآم ، وسامرٌ　　فى مصرَ أنت هَزارُه الصَّدَّاح(٢)
وتَقوَّضَتْ للفن أطولُ سَرْحةٍ　　يُغْدَى إلى أفيائها ويُراح(٣)
والله ما أدرى وأنتَ وحيدُه　　أعليه يُبْكى ، أم عليك يُناح؟
(إسحاقُ) مات ، فلا صَبُوحَ ، و (مَعْبَدٌ)
أوْدَى ، فليس مع الغبوقِ فَلاح(٤)
مَلِكُ الغِناء أزاله عن تختِهِ　　قَدَرٌ يُزيل الراسياتِ مُتاح
فى التُّرْب فوقَ (بنى سويفَ) يتيمةٌ　　ومن الجواهر زَيِّفٌ وصِحاح(٥)
ما زال تاجُ الفن تيّاهًا بها　　حتى استبدّ بها الردَى المُجتاح
لو تستطيع كرامةً لمكانها　　مَشَتِ الرياضُ إليه والأدْواح

* * *

رُحْماكَ (عبدَ الحىِّ) ؛ أُمُّكَ شَيْخَةٌ　　قعدَتْ ، وهِيضَ لها الغَداةَ جَناح
كُسِرَتْ عَصاها اليومَ ، فهى بلا عصاً
وقَضى فَتاها الأَجْوَدُ المِسْماح
اللهُ يعلم ، إن يَكُنْ فى قلبها　　جُرحٌ ففى أحشاء مصرَ جِراح

(*) هو المرحوم عبد الحى المغنى ، ذاع صيته فى مصر وجاوزها الى الاقطار العربية حتى عد وحيد عصره وامام فنه . توفى سنة ١٩١٢م.
١ـ طوى البساط : تعبير يكنى به عن انتهاء عوامل السرور ـ٢ـ الهزار : طائر حسن الصوت ، وهو فارسى ، معرب هزار دستان ـ٣ـ السرحة : الشجرة العظيمة . والافياء : جمع فىء ، وهو ـ من الشجر ـ الظل .
٤ـ اسحاق ومعبد : علمان على مغنيين . والصبوح : الشرب أول الصباح . والغبوق . الشرب بالعشى ـ٥ـ دفن الفقيد فى بنى سويف وهى بلدة مشهورة بالقطر المصرى . والجواهر الزائفة ، هى ضد الجواهر الصادقة الصحيحة .

والناسُ مَبْكِيٌّ وباكٍ إثْرَهُ وبُكا الشعوبِ إذا النوابغُ طاحوا
كان النداَمى إن شَدَوْتَ وعاقروا سِيَّانِ صوتُك بينهم والراح(١)
فيما تقول مُغنِّيًا ومُحدِّثًا تتنافس الأسماعُ والأرواح(٢)
فارقتَ دنيا أرهقتْك خسارةً وغنِمْتَ قُرْبَ اللهِ وهو رَباح
يا مُخلِفًا للوعد ، وَعْدُك ماله عندى ولا لك فى الضمير بَراح
عَيِيَتْ به وبكَ المنيَّةُ ، وانقضى سببٌ إليه بأُنْسِنا نَرتاح
لما بلغنا بالأحِبَّةِ والمنى بابَ السرورِ تغيَّب المفتاح
زعموا نَعِيَّكَ فى المجامع مازحًا هَيْهاتَ ! فى رَيْبِ المَنونِ مِزاح
الجِدُّ غايةُ كلِّ لاهٍ لاعبٍ عندَ المنيَّةِ يَجزع المِفراح(٣)
رَمَت المنايا إذ رمَيْنَك بُلْبُلا أرداه فى شَرَكِ الحياةِ جِماح
آهاتُه حُرَقُ الغرامِ : ولفظُه سجعُ الحَمام لَوَ انَّهُنَّ فِصاح
وذَبَحْنَ حَنْجَرةً على أوتارها تُؤْسَى الجِراحُ ، وتُذْبَحُ الأتراح
وقَلَلْنَ من ذاك اللسان حديدةً يَخشى لئيمٌ بأسَها ووقاح
وأبحْنَ راحتَك البِلَى ، ولطالما أمسى عليها المالُ وهو مُباح
روحٌ تناهتْ خِفَّةً فتخيَّرتْ نُزُلاً تَقاصَرُ دونه الأشباح
قُمْ غنِّ وِلْدانَ الجِنانِ وَحُورَها وابعثْ صَداك فكلُّنا أرواح

---

١ ـ الندامى : جمع نديم . وعاقروا : من المعاقرة ، وهى شرب الراح . والراح : الخمر ، يشبه صوته بالخمر لان كليهما مسكر ـ٢ـ يقول : ان حديثه كان مثل غنائه . والمأثور عن عبد الحى انه كان فكه الحديث بارع النكتة ـ٣ـ المفراح : كثير الفرح .

محمد ثابت باشا (*)

سِرْ أَبا صالحٍ إلى الله واترك ... مصرَ فى مأْتمٍ وحزنٍ شديد
هذه غايةُ النفوسِ ، وهذا ... مُنتهَى العيشِ مُرِّهِ والرَّغيد
هل ترى الناسَ فى طريقك إلَّا ... نَعْشَ كَهْلٍ تَلاه نعشُ الوَليد ؟
إنّ أَوهَى الخيوطِ فيما بدا لى ... خَيْطُ عيشٍ مُعلَّقٌ بالوريد(١)
مُضْغَةٌ بينَ خفْقَةٍ وسُكونٍ ... ودَمٌ بينَ جَرْيَةٍ وجُمود
أَنزلوا فى الثرى الوزيرَ ، ووارَوْا ... فيه تسعين حِجَّةً فى صُعود
كنتَ فيها على يَدٍ من حرير ... لِلَّيالى ، فأَصبحَتْ من حَديد(٢)
قد بلوناكَ فى الرياسة حينًا ... فبلوْنا الوزيرَ عبدَ الحميد(٣)
آخذًا من لسانِ فارسَ قِسطًا ... وافرَ القسْمِ من لسان لَبيد(٤)
فى ظلال الملوكِ ، تُدْنِى إليهم ... كلُّ آوٍ لظلِّكَ الممدود
لستَ مَنْ مَرَّ بالمعالم مَرًّا ... إنما أَنت دولةٌ فى فقيد
قُمْ فحدِّثْ عن السنين الخَوالى ... وفُتوحِ المُمَلَّكِين الصِّيد(٥)

(*) هو احد باشوات مصر الكبار ، عاصر اكثر ولاة مصر من الاسرة العلوية ، وتوفى سنة ١٩٠١ بعد ان عمر حوالى تسعين عاما .

١ــ الوريد : شريان بكسر الشين ، وهو عرق رئيسى فى جسم الانسان ، يشبه العروق فى جسم الانسان بالخيوط ، ليتوصل بذلك الى اثبات ضرورة الضعف فى الحياة وعدم بقائها ــ٢ــ يد من حرير : كناية عن رفاهية العيش.

٣ــ بلوناك فى الرياسة: اى اختبرناك. والوزير عبدالحميد : هو عبدالحميد الكاتب المشهور ــ٤ــ القسم : هو العطاء او الحظ . ولبيد : شاعر عربى قديم . والغرض ان المرثى كان ملما بالفارسية والعربية ــ٥ــ الصيد جمع اصيد ، وهو العزيز الجانب .

والذى مَرَّ بينَ حالٍ قديمٍ أنتَ أدرَى به وحالٍ جديد
وصِف العزَّ فى زمان (علىٍّ) واذكر اليُمْنَ فى زمان سعيد(١)
كيف أسْطولُهم على كل بحرٍ وسَراياهُمُ على كلِّ بِيدٍ؟(٢)
قد تولَّوْا وخلَّفوك وفِيًّا فى زمانٍ على الوَفِىِّ شديد
فالْحَقِ اليومَ بالكرام كريماً والْقَهم بينَ جَنَّةٍ وخُلود
وتقبَّلْ وداعَ باكٍ على فقـ ـدك ، وافٍ لعهدك المحمود

١ــ يريد زمان محمد على الكبير ، ورفاهة العيش فى زمن الخديو سعيد باشا ــ٢ــ السرايا : جمع سرية ــ بالياء المشددة مفتوحة ــ وهى القطعة من الجيش لايزيد عددها عن الاربعمائة . والبيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء .

محمد فريد بك (*)

كلُّ حَيٍّ على المنيّة غادى ... تتوالى الركابُ والموتُ حادى(١)
ذهب الأوّلونَ قَرْنًا فقرْناً ... لم يدُمْ حاضرٌ ، ولم يَبْقَ بادى(٢)
هل ترى منهُمُ وتَسمعُ عنهم ... غيرَ باقى مآثرٍ وأيادى؟(٣)
كُرَةُ الأرضِ كم رَمَتْ صَوْلجَانا ... وطوَتْ من ملاعبٍ وجِياد
والغبارُ الذى على صفحتَيْها ... دَوَرانُ الرَّحَى على الأجساد(٤)
كلُّ قبر من جانب القَفْرِ يبدو ... عَلَمَ الحقِّ ، أو منارَ المَعاد
وزِمامُ الرِّكابِ من كلِّ فَجٍّ ... ومَحَطُّ الرِّحالِ من كلِّ وادى
تطلع الشمسُ حيث تطلع نَضْخًا ... وتَنَحَّى كمِنْجَلِ الحَصّاد(٥)
تلك حمراءُ فى السماء ، وهذا ... أعوجُ النَّصْلِ مِنْ مِراسِ الجِلاد
ليت شعرى تعمدًا وأصرًّا ... أم أعانا جناية الميلاد
كذب (الأزهرانِ) ؛ ما الأمرُ إلَّا ... قَدَرٌ رائحٌ بما شاء غادى(٦)

(*) محمد بك فريد : الرئيس الثانى للحزب الوطنى ، وهو الضحية الغالية للوطنية المصرية ، فقد ورث عن والده ثروة طائلة جدا ، بذلها الى آخر درهم فى سبيل طلب الاستقلال لمصر والسودان ، وظل يجاهد الى ان مات معدما فقيرا فى سنة ١٩٢٠ ، محكوما عليه بالنفى والتشريد ، حيث لم يسمح له بالعودة الى وطنه الا ميتا .

١ــ الحادى : هو الذى يغنى للقافلة فتنشط فى مسيرها ــ٢ــ الحاضر : ساكن الحضر، والبادى : ساكن البادية ــ٣ــ الأيادى : جمع يد ، ويقصد باليد ، العطية أو الصنيعة ، ولا تجمع اليد على أيادى الا بهذا المعنى ، فاذا أريد جمع اليد الحقيقية قيل : أيدى ــ٤ــ المفهوم من المقام ان الرحى المقصودة هى رحى المنون ، فاكتفى بتعريفها بأل . كأنه يقول : الرحى المعهودة ــ٥ــ قوله : وتنحى كمنجل الحصاد ، أى هلالا شكله كالمنجل فى اعوجاجه ــ٦ــ الأزهران : الشمس والقمر .

يا حَماماً ترنَّمَتْ مُسْعِداتٍ　　وبها فاقةٌ إلى الإسعادِ(١)
ضاق عن ثُكْلِها البُكا ، فتغنَّتْ　　رُبَّ ثُكْلٍ سمِعْتَه من شادِى(٢)
الأَناةَ الأَناةَ ، كلُّ أليفٍ　　سابقُ الإلْفِ ، أو مُلاقِى انفراد
هل رَجَعْتُنَّ فى الحياة لفَهْمٍ ؟　　إن فهمَ الأُمورِ نِصفُ السَّداد
سَقَمٌ من سلامةٍ ، وعزاءٌ　　من هناءٍ ، وفُرْقَةٌ من وِداد
يُجْتَنَى شهدُها على إبَرِ النحـ　　ـلِ ، ويُمْشَى لوِرْدِها فى القَتاد(٣)
وعلى نائمٍ وسَهْرانَ فيها　　أَجَلٌ لا يَنامُ بالمِرْصاد
(لُبَدٌ) صادَه الرَّدَى ، وأظنُّ النَّسْـ　　ـرَ من سَهمِهِ على ميعاد(٤)
ساقةَ النَّعْشِ بالرئيس ، رُوَيْدًا　　مَوْكِبُ الموتِ مَوْضِعُ الإتِّئاد(٥)
كلُّ أعوادِ مِنبرٍ وسريرٍ　　باطلٌ غيرَ هذه الأَعواد
تستريح المطِىُّ يوماً ، وهٰذى　　تنقلُ العالَمين من عهد عادِ
لا وراءَ الجِيادِ زِيدَتْ جلالاً　　منذ كانت ولا على الأَجياد
أسأَلتم حَقِيبةَ الموتِ : ماذا　　تحتَها من ذخيرةٍ وعَتاد ؟
إنَّ فى طَيِّها إمامَ صُفوفٍ　　وحَوارِىَّ نِيَّةٍ واعتقاد(٦)
لو تركتم لها الزِّمامَ لجاءَت　　وحدَها بالشهيد دارَ الرشاد

---

١ ــ الاسعاد : الاعانة ، تقول : اسعدنى عـلى كذا ، اى أعنى عليه .
٢ ــ الثكل هنا : بمعنى الحزن . والشادى : المغنى ــ٣ــ القتاد : شجر صلب له شوك كالابرة ــ٤ــ لبد ، بضم اللام وفتح الباء : علم على آخر نسور لقمان ، زعموا أن لقمان هـذا عاش عمر سبعة أنسر ، كان آخرها النسر المسمى : لبـد ، اما قـوله (واظن النسر) فليس المقصـود الطائر المعروف بالنسر ، وانما يقصد احد الكواكب فى السماء معروفا باسم النسر ، يقول ان لكل كائن سهم من المنية مقدور ــ٥ــ ساقة الجيش او ساقة النعش : هم السائرون فى المقدمة . والاتئاد : بمعنى الترفق والتمهـل ــ٦ــ الحـوارى : مفرد الحواريين ، وهم الصفوة المختارة من الصحاب .

انظروا ، هل ترون في الجمع مصرًا حاسرًا قد تجلّلت بسواد ؟
تاجُ أحرارِها غُلاماً وكهلاً راعها أن تراه في الأصفاد
وسِّدوه الترابَ نِضْوَ سِفارٍ في سبيلِ الحقوقِ نِضْوَ سُهاد(١)
واركزوه . إلى القيامة رُمْحًا كان للحَشْدِ ، والنَّدَى ، والطِّراد
وأقِرُّوه في الصفائح عَضْبًا لم يَدِنْ بالقَرار في الأغماد
نازحَ الدارِ ، أقْصَرَ اليومَ بَيْنٌ وانتَهَتْ مِحْنَةٌ ، وكفَّتْ عوادى(٢)
وكفَى الموتُ ما تخاف وترجو وشَفَى من أصادقٍ وأعادى
مَن دَنا أو نأى فإنَّ المنايا غايةُ القربِ أو قُصارَى البِعاد
سِرْ مَعَ العمرِ حيثُ شِئْتَ تَئُوبا وافقد العمر لا تُؤُبْ من رُقاد
ذلك الحقُّ لا الذى زعموه فى قديمٍ من الحديث مُعاد
وجرى لفظُه على ألسُنِ النا س ، ومعناه فى صدور الصِّعاد(٣)
يَتَحلَّى به القوىُّ ولكنْ كتحلِّى القتالِ باسم الجهاد
هل تَرى كالترابِ أحسنَ عدلاً وقياماً على حقوق العباد ؟(٤)
نزل الأقوياءُ فيه على الضُّعْ فَى ، وحلَّ الملوكُ بالزُّهَّاد
صفحاتٌ نَقِيَّةٌ كقلوب الرُّسْـــلِ ، مَغسولةٌ من الأحقاد
قُمْ إنِ اسْطَعْتَ من سريرك ، وانظر سِرَّ ذاك اللواء فى الأجناد

١ــ النضو : المهزول الجسم ــ٢ــ عوادى الدهر : عوائقه ــ٣ــ الصعاد : الرماح ــ٤ــ يقول : انه لم يجد الحق خالصا فى هذه الأرض الا للقوة ، ولم يجد العدل كاملا الا فى التراب ، حيث يسوى الاقوياء بالضعفاء ، والطامعين بالقانعين .

هل تَراهم وأنتَ مُوفٍ عليهم ... غيرَ بُنْيَانِ أُلْفَةٍ واتّحاد؟(١)
أمةٌ هُيِّئَتْ وقومٌ لخير الدّهْـ ... ـرِ أو شرِّه على استعداد
مصرُ تبكى عليك فى كل خِدْرٍ ... وتَصوغُ الرثاءَ فى كل نادى
لو تأمَّلْتَها لراعَكَ منها ... غُرّةُ البِرِّ فى سَوادِ الحِداد
مُنْتهَى ما به البلادُ تُعزَّى ... رجُلٌ مات فى سبيل البلاد
أمّهاتٌ لا تحمل الثُّكلَ إلا ... للنجيب الجرىء فى الأَولاد
(كفريدٍ)، وأين ثانى فريدٍ ؟ ... أىُّ ثانٍ لواحدِ الآحاد ؟
الرئيسِ الجوادِ فيما علمنا ... وبَلَوْنا وابنِ الرئيسِ الجواد ؟
أكلَتْ مالَهُ الحقوقُ، وأبْلى ... جِسمَهُ عائدٌ من الهمِّ عادى
لك فى ذلك الضَّنَى رِقّةُ الرو ... ح، وخَفْقُ الفؤادِ فى العُوّاد
عِلَّةٌ لم تَصِلْ فِراشَك حتى ... وطِئَتْ فى القلوب والأَكباد
صادفَتْ قُرْحَةً يُلائمها الصبـ ... ـرُ، وتأْبَى عليه غيرَ الفساد
وعَدَ الدهرُ أن يكون ضِمادًا ... لك فيها، فكان شرَّ ضِماد
وإذا الرُّوح لم تُنَفِّسْ عن الجسـ ... ـم (فبقراطُ) نافخٌ فى رَماد(٢)

١ـ يشير هذا البيت الى حقيقة تاريخية ، هى أن عودة الفقيد ميتا كانت فى زمن اتحاد الامة المصرية جميعا على طلب الاستقلال التام ، فلم يكن هناك أحزاب مختلفة المطالب وقتئذ ـ٢ـ بقراط : هو أبو الطب ، كما يقولون .

البنون والحياة الدنيا (*)

الضلوعُ تتّقِدُ والدموعُ تطّرِدُ
أيُّهَا الشَّجِيُّ ، أفِقْ من عَناءِ ما تجد
قد جرَتْ لغايتها عَبْرَةٌ لها أمد
كلُّ مُسْرِفٍ جَزَعاً أو بُكًى ، سيَقْتَصِد
والزمانُ سُنَّتُه في السُّلُوِّ يجتهد
قل لثاكِلَيْنِ مشَى في قواهما الكَمَد
لم يُعافَ قبلَكما والدٌ ، ولا وَلَد
الذين مِيلَ بهم في سِفارِهم بَعُدُوا
ما علمنا أشَقُوا بالرحيل أم سَعِدوا
إن منزلاً نزلوا لا يَرُدُّ مَن يَرِد
كلُّنا إليه غدًا ليس بالبعيد غَدُ

* * *

البنونَ هم دَمُنا والحياةُ والوُرُد(١)
لا تَلَدُّ مثلَهم مُهْجَةٌ ، ولا كَبِد
يستوون واحِدُهم — في الحنان — والعَدَد
زينةٌ ، ومصلحةٌ واستراحةٌ ،

(*) نظم امير الشعراء هذه القصيدة تعزية للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل « بك » فى فقد وحيده سنة ١٩٣٥ .

١ — الورد : جمع وريد ، كبريد وبرد —٢— الدد — بالفتح — اللهو واللعب .

فتنةٌ إذا صَلحوا مِحْنةٌ إذا فسدوا
شاغلٌ إذا مَرِضوا فاجعٌ إذا فُقِدوا
جُرحُهم إذا انتُزِعوا لا تَلمُّه الضُّمدُ
العزاءُ ليس له آسِياً ، ولا الجَلَد

* * *

قل (لِهيكل) كَلِمًا من ورائها رَشَد
لم يَشُبْ مهذَّبَها باطلٌ ولا فَنَد(١)
قد عَجِبْتُ مِن قَلَمٍ ثاكلٍ ويَنْجَرِد
أنتَ ليثُ معركةٍ وهو صارمٌ فَرَد
والسيوفُ نَخْوَتُها فى الوَطِيس تَتَّقِد(٢)
أنت ناقدٌ أَرِبٌ والأَريبُ ينتقد
ما تقول فى قَدَرٍ بعضُ سِنِّه الأَبَد ؟
وهْوَ فى الحياة على كلِّ خُطْوَةٍ رَصَد
يَعثُر الأنامُ به إن سَعَوا ، وإن قعدوا
يَنْزِلُ الرجالُ على حُكْمِه وإن جَحَدوا
القضاءُ مُعْضِلةٌ لم يَحلَّها أَحَد
كلَّما نقضْت لها عُقْدَةً بدتْ عُقَد
أتعَبَتْ مُعالجها واستراح مُعْتقِد

* * *

١ــ الفند : هو الكذب .
٢ــ الوطيس : الحرب .

عالَمٌ مُدَبِّرُه بالبقاء مُنفَرِد
مِن بِلَى كَوائِنه كائناتُه الجُدُد
لا تقل به إدَدٌ إنّ حُسْنَه الإددَ(١)
تلتقى نقائضُه غايةً وتتّحِد
الفَناء فيه يدٌ للبقاء أو عَضُد
ائْتِلافُه رَشَدٌ واختلافُه سَدَد
جَدٌّ فى عمارته مُنْصَفٌ ومضْطَهَد
والغنى لخدمته كالفقير محتشِد
وهو فى أعِنَّتِه مُمْعِنٌ ومُطَّرِد
والحياةُ حَنْظَلَةٌ فى حروفها شُهُد
هَيكلُ الشقاء له من مَدامعٍ عَمَد
قامت النعوش على جانبيْهِ والوُسُد
عُرْسُه ومأتَمُهُ غايتاهُما نَفَدٌ

---

١ ـ الادد ـ جمع اداة ، بالكسر ـ وهى الداهية .

ثروت باشا (*)

يموت في الغابِ أو في غيرِه الأسدُ ... كلُّ البلادِ وِسادٌ حين تُتَّسَدُ(١)
قد غيَّبَ الغربُ شمسًا لا سَقامَ بها ... كانت على جَنَباتِ الشرقِ تتَّقِد
حدا بها الأَجَلُ المحتومُ فاغتربَتْ ... إن النفوسَ إلى آجالِها تَفِد
كلُّ اغترابٍ مَتاعٌ في الحياةِ سوى ... يومٍ يُفارِقُ فيه المُهجةَ الجسدُ

* * *

نعى الغمامَ إلى الوادي وساكنِه ... برقٌ تمايلَ منه السهلُ والجَلد
برقُ الفجيعةِ لما ثار ثائِرُه ... كادتْ كأَمسٍ له الأحزابُ تتَّحِد
قام الرجالُ حيارَى مُنصِتين له ... حتى إذا هدَّ من آمالهم قعدوا
علا الصعيدَ نهارٌ كلُّه شجَنٌ ... وجلَّل الريفَ ليلٌ كلُّه سُهُدُ
لم يُبْقِ للضاحكين الموتُ ما وجدوا ... ولم يَرُدَّ على الباكين ما فقدوا
وراءَ رَيْبِ الليالي أو فُجاءتِها ... دمعٌ لكلِّ شماتٍ ضاحكٍ رَصَد(٢)

* * *

باتت على الفُلْكِ في التابوتِ جَوْهَرَةٌ ... تكادُ بالليل في ظلِّ البِلَى تقِدُ(٣)
يُفاخِرُ النيلُ أصدافَ الخليج بها ... وما يدبُّ إلى البحرين أو يَرِدُ(٤)

(*) هو المغفور له عبدالخالق ثروت باشا ، كان زعيما وطنيا عظيما ، وسياسيا اداريا خطيرا ، تولى رياسة الحكم فى البلاد اكثر من مرة ، وظفر من السياسة الانجليزية لمصر بتصريح ٢٨ فبراير ، وقد سافر الى اوربا لبعض المفاوضات السياسية المتممة لاستقلال مصر ، فلم يمهله الموت ، فقضى بفرنسا فى سنة ١٩٢٨ ، وجيء به ميتا ، وكان بينه وبين امير الشعراء صداقة حميمة ، ومودة قديمة ، ظهر اثرهما فى هذه المرثية ، التى تقرأها فتحس رجعها يعود اليك من اعماق الخلود .

١ـ هذا المطلع يشير الى موته بفرنسا ـ٢ـ رصد : بمعنى مترقب .

٣ـ يشير الى مجيئه من أوربا فى نعش على الباخرة . وتقد : تضيء .

٤ـ يريد بالخليج : الخليج الفارسى . وبالبحرين : مجموعة جزر عربية بالقرب من الشاطىء الغربى للخليج الفارسى ، وعندها يصاد اللؤلؤ .

إنّ الجواهرَ أسناها وأكرمُها ... مايقذِفُ المهدُ ، لامايقذفُ الزَّبَدُ
حتى إذا بلغ الفلكُ المدى انحدَرتْ ... كأنها فى الأكفّ الصارمُ الفرِد
تلك البقيّةُ من سيف الحمى كِسَرٌ ... على السرير ، ومن رُمحِ الحِمى قِصَد(١)
قد ضمّها فزكا نعْشٌ يُطاف به ... مُقدّمٌ كلِواء الحقّ مُنفرِد
مشتْ على جانبيه مصرُ تَنْشُدُه ... كما تدلَّهَت الثَّكلى ، وتَفتقِد(٢)
وقد يموت كثيرٌ لا تُحِسُّهمُ ... كأنهم من هَوانِ الخطب ما وُجِدوا
ثُكْلُ البلاد له عقلٌ ، ونكبتُها ... هى النجابةُ فى الأولاد ، لا العدد

* * *

مُكلِّلُ الهامِ بالتصريح ، ليس له ... عودٌ من الهام يَحويه ولا نَضد(٣)
وصاحبُ الفضلِ فى الأعناقِ ليس له ... من الصنائعِ أو أعناقهم سَنَد
خلا من المِدْفَعِ الجبّارِ مَرْكَبُهُ ... وحلّ فيه الهدى والرفقُ والرَّشَد
إن المدافِعَ لم يُخْلَقْ لصُحبتها ... جندُ السلام ، ولا قُوّاده المُجُد

* * *

يا بانِيَ الصرح لم يَشغَله مُمتدِحٌ ... عن البناء ، ولم يصرفه مُنتقِد
أصمُّ عن غضبٍ مِنْ حَوْلِه ورضًى ... فى ثورةٍ تَلِدُ الأبطالَ أو تَئِد(٤)

١ــ القصد ــ بكسر القاف ــ : جمع قصدة ــ بكسرها ايضــا ، وهى القطعة مما يكسر ، ويقال : رمح قصد ، بكسر الصاد : اى منكسر ــ٢ــ التدله : ذهاب الفؤاد من عشق او حزن ونحوهما . وقــوله : « تفتقد » من قولهم : وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر ــ٣ــ العود هنا : هو السرير . النضد ــ محركة الضاد ــ ما نضد من متاع والسرير ينضد عليه . كانه يعجب لمن كلل هامات مصر بمجيئه لها بهذا الفوز السياسى فى تصريح ٢٨ فبراير ، كيف لا يحويه ميتا سرير متخذ من الهام او منضد بها ، حتى يكون الجزاء من جنس العمل ، ومن هذا النحو يقول البيت التالى : « وصــاحب الفضــل فى الاعناق ... الخ » ــ٤ــ يريد بالثورة : ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، والواد : دفن الاحياء ، يريد انه كان يعمل فى بناء صرح الوطن ، بدون رغبــة فى مدح ، او خوف من ذم ، فى شجاعة لا تخاف الثورة ، وهى لا عقل لها .

تصريحُك الخطوةُ الكبرى ومرحلةٌ ... يدنو على مثلها ، أو يبعد الأَمَد
الحقُّ والقوةُ ارتدّا إلى حَكَمٍ ... من الفياصل ، ما فى دينه أَوَد
لولا سِفارتُك المهديّةُ اختصما ... ومَلَّ طُولَ النِّضالِ الذئبُ والنَّقَد(١)
مازِلْت تَطرقُ بابَ الصلح بينهما ... حتى تفتحت الأبوابُ والسُّدَد
وجَدْتها فرصةً تُلْقى الحِبالُ لها ... إنَّ السياسةَ فيها الصَّيْدُ والطَّرَد(٢)
طلبْتَها عندَ هُوجِ الحادثاتِ كما ... يمشى إلى الصيد تحتَ العاصفِ الأَسَد
لما وجدت مُعدّاتِ البناء بنَتْ ... يداك للقوم ما ذمُّوا وما حمدوا
بنيت صَرحك من جُهد البلاد ، كما ... تُبْنَى مِن الصَّخرِ الآساسُ والعُمُد
فيه ضحايا من الأبناء قَيِّمةٌ ... وفيه سَعْىٌ من الآباء مُطَّرِد
وفى أواسِيه أقلامٌ مُجاهدةٌ ... على أسنَّتِها الإحسانُ والسَّدَد(٣)
وفيه ألويةٌ عزَّ الجهادُ بهم ... لولا المنيَّةُ ما مالوا ، ولا رقدوا
رميْت فى وَتِدِ الذلِّ القديمِ به ... حتى تَزعزعَ من أسبابه الوتِد
طوى حِمايتَهُ المحتلُّ ، وانبسطتْ ... حمايةُ اللهِ ، فاسْتذْرَى بها البلد
لَمْ غيرَ باكٍ على ماشِدْت من كرمٍ ... ماشِيدَ للحقِّ فَهْوَ السَّرْمَدُ الأَبد
يا (ثروةَ) الوطنِ الغالى ، كفَى عظةً ... للناس أنك كنزٌ فى الثرى بَدَد(٤)
لم يُطْغِك الحكمُ فى شتَّى مَظاهرِه ... ولا استخفَّك لِينُ العيشِ والرَّغَد
تغدُو على اللهِ والتاريخِ فى ثِقةٍ ... ترجو فتُقْدِمُ ، أو تخْشَى فتتَّئِد
نشأْتَ فى جَبْهةِ الدنيا ، وفى فمِها ... يدورُ حيثُ تَدور المجدُ والحسَد

١ـ النقد : جنس من الغنم قبيح الشكل ، من الهزال أو غيره .
٢ـ الطرد : مطاردة الصيد ـ٣ـ الأواسى : جمع آسية ، وهى من البناء : المحكم الدعامة . والسدد : بمعنى السداد ، اى الصواب ـ٤ـ البدد : المتفرق .

لكلِّ يومٍ غدٌ يمضى بروْعتِهِ — وما ليومِكَ يا خيرَ اللِّداتِ غدُ
رَمَتْكَ فى قنواتِ القلبِ فانصدعَتْ — منيّةٌ ما لها قلبٌ ، ولا كَبِد
لمّا أناخَتْ على تامُورِك انفجرَتْ — أزكَى من الوَرْدِ ، أو من مائه الوُرُد(١)
ما كلُّ قلبٍ غدا أو راح فى دمه — فيه الصديقُ وفيه الأهلُ والولد
ولم تطاوِلْكَ خوفاً أن يُناضلَها — منك الدهاءُ ورأىٌ مُنقِذٌ نَجِد
فهل رثى الموت للبرِّ الذَّبيحِ ؟ وهل — شجاه ذاك الحنانُ الساكنُ الهَمِد؟
هَيْهَات ! لو وُجِدَتْ للموت عاطفةٌ — لم يَبك من آدمٍ أحبابَه أحد
مَشَتْ تَذُودُ المنايا عن وَديعتها — مدينةُ النُّورِ ، فارتدَّتْ بها رَمَد(٢)
لو يُدفعُ الموتُ رَدَّتْ عنك عادِيَهُ — للعلم حولكَ عينٌ لم تنمْ ويَد

* * *

« أبا عزيز » سلامُ اللهِ ، لا رُسُلٌ — إليك تحمل تسليمى ، ولا بُرد(٣)
ونفحةٌ من قوافى الشعر كنت لها — فى مجالسِ الراحِ والريْحانِ تحتَشِد
أرسلتُها وبعثْتُ الدمعَ يكنُفُها — كما تَحدَّرَ حولَ السَّوْسَنِ البَرَد(٤)
عطفتُ فيك إلى الماضى وراجعنى — وُدٌّ من الصغَرِ المعسولِ مُنعقِد
صافٍ على الدهر لم تُقْفِرْ خليَّته — ولا تغيّر فى أبياتها الشُّهُد
حتّى لمحتُكَ مَرموقَ الهلالِ على — حداثةٍ تَعِدُ الأوطانَ ما تَعِد
والشعرُ دمعٌ ، ووجدانٌ ، وعاطفةٌ — ياليتَ شعرىَ هل قُلْتُ الذى أَجِد؟(٥)

١ــ التامور : القلب . والورد ، جمع وريد : العرق فى الجسم .
٢ــ مدينة النور : تطلق فى هذا العصر على باريس ــ٣ــ البرد : جمع بريد .
٤ــ السوسن : نوع من الزهر ، والبرد : هو ما يتساقط من المطر كحبات الثلج ــ٥ــ اى هل قلت الذى يجيش فى وجدانى ؟

عبد العزيز جاويش(*)

أصاب المجاهدُ عُقْبَى الشهيد وألقى عَصاه المضافُ الشّريد
وأمسى جَمادًا عدوُّ الجمودِ وباتَ على القيد خَصمُ القيود
حَداه السُّفارُ إلى مَنزلٍ يلاقى الخفيفَ عليه الوئيد
فقَرَّ إلى موعدٍ صادقٍ مُعِزُّ اليقينِ مُذِلُّ الجحود
وبات الحَوارِىُّ من صاحِبَيْهِ شَهيدَيْن أسْرَى إليهم شهيد
تَسَرَّبَ فى مَنْكِبَىْ (مصطفى) كأمسِ ، وبينَ ذِراعَىْ (فريد)(١)
فيالَكَ قبرًا أكَنَّ الكنوزَ وساجَ الحقوقَ ، وحاط العهود
لقد غيَّبوا فيك أمضى السيوفِ فهل أنت ياقبرُ أوفى الغُمود ؟
ثَلاثُ عقائدَ فى حفرةٍ تَدُكُّ الجبالَ ، وتُوهِى الحديد
قعَدْنَ فكُنَّ الأساسَ المتينَ وقام عليها البناءُ المَشِيد
فلا تَنْسَ أمسِ وآلاءه ألا إن أمسِ أساسُ الوجود(٢)
ولولا البِلَى فى زوايا القبورِ لما ظهرَتْ جِدَّةٌ للمُهود
ومَنْ طلب الخُلْقَ من كنزه فإن العقيدةَ كنزٌ عَتيد
تعلَّمْ بالصبر ، أو بالثباتِ جَليدُ الرجالِ ، وغيرُ الجليد

* * *

(*) هو الشيخ عبد العزيز جاويش ، احد السابقين فى خدمة القضية المصرية ، كان زعيما سياسيا دينيا عظيما ، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الاسلام عامة ، ومصر وتركيا خاصة ، ثم حكم عليه بالنفى والتشريد مدة طويلة ، ثم عاد الى مصر ولم يلبث الا بضع سنين ، ومات فى سنة ١٩٢٩ ، وله رسائل سياسية كانت مضرب المثل فى الفصاحة والقوة فى وقتها .

١ــ هو مصطفى كامل الزعيم الوطنى الأول ، وفريد : هو محمد فريد الزعيم الوطنى الثانى ، وكانا صاحبى الفقيد فى المبدأ والجهاد .

٢ــ الآلاء : النعم .

طَرِيدَ السياسةِ منذُ الشبابِ ... لقد آن أن يستريح الطريد
لقيتَ الدواهِيَ من كيْدها ... وما كالسياسة داهٍ يكيد(١)
حَمَلْتَ على النفس ما لا يطا ... قُ ، وجاوزَتِ المستطاعَ الجهود
وقُلِّبْتَ فى النار مثلَ النُّضا ... رِ ، وغُرِّبْتَ مثلَ الجُمانِ الفريد
أتذكر إذْ أنتَ تحت (اللواء) ... نَبِيهَ المكانةِ ، لجَمٌّ العديد ؟(٢)
إذا ما تطلَّعْتَ فى الشاطئين ... رَبا الريفُ، وافتنّ فيك الصعيد
وهزّ الندِيُّ لك المنكِبَيْنِ ... وراحَ الثرى من زحامٍ يَميد
رسائلُ تُذرِى بسجعِ البديعِ ... وتُنْسِى رسائلَ عبدِ الحميد
يَعِيها شيوخُ الحِمَى ؛دالحديث ... ويحفظها النَّشْءُ حِفْظَ النشيد
فما بالُها نَكِرَتْها الأُمورُ ... وطولُ المدَى ، وانتقالُ الجُدود ؟(٣)
لقد نسِىَ القومُ أمسِ القريبَ ... فهل لأَحاديثه من مُعيد ؟
يقولون : ما (لأبى ناصرٍ) ... وللتُّرْكِ ؟ ما شأْنُه والهنود ؟
وفِيمَ تحمَّل هَمَّ القريبِ ... من المسلمينَ وهَمَّ البعيد ؟
فقلتُ : وما ضرّكم أن يَقومَ ... من المسلمين إمامٌ رشيد ؟
أتستكثرون لهم واحدًا ... ولِّى القديم نصيرَ الحديد ؟
سَعى ليؤلِّف بينَ القلوبِ ... فلم يَعْدُ هَدْىَ الكتابِ المجيد
يَشُدُّ عُرا الدينِ فى داره ... ويدعو إلى الله أهلَ الجحود
ولِلقومِ حتى وراءَ القفارِ ... دعاةٌ تُغنِّى ، ورُسْلٌ تشيد

* * *

١ـ الداهى : هو الذى يأتى بالداهية ، وهى الامـر العظيم ـ٢ـ كان الفقيد محرر جريدة اللواء فى عهدها الأول ـ ٣ ـ الجدود هنا : بمعنى الحظوظ .

جزى الله مَلْكًا من المحسنين رءُوفُ الفؤادِ ، رحيمُ الوريد(١)
كأنَّ البيانَ بأيامه أو العِلْمَ تحتَ ظلالِ (الرشيد)(٢)
يُداوِى نداه جِراحَ الكرامِ ويدركهم فى زوايا اللُّحود
أجارَ عِيالَك من دهرهم وجاملهم فى البلاء الشديد
تولى الوليدة فى يُتمها وكفكفَ بالعطف دمعَ الوليد

* * *

سلامٌ (أبا ناصرٍ) فى التراب يُعِير الترابَ رَفيفَ الوَرود
بَعُدْتَ وعزَّ إليك البريدُ وهل بينَ حَىٍّ ومَيْتٍ بريد ؟
أجَلْ ؛ بيننا رسلُ الذكرياتِ وماضٍ يُطِيفُ ، ودمعٌ يجود.
وفكرٌ وإن عقلَتْه الحياةُ يَظَلُّ بوادى المنايا يَرود(٣)
أجَلْ ؛ بينناالخُشُبُ الدائباتُ وإن كان راكبُها لا يعود
مضى الدهرُ وهْىَ وراءَ الدموعِ قيامٌ بمُلْكِ الصَّحارى قُعود
وكم حملَتْ من صَديدٍ يَسيلُ وكم وضَعَتْ من حِناشٍ ودُود
نَشَدْتُكَ بالموت إلا أبنْتَ أأنت شَقِىٌّ به أم سعيد ؟
وكيف يُسَمَّى الغريبَ امرؤٌ نَزِيلُ الأُبُوّةِ ، ضَيْفُ الجُدود ؟(٤)
وكيف يُقال لجار الأوائـ لِ جارِ الأواخرِ : ناءٍ وَحيد ؟

١ــ هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر، حيث تعطف على ابناء الفقيد ولم يتركهم بعد وفاة أبيهم لتصاريف الزمن ، فأنعم عليهم بهبة ملكية وافرة .
٢ــ هو هارون الرشيد ، وقد اعتز العلم والأدب فى عهـده اعتزازا كبيرا .
٣ــ يرود : اى يبحث ويكتشف ــ٤ــ يقول : ان الميت ينزل فى التراب ضيفا على آبائه وجدوده ، اذن فليس يصح أن نعتبره غريبا ولا وحيدا .

تعزية ورثاء(*)

كأسٌ مِن الدنيا تُدارْ ... مَنْ ذاقها خَلع العِذارْ(١)
الليلُ قوّامٌ بها ... فإذا وَنَى قام النهار
وحَبا بها الأعمارَ ، لم ... تدُم الطِّوالُ ، ولا القِصار
شَرِبَ الصبيُّ بها ، ولم ... يخل المُعَمَّرُ مِن خُمار
وحَسا الكرامُ سُلافَهَا ... وتناول الهَمَلُ العُقار(٢)
وأصاب منها ذو الهوى ... ما قد أصاب أخو الوقار
ولقد تميلُ على الجما ... د ، وتصرَع الفلَكَ المُدار
كأسُ المنيّةِ في يدٍ ... عَسْراء ، ما منها فِرار(٣)
تجرى اليمينَ ، فَمَنْ تولَّى يَسْرَةً جَرَت اليَسار
أوْدَى الجرىءُ إذا جرى ... والمستميتُ إذا أغار
ليثُ المعامعِ ، والوقا ... ئع ، والمواقِع ، والحِصار
وبقيّةُ الزُّمَرِ التى ... كانت تَذود عن الذِّمار
جندُ الخلافةِ ، عَسكرُ السـ ... لطانِ ، حاميةُ الديار
ضاقت (كريدُ) جبالُها ... بك يا (خلوصى) والقِفار

(*) وجه هذه التعزية الى صديقه حامد بك خلوصى حين مات والده المرحوم الاميرالاى مصطفى بك خلوصى ، وقد كان من الضباط الكرام الذين مجدوا فى قمع الثورة فى الجزيرة (كريد) أيام كانت تابعة للدولة العثمانية .

١ــ العذار : الحياء والوقار ــ٢ــ السلاف والعقار : من اسماء الخمر ، يقال : حسا فلان الماء اذا شربه شيئا بعد شيء ــ٣ــ يقال للرجل : اعسر ، اذا عمل بيده الشمال . والعرب تصف ما ليس محبوبا بالأعسر اذا كان مذكرا ، وبالعسراء اذا كان مؤنثا ، فيد المنية عسراء ، لانها كذلك .

أيّامُكم فيها – وإن طال المدى – ذاتُ اشْتِهار
عَلِمَ العدوُّ بأنكم أنتم لِمِعْصَمِها سِوار
أحْدَقْتُمُ بمقرِّه فتركتموه بلا قرار
حتى اهتدى مَنْ كان ضلَّ ، وثاب من قد كان ثار
واعْتزَّ ركنٌ للولاية كان مُنْقضَّ الجِدار

* * *

عِشْ للعُلا والمجدِ – يا خيرَ البنين – ولِلفخار
أبكى لدمعك جارياً ولدمع إخوتِكَ الصِّغار
وأوَدُّ أنكُمُ رجالٌ مثل والدِكم كِبار
وأريد بيتَكُمُ عماراً ، لا يُحاكيه عمار
لا تخرجُ النَّعماءُ منه ، ولا يُزايِلُه اليَسار

ذكرى هيجو (*)

ما جلَّ فيهم عيدُكَ المأثورُ إلا وأنت أجلُّ يا فكتورُ
ذكروكَ بالمئة السنينَ ، وإنما عُمرٌ لمثلكَ فى النجوم قصير
ستدوم مادام البيانُ ، ومارتقت للعالمين مَداركٌ وشعور
ولئن حُجِبْتَ فأنت فى نظر الورى كالنجم لم يُرَ منه إلا النور
لولا التُّقَى لفتحتُ قبرَك للمَلا وسألتُ : أين السيِّدُ المقبور ؟(١)
ولقلتُ : ياقومُ انظروا إنجيلكم هل فيه من قلم الفقيد سُطور؟
مَنْ بعدَه مَلكَ البيانَ ؟ فعندكم تاجٌ فقدتم رَبَّهُ وسرير
مات القريضُ بموت (هوجو) ، وانقضى
مُلْكُ البيانِ ، فأنتُمُ جُمهور
ماذا يزيد العيدُ فى إجلاله وجَلاله بيَراعِه مَسطور ؟
فقدَتْ وجوهُ الكائناتِ مُصوِّرًا نزل الكلامُ عليه والتصوير
كُشِفَ الغطاءُ له ، فكلُّ عبارةٍ فى طَيِّها للقارئين ضَمير
لم يُعْيِهِ لفظٌ ، ولا معنًى ، ولا غرضٌ ، ولا نظمٌ ، ولا منثور
مُسْلِى الحزينِ يَفُكُّهُ من حزنه ويَرُدُّه لله وهْوَ قرير
ثأرَ الملوك ، وظلَّ عندَ إبائه يرجو ويأمل عفوَه المثؤور
وأعارَ (واترلو) جلالَ يَراعِه فجلالُ ذاك السيفِ عنه قصير(٢)
يأيُّها البحرُ الذى غمر الثرى ومِنَ الثرى حُفَرٌ له وقبور
أنت الحقيقةُ إن تَحجَّب شخصُها فلها على مرِّ الزمانِ ظهور

(*) نظمت هذه القصيدة فى ذكرى شاعر فرنسا الكبير (فيكتور هيجو لمناسبة مرور مائة عام على وفاته .

١ — الملا : جماعة الناس —٢— واترلو : علم على موضع من المواضع الذى حصلت فيه الموقعة التى هزم فيها نابليون هزيمته الكبرى .

ارفعْ حِدادَ العالمين وعُدْ لهم　　كَيْما يُعَيِّد بائسٌ وفقير
وانظرْ إلى البُؤساء نظرةَ راحمٍ　　قد كان يُسعد جَمْعَهم ويُجير(١)
الحالُ باقيةٌ كما صَوَّرْتَها　　من عهد آدَم ما بها تغيير
البؤس والنُّعْمى على حاليهما　　والحظُّ يَعدِل تارةً ويجور
ومن القويِّ على الضعيف مُسَيْطِرٌ　　ومن الغنيِّ على الفقير أمير
والنفسُ عاكفةٌ على شهواتها　　تَأْوِى إلى أحقادها وتثور
والعيشُ آمالٌ تَجِدُّ وتنقضى　　والموتُ أصدقُ ، والحياةُ غرور(٢)

١ــ يشير الى رواية البؤساء ، تاليف فكتور هيجو ــ٢ــ العيش آمال تجد : اى تتجدد .

عبده الحامولى (*)

ساجعُ الشرقِ طار عن أوْكارِه | وتَوَلّى فنٌّ على آثاره(١)
غاله نافذُ الجناحين ماضٍ | لا تَفِرُّ النسورُ من أظفاره
يطْرُق الفرخَ فى الغُصون ويَغْشَى | (لُبَدًا) فى الطويلِ من أعماره(٢)
كان مِزمارَهُ ، فأصبح داو | دُ كئيباً يبكى على مِزماره(٣)
(عبدُهُ) بَيْدَ أن كلَّ مُغَنٍّ | عَبْدُه فى افتنانِه وابتكاره
مَعْبَدُ الدَّوْلَتَيْنِ فى مصرَ ، وإسحا | قُ (السَّمِيَّيْنِ) رَبُّ مصرٍ وجاره(٤)
فى بِساط الرشيدِ يوماً ، ويوماً | فى حِمَى جعفرٍ وضافى سِتاره(٥)
صَفْوُ مُلْكَيْهما به فى ازديادٍ | ومن الصَّفو أن يلوذَ بداره
يُخْرِج المالكين من حِشْمَةِ المُلْ | كِ ، ويُنْسِى الوقورَ ذِكْرَ وَقاره
رُبَّ ليلٍ أغارَ فيه القَمارى | وأثارَ الحِسانَ من أقماره(٦)

(*) توفى عبده الحامولى فى سنة ١٩٠٢ ، وكان نادرة الزمن فى حسن الصوت وفى ابتكار الألحان ، هذا الى أريحية ومروءة يضرب بهما المثل .

١ـ الأوكار : جمع وكر ، وهو عش الطائر ـ٢ـ لبد : اسم نسر . ٣ـ يشبه صوت المرثى فى صفائه بمزمار داود النبى صاحب المزامير . ٤ـ يشبهه بمعبد واسحاق . ويقصد بقوله « رب مصر وجاره » ملك مصر وجاره من أرباب الأقطار الغربية . يعنى أن عبده كان يطرب الأقطار العربية جميعها كما كان معبد واسحاق كذلك .

(٥) الرشيد : هو هارون الرشيد . وجعفر : هو جعفر البرمكى وزيره ؛ والغرض ان المرثى كان يتنقل من بساط الملوك المشابهين للرشيد ، الى بساط الوزراء المشابهين لجعفر ـ٦ـ القمارى : جمع قمرية ؛ نوع من الحمام حسن التغريد . والاقمار : جمع قمر . يريد انه كان يطرب الحسان الشبيهات بالأقمار .

بصَبًا يُذْكِرُ الرِّياضَ صَباهُ ... وحجازٍ أرقَّ مِن أسحاره(١)
وغناءٍ يُدارُ لحنًا فلحنًا ... كحديثِ النديمِ أو كعُقاره
وأنينٍ لو أنه من مَشوقٍ ... عرف السامعون مَوْضِعَ ناره
يتمنَّى أخو الهوى منه آهاً ... حينَ يُلْحَى تكون من أعذاره
زَفَراتٌ كأنها بَثُّ (قيسٍ) ... فى معانى الهوى وفى أخباره(٢)
لا يُجاريه فى تفَنُّنِه العو ... دُ ، ولا يَشْتكِى إذا لم يُجارِه
يسمع الليلُ منه فى الفجر : ياليـ ... لُ ، فيُصْغِى مُسْتَمْهِلاً فى فِراره
فُجِعَ الناسُ يومَ مات (الحمولى) ... بدواءِ الهمومِ فى عَطَّاره
بأبى الفنِّ ، وابنِه ، وأخيهِ ... القوىِّ المكينِ فى أسراره
والأبىِّ العفيفِ فى حالَتيْهِ ... والجوادِ الكريمِ فى إيثاره
يَبْخَسُ اللحنَ عن غَنِىٍّ مُدِلٍّ ... ويُذيقُ الفقيرَ من مُختاره(٣)
يا مُغيثًا بصوته فى الرزايا ... ومُعينًا بماله فى المَكاره
ومُحِلَّ الفقيرِ بين ذَويه ... ومُعِزَّ اليتيمِ بين صِغاره
وعِمادَ الصديقِ إن مال دهر ... وشِفاءَ المحزونِ من أكداره
لستَ بالراحلِ القليلِ فتُنسى ... واحدُ الفنِّ أُمَّةٌ فى دياره

١ ــ صبا الرياض ــ بفتح الصاد ــ : نسيمها . اما كلمة « صبا » الواقعة فى اول البيت فمقصود بها نغمة معروفة فى فن الغناء ، وهى مفتوحة الصاد ايضا ، كأنها سميت بذلك تشبيها لها بالنسيم المعروف بالصبا ؛ وكذلك « حجاز » : نغمة معروفة فى الغناء أيضا ــ٢ــ قيس : هو ابن الملوح الشهير بمجنون ليلى ــ٣ــ المدل بالمال: المتباهى به ، يشير هذا البيت الى بعض ما يؤثر عن عبده رحمة الله عليه ، انه كان يلجأ اليه الفقراء ليحيى افراح اولادهم ، فيحسن اليهم ، ويجيب طلبهم ، وينفق من ماله فى تشييد الاحتفال اللائق بسهرته . وربما آثر هــذه الليلة الفقيرة على دعوة أحد الاغنياء الكبار ، ويروى له فى هذا الباب حكايات كثيرة .

غايةُ الدهرِ إن أتى أو تَوَلَّى ما لقيتَ الغداةَ من إدباره
نزل المجد فى الثرى ، وتساوَى ما مضى من قيامه وعِثاره
وانقضى الداءُ باليقين من الحا لَيْن ، فالموتُ مُنتهَى إقصاره
لَهْفَ قومى على مخايلِ عزٌ زال عنّا بروضِهِ وهَزاره(١)
وعلى ذاهبٍ من العيش ، ولَيْـ ـتَ فولَّى الأَخيرُ من أوطاره
وزمانٍ أَنت الرِّضَى من بقايا هُ ، وأنت العَزاءُ من آثاره
كان للناس ليلُه حينَ تشدو لحقَ اليومَ ليلُه بنهاره

١ــ الهزار : طائر حسن الصوت ، فارسى .

قاسم بك أمين (*)

يا أيُّها الدَّمعُ الوَفِىُّ ، بدارِ نقضى حقوقَ الرفقةِ الأخيار(١)
أنا إن أهنتُك فى ثراهم فالهوى والعهدُ أن يُبْكَوْا بدمعٍ جارى(٢)
هانوا وكانوا الأكرمين ، وغُودروا بالقَفْر بعد منازلٍ ودُيار
لهفى عليهم ؛ أُسْكِنوا دورَ الثرى من بعد سُكْنَى السمعِ والأبصار
أين البشاشةُ فى وسم وجوههم والبشرُ للندماء والسُّمّار ؟(٣)
كنا من الدنيا بهم فى رَوْضةٍ مَرّوا بها كنسائم الأسحار

* * *

عطفاً عليهم بالبكاء وبالأسى فتَعهُّدُ الموتى من الإيثار(٤)
ياغائبينَ وفى الجوانح طيْفُهم أبكيكُمُ من غُيَّبٍ حُضَّار
بينى وبينكمُ وإن طال المدَى سَفرٌ سأزمَعُه من الأسفار
إنى أكادُ أرى محلِّىَ بينكم هذا قرارُكُمُ ، وذاك قَرارى

* * *

أوَكُلَّما سَمح الزمانُ وبُشِّرَت مصرٌ بفردٍ فى الرجال مَنار(٥)
فُجِعَتْ به ، فكأنه وكأنها نجمُ الهدايةِ لم يَدُمْ للسارى ؟

(*) المرحوم قاسم بك امين هو الزعيم صاحب دعـوة تحرير المرأة فى مصر ، وقد توفى فى سنة ١٩٠٩ .

١ـ بدار : يعنى بادر ـ٢ـ يقول : ان الذين ابذل دمعى واهينه فى ترابهم هم هواى وموضع حبى ، وليس عجيبا ان يبكى الانسان اهل حبه وهواه . ٣ـ السمار : جمع سامر ، والسمر : حديث الأصدقاء بالليل ـ٤ـ الايثار : هو ان تعطى لغيرك ما أنت محتاج اليه ـ٥ـ المنار : هو العلم يهتدى الناس به فى الطريق .

إنّ المصيبةَ فى (الأمين) عظيمةٌ   مَحمولةٌ لمشيئةِ الأقدارِ
فى أرْيَحِىٌّ ماجدٍ مُسْتَعْظَمٌ   رُزْءُ الممالكِ فيه والأمصار
أوْفَى الرجالِ لعهدِه ولِرأيه   وأبَرّهم بصديقهِ والجار
وأشَدّهم صَبرًا لمعتقَداتِه   وتأدُّباً لمجادلٍ وممارى
يَسقِى القرائحَ هادئاً مُتواضعاً   كالجَدول المُترقْرِقِ المتوارى
قلْ للسَّماءِ تَغُضّ من أقمارها   تحت الترابِ أحاسنُ الأقمار
من كل وضّاءِ المآثر فائتٍ   زُهرَ النجومِ بِذهْره السيار
تمضى الليالى لا تنال كمالَه   بمعيب نقصٍ أو مَشينِ سرار(١)
آثارُه بعدَ المواتِ حياتُه   إنّ الخلودَ الحقَّ بالآثار
يَامَنْ تفرّد بالقضاءِ وعِلمِه   إلا قضاءَ الواحدِ القهّار
ما زِلتَ ترجوه، وتخشى سهْمَه   حتّى رمَى فأحطْتَ بالأسرار
هلا بُعثتَ فكنت أفصحَ مخْبرًا   عمّا وراءَ الموتِ من (لازار) ؟(٢)
انفُضْ غُبارَ الموتِ عنك وناجِنى   فعَسَاىَ أعلمُ ما يكون غُبارى
هذا القضاءُ الجِدُّ، فارْوِ، وهات عن
حُكْمِ المنيةِ أصدقَ الأخبار
كلٌّ وإن شَغَفَتْهُ دُنياه هوًى   يوماً مُطلِّقُها طلاقَ (نَوار)(٣)
لله (جامعةٌ) نَهضْتَ بأمرها   هى فى المشارق مَصدرُ الأنوار(٤)

١ـ سرار ـ بفتح السين وكسرها ـ: مشتق من قولهم: استسر القمر، اذا خفى ليلة السرار، وهى آخر ليلة او ليلتين فى الشهر ـ٢ـ لازار أو عازار: اسم الرجل الذى أحياه سيدنا عيسى، ويقول لو بعثت لكنت أفصح فى اخبارك عن الموت من هذا الرجل ـ٣ـ نوار: اسم امراة بعينها كانت زوجة الفرزدق الشاعر، فطلقها فندم كثيرا حتى ضرب المثل بندامته فى كل طلاق نادم ـ٤ـ هى الجامعة المصرية، وكان للفقيد فضل مذكور فى انشائها .

أُمْنِيَّةُ العُقلاءِ قد ظَفِروا بها بعد اختلافِ حوادثٍ وطَوارى
والعقلُ غايةُ جَرْيِه لأَعنَّةٍ والجهلُ غايةُ جَرْيِه لِعِثار
لو يعلمون عظيمَ ما تُرْجى له خرجَ الشحيحُ لها من الدينار
تشْرِى الممالكُ بالدَّم استقلالَهَا قوموا اشتروه بفضَّةٍ ونُضار
بالعلم يُبنى الملكُ حقَّ بِنائه وبه تُنال جلائلُ الأَخطار
ولقد يُشاد عليه من شُمِّ العُلا ما لا يُشادُ على القنا الخطَّار(١)
إن كان سَرَّك أن أقمتَ جِدارها قد ساءها أن مالَ غيرُ جِدار
أضحت من الله الكريم بذمّةٍ مَرْموقةِ الأَعوانِ والأَنصار
كُلِئَتْ بأَنظار (العزيزِ) ، وحُصِّنَتْ
(بفؤادَ) ؛ فهى مَنيعةُ الأَسوار(٢)
وإذا العزيزُ أعارَ أمرًا نظرةً فاليمنُ أعجلُ ، والسُّعودُ جَوارى
ماذا رأيتَ من الحجاب وعُسرِه فدعَوْتنا لِتَرَفُّقٍ ويَسار ؟
رأىٌ بَدا لك لم تجِدْه مُخالفاً ما فى الكتاب وسُنَّةِ المختار
والباسِلان : شجاعُ قلبٍ فى الوَغى وشُجَاعُ رأىٍ فى وَغى الأَفكار
أَوَدِدْتَ لو صارت نساءُ النيلِ ما كانت نساءُ (قُضاعةٍ) و(نِزار) ؟(٣)
يَجمعن فى سِلم الحياةِ وحربِها بأْسَ الرِّجالِ وخَشيةَ الأَبكار
إن الحجابَ سماحةٌ ويَسارةٌ لولا وحوشٌ فى الرجال ضَوارى
جَهِلوا حقيقتَه وحِكْمةَ حُكمه فتجاوزوه إلى أذًى وضِرار

* * *

١ـ الخطار : اى المهتز واهتزاز القنا : كناية عن استعداده للقتال .
٢ـ العزيز : هو كل ملك لمصر : وكان الخديوى عباس وقتئذ . وفؤاد ، هو جلالة ملك مصر فؤاد الأول ـ٣ـ ليس الغرض نساء هاتين القبيلتين قضاعة ونزار بالذات ، وانما المقصود المراة العربية الموصوفة فى البيت التالى .

يا قُبّةَ (الغورى) تحتكِ مأْتمٌ ... تَبقى شعائرُه على الأدهار
يُحييه قومٌ فى القلوب على المدى ... إن فاتهم إحياؤه فى دار
هيهات! تُنسَى أمةٌ مدفونةٌ ... فى أربعين من الزمان قِصار
إن شئتَ يوماً أو أردت فحقبةً ... كلٌّ يمرُّ كليلةٍ ونهار
هاتوا ابنَ (ساعدةٍ) يُؤبِّنُ قاسمًا ... وخذوا المراثِيَ فيه من (بَشّار)(١)
من كلِّ لائقةٍ لباذخ قدرِه ... عَصماءَ بينَ قلائدِ الأشعار

---

١ — ابن ساعدة، هو قس بن ساعدة الايادى، احد خطباء العرب الحكماء؛ يضرب به المثل فى بلاغة الخطب. وبشار: هو بشار بن برد الشاعر المشهور. يقول ان قاسما لا يؤبنه الا امثال قس من الخطباء وامثال بشار من الشعراء.

تولستوى (*)

(تولستُوىُ) ، تُجرِى آيةُ العلمِ دمعهَا ... عليكَ ، ويَبكى بائسٌ وفقيرُ
وشعبٌ ضعيفُ الركنِ زال نَصيره ... وما كلُّ يومٍ للضعيف نصير
ويَندُب فلَّاحون أنت مَنارُهم ... وأنت سراجٌ غيَّبوه مُنير
يعانونَ فى الأكواخِ ظُلماً وظلمةً ... ولا يملكون البثَّ وهْوَ يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى ... عليهم . وتَغْشَى دورَهم وتزور
ويَأْسَى عليك الدِّينُ ، إذ لكَ لُبُّه ... وللخادمين الناقمين قُشور
أيكفر بالإنجيل مَنْ تلك كُتْبُه ... أناجيلُ منها مُنذِرٌ وبَشير ؟
ويبكيك إلفٌ فوق (ليلى) ندامةً ... غداةَ مشى (بالعامرىِّ) سَرير
تناولَ ناعيكَ البلادَ كأنه ... يراعٌ له فى راحتَيْك صَرير(١)
وقيل : تولَّى الشيخُ فى الأرض هائمًا ... وقيل : (بدَيْرٍ) الراهباتِ أسير
وقيل : قَضَى لم يُغْنِ عنه طبيبهُ ... وللطبِّ من يطشِ القضاءِ عَذير
إذا أنت جاورْت (المعرِّىَّ) فى الثرى ... وجاور (رَضْوَى) فى التراب (ثَبير) (٢)
وأقبلَ جمعُ الخالدينَ عليْكما ... وغالَى بمقدار النظيرِ نظير
جَماجِمُ تحتَ الأَرضِ عَطَّرها شذًى ... جَناهُنَّ مسكٌ فوقها وعَبير
بهنّ يُباهِي بطنُ (حَوَّاء) ، واحتوَى ... عليهن بطنُ الأرضِ وهْوَ فَخور .

(*) تولستوى : هو الفيلسوف الروسي الشهير ، كان عالما عاملا بما يقول ، فتخلى عن ماله الجم ليساوى نفسه بالفقراء ، ولعل رواياته ومؤلفاته كانت الأناجيل الاولى للثورة الاخيرة فى روسيا وقد توفى سنة ١٩١٠ وهو شيخ كبير .

١ــ الصرير : التصويت . واليراع : القلم ــ٢ــ المعرى : هو ابو العلاء المعرى ، وشعره الفلسفى الاجتماعى مشهور . ورضوى وثبير علمان على جبلين : اولهما بالمدينة وثانيهما بمكة : يريد تشبيهه هو والمعرى بهذين الجبلين .

فقُلْ ياحكيمَ الدهر حَدِّثْ عن البِلَى   فأنت عليمٌ بالأُمور خبير
أحطْتَ من الموتى قديماً وحادثاً   بما لم يُحَصِّلْ مُنْكَرٌ ونَكِير :(١)
طوانا الذى يطوى السمٰواتِ فى غدٍ   ويَنْشُرُ بعدَ الطىِّ وهْو قدير(٢)
تقادم عَهدانا على الموتِ ، واسْتوى   طويلُ زمانٍ فى البِلَى وقصير
كأنْ لم تَضِقْ بالأمس عَنِّى كنيسةٌ   ولم يُؤْوِنِى دَيْرٌ هناك طَهور
أرى راحةً بين الجنادلِ والحصى   وكلُّ فِراشٍ قد أراح وَثِير(٣)
نظرنا بنُور الموتِ كلَّ حقيقةٍ   وكنّا كِلانا فى الحياة ضَرير
إليكَ اعترافى ، لا لقَسٍّ وكاهنٍ   ونجْوايَ بعدَ اللهِ وهْوَ غفور
فزهدُك لم يُنْكِرْه فى الأَرض عارفٌ   ولا مُتعالٍ فى السماء كبير
بيانٌ يُشَمُّ الوحىُ من نفحاته   وعلمٌ كعلم الأنبياء غَزير
سلكتُ سبيلَ المُتْرَفِينَ ، ولذَّ لى   بنونَ ومالٌ ، والحياةُ غُرور
أداةُ شتائى الدفءُ فى ظلِّ شاهقٍ   وعُدَّةُ صيفى جَنَّةٌ وغَدير
ومُتِّعْتُ بالدنيا ثمانين حِجَّةً   ونضْر أَيّامى غِنًى وحُبور
وذِكرٌ كضوءِ الشمسِ فى كلِّ بَلدةٍ   ولا حَظٌّ مثلُ الشمسِ حينَ تَسير
فما راعنى إلا عَذارَى أَجَرْننى   ورُبَّ ضعيفٍ تحتَمِى فيُجير
أردْتُ جِوارَ اللهِ والعمرُ مُنْقضٍ   وجاورتُه فى العمر وهْوَ نَضير
صِبًا ، ونعيمٌ بين أهلٍ ومَوْطنٍ   ولذّاتُ دنيا ، كلُّ ذاك نَزور(٤)
بهنّ —ومايدريز . ما الذنبُ؟ —خشيةٌ   ومن عَجَبٍ تَخْشَى الخطيئةَ حُور(٥)

١— يريد انه كان يعرف اشرار النفوس جد المعــرفة —٢— النشر : هو البعث من الموت ، وهو ايضا ضد الطى —٣— الفراش الوثير : اللين الناعم . ٤— نزور : اى قليل —٥— الحور : جمع حوراء ، وهى الجارية فى عينها حور . والحور : اشتداد بياض العين وسوادها .

أوانسُ فى داجٍ من الليل مُوحِشٍ ... ولله أنسٌ فى القلوب ونُور
وأشبهُ طُهْرٍ فى النساء بِمَرْيَم ... فتاةٌ على نَهج المسيحِ تسير
تُسائلُنى : هل غيَّر الناسُ مابهم ؟ ... وهل حَدَثَتْ غيرَ الأمور أُمور ؟
وهل آثر الإحسانَ والرفقَ عالمٌ ... دواعى الأذى والشرُّ فيه كثير ؟
وهل سلكوا سُبْلَ المحبَّةِ بينهم ... كما يتصافى أسرةٌ وعَشير ؟
وهل آنَ مِنْ أهل الكتابِ تسامُحٌ ... خَليقٌ بآدابِ الكتابِ جَدير ؟
وهل عالجَ الأحياءُ بؤساً وشِقوَةً ... وقلَّ فسادٌ بينهم وشرور ؟
قم انظر وأنت المالِئُ الأرضَ حكمةً ... أأجدى نظيمٌ ، أم أفادَ نَثير ؟
أناس كما تدرى ، ودنيا بحالها ... ودهرٌ رَخِيٌّ تارةً وعَسير
وأحوالُ خلقٍ غابرٍ مُتجدِّدٍ ... تشابه فيها أوَّلٌ وأخير
تمرُّ تباعا فى الحياة كأنها ... ملاعبُ لا تُرْخَى لهن سُتور
وحرصٌ على الدنيا ، ومَيلٌ مع الهوى ... وغِشٌّ ، وإفكٌ فى الحياةِ ، وزُور
وقام مقامَ الفردِ فى كلِّ أُمَّة ... على الحكم جَمٌّ يستبدُّ غَفير
وحُوِّر قولُ الناس : مَوْلًى وعَبْدُه ... إلى قولهم : مُستأْجِرٌ وأَجير
وأضحى نفوذُ المال لا أمرَ فى الورى ... ولا نَهْىَ إلا ما يرَى ويُشير
تساسُ حكوماتٌ به وممالكٌ ... ويُذْعِن أقيالٌ له وصدور(١)
وعصرٌ بنوه فى السلاحِ ، وحِرْصُهُ ... على السلم يُجْرِى ذكرَه ويُدير
ومن عجبٍ فى ظلِّها وهْوَ وارفٌ ... يُصادف شعبا آمناً ، فيُغير
ويأخذُ من قوت الفقيرِ وكَسْبِه ... ويؤوِى جيوشاً كالحصى ويَمير
ولما استقلَّ البرَّ والبحرَ مذهباً ... تَعَلَّقَ أسبابَ السماء يطير

---

١ — اقيال : جمع قيـل ، وهو الملك . والصدور : جمع صـدر ، وهو العظيم من الناس كالوزير ونحوه .

عمر بك لطفى (*)

قِفوا بالقبور نُسائِلْ عُمَرْ متى كانت الأَرضُ مَثْوَى القمرْ ؟
سلوا الأَرضَ : هل زُيِّنَتْ للعليـــــم ؟ وهل أُرِّجَتْ كالجِنانِ الحُفَر ؟
وهل قام (رضوانُ) من خلفها يُلاقى الرَّضِىَّ النَّقِىَّ الأَبرّ ؟
فلو علِمَ الجمعُ مِمَّنْ مَضَى تنَحَّى له الجمعُ حتى عَبر
إلى جَنَّةٍ خُلِقَتْ للكريم ومَن عَرَفَ اللهَ ، أو مَنْ قَدَر

* * *

برَغْمِ لتابوتِ وحبَّاتِها ورَغْمِ السماعِ ، ورَغْمِ البصر
نزولُكَ فى التُّرْبِ زَيْنَ الشبابِ سناءَ « النَّدِىِّ » سَنَى « المؤتمر »(1)
مُقيلَ الصديقِ إذا ما هَفا مُقيلَ الكريمِ إذا ما عثر
حَيِيتَ فكنتَ فخارَ الحياةِ ومُتَّ فكنتَ فخارَ السِّير
عجيبٌ رَداكَ ، وأعجبُ منه حياتُك فى طولها والقِصَر
فما قبلَها سمعَ العالمون ولا علموا مُصحفًا يُختصر
وقد يَقتلُ المرءَ همُّ الحياةِ وشغلُ الفؤادِ ، وكدُّ الفِكر
دَفَنَّا التجاربَ فى حُفرةٍ إليها انتهى بِك طولُ السُّفر
فكم لكَ كالنَّجم من رِحلةٍ رأى البدوُ آثارَهَا والحَضَر

(*) توفى عمر بك لطفى فى سنة ١٩١١ ، وكان عالما قانونيا ضليعا ، كما كان فى حياته يكاد يتقد غيرة على قوميته وحبا لمصلحة بلاده ، وهو فى طليعة مؤسسى نقابات التعاون فى مصر .

1 — الندى : يريد نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . ويريد بالمؤتمر المؤتمر الذى أقامه أعيان المسلمين فى هليوبوليس ، ردا على المؤتمر الذى أقامه أعيان الأقباط فى أسيوط . والسناء — بالمد — : الضوء . — وبالقصر — : الرفعة .

« نِقاباتُك» الغُرُّ تَبكى عليك ويَبكى عليك «النَّدِىُّ» الأَغر
ويبكى فريقٌ ، تخيَّرتَه شَريفَ المَرام ، شَريفَ الوَطَر
ويَبكى الأُلَى أنتَ علَّمتَهُمْ وأنت غرسْتَ ، فكانوا الثمر
حَياتُك كانَتْ عِظاتٍ لهم وموتُك بالأَمسِ إحدى العِبَر
سَهِرنا قُبَيْلَ الرَّدى ليلةً وما دارَ ذكرُ الرَّدى فى السمر(١)
فقمتَ إلى حفرة هُيِّئَتْ وقمتُ إلى مثلِها تُحْتَفَر
مَددتُ إليك يدًا للوَداع ومدَّ يدًا لِلِّقاء القدَر
ولو أنَّ لى علمَ ما فى غدٍ خَبَأْتُك فى مُقْلتِى مِن حذَر
وقالوا : شَكَوْتَ ، فما راعنى وما أَوَّلُ النارِ إلا شَرَر
رثيتُك لا مالكًا خاطرى من الحُزن ، إلا يسيرًا خطر(٢)
ففيك عرفتُ ارتجالَ الدُّموعِ ومنك عَلِمْتُ ارتجالَ الدُّرر
ومثلُك يُرثَى بآىِ الكتابِ ومثلُك يُفدَى بنصف البشر
فيا قبرُ ، كنْ روضةً من رِضًى عليه ، وكنْ باقةً من زهَر
سقتْك الدموعُ ، فإن لم يَدُمْنَ كعادتِهِنّ سقاك المطر

١ــ السمر : حديث الليل ــ٢ــ يريد : لا مالكا من خاطرى الا بقية قليلة الخر لا تغنى فى رثائك .

عمر بك لطفى (*)

اليومَ أَصْعَدُ دونَ قبرِكَ مِنبَرا ... وأُقلِّدُ الدنيا رِثاءك جَوْهَرَا

وأقصُّ مِن شِعرى كتابَ محاسنٍ ... تتقدَّم العلماءَ فيه مَسَطَّرا

ذكرًا لفضلك عندَ مصرَ وأهلِها ... والفضلُ من حُرُماتِه أن يُذْكَرا

العلمُ لا يُعْلِي المراتبَ وحدَه ... كم قدَّم العملُ الرجالَ وأخَّرا

والعلمُ أشبهُ بالسماء رجالُه ... خُلِطَتْ جَهاماً فى السحابِ ومُمْطِرا

طُفنا بقبرِكَ ، واستلمنا جَنْدلاً ... كالركنِ أزْكَى ، والحَطيمِ مُطهَّرا (١)

بين التشرُّفِ والخشوع ، كأنَّما ... نستقبلُ الحرمَ الشريفَ منوَّرا

لو أنصفوكَ جنادلاً وصفائحًا ... جعلوكَ بالذكر الحكيمِ مُسَوَّرا

يامَنْ أرانى الدهرُ صحةَ ودِّه ... والودُّ فى الدنيا حديثٌ مُفْتَرى

وسمعتُ بالخُلُقِ العظيمِ روايةً ... فأرانى الخلقَ العظيمَ مُصَوَّرا

ماذا لقيتَ من الرُّقاد وطوله ؟ ... أنا فيك ألقى لوعةً وتحسُّرا

نَمْ ما بَدا لك آمناً فى منزلٍ ... الدهرُ أقصرُ فيه من سِنَةِ الكرَى

مازلتَ فى حَمْد الفِراشِ وذمِّه ... حتى لقيتَ به الفِراشَ الأَوْثرا(٢)

لا تَشكُوَنَّ الضُّرَّ من حشراته ... حشراتُ هذا الناسِ أقبحُ مَنظرا

ياسيِّدَ (النادى) وحاملَ همِّه ... خلَّفتَه تحت الرَّزيَّةِ مُوقَرا(٣)

(*) نظمت هذه القصيدة لتلقى فى حفلة اقيمت لتأبين عمر بك لطفى بعد الاربعين ، أما القصيدة السابقة فقد نظمت عقب الوفاة فى سرعة تشبه الارتجال .

١— يقول : اننا نطوف بقبرك ونستلم احجاره ، كما يطوف حجاج بيت الله فيستلمون الركن والحطيم المطهرين —٢— الفراش الاوثر : هو الفراش الاكثر ليونة ونعومة ، ويريد به تراب القبر —٣— النادى : هو نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . وموقرا : اى مثقلا بما يحمله من فقدك .

شهدَ الأَعادى كم سَهِرْتَ لمجده   وغدَوْتَ فى طلب المزيدِ مُشمِّرا
وكم اتَّقيْتَ الكَيْدَ واستدفعْته   ورميْتَ عُدْوانَ الظنونِ فأَقصرا
ولَبِثْتَ عن حَوْضِ الشَّبيبة ذائدًا   حتى جزاكَ اللهُ عنه الكَوْثرا
شُبانُ مصرَ حِيالَ قبرِكَ خُشَّعٌ   لا يملكون سوى مدامعهم قِرى (١)
جمعَ الأَسى لك جمعَهم فى واحدٍ   كان الشبابَ الواجدَ المُسْتعْبِرا (٢)
لولاك ما عرفوا التعاوُن بينهم   فيما يسُرُّ ، ولا على ما كدَّرا
حيث التفَتَّ رأَيتَ حولك منهمُ   آثارَ إِحسانٍ وغرساً مُثمِرا
كم منطقٍ لك فى البلاد وحكمةٍ   والعقلُ بينهما يُباع ويُشْترَى
تمشى إلى الأَكواخ تُرشِد أهلَها   مشىَ الحواريِّينَ يَهْدون القُرى (٣)
متواضعاً لله بينَ عِبادِه   واللهُ يبغض عبدَه المتكبِّرا
لم تَدْرِ نفسُك : ماالغُرورُ ؟ وطالما   دخل الغُرورُ على الكبار فصغَّرا
فى كلِّ ناحيةٍ تَخُطُّ نِقابةً   فيها حياةُ أخى الزراعةِ لو دَرَى
هى كيمياؤُكَ ، لاخُرافَةُ (جابرٍ)   تَذَرُ المُقِلَّ من الجماعة مُكثِرا (٤)
والمالُ لا تجنِى ثِمَارَ رءُوسِه   حتى يصيبَ من الرءُوس مُدَبِّرا
والملكُ بالأَموالِ أمنعُ جانبًا   وأعزُّ سلطاناً ، وأصدقُ مَظهرا
إنا لفِى زمنٍ سِفاهُ شعوبِه   فى ملكهم كالمرءِ فى بيت الكِرا (٥)

---

١ — القرى — بكسر القاف — : مايقدم للضيف من اكرام ونحوه .
٢ــ الواجد المستعبر : هو الحزين الباكى —٣ـ الحواريون : هم اصحاب عيسى ابن مريم —٤ـ جابر : هو جابر بن حيان صاحب الكيمياء القديمة . والمقل : هو الفقير أو هو الذى لايملك الاشيئا قليلا —٥ـ بيت الكرا : هو بيت الأجرة .

أَسِواكَ مِنْ أَهلِ المبادىء مَنْ دَعا ... للجِدِّ ، أَوجمعَ القلوب النفرا ؟
الموتُ قبلَك فى البَرِيَّةِ لم يَهَبْ ... طَه الأَمين ، ولا يسوع الخيِّرا(١)

* * *

لما دُعيتُ أتيتُ أَنثُرُ مَدْمَعِى ... ولواستطعتُ نثرْتُ جَفنى فى الثرى
أبكى يمينَك فى التراب غمامة ... والصَّدْرَ بحرًا ، والفوادَ غضَنْفَرا
لم أُعْطَ عنك تَصَبُّرًا ، وأنا الذى ... عزَّيْتُ فيك عن الأَمير المَعْشَرا(٢)
أَزِنُ الرجالَ ، ولى يَراعٌ طالما ... خلَع الثناء على الكرام مُحَبَّرا
بالأَمسِ أَرسلْتُ الرثاء مُمَسَّكًا ... واليومَ أهتِفُ بالثناء مُعَنْبَرا
غيَّرْتَنى حزنًا ، وغيَّرك البِلَى ... وهواك يأْبَى فى الفؤاد تغيُّرا(٣)
فعَلَىَّ حفظُ العهد حتى نَلتقى ... وعليك أن ترعاه حتى نُحشَرا

---

١ ــ يسوع : المسيح ــ٢ــ كان امير الشعراء هو نائب الخديو عباس فى تعزية الفقيد ــ ٣ ــ يشير الى قصيدته السابقة فى الفقيد

الأميرة (*)

حَلَفْتُ بالمُسْتَّرَهْ والرَّوْضةِ المعطَّرَهْ(١)
ومجلِسِ الزَّهراء فى الـ حظائر المنوَّرة(٢)
مراقدِ السُّلالةِ الطَّيِّبَةِ المطهَّرَه
ما أنزَلوا إلى الثَّرَى بالأمسِ إلا نَيِّرَه(٣)
سيروا بها تَقِيَّةً نقيةً مُبَرَّرَه
نُجِلُّ سِتْرَ نَعْشِها كالكُسْوَةِ المُسَيَّره(٤)
ونَنْشقُ الجنَّةَ من أعوادِهِ المُنضَّره

* * *

فى موكِبٍ تَمَثَّلَ الـ حقُّ فكان مَظْهَرَه
دع الجنودَ والبنو دَ والوفودَ المُحْضَره
وكلَّ دمعٍ كَذِبٍ ولَوْعَةٍ مُزَوَّره
لا ينفع الميْتَ سوى صالحةٍ مُدَّخَره
قد تُرْفَعُ السُّوقةُ عنـ ـدَ اللهِ فوقَ القَيْصَرَه

* * *

(*) هى الاميرة فاطمة اسماعيل ، كان لها الفضل الاول فى تاسيس وانشاء الجامعة المصرية ، وقد انتقلت الى دار الجنان فى سنة ١٩٢٠ .

١ـ المسترة : الكعبة ـ٢ـ يقصد فاطمة الزهراء ، بنت الرسول صلوات الله عليه ، ومجلسها فى حجرات النبوة ـ٣ـ نيرة : هى واحدة النجوم النيرة ـ٤ـ الكسوة : هى كسوة الكعبة المكرمة ، وتسير من مصر الى الحجاز كل عام فى موكب عظيم الاجلال ـ٥ـ القيصرة : علم كل ملكة للروم . والقيصر : علم على ملكها .

يا جزَعَ العِلْمِ على (سُكَيْنَة) المُوَقَّرهْ!(١)
أَمسى بربْعٍ مُوحِشٍ منها ودارٍ مُقْفِره
من ذا يُوَسِّى هذه الـ جامعةَ المُسْتَعْبِره(٢)
لوعِشْتِ شِدْتِ مثلَها للمرأةِ المحرَّره
بنيتِ رُكنَيْها ، كما يبنى أبوكِ المَأْثُرَه
قرنْتِ كلَّ حجرٍ فى أُسِّها بجوهَره
مَفخرةٌ لبيتكم كم قبلها من مَفخرة !

* * *

يابنتَ إسماعيلَ ، فى الـ ميْتِ لحىٍّ تَبْصِره(٣)
أكان عندَ بيتِكم لهذه الدنيا تِرَه ؟(٤)
هلَّا وصَفْتِها لنا مُقبلةً ومُدبره ؟
ولونَها صافيةً وطعمَها مكدَّره ؟
كالحلم ، أوكالوهم ، أو كالظلِّ ، أو كالزَّهَرَه ؟

* * *

(فاطمُ) ، مَنْ يُولَدْ يَمُتْ المهدُ جسرُ المقبره(٥)
وكلُّ نفسٍ فى غدٍ مَيِّتةٌ فمُنْشَرَه
وإنه مَنْ يَعملِ الـ خيرَ أو الشَّرَّ يَرَه

١ـ يشبهها بسكينة بنت الحسين فى عطفها على العلم والأدب .
٢ـ المستعبرة : اى الباكية لفقدها عطفك ـ٣ـ التبصرة : بمعنى الموعظة .
٤ـ ترة : هى الثار ـ٥ـ فاطم : اى فاطمة ، وحذفت التاء للترخيم ، كقول امرىء القيس .

* افاطم مهلا بعض هذا التدلل *

وإنما يُنَبَّهُ الـ غافلُ عندَ الغَرْغَرَه(١)
يَلفِظها حَنظلةً كانت بفِيهِ سُكَّره(٢)
ولن تَزالَ من يَدٍ إلى يَدٍ هٰذى الكُرَه

* * *

أين أبوكِ ؟ مالُه وجاهُه ، والمقدره ؟
وادى النَّدَى ، وغَيْثُه وعَيْنُه المُفجَّره(٣)
أين الأُمورُ ، والقصو رُ ، والبدورُ المُخْدَره ؟
أين الليالى البيضُ ، والـ أُصائلُ المزَعْفَره ؟(٤)
وأين فى ركن البلا دِ يَدُه المُعَمِّره ؟
وأين تلك الهِمَّةُ الـ ماضيةُ المشمِّره ؟
تبغى لمصر الشرق أو أكثرَهُ مُستعمَرَه
جرى الزمانُ دونَها فردَّه وأعثَره
فإن همَمْتَ فاذكر الـ مَقادرَ المُقَدَّره
مَن لا يُصِبْ فالناسُ لا يَلتمسون المعذِرَة

١ـ الغرغرة : وقت حشرجة الروح فى الصدر ـ٢ـ يلفظها : اى يلفظ الحياة ـ٣ـ الندى : الكرم . والعين : بمعنى النبع ـ٤ـ الاصائل : الوقت من بعد العصر الى المغرب . والمزعفرة : اى الملونة بلون الزعفران . والليالى البيض والاصائل المزعفرة : يقصد بهما الكناية عن السعادة الوارفة الظليلة .

ذكرى مصطفى كامل (*)

لم يَمُتْ مَنْ له أَثَرْ　　وحياةٌ مِنَ السِّيَرْ
أُدْعُه غائباً ، وإن　　بعُدَتْ غايةُ السفر
آيبُ الفضلِ كلّما　　آبتِ الشمسُ والقمر (١)
رُبَّ نورٍ مُتمّمٍ　　قد أتانا مِنَ الحُفَر (٢)
إنما الميْتُ مَنْ مشى　　ميتَ الخيرِ والخبَر
مَنْ إذا عاشَ لم يُفِدْ　　وإذا مات لم يَضِر
ليس فى الجاهِ والغِنَى　　منه ظِلٌّ ولا ثمر
قبُح العِزُّ فى القُصو　　رِ إذا ذَلَّتِ القَصَر

* * *

أعْوَزَ الحقُّ رائدٌ　　وإلى (مصطفى) افتقَر
وتمنَّت حِياضُه　　هَبَّةَ الصارِمِ الذَّكَر
الذى يُنْفِذُ المُدى　　والذى يَركبُ الخطر (٣)
أيُّها القومُ ، عظِّموا　　واضعَ الأُسِّ والحجر
أذكروا الخُطبةَ التى　　هى من آيِهِ الكُبَر (٤)

(*) لأمير الشعراء عدة قصائد فى مصطفى كامل باشا ، هذه احداها ، وقد القيت فى الاحتفال الذى اقيم تمجيدا لذكراه فى فبراير سنة ١٩٢٦ .

١ — يقول : فى كل أوبة شمس ، وفى كل عودة قمر ، يؤوب للفقيد فضل ، ويتجدد له ذكر ، واذن فهو لا يحسب ميتا ، وغاية الأمر انه غائب فى سفر بعيد — ٢ — الحفر : القبور — ٣ — الذى ينفذ المدى : يراد به صاحب الطعنات النافذة — ٤ — يريد آخر خطبة للفقيد ، وقد ظنها الناس يومئذ خطبة الوداع .

لم يَرَ الناسُ قبلَها مِنبرًا تحتَ مُختَضَر
لستُ أنسَى لِواءه وهو يَمشى إلى الظَّفَر
حَشرَ الناسَ تحتَه زُمَرًا إثرَها زُمَر
وتَرى الحقَّ حولَه لا ترى البيضَ والسُّمُر(١)
كلَّما راح أو غدا نَفخَ الرُّوحَ فى الصُّوَر

* * *

يا أخا النَّفْسِ فى الصِّبا لَذَّةُ الروحِ فى الصِّغر
وخليلاً ذَخَرْتُه لم يُقَوَّمْ بمُدَّخَر
حالَ ، بَينى وبينه فى فُجاءاتِه القَدَر
كيف أجزِى مَوَدَّةً لم يَشُبْ صَفْوَها كدَر ؟
غيرَ دَمعٍ أقولهُ قَلَّ فى الشأنِ أو كَثُر ؟
وفُؤادٍ مُعَلَّلٍ بالخيالات والذُّكَر ؟
لم ينم عنك ساعةً فى الأحاديث والسَّمَر ؟
قُمْ تَرَ القومَ كتلةً مثلَ مَلمومةِ الصَّخر(٢)
جَدَّدوا أُلفةَ الهوى والإخاء الذى شُطِر
ليس للخُلْف بينهمَ أو لأسبابه أثر
ألَّفتْهم روائحٌ غادياتٌ من الغِيَر

١ـ البيض : السيوف . والسمر : الرماح ـ٢ـ ملمومة : بمعنى مجتمعة ، ويقال للدرع : ملمومة ، وكذا يقال للكتيبة ـ وهى الفرقة من الجيش ـ ملمومة ايضا .

وصحَوْا من مُنوَّمٍ وأفاقوا من الخَدَر(١)
أقبلوا نحوَ حقِّهم ما لهم غيْرَه وَطَر
جعلوه خَلِيَّةً شرعوا دونَها الإِبَر(٢)
وتواصَوْا بخطّةٍ وتداعَوْا لمؤتمر(٣)
وقُصَارَى أولِي النُّهَى يَتلاقوْنَ فى الفِكَر
آذنونا بموقفٍ من جلالٍ ومن خَطَر
نسمع الليثَ عنده دون آجامه زأر
قُلْ لهم فى نَدِيِّهم : مصرُ بالباب تنتظِر(٤)

---

١ ـ الخدر : الكسل ، وهو مصدر خدر ، كفرح ـ٢ـ الخلية : موضع سكن النحل . شرعوا الأبر : رفعوها استعدادا للنضال بها ، كما يقال : شرع سيفه ، اذا انتضاه من غمده ـ٣ـ تدعوا : تجمعوا ـ٤ـ يريد بالندى : البرلمان ، وكان وقتئذ يهيأ .

المنفلوطى(*)

اخترتَ يومَ الهولِ يومَ وَداعِ ... ونعاكَ فى عَصْفِ الرياحِ الناعى(١)
هتف النُّعاةُ ضُحًى ، فأَوْصَدَ دونهم ... جُرحُ الرئيسِ منافذَ الأَسماعِ
مَنْ ماتَ فى فَزَعِ القيامةِ لم يَجِدْ ... قدَماً تُشَيِّعُ أو حفاوة ساعى
ما ضرَّ لو صبَرتْ ركابُكَ ساعةً ... كيفَ الوقوفُ إذا أهاب الداعى؟
خلِّ الجنائزَ عنك ، لا تحفِلْ بها ... ليس الغرورُ لميِّتٍ بمتاعِ
سِرْ فى لواءِ العبقريّةِ ، وانتظِمْ ... شتَّى المواكب فيهِ والأَتباعِ
واصعد سماءَ الذكر من أسبابها ... واظهر بفضلٍ كالنهار مُذاعِ
فُجِعَ البيانُ وأهلُهُ بمصوِّرٍ ... لَبِقٍ بوشْيِ الممتِعاتِ صَناعِ
مَرموقِ أسبابِ الشبابِ وإن بَدَتْ ... للشيب فى الفَودِ الأَحَمِّ رَواعى(٢)
تتخيلُ المنظومَ فى منثوره ... فتراهُ تحت روائعِ الأَسجاعِ
لم يَجْحَدِ الفُصحَى ، ولم يَهجُم على ... أسلوبها ، أو يُزْرِ بالأَوضاعِ
لكنْ جرَى والعصرَ فى مِضمارِها ... شَوْطاً ، فأَحْرَزَ غايةَ الإبداعِ
حُرُّ البيانِ ، قديمُه وحديثُه ... كالشمسِ جِدّةَ رُقعةٍ وشُعاعِ
يونانُ لو بِيعت (بهوميرٍ) لما ... خَسِرَتْ ـ لعَمْرُكَ ـ صَفْقةُ المبتاعِ

* * *

(*) هو الكاتب الذائع الصيت مصطفى لطفى المنفلوطى ، اشتهر بأسلوب انشائى خاص لفت اليه أنظار القراء فى عصره ، وقد توفى سنة ١٩٢٤ .

١ ــ يشير بيوم الهول الى أن وفاة الفقيد كانت فى يوم اطلاق الرصاص على الزعيم سعد باشا ــ ٢ــ الفود : أحد الفودين ، وهما جانبا الرأس من الامام ، والأحم : الأسود . والرواعى : جمع راعية . ويريد « بالرواعى » الشعرات البيض اللواتى ظهرت فى جانبى رأسه .

يا مُرسلَ (النظراتِ) فى الدنيا وما ... فيها على ضَجَرٍ وضِيقِ ذِراع (١)
ومُرَقْرِقَ (العبراتِ) تجرى رِقّةً ... للعالمِ الباكى من الأَوجاع (٢)
مَنْ ضَاقَ بالدنيا فليس حكيمَها ... إنّ الحكيمَ بها رَحيبُ الباع
هِىَ والزمانُ بأَرضِهِ وسمائِه ... فى لُجّةِ الأَقدارِ نِضْو شِراع (٣)
مَنْ شَذَّ ناداه إليه فردَّهُ ... قَدَرٌ كراعٍ سائقٍ بقطاع (٤)
ما خَلْفَهُ إلا مَقودٌ طائعٌ ... مُتلفّتٌ عن كبرياء مُطاع
جبارُ ذِهْنٍ ، أو شديدُ شكيمةٍ ... يمضى مُضِىَّ العاجزِ المُنصاع
مِن شَوّهَ الدنيا إليك فلم تَجِدْ ... فى الملكِ غيرَ مُعذَّبين جِياع ؟
أبكل عينٍ فيه أو وَجْهٍ ترى ... لمحاتِ دمعٍ أو رسومَ دِماع؟ (٥)
ما هكذا الدنيا ، ولكنْ نُقْلَةٌ ... دمعُ القَريرِ وعَبْرَةُ المُلتاع
لا الفقرُ بالعَبَراتِ خُصَّ ولا الغنى ... غِيَرُ الحياةِ لهنّ حُكْمٌ مشاع (٦)
ما زالَ فى الكوخِ الوضيعِ بَواعِثٌ ... منها ، وفى القصرِ الرفيعِ دَواعِى
فى القفرِ حَيّاتٌ يُسيِّبها به ... حاوى القضاء ، وفى الرياضِ أفاعِى
ولَرُبَّ بُؤْسٍ فى الحياةِ مُقنَّعٍ ... أربَى على بُؤْسٍ بغير قِناع

* * *

١ـ النظرات : اسم كتاب للفقيد ـ٢ـ العبرات : اسم كتاب له أيضا .
٣ـ نضو شراع : اى شراع هزيل متمزق لا يكاد يقوى على مصارعة أمواج تلك اللجة ، بل لا يكاد يرى فى خضمها المحيط ـ٤ـ القطاع : طائفة من الغنم .
٥ـ رسوم دماع : اى آثار تبدو فى مجرى الدمع ، كأن الدموع لكثرتها تصنع لها طريقا فى موضع مسيلها ـ٦ـ غير الحياة : نوائبها المغيرة على الناس .

يا (مصطفى) البلغاء ، أىّ يَراعةٍ ... فقدوا ؟ وأىّ مُعلِّمٍ بيَراع ؟

اليومَ أبصرتَ الحياةَ ، فقلْ لنا ... : ماذا وراء سرابها اللمّاع ؟

وصِفِ المنونَ ، فكم قعدْتَ ترى لها ... شَبَحًا بكلِّ قرَارة ويَفاع(١)

سكن الأحبّةُ والعِدَى ، وفرغْتَ مِنْ ... حِقْدِ الخُصوم ، ومِنْ هوى الأَشياع

كم غارةٍ شَنُّوا عليكَ دفعْتَها ... تصِلُ الجهودَ فكُنَّ خيرَ دِفاع

والجهدُ مُوتٍ فى الحياةِ ثِمَارَه ... والجهدُ بعدَ الموتِ غيرُ مُضاع

فإذا مضى الجيلُ المِراضُ صدورُه ... وأتى السليمُ جوانبَ الأضلاع

فافزعْ إلى الزمن الحكيم ، فعنده ... نقْدٌ تنزَّهَ عن هوى ونِزاع

فإذا قضى لك أُبْتَ مِن شُمِّ العُلا ... بثَنِيَّةٍ بَعدَت على الطَّلاع(٢)

وأجلُّ ما فوقَ الترابِ وتحتَه ... قلمٌ عليه جَلالةُ الإجماع

تلك الأناملُ نام عنهنّ البِلَى ... عُطِّلْنَ من قلمٍ أشَمَّ شُجاع

والجبنُ فى قلم البليغِ نظيرُه ... فى السيف مَنْقَصَةٌ وسوءُ سماع

---

١ — اليَفاع : ما ارتفع من الارض، كالنجاد . والقرار : ما انخفض منها كالوهاد — ٢ — الثنيـة : الطريق فى اعالى الجبال ويجمع على الثنايا ، وقد تمثل الحجاج فى خطبته الشهيرة بقول بعضهم : انا ابن جلا وطلاع الثنايا .

عاطف بركات باشا(*)

خَفضتُ لِعِزّةِ الموتِ اليَراعا ... وجَدَّ جلالُ مَنْطِقِهِ ، فراعا
كفَى بالموتِ للنُّذُرِ ارتجالاً ... وللعَبَراتِ والعِبَرِ اختراعا
حكيمٌ صامتٌ فضَح الليالى ... ومَزَّق عن خَنا الدنيا القِناعا
إذا حضر النفوسَ فلا نعيمًا ... ترى حولَ الحياةِ ولا مَتاعا
كشفتُ به الحياةَ فلم أجِدْها ... ولَمْحةَ مائها إلا خِداعا
وما الجرّاحُ بالآسى المرجّى ... إذا لم يقتل الجُثَثَ اطّلاعا(١)
فإن تَقُل الرِّثاء فقُلْ دموعاً ... يُصاغ بهنّ ، أو حِكَماً تُراعَى
ولا نلكُ مثلَ نادبةِ المُسجّى ... بَكت كَسْبًا ، ولم تبْكِ الْتِياعا(٢)
خلَتْ دولُ الزمانِ وزُلْنَ رُكناً ... وركنُ الأرض باق ، ما تَداعى(٣)
كأنّ الأرضَ لم تَشهدْ لِقاءً ... تكاد له تَميدُ ، ولا وَداعا
ولو آبتْ ثواكلُ كلِّ قَرْنٍ ... وجَدْنَ الشمسَ لم تَثْكل شُعاعا
ولكن تُضرَب الأمثالُ رُشدًا ... ومنهاجاً لمن شاء اتِّباعا
ورُبّ حديثِ خيرٍ هاجَ خيرًا ... وذكرِ شجاعةٍ بَعث الشُّجاعا

* * *

(معارفُ) مصرَ كان لهنَّ ركنٌ ... فذُقْنَ اليومَ للركنِ انصِداعا
مضى أعْلى الرجالِ لها يمينًا ... وأرْحَبُهم بحَلّتها ذِراعا

(*) عاطف بركات باشا : احد رجالات مصر المقدمين ، واحد نوابغ جيله المعلمين ، ترقى الى منصب وكيل وزارة المعارف ، وقد توفى سنة ١٩٣٥ .

١ـ يقال : قتل الأمر اطلاعا ، اذا بحثه طويلا . والآسى : الطبيب .

٢ـ المسجى : الميت . والالتياع : شدة الحزن ـ٣ـ تداعى الركن : اى سقط متهدما .

وأكثرُهُم لها وَقَفاتِ صِدقٍ   إباءً فى الحوادث أو زَماعا
أتَتْهُ فنالَها نَفَلاً وفَيْئًا   فلا هبةً أتَتْه ولا اصطِناعا (١)
تنقل يافعًا فيها وكهلاً   ومن أسبابها بَلَغَ اليَفاعا
فتًى عجمَتْه أحداثُ الليالى   فلا ذُلاًّ رأيْن ، ولا اختِضاعا
سَجَنَّ مُهنَّدًا ، ونَفَيْن تِبْرًا   وزِدْنَ المسك من ضغْطٍ فضاعا(٢)
شديدٌ صُلَّبٌ فى الحق حتى   يقولَ الحقُّ : لِينًا واتِّداعا(٣)
ومدرسةٍ سَمَتْ بالعلم ركنًا   وأنْهضَتِ القضاء والاشتِراعا(٤)
بناها محسنًا بالعلم بَرًّا   يَشيد له المعالمَ والرباعا (٥)
وحاربَ دونها صرعَى قديمٍ   كأنَّ بهم عن الزمنِ انقطاعا
إذا لمحَ الجديدُ لهم تَوَلَّوْا   كذى رَمَدٍ على الضوءِ امتناعا

* * *

أخا «سيشيلَ» ، لاتذكرْ بحارًا   بَعدنَ على المزار ولا بقاعا(٦)
وربِّك ما وراءَ نَواكَ بُعدٌ   وأنتَ بظاهر الفُسْطاطِ قاعا(٧)

١ــ النفل : مفرد الأنفال ، يعنى العطايا المكتسبة من الفيء . والفيء : الغنيمة . والاصطناع . هو ما يعبر عنه فى زماننا بالمحسوبية ــ٢ــ ضاع المسك والطيب : سطع عطره . لما قال : « فتى عجمته احداث الليالى » شرح كيف كان ذلك ، فأخبر انه سجن فكان اشبه بالمهند ، ونفى فكان مثل التبر ، وحين اشتدت أحداث الليالى ضغطا ، كان الفقيد أشبه بالمسك الذى يسحق فيزيد أرجا وطيبا ــ٣ــ صلب « باللام المشددة » : اى كثير الصلابة . والاتداع : من الوداعة ، وهى رقة الخلق ــ٤ــ يشير بهذا البيت الى أن الفقيد كان هو أول قيم على مدرسة القضاء الشرعى ، وقد أنشئت تلك المدرسة لتخريج القضاة الشرعيين ؛ ولم يستغن عنها الا بعد اصلاح الازهر والاكتفاء بأبنائه ــ٥ــ الرباع : جمع ربع : الدار ــ٦ــ سيشل ، احدى جزر الهند الثانية ، نفى اليها الفقيد ، حين اتهمته السلطات الانجليزية بالتحريض السياسى فى ثورة مصر الكبرى ــ٧ــ الفسطاط : مدينة مصر . وظاهر الفسطاط : اى ضاحيتها . والقاع فى الأصل : هو المنخفض من الارض ، ويريد به هنا موضع القبر حيث دفن الفقيد .

نزلْتَ بعالَمٍ خَرِق القضايا ... وأصبح فيه نظمُ الدهرِ ضاعا
فَخلِّ الأَربعين لحافليها ... وقُمْ تَجِد القرونَ مرَرْنَ ساعا(١)

* * *

مَرِضتَ فما ألحَّ الداءُ إلَّا ... على نفْسٍ تعوَّدَت الصِّراعا
ولم يكُ غيرَ حادثةٍ أصابت ... مُفلِّلَ كلِّ حادثةٍ قِراعا(٢)
ومَنْ يتجرَّع الآلامَ حيًّا ... تَسُغْ عند المماتِ له اجتراعا
أرِقْتَ . وكيف يُعطى الغمضَ جفنٌ ... تَسُلُّ وراءه القلبَ الرُّواعا ؟(٣)
ولم يَهدَأْ وِسادُك في الليالى ... لعلمك أنْ ستُفنيها اضطجاعا
عَجِبْتُ لشارحٍ سببَ المنايا ... يُسَمِّى الداءَ والعِلَلَ الوِجاعا
ولم تكن الحتوفُ محلَّ شكٍّ ... ولا الآجالُ تحتملُ النزاعا
ولكنْ صُيَّدٌ ولها بُزاةٌ ... ترى (السَّرطانَ) منها والصُّداعا(٤)
أرَى التعليم لمَّا زلت عنه ... ضعيفَ الركنِ ، مَخذولاً ، مُضاعا
غريقٌ حاولت يَدُه شِراعاً ... فلمَّا أوْشكَتْ فقد الشِّراعا
سَراةُ القومِ مُنصرفون عنه ... وصُحْفُ القوم تَقتضِبُ الدفاعا(٥)
لقد نسَّاه يومُك ناصباتٍ ... مِن السَّنوات قاساها تِباعا(٦)
قُم ابنِ الأُمَّهاتِ على أساسٍ ... ولا تبْنِ الحصونَ ولا القِلاعا

١- الاربعين فى هذا البيت ، مقصود بها الايام التى مضت على وفاته ، او السن التى توفى فيها . والساعا : جمع ساعة ٢- القراع: نوع من الحرب والمغالبة ٣- الرواع : من قولهم : ناقة رواع الفؤاد ، بضم الراء وفتح الواو ، اى شهمة زكية ٤- البزاة : جمع بازى ، وهو ضرب من الصقور . ٥- سراة القوم : سادتهم . والاقتضاب: بمعنى القطع او الايجاز والاختصار ٦- ناصبات ، من قولهم : عيش ناصب ، اى فيه كد وجهد . وتباعا : اى متتابعة .

فهُنَّ يَلِدْن للقَصبِ المذَاكى ... وهُنَّ يلِدْن للغابِ السِّباعا(١)
وَجدْتُ مَعانىَ الأخلاق شتَّى ... جُمِعْن فكنَّ فى اللفظ الرِّضاعا
عَزاء الصابرين (أبا بهِىٍّ) ... ومثلُك مَنْ أناب ومَنْ أطاعا(٢)
صَبَرتَ على الحوادث حينَ جَلَّتْ ... وحينَ الصبرُ لم يَكُ مُستطاعا
وإن النفسَ تهدأُ بعدَ حينٍ ... إذا لم تَلْقَ بالجزع انتِفاعا
إذا اختلف الزمانُ على حزينٍ ... مَضى بالدمع ، ثم مَحا الدِّماعا
قُصارَى الفَرْقَدَيْنِ إلى قضاءٍ ... إذا عثرا به انفصَما اجتِماعا
ولم تَخْوِ الكِنانة آلَ سعدٍ ... أشدَّ على العِدا منكم نِباعا(٣)
ولم تحمِل كشيخكمُ المُفدَّى ... نُهوضاً بالأمانةِ واضطِلاعا
غدا فَصْلُ الخِطابِ ، فمَنْ بَشيرى ... بأنَّ الحقَّ قد غلب الطِّماعا ؟
سَلُوا أهلَ الكِنانةِ :هل تداعَوْا؟ ... فإن الخصمَ بعد غدٍ تَداعى
وما (سعدٌ) بمُتَّجِرٍ إذا ما ... تعرَّضت الحقوقُ شَرَى وباعا
ولكنْ تحتمِى الآمالُ فيه ... وتدَّرِعُ الحقوقُ به ادِّراعا(٤)
إذا نظرَتْ قلوبُكُمُ إليه ... علا للحادثات وطال باعا(٥)

---

١ – المذاكى : الخيل التى كملت قوتها . والقصب : هو الخط الذى يتراهن عليه المتسابقون –٢– ابا بهى : ينادى بهذه الكنية فتح الله بركات باشا شقيق الفقيد . واناب : رجع الى الله –٣– النباع : جمع نبع ، وهو شجر القسى والسهام ، ينبت فى قمة الجبال . آل سعد : آل زغلول باشا اخوال الفقيد –٤– تدرع الحقوق به : اى تجعل منه درعا لها . والدرع : ثوب حديد يلبسه المحارب ليحتمى به من السيوف واشباهها –٥– طال باعا : اى طال شأوا وعظم قوة .

المويلحى(*)

كاتبٌ مُحْسِنُ البيانِ صَناعُه استخَفَّ العقولَ حيناً يَراعُه(١)
اِبنُ مصرٍ ، وإنما كلُّ أرضٍ تنْطِقُ الضادَ مَهْدُهُ ورِباعُه(٢)
إنما الشرقُ منزلٌ لم يُفرِّق أهلَه إنْ تفرَّقتْ أصقاعه(٣)
وطنٌ واحدٌ على الشمس والفصـ ـحى، وفى الدمع والجراحِ اجتماعه
علمٌ فى البيان ، وابنُ لواءٍ أخذَ الشرقَ حِقبةً إبداعه
حَسْبُه السحرُ من تُراثِ أبيه إن تَولَّتْ قصورُه وضِياعه(٤)
إنما السحرُ والبلاغةُ والحكـ ـمةُ بَيْتٌ ، كلاهما مِصراعه

* * *

فى يَدِ النَّشْءِ من بيان (المويلحى) مثلٌ يَنْفع الشبابَ اتِّباعه
صُوَرٌ من حقيقة وخيالٍ هى إحسانُ فِكْرِهِ وابتداعه
رُبَّ سجعٍ كمُرْقِص الشعرِ لمَّا يَختلِفْ لَحْنُهُ ولا إيقاعه
أو كَسجع الحمامِ لو فصَّلتْهُ وتأنَّتْ به ، ودَقَّ اختراعه
هو فيه بديعُ كلِّ زمانٍ ما بديعُ الزمانِ؟ ما أسجاعه؟(٥)

* * *

(*) هو الكاتب الكبير محمد المويلحى المتوفى سنة ١٩٣٠ ، وقد ألقيت هذه القصيدة فى حفلة تأبينه .

١ــ يقال : يد صناع ، اى ماهرة حاذقة ، وبيان صناع أيضا ــ٢ــ رباع : جمع ربع ، وهو الدار ــ٣ــ اصقاعه ، جمع صقع بضم الصاد : الناحية . ٤ــ تولت القصور : اى ذهبت . والضياع : جمع ضيعة ، وهى العقار والارض المغلة ــ٥ــ بديع الزمان : هو الهمذانى صاحب المقامات المشهورة

عجبَ الناسُ من طباعِ المويلحيِّ ، وفى الأُسْدِ خُلْقُه وطِباعه
فيه كِبْرُ اللُّيوثِ حتى على الجو ع ، وفيها إباؤُه وامتناعه
تعب الموتُ فى صَبورٍ على النز عِ ، قليلٍ إلى الحياةِ نِزاعه(١)
صارع العيشَ حِقْبَةً ، ليت شعرى ساعةَ الموتِ كيف كان صِراعه؟
قهرَ الموتَ والحياةَ ، وقد تحـ كمُ فى رائض السِّباع سِباعه
مُهجةٌ حرّةٌ ، وخُلْقٌ أبِيٌّ عَيَّ عنه الزمانُ وارتدَّ باعه

* * *

فى الثمانين ـ يا (محمدُ) ـ عِلْمٌ لِعليمٍ ، وإن تَناهى اطِّلاعه(٢)
لِمْ تقاعَدْتَ دونها وتَوانَى سائقُ الفُلْكِ ، واضمحلَّ شِراعه؟
رُبَّ شَيْبٍ بَنَتْ صُروحَ المعالى سَنتاه ، وشادت المجدَ ساعه
فيه من هِمَّة الشبابِ ، ولكن ليس فيه جِماحُه واندفاعه

* * *

سيِّدُ المنشئين حَثَّ المطايا ومضى فى غُباره أتباعه
حطَّهم (بالإمامِ) للموت رَكبٌ يَتلاقى بِطاؤُه وسِراعه
قَنَّعوا بالتراب وجهًا كريمًا كان من رُقعةِ الحياءِ قِناعه
كسَنا الفجرِ فى ظلال الغوادى كرمٌ صفحتاه ، هُدًى شُعاعه

١ـ النزاع للميت : ساعات احتضاره . يقول انه مع زهده فى الحياة فقد طال زمن احتضاره ، ولا يكون هذا الا من قوة الحيوية التى تستطيع مغالبة الموت ـ٢ـ فى الثمانين : يقصد ثمانين عاما .

يا وحيدا كأمسِ فى كِسْرِ بيتٍ ... ضيقٍ بالنَّزيلِ ، رحبٍ ذِراعه (١)
كلُّ بيتٍ تَحلُّه يستوى عنـــدك فى الزُّهدِ ضِيقُهُ واتِّساعه
نمْ مَلِيًّا ؛ فلست أوّلَ لدٍ ... بفَلاةِ (الإمامِ) طال اضطجاعه (٢)
حولَكَ الصالحون ، طابوا وطابَتْ ... أَكَماتُ (الإمامِ) منهم وقاعه (٣)
قلَّدوا الشرقَ من جمالٍ وخيرٍ ... ما يَئُودُ المُفنِّدين انتزاعه (٤)
أُسِّسَتْ نهضةُ البناءِ بقومٍ ... وبقومٍ سما وطالَ ارتفاعه
كلُّ حَيٍّ – وإن تراختْ منايا ... هُ – قضاءٌ عن الحياة انقطاعه
والذى تحرص النفوسُ عليه ... عالمٌ باطلٌ قليلٌ مَتاعه

---

١ – كسر البيت – بكسر الكاف وفتحها : جانبه –٢– فلاة الامام : صحراء الامام الشافعى ، حيث مدفن الفقيد –٣– اكمات : جمع اكمة : المرتفع من الارض . والقاع : المنخفض منها –٤– يئود : بمعنى يثقل ويتعب : والمفندين : المكذبين .

اسماعيل باشا صبرى (*)

أَجَلٌ وإن طال الزمانُ مُوافى — أَخْلى يدَيْكَ من الخليلِ الوافِى
داعٍ إلى حقٍّ أهابَ بخاشعٍ — لبس النذيرَ على هُدًى وعفاف(١)
ذهب الشبابُ، فلم يكن رُزْئى به — دونَ المصابِ بصَفوة الألّاف
جَلَلٌ من الأَرزاء فى أمثاله — هِمَمُ العزاء قليلةُ الإسعاف
خَفَّتْ له العَبراتُ، وهى أَبِيَّةٌ — فى حادثاتِ الدهر، غيرُ خِفاف
ولكلِّ ما أتلفْتَ من مُستكرَمٍ — إلا مودّاتِ الرجالِ تَلاف(٢)
ما أنتِ يا دُنيا؟ أرؤيا نائمٍ — أم ليلُ عُرْسٍ، أم بِساط سُلاف؟
نَعماؤكِ الرَّيْحانُ، إلا أنه — مَسَّتْ حَواشِيه نَقيعَ زُعاف(٣)
مازِلْتُ أصحَبُ فيكِ خُلْقاً ثابتًا — حتى ظفِرْتُ بخُلْقِكِ المتنافى

* * *

ذهب الذَّبيحُ السمحُ مثل سَمِيِّه — طُهْرَ المُكَفَّنِ، طيِّبَ الألفاف(٤)
كم بات يذبحُ صدرَه لشكاته — أتُراه يحسبها من الأَضياف؟(٥)

(*) اسماعيل باشا صبرى: أحد الشعراء السابقين الفحول؛ وكان يلقب بشيخ الشعراء، وكان أحد رجال الدولة فى عصره، فقد تسنم أعلى المناصب القضائية، وترقى الى منصب وكيل وزارة الحقانية، ثم وافاه الموت سنة ١٩٢٣.

١ــ النذير: الموت ــ٢ــ المستكرم: هو كل كريم عليك من مال ونحوه ٣ــ نقيع زعاف: اى سم ناجع بالغ ــ٤ــ يشبه الفقيد بالذبيح، والذبيح قيل: سيدنا اسحاق، والمراد هنا سيدنا اسماعيل، ومن أجل ذلك صار الفقيد سميا له. والألفاف: يقصد بها الكفن، يريد انه ذهب طيب المظهر والمخبر ــ٥ــ الشكاة: هى العلة التى يشكوها المريض.

نَزَلتْ على سَحْرِ السَّماح ونَحْرِه وتقلَّبَتْ فى أكرمِ الأكناف(١)
لَجَّتْ على الصَّدر الرحيبِ وبرَّحَتْ
بالكاظم الغيْظِ ، الصَّفوحِ ، العافى
ما كان أقسَى قلبَها من عِلَّةٍ عَلِقتْ بأرحم حَبَّةٍ وشَغاف(٢)
قلبٌ لو انتظم القلوبَ حَنانهُ لم يبْق قاسٍ فى الجوانح جافى
حتى رماه بالمنيَّة فانجلتْ مَنْ يَبتلى بقضائه ويُعافى
أخنَتْ على الفلَكِ المُدارِ فلم يَدُرْ وعلى العُباب فقرَّ فى الرجّاف(٣)
ومَضتْ بنارِ العبقريّةِ ، لم تَدَعْ غيرَ الرَّمادِ ، ودارساتِ أثافى(٤)
حَملوا على الأكتاف نورَ جلالةٍ يذرَ العيونَ حواسدَ الأكتاف
وتَقلَّدوا النعشَ الكريمَ يتيمةً ولكَمْ نعوشٍ فى الرقاب زياف
مُتمايلَ الأعواد مما مَسَّ من كَرَمٍ ، ومما ضَمَّ من أعطاف
وإذا جلالُ الموتِ وافٍ سابغٌ وإذا جلالُ العبقريّةِ ضافى
ويْحَ الشبابِ وقد تَخطَّر بينهم هل مُتِّعوا بتمسُّحٍ وطَواف ؟
لوعاش قدوتُهم ورَبُّ «لِوائهم» نَكَسَ «اللواءَ» لثابتٍ وقّاف(٥)
فلكَمْ سقاه الودَّ حينَ وِدادُه حربٌ لأهل الحكمِ والإشراف
لا يومَ للأقوامِ حتى ينهضوا بقوادمٍ من أمسِهم وخوافى(٦)

* * *

١ــ السحر : الرئة . والنحر : أعلى الصدر . والاكناف : جمع كنف ، وهو الجانب ــ٢ــ يريد بقوله «ارحم حبة» : القلب . والشغاف (بالفتح) : غلاف القلب ــ٣ــ العباب : هو الموج . والرجاف : البحر ــ٤ــ الأثافى : جمع اثفية ، وهى ما يوضع عليه القدر ــ٥ــ رب لوائهم : يقصد به صاحب جريدة اللواء ، ومنشئها زعيم الشباب الأول المرحوم مصطفى كامل باشا ــ٦ــ القوادم والخوافى : ريش فى جناح الطائر . وقد ورد فى قول بعضهم :

* فان الخوافى قوة للقوادم *

لا يُعْجِبنَّكَ ما ترى من قُبَّةٍ ضربوا على موتاهُم ، وطِراف(١)
هجموا على الحقِّ المبينِ بباطلٍ وعلى سبيل القصدِ بالإسراف(٢)
يبنون دارَ اللهِ كيف بدا لهم غُرُفاتِ مُثْرٍ ، أو سقيفةَ عافى(٣)
ويُزوِّرون قبورَهم كقصورهم والأرضُ تضحك والرُّفاتُ السافى

* * *

فُجِعَتْ رُبى الوادى بواحد أيكِها وتجرَّعَت ثُكْلَ الغدير الصافى
فقدتْ بناناً كالربيع ، مُجيدةً وشْيَ الرياضِ وصنعَةَ الأفواف(٤)
إن فاته نسَبُ «الرَّضِيِّ» فربَّما جَريا لغاية سُؤْدَدٍ وطِراف(٥)
أوكان دون أبى «الرضيِّ» أبوَّةً فلقد أعادَ بيانَ «عبدِ مَنافِ»
شرفُ العصاميِّين صُنْعُ نفوسِهم مَن ذا يقيس بهم بنى الأشراف؟
قل للمشير إلى أبيهِ وجَدهِ أعَلِمْتَ للقمرَيْنِ من أسلاف؟
لوأن (عمراناً) نِجارُك لم تَسُدْ حتى يُشارَ إليك فى الأعراف(٦)

* * *

١ـ طراف ـ على وزن كتاب : بيت من أدم ، ويقصد بها المقاصير الموضوعة على بعض القبور ـ٢ـ القصد : الاعتدال ، وهو فى كل شيء ضد الاسراف ـ٣ـ العاق: الفقير ـ٤ـ الأفواف : الثياب الرقيقة ـ٥ـ الطراف: هنا من قولهم : توارثوا المجد طرفا ، اى عن شرف ورفعة . والرضى : هو الشريف الرضى الشاعر المشهور ـ٦ـ عمران : ابو موسى عليه السلام ، وقد نزلت فى القرآن المجيد سورة باسم آل عمران ، كما نزلت سورة باسم الأعراف .

قاضى القضاة جَرَتْ عليه قضيّةٌ ، للموتِ ، ليس لها من استئناف
ومُصَرِّفُ الأحكامِ مَوكولٌ إلى حُكمِ المنيَّة ، ماله من كافِ
ومُنادِمُ الأملاكِ تحت قِبابهم أمسَى تُنادِمُه ذِئابُ فَيافِى(١)
فى منزلٍ دارت على الصِّيدِ العُلا فيه الرَّحَى ومشتْ على الأرداف(٢)
وأُزِيلَ من حُسن الوُجوهِ وعِزِّها ما كان يُعبد من وراءِ سِجاف(٣)
من كلِّ لمَّاحِ النعيم تَقلَّبتْ دِيباجَتاهُ على بِلًى وجَفاف
وترى الجماجِمَ فى الترابِ تماثَلتْ بعدَ العقولِ تماثُلَ الأصداف
وترى العيونَ القاتِلاتِ بنظرةٍ مَنهوبَةَ الأجفانِ والأسياف(٤)
وتُراعُ من ضَحِكِ الثُّغورِ ، وطالما فتنَتْ بحُلْو تبسُّمٍ وهُتاف
غَزَت القرونَ الذاهبين غزالةٌ دمُهم بذِمّة قَرْنِها الرُّعاف(٥)
يَجرى القضاءُ بها ، ويجرى الدهرُ عن
يَدِها ، فيا لثلاثةٍ أحلاف !
ترْمى البريَّةَ بالحُبولِ ، وتارةً بحبائلٍ من خَيْطِها وكفاف(٦)
نَسجتْ ثلاثَ عَمائِمٍ ، واستحدَثتْ أكفانَ موتى من ثيابِ زِفاف(٧)

* * *

١ــ الاملاك : الملوك . والفيافى : الصحارى ــ٢ــ الصيد العلا : الملوك . والارداف : ابناء الملوك ، او الذين يلونهم فى المرتبة ــ٣ــ السجاف : الستر ، كالكلل ونحوها ــ٤ــ يريد « بأسياف العيون » : اللحاظ ، وكثيرا ما تعمل اللحاظ فى الناس عمل السيوف ، وعبر بالاسياف ليجانس بينها وبين الأجفان ــ٥ــ غزالة : هى الشمس . والرعاف : اى قرنها الاحمر الذى يشبه الدم ــ٦ــ الكفاف : حبائل الصائد ــ٧ــ ثلاث عمائم : الشعر الاسود ، والاسود فيه شيب . والابيض ، اى أدوار العمر الثلاثة .

« أأبا الحُسين » ، تحيةً لثراك من ... رَوحٍ وريحانٍ وعَذْبِ نطاف
وسَلامُ أهلٍ وَلِّه وصَحابةٍ ... حَسرَى على تلك الخِلالِ لِهاف
هل فى يَدَىَّ سوى قريضٍ خالدٍ ... أزجيهِ بين يَدَيْكَ للإتحاف؟
ما كان أكرَمَه عليك! فهل ترى ... أنى بَعثتُ بأكرمِ الألطاف؟
هذا هو الرَّيحانُ ، إلا أنه ... نَفحاتُ تلك الروْضةِ المِئْناف(١)
والدرُّ ، إلا أن مَهْدَ يتيمِه ... بالأمسِ لُجَّةُ بحرِك القذّاف
أيامَ أمرَحُ فى غُبارِكَ ناشئًا ... نَهْجَ المِهار على غُبار « خِصاف »(٢)
أتعلَّمُ الغاياتِ كيف تُرامُ فى ... مِضمارِ فضلٍ أو مَجالِ قوافى

* * *

يا راكبَ الحدباء ، خلِّ زِمامَها ... ليس السبيلُ على الدليل بِخافى
دانَ المطىَّ الناسُ ، غيرَ مطيَّةٍ ... للحقِّ ، لا عَجْلَى ، ولا مِيجاف(٣)
لا فى الجيادِ ، ولا النِّياقِ ، وإنما ... خُلِقَتْ بغير حوافرٍ وخِفاف
تَنتاب بالركبانِ منزلةَ الهدى ... وتَؤُمُّ دار الحقِّ والإنصاف
قد بَلَّغَتْ ربَّ المدائنِ ، وانتهتْ ... حيثُ انتهيْتَ بصاحبِ الأحقاف(٤)

* * *

نَمْ مِلءَ جَفنِك ، فالغُدُوُّ غوافلٌ ... عمَّا يَروعُك ، والعَشِيُّ غوافى
فى مَضجعٍ يكفيك من حسناتِه ... أن ليس جَنْبُك عنه بالمتجافى

---

١ — الروضة المئناف والانف : هى التى تحمى فلا يكاد احد يمر بها او يجتنى منها —٢— المهار : جمع مهر ، وخصاف : فرس مشهور فى العرب . ٣— الميجاف : السريعة —٤— رب المدائن : كسرى . وصاحب الاحقاف : عاد .

واضحك مِن الأقدارِ غير معجَّزٍ　　فاليوم لست لها من الأهداف
والموتُ كنتَ تخافه بك ظافرًا　　حتى ظَفِرْت به ، فدَعْه كَفاف
قُلْ لى بسابقةِ الوِدادِ : أقاتِلٌ　　هو حين يَنزِلُ بالفتى ، أم شافى؟
فى الأرضِ من أبوَيْكَ كنزا رحمةٍ　　وهوًى ، وذلك من جِوارٍ كافى
وبها شبابُك واللَّذاتُ ، بكيته　　وبكيتهم بالمدْمَع الذَّرّاف
فاذهب كمصباحِ السماء ، كلاكما　　مال النهار به ، وليس بطافى
الشمسُ تُخْلَفُ بالنجومِ ، وأنت بالـ　　آثار ، والأخبار ، والأوصاف
غلب الحياةَ فتًى يسدُّ مكانَها　　بالذكرِ ، فهو لها بَدِيلٌ وافى

فوزى الغزى (*)

جرحٌ على جرحٍ ، حَنانَكِ (جِلّقُ) حُمِّلْتِ ما يُوهِي الجبالَ ويُزْهِقُ(١)
صبرًا لباة الشرقِ ؛ كلُّ مصيبةٍ تبْلَى على الصبر الجميلِ وتخلق(٢)
أنسيتِ نار الباطشين ، وهزّةً عَرَتِ الزمانَ ، كأن (روما) تُحرَقُ(٣)
رعناءَ أرسلها ودسّ شُواظَها فى حجرةِ التاريخ أرْعَنُ أحمق(٤)
فمشتْ تُحطِّم باليمين ذخيرةً وتَلُصّ أخرى بالشمال وتَسْرِق ؟
جُنَّتْ ، فضعضعها ، وراضَ جِمَاحَها من نَشْئِكِ الحُمْسِ ، الجنونُ المُطْبِق
لقِيَ الحديدُ حَمِيَّةً أمَوِيَّة لا تكتسى صَدَأً ، ولا هى تُطْرق
ياواضعَ الدّستورِ أمسِ كخُلْقِه ما فيه من عِوَجٍ ، ولا هُو ضيِّق
نظمٌ من الشورى ، وحكمٌ راشدٌ أدبُ الحضارةِ فيهما والمنطِق
لا تَخْشَ مما ألحقوا بكتابه يَبقَى الكتابُ وليس يبقَى المُلْحق
مَيْتَ الجلالِ ، من القوافى زَفْرةٌ تجرى ، ومنها عَبْرَةٌ تترقرق
ولقد بَعثتُهما إليكَ قصيدةً أفأنتَ مُنتظِرٌ كعهدكَ شَيِّق ؟
أبكى ليالِينَا القِصار وصحبةً أخذَتْ مُخِيلتُها تجيش وتَبْرُق(٥)

(*) فوزى الغزى : هو احد سراة الزعماء فى الشام ، واحد الوية الثورة العربية فى نهضتها العظمى ، توفى واقيمت له حفلة تأبين فى دمشق ، والقيت فيها هذه القصيدة العصماء فى سنة ١٩٢٠ .

١ــ جلق (بشدة اللام مفتوحة او مكسورة) : دمشق ــ٢ــ اللباة : انثى الاسد ــ٣ــ يشير الى ضرب الفرنسيين لها بالمدافع . وحادثة حرق روما : هى احدى الحوادث التاريخية الكبرى ، وهى مضرب المثل منذ صار نيرون مثلا للظلم والجبروت ــ٤ــ الشواظ (بضم الشين وكسرها) : لهب لا دخان فيه ــ٥ــ السحابة المخيلة : التى تحسب ماطرة : اى ان صحبة الفقيد كانت مرجوة الخير كما تكون السحابة المخيلة مرجوة المطر .

لا أذكرُ الدنيا إليك ، فربّما كرِه الحديثَ عن الأجاجِ المُغرَق(١)
طُبعتْ من السّمّ الحياةُ ، طعامُها وشرابُها ، وهواؤها المتنشّق
والناسُ بين بَطيئِها وذُعافِها لا يعلمون بأيِّ سمَّيْها سُقُوا(٢)
أما الوَليُّ فقد سقاكَ بسمِّه ما ليس يَسقيكَ العدوُّ الأزرق(٣)
طلبوك والأجلُ الوَشيكُ يَحُثُّهم ولكلِّ نفسٍ مُدَّةٌ لا تُسبَق
لما أعان الموتُ كَيْدَ حِبالهم عَلِقَتْ ، وأسبابُ المنيةِ تَعلَق
طَرَقَتْ مِهادَك حَيَّةٌ بَشَرِيةٌ كفرتْ بما تنتابُ منه وتطرُق(٤)

* * *

يا (فوز) ، تلك دمشقُ خلفَ سَوادِها ترمى مكانكَ بالعيون وتَرْمُق(٥)
ذَكَرَتْ ليالِيَ بدرِها ، فتلفَّتَتْ فعساك تَطلُع ، أو لعلَّك تُشْرِق
(بردَى) وراءَ ضِفافِهِ مُستعبِرٌ والحورُ مَحلولُ الضفائر مُطْرِق(٦)
والطيرُ فى جَنَباتِ (دُمَّرَ) نُوَّحٌ يَجِدُ الهمومَ خَلِيُّهن ويأْرَق(٧)
ويقول كلُّ مُحدِّثٍ لسميره أبذاتِ طَوْقٍ بعدَ ذلك يُوثَق؟(٨)

* * *

---

١ — الأجاج : الملح المر — ٢ — الذعاف . سم الساعة — ٣ — العدو الازرق : هو الكثير العداوة — ٤ — المهاد : الفراش ، وفى هذا البيت اشارة الى حادثة قتل الفقيد بواسطة زوجته — ٥ — سواد دمشق : اى القرى التابعة لها.
٦ — بردى : نهر بالشام . والمستعبر : بمعنى الباكى . والحور : شجر . وضفائر الحور : غصونه التى تشبه جدائل الشعر — ٧ — دمر (بضم الدال وتشديد الميم المفتوحة) : عقبة فى دمشق . والخلى : الخالى من الهموم ؛ وهو ضد الشجى — ٨ — ذات الطوق : الحمامة ، وهى فى هذا البيت كناية عن المراة .

عَشِقَتْ تَهاويلَ الجمالِ ، ولم تَجِدْ في العبقريَّة ما يُحَبُّ ويُعْشق(١)
فمشَتْ كأَنَّ بنانَها يَدُ مُدْمِنٍ وكأَن ظلَّ السمِّ فيها زِئْبَق
ولو أنّ مقدورًا يُرَدُّ لردَّها بحياته الوطنُ المَرُوعُ المُشْفِق
أشقَى القضاءُ الأَرض ، بعدَك أُسرة لولا القضاءُ من السماء لما شَقوا
قَسَتِ القلوبُ عليهمُ وتحجَّرَتْ فانظر فؤادَك ، هل يلينُ ويَرفُق؟
إنّ الذين نزلْتَ فى أكنافهم صَفحوا ، فما منهم مَغِيظٌ مُحْنَق
سَخِروا من الدنيا كما سَخِرَتْ بهم وانبَتَّ من أسبابها المُتَعَلَّق(٢)
يا مأْتماً من (عبدِ شمسٍ) مثلُه للشمس يُصْنعُ فى الممات ويُنْسَق
إن ضاق ظهرُ الأَرضِ عنك فبطنُها عمّا وراءكَ من رُفاتٍ أَضْيق(٣)
لما جَمَعْتَ الشامَ من أَطرافِه وافَى يُعزِّى الشامَ فيك المشرق
يبكى لواءٌ من شبابِ أُميّةٍ يَحمى حِمَى الحق المبينِ ويَخفق
لمستْ نواصِيها الحصونُ تَرومُه وتلَمَّستْهُ فلم تجدْه الفيْلَق(٤)
وكنُ الزعامةِ حين تطلب رأيَه فيَرَى ، وتسْأَلُه الخطابَ فينْطِق
ويكاد من سحرِ البلاغةِ تحتَه عودُ المنابرِ يُستخَف فيُورِق(٥)
(فيحاءُ) ، أَين على جِنانِك وردةٌ كانت بها الدنيا ترِفُّ وتعْبَق؟(٦)

---

١ — التهاويل : الالوان المختلفة .
٢ — أنبت ، اى قطع .
٣ — الرفات : بقايا الميت .
٤ — نواصي الحصون : اعاليها .
٥ — يستخف ، بمعنى يسر ويطرب .
٦ — فيحاء : دمشق .

علويّة تجد المسامع طيبها وتُحِسُّ ريّاها العقولُ وتَنشَق
وأرائِكُ الزّهرِ الغصونُ ، وعرشُها يَدُ أمةٍ وجبينُها والمفْرق
مَنْ مُبْلِغٌ عنّى شُبولة جِلّقٍ قولاً يَبرُّ على الزمان ويصْدُق؟
باللهِ جلَّ جلالُه ، بمحمدٍ بيسوعَ ، بالغزِّىّ لا تتفرّقوا
قد تُفْسِدُ المرْعَى على أخواتها شاةٌ تنِدُّ من القطيع وتَمْرُق

كريمة البارودى(*)

أَحيثُ تَلوحُ المُنى تأفلُ ؟ ... كفى عِظةً أيها المنزلُ !(١)
حكيْتَ الحياة وحالاتِها ... فهلّا تخطّيْتَ ما تنقل ؟
أَمِن جنْحِ ليلٍ إلى فجرِه ... حِمًى يَزْدَهِى ، وحِمًى يَعْطل؟(٢)
وذلك يوحِش من ربةٍ ... وذلك من رَبَّةٍ يُؤْهَل ؟(٣)
أجاب النَّعِيُّ لديْكَ البشيرَ ... وذاقَ بكأْسَيْهما المحفِل
وأطرَق بينهما والدٌ ... أخو ترْحَةٍ ، ليلُه أَلْيَل(٤)
يَفِيءُ إلى العقل فى أمره ... ولٰكِنَّهُ القلبُ ، لا يعقِل
تهاوت عن الوردِ أغصانُه ... وطارَ عن البيْضة البُلْبُل(٥)
وراحت حياةٌ ، وجاءت حياةٌ ... وأظهرَ قدرتَه المُبْدِل
وما غيرُ مَنْ قد أتى مُدْبِرٌ ... ولا غيرُ مَنْ قد مضى مُقبِل
كأنى (بسامى) هلوعُ الفؤادِ ... إذا أسمعَتْ همْسةٌ يَعجَل
يَرى قدرًا يأمُلُ اللُّطفَ فيه ... وعادِى الرَّدَى دون ما يَأْمُل
يُضِيءُ لضِيفانه بِشْرُه ... وبين الضلوعِ الغَضَى المُشْعَل(٦)

(*) وجه هذه القصيدة يعزى بها المرحوم محمود سامى باشا البارودى فى كريمته التى توفيت أثناء زفاف شقيقتها .

١ــ تلوح المنى : بمعنى تشرق ، وتأفل : بمعنى تغرب ــ٢ــ جنح الليل (بضم الجيم وكسرها) : طائفة منه . ويعطل : بمعنى يخلو . والاصل فى العطل : التجرد من الحلي ــ٣ــ الربة هنا : يقصد بها صاحبة البيت ، ويأهل: يمتلىء او يعمر ــ٤ــ الترحة : الحزن . الأليل : الشديد السواد . ٥ــ تهاوت : اى تساقطت او تخلت ــ٦ــ الغضى : شجر اذا اشتعل بقى جمره طويلا .

ويَقْرِيهُمُ الأُنسَ فى منزلٍ ويَجمعُه والأَسى مَنزِل
فمن غادةٍ فى مَجالِى الزِّفافِ إلى غادةٍ داؤها مُعْضِل
وذى فى نفاستِهَا تَنطوى وذى فى نفائسها تَرفُل(١)
تَقسَّمَ بينهما قلبُه وخانته عيناه والأَرْجُل
فيانكدَ الحُرِّ، هل تنقضى ؟ ويا فرح الحرِّ، هل تَكْمُل ؟
وياصبر (سامى)، بلغتَ المَدى ويا قلبه السهلَ، كم تَحْمِل ؟
لقد زدْتَ من رِقَّةٍ كالصراط ودون صَلابتِكَ الجَنْدَل
يَمرّ عليك خليطٌ. الخُطوب ويجتازك الخِفُّ والمُثقِل(٢)
ويارجل الحِلْمِ، خُذ بالرضى فذلك من مُتَّقٍ أَجْمَل
أتحسَب شهدا إناءَ الزّمانِ وطينتُه الصابُ والحَنْظَل ؟
وما كان مِن مُرِّهِ يَعتلى وما كان مِن حُلوِهِ يسْفل
وأنت الذى شربَ المترَعاتِ فأَىُّ البواقى به تَحفِل ؟
أَفى ذا الجلالِ، وفى ذا الوقارِ تُخِيفُك ضَراءُ أَو تُذهِل ؟
أَلم تكن الملْكَ فى عزِّه وباعُك من باعه أَطْوَل ؟
وقولُك من فوق قولِ الرِّجالِ وفعلُك من فعلهم أَنْبَل ؟(٣)
ستعرفُ دنياك من ساومتْ وأن وقارَك لا يُبْذَل
كأَنك (شمشونُ) هٰذى الحياةِ وكلُّ حوادِثِها هَيْكَل(٤)

١— النفاسة من قولهم : هـذا شىء نفيس ، اى ثمين يرغب فيه . والنفائس : الحلى وما اشبهها —٢— الخف : الخفيف . والمثقل : الثقيل . ٣— يشير الى زمن الثورة العرابية ، وموقف البارودى منها —٤— شمشون : احد انبياء التوراة ، وله قصة هناك تدل على انه اعطى بسطة عظيمة فى القوة .

فتحي ونوري(*)

أنظر إلى الأقمار كيف تزولُ ... وإلى وُجوهِ السَّعْدِ كيف تَحول
وإلى الجبالِ الشُّمِّ كيف يُميلُها ... عادى الرّدى بإشارةٍ فتميل
وإلى الرِّياح تَخِرُّ دون قَرارِها ... صرْعَى عليهن التُّرابُ مَهيل
وإلى النُّسورِ تقاصرت أعمارُها ... والعهدُ فى عُمر النُّسورِ يَطول
فى كلِّ منزلةٍ وكل سمِيَّة ... قمرٌ من الغُرِّ السُّماةِ قتيل
يهوِى القضاءُ بها ، فما من عاصِمٍ ... هيهات ! ليس من القضاء مُقيل
(فتحُ السماءِ)و (نورُها) سكنا الثرى ... فالأرضُ وَلْهى ، والسماءُ ثكول
سِرْ فى الهواءِ ، ولُذ بناصيةِ السُّها ... الموتُ لا يخفَى عليه سبيل(١)
واركبْ جَناحَ النسرلا يَعْصِمْك من ... نسرٍ يُرفرفُ فيه عزرائيل
ولكلّ نفسٍ ساعةٌ ، مَنْ لم يَمُتْ ... فيها عزيزًا مات وهْوَ ذليل
أإلى الحياةِ سَكنْتَ وهْى مَصارعٌ ... وإلى الأمانى يَسكنُ المسلول ؟
لا تَحفِلنّ ببؤسِها ونعيمِها ... نُعْمى الحياةِ وبؤسُها تضليل
ما بين نَضرتِها وبين ذُبولِها ... عمرُ الورودِ ، وإنه لقليل
هذا بَشيرُ الأمسِ أصبح ناعيًا ... كالحلم جاءَ بضدِّه التأويل
يجرى من العبَراتِ حولَ حديثِه ... ما كان من فرَحٍ عليه يَسيل

(*) فتحى ونورى : هما الطياران العثمانيان اللذان قدما الى مصر فى سنة ١٩١٣ يقودان طيارتهما ، فسقطت بهما ؛ فماتا ، فكان لمصابهما فى مصر اسف شديد ، وكانت الخلافة الاسلامية وقتئذ ماتزال تربط المصريين بالعثمانيين .

١ - السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .

ولرُبَّ أعراسٍ خَبَأْن مآتماً | كالرُّقْط في ظلِّ الرياضِ تقيل(١)
يا أيُّها الشهداءُ ، لن يُنْسَى لكم | فتحٌ أغرُّ على السماء جميل
والمجدُ في الدنيا لأوّلِ مُبْتنٍ | ولمِن يُشيِّد بعده فيُطيل
لولا نفوسٌ زُلْنَ في سُبُل العُلا | لم يَهْدِ فيها السالكين دَليل
والناسُ باذلُ روحِه ، أو مالِهِ | أو علمِه . والآخرون فُضول
والنَّصْرُ غرّتُه الطلائعُ في الوغَى | والتابعون من الخميس حُجول(٢)
كم ألف مِيلٍ نحو مصرَ قطعتمُ | فِيمَ الوقوفُ ودون مصر مِيل ؟
(طوروسُ) تحتكم ضئيلٌ، طرْفُه | لمّا طلَعتم في السحاب كَليل
تُرخون للريح العِنان ، وإنها | لكمُ على طُغيانها لَذَلول
اِثنين إِثر اثنين ، لم يخطر لكم | أنّ المنيّة ثالثٌ وزَميل
ومن العجائب في زمانِك أن يَفِي | لك في الحياةِ وفي الممات خليل
لو كان يُفدَى هالكٌ لفَداكمُ | في الجوِّ نسرٌ بالحياة بَخيل
أيُّ الغُزاةِ أُولي الشهادةِ قبلكم | عرْضُ السماءِ ضريحُهم والطُّول ؟(٣)
يَغْدو عليكم بالتحيَّةِ أهلُها | ويرفرِفُ التسبيح والتهليل

١ـ يريد أن الاحزان تختبىء في الارواح ، كما تكمن الحيات الرقط وقت القيلولة في ظلال الرياض ، فوجود الحيات في ذلك الجو تسميم له ومانع من الانتفاع به ، كما أن انطواء الأحزان في ثنايا الأفراح مسمم لجوها ، مانع من الاستمتاع بكل سرورها ـ٢ـ الخميس : الجيش . والحجول : أصلها من اللون الابيض يكون في قوائم الفرس كأنه العلامات . يقول : ان الذين يقدمون في أوائل الجيوش ، يكونون في جسم النصر أشبه بالغرة ، وهي لا تكون الا في الوجه ، على حين أن غيرهم من سائر الجيش يكون أشبه بالحجول ، وهي لا تكون الا في الايدي والارجل ، وطبيعي أن الوجه أشرف ، وان كانت الحجول بعض سمات الجمال ـ٣ـ في هذا البيت ترغيب عظيم يساق للطيارين ، اذ يقول لهم : ان الغزاة ـ وهم موضع الاجلال والاكبار ـ تشق قبورهم في الارض ، ولكن اضرحتكم تخط في السماء .

(إدريسُ) فوقَ يمينهِ ريْحَانةٌ ويَسوعُ فوق يمينِه إكليل(١)
فى عالمٍ سُكّانُه أنفاسُهم طِيب ، وهَمْسُ حديثِهم إنجيل(٢)
إنى أخاف على السماء من الأذى فى يوم يُفْسِد فى السماءِ الجيل(٣)
كانت مطهَّرة الأديمِ ، نَقيَّةً لا آدمٌ فيها ، ولا قابيل(٤)
يَتوجَّه العانى إلى رحماتِها ويرَى بها برقَ الرجاءِ عليل
ويُشيرُ بالرأس المُكَلَّلِ نحوَها شيخٌ ، وباللحظِ البرىءِ بَتول(٥)
واليومَ للشهواتِ فيها والهوى سَيْلٌ ، وللدَّمِ والدموعِ مسيل
أضحتْ ومن سُفنِ الجواءِ طوائفٌ فيها ، ومن خيلِ الهواءِ رَعيل(٦)
وأزيل هيكَلُها المصونُ وسِرُّه والدهرُ للسر المصونِ مُذيل(٧)

* * *

هلِعَت (دِمشْقُ) ، وأقبلَتْ فى أهلِها ملهوفةً ، لم تدر كيف تقول
مَشَت الشُّجونُ بها ، وعمَّ غِياطَها بينَ الجداولِ والعيونِ ذُبول(٨)
فى كلِّ سهلٍ آنةٌ وَمناحةٌ وبكلِّ حَزْنٍ رنَّةٌ وعويل

---

١ — يسوع : هو عيسى ابن مريم . وادريس : هو احد الانبياء الرسل . وقد خص ادريس بالذكر ، لما جاء فى قصة الاسراء ، من ان النبى صلوات الله عليه رآه قائما على باب احدى السموات السبع ، فسأل جبريل : من هذا ؟ فقال : اخوك ادريس —٢— قوله : « وهمس حديثهم انجيل » : يقصد ان احاديثهم طهر وتقديس —٣— يريد أنه خائف على جو السماء يوم يتخذه الطيارون ميدانا الحروب ، فيلوثون ذلك الطهر بأذى قتل الناس وتخريب أوطانهم —٤— يريد «بقابيل» الاشارة الى اول دم اراقه الانسان ظلما لأخيه الانسان —٥— الراس المكلل : الذى يتوجه الشيب ، وهذه كناية عن حالة الضعف —٦— خيل الهواء : الطيارات . والرعيل : القطعة من الخيل قدر العشرين أو الخمسة والعشرين —٧— مذيل : مهين . اى ان الدهر لم يحسن حفظ هذا السر المصون فكأنه اهانة —٨— الغياط : جمع غوطة ، وهى الموضع الكثير الماء والشجر . ويقصد « بالعيون » عيون الماء .

وكأنما نُعِيَتْ أُميَّةُ كلُّها ... للمسجد الأُمَوِىِّ ، فهْوَ طُلول(١)
خضَعَتْ لكم فيه الصفوفُ ، وأُزْلِفَتْ ... لكمُ الصَّلاةُ ، وقُرِّبَ الترتيل
من كلِّ نَعْشٍ كالثُّريّا ، مَجْدُه ... فى الأَرضِ عالٍ ، والسماء أصيل
فيه شهيدٌ بالكتاب مُكفنٌ ... بمدامع الروحِ الأَمين غَسيل
أعواده بين الرجالِ ، وأَصلُه ... بين(السُّهى)و(المُشتَرِى)مَحمول(٢)
يَمشى الجنودُ به ، ولولا أَنهم ... أَوْلَى بذاكَ مَشى به جبريل
حتى نزلتم بُقعةً فيها الهوى ... من قبلُ ثاوٍ ، والسماحُ نَزيل
عَظُمَتْ ،وجلَّ ضَريحُ (يوسفَ)فوقَها ... حتى كأَنَّ الميْت فيه رسول(٣)

* * *

شِعرى ، إذا جُبْتَ البحار ثلاثةً ... وحواكَ ظلٌّ فى (فروقَ) ظَليل(٤)
وتداولَتْكَ عصابةٌ عربيّةٌ ... بينَ المآذنِ والقِلاعِ نُزول
وبَلَغْتَ من بابِ الخِلافةِ سُدَّةً ... لِسُتورِها التمسيحُ والتقبيل
قلْ للإمام محمدٍ ، ولآلِهِ ... صبرُ العظامِ على العظائِم جميل
تلك الخطوبُ — وقد حملتم شطرَها — ... ناءَ الفراتُ بشطرها والنيل
إن تَفقِدوا الآسادَ أَو أَشبالَها ... فالغابُ من أَمثالها مَأْهول
صبرًا ؛ فأَجرُ المسلمين وأَجرُكم ... عند الإِله ، وإنه لجزيل
يا مَنْ خلافتُه الرَّضِيَّةُ عِصْمَةٌ ... للحقِّ ، أَنت بأَن يُحقّ كفيل
واللهُ يعلم أَنّ فى خلفائه ... عدلاً يُقيم الملكَ حين يَميل
والعدلُ يَرفع للممالك حائطًا ... لا الجيشُ يرفعه ولا الأُسطول

١ــ طلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار البناء ــ٢ــ المشترى : من الكواكب السيارة ــ٣ــ يقصد « بيوسف » صلاح الدين الايوبى . ٤ــ جبت : قطعت . وفروق : الآستانة ، وكانت عاصمة الخلافة الاسلامية وقتئذ .

هذا مقامٌ أنت فيه محمدٌ　　　والرفقُ عند محمدٍ مأمول(١)

بالله ، بالإسلام ، بالجرحِ الذى　　　ما انفكَّ فى جنب الهلال يَسيل

إلا حللتَ عن السجين وَثَاقَه　　　إنَّ الوثاقَ على الأسودِ ثَقيل(٢)

أيقول واشٍ ، أو يُرَدِّدُ شامتٌ　　　صِنديدُ (برقة) مُوثَقٌ مَكبول؟(٣)

هو من سيوفِك أغمدُوه لريبةٍ　　　ما كان يُغمَدُ سيفُك المسلول

فاذكر أميرَ المؤمنين بَلاءه　　　واستبقه ، إن السيوفَ قليل

١ــ كان يخاطب الخليفة محمد رشاد ــ٢ــ السجين : هو عــزيز بك المصرى القائد الحربى العظيم ، وكان يجــاهد فى طرابلس أيام اغــار عليهــا الطليان ، وقد وشى به للحكومة التركية ، فاعتقلته وزجت به فى السجن ، ولم يخرج الا بتحقيق وشفاعة مصرية ، كانت هذه القصيدة من بعض ظواهرهــا ومن اجمل مظاهرها ــ٣ــ برقة : احد الاقاليم الليبية حدثت به أهم الوقائع الحربية فى تلك الاغارة ، وفيها لمع مجد عزيز بك .

على باشا أبو الفتوح(*)

ما بينَ دمعِى المُسْبَلِ عهدٌ وبينَ ثَرَى (عَلِى)
عهدُ (البقيعِ) وساكنيــه على الحَيا المتهلِّل(١)
والدَّمعُ مروحَةُ الحزيـ ـنِ وراحَةُ المُتَمَلْمِلِ
نَمضى ، ويَلحَقُ منْ سلا فى الغابرينَ بمَنْ سُلى
كم مِنْ تُرابٍ بالدمو عِ على الزمان مُبلَّل
كالقبر ما لم يَبْلَ فيــه من العِظام ، وما بلِى
ريَّان من مجد يعِـ ـزُّ على القصور موئَّل
أمسَتْ جوانِبُه قَرا را للنُّجوم الأُفَّل
وحديثُهم مِسكُ النَّدِ يِّ ، وعَنْبَرٌ فى المحفِل

* * *

قلْ للنَّعِىِّ : هتكْت دَمــعَ الصابر المتَجَمِّل(٢)
المُلتقِى الأَحداثَ إنْ نزلَتْ كأن لَّم تَنزِل
حَمَلَ الأَسَى (بأَبى الفتو ح) علَىَّ ما لمْ أَحمِل(٣)
حتى ذَهِلْتُ ، ومن يَذُق فقدَ الأَحِبَّةِ يَذْهَل
فعتبْتُ فى رُكن (القضا ء) على القضاء المُنْزَل

(*) على باشا ابوالفتوح : احد نوابغ مصر الذين اشتركوا فى تمهيـد الطريق لنهضتها ، كان حقوقيا ضليعا ، وأسندت له وكالة وزارة المعارف ، فكان موضع الفخر والامل ، وقد توفى سنة ١٩١٣ ، فعد موته خســارة وطنية كبرى .

١ــ البقيع : احد المزارات المقدسة فى المدينة المنورة ــ٢ــ المتجمل : الذى يدفن همه فى صدره احتسابا ويظهر عكسه للناس ــ٣ــ الأسى : الحزن

لَهَفِي على ذاك الشبا ... بِ وذاك المستقبَل
وعلى المعارف إذ خَلتْ ... من ركنِها والموئِل(١)
وعلى شمائلَ كالرُّبَى ... بينَ الصَّبا والجدول
وحياءِ وجهٍ كان يُؤْ ... ثَر عن «يَسوعَ» المرسَل

* * *

يا راوياً تحتَ الصفيـ ... ـحِ من الكرى والجندل(٢)
ومُسرْبلاً حُلَلَ الوزا ... رةِ بات غيرَ مُسَربَل
ومُوَسداً حُفَرَ الثرى ... بعدَ البناءِ الأَطول
إنى التفتُّ إلى الشبا ... بِ الغابرِ المتمثَّل
ووقفتُ ما بين المحقَّـ ... ـقِ فيه ، والمتخيَّل
فرأيت أياماً عَجِلْـ ... ـنَ ، وليْتَها لَمْ تَعْجَل
كانت مُوَطَّأَةَ المِها ... دِ لنا ، عِذابَ المنهَل
ذَهبَتْ كحُلمٍ ، بيْدَ أنّ الحُلْمَ لم يتأوَّل
إذ نحن فى ظلِّ الشبا ... بِ الوارفِ المتهدِّل(٣)
جاران فى دار النوَى ... مُتقابلانِ بمنزل
أَبْكِى وأَبْكُك ضاحكا ... ن على خمائل مونْبِلى(٤)

---

١ — الموئل : الملجأ الذى يلجأ اليه فى الشدة —٢— يريد « بالصفيح والجندل » : حجارة القبر . يستعبر بالفقيد — وهو المرفه فى الحياة — كيف ينام هذا النوم العميق تحت الحجارة الصماء الثقيلة ، وهذا حذق فى سياق التفجع بأسلوب الاستعبار —٣— المتهدل : من قولهم : تهدلت اغصان الشجر ، اذا تدلت —٤— يشير فى هذا البيت والذى قبله ، الى ان الفقيد كان هو وامير الشعراء زميلين وصديقين ، كانا يطلبان العلم فى جامعة « مونبليه » ، وهى احدى مدن فرنسا الشهيرة . والايك فى الأصل : عش الطائر . والخمائل : النباتات الكريمة كالحدائق والبساتين

والدرسُ يجمعُنى بأفـ ضلِ طالبٍ ومُحصِّل
أيامَ تَبْذُل فى سبيـ لِ العلم ما لم يُبذَل
غَضَّ الشباب ، فكيف كنـ ت عن الشبابِ بمعْزِل ؟
وإذا دعاكَ إلى الهوى داعى الصَّبا لم تحفِل
ولو اطَّلعْتَ على الحيا ةِ فعلْتَ ما لم يُفعَل
لم يَدْرِ إلاَّ اللهُ ما خَبأَتْ لكَ الدنيا ، ولى
تَجرى بنا لمُفتَّح بينَ الغُيوب ومُقفَل
حتى تبدَّلْنا ، وذا كَ العهدُ لم يَتبدَّل
هاتيك أيامُ الشبا بِ المحسنِ المتفضِّل
مَنْ فاته ظلُّ الشبيـ بةِ عاش غير مُظلَّل

* * *

يا راحلاً أخلَى الديا رَ وفضلُه لم يَرحَل
تتحملُ الآمالُ إثْـ ر شبابِه المتحمِّل(١)
مشتِ الشبيبةُ جحْفَلاً تَبكى لِواءَ الجحفل(٢)
فانظر سريرَك ، هل جرى فوق الدموعِ الهُطَّل ؟
اللهَ فى وطنٍ ضعيـ فِ الركنِ ، واهى المعقِل
وأبٍ وراءَك حُزنُه لِنواك حزنُ المثْكل
يَهَبُ الضِّياعَ العامرا تِ لمَنْ يردُّ له «على»
ليس الغنىُّ من البريَّـــــة غير ذى البال الخَلِى

١ـ الشباب المتحمل ، اى الراحل ٢ـ الجحفل : الجيش .

ونَجيبةٍ بين العقا ئِلِ هَمُّها لا ينسلى(١)
دَخَلَتْ منازلَها المنو نُ على الجرىء المُشْبِلِ(٢)
كسرَتْ جناحَ مُنعَّمٍ ورمَتْ فوادَ مُدلَّلِ
فكأن آلكَ من شجٍ ومُتيَّمٍ ومُرمَّلِ
آلُ «الحسينِ» (بِكربلا في كُربةٍ لا تنجلى)(٣)
خلعَ الشبابَ على القنا وبذلْتَه لِلمُغْضِـــل(٤)
والسيفُ أرحمُ قاتلاً من عِلَّةٍ فى مَقتل
فاذهب كما ذهبَ الحسيـ نُ إلى الجوارِ الأفضَل
فكلاكما زينُ الشبا بِ بجنةِ اللهِ العلى

١ـ لا ينسلى : اى لا يمضى ولا يبارح مكانه من قلبها ـ٢ المشبل : هو الذى يلد الاشبال ، وهى أولاد السـباع ـ٣ـ كربلاء : اسم الموضـع الذى قتل فيه سيدنا الحسين رضى الله عنه ـ٤ـ يشـبه الفقيـد بالحسين ، بجامع بذل الشباب من كليهما وموت كليهما قبل أوانه ، كأنه يرى أن الموت فى سن الشباب بمثابة بذل الحياة وخلع ثوبها ، وهذا لا ينافى الاعتقـاد بالاجل المكتوب ، فقد تمثل الحسين نفسه عندما رأى أن لا مفر من القتل يقول بعضهم :

❋ فلو ترك القطا ليلا لنام ❋

جورجى زيدان(*)

مَمالكُ الشرقِ ، أم أدراسُ أطلالِ — وتلك دُولاتُه ، أم رَسْمُها البالى؟(١)
أصابَها الدهرُ إلاَّ فى مآثرِها — والدهرُ بالناس من حالٍ إلى حال
وصارِ ما نتغنَّى من محاسنها — حديث ذى مِحنةٍ عن صَفْوِه الخالى
إذا حفا الحقُّ أرضاً هانَ جانبُها — كأنَّها غابةٌ من غيرِ رِئبال(٢)
وإن تحكَّم فيها الجهلُ أسلَمَها — لفاتاتٍ من عَوادى الذل قَتَّال
نوابغَ الشرقِ ، هُزُّوهُ لعلّ به — من الليالى جُمودَ اليائس السَّالى
إن تنفخوا فيه من روح البيانِ ، ومن — حقيقةِ العلمِ ينهضْ بعدَ إعضال
لا تجعلوا الدينَ باب الشرِّ بينكُمُ — ولا محلَّ مُباهاةٍ وإدلال
ما الدينُ إلا تراثُ الناس قبلكُمُ — كلُّ امرئٍ لأبيهِ تابعٌ تالى
ليس الغلوُّ أميناً فى مَشُورته — مناهجُ الرُّشْدِ قد تخفَى على الغالى
لا تطلبوا حقّكم بَغْياً ، ولا صَلَفًا — ما أبعدَ الحقَّ عن باغٍ ومُختال
ولا يَضِيعَنَّ بالإهمال جانبُه — فرُبَّ مصْلحةٍ ضاعت بإهمال

(*) الاستاذ الكبير المرحوم جورجى زيدان منشىء دار الهلال الغراء هو احد مؤسسى النهضة الصحفية فى البلاد العربية ، واحد اساطين رجال العلم والادب ، الذين يرجع الى مؤلفاتهم ويحتج بآرائهم ، وقد توفى سنة ١٩١٤ ، بعد ان ترك خلفه من التراث العلمى والادبى ما يكفى لتسجيل اسمه فى طليعة سجل المصلحين .

١ــ الادراس : جمع درس ، وهو الطريق الخفى او الثوب الخلــق . والاطلال : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار . وهذا المطلع الشعرى ملآن بالتفجع على ما صارت اليه ممالك الشرق فى هذه الايام ، فهو يسأل مستنكرا : اهذه ممالك حقا ؟ أم هى آثار ورسوم من ممالك عظيمــة كانت موجودة وذهبت؟ ــ٢ رئبال : اسد .

كم هِمَّةٍ دَفَعَتْ جيلاً ذُرا شرفٍ ... ونوْمَة هدمتْ بُنيانَ أجيال
والعلمُ فى فضله ، أو فى مفاخِره ... ركنُ الممالكِ ، صدرُ الدولةِ الحالى
إذا مشَتْ أمّةٌ فى العالَمين به ... أبَى لها اللهُ أنْ تَمشِى بأغلال
يقِلُّ للعلم عندَ العارفين به ... ما تقدِر النفسُ من حُبٍّ وإجلال
فقِفْ على أهله ، واطلبْ جواهره ... كناقدٍ مُمعِنٍ فى كفِّ لآل
فالعلم يفعل فى الأرواح فاسدُه ... ما ليس يفعل فيها طِبٌّ دجّال
ورُب صاحبِ درْسٍ لو وقفْتَ به ... رأيتَ شِبه عليم بينَ جُهّال
وتسبق الشمسَ فى الأمصار حكمتُه ... إلى كهولٍ ، وشُبّانٍ ، وأطفال
(زيدانُ) ، إنى مع الدنيا كعهدِك لِى ... رِضَى الصديقِ ،مقِيلُ الحاسدِ القالى
لى دَوْلةُ الشعر دونَ العصر وائِلَةٌ ... مَفاخِرى حِكَمى فيها وأمثالى
إنْ تَمْشِ للخير أو للشر بى قدمٌ ... أشمِّرُ الذّيْلَ ، أو أعثُرْ بأذيالى
وإنْ لَقِيتُ ابنَ أُنثى لى عليه يدٌ ... جَحَدْتُ فى جَنْبِ فضلِ اللهِ أفضالى
وأشكر الصُّنع فى سِرى وفى علنى ... إن الصنائع تزكو عند أمثالى
وأتركُ الغيبَ لله العليمِ به ... إن الغيوب صناديقٌ بأقفال
(كأُرْغُنِ) الدّيْرِ إكثارى ومَوْقِعُه ... وكالأذانِ على الأسماع إقلالى(١)
رثَيْتُ قبلك أحباباً فُجِعْتُ بِهم ... ورُحْتُ من فُرقةِ الأحبابِ يُرثَى لى
وما عَلِمْتُ رفيقا غير مُؤْتمَنٍ ... كالموت للمرءِ فى حِلٍّ وترحال
أرحْتَ بالَك من دنيا بلا خُلُقٍ ... أليس فى الموت أقصى راحةِ البال؟
طالت عليك عوادى الدهرِ فى خَشِنٍ ... من الثُّراب مع الأيام مُنهال
لم نأتِه بأخٍ فى العيش بعدَ أخٍ ... إلّا تركنا رُفاتاً عندَ غِربال

١ــ الأرغن : آلة موسيقية معروفة .

لا ينفعُ النفس فيه وهْيَ حائرةٌ إلا زكاةُ النُّهَى ، والجاهِ . والمال
ما تصنع اليومَ مِن خيرٍ تَجِدْه غدًا الخيرُ والشرُّ مِثقالٌ بمثقال
قد أكمل اللهُ ذيّاك (الهلالَ) لنا فلا رأى الدهرَ نقصاً بعدَ إكمال
ولا يَزَلْ فى نفوس القارئين ؛ له كرامةُ الصُّحُفِ الأُولَى على التالى
فيه الروائعُ من علمٍ ، ومن أدبٍ ومن وقائعِ أيامٍ وأحوال
وفيه همةُ نفسٍ زانها خُلُقٌ هما لباغى المعالى خيرُ مِنوال
علَّمْتَ كلَّ نَئُومٍ فى الرجال به أنّ الحياة بآمالٍ وأعمال
ما كان من دُوَلِ الإسلام مُنصرِماً صَوَّرْته ، كلُّ أيامٍ بتمثال
نرى به القوم فى عِزٍّ وفى ضَعة والملكَ ما بينَ إدبارٍ وإقبال
وما عرَضْتَ على الألباب فاكهةً كالعلمِ تُبرِزُه فى أحسنِ القال
وَضعْتَ خيرَ (رواياتِ) الحياةِ ،فضَعْ روايةَ الموتِ فى أسلوبِها العالى
وصِفْ لنا كيف تجفو الروحُ هَيْكَلَها ويستبدُّ البِلَى بالهيكل الخالى
وهل تَحِنُّ إليه بعد فُرقتِه كما يَحِنُّ إلى أوطانه الجالى(١)
هِضابُ لُبنانَ من منعاتِكَ اضطَربَتْ كأن لبنانَ مَرْمِىٌّ بزلزال
كذلك الأرضُ تبكى فَقْد عالِمِها كالأُمِّ تبكى ذهابَ النافعِ الغالى

١ــ الجالى : النازح أو المهاجر .

شهداء العلم والغربة(*)

أَلا فى سبيلِ اللهِ ذاكَ الدمُ الغالى ... وللمجدِ ما أَبقَى من المَثَلِ العالى
وبعضُ المنايا هِمّةٌ من ورائِها ... حياةٌ لأَقوامٍ ، ودُنيا لأَجيال
أَعَيْنَىَّ ، جودا بالدموع على دمٍ ... كريمِ المُصَفَّى من شبابٍ وآمال
تناهَتْ به الأَحداثُ من غُربةِ النَّوَى ... إلى حادثٍ من غُربةِ الدهرِ قتّال
جرى أَرجُوانيًّا ، كُمَيْتًا ، مُشَعْشَعًا ... بأَبيضَ من غِسْلِ الملائِكِ سَلْسَال(١)
ولاذ بقُضبانِ الحديدِ شَهيدُه ... فعادَتْ رَفيفًا من عيونٍ وأَطلال
سلامٌ عليه فى الحياةِ ، وهامدًا ... وفى العُصُرِ الخالى ، وفى العالَمِ التالى
خَليلَىَّ ، قُوما فى رُبَى الغربِ ، واسقيا ... رَياحينَ هامٍ فى التراب ، وأَوْصال(٢)
من الناعماتِ الراوياتِ من الصِّبا ... ذوت بينَ حِلٍّ فى البلاد وتَرحال
نعاها لنا الناعى ، فمال على أَبٍ ... هَلوعٍ ، وأُمٌّ (بالكنانةِ) مِثكال
طَوَى الغربَ نحوَ الشرقِ يَعْدُو سُلَيْكُهُ ... بمضطَرِبٍ فى البرِّ والبحرِ ، مِرْقال(٣)

(*) شهداء العلم والغربة : هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقى العلم فى جامعات اوربا ، فاصطدم القطار الذى يقلهم من ارض ايطاليا ، فقتل احد عشر طالبا وجيء بهم الى مصر ، فاستقبلت جثثهم استقبالا رهيبا ، فاشتركت فى جنازتهم جميع طوائف البلاد ومما كان يزيد الهول فى هذا المصاب حدوثه والبلاد مشتعله بثورتها فى سنة ١٩٢٠ .

١ ــ الأرجوانى : منسوب الى الأرجوان ، وهو صبغ أحمر يشبه به الدم لشدة حمرته . والكميت : حمرة يخالطها السواد . ومعنى المشعشع : الممزوج بالماء . والغسل (بكسر الغين) : ما يغسل به . يصف يوم هؤلاء الشهداء بانه يجرى احمر مشوبا بسواد ممزوجا بلون ابيض ، كأنه الماء السلسال الذى اصابه من غسل الملائكة ــ٢ــ الأوصال : الاعضاء .
٣ ــ سليك : رجل من العرب اشتهر بقوة الجرى ويضرب به المثل فى السرعة أراد تشبيه الناعى به . مرقال : سريع .

يُسِرُّ إلى النفسِ الأَسَى غيرَ هامسٍ ... ويُلقِى على القلبِ الشَّجَى غيرَ قَوّال
سماءُ الحِمَى بالشاطِئَيْنِ وأرضُه ... مناحةُ أقمارٍ ، ومَأْتَمُ أشبال

* * *

تُرَى الريحُ تدرِى : ماالذى قد أعادهَا ... بساطًا ، ولكن من حديدٍ وأثقال ؟
يُقِلُّ من الفِتْيَانِ أشبالَ غابةٍ ... غُداةً على الأخطارِ رُكَّابَ أهوال
ثَنَتْهُ العوادى دونَ (أودِينَ) ، فانثنَى ... بآخَرَ من دُهْمِ المقاديرِ ذَيّال(١)
قد اعتَنقا تحتَ الدّخانِ كما التقَى ... كَمِيّان فى داجٍ من النقْعِ مُنجال(٢)
فسبحانَ مَنْ يَرْمِى الحديدَ وبأْسَه ... على ناعمٍ غَضٍّ من الزهرِ مِنهال
ومَنْ يأْخذُ السارين بالفجرِ طالعاً ... طُلوعَ المنايا من ثَنِيَّاتِ آجال(٣)
ومَن يَجعلُ الأسفارَ للناسِ هِمّةً ... إلى سَفَرٍ يَنْوُونَه غيرَ قُفّال

* * *

فيا ناقِليهم ، لو تركتم رفاتَهم ... أقام يتيمًا فى حِراسةِ لآل(٤)
وبينَ (غَريبالْدى) و(كافورَ) مَضْجَعٌ ... لنُزّاعِ أمصارٍ على الحقِّ نُزّال(٥)
فهل عَطَفَتْكم رَنّةُ الأهْلِ والحِمَى ... وضَجّةُ أترابٍ عليهم وأمثال ؟
لئن فاتَ مصرًا أن يموتوا بأَرضها ... لقد ظَفِروا بالبَعْثِ من تُرْبِهَا الغالى
وما شَغلتْهُمْ عن هَواها قِيامةٌ ... إذا اعتَلَّ رَهْنُ المحبِسَيْنِ بأشغال(٦)

١ـ دهم : جمع ادهم ، وهو الاسود . وذيال : طويل الذيل . والذيل من كل شيء : آخره ، ومن الفرس : ذنبه ـ٢ـ كميسان : مثنى كمى ، وهو الشجاع المتكمى ، اى المتغطى فى سلاحه . والنقع : الغبار ـ٣ـ الثنيات : قمم الجبال ـ٤ـ يريد باليتيم : اللؤلؤ . واللآل بائع اللآلىء وصائدها وصانعها ـ٥ـ غريبالدى وكافور : بطلان من ابطال الحركة الاستقلالية فى ايطاليا ـ ٦ ـ رهن المحبسين : اول ماطلق هذا التعبير كان يطلق على ابى العلاء المعرى ، والمحبسان هما العمى ولزومه البيت .

حَمَلْتُم من الغرب الشموسَ لمشرقٍ ... تَلَقَّى سناها مُظلمًا كاسِفَ البال
عواثِرَ لم تَبلغْ صِباها ، ولم تَنَلْ ... مَدَاها ، ولم تُوصَلْ ضُحاها بآصال
يُطافُ بهم نَعْشًا فنعشًا ، كأنهم ... مَصاحِفُ لم يَعلُ المُصَلِّى على التالى(١)
تَوابيتُ فى الأعناقِ تترَى زكيّةً ... كتابوتِ موسى فى مَناكب إسْرال(٢)
مُلفّفةً فى حُلّةٍ شَفقيّةٍ ... هِلاليةٍ من راية النيلِ تِمثال
أَظَلَّ جلالُ العلمِ والموتِ وَفدَها ... فلم تُلْقَ إلا فى خُشوعٍ وإجلال
تُفارِقُ دارًا من غُرورٍ وباطِلٍ ... إلى مَنزل من جِيرَةِ الحقِّ مِحْلال
فيا حَلبَةً رَفَّتْ على البحر حِلْيَةً ... وهزّتْ بها (حُلوانُ) أعطافَ مُختال(٣)
جَرَتْ بين إيماضِ العواصمِ بالضُّحى ... وبينَ ابتسامِ الثَّغرِ بالموكِبِ الحالى
كثيرةَ باغى السبقِ لم يُرَ مِثلُها ... على عهدِ إسماعيلَ ذى الطَّوْلِ والنالِ(٤)
لكَ اللهُ ؛ هذا الخطبُ فى الوهمِ لم يَقَعْ ... وتلك المنايا لم يَكُنَّ على بال
بَلَى ، كلُّ ذى نَفسٍ أخو الموتِ وابنُه ... وإن جَرَّ أذيالَ الحداثةِ والخال
وليس عجيبًا أن يموتَ أخو الصِّبا ... ولكن عجيبٌ عَيْشُهُ عِيشةَ السالى
وكلُّ شبابٍ أو مَشيبٍ رَهينةٌ ... بمُعترِضٍ من حادثِ الدهرِ مُغتال
وما الشيبُ من خَيْلِ العُلا ، فاركَبِ الصِّبا ... إلى المجدِ ترْكَبْ مَتْنَ أقدرِ جَوّال
يَسُنُّ الشبابُ البأسَ والجودَ للفتى ... إذا الشيْبُ سَنَّ البخلَ بالنفس والمال
ويا نَشأَ النيلِ الكريمِ ، عزاءَكم ... ولا تذكروا الأقدارَ إلا بإجمال

١ـ المصلى : هو الذى يجىء أول الخيل فى السبق ، والتالى : هو الذى يجىء تاليا له ـ٢ـ تابوت موسى : هو الذى وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام والقى فى البحر ، فالتقطه آل فرعون وقاموا على تربيته حتى كبر . واسرال : اى اسرائيل ـ٣ـ الحلبة : الخيل التى تجمع للسباق . حلوان : اسم الباخرة التى اقلت رفات الشهداء فى عودتهم الى مصر .
٤ـ النال : العطاء . وفى هذا البيت اشارة الى السباق الذى كان يقام فى مدينة حلوان فى عهد اسماعيل باشا .

فهذا هو الحقُّ الذى لا يردُّه ... تأَفُّفُ قال ، أو تلطُّفُ مُحتال(١)

عليكم لواءَ العلم ؛ فالفوزُ تحتَهُ ... وليس إذا الأَعلام خانت بخذَّال(٢)

إذا مالَ صفٌّ فاخلفوه بآخَرٍ ... وَصولِ مَساعٍ ، لا ملولٍ ، ولا آل(٣)

ولا يصلُحُ الفِتيانُ لا علمَ عندَهم ... ولا يجمعون الأَمرَ أنصاف جُهّال

وليس لهم زادٌ إذا ما تزوَّدوا ... بياناً جُزَافَ الكيل كالحَشَفِ البالى(٤)

إذا جَزِعَ الفتيانُ فى وَقْعِ حادثٍ ... فمَنْ لجليلِ الأَمرِ أو مُعْضِلِ الحال؟

ولولا مَعانٍ فى الفِدَى لم تُعانِهِ ... نُفوسُ الحواريِّين أو مُهجُ الآل(٥)

فَغَنُّوا بهاتيك المصارعِ بينَكم ... ترنُّمَ أبطالٍ بأَيام أبطال

أَلستم بَنِى القومِ الذين تكبَّروا ... على الضربات السّبع فى الأَبدِ الخالى؟(٦)

رُدِدْتُم إلى فِرْعَوْنَ جَدًّا ، ورُبما ... رجعتم لعمٍّ فى القبائل أو خال

١ــ قال : مبغض ــ٢ــ عليكم لواء العلم : اى الزموا أو التزموا .
٣ــ آل : من قولهم : هو لا يألو جهدا ــ٤ــ الحشف البالى : التمر اليابس .
٥ــ الحواريون : اصحاب عيسى . والآل : اصحاب محمد صلوات الله عليهما ــ٦ــ الضربات السبع : يشير الى نوازل سماوية امتحن الله بها قدماء المصريين . ويريد بالأبد : الزمن القديم المديد .

سعيد زغلول بك(*)

آلَ (زغلولَ) ، حَسْبُكم من عزاء ... سُنَّةُ الموتِ فى النَّبِيِّ وآلِه
فى خِلالِ الخطوبِ ما راع إلا ... أنها دون صبرِكم وجَمالِه
حَمل الرُّزْء عنكمُ فى (سعيدٍ) ... بلدٌ شيخُكم أبو أحماله(١)
قد دهاهُ من فقْدِه ما دهاكم ... وبكى ما بكيْتُمُ من خِلاله
فكما كان ذُخْرَكم ومُناكم ... كان من ذُخرِه ومن آماله
ليت منْ فكَّ أسرَكم لم يَكِلْه ... للمنايا تمدُّه فى اعتقاله
حجبتْ من ربيعِه ما رحوْتم ... وطوَتْ رحلة العُلا من هلاله
آنسَتْ صحّةً فمرّت عليها ... وتخطَّتْ شبابَه لم تُباله
إنما مِنْ كِتابِه يُتَوَفَّى المر ... ءُ ، لا مِنْ شبابِه واكتهاله
لستَ تدرى الحِمامُ بالغاب هل حا ... مَ على اللَّيْثِ ، أم على أشباله
يا (سعيدُ) اتَّئِدْ ، ورِفْقاً بشيخٍ ... والِهٍ من لواعجِ الثُّكل واله(٢)
ما كفاه نوائبُ الحقِّ حتى ... زِدْتَ فى هَمِّه وفى إشغاله
فَجأَ الدهرُ ، فاقتضبْتُ القوافى ... من فُجاءاته وخَطْفِ ارتجاله
قُمْ فشاهِدْ لو استطعْتَ قِياماً ... حَسرَةَ الشعرِ ، والْتِياعَ خياله
كان لى منك فى المجامع راوٍ ... عجزَ (ابنُ الحسين) عن أمثاله(٣)

(*) تفتيح شباب سعيد بك زغلول عن رجولة ممتازة ، وبشر طالعه عن طالع عظيم ولكنه لم يكد يؤتى ثمره حتى اقتطفه الموت ، فقضى سنة ١٩٢٢ وكان خاله سعد باشا زغلول متبنيا له .

١ــ شيخكم أبو احماله : هو الزعيم سعد باشا . والبلد : مصر .
٢ــ الواله : الذى ذهب عقله أو كاد من شدة الوجد ــ٣ــ ابن الحسين : الشاعر المتنبى . وراوى الشعر وراويته : الذى يروى الشعر ويحفظه .

فطِنٌ للصِّحاح من لُؤلُؤِ القو ... لِ ، وأدرَى بهنّ مِنْ لَآلِه(١)
لم يكُنْ فى غُلُوِّهِ ضيق الصّد ... رِ ، ولا كان عاجزًا فى اعتداله
لا يُعادى ، ويُتّقى أن يُعادَى ... ويُخلّى سبيلَ منْ لم يُواله
فامْضِ فى ذمةِ الشبابِ نقيًّا ... طاهرًا ما ثَنيْت من أذياله
إنّ للعصر والحياةِ لَلُوماً ... لستَ مِنْ أهلِه ولا مِنْ مَجاله
صانكَ اللهُ من فسادِ زمانٍ ... دَنَّسَ اللومُ مِن ثيابِ رجاله
سيقولون :. ما رثاه على الفضـ ... ل ، ولكنْ رثاه زُلْفَى لخاله
أيُّهم مَنْ أتَى برأس كُلَيْبٍ ... أو شَفَى القُطرَ من عَياءِ احتلاله ؟
ليس بينى وبين خالِكَ إلا ... أننى ما حييتُ فى إجلاله
أتمنَّى لمصرَ أن يَجرِىَ الخيـ ... رُ لها مِنْ يَمينِه وشِماله
لستُ أرجوه كالرجال لصَيْدٍ ... من حَرامِ انتخابِهم أو حَلاله
كيف أرجو (أبا سعيدٍ) لشىءٍ ... كان يُقْضَى بكُفره وضلاله ؟ !
هو أهلٌ لأنْ يردَّ لقومى ... أمْرَهم فى حقيقة استقلاله
وأنا المرءُ لم أرَ الحقَّ إلا ... كنْتُ مِن حِزبِه ومن عُمّاله
رُبَّ حرٍّ صنعْتُ فيه . ثناءً ... عجزَ الناحتون عن تمثاله(٢)

١ـ اللآل : صانع اللؤلؤ وبائعه ـ٢ـ يقول : اننى كثيرا ما أصنع للأحرار قصائد ثناء ، فتقوم فى تصويرهم وتخليد اشكالهم ومزاياهم مقام التماثيل التى تعجز المثالين الناحتين ان يصنعوا مثالها .

أمين بك الرافعى(*)

مال أحبابُه خليلاً خليلا وتولّى اللّذاتُ إلا قليلا
نَصلوا أمسِ من غُبار الليالى ومضى وحدَه يَحُثُّ الرحيلا(١)
سكَنتْ منهم الركابُ. كأن لم تضطربْ ساعةً ولم تَمْضِ مِيلا
جُرِّدوا من مَنازِلِ الأرضِ إلا حَجَرًا دارِسا ورَملاً مَهيلا(٢)
وتَعَرَّوْا إلى البِلَى ، فكساهم خُشْنةَ اللّحدِ والدُّجىٰ المسدولا
فى يَبابٍ من الثرى رَدَّه المو تُ نقيًّا من الحقودِ غَسيلا(٣)
طَرَحوا عندَه الهمومَ ، وقالوا إن عِبْءَ الحياةِ كان ثقيلا
إنما العالمُ الذى منه جئنا مَلعبٌ لا يُنوِّع التمثيلا
بطلُ الموتِ فى الرواية ركنٌ بُنِيَتْ منه هيكلاً وفصولا
كلما راح أو غدا الموتُ فيها سَقط. السِّترُ بالدموع بَليلا

* * *

(*) أمين بك الرافعى ، كان كاتبا سياسيا عظيما ، وكان فى الصحفيين السياسيين يعد مثالا عاليا ، لطهارة الذمة ، ونبل الغاية ، ونزاهة الضمير ، وله فى تمسكه برأيه وصلابته على الحق الذى يعتقده مواقف تضحية ، لا يصبر عليها الا من وطن نفسه على احتمال جميع مكاره الحياة ، وقد وقف حياته منذ نشأته على خدمة القضية المصرية ، وظل مجاهدا فى سبيل استقلال مصر حتى مات فى سنة ١٩٢٦ .

١ — نصلوا من غبار الليالى ، تعبير كنائى عن الموت ، اذ غبار الليالى عبارة عن احداثها ، وليس فى امكان الحى التنصل من هذه الاحداث الا بالموت . يقول ان أحبابه وخلانه سبقوه ، وتنصلوا من الدنيا وحوادثها ، وها هو ماض على اثرهم مسرعا ، ليلحق بهم ، وينصل من بلاء الدنيا كما نصلوا —٢— يصف خروج الناس من الدنيا وليس فى ايديهم من ممتلكاتها الا الحجر الموضوع تحت رءوسهم ، والتراب المهيل فوق قبورهم ، فكأنه يقول : ليت شعرى لم يتقاتل الناس ، ويتكالبون على بناء القصور وشراء الضياع ، وهم اذا ماتوا لا يصحبهم من هذه الممتلكات الا حجر واحد وحفنات من تراب تدارى جسومهم وتوارى رممهم —٣— اليباب : الخراب . يقول : ان هذا اليباب الذى نسميه بالمقابر موضع نقاه الموت من الأكدار ، وغسله من الأحقاد ، فهو من أجل ذلك صار أروح للأرواح عن المواضع الآهلة بالعمران .

ذكرياتٌ من الأحبّةِ تُمحَى ... بيَدٍ للزمان تَمحو الطُّلولا
كلُّ رسمٍ من منزلٍ أو حبيبٍ ... سوف يمشى البِلَى عليه مُحيلا
رُبَّ ثُكلٍ أساكَ مِن قُرْحةِ الثُّكْـ ... ـلِ ، ورُزءٍ نسَّاك رُزْءاً جليلا

* * *

يابَنات القَرِيضِ ، قُمْنَ مَناحا ... تٍ ، وأَرْسِلْنَ لَوْعةً وعَويلا
من بَنات الهَدِيلِ أَنْتُنَّ أَحْنَى ... نغمة فى الأَسى ، وأَشجى هَدِيلا(١)
إن دمعًا تَذْرِفْنَ إثرَ رِفاقى ... سوف يَبْكِى به الخليلُ الخليلا
رُبَّ يومٍ يُناحُ فيه علينا ... لو نُحِسُّ النُّواح والترتيلا
بمَراثٍ كَتَبْنَ بالدمع عنّا ... أَسطُرًا من جوًى ، وأُخرَى غليلا
يَجِدُ القائلون فيها المعانى ... يومَ لا يأْذن البِلَى أن نَقولا

* * *

أخذ الموتُ من يدِ الحقِّ سَيفا ... خالِدىَّ الغِرارِ ، عَضْبًا ، صقيلا(٢)
من سيوف الجهادِ فُولاذُهُ الحـ ... ـقُّ ، فهل كان قَيْنُه جبريلا ؟(٣)
لمسته يدُ السماء ، فكان الـ ... ـبَرْقَ والرعدَ خَفْقَةً وصَليلا
وإباءُ الرجالِ أمضَى من السيـ ... ـفِ على كفِّ فارسٍ مَسلولا
رُبَّ قلبٍ أَصارَه الخُلْقُ ضِرْغا ... ماً ، وصدرٍ أصارَه الحقُّ غِيلا(٤)

١ـ الهديل : الحمام . وصوت الحمام ، والهديل ايضا : فرخ قالوا انه كان على عهد نوح ، فصاده جارح من جوارح الطير ، فليس من حمامة الا وهى تبكى عليه ـ٢ـ العضب : السيف ، والغرار : حد السيف . وقوله : « خالدى » نسبة الى خالد بن الوليد . والصقيل : المصقول ـ٣ـ القين : هو الحداد الذى يصنع السيوف ـ٤ـ الضرغام : من أسماء الأسد . والغيل : موضع الأسد .

قيلَ: حَلِّلْهُ. قُلْتُ: عِرقٌ من التِّـ ... ـبْرِ أراحَ البيانَ والتّحليلا
لم يَزِدْ فى الحديد والنارِ إلا ... لَمحةً حُرَّةً، وصبرًا جميلا
لم يَخَفْ فى حياته شَبَحَ الفقـ ... ـرِ إذا طاف بالرجال مَهولا
جاعَ حِينًا، فكان كاللَّيْثِ آبَى ... ما تُلاقيه يومَ جُوعٍ هَزيلا
تأْكل الهِرَّةُ الصِّغارَ إذا جا ... عَتْ، ولا تأْكل اللَّباةُ الشُّبولا
قِيلَ: غالٍ فى الرأى قُلتُ: هَبوهُ ... قد يكون الغُلُوُّ رأياً أصيلا
وقديماً بَنَى الغُلُوُّ نُفوساً ... وقديماً بَنَى الغُلُوُّ عُقولا
وكم استنهضَ الشيوخَ، وأذكى ... فى الشباب الطِّماحَ والتأْميلا
ومِنَ الرأىِ ما يكونُ نِفاقاً ... أو يكونُ اتجاهُه التضليلا
ومن النقدِ والجِدالِ كلامٌ ... يُشبه البَغْىَ، والخَنا، والفُضولا
وأرى الصدقَ دِيْدَناً لسَليل الـ ... ـرافعيِّينَ والعَفافَ سَبيلا
عاش لم يَغْتَبِ الرجالَ، ولم يَجْـ ... ـنِ عَلى شئونَ النفوسِ قالاً وقِيلا
قد فقدنا به بقيَّةَ رَهْطٍ ... أيقظوا النيلَ وادِياً ونَزيلا
حَرَّكوهُ، وكان بالأمس كالكهـ ... ـفِ حُزوناً، وكالرَّقيم سُهولا(١)
يا أمينَ الحقوقِ، أدَّيْتَ حتى ... لم تَخُنْ مصرَ فى الحقوق فَتيلا
ولوِ اسْطعْتَ زِدْتَ مصرَ من الحقِّ ... على نيلها المباركِ نيلا
لَسْتُ أنساكَ قابعًا بين دُرْجَيْـ ... ـكَ مُكِبًّا عليهما مَشغولا

١ــ الكهف: كالبيت المنقور فى الجبل. والرقيم: يقال هو الكتاب، واذن فيكون تشبيهه سهول النيل بالرقيم، معناه انها كانت وقتئذ مبسوطة خالية مهياة لان يخط فوقها حروف الحياة الاولى. ولو سئل احد الحكماء ما هى الحروف الاولى للحياة؟ لاجاب على الفور: هى اليقظة. ولعمرى ان ربة الحكمة اذن هى التى الهمت امير الشعراء قوله فى البيت السابق: «ايقظوا النيل واديا ونزيلا» ففى تصوره الذهنى لمعنى اليقظة سبق خياله الى تشبيه سهول وادى النيل بالرقيم.

قد تواريتَ فى الخُشوع ، فخالو　　لكَ ضئيلاً ، وما خُلِقْتَ ضئيلا
سائل (الشعبَ) عنك ، و (العَلَمَ) الخفَّاقَ ، أو سائل اللواءَ الظليلا(١)
كم إمامٍ قربْتَ فى الصفِّ منه　　ومُغَنٍّ قَعَدْت منه رَسِيلا ؟
تُنْشِدُ الناسَ فى القَضِيَّةِ لَحْنًا　　كالحوارىِّ رَتَّل الإنجيلا
ماضياً فى الجهاد لم تتأخَّر　　تَزِنُ الصفَّ ، أو تُقيم الرَّعيلا(٢)
ما تبالى مَضَيْتَ وحْدَكَ تَحْمِى　　حَوْزَةَ الحق ، أم مضَيْتَ قَبيلا

* * *

إن يَفُتْ فيكَ مِنْبَرَ الأمسِ شِعرى　　إن لى المنبرَ الذى لن يزولا
جلّ عن مُنْشِدٍ سِوَى الدهرِ يُلْقيـ　　ـهِ على الغابرين جِيلاً فجيلا

١ــ الشعب ، والعلم ، واللواء : اسماء صحف كان الفقيد يحررها مناضلا فيها عن مبادئه ــ٢ــ الرعيل : طائفة من الخيل . والمراد انه كان فى جيش المجاهدين فى القضية المصرية يقوم الصفوف اذا مالت ، ويرد الطوائف اذا نفرت .

الشيخ سلامه حجازى(*)

يا ثَرَى النيلِ ، فى نَواحِيكَ طيرٌ ... كان دنيا ، وكان فرحةَ جيلِ
لم يَزَلْ يَنْزِلُ الخمائلَ حتى ... حلّ فى رَبْوَةٍ على سَلسبيل
أفسد الرَّوْضَ فى الحياة مَلِيًّا ... وأقامَ الرُّبَى بسِحْرِ الهَديل(١)
يا لِواءَ الغناء فى دَوْلَةِ الفن ؛ إليكَ اتجهتُ بالإكليل
عبقريًّا كأنه زَنْبَقُ الخُلْدِ على فَرْعِهِ السَّرِىِّ الأَسيل(٢)
أينَ مِنْ مَسْمَعِ الزمانِ أغانىٌّ عليهنَّ رَوْعةُ التمثيل ؟
أين صوتٌ كأنه رَنّةُ البلبلِ فى الناعم الوَريفِ الظليل ؟
فيه من نَغْمةِ المزامير مَعنًى ... وعليه قَداسةُ الترتيل
كلما رَنَّ فى المسارح «إن كنتُ» انثنَى بالهُتاف والتهليل(٣)
كعِتاب الحبيب فى أُذُنِ الصَّبِّ ،وهَمْسِ النديمِ حولَ الشَّمول(٤)
كيف إخوانُنا هناك على الكَوْثَر بينَ الصَّبا وبينَ القبول؟(٥)

(*) بلغ الشيخ سلامة حجازى أعلى قمم المجد فى فن الغناء والتمثيل فى عصره ، وقد رؤى ان يعترف له بهذا النبوغ اعترافا عمليا . فتألفت جماعة من اهل الفضل واتفقوا على نقل جثمانه الى ضريح يتناسب وهذا التقدير . ورأوا من افضل الوسائل لهذه الغاية ان يقيموا حفلة تذكارية تمجيدا لذكرى الفقيد ، وتم لهم ذلك ، وإقيمت الحفلة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ وانشدت فيها هذه القصيدة العصماء .

١ـ الهديل : الصوت الحسن الذى يشبه صوت الحمام ـ٢ـ السرى: الجدول ـ٣ـ ان كنت ، يشير الى ان الفقيد قد ذاعت من اغانيه قصيدة مطلعها :

ان كنت فى الجيش ادعى صاحب العلم
فاننى فى هواكم صاحب الألم

٤ـ الشمول : الخمر ـ٥ـ الصبا : ريح مهبها من جهة المشرق وهى من ألطف الرياح .

كيف فى الخُلدِ ضَرْبُ أحمدَ بالعو ... دِ ، ونفخُ الأَمين فى الأَرغول؟(١)
فرَحٌ كُلُّهُ النعيمُ وعُرْسٌ ... كيف (عثمانُ) فيه كيف (الحَمُولِى)؟(٢)
فهنيئًا لكم ونعمةُ بالٍ ... إستَرِحتم من ظِل كلٍّ ثَقيل
إنما مَنزِلٌ رُفاتُك فيه ... لَبقايا من كل فَنٍّ جميل
ذَبُلَتْ فى ثَراهُ رَيْحانةُ الفـ ... نِّ ، وجَفَّتْ رَيْحانةُ التمثيل

* * *

قام يَجْزِى (سلامةٌ) فى ثَراه ... وطنٌ بالجزاءِ غيرُ بَخيل
قد يُوفِى البِناءَ والغرْسَ أَجرًا ... ويُكافِى على الصَّنيعِ الجليل
مُحسنٌ بالبنينَ فى حاضرِ العَيْـ ... شِ ، وفى سالفِ الزمانِ الطويل
ويُعِدُّ الضَّريحَ من مَرْمَرِ الخُلـ ... دِ الكريمِ المهذَّبِ المصقول(٣)
يدفنُ الصالحين فى وَرَقِ المُصْـ ... حَفِ ، أو فى صحائف الإنجيل

* * *

مصرُ فى غَيبةِ المُشايعِ : والحا ... سدِ ، والحاقد اللَّئيمِ الذَّليل
قامت اليومَ حولَ ذِكراكَ تَجرى ... وطنيًا من الطِّراز القليل
من رجالٍ بَنَوْا لمصر حديثًا ... وأذاعوا مَحَاسِنًا للنيل
هم سُقاةُ القلوبِ بالوُدِّ والصَّفْـ ... وِ . وهم تارةً سُقاةُ العقول
ليس منهم إلا فَتًى عبقرىٌّ ... ليس فى المجد بالدَّعِى لدخيل

---

١ ــ احمد : اسم احد المعاصرين ؛ اشتهر بضرب العود . وامين : معاصر آخر اشتهر بالارغول ــ٢ــ عثمان : هو محمد عثمان ، وكان من المغنين الكبار . والحمولى : هو عبده الحمولى ــ٣ــ الضريح : هو البناء الذى اتفقت لجنة احياء ذكرى الفقيد على صنعه من المرمر المصقول ليدفن فيه جثمان الفقيد تكريما له .

أدهم باشا(*)

مُصابُ بَنِى الدنيا عظيمٌ (بأدهمٍ) … وأعظمُ منه حَيْرَةُ الشعرِ فى فَمى
أأنطقُ والأنباءُ تَتْرَى بطيِّبٍ … وأسكتُ والأنباءُ تَتْرَى بمؤلمِ ؟
أتيْتُ بغالٍ فى الثَّنَاءِ مُنَضَّدٍ … فمَنْ لى بِغالٍ فى الرِّثاءِ مُنظَّمِ ؟
عَسى الشعرُ أن يَجْزِى جَريئًا ،لفقدِه … بَكَى الترك واليونانُ بالدمعِ والدّمِ
وكم مِنْ شُجَاعٍ فى العِداةِ مُكرَّمٍ … وكم مِنْ جَبانٍ فى اللِّداتِ مُذمَّمِ
وهل نافعٌ جَرْىُ القَوافى لغايةٍ … وقد فَتكَتْ دُهْمُ المنايا بأدهمِ ؟(١)
رمَتْ فأصابت خيرَ رامٍ بها العِدَى … وما السَّهمُ إلا للقضاءِ المحتَّمِ
فتًى كان سيفَ الهندِ فى صورةِ امرىءٍ … وكان فتى الفتيانِ فى مَسْكِ ضيْغَمِ(٢)
لَحاهُ على الإقدام حُسَّادُ مَجْدِهِ … وما خُلِقَ الإقبالُ إلا لمُقْدِمِ
مُزعْزِعُ أجيالٍ ، وغاشِى مَعاقلٍ … وقائدُ جَرّارٍ ، ومُزْجِى عَرَمْرَمِ(٣)
سلوا عنه (ميلونا) وما فى شِعابه … وفى ذِرْوَتَيْهِ مِنْ نُسورٍ وأَعْظُمِ
لَيَالِىَ باتَ الدِّينُ فى غير قَبضةٍ … وزُلْزِلَ فى إيمانه كلُّ مُسْلِمِ
وقال أُناسٌ : آخرُ العهدِ بالملا … وهَمَّتْ ظنونٌ بالتُّراثِ المُقَسَّمِ(٤)
فأَطْلَعَ للإسلام والمُلْكِ كوكبًا … من النصرِ فى داجٍ من الشك مُظلِمِ
ورحنا نُباهى الشرق والغربَ عِزَّةً … وكُنّا حديثَ الشامتِ المترحِّمِ
مَفاخرُ للتاريخ تُحْصَى لأدهمٍ … ومَنْ يُقْرِضِ التاريخَ يَرْبَحْ ويَغْنَمِ

* * *

(*) ادهم باشا : هو القائد التركى الذى اشتهر فى الحروب العثمانية اليونانية ــ١ــ دهم المنايا : اى سود المنايا ــ٢ــ المسك (بفتح الميم) : الجلد. والضيغم:الأسد ــ٣ــ العرموم:الجيش الكبير ــ٤ــ الملا : الجماعة ، ويريد بها الدولة العثمانية . والتراث المقسم : البلاد التابعة للدولة فى ذلك الوقت.

أَلا أَيُّها الساعونَ ، هل لَبِسَ الصَّفا ... سَوادًا ، وقد غَصَّ الوُرودُ بِزَمْزَم؟
وهل أقبلَ الرُّكبانُ يَنْعَوْنَ (خالدًا) ... إلى كلِّ رامٍ بالجِمارِ ومُحْرِمِ ؟
وهل مَسجدٌ تَتْلُونَ فيه رِثاءه ؟ ... فكم قد تَلَوْتُم مَدْحَهُ بالترنُّم !
وكان إذا خاضَ الأَسِنَّةَ والظُّبى ... تَنَحَّتْ إلى أن يَعْبُرَ الفارسُ الْكَمِى
ومَنْ يُعْطَ في هٰذى الدَّنيَّةِ فُسْحَةً ... يُعَمَّرْ وإن لاقَى الحروبَ ويَسْلم
(علىٌّ) أبو الزَّهراءِ داهِيَةُ الوَغَىٰ ... دهاهُ بِبابِ الدّارِ سيفُ ابن مُلْجَم
(فروق) ، اضْحكِى وابْكِى فَخارًا ولَوْعةً
وقُومِى إلى نعش الفقيدِ المعظَّم
كأُمٍّ شَهيدٍ قد أتاها نَعِيُّهُ ... فخفَّتْ له بينَ البُكا والتبسُّم
وخُطَّى له بينَ السلاطينِ مَضجعًا ... وقبرًا بجنبِ الفاتح المتقدِّم
بَخِلْتِ عليه فى الحياةِ بموكبٍ ... فتُوبِى إليه فى الممات بمأتم
ويادارُ ، ماأنصفْتَ إذ رُعْتَ صدرَهُ ... وقدكان فيه الملكُ إن رِيعَ يَحتمِى
ويأَيُّها الماشونَ حولَ سَريرِه ... أَحَطْتُم بتاريخٍ فَصيحِ التكلُّم
ويامصرُ ، مَنْ شَيَّعْتِ أعْلَىٰ همامةً ... وأَثْبَتُ قلبًا مِنْ رَواسِى المقطَّم
ويا قومُ ، هذا مَنْ يُقام لمثله ... مثالٌ لباغى قُدْوَةٍ مُتَعلِّم
ويابحرُ ، تدرى قدرَمَنْ أنتَ حاملٌ؟ ... ويا أرضُ ، صونيه ، ويارَبِّى ، ارْحَمِ

عثمان باشا الغازى (*)

هالةٌ للهلالِ فيها اعتصامٌ … كيف حامَتْ حِيالَها الأيّامُ ؟
دخلتْها عليكَ (عثمانُ) فى السلـ … ـم ، وقد كنتَ فى الوَغَى لا تُرام
وإذا الداءُ كان داءَ المنايا … صعَّبَتْهُ لأهلِها الأحلام
فبرغم (المُشيرِ) أن يَتَوَلَّى … والخطوبُ المُرَوِّعاتُ جِسام
ويدُ الملكِ تستجيرُ يَدَيْهِ … والسرايا تدعوه ، والأعلام
وبنوه يرجونه وهُمُ الجُنـ … ـدُ ، وهم قادةُ الجنودِ العِظام
مثَّلَتْهم صِفاتُه للبرايا … رُبَّ فردٍ سادت به أقوام
بطلَ الشرقِ . قد بَكتْكَ المعالى … ورثاك الوَلِىُّ والأخصام
خذَل الملكَ زندُه يوم أوْدَيْـ … ـتَ ، وأهوَى من راحتَيْهِ الحُسام
ودَهَى الدينَ والخلافةَ أمرٌ … فادحٌ ، رائعٌ ، جليلٌ ، جُسام
علمُ العصرِ والممالكِ وَلَّى … وقليلٌ أمثالُه الأعلام
سَلْ (بلفنا) : أكنتَ تُدْرَكُ فيها … ولَوَ أنّ المحاصِرين الأنام
خَيَّم الروسُ حولَ حِصْنِكَ ، لكن … أين مِنْ هامَةِ السِّماكِ الخِيام ؟
وأحاطت بعزمك الجندُ ، لكن … عزمُك الشُّهْبُ ، والجنودُ الظلام
كلما جَرَّدَ (المُحاصِرُ) سيفًا … قطع السيفَ رأيُكَ الصَّمصام
وإذا كانت العقولُ كِبارًا … سَلِمت فى المَضايق الأجسام
وعجيبٌ لا يأخذُ السيفُ منكم … ويَنال الطَّوَى ، ويُعْطَى الأُوَامُ
فخرجتم إلى العِدا لم تُبالوا … ما لأُسْدٍ على سُغوب مُقام

(*) هو قائد تركى كبير ، اشتهر فى الحروب العثمانية الروسية .

تَخرقون الجيوشَ جيشًا فجيشًا ... مِثلَما يَخرقُ الهَواءَ الغَمام
والمنايا مُحيطةٌ ، وحصونُ الرُّ ... وسِ تَحْمِى الطريقَ والألغام
ولِنارِ العدوِّ فيكم قُعودٌ ... ولِسيفِ العدوِّ فيكم قِيام
جُرِحَ الليثُ يومُ ذاكَ ، فخان الـ ... جأشَ قلبٌ . وزُلزِلَتْ أقدام
ما دفَعْتَ الحُسامَ عجزًا . ولكن ... عَجزَتْ ضَيْغَمَ الحروبِ الكِلام
فأعادوه خيرَ شيءٍ أعادوا ... وكذا يَعرِفُ الكرامَ الكِرام
فتقلَّدتَه وكنتَ خليقًا ... سَلَبَتْنا كِلَيْكُما الأيام
ما لها عَوْدَةٌ . ولا لك رَدٌّ ... نِمتَ عنها . ومَنْ تَرَكْتَ نِيام
إنما الملكُ صارمٌ ويَراعٌ ... فإذا فارقاه ساد الطَّغام
ونظامُ الأمورِ عقلٌ وعدلٌ ... فإذا وليَا تَوَلَّى النظام
وعجيبٌ خُلِقْتَ للحرب لبْثًا ... وسجاياك كلُّهن سَلام
فهْىَ فى رأيكَ القويمِ حَلالٌ ... وهْىَ فى قلبك الرحيمِ حَرام
لكَ سيفٌ إلى اليتامَى بغيضٌ ... وحَنانٌ يُحبّه الأيتام
مُستبِدٌّ على قوىٍّ ، حليمٌ ... عن ضعيفٍ . وهكذا الإسلام

بطرس باشا غالى (*)

قبرَ الوزيرِ ، تحيَّةً وسَلاما ... الحلمُ والمعروفُ فيكَ أقاما
ومحاسنُ الأخلاقِ فيك تغيَّبَتْ ... عاماً ، وسوف تغيّب الأعواما
قد كنتَ صَوْمَعَةً فصِرْتَ كنيسة ... فى ظلِّها صلّى المُطيفُ وصاما
والقومُ حَوْلَكَ يا بن (غالى) خُشَّعٌ ... يقضونَ حقًّا واجبًا وذِماما
يَسعَوْنَ بالأبصار نحوَ سَريرِه ... كالأرض تَنْشُدُ فى السماء غَماما
يَبكون مَوْئِلَهم ،وكَهْفَ رَجائِهم ... والأرْيَحىَّ المُفْضِلَ المِقداما
مُتسابقين إلى ثَراك ، كأنهم ... ناديكَ فى عزِّ الحياةِ زِحاما
وَدُّوا غَداةَ نُقِلْتَ بينَ عُيونِهم ... لو كان ذلك مَحشرا وقِياما
ماذا لقيتَ من الرّياساتِ العُلا ... وأخذتَ مِن نِعَمِ الحياةِ جِساما؟
أليوم يُغنِى عنك لَوْعَةُ بائسٍ ... وعَزاءُ أرمَلَةٍ ، وحُزنُ يَتامىٰ
والرأيُ للتاريخ فيك ، فنى غدٍ ... يَزنُ الرجالَ ، ويَنْطِقُ الأحكاما
يَقضِى عليهم فى البَرِيَّةِ ، أو لهم ... ويُديمُ حَمدًا ، أو يُؤيِّدُ ذاما
أنت الحكيمُ ، فلا تَرُعْكَ منيَّةٌ ... أعلِمْت حيًّا غيرَ رِفْدِكَ داما
إنَّ الذى خلقَ الحياةَ وضِدَّها ... جَعَلَ البقاء لِوَجْهِهِ إكراما
قد عِشْت تُحدِثُ للنصارَى ألْفةً ... وتُجِدُّ بين المسلمين وئاما
واليومَ فوقَ مَشيدِ قبرِك مَيتًا ... وَجَدَ المُوَفَّقُ للمقال مَقاما

(*) بطرس باشــا غالى ، كان رئيس الوزارة المصرية فى ايام حــكم الخديو عباس الثانى ، وقد اغتاله ابراهيم الوردانى فى ســـنة ١٩١٠ لاسباب سياسية .

الحقُّ أبلجُ كالصبَّاح لِناظرٍ ... لو أنَّ قوماً حَكَّموا الأحلاما
أَعَهِدْتَنا والقِبْطَ. إلَّا أُمَّةً ... للأرضِ واحدة تَروم مَراما ؟
نُعْلِي تعاليمَ المسيحِ لأجلهم ... ويُوَقِّرون لأجلنا الإسلاما
الدِّينُ للدَّيَّانِ جلَّ جلالُه ... لو شاء ربُّكَ وَحَّدَ الأقواما
ياقومُ ، بانَ الرُّشدُ فاقْصُوا ماجرى ... وخُذوا الحقيقةَ ، وانبذوا الأوهاما
هٰذى رُبُوعُكُمُ ، وتلك رُبوعُنا ... مُتقابلين نعالج الأياما
هٰذى قُبورُكُمُ ، وتلك قُبورُنا ... مُتجاورينَ جَماجما وعِظاما
فبحُرمةِ المَوْتَى ،وواجبِ حقِّهم ... عِيشوا كما يَقضى الجوارُ كِراما

يبكي والدته (*)

إلى اللهِ أشكو مِن عَوادِي النَّوَى سهما ... أصابَ سُوَيْداءَ الفؤادِ وما أَصْمَى(١)

من الهاتكات القلبَ أوَّلَ وَهْلةٍ ... ومَا دَخَلَتْ لحمًا ، ولا لامستْ عظما

تَوَارَدَ والنَّاعِي ، فأَوْجَسْتُ رَنَّةً ... كلاماً على سمعى ، وفى كبدى كَلْما(٢)

فما هتَفاحتى نَزَا(٣) الجنبُ وانزَوَى ... فياوَيْحَ جَنْبِي! كم يَسيلُ؟وكم يَدمَى؟

طَوَى الشرقَ نحوَ الغربِ ، والماءَ للثَّرَى ... إلىَّ ، ولم يَركبْ بِساطاً ولا يَمًّا(٤)

أَبانَ ولم يَنْبِسْ ، وأَدَّى ولم يَفُهْ ... وأَدْمَى وما داوَى ، وأَوْهَى وما رَمَّا

إذا طُوِيَتْ بالشُّهْبِ والدُّهْمِ شُقَّةٌ ... طَوَى الشُّهْبَ ، أوجاب الغُدافيَّةَ الدُّهْما(٥)

ولم أَرَ كالأحداثِ سهمًا إذا جرَتْ ... ولا كالليالى راميًا يُبعِدُ المَرْمَى

ولم أَرَ حُكمًا كالمقاديرِ نافذًا ... ولا كلقاءِ الموتِ مِنْ بَينها حَتْما

(*) نظم امير الشعراء هذه المرثية الرائعة ، على اثر اعلان الهدنة ، وهو فى منفاه فى الاندلس سنة ١٩١٨ - اذ كان يعلل النفس بالعودة الى الوطن العزيز ولقاء آله ، وفى مقدمتهم والدته الحبيبة ، ولكنه ما كاد يتحدث الى نفسه بهذا الامل المرموق ، حتى وافاه البرق بنعيها ، فاثر هذا المصاب الجسيم فى نفسه تاثيرا بالغا ، ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المرثية ، وقد قيل انه من فرط تأثره بها تحاشى ان ينظر اليها بعد ، فبقيت مستورة ضمن اوراقه الخاصة ، حتى نشرت فى الصحف غداة وفاته رحمه الله

١ــ عوادى النوى : عوائقه . وقوله : « أصابَ سويداء الفؤاد وما أصمى » : أى اصاب صميم القلب ولم يقتل ــ٢ــ الكلم (بفتح الكاف) : الجرح ــ٣ــ نزا الجنب : يريد نزا القلب ، ويقال : نزا الطائر ، اذا هم بالطيران ــ٤ــ بساطا ولايما : اى لم يركب طيارة تسير فى الهواء ، كما سار بساط الريح بسليمان عليه السلام ، ولم يركب باخرة تسير على اليم ، اى البحر ــ ٥ــ الشهب : البيض . والدهم : السود . وجاب : قطع . والغدافية : السوداء ، ويقصد بالشهب وبالدهم : الخيل البيضاء والسوداء أو النهار والليل ، كانه يتعجب من سرعة هذا النعى فى وصوله اليه .

إلى حيثُ آباءُ الفتى يَذهبُ الفتى — سَبيلٌ يَدينُ العالَمون بها قِدْما
وما العيشُ إلا الجسمُ فى ظلِّ رُوحِهِ — ولا الموتُ إلا الرُّوحُ فارقَتِ الجِسما
ولا خلْدَ حتى تملأَ الدهرَ حِكْمةً — على نزلاءِ الدهرِ بعدَك أو عِلْما

* * *

زَجَرْتُ تَصاريفَ الزمانِ ، فما يَقَعْ — لِيَ اليومَ منها كان بالأمسِ لى وَهْما(١)
وقدَّرْتُ (للنعمانِ) يوماً وضِدَّهُ — فما اغتَرَّتِ البُؤسَى ، ولا غَرَّتِ النُّعْمَى(٢)
شرِبتُ الأسى مصروفةً لو تعرضتْ — بأنفاسِها بالفمِّ لم يستفِقْ غَمّا
فأتْرِعْ وناوِلْ يا زمانُ ؛ فإنما — نديمُكَ (سُقْراطُ) الذى ابْتَدعَ السُّمّا(٣)
قَتلتُكَ ، حتى ما أُبالى : أَدَرْتَ لى — بكأسِكَ نَجْمًا ، أم أَدَرْتَ بها رَجْما؟!
لكِ اللهُ مِنْ مَطعونةٍ بقَنا النَّوى — شهيدةِ حربٍ لم تُقارِفْ لها إثما
مُدَلَّهةٍ أزكى مِنَ النارِ زَفْرةً — وأنزَهِ مِنْ دَمْعِ الحَيا عَبْرةً سَحْما(٤)
سقاها بَشيرى وهْىَ تَبكى صَبابةً — فلم يَقْوَ مَغناها على صَوْبِهِ رَسْما(٥)
أَسَتْ جُرحَها الأنباءُ غيرَ رَفيقةٍ — وكم نازعٍ سهمًا فكان هو السَّهما!
تَغارُ على الحُمَّى الفضائلُ والعُلا — لِما قبَّلَتْ منها ، وماضَمَّتِ الحُمَّى!
أكانت تَمَنّاها وتَهوَى لِقاءَها — إذا هى سَمّاها بذى الأرضِ مَنْ سَمّى؟

---

١ ــ الزجر : العيافة والتكهن ، يقول : انه كان متكهنا بما صنعه الزمن معه وكان متوقعا له ــ٢ــ كان للنعمان بن المنذر يوم بؤس لا يفد فيه عليه احد الا قتله ، ويوم نعمى لا يسال فيه الا اعطى ، ولهذين اليومين حوادث سارت من اجلها امثال كثيرة للعرب . ويرجع فى هذا الى الكتب الادبيــة المطولة من شاء ــ٣ــ سقراط : امام الفلاسفة المتقشفين ، حكم عليه بالاعدام فشرب السم بيده ، ولم يرض ان يفر مع اصحابه الذين عزموا عليه بالفرار
٤ ــ العبرة السحما : اى السوداء ، ولا يكون هذا الا من اثر الحزن العميق .
٥ ــ الرسم : هو هنا مصدر « رسم المطر الديار » اذا عفاها وابقى اثرها لاحقا بالارض .

أَلَمَّتْ عليها ، واتَّقتْ ثمراتِها — فلما وُقُوا الأسواءَ لم ترَها ذمَّا
فياحسرتا أَلَّا تراهم أَهِلَّةً — إذا أقْصَرَ البدرُ التمامُ مَضوْا قُدْما !
رَياحينُ فى أنفِ الوَلِىِّ ، وما لها — عدوٌّ تراهم فى مَعاطِسِهِ رَغْما
وأَلَّا يطوفوا خُشَّعًا حولَ نعشِها — ولا يُشبِعوا الركنَ استلاماً ولا لَثْما
حلَفْتُ بما أسلَفْتِ فى المهد مِنْ يَدٍ — وأوْلَيْتِ جُثمانى من المِنَّةِ العُظمى
وقبرٍ مَنُوطٍ بالجلال مُقَلَّدٍ — تَليدَ الخلالِ الكُثْرَ ، والطارفَ الجَمَّا(١)
وبالغادياتِ الساقياتِ نَزيلَهُ — من الصَّلَواتِ الخَمْسِ ، والآىِ ، والأَسْما
لَما كان لى فى الحربِ رأىٌ ولا هوًى — ولا رُمْتُ هذا الشكلَ للناسِ واليُتْما
ولم يكُ ظلمُ الطيرِ بالرقِّ لى رِضاً — فكيف رضائى أن يَرَى البَشَرُ الظُّلما ؟
ولم آلُ شُبّانَ البريّةِ رِقَّةً — كأَنّ ثمارَ القلب مِنْ وَلَدِى ثَمَّا
وكُنْتُ على نَهْجٍ من الرأى واضحٍ — أرى الناسَ صِنفَيْنِ : الذئابَ أو البَهْما(٢)
وما الحُكْمُ إلا أولِى البأْسِ دولةً — ولا العدلُ إلا حائطٌ يَعْصِمُ الحُكما

* * *

نزلْتُ رُبَى الدنيا ، وجَنّاتِ عَدْنِها — فما وَجَدَتْ نفسى لأنهارها طعما
أُرِيحُ أَرِيجَ المِسْكِ فى عَرَصاتِها — وإن لم أُرِحْ (مَرْوانَ) فيها ولا (لَخْما)(٣)
إذَا ضَحِكتْ زهوًا إلىّ سماؤها — بكيْتُ النَّدَى فى الأَرض ، والبأْسَ ، والحزما
أُطِيفُ برسمٍ ، أو أُلِمُّ بدِمْنَةٍ — أخالُ القصورَ الزُّهْرَ والغُرَفَ الشُّما
فما برحَتْ من خاطرى (مصرُ) ساعةً — ولا أنتِ فى ذى الدارِ زايَلْتِ لى هَمّا

---

١ — التليد : القديم . والطارف : الجديد —٢— البهم (بفتح الباء) : صغار الغنم —٣— مروان ولخم : قبيلتان عربيتان ، وهما من القبائل التى تولت السيادة فى بلاد الاندلس زمنا .

إذا جَنَّنِى الليلُ اهْتَزَزْتُ إليكما ... فجنحاً إلى سُعْدَى ، وجُنحاً إلى سَلْمى (١)
فلما بدا للناس صُبْحٌ من المُنَى ... وأبصرَ فيه ذو البصيرةِ والأعمى
وقرَّتْ سيوفُ الهندِ ، وارتكز القَنا ... وأقلعَتِ البَلْوَى ، وأقشعَتِ الغُمَّى
وحَنَّتْ نواقيسٌ ، ورَنَّتْ مآذنٌ ... ورَفَّتْ وجوهُ الأرضِ تَستقبلُ السلمى
أتى الدهرُ مِنْ دونِ الهناءِ ، ولم يَزَلْ ... وَلوعاً ببُنْيَانِ الرجاءِ إذا تَمَّا !
إذا جال فى الأعيادِ حَلَّ نظامَها ... أو العُرسِ أبْلَى فى معالمه هَدْما
لئن فاتَ ما أمَّلتِهِ من مواكبٍ ... فَدُونَكِ هذا الحشدَ والموكبَ الضَّخْما !
رثيْتُ به ذاتَ التُّقَى ونظمتُه ... لعنصره الأزكى وجوهرِهِ الأسمى
نَمَتكِ مَناجيبُ العُلا ونمَيْتِها ... فلم تُلْحَقِى بنتًا ولم تُسْبَقِى أُمَّا
وكنتِ إذا هٰذى السماءُ تخايلتْ ... تواضعْتِ ، لكنْ بعد ما فُتِّها نَجما
أتيْتِ به لم ينظم الشِّعرَ مثلُه ... وجئْتِ لأخلاقِ الكرامِ به نَظْما
ولو نهضَتْ عنه السماءُ ، ومَخَّضَتْ ... به الأرضُ كان المُزنَ والتبْرَ والكَرْما ! (٢)

١ـ الجنح (بضم الجيم وكسرها) : طائفة من الليـــل ـ٢ـ يريد انه يشبه المزن فى الكرم ، والتبر فى العرق والنفاسة ، والخمر فى السكر الذى يسكر الناس به من شعره .

الملك حسين(*)

لك فى الأَرض والسماءِ مآتمْ ... قام فيها أَبو الملائِكِ هاشمْ(١)
قعد الآلُ للعَزاءِ ، وقامتْ ... باكياتٍ على الحُسين الفَواطمِ(٢)

* * *

يا أَبا العِلْيَةِ البَهالِيلِ ، سَلْ آ ... باءكَ الزُّهْرَ : هل من الموتِ عاصم؟(٣)
المنايا نَوازلُ الشَّعَرِ الأَبـ ... يضِ ، جاراتُ كلِّ أَسودَ فاحم(٤)
ما الليالى إلا قِصارٌ ، ولا الدُّنـ ... يا سِوَى ما رأَيتَ أَحلام نائم
انْحِسارُ الشِّفاهِ عن سنٍّ جَذلا ... نَ وراءَ الكرى إلى سنٍّ نادمِ
سنةٌ أَفرحَتْ ، وأُخرى أَساءتْ ... لم يَدُم فى النعيم والكربِ حالم

* * *

المَناحاتُ فى مَمالِكِ أَبنا ... ئِكَ بَدْرِيَّةُ العزاءِ قوائم(٥)
تلك (بغدادُ) فى الدموعِ ، وعمّا ... نُ وراءَ السَّوادِ ، والشامُ واجم(٦)

(*) هو ملك الحجاز الحسين بن على ، زعيم الحركة العربية فى طلب تحرير أصقاع الجزيرة من حكم الاتراك ، وقد توفى سنة ١٩٣١ ودفن بالقدس الشريف .

١ــ ابو الملائك : اى ابو الملوك . وهاشم هو احد جدود النبى صلوات الله عليه ــ٢ــ الآل : آل البيت النبوى الشريف ، والمقصود هنا رجاله . والفواطم : يريد بهن نساء هذا البيت من ذرية السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزوج الامام على كرم الله وجهه ــ٣ــ علية (بكسر العين) : جمع على ، وهو الشريف العالى القدر من الناس . والبهاليل: جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير . والآباء الزهر : هم المشرقو الوجود ، المشابهون للنجوم الزهر فى صفاء اللون والتلألؤ والظهور . ٤ــ يقول : ان المنايا تنزل بالشيب كما تنزل بالشباب ، فليس هناك من عاصم منهن ــ٥ــ يشبه الحزن على الفقيد بالحزن على صرعى بدر ، اولى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ــ٦ــ بغداد : عاصمة العراق . والمراد بها القطر كله . وعمان : عاصمة الاردن ، كنى بها عن الاقليم جميعه . والشام : يقصد بها سوريا وما اليها من الأقاليم المحصورة بين تركيا وبلاد العرب ونهر الفرات والبحر المتوسط .

والحِجَازُ النبيلُ رَبْعٌ مُصَلٌّ ... من رُبوعِ الهُدى ، وآخرُ صائم(١)
واشتركنا ، فمِصرُ عَبْرَى ، ولبنا ... نُ سَكُوبُ العيونِ باكى الحمائم

* * *

قُمْ تأَمَّلْ بَنيك فى الشَّرق زَيْنُ التَّـــــاجِ ، مِلْءُ السَّريرِ ، نورُ العواصم(٢)
الزكيّون عُنْصُرًا مثل إبرا ... هيمَ ، والطيِّبون مثل القاسم(٣)
وعليهم إذا العيونُ رَمَتْهم ... عُوَذٌ من محمدٍ وتَمائم(٤)
قد بنَى اللهُ بيتَهم فهْوَ باقٍ ... ما بنى اللهُ ما له من هادِم
دبَّروا الملكَ فى العراقِ وفي الشا ... مِ ، فسَنّوا الهدى ، وردّوا المظالم
أَمِنَ الناسُ فى ذَراهم ، وطابت ... عربُ الأَرضِ تحتَهم والأَعاجم
وبَنَوْا دولةً وراءَ فِلَسْطِ ... ينَ ، كعابَ الهدى ، فتاةَ العزائم
سَاسَها بالأَناةِ أَرْوَعُ (كالدا ... خل) ، ماضى الجنانِ يقظانُ ، حازم(٥)
قُبْرُصُ كانت الحديدَ ، وقد تَنْـ ... ـزِل قُضبانَهُ اللُّيوثُ الضَّراغم(٦)
كَرِهَ الدَّهرُ أن يقومَ لِواءٌ ... تُحْشَر البيدُ تحتَه والعماعِم(٧)

* *

---

١ — الحجاز النبيل : يقصد الحجاز الذى بقى محافظا على عهده للفقيد والربع : الدار —٢— العواصم : جمع عاصمة ، وهى البلدان الكبيرة التى تقيم فيها الحكومات —٣— ابراهيم والقاسم : هما من اولاد النبى صلوات الله عليه —٤— عوذ : جمع عوذة ، وهى الرقية تحفظ من العين كالتميمة ، وجمع التميمــة : تمــائم —٥— الأناة : الرفق . ويريد « بالأروع » : الملك فيصل . يشبهه بالداخل ، وهو عبد الرحمن الداخل صقر قريش مؤسس دولة بنى امية فى الاندلس —٦— قبرص : جزيرة فى البحر الابيض المتوسط ، قضى فيها الملك حسين بقية عمره بعد ما اعتزل الملك، يشبهها امير الشعراء فى حالة اقامة الفقيد فيها بالقفص الحديد الذى يحبس فيه الاسد ، وصنع الاقفاص الحديدية لحبس الاسود مألوف لمنظمى الحدائق فى عصرنا هذا .
٧— العماعم : الجماعات المتفرقون .

قم تحدثْ (أبا علىٍّ) إلينا ... كيف غامرْتَ فى جِوار الأراقم ؟(١)
لم تُبالِ النُّيوبَ فى الهام خُشْنًا ... وتعلَّقْتَ بالحواشى النَّواعِم
هاتِ حَدِّثْ عن العَوانِ وصِفْها ... لا تُرَعْ فى التراب ، ما أنا لائم !(٢)
كلُّنا واردُ السَّرابِ ، وكلٌّ ... حمَلٌ فى وَليمَةِ الذئبِ طاعم(٣)
قد رجِزْنا من المغانم حَظًّا ... ووَرَدْنا الوَغَى ، فكُنَّا الغنائم

* * *

قد بَعثتَ التضحيّةَ اليومَ مَيْتًا ... رُبَّ عظمٍ أتى الأمورَ العظائم
أنتَ كالحقِّ ألَّف الناسَ يَقظا ... نَ ، وزادَ ائتلافَهم وهْوَ نائم
إنما الهِمَّةُ البعيدةُ غَرْسٌ ... مُتَأَنِّى الجَنَى ، بَطِىءُ الكمائم(٤)
ربّما غابَ عن يدٍ غَرَسَتْهُ ... وحَوَتْه على المدى يدُ قَادم
حبّذا موْقِفٌ غُلِبْتَ عليه ... لم يَقِفْهُ للعُربِ قبلك خادم
ذائدًا عن ممالكٍ وشعوبٍ ... نُقِلتْ فى الأكفِّ نقلَ الدراهم
كلُّ ماءٍ لهم ، وكلُّ سماءٍ ... مَوْطِىءُ الخيلِ ، أو مَطارُ القَشاعم(٥)
لِمَ لَمْ تَدْعُهم إلى الهمّةِ الشَّمـــاء والعلمِ والطِّماحِ المُزاحِم؟
وركوبِ اللُّجاجِ وهْىَ طَواغٍ ... والسمٰواتِ وهْىَ هُوجُ الشكائم؟(٦)

١- يشير الى انضمام الفقيد فى صف الحلفاء ضد تركيا فى اثنـــاء **الحرب** الكبرى ، وقد كان لهذا الانضمام اثره فى نهـــاية تلك الحـــرب . **٢- العوان** : الحرب ٣- كلنا فى وليمة الذئب طاعم : يريد كلنـــا مطعوم **ماكول لهذا** الذئب ٤- الجنى : الثمار . والكمـــائم : محـــل ما تنبت تلك **الثمار** ٥- القشاعم : النسور ، جمع قشعم . ويريد « بالنسور » الطيارين **الذين** يشبهون النسور ٦- يريد « بركوب السموات » : ركوب الطيارات **ويريد** بهوج الشكائم : اللجم ، أى اللجم الصعبة القياد .

وإلى القُطْب والجَليدُ عليه   والصّحارى وما بها من سَمائم؟(١)
اغسلوه بطيِّب من وَضوء الرُّســـــلِ ، كالوَرْدِ فى رُباه البواسم(٢)
وخذوا من وِسادِهم فى المُصَلَّى   رُقْعةً كَفِّنوا بها فرعَ هاشم
واستعيروا لِنعشِه من ذُرى المنـــــبرِ عودًا ، ومن شريفِ القوائم
واحملوه على البُراق إن اسْطَعْـــــتم ؛ فقد جَلَّ عن ظهور الرواسم(٣)
وأديروا إلى العتيق (حُسينًا)   يَبْتَهِلْ رُكنُه ، وتدعو الدعائم(٤)
واذكروا للأمير مكّةَ ، والقصـــــرَ ، وعهدَ الصفا ، وطِيبَ المواسم
ظَمِئَ الحُرُّ للدّيار ، وإن كا   ن على مَنهلٍ من الخلد دائم

* * *

نَقِّلوا النعشَ ساعةً فى رُبا الفتـــــح ، وطوفوا برَبِّهِ فى المعالم
وقِفوا ساعةً به فى ثَرى الأقـــــمار من قومِه وتُرْب الغمائم
وادفِنوه فى القُدس بين سُليما   ن وداودَ والملوكِ الأكارم
إنما القدسُ منزلُ الوَحْى ، مَغْنَى   كلِّ حَبْرٍ من الأوائل عالم
كُنِفَتْ بالغيوب ؛ فالأرضُ أسْرا   رُ مَدَى الدّهرِ ، والسماءُ طَلاسم
وتَحلَّتْ من البُراقِ بطُغرا   ءَ ، ومِن حافر البُراقِ بخاتم(٥)

١ــ السمائم : جمع سموم ، وهى الريح الحارة المحرقة ــ٢ــ الوضوء (بفتح الواو) : ما يتوضأ به ــ٣ــ الرواسم : الابل ، او الخيل ، او الركائب عامة ــ٤ــ العتيق : مسجد بيت المقدس حيث دفن الفقيد ــ٥ــ الطغراء : ما يكتب فى أول الكتاب . والبراق : هو ركوبة النبى صلوات الله عليه ليلة اسرى به .

يرثي أباه(*)

سألوني : لِمَ لَمْ أرْثِ أبي ؟ ورِثاءُ الأبِ دَيْنٌ أىُّ دَيْنْ
أيُّها اللُّوّامُ ، ما أظلمَكم ! أينَ لى العقلُ الذى يُسعِد أيْنْ؟(١)
يا أبي ، ما أنتَ فى ذا أوّلٌ كلُّ نفس للمنايا فرضُ عَيْن
هلكَتْ قبلك ناسٌ وقرَى ونَعى الناعون خيرَ الثقلين(٢)
غايةُ المرءِ وإن طالَ المدَى آخذٌ يأخذه بالأصغريْنَ(٣)
وطبيبٌ يَتولَّى عاجزًا نافضاً من طِبِّه خُفَّىْ حُنَين(٤)
إنّ للموتِ يدًا إن ضَرَبَتْ أوشكَتْ تصْدُع شملَ الفَرْقَدَيْن
تَنفُذ الجوَّ على عِقبانه وتلاقى الليثَ بين الجبلين
وتحطُّ الفرخَ من أيْكَته وتنال الببَّغا فى المئتين
أنا مَنْ مات ، ومَنْ مات أنا لقِى الموتَ كِلانا مَرّتين
نحن كنا مهجةً فى بدنٍ ثم صِرْنا مُهجةً فى بَدَنَيْن(٥)
ثم عُدنا مهجة فى بدنٍ ثم نُلقى جُثّةً فى كَفَنَيْن

(*) نظم هذه القصيدة حوالى سنة ١٨٩٧ يرثى بها والده الطيب الذكر المرحوم على بك شوقى رحمه الله .

١ـ يسعد : يعين ـ٢ـ الثقلان : الانس والجن . وخير الثقلين ، هو سيدنا محمد صلوات الله عليه ـ٣ـ الاصغران : القلب واللسان ـ٤ـ خفى حنين : مثل عربى يضرب عند اليأس من الحاجة المطلوبة والرجوع عن الطلب بالخيبة ـ٥ـ المهجة : الدم ، وقد يعبر بها عن الروح ، يقال : خرجت مهجته ، أى روحه .

ثم نَحيا فى (علىٍّ) بعدَنا ... وبه نُبْعَثُ أُولَى البَعْثتين(١)
انظر الكونَ وقُلْ فى وصفِهِ ... كلُّ هذا أصلُه من أبوين
فإذا ما قيل : ما أصلُهما ؟ ... قل : هما الرحمةُ فى مَرْحَمتين
فقدَا الجنةَ فى إيجادِنا ... ونَعِمْنا منهما فى جَنّتين
وهما العذرُ إذا ما أغضِبَا ... وهما الصّفحُ لنا مُسْتَرْضَيَيْن
ليتَ شِعرى أىُّ حىٍّ لم يَدِن ... بالذى دَانا به مُبتدِئَيْن ؟
وقفَ اللهُ بنا حيثُ هُما ... وأماتَ الرُّسْلَ إلّا الوالدين(٢)
ما أبِى إلّا أخٌ فارَقْتُه ... وُدُّه الصِّدقُ ، وودُّ الناسِ مَيْن(٣)
طالما قُمنا إلى مائدةٍ ... كانت الكِسْرةُ فيها كِسْرتَيْن
وشَربنا من إناءٍ واحدٍ ... وغَسلنا بعدَ ذا فيه اليدَيْن
وتمشَّيْنا يَدى فى يدِهِ ... مَن رآنا قال عنا : أخوَيْن
نظرَ الدهرُ إلينا نظرةً ... سَوَّت الشرَّ فكانت نظرتين
يا أبِى والموتُ كأْسٌ مُرّةٌ ... لا تذوقُ النفسُ منها مَرّتين
كيف كانت ساعةٌ قضّيْتها ... كلُّ شىءٍ قبلَها أو بعدُ هَيْن ؟
أشرِبْتَ الموت فيها جُرعةً ... أم شرِبْتَ الموتَ فيها جُرعتين ؟

١ــ على : هو احد نجلى امير الشعراء ــ٢ــ يريد فى هذا البيت ان يقرر ان الابوة ضرب من ضروب الرسالة التى لم تنقطع كما انقطعت رسالة الانبياء ، وانما هى ستظل قائمة بوظيفتها من طبع الابناء على غرار الآباء ، مصداقا للاثر القائل : ما من مولود الا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ــ٣ــ المين : الكذب . وفى هذا البيت على سهولة ادائه اعظم الوان المدائح لوالده ، فان الوالد الذى لا يشعر ابنه بسلطة الاب ، هو الوالد المشتمل على جميع مكارم الاخلاق ، البالغ اعلى درجات الحكمة .

لا تَخَفْ بعدَكَ حُزناً أو بُكَا   جَمدَتْ مِنّى ومنكَ اليومَ عَيْن
أنتَ قد علمتنى تَرْكَ الأَسى   كلُّ زَيْنٍ مُنتهاه الموتُ شَيْن
ليت شعرى : هل لنا أن نلتقى   مَرّةً ، أم ذا افتراقُ المَلَوَين؟(١)
وإذا متُّ وأُودعتُ الثرى   أنلقَى حُفرةً أم حُفْرتين ؟

١ـ الملوان : الليل والنهار ، الواحد منهما ملا .

مصطفى كامل باشا(*)

المشرقانِ عليكَ يَنتحِبان قاصيهما فى مأتَمٍ والدّانى
يا خادِمَ الإسلامِ ، أجرُ مُجاهِدٍ فى اللهِ من خُلْدٍ ومِنْ رِضْوانِ
لما نُعيتَ إلى الحجازِ مشَى الأسَى فى الزائرينَ ورُوِّعَ الحَرَمانِ(١)
السِّكةُ الكُبرى حِيالَ رُباهُما مَنكوسةُ الأعلامِ والقُضْبانِ(٢)
لم تَأْلُها عندَ الشدائدِ خِدمةً فى اللهِ والمختارِ والسلطانِ
يا ليتَ مكةَ والمدينةَ فازتا فى المحفِلَيْنِ بصوتِكَ الرَّنّانِ
ليرى الأواخرُ يومَ ذاكَ ويسمعوا ما غابَ من قُسٍّ ومِن سَحْبانِ(٣)
جارَ التُّرابِ وأنتَ أكرمُ راحلٍ ماذا لَقِيتَ من الوجودِ الفاني؟
أبكِي صِباكَ ، ولا أعاتبُ مَنْ جَنَى هذا عليه كرامةً للجانى
يتساءلون :أبِـ(السُّلالِ)قضيْت ، أم بالقلبِ ، أم هل مُتَّ بالسَّرَطانِ؟
اللهُ يَشهد أنّ موتَك بالحِجا والجدِّ والإقدامِ والعِرفانِ
إن كانَ للأخلاقِ ركنٌ قائمٌ فى هذه الدنيا ؛ فأنتَ البانى
باللهِ فَتِّشْ عن فؤادِك فى الثّرى هل فيه آمالٌ وفيه أمانى ؟
وِجْدانُك الحىُّ المُقيمُ على المَدى ولرُبَّ حَيٍّ مَيِّتِ الوِجْدانِ
الناسُ جارٍ فى الحياةِ لغايةٍ ومُضلَّلٌ يَجرى بغيرِ عِنانِ

(*) هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطنى ، وقد توفى سنة ١٩٠٨ .

١ ــ الحرمان : حرما مكة والمدينة ــ٢ــ السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز ، وقد كان الفقيد أعظم الدعاة المجاهدين فى سبيل انشائها .

٣ــ قس وسحبان : خطيبان عربيان يضرب بهما المثل فى الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة .

والخُلْدُ فى الدنيا – وليس بهيِّنٍ – عُليا المراتبِ لم تُتَحْ لجبان
فلو أن رُسُلَ اللهِ قد جَبَنُوا لمّا ماتوا على دينٍ من الأديان
المجدُ والشّرفُ الرفيعُ صحيفةٌ جُعِلتْ لها الأخلاقُ كالعنوان
وأَحَبُّ مِن طولِ الحياةِ بذِلَّةٍ قِصَرٌ يُريكَ تقاصُرَ الأقران
دَقّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له : إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانى
فارفعْ لنفسِك بعدَ موتِكَ ذِكرَها فالذِكرُ للإنسانِ عُمرٌ ثانى
للمرءِ فى الدنيا وجَمِّ شئونِها ما شاء مِنْ رِبحٍ ومِنْ خُسران
فَهِى الفضاءُ لراغبٍ مُتطلّعٍ وهى المَضِيقُ لِمُؤْثِرِ السُّلْوان
الناسُ غادٍ فى الشّقاءِ ورائحٌ يَشْقى له الرُّحَماءُ وهْوَ الهانى
ومُنعَّمٌ لم يلقَ إلاّ لذّةً فى طيِّها شجَنٌ من الأشجان
فاصبر على نُعْمى الحياةِ وبُؤْسِها نُعْمى الحياةِ وبُؤْسُها سِيّان(١)
ياطاهرَ الغَدَواتِ ، والرَّوحاتِ ، وال خطراتِ ، والإسرارِ ، والإعْلان
هل قامَ قبلكَ فى المدائنِ فاتحٌ غازٍ بغيرِ مُهنَّدٍ وسِنان ؟
يدعو إلى العِلْمِ الشريفِ ، وعندَه أن العلومَ دعائمُ العُمران ؟
لفُّوكَ فى عَلَمِ البلادِ مُنكَّسًا جَزِعَ الهِلالُ على فَتى الفتيان
ما احْمَرَّ مِنْ خجَلٍ ، ولا مِن ريبةٍ لكنّما يَبكى بدمعٍ قانى(٢)
يُزْجُون نعشَكَ فى السَّناءِ وفى السَّنا فكأنّما فى نعشِكَ القمران
وكأنّه نعشُ الحُسينِ « بكربلا » يختالُ بين بُكاً ، وبينَ حَنان
فى ذِمّةِ اللهِ الكريمِ وبِرِّهِ ما ضمَّ مِن عُرْفٍ ومِن إحسان

---

١ – سيان : مثلان ، الواحد سِى   ٢ – قانى : احمر .

ومَشَى جلالُ الموتِ وهْوَ حقيقةٌ ... وجلالُك المصدوقُ يلتقيان
شَقّتْ لِمَنظرِك الجيوبَ عقائلٌ ... وبَكَتْكَ بالدّمع الهَتُونِ غوانى(١)
والخلقُ حولَك خاشعون كعهدِهم ... إذ يُنصِتُون لخطبةٍ وبَيان
يتساءلون : بأىِّ قلبٍ تُرْتَقَى ... بعدُ المنابرُ ، أم بأىِّ لسان ؟
لو أنّ أوطاناً تُصوَّرُ هَيْكَلا ... دفنوك بينَ جوانحِ الأوطان
أو كان يُحمَل فى الجوارح ميّتٌ ... حملوك فى الأسماع والأجفان
أو صِيغَ من غُرِّ الفضائلِ والعُلا ... كفنٌ لَبِستَ أحاسنَ الأكفان
أو كان للذكر الحكيمِ بقيةٌ ... لم تَأْتِ بعدُ ، رُثِيتَ فى القرآن
ولقد نظرتُك والرَّدَى بك مُحْدِقٌ ... والداءُ مِلْءُ معالمِ الجُثمان
يَبْغِى ويطْغَى ، والطبيب مُضلَّلٌ ... قَنِطٌ ، وساعاتُ الرَّحيل دَوانى
ونواظرُ العُوّادِ عنكَ أمالَها ... دمعٌ تُعالِج كتْمَهُ وتُعانى
تُمْلِى وتَكتُبُ والمشاغِل جَمَّةٌ ... ويَداك فى القِرطاسِ ترتجفان
فهشَشْتَ لِى ، حتى كأنّك عائدى ... وأنا الذى هَدَّ السَّقامُ كِيانى
ورأيتُ كيف تموتُ آسادُ الشَّرَى ... وعرفتُ كيف مصارعُ الشُّجعان(٢)
ووَجَدْتُ فى ذاك الخيالِ عزائماً ... ما للمَنونِ بدَكِّهنَّ يَدان
وجَعلْتَ تسألُنى الرِّثاءَ ، فهاكه ... من أدمُعى وسرائرى وجَنانى
لولا مُغالبةُ الشُّجونِ لخاطرى ... لنظمتُ فيكَ يَتيمةَ الأزمان
وأنا الذى أرثِى الشموسَ إذا هَوَتْ ... فتعودُ سِيرتُها إلى الدَّوَران
قد كنتَ تهتفُ فى الورى بقصائدى ... وتُجِلُّ فوق النيِّراتِ مكانى

---

١ ـ العقائل : جمع عقيلة وهى من كل شىء كريمته . والهتون : من هتن الدمع ، اذا قطر والفوانى جمع غانية ، وهى الفتاة تغنى بجمالها عن الحلى ـ٢ـ آساد : جمع اسد . والشرى : طريق فى جبل سلمى كثيرة الاسد .

مَاذَا دَهانِي يومَ بِنْتَ فَعَقَّنِي ... فيكَ القريضُ ، وخانني إمكاني؟
هوِّنْ عليكَ ، فلا شِماتَ بميِّتٍ ... إنّ المنيَّة غايةُ الإنسان
مَنْ للحسودِ بميْتةٍ بُلِّغْتَها ... عَزَّتْ على (كِسْرَى) أنوشِرْوان؟
عُوفِيتَ من حَرَبِ الحياةِ وحَرْبِها ... فهل استرحْت أم استراح الشانى؟(١)
ياصَبَّ مِصْرَ ، وياشهيدَ غرامِها ... هذا ثرَى مِصْرٍ ، فنَمْ بأمان
اخلَعْ على مصرٍ شبابَك عالياً ... والبِسْ شَبابَ الحُورِ والوِلْدان
فلعلَّ مصرًا من شبابِكَ تَرْتدِي ... مجدًا تَتيهُ به على البُلدان
فلَوَ انّ بالهَرَمَيْنِ من عَزَماتِه ... بعضَ المَضَاء تحرّك الهَرمان
علّمْتَ شُبانَ المدائنِ والقُرى ... كيف الحياةُ تكونُ فى الشبان
مصرُ الأَسيفةُ ريفُها وصعيدُها ... قبرٌ أبرُّ على عظامِك حانى
أقسمْتُ أنك فى الترابِ طهارةٌ ... مَلَكٌ يَهابُ سؤالَه الملَكان

---

١ — حربه (كطلبه) : سلبه ماله ، والشانى : المبغض .

حسن بك أنور(*)

تُسائِلنى (كرْمَتِى) بالنهار وبالليل : أين سَميرِى (حَسَنْ) ؟(١)
وأين النديمُ الشهِىُّ الحديثِ ؟ وأين الطَّروبُ اللطيفُ الأُذن ؟
نَجِىُّ البلابِل فى عُشِّها ومُلْهِمُها صِبْيَةً فى الفَنَن ؟
فقلتُ لها : ماتَ ، واستشعَرت ليالِى السرورِ عليه الحَزَن
لَئِنْ ناءَ من سِمَنٍ جسمُه فما عَرفت رُوحُه ما السِّمَن
وما هو مَيْتٌ ، ولكنه بشاشةُ دهرٍ محاها الزمن
ومَعْنًى خلا القولُ من لفظِه وحُلمٌ تَطَايَر عنه الوَسَن(٢)

* * *

ولا يَذكرُ المعهدُ الشرقُّ (لأنورَ) إلا جليلَ المِنَن
وما كان من صَبره فى الصِّعابِ وما كان من عَوْنِه فى المِحَن
وخِدمة فنٍّ يُداوِى القلوبَ ويَشفِى النفوسَ ، ويُذْكِى الفِطَن
وما كان فيه الدَّعِىَّ الدخيلَ ولكنْ مِن الفنِّ كان الرُّكُن(٣)

* * *

ولوأنصف الصحبُ يومَ الوَداعِ دُفِنْتَ (كإسحاقَ) لمّا دُفِن
فغُيِّبْتَ فى المِسْكِ ، لا فى التراب وأُدرِجْتَ فى الوَرْدِ ، لا فى الكَفَن
وخُطَّ لك القبرُ فى رَوْضَةٍ يَميلُ على الغُصْنِ فيها الغُصُن

(*) المرحوم حسن بك انور : احد الاعضاء المؤسسين لنادى الموسيقى الشرقى ، وكان من الاصدقاء المقربين لامير الشعراء ، وقد توفى سنة ١٩٣٠

١ـ كان يطلق على دار امير الشعراء كرمة ابن هانىء ـ٢ـ الوسن : النعاس ـ٣ـ الركن : الركن ، وقد حركت الكاف من أجل الشعر . والركن من كل شىء : جانبه الاشد والاقوى .

ويَنتحِبُ الطيرُ فى ظلِّها ويَخلَعُ فيها النسيمُ الرَّسَن(١)
وقامت على العود أوتارُه تُعيد الحنينَ ، وتُبدى الشَّجَن
وطارحَكَ (الناىُ) شَجْوَ النُّوَاحِ وكنتَ تَئِنُّ إذا الناىُ أنْ
ومال فناحَ عليكَ (الكَمانُ) وأظهر من بَثِّه ما كَمَن

* * *

سلامٌ عليكَ سلامُ الرُّبا إذا نَفَحَتْ ، والغوادى الهُتُن
سلامٌ على جِيرةٍ بالإمام ورَهْطٍ بصحرائه مُرْتَهَن
سلامٌ على حُفَرٍ كالقباب وأخرى ، كمُندرِساتِ الدِّمَن(٢)
وجَمْعٍ تـآلفَ بعدَ الخلافِ وصافَى وصُوفِىَ بعد الضَّغَن
سلامٌ على كلِّ طَوْدٍ هُناك له حَجَرٌ فى بناءِ الوطن

١ـ الرسن : الحبل . ويقال : رسن الفرس : شده بالرسن .
٢ـ الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الديار .

أم المحسنين(*)

أَخَذَتْ نعشَكِ مصرٌ باليمينْ   وحَوَته مِن يد الرُّوحِ الأَمينْ(١)
لَقِيَتْ طُهْرَ بَقاياكِ كما   لَقِيَتْ (يَثْرِبُ) أُمَّ المؤمنين
فى سَوادَيْهَا ، وفى أحشائها   ووراءَ النَّحْرِ مِن حَبلِ الوَتِين(٢)

* * *

خرَجَتْ من قصرِكِ الباكى ، إلى   رَمْلَةِ الثَّغر ، إلى القصرِ الحزين
أَخذَتْ بينَ اليتامى مَذهبًا   ومَشتْ فى عَبَراتِ البائسين
ورَمتْ طَرْفاً إلى البحرِ ترى   مِن وراءِ الدَّمعِ أسرابَ السفين
فبَدَتْ جاريةٌ فى حِضْنِها   فَنَنُ الوَرْدِ وفرعُ الياسَمين(٣)
وعلى جُؤْجُئِهَا نورُ الهدى   وعلى سُكَّانها نورُ اليقين(٤)
حَملَتْ من شاطِئَىْ (مَرْمَرَةٍ)   جوهرَ السُّؤددِ والكنزَ الثمين(٥)
وطَوَتْ بحرًا ببحرٍ ، وجَرَت   فى الأُجاجِ المِلْحِ بالعَذْبِ المَعين
واستقلَّتْ دُرَّةً كانت سَنًى   وسناءً فى جِباه المالكين(٦)

(*) أم المحسنين : هى والدة سمو الخديو عباس باشا الثانى ، وقد توفيت بالآستانة سنة ١٩٣١ .

١ــ اخذت نعشك مصر باليمين : تعبير مقصود به القول ان مصر كلها اظهرت اهتماما وعناية كبيرين فى استقبال نعش الفقيدة . اما الشطر الثانى من البيت فهو كناية عن ان النعش كان يحوى ذخيرة من الذخائر المقدسة، ومن اجل ذلك قام جبريل امين الملائكة بحراسته حتى يسلم هذه الذخيرة لقومها يدا بيد ــ٢ــ النحر : موضع القلادة من الصدر . والوتين : عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه ــ٣ــ جارية : سفينة ، وفى القرآن الكريم : « وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام » ــ٤ــ جؤجؤ السفينة : مقدمها . وسكانها : مؤخرها ــ٥ــ مرمرة : بحر فى بلاد الترك . يقول : ان هذه السفينة لم تحمل من شاطىء تلك البلاد نعش ميتة ، وانما حملت خلاصة السؤدد وجوهر الكنز الثمين ــ٦ــ السنى ، بالقصر : الضوء ، وبالمد : الرفعة .

ذهَبَتْ عن عِلْيَةٍ صِيدٍ ، وعن   خُرَّدٍ من خَفِرات البيتِ عِين
والتَّقِيّاتُ بناتُ المُتَّقِى   والآمِيناتُ بُنَيَّاتُ الأَمين
لَبِسَتْ فى مَطْلَعِ العِزِّ الضُّحى   ونَضَتْهُ كالشموس الآفلين(١)
يَدُها بانيةٌ غارِسةٌ   كيَدِ الشمسِ وإن غاب الجبين

* * *

رَبّة العَرْشَيْنِ فى دولتها   قد رَكِبْتِ اليومَ عرشَ العالَمين
أَضْجعَتْ قبلَكِ فيه (مريمٌ)   وتَوارَى بنِساءِ المُرسَلين
إنه رَحْلُ الأَوائِلِ شَدَّهُ   لهمُ آدَمُ رُسْلِ الآخِرين

* * *

اِخْلَعِى الأَلقابَ إلا لقباً   عَبقريًّا ، هو (أُمُّ المحسنين)
ودَعِى المالَ يَسِرْ سُنَّتَه   يَمْضِ عن قومٍ لأَيدى آخرين
واقْذِفِى بالهمّ فى وَجه الثَّرى   واطرحى منْ حالِقٍ عِبْءَ السنين(٢)
واسخرى من شانِئٍ أَو شامتٍ   ليس بالمخطِىءِ يومُ الشامِتين
وتعزّى عن عوادى دولةٍ   لم تَدُمْ فى وَلَدٍ أَو فى قَرين
وازهدِى فى موكبٍ لو شِئتِه   لتغطّى وجهُها بالدارعين(٣)
ما الذى رَدَّ على أَصحابه ؟   ليس يُحيِى مَوكبُ الدَّفنِ الدفين
رُبَّ محمولٍ على المِدفع ما   مَنَعَ الحَوْضَ ، ولا حاط العَرين(٤)
باطلٌ من أُممٍ مَخدوعةٍ   يَتَحدَّوْنَ به الحقَّ المبين

* * *

---

١ ـ نضته : خلعته . والآفلين : جمع آفل . والافول للشموس : المغيب .
٢ـ حالق الجبل : اعلاه ؛ كأنه يقول : أن الموت ارتفاع عظيم ـ٣ـ الدارعين : جمع دارع ، اى لابس الدرع ـ٤ـ العرين : مأوى الاسد . يقول : كثير ممن تحمل نعوشهم فوق المدافع لم يدافعوا عن الحق ، ولم يمنعوا العدوان عن الحمى ، فمادام هذا المظهر قد يناله فى الدنيا غير مستحقه ، فهو اذن ليس بذى خطر ، وليس بالذى يعتز به حقيقة .

فى (فَروقٍ) ورُباها مأْتمٌ   ذرَفَتْ آماقَها فيه العيون
قام فيها ، من عَقيلات الحِمى   مَلأٌ بُدِّلْنَ مِنْ عِزٍّ بِهُون
أسَرٌ مالت بها الدنيا ، فلم   تَلْقَ إلا عندكِ الركنَ الركين
قد خلا (بيبكُ) من حاتمه   ومن الكاسِين فيه الطاعمين(١)
طارت النعمةُ عن أَيْكَتِهِ   وانقضى ما كان من خَفضٍ ولِين
اليتامى نُوَّحٌ ناحيةً   والمساكينُ يَمُدُّون الرَّنين
دولةٌ مالتْ ، وسُلطانٌ خلا   دُووِلَتْ نُعماهُ بينَ الأقربين
مُنهضُ الشرقِ (عَلِيٌّ) لم يزل   من بنيه سيِّدٌ فى (عابِدين)
يُصلِحُ اللهُ به ما أفسدَتْ   فَتَرَاتُ الدهر من دُنيا ودين
أُمُّ عبَّاسٍ ، ومالِي لم أَقُلْ :   أُمُّ مصرٍ من بناتٍ وبنين ؟
كنتِ كالورد لهم ، واستقبلوا   دولةَ الرَّيْحانِ حيناً بعدَ حِين
فيقال : الأُمُّ فى موكبها   ويُقالُ : الحرَمُ العالى المصون(٢)

* * *

(العفيفىُّ) عفافٌ وهُدًى   (كالبَقِيعِ) الطُّهْرِ ضَمَّ الطاهرين(٣)
ادخلى الجنّةَ من رَوْضَتِه   إنَّ فيها غرفةً للصابرين

---

١ ـ بيبك : قصر الفقيدة فى الآستانة ، كان مصيفها كل عام . وحاتم : اسم رجل يضرب به المثل فى الكرم البالغ ، فيقال : كرم حاتمى . وقد اشتهرت الفقيدة بالكرم ، ومن أجل ذلك قيل لها أم المحسنين ـ٢ـ يشير هذا البيت الى ان الفقيدة العظيمة كانت أم خديو وزوجة خديو .
٣ـ العفيفى : علم على الموضع الذى أقيم فيه مدفن الفقيدة بجوار مدفن قرينها .

الدكتور احمد فؤاد(*)

أَوْحَتْ لطَرْفِكَ فاستهلَّ شُئُونا دارٌ مَرَرْتَ بها على (قَيْسونا)(١)
غاضَت بشاشتُها ، وفَضَّتْ شملَها دنيا تَغُرُّ السادِرَ المفتونا
نزَلَتْ عَوادِى الدهرِ فى ساحاتِها وأَقلَّ رَفْرَفها الخطوبَ العُونا(٢)
فتكادُ مِنْ أَسَفٍ على آسِى الحِمَى من كلِّ ناحيةٍ تَثور شُجونا
تلك (العيادةُ) لم تكن عَبَثًا ، ولا شَرَكًا لصَيْدِ مَآربٍ وكَمينا
دارُ (ابنِ سِينَا) نُزِّهَتْ حُجُراتُها عن أن تَضُمَّ ضَلالةً ومُجونا(٣)
خَبَتِ المطالعُ مِنْ أَغرَّ مُؤَمَّلٍ كالفجر ثَغْرًا ، والصباحِ جَبينا(٤)
ومِنَ الوُفودِ ، كأنهم مِنْ حَوْلِه مَرْضَى (بعيسى الروحِ) يَستشفونا
مَثَلٌ تَصوَّر من حياةٍ حرةٍ للنشْءِ يَنطِق فى السكوت مُبينا
لم تُحْصَ من عهدِ الصِّبا حَرَكاتُه وتَخالُهنَّ من الخُشوع سُكونا

* * *

جَمَحَتْ جِراحُ المُعْوِزين ، وأَعضلَتْ أَدْواؤُهم ، وتَغَيَّبَ الشافونا(٥)

(*) كان الدكتور احمد فؤاد مثالا نادرا من امثلة حسن الخلق ، ونابغة من نوابغ الطب المعدودين ، وقد توفى سنة ١٩٣١ .

١ـ قيسون : علم على مسجد بهذا الاسم فى شارع محمد على بالقاهرة كانت دار الفقيد قريبة منه ، والشئون : الدموع . يقول : ان المرور على هذه الدار يجعل العين تفيض دمعا ، حزنا لما أصاب تلك الدار من الخمول بعد النباهة ، والسكون بعد الحركة ، والوجوم بعد الطلاقة والسرور ، وهذا لفقد صاحبها طبعا ـ٢ـ أقل : حمل . والرفوف : شىء مثل الطاق يجعل عليه طرائف البيت . والعون : جمع عوان . والخطوب العون : أى التى نزلت مرة قبل هذه . يريد ان هذه الدار قد عرفت عوائق الدهر وخطوبه قبل هذا الخطب الاخير الذى حل بها ـ٣ـ يشبه الفقيد فى الطب والامانة للعلم بابن سينا ـ٤ـ خبت المطالع : انطفأ نورها ـ٥ـ أدواء : جمع داء .

ماتَ الجوادُ بطِبِّه وبأجره ... ولربَّما بذلَ الدواءَ مُعينا
وتَجُسُّ راحتُه العليلَ ، وتارةً ... تكسو الفقيرَ ، وتُطعِم المِسكينا
أدّى أمانةَ علمِه ، ولطالَما ... حَملَ الصداقةَ وافياً وأمينا
وقضى حقوقَ الأهلِ ، يُحسِن تارةً ... بأبيه ، أو يَصِل القرابة حينا
خُلقٌ ودينٌ في زمانٍ لا نرى ... خُلقًا عليه ولا تُصادِف دينا

* * *

أمُداوىَ الأرواحِ قبل جُسومِها ... قُمْ داوِ فيك فؤادىَ المحزونا
روحٌ بلفظك كلُّ رُوحٍ مُعذَّبٍ ... حَيرانَ طار بلُبِّه الناعونا
قد كال للقدَر العِتابَ ، ورُبَّما ... ظنَّ المُدَلَّهُ بالقضاءِ ظُنونا(١)
داوَيْتَ كلَّ مُحطَّمٍ فشفَيْتَهُ ... ونسِيتَ داءً في الضلوع دَفينا
كبدٌ على دَمِها اتَّكأَتْ ولحْمِها ... فحَمَلْتَ همَّ المسلمين سِنينا
ظلَّتْ وراءَ الحربِ تَشقَى بالنَّوَى ... وتَذوب للوطن الكريمِ حنينا

* * *

ناصرتَ في فجر القضيَّةِ (مصطفى) ... فنَصَرْتَ خُلْقًا في الشَّباب مَتينا(٢)
أقدمْتَ في العشرين تحتَ لوائِه ... وروائعُ الإقدامِ في العشرينا
لم تَبغِ دُنيا طالما أغضَى لها ... حُمْسُ الدّعاةِ وطَأطَئُوا العِرنينا(٣)

* *

رُحْمَاكَ (يوسفُ) قِفْ رِكَابَكَ ساعةً ... واعطِف على يعقوبَ فيه حزينا(٤)

١ـ المدله : الذى ذهب فؤاده من هم وعشق ونحوه ـ٢ـ يشير الى انه كان من الانصار الكبار للزعيم مصطفى كامل باشا ـ٣ـ حمس : جمع حمس ، بكسر الميم ، أو احمس : وهو الصلب فى القتال والعقيدة ، والحمس لقب لقريش ، ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم والتجائهم للحمساء ، اى الكعبة . والعرنين : الانف ـ٤ـ يشبه الفقيد بسيدنا يوسف الصديق ، لمويد لتشبيه ابيه بسيدنا يعقوب فى صبره على فراق ابنه ومحنته .

لم يَدْرِ خلفَ النعشِ من حَرِّ الجَوى أَيَشُقُّ جَيْبًا ، أم يَشُقُّ وَتينا ؟(١)
ساروا بمُهجتِه ، فحُمِّلَ ثُكْلَها وقَضَوْا بعائله ، فمالَ غَبينا(٢)
أتعودُ فى رَكْبِ الربيعِ إذا أنثنى بَهجًا يَزُفُّ الوردَ والنِّسرينا ؟
هيهات من سَفرِ المنيَّة أَوْبةٌ حتى يُهيبَ الصُّبحُ بالسارينا
ويقالُ للأرض الفضاء : تمخَّضِى فتردّ شيخاً أو تمجّ جنينا

* * *

اللهُ أبقَى ! أين مِنْ جَسدى يدٌ لم أنْسَ رِفقَ بَنانِها واللِّينا ؟(٣)
حتى تَمَثَّلَتِ العِنايةُ صورةً تُومِى براحٍ ، أو تُجِيلُ عيونا
فجرَرتُ جُثمانى ، وهانت كُربةٌ لولا اعتِناؤكَ لم تكن لِتهونا
إنَّ الشفاءَ من الحياةِ وعونِها ما كان آسٍ بالشفاء ضَمينا
واليومَ أرْتجِلُ الرِّثاء ، وأنزَوِى فى مأتمٍ أبكى مع الباكينا
سبحانَ من يرِثُ الطبيبَ وَطِبَّه ويُرِى المريضَ مصارعَ الآسينا !!(٤)

١ــ الوتين : عرق فى القلب اذا قطع مات صاحبه ــ٢ــ المهجة : تطلق على الدم وعلى الروح ، يقال : خرجت مهجته ، اى روحه ــ٣ــ يشير : الى أن الفقيد كان أحد أطبائه الذين تمثلت عناية الله به فى عنايتهم بعلاجه واعتنائهم بشفائه ــ٤ــ الآسينا : جمع آسى ، وهو الطبيب .

نجل امام اليمن (*)

مضى الدهرُ بابن إمامِ اليَمَنْ وأوْدَى بزينِ شبابِ الزمنْ
وباتَت بصنعاءَ تبكى السيوفُ عليه ، وتبكى القنا فى عدن(١)
وأعْوَلَ نجدٌ ، وضجَّ الحجازُ ومالَ الحُسينُ ، فعزَّ الحَسن
وغَصَّتْ مَناحاتُه فى الخيام وغَصَّتْ مآتمُه فى المُدُن
ولو أنّ مَيْتاً مَشى للعزاء مشى فى مآتمه ذو يَزن(٢)
فتًى كاسمِهِ كان سيفَ الإلٰه وسيفَ الرسولِ ، وسيفَ الوطن
ولُقِّبَ بالبدْرِ من حُسنه وما البدرُ؟ ما قدرُه ؟ وابنُ مَنْ؟

* * *

عزاءً جميلاً إمامَ الحِمَى وهوِّنْ جَليلَ الرزايا يهُن
وأنتَ المُعانُ بإيمانه وظنُّك فى الله ظنٌّ حسن
ولكن متى رقَّ قلبُ القضاء ؟ ومن أيْن لِلموتِ عقلٌ يَزِنْ ؟
يجامِلُك العربُ النازحون وما العربيّةُ إلا وطن
ويجمَعُ قومكَ بالمسلمين عظيمُ الفروضِ وسمْحُ السُّنَن
وأنّ نبيَّهُمُ واحدٌ نبيُّ الصوابِ ، نبيُّ اللَّسَن
ومصرُ التى تجمع المسلمين كما اجتمعوا فى ظلال الرُّكُن(٣)

(*) هو الامير سيف نجل الامام يحيى ، وقد توفى غرقا وهو يحاول انقاذ رفيق له من الغرق سنة ١٩٣٣ .

١ — صنعاء : حاضرة اليمن . عدن : احدى الموانى هناك ، وهى على خليج عدن المشهور —٢— ذو يزن : احد اقيال اليمن الأقدمين ، ولشجاعة هذا الملك فى استرداد عرش أبيه واجداده اضيفت اليه اساطير كثيرة .
٣— يريد بالركن : الكعبة .

تُعزّى اليَمانِيينَ فى سَيفِهم ونأخذ حِصّتَها فى الحَزَن
وتَقعُد فى مأتم ابنِ الإمامِ وتبكيه بالعبَرات الهُتُن
وتَنْشُر ريْحانَتَىْ زَنْبَقٍ من الشِّعرِ فى رَبَواتِ اليمن
تَرِفّانِ فوقَ رُفاتِ الفقيدِ رفيفَ الجنى فى أعالى الغُصُن
قَضَى واجبًا ، فقضَى دونَه فتىً خالص السر ، صافى العَلَن
تطوَّحَ فى لُجَجٍ كالجبال عِراضِ الأَواسِى طِوالِ القُنَن(١)
مَشَى مِشْيَةَ اللَّيْثِ ، لافى السلاح ولا فى الدُّروع . ولا فى الجُنَن(٢)

* * *

متى صِرتَ يابحرُ غمدَ السيوفِ وكنا عَهدناك غِمدَ السُّفن ؟
وكنتَ صِوانَ الجُمانِ الكريمِ فكيف أُزِيلَ ؟ ولِمْ لَمْ يُصَن؟
ظَفِرْتَ بجوهرةٍ فَذّةٍ من الشرف العبقرىِّ اليُمُن
فتًى بذَلَ الروحَ دونَ الرِّفاق إليكَ ، وأعطى الترابَ البَدن
وهانتْ عليه مَلاهِى الشبابِ ولولا حقوقُ العُلا لم تَهُن
وخاضَك يُنقِذُ أترابَه وكان القضاءُ له قد كَمَن
غدرْتَ فتًى ليس فى الغادرين وخُنْتَ امرأً وافيًا لم يَخُن
وما فى الشجاعةِ حَتْفُ الشجاعِ ولا مَدَّ عمرَ الجبان الجُبُن
ولكن إذا حانَ حَيْنُ الفتى قَضَى ، ويَعيش إذا لم يَحِن(٣)

* * *

ألا أيُّهذا الشريفُ الرَّضِىُّ أَبو السُّجَر الرِّماحِ اللُّدُن

١ــ القنن : جمع قنة ، وهى راس الجبل . والاواسى من البناء : الدعائم ــ٢ــ الجنن : جمع جنة ، بالضم ، وهى ما استترت به من سلاح ودروع ونحو ذلك ــ٣ــ الحين : الاجل .

شهيدُ المُروءةِ كان البَقيعُ ... أَحقَّ به من تراب اليمن
فهل غَسَّلوه بدمعِ العُفاةِ ... وفى كلِّ قلبٍ حزينٍ سكن ؟
لقد أغرَقَ ابنكَ صرْفُ الزمانِ ... واغرقْتَ أَبناءه بالمِنن
أتذكر إذ هو يَطوِى الشهورَ ... وإذ هو كالخِشْفِ (حُلْوٌ) أغنّ ؟(١)
وإذ هو حولَكَ حسنُ القصورِ ... وطِيبُ الرياضِ ، وصَفْوُ الزمَن ؟
بشاشتُه لذَّةٌ في العيون ... ونَغْمتُه لذّةٌ فى الأذن ؟
يلاعِب طُرَّتَه فى يَدَيْكَ ... كما لاعبَ المُهرُ فضل الرَّسَن ؟
وإذ هو كالشبل يَحكِى الأُسودَ ... أدلّ بمِخْلَبِه وافْتَتَن ؟(٢)
فشبَّ : فقامَ وراءَ العَرينِ ... يَشُبّ الحروبَ ، ويُطفِى الفِتَن ؟(٣)
فما بالُه صار فى الهامدين ... وأمسى عَفَاءً كأَنْ لم يَكُن ؟
نظَمْتُ الدموعَ رِثاءً له ... وفصَّلْتُها بالأَسَى والشَّجَن

١ــ الخشف (مثلثة الخاء) : الظبى . والأغن : الذى يخرج صوته من خياشيمه وهذا كناية عن ميعة الشباب ــ٢ــ الشبل : ولد الاسد اذا أدرك الصيد . وادل بمخلبه : أى تباهى به وتخايل على اقرانه ــ٣ــ العرين : بيت الاسد . ويشب الحروب : يوقدها .

عبد الله بك الطوير (*)

يا قلبُ ، ويْحَكَ والمودّةُ ذِمّةٌ ماذا صنَعْتَ بعهدِ (عبدِ اللهِ)؟
جاذَبتنى جَنبى عَشيّةَ نَعْيِهِ وخَفقْتَ خَفْقَةَ مُوجَعٍ أوّاه(١)
ولَوَ أنْ قلباً ذابَ إثرَ حَبيبِه لهوَى بك الركنُ الضعيفُ الواهى
فعليكَ من حُسنِ المروءةِ آمرٌ وعليك مِن حُسنِ التجلُّدِ ناه
نزل «الطويرُ» فى الترابِ منازلاً تهوِى المكارمُ نحوَها بشفاه
عَرَصاتُها مَمطورةٌ بمدامعٍ مَوْطوءةٌ بمفارِقٍ وجِباه
لولا يمينُ الموتِ فوقَ يمينه فيها ؛ لفاضَت من جَنًى ومياه(٢)

* * *

يا كابرا من كابرين ، وطاهرًا مِن آلِ طُهرٍ عارفٍ بالله
ومُحكَّمًا عَلِمَ القضاءُ مكانَه فى المُقسطينَ الجِلَّةِ الأَنزاه(٣)
وحكيمًا اْستعصَتْ أعِنَّتُه على كذبِ النعيمِ ، وتُرَّهاتِ الجاه
وأخاً سَقَى الإخوانَ مِنْ (راووقِه) بودادٍ لا صَلِفٍ ، ولا تيّاه(٤)

(*) المرحوم عبدالله بك الطوير : كان احد رجال القانون فى مصر ، وقد توفى سنة ١٩١٥ .

١ـ خفق القلب : اضطرب فى موضعه . والاواه : كثير التأوه . وفى القرآن الكريم « ان ابراهيم لأواه حليم » ـ٢ـ اليمين : يراد بها هنا القوة . والجنى : الثمار ـ٣ـ المقسطين : اى العادلين . والجلة (بكسر الجيم) : قوم سادة عظماء ذوو أخطار . والانزاه : جمع نزه : وهو العفيف المتكرم . ٤ ـ الراووق : المصفاة ، كالباطية ونحوها من الآنية التى يوضع فيها المشروب . والصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا .

قد كان شعرى شغلَ نفسِكَ ، فاقترح من كلٍّ (جائلةٍ) على الأَفواه
أُنزِلْتَ منه حينَ فَاتَكَ جَمْعُهُ في منزلٍ بَهِجٍ بنورِكَ زاه
فاقرأ على «حَسّانَ» منه ، لعله بفتاه في مدحِ الرسولِ مُباه(١)
وانزل بنور الخلدِ جَدّكَ ، واتَّصِلْ بملائكٍ من آلهِ أشباه(٢)
ناعيكَ ناعى حاتمٍ أو جعفرٍ فالناسُ بين نوازِلٍ ودواهِ(٣)

١ـ حسان : هو ابن ثابت ، شاعر الرسول صلوات الله عليه .
٢ـ جدك ؛ منصوب على نزع الخافض ، اى انزل على جدك ، وكان الفقيد منسوبا لال البيت النبوي ـ٣ـ حاتم : هو الطائى المشهور بالكرم .
وجعفر : لعله يقصد به جعفرا البرمكى ، أو عبد الله بن جعفر احد أجواد العرب فى العصر الاموى ، والمقصود تشبيه الفقيد فى كرمه بهذين الرجلين اللذين ضرب المثل بكرمهما .

سعد باشا زغلول (*)

شيَّعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرقُ عليها فبكاها
ليتنى فى الركبِ لما أفلَتْ ... (يوشعٌ)، همَّتْ، فنادَى، فثناها(١)
جَلَّلَ الصبحَ سوادًا يومُها ... فكأنَّ الأَرض لم تخلع دُجاها(٢)
انظروا تَلْقَوْا عليها شَفَقًا ... من جِراحاتِ الضحايا ودِماها
وتَرَوْا بَينَ يَدَيْها عَبرةً ... من شهيدٍ يقطرُ الورد شَذاها
آذنَ الحقُّ ضَحاياها بها ... وَيْحَهُ !! حتى إلى الموتى نَعاها

* * *

كفَّنوها حُرَّةً عُلْوِيَّةً ... كَسَتِ الموتَ جلالاً، وكساها
مِصْرُ فى أكفانها إلا الهدى ... لحمةُ الأَكفانِ حقٌّ وسُداها(٣)
خطر النعشُ على الأَرض بها ... يَحْسِرُ الأَبصارَ فى النعش سَناها(٤)
جاءها الحقُّ، ومِنْ عادتها ... تؤثرُ الحقَّ سبيلاً واتّجاها(٥)
ما دَرتْ مصرُ: بدفن صُبِّحَتْ ... أم على البعثِ أفاقَتْ مِنْ كَراها ؟
صَرَخَتْ تَحسبها بنْتَ الشَّرَى ... طلَبَتْ مِنْ مِخْلَب الموتِ أَباها(٦)
وكأَنَّ الناسَ لما نَسَلوا ... شُعَبُ السيلِ طَغتْ فى مُلتقاها

(*) زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧ .

١ـ يوشع : احد انبياء بنى اسرائيل ، دعا الله ان يؤجل الغروب فأجابه وثنى الشمس عن غروبها ـ٢ـ جلل الصبح : كساه وغطى ضوءه . ٣ـ اللحمة : ما سدى به الثوب ، والسدى : ضد اللحمة ـ٤ـ يحسر الابصار : اي يردها كليلة ضعيفة ـ٥ـ الحق الاول : يقصد به الموت والحق الثاني : يقصد به العدل ـ٦ـ بنت الشرى : أنثى الاسد .

وضعوا الرّاحَ على النعشِ كما يَلمَسون الرُّكنَ ، فارتدَّتْ نزاها
خَفضوا فى يوم (سعد) هامَهم و (بسعدٍ) رَفعوا أَميسِ الجِباها

* * *

سائلوا «زَحْلةَ» عن أعراسها هل مَشى الناعى عليها فمحاها؟(١)
عَطَّلَ المُصْطافَ من سُمّارِه وجَلا عن ضِفَّةِ الوادى دُماها(٢)
فتحَ الأَبوابَ ليلاً (دَيْرُها) وإلى (الناقوسِ) قامتْ بِيعَتاها
صدَع البرقُ الدُّجَى : تنشرُه أرضُ (سوريّا) ، وتَطويه سَماها(٣)
يَحملُ الأَنباءَ تَسرِى مَوْهِنًا كعوادى الثُّكلِ فى حَرِّ سُراها(٤)
عَرَضَ الشكُّ لها فاضطرَبتْ تَطأُ الآذانَ هَمْسًا والشِّفاها
قالتْ : ياقوم اجمعوا أَحلامَكم كلُّ نفسٍ فى وَرِيدَيْها رَداها(٥)

* * *

يا عدوَّ القيدِ لم يلمَحْ له شبَحًا فى خطّةٍ إلا أباها
لا يَضِقْ ذَرْعُكَ بالقيد الذى حَزَّ فى سُوق الأَوالِى وبَراها
وقعَ الرُّسْلُ عليه ، والْتَوَتْ أَرجلُ الأَحرارِ فيه فعَفاها
يا رُفاتًا مِثلَ رَيْحانِ الضُّحى كلَّلَتْ (عَدْنٌ) بها هامَ رُباها(٦)

١- يشير البيت الى أن أمير الشعراء وقت نعى الفقيد كان يصطاف فى زحلة احدى مصايف لبنان -٢- السمار : جمع سامر ، وهم اخوان الحديث فى المساء . والضفة من النهر ومن الوادى : الجانب . الدمى : جمع دمية . وهى الصورة يعملها المثال من الرخام -٢- صدع : شق وقطع ٤ - الموهن : نصف الليل ، او بعده بنحو ساعة -٥- الوريدان : مثنى الوريد ، أحد شرايين الجسم -٦- عدن : الجنة . وهام رباها : اى رءوس ربواتها . والربوات : الامكنة المرتفعة فيها .

وبقايا هيكل من كرمٍ وحياة أَتْرَعَ الأَرض حَياها(١)
ودَّعَ العدلُ بها أعلامَه وبكتْ أَنظِمةُ الشُّورى صُواها(٢)
حَضنتْ نعشلك ، والتفَّتْ به رايةٌ كنتَ من الذلّ فِداها
ضمَّت الصدرَ الذى قد ضمَّها وتلقَّى السهمَ عنها فوقاها
عجبى مِنها ومن قائدها !! كيف يَحمِى الأَعزلُ الشيخُ حِماها؟

* * *

مِنْبَرُ الوادى ذَوَت أعوادُه مِن أَواسِيها وجَفَّتْ من ذُراها
مَن رَمَى الفارسَ عن صَهْوَتِها ودَها الفُصحىٰ بما أَلجمَ فاها ؟
قدَرٌ بالمُدْنِ أَلْوَى والقُرَى ودَها الأَجيالَ منه ما دَهاها
غال (بَسْطورا) وأردَى عُصبةً لمسَتْ جُرثومةَ الموتِ يَداها
طافت الكأْسُ بساقى أُمَّةٍ مِن رَحيقِ الوطنيَّاتِ سقاها
عَطِلتْ آذانُها من وَتَرٍ ساحرٍ رَنَّ مَلِيًّا فشجاها
أرغُنٌ هامَ به وجدانُها وأذانٌ عَشِقَتْه أُذُناها
كلَّ يومٍ خطبةٌ روحيَّةٌ كالمزامير وأنغامٍ لُغاها
دَلَّهَتْ مصراً . ولو أنَّ بها فَلَوَات دَلَّهَتْ وَحْش فَلاها
ذائدُ الحقِّ وحامى حَوْضِه أَنفَذَتْ فيه المقاديرُ مُناها
أَخَذَتْ (سعدًا) من (البيت) يَدٌ تأْخذُ الآسادَ من أصل شراها
لو أصابَت غيرَ ذى رُوحٍ لمَا سَلِمَتْ منها الثُّرَيَّا وسُهاها
تتحدَّى الطبَّ فى قفّازها عِلَّةُ الدهر التى أعيا دَواها

١ــ أترع : ملأ . والحيا : المطر ــ٢ــ الصوى : جمع صوة ــ بضم الصاد ــ وهى حجر يوضع فى الطريق كعلامة يهتدى بها .

من وراءِ الإذنِ نالَتْ ضَيْغَماً   لم يَنَلْ أقرانُه إلا وِجاها
لم تصارحْ أضْرحَ الناسِ يَدًا   ولساناً ، ورُقادًا ، وانتباها

* * *

هذه الأعواد من آدمَ لَمْ   يَهْدَ خُفَّاها ، ولم يَعْرَ مَطاها
نقَلَتْ (خُوفو) ، ومالتْ (بمِنا)   لم يفُت حَيًّا نصيبٌ من خُطاها(١)
تَخْلِطُ العُمْرينِ : شيبًا ، وصِبًا   والحياتين : شَقاءً ، ورَفاها
زَوْرَقٌ فى الدمعِ يَطفو أبدًا   عرَفَ الضَّفَّةَ إلا ما تلاها
تَهلَع الثَّكْلىٰ على آثارِه   فإذا خَفَّ بها يوما شفاها

* * *

تسكُبُ الدمعَ على (سعد) دماً   أمةٌ من صخرةِ الحقِّ بناها
من لَيَانٍ هو فى يَنْبُوعِها   وإباءٍ هو فى صُمِّ صَفاها
لُقِّنَ الحقَّ عليه كَهلُها   واستقَى الإيمانَ بالحقِّ فَتاها
بذَلَتْ مالًا ، وأمْنًا ، ودماً   وعلى قائدها ألقَتْ رَجاها
حمَّلتْه ذِمَّةً أوفى بها   وابتلَتْه بحقوقٍ فقضاها
ابنُ سبعينَ تلقَّى دونَها   غُربةَ الأسرِ ، ووَعْثاءَ نَواها(٢)
سفرٌ من عَدَنَ الأرضِ ، إلى   منزلٍ أقربُ منه قُطْباها
قاهرٌ ألْقَى به فى صخرة   دفعَ النسرَ إليها فأواها
كَرِهَتْ منزلَها فى تاجه   درة فى البحر والبرِّ نفاها
اسألُوها ، واسألوا شانِئَها   لِمَ لمْ يَنفِ من الدرِّ سِواها ؟
ولَدَ الثَّورَةَ سعدٌ حُرَّةً   بحياتَيْ ماجد حُرٍّ نَماها

١ـ خوفو ، ومنا : من ملوك مصر الفراعنة .
٢ـ الوعثاء : الطريق العسر ، أو المشقة .

ما تَمنَّى غيرَها نسلاً ، ومَنْ يَلِدِ الزَّهراءَ يَزْهَدْ فى سواها
سالت الغابةُ من أشبالها بينَ عَيْنَيْهِ وماجَتْ بلبَاها(١)
بارك اللهُ لها فى فرعِها وقَضَى الخيرَ لمِصرٍ فى جَناها
أوَلم يَكتُبْ لها دُستورَها بالدمِ الحرِّ ، ويَرْفَعْ مُنتداها ؟(٢)
قد كتبتاها ، فكانت صورةً صَدْرُها حقٌّ وحقٌّ مُنتهاها
رَقدَ الثائرُ إلا ثورةً فى سبيل الحقِّ لم تَخمد جُذاها
قد تَولَّاها صبيًّا فكَوَتْ راحَتَيْهِ ، وفَتِيًّا فرعاها(٣)
جالَ فيها قلمًا مُستنهِضًا ولِساناً كلَّما أعْيَتْ حَداها(٤)
ورمَى بالنفس فى بُركانِها فتلقَّى أوّلَ الناسِ لَظاها
أعلِمتم بعد (موسى) مِنْ يَدٍ قذَفَتْ فى وجه (فِرْعَوْنَ) عَصاها ؟(٥)
وَطِئَتْ نادبةً صارخةً شاهَ وجهُ الرِّقِّ – ياقوم – وشاها(٦)
ظَفِرَتْ بالكِبْر من مُستكبِرٍ ظافِرِ الأيّامِ مَنصورٍ لِواها
القَنا الصُّمُّ تَشاوَى حولَهُ وسيوفُ الهندِ لم تَصْحُ ظُباها

* * *

أين مِنْ عَيْنَىَّ نفسٌ حُرَّةٌ كنتُ بالأمسِ بعينَىَّ أراها ؟
كلما أقبلتِ هَزَّتْ نفسها وتَواصَى بِشرُها بى ونداها

---

١ – اللبا : جمع لبـاة – كقطاة – وهى انثى الاسد –٢– المنتدى : البرلمان –٣– يشير الى عمل سعد باشا فى الثورة العرابية وهو فى مقتبل شبابه –٤– أعيت : تعبت . حداها : من قولهم : حدا الابل ، اى ساقها وزجرها –٥– اشارة الى تحدى موسى لفرعون وسحرته بالعصا ، فكانت كما ورد فى القرآن : « تلقف ما يأفكون » –٦– شاه وجه الرق : اى قبح .

وجرَى الماضى ، فماذا ادَّكَرَتْ ... وادِّكارُ النفسِ شىءٌ من وَفاها؟
ألمحُ الأيّامَ فيها ، وأرى ... من وراءِ السِّنِّ تِمثالَ صباها
لستُ أدرى حينَ تَندَى نَضرةً ... عَلَتِ الشَّيْبَ ، أم الشَّيْبُ عَلاها؟
حَلَّت السبعون فى هيكلها ... فتَدَاعَى وهْىَ مَوْفورٌ بِناها
رَوْعةُ النادى إذا جدَّتْ ، فإن ... مَزحَتْ لم يُذهِبِ المَزْحُ بَهاها
يَظفَرُ العُذْرُ بأقصى سُخطِها ... ويَنالُ الودُّ غاياتِ رِضاها
ولها صبرٌ على حُسّادها ... يُشبه الصَّفْحَ ، وحِلْمٌ عن عِداها
لستُ أنسَى صفحةً ضاحكةً ... تأْخذ النفسَ وتَجرِى فى هواها
وحديثًا كرِوايات الهوى ... جَدَّ للصَّبِّ حَنينٌ فرواها
وقناةً صَعْدَةً لو وُهِبَتْ ... للسِّماكِ الأعزلِ اختالَ وتاها(١)
أين منِّى قامٌ كنتُ إذا ... سمتُه أن يَرثِىَ الشمسَ رَثاها؟
خانَنِى فى يوم (سعدٍ) ، وجَرى ... فى المراثى فكَبا دونَ مَداها
فى نعيم الله نفسٌ أوتِيَتْ ... أنعُمَ الدنيا فلم تَنسَ تُقاها
لا الحِجَى لمّا تَناهَى غرَّها ... بالمقاديرِ ، ولا العِلمُ زَهاها
ذَهَبَتْ أوّابةً مُؤمِنةً ... خالصاً من حَيْرَةِ الشكِّ هُداها
آنَسَتْ خَلْقًا ضعيفًا ورأتْ ... من وراءِ العالَمِ الفانِى إلٰها
ما دعاها الحقُّ إلا سارَعَتْ ... ليتَه يومَ «وَصيفٍ» ما دعاها(٢)

١ـ القناة : الرمح . والصعدة : هى التى نبتت مستوية . فلا تحتاج لتثقيف . والسماك : احد كوكبين نيرين ، يوصف احدهما بالرامح ، لان امامه كوكبا صغيرا يسمى رمح السماك ورايته ، ويوصف الآخر بالأعزل ، حيث لايوجد امامه شىء . يقول ان له قواما لو منح للسماك الاعزل فى السماء لاختال به وتباهى على السماك الرامح ـ٢ـ وصيف : يقصد مسجد وصيف ، وهى القرية التى توجد فيها ممتلكات الزعيم ، والتى قضى بها .

الشاعر الموسيقى فردى (*)

فتى العقلِ والنَّغمةِ العاليَهْ ... مضى ومَحاسِنُه باقِيَهْ
فلا سُوقَةٌ لم تكن أُنْسَهُ ... ولا مَلِكٌ لم تَزِن نادِيَه
ولم تَخْلُ مِن طِيبها بَلدةٌ ... ولم تَخلُ من ذِكرها ناحيه
يكادُ إذا هو غَنّى الوَرَى ... بقافيةٍ يُنْطِق القافيه
يَتِيهُ على الماس بعضُ النُّحاسِ ... إذا ضَمَّ ألحانَه الغاليه
وتَحكم فى النفس أوتارُه ... على العودِ ناطقةً حاكيه
وتبلغ موضعَ أوطارِها ... وتُفشِى سَريرَتَها الخافيه
وكم آيةٍ فى الأغانِى له ... هى الشمسُ ليس لها ثانيه !
إذا ما تَنادَى بها العارِفون ... قل : البرقُ والرعدُ مِنْ غاديه
فإن هَمَسُوا بعدَ جَهْرٍ بها ... فَخَفْقُ الحُلِيِّ على الغانيه
لقد شاب (فردى) وجاز المَشِيبَ ... و (عَيْدا) شَبِيبتُها زاهيه(١)
تُمَثِّلُ مِصرَ لهذا الزمانِ ... كما هى فى الأعْصُرِ الخاليه
ونذكر تلكَ الليالِى بها ... وننشد تلك الرُّؤَى الساريه
ونَبكى على عِزِّنا المُنقَضِى ... ونَنْدُبُ أيّامَنا الماضيه
فيا آلَ (فردى) ، نُعزِّيكُمُ ... ونبكى مع الأسرةِ الباكيه
فَقَدنا بمفقودِكم شاعِرًا ... يَقِلُّ الزمانُ له راويَه

(*) الشاعر الموسيقى فردى احد اعلام ايطاليا العالميين ، وقد توفى سنة ١٩٠١ .

١ــ عيدا : رواية تمثيلية للفقيد .

اسماعيل أباظة باشا (*)

سقى اللهُ (بالكَفْر الأَباظىِّ) مَضْجَعًا ... تَضَوّع كافورًا من الخلد ساريا
يَطيب ثَرى (بُرْدِينَ) من نَفْح طِيبِه ... كأَنَّ ثرى (بُرْدِينَ) مَسَّ الغَواليا(١)
فيالَكَ غِمدًا من صَفيحٍ وجَنْدَلٍ ... حوَى السيفَ مَصقولَ الغِرارِ يَمانيا(٢)
وكنا استلَلْنا فى النوائب غَرْبَهُ ... فلم يُلْفَ سيَّاباً ، ولم نُلْفِ نابيا(٣)
إذا اهتزَّ دونَ الحقِّ يَحمى حِياضَه ... تأخَّر عنها باطلُ القومِ ظاميا
طَوَتْهُ يدٌ للموت ، لا الجاهُ عاصمًا ... إذا بَطَشتْ يوماً ، ولا المالُ فاديا

* * *

تنالُ صِبا الأَعمارِ عند رَفيفِهِ ... وعندَ جُفوفِ العُودِ فى السِّنِّ ذاويا
وبعضُ المنايا تُنْزِلُ الشُّهْدَ فى الثرى ... ويَحْطُطْنَ فى التُّرْبِ الجبالَ الرواسيا

* * *

يقولون : يَرْثى الراحلين ، فوَيْحَهُم ! ... أأَمَّلْتُ عندَ الراحلين الجَوازيا؟
أبَوْا حسدًا أن أجعل الحيَّ أُسْوَةً ... لهم ، ومثالاً قد يُصادِفُ حاذيا
فلما رثَيْتُ الميْتَ أَقْضِى حقوقَه ... وَجَدْتُ حسودًا للرُّفات وشانيا
إذا أنت لم ترْعَ العهودَ لهالكٍ ... فلستَ لحيٍّ حافظَ العهد راعيا
فلا يَطْوِيَن الموتُ عهدَكَ من أخٍ ... وهَبْهُ بوادٍ غيرِ واديك نائيا
أقامَ بأَرضٍ أنت لاقيه عندَها ... وإن بِتُّما تستبعدان التلاقيا

* * *

(*) اسماعيل اباظه باشا : احد سراة الزعماء فى البلاد المصرية ، كان صاحب الصوت المتبوع فى الجمعية التشريعية ، وقد توفى سنة ١٩٢٧ بعد ان ترك خلفه تاريخا حافلا بالمواقف الوطنية المحمودة .

١ــ بردين : قرية الفقيد ، وهى من أعمال مديرية الشرقية . والغوالى جمع غالية ، وهى المسك ــ٢ــ الفرار من السيف : حده ــ٣ــ غرب السيف: حده أيضا . ونابى : كليل لا يقطع .

رَثيْتُ حياةً بالثناء خليقةً   وحَلَّيْتُ عهدًا بالمفاخِرِ حاليا

وعزَّيْتُ بيتًا قد تبارَتْ سماؤُه   مَشايِخَ أقمارًا ، ومُرْدًا دَراريا(١)

إلى الله (إسماعيلُ) وانزِلْ بساحةٍ   أظلَّ النَّدَى أقطارَها والنواحِيا

تَرَى الرحمةَ الكبرى وراءَ سمائها   تَلُفُّ التُّقَى فى سَيْبِها والمَعاصيا

لدى مَلِكٍ لا يَمنع الظلَّ لائِذًا   ولاالصَّفحَ توّاباً ، ولا العفوَ راجيا

وأقسمُ كنتَ المرءَ لم يَنْسَ دِينَهُ   ولم تُلْهِهِ دُنياهُ وهْىَ ماهيا

وكنتَ إذا الحاجاتُ عَزَّ قضاؤها   لحاجِ اليتامَى والأَرامِلِ قاضيا(٢)

وكنتَ تُصلِّى بالملوكِ جماعةً   وكنت تقوم الليلَ بالنفس خاليا

ومَن يُعْطَ من جاهِ الملوك وَسِيلةً   فلا يَصنع الخيراتِ، لم يُعْطَ غاليا

وكنتَ الجرىءَ النَّدْبَ فى كلِّ موقفٍ   تلفَّتَ فيه الحقُّ لم يَلْقَ حاميا(٣)

بَصُرتُ بأخلاقِ الرجالِ فلم أجِدْ   — وإن جَلّت الأخلاقُ — للعزم ثانيا

من العزمِ ما يُحيِي فُحولًا كثيرةً   وقدَّمَ كافورَ الخَصِىَّ الطَّواشِيا

وما حطَّ مِنْ رَبِّ القصائد مادحاً   وأنزلهُ عن رتبةِ الشعر هاجيا

فليس البيانُ الهجوَ إن كنت ساخطاً   ولا هو زُورُ المدحِ إن كنتَ راضيا

ولكنْ هُدَى اللهِ الكريمِ ووَحْيُه   حَملتَ به المصباحَ فى الناسِ هادِيا

تُفيض على الأحياء نورًا ، وتارةً   تُضىءُ على الموتى الرِّجامَ الدَّواجيا(٤)

هياكلُ تَفْنَى ، والبيانُ مُخَلَّدٌ   ألا إنّ عِتْقَ الخمرِ يُنْسِى الأوانيا

* * *

١ـ يشبه شيوخ الاسرة الاباظية بالاقمار ، وشبابها المرد بدرارى النجوم ، على حين ان هذه الاقمار والنجوم تتبارى فى الاشعاع والاضاءة .
٢ـ حاج : جمع حاجة ـ٣ـ الندب : الخفيف عند الحاجة اليه ـ٤ـ الرجام : القبور . والدواجى ـ جمع داجية : المظلمة .

ذهبْت (أبا عبدِ الحميدِ) مُبَرَّءًا — من الذّام ، محمودَ الجوانبِ ، زاكيا(١)
قليلَ المساوِى فى زمانٍ يَرى العُلا — ذُنوباً ، وناسٍ يَخْلُقون المساويا
طوَيناك كالماضى تَلقَّاه غِمدُه — فلم تسترح حتى نشرناك ماضيا(٢)
فكنتَ على الأفواه سيرةَ مُجمِلٍ — وكنت حديثًا فى المسامع عاليا
وَفَيْتَ لمن أدناكَ فى الملك حِقبةً — فكانَ عجيبًا أن يَرى الناسُ وافيا
أثاروا على آثار مَوْتِكَ ضَجّةً — وهاجُوا لنا الذكرى ، وَرَدُّوا اللياليا
ومَن سابَقَ التاريخَ لم يَأْمَن الهوى — مُلِجًّا ، ولم يَسلَم منَ الحقْدِ نازيا(٣)
إذا وَضعَ الأَحياءُ تاريخَ جِيلِهم — عَرفتَ المُلاحى مِنهمو ، والمُحابيا

* * *

إذا سلِم الدستورُ هان الذى مضى — وهان من الأحداثِ ماكان آتيا(٤)
ألا كلُّ ذَنْبٍ لِليالى لأجله — سَدَلْنا عليه صَفحَنا والتناسيا(٥)

١ـ زاكيا : اى ناميا مباركا ـ٢ـ الماضى ، فى أول البيت : السيف ، وفى آخره : من الزمن الماضى ـ٣ـ نازيا : اى واثبا ، والملج المتمادى فى الخصومة ـ٤ـ الأحداث : نوازل الأيام ـ٥ـ سدلنا عليه الصفح : اى سحبنا على كل الذنوب أعراضنا وسترناها بغفراننا .

على بهجت(*)

أَحقٌّ أنهم دفَنوا عَلِيًّا ... وحَطُّوا في الثَّرى المرءَ الزكيَّا ؟
فما تركوا من الأَخلاق سَمْحًا ... على وجه التراب ، ولا رَضِيًّا ؟
مَضوْا بالضاحك الماضى وأَلْقوْا ... إلى الحُفَر الخَفيفَ السَّمْهَرِيَّا
فَمَنْ عَوْنُ اللغاتِ على مُلِمٍّ ... أَصاب فصيحَها والأَعجميَّا ؟
لقد فَقَدَتْ مُصَرِّفَها حنينًا ... وبات مكانُه منها خَلِيًّا
ومن يَنْظُرْ يَرَ الفُسْطاطَ تبكى ... بفائضةٍ من العَبَرَاتِ رِيًّا
أَلم يَمْشِ الثرى قِحَةً عليها ... وكان رِكابُها نحوَ الثُّرَيَّا ؟
فنَقَّبَ عن مواضعها عَلِيٌّ ... فجَدَّدَ دارساً ، وجَلا خَفِيًّا
ولولا جُهْدُهُ احتجَبَتْ رُسوماً ... فلا دِمَناً تُريكَ ولا نُؤِيًّا
تلفَّتَت الفنونُ وقد توَلَّى ... فلم تَجِد النصيرَ ولا الوَلِيَّا
سَلوا الآثارَ : مَنْ يَغدو يُغالى ... بها ، ويروحُ مُحتفِظًا حَفِيًّا ؟
ويُنْزِلُها الرُّفوفَ كجوهرىٍّ ... يُصَفِّفُ فى خزائنها الحُلِيًّا ؟
وما جَهِلَ العَتِيقَ الحُرَّ منها ... ولا غَبِيَ المُقَلَّدَ والدَّعِيَّا
فتىً عاف المشاربَ من دَنايا ... وصان عن القَذَى ماءَ المُحَيَّا
أَبِيُّ النفسِ فى زمنٍ إذا ما ... عَجَمْتَ بنيهِ لم تجدِ الأَبِيَّا
تعوَّدَ أن يراه الناس رأساً ... وليس يَرَوْنَه الذنبَ الدَّنِيَّا
وَجَدْتُ العلمَ لا يبنى نُفُوساً ... ولا يغنى عن الأَخلاق شيًّا

(*) رثى أمير البيان « احمد شوقى » فقيد العلم والعاديات المغفور له « على بهجت » بهذه اليتيمة العصماء التى قيلت فى حفلة تأبينه ، وهى كما يراها القارىء الكريم . اخذة من اخذ السحر ومعجزة من معجزات الشعر (نشرت بجريدة الأخبار بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٤) .

ولم أر فى السلاح أضلَّ حدًّا   مِنَ الأخلاق إنْ صَحِبَتْ غَوِيّا
هما كالسيف ، لاتُنْصِفْهُ يَفْسُدْ   عليكَ ، وخُذْهُ مُكتمِلاً سَوِيّا

* * *

غديرٌ أترعَ الأوطانَ خيرًا   وإن لم تَمتلئ منه دَوِيّا
وقد تأتى الجداولُ فى خشوعٍ   بما قد يُعْجِزُ السَّيلَ الأَتِيّا
حياةُ مُعَلِّمٍ طفِئَتْ ، وكانتْ   سراجاً يُعجبُ السارى وَضِيّا
سبقتُ القابسين إلى سَناها   ورُحتُ بنورها أَحْبُو صَبيّا
أخذْتُ على أريبٍ ألمَعِيٍّ   ومَنْ لكَ بالمعلِّم ألْمَعِيّا ؟
ورُبَّ مُعَلِّمٍ تلقاه فَظًّا   غليظ القلبِ ، أو فَدْمًا غَبيّا
إذا انتدب البنون لَها سيوفاً   من الميلاد ردَّهُمُ عِصِيّا
إذا رَشَد المعلمُ كان مُوسَى   وإن هو ضَلَّ كان السامِرِيّا
ورُبَّ معلِّمِينَ خَلَوْا وفاقوا   إلى الحرية انساقُوا هديّا
أناروا ظلمةَ الدنيا ، وكانوا   لنار الظالمين بها صِلِيّا

* * *

أرِقْتُ وما نَسِيتُ « بناتِ بومٍ »   على « المطريَّة » اندفعَتْ بُكيّا
بكَتْ وتأوَّهَتْ ، فَوَهِمْتُ شرًّا   وقبلى داخَلَ الوَهْمُ الذَّكِيّا
قلبتُ لها الحذَىَّ ، وكان منى   ضلالاً أن قلبتُ لها الحذِيّا
زعَمْتُ الغَيْبَ خلفَ لسانِ طيرٍ   جَهِلْتُ لسانَه فزعَمْتُ غيّا
أصاب الغيبَ عند الطير قومٌ   وصار البومُ بينهمو نَبيّا
إذا غنّاهمو وجدوا سَطِيحًا   على فمه ، وأفْعَى الجُرْهُمِيّا
رمى الغربانُ شيخَ تَنوخَ قبلى   وراش من الطويل لها دَوِيّا
نجا من ناجِذَيْهِ كلُّ لحمٍ   وغُودِرَ لحمهُنَّ به شَقِيّا
نَعَسْتُ فما وجدتُ الغمْضَ حتى   نَفَضْتُ على المَنَاحةِ مُقْلَتَيّا
فقلتُ : نذيرةٌ وبلاغُ صِدْقٍ   وحَقٌّ لم يُفاجِئْ مَسْمَعَيّا

ولكنّ الذى بَكَتِ البواكى خليلٌ عزَّ مَصرعُه عَليّا
ومَن يُفجَعْ بِحُرٍّ عبقرىٍّ يَجدْ ظلمَ المنيّةِ عبقريّا
ومن تَتراخَ مُدّتُه فيكثِرْ من الأحبابِ لا يُحْصِى النّعِيّا

* * *

أخى ، أَقبِلْ عَلَىّ من المنايا وهاتِ حديثَك العذبَ الشّهِيّا
فلم أعدِم إذا ما الدُّورُ نامت سميرًا بالمقابر أو نَجِيّا
يُذكِّرنى الدُّجَى لِدَةً حَميمًا هنالكَ باتَ ، أو خِلاًّ وَفِيّا
نَشَدْتُكَ بالمنيّة وهْىَ حقٌّ ألم يَكُ زُخْرُفُ الدنيا فَرِيّا
عَرفتَ الموتَ معنًى بعد لفظ تَكلَّمْ ، واكشِفِ المعنى الخَبِيّا
أتاك من الحياة الموتُ فانظُرْ أكنتَ تموت لو لم تُلْفَ حَيّا ؟
وللأشياءِ أضدادٌ إليها تصير إذا صَبَرْتَ لها مَلِيّا
ومُنْقَلَبُ النجومِ إلى سكونٍ من الدَّوَرانِ يَطويهنّ طيّا
فخبِّرنى عن الماضين ؛ إنى شدَدْتُ الرَّحْلَ أنتظرُ المُضِيّا
وَصِفْ لِى منزلاً حُمِلوا إليه وما لمحوا الطريقَ ولا المَطِيّا
وكيف أتى الغنىُّ له فقيرًا وكيف ثَوى الفقيرُ به غَنِيّا ؟
لقد لَبِسُوا له الأزياءَ شتَّى فلم يقبل سوى التّجريدِ زِيّا
سواءٌ فيه مَنْ وافى نهارًا ومَنْ قذف اليهودُ به عَشِيّا
ومَنْ قطع الحياة صَدًا وجوعاً ومَنْ مَرّتْ به شِبَعًا ورِيّا
ومَيْتٌ ضَجّتِ الدنيا عليه وآخَرُ ما تُحِسُّ له نَعِيّا

تم الجزء الثالث

ايضاح لا بد منه

للاستاذ محمود ابو الوفا

حين طلب الى ان اشرف على طبع هذا الجزء من « الشوقيات » لم يكن فى الوقت متسع لاخراجه على كل ما كنت اتوق له من ضبط وشرح وتعليق ، فقد كان الاتفاق بين الناشر والمطبعة قد تم على انجازه فى عشرين يوما لا تزيد ، ولقد كان لزاما على ان اكون اداة انجاز لا اداة تعويق .

لهذه الاعتبارات رايت ان اسير فى العمل على الوجه الآتى :

اولا : ترك الشرح والضبط كلما امن اللبس ووضح الكلام سواء أكان خوف اللبس من جهة الاعراب أم من جهة النطق بالمفردة اللغوية ، وحيث وجد اللبس فكان لابد من الضبط او التعليق أو كليهما .

ثانيا : رأيت ايضا ان أترك الكلمات التى تستعمل عين الفعل المضارع فيها على وجهين او ثلاث بدون شكل مطلقا حيث عدم الخطأ مضمون .

اما الشرح فتركته لا لضيق الوقت ومراعاة الاختصار فقط ، لأنى احببت ان لا اتحكم فى ذوق القراء والأدباء وافرض عليهم فهمى انا ، فقد يجوز ان يفهم البيت على اكثر من وجه .

وهذا على ما فيه من تطويل فهو تمرين للعقول على نوع من الكسل الذهنى احب ان يتحاشاه كل طابعى الدواوين .

اما بعد ، فكل ما فى هذا الكتاب من خطأ أو من مؤاخذة فهو الى ، اما ما فيه من فضل فمرجعه الى الأستاذ حسين شوقى .

فالى ذوقه وحسن تنسيقه يرجع كل ما فى هذا الكتاب من ذوق وجمال .

محمود ابو الوفا

فهرس
الجزء الثالث من الشوقيات

صفحة

٣ سليمان باشا اباظه ، ومطلعها :

من ظن بعدك أن يقــول رثــاء فليرث من هذا الورى من شــاء

٥ مصطفى باشا فهمي ؛ مطلعها :

يأيهـــا النــــاعى ابا الوزراء هذا اوان جــــلائل الانبــاء

٩ ابو هيف بك ، مطلعها :

اجعل رثاءك للرجـــال جــزاء وابعثه للوطن الحزين عـــزاء

١٢ مولانا محمد على ، مطلعها :

بيت على ارض الهدى وسـماؤه الحق حـائطه واس بنـــائه

١٤ سيد درويش ، مطلعها :

كل يـوم مهرجـــان كللـوا فيه ميتا برياحـين الثنـــاء

١٧ عمر المختار ، مطلعها :

ركزوا رفاتك فى الرمـال لـواء يستنهض الوادى صباح مســاء

٢٠ عبدالحليم العلايلى بك ، مطلعها :

لقــد لبى زعيمــكم النــــداء عــزاء أهــــل دميـــاط عــزاء

٢٢ حافظ ابراهيم ، مطلعها :

قد كنت أوثر ان تقــول رثائى يامنصف الموتى من الأحيـــاء

٢٦ محمد تيمور ، مطلعها :

ضربوا القباب على اليبـــاب وثووا الى يـوم الحســاب

٢٩ يعقوب صروف ، مطلعها :

ســماؤك يادنيـــا خداع سراب وأرضك عمرانٌ وشيك خـراب

٣٣ حسين شيرين بك ، مطلعها :

أرأيت زين العــابدين مجهـزا نقلـوه نقـل الورد من محـرابه

صفحة

٣٦ محمد عبد المطلب ، مطلعها :
قام من علته الشـــاكى الوصب   وتلقى راحـة الدهـــر التعبه
٣٨ يرثى جدته ، مطلعها :
خلقنـا للحيـــاة وللممـــات   ومن هــذين كل الحـادثات
٤١ محمد عبده ، مطلعها :
مفسر آى الله بالأمس بيننـــا   قم اليوم فسر للورى آية الموت
٤٢ رياض باشا ، مطلعها :
ممـات فى المـواكب أم حيـــاة   ونعش فى المنـــاكب أم عظـات
٤٩ عثمان باشا غالب ، مطلعها :
ضـــجت لمصرع (غـــالب)   فى الأرض (مملكة النبـــات)
٥١ عبدالحى ، مطلعها :
طوى البساط وجفت الاقـداح   وغدت عـواطل بعـدك الافراح
٥٣ محمد ثابت باشا ، مطلعها :
سر أبا صـــالح الى الله واترك   مصر فى مـأتم وحـزن شـديد
٥٥ محمد فريد بك ، ومطلعها :
كل حى على المنيـــة غـــادى   تتوالى الركاب والمـــوت حادى
٥٩ البنون والحياة الدنيا ، ومطلعها :
الضلوع تتقـد   والدموع تطـرد
٦٢ ثروت باشا ، مطلعها :
يموت فى الغاب أو فى غيره الأسد   كل البـلاد وسـاد حين تتسد
٦٦ عبدالعزيز جاويش ، مطلعها :
اصاب المجاهد عقبى الشـــهيد   والقى عصـاه المضـاف الشريد
٦٩ تعزية ورثاء ، مطلعها :
كأس من الدنيـــا تدار   من ذاقها خلع العـــذار
٧١ ذكرى هيجو ، مطلعها :
ما جـل فيهم عيـــدك الماثـور   الا وانت اجـــل يا فكتـــور

صفحة

٧٢ عبده الحمولى ، مطلعها :

ساجع الشرق طار عن اوكاره   وتولى فن على آثاره

٧٦ قاسم بك امين ، مطلعها :

يأيها الدمع السرى بدار   تقضى حقوق الرفقة الاخيار

٨٠ تولستوى ، مطلعها :

(تولستوى)تجرى آية العلم دمعها   عليك ويبكى بائس وفقير

٨٣ عمر بك لطفى ، مطلعها :

قفوا بالقبور نسائل عمر   متى كانت الأرض مثوى القمر

٨٥ عمر بك لطفى ، مطلعها :

اليوم اصعد دون قبرك منبرا   واقلد الدنيا رثاءك جوهرا

٨٨ الاميرة ، مطلعها :

حلفت بالمستره   والروضة المعطره

٩١ ذكرى مصطفى كامل ، مطلعها :

لم يمت من له اثر   وحياة من السير

٩٤ المنفلوطى ، مطلعها :

اخترت يوم الهول يوم وداع   ونعاك فى عصف الرياح الناعى

٩٧ عاطفه بركات باشا ، مطلعها :

خفضت لعزة الموت اليراعا   وجد جلال منطقه فراعا

١٠١ المويلحى ، مطلعها :

كاتب مخسن البيان صناعه   استخف العقول حينا يراعه

١٠٤ اسماعيل باشا صبرى ، مطلعها :

اجل وان طال الزمان موافى   اخلى يديك من الخليل الوافى

١١٠ فوزى الغزى ، مطلعها :

جرح على جرح حنانك جلق   حملت ما يوهى الجبال ويزهق

١١٤ كريمة البارودى ، مطلعها :

احيث تلوح المنى تافل   كفى عظة ايها المنزل

١١٦ فتحي ونوري ، مطلعها :

انظر الى الأقمـــار كيف تزول والى وجوه السعد كيف تحول

١٢١ على باشا ابوالفتوح ، مطلعها :

ما بين دمعى المسبل عهد وبين ثرى على

١٢٥ جورجى زيدان ، مطلعها :

ممــالك الشرق أم أدراس أطلال وتلك دولاته أم رسمها البـالى

١٢٨ شهداء العلم والغربة ، مطلعها :

الا فى سبيل الله ذاك الدم الغالى وللمجد ما ابقى من المثل العالى

١٣٢ سعيد بك زغلول ، مطلعها :

(آل زغلول) حسبكم من عــزاء ســنة المــوت فى النبى وآلــه

١٣٤ أمين بك الرافعى ، مطلعها :

مال احبــابه خليــلا خليـلا وتولى اللــدات الا قليــــلا

١٣٨ الشيخ سلامة حجازى ، مطلعها :

ياثرى النيل فى نواحيــك طير كان دنيــا وكان فرحة جيل

١٤٠ ادهم باشا ، مطلعها :

مصاب بنى الدنيا عظيم (بادهم) واعظم منه حيرة الشعر فى فمى

١٤٢ عثمان باشا ، الغازى :

هالة للهــلال فيهــا اعتصـــام كيف حامت حيالهــا الايام

١٤٤ بطرس باشا غالى ، مطلعها :

قبر الوزير تحيــة وسلاما الحلم والمعروف فيك أقاما

١٤٦ يبكي والدته ، ومطلعها :

الى الله اشكو من عوادى النوى سهما اصاب سويداء الفؤاد وما اصمى

١٥٠ الملك حسين : مطلعها :

لك فى الارض والســماء مآتم قــام فيهــا أبو الملائك هــاشم

١٥٤ يرثى اباه ، مطلعها :

ســالونى لم لم أرث أبى ورثــاء الاب دين اى دين

صفحة

١٥٧ مصطفى كامل باشا ، مطلعها :

المشرقان عليك ينتحبان   قاصيهما فى مأتم والدانى

١٦١ حسن بك أنور ، مطلعها :

تسائلنى (كرمتى) بالنهار   وبالليل : أين سميرى (حسن) ؟

١٦٣ أم المحسنين ، مطلعها :

اخذت نعشك مصر باليمين   وحوته من يد الروح الامين

١٦٦ الدكتور احمد فؤاد ، مطلعها :

اوحت لطرفك فاستهل شئونا   دار مررت بها على قيسونا

١٦٩ نجل امام اليمن ، مطلعها :

مضى الدهر بابن امام اليمن   واودى بزين شباب الزمن

١٧٢ عبدالله بك الطوير ، مطلعها :

ياقلب ويحك والمودة ذمة   ماذا صنعت بعهد عبد الله

١٧٤ سعد باشا زغلول ، مطلعها :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها   وانحنى الشرق عليها فبكاها

١٨٠ الشاعر الموسيقى فردى، مطلعها

فتى العقل والنغمة العالية   مضى ومحاسنه باقية

١٨١ اسماعيل اباظه باشا ، مطلعها :

سقى الله بالكفر الاباظى مضجعا   تضوع كافورا من الخلد ساريا

١٨٤ على بهجت بك ، مطلعها :

أحق أنهم دفنوا عليا   وحطوا فى الثرى المرء الزكيا

الشوقيات

شعر المرحوم

أحمد شوقي

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الأستاذ محمد سعيد العريان

كان شوقى رحمه الله شاعراً ملء سمع الشرق ، مايلفظ من قول إلا تلقفته الآلاف عن الآلاف من أبناء الأمة العربية ، تُنشده وتتغنى به وتضربه مثلا ، وما أحسب شاعراً فى الأمة العربية منذ كانت وكان الشعر ؛ قد ذهب صيتُه فى الناس حيًّا مذهبَ شوقى أو بلغ مبلغه ، وقد كان حقيقًا بما بلغ ، لا من أنه شاعر العربية الأوّل ، ولا من أن الأُمّة العربية قد عقمتْ فلم تنجب مثله فى تاريخها المتطاول ؛ ولكنه جاء على فترةٍ انقطع فيها أملُ الآمل فى نهضة الشعر العربى ، بعد ما ناله من الانحطاط ، والركة ، وضيق المذهب ، وسوء التناول . وكأنما كان البارودى من قبله إرهاصا له ، ودعوة إليه ، وتنبيها إلى فضله ومكانه . وقد كان البارودى بما اجتمع له من أدوات الشعر ، وبما تهيأَ له من أسبابه العامة والخاصة ؛ أولَ من بعث الحياة فى هذا الجسد الهامد ، ونفخ فيه من قوّته ، وخلع عليه من شبابه ، فكان تصديراً بليغا لهذا الفصل الجديد فى تاريخ الشعر العربى ، فلما خلا مكانه تلفَّت الناس ينظرون على حذر وخشية ، يريدون أن يسمعوا نغما صافيا ، كهذا الذى عوَّدهم البارودى أن يسمعوه من إنشاده وتطريبه ، وما منهم إلا مَن ظن أن الشعر بعده منتكِس بعلته ، وأن الرجل الذى كان يمدّه بأسباب الحياة والقوّة قد ذهب ، فلا سبيل إليه بعدُ ولا أمل ؛ وفى هذه الفترة ظهر شوقى ... ...

على أن ذلك ليس هو كل السبب فى ذهاب صيت شوقى ، وامتدادِ شهرته التى تـأمَّر بها على شعراء الجيل ، وحلَّ فى الصدر من ناديهم ، فقد انتدَبَ الشرق على أبواب نهضة قد تهيأت له أسبابها ، واكتملت وسائلها ، وإن آمالا قوية لتجيش فى نفوس أهله وتصطرع فى خواطرهم ؛ فإنهم ليحسون أثرها فيما تنفعل به عواطفهم ، ولا يحسنون لها تعبيراً ولا بيانا ؛ فاختار شوقى أن يكون لسانَ هذه الأمة فيما تحب وتكره ، وفيما تـأمل وتحذر ، وفيما تنفعل به عواطفها من ذكريات وحوادث ، وكان لسان صدق فى التعبير عن كل أولئك فى بيان ساحر ولفظ رصين ، فلم تلبث الأمة العربية أن رأت فيه شاعرَها ، فألقت إليه مقاليد الإمارة ، وبايعته عن رضا .

وقد ذهب شوقى إلى ربه منذ أكثر من عشر سنين (١) ، وما زال صدى ألحانه يتردد عذباً مطرباً ، وما زال مكانه من ديوان العربية خاليًا ؛ لم يتـأهَّل بعدُ شاعرٌ من شعراء الجيل أن يقتعد ذروته .

بلى ، فى مصر وفى سائر بلاد العربية شعراءُ ، وإن منهم لمَنْ بلغ فى فنه مالم يبلغ شوقى ، ولكنهم فيما اختاروا لأنفسهم من مذاهب الشعر ؛ لم يبلغ واحد منهم أن يكون من الأمة ما كان لها شوقى : لسانَها المعبِّر عن كل ما يُلم بها من الأحداث ، وما يهمس فى ضميرها من الأمانى .

أمِن عجزٍ أم من قوة كان شوقى شاعر الأمة وكان هؤلاء شعراءَ أنفسِهم ؟ سؤال لست أجد اليوم جوابه ، وإن العربية لتدخل فى تاريخ جديد ، فلعل هذا التاريخ أن يجيب فى غدٍ عن هذا التساؤل ، حين يرسم للشاعر مهمته ، ويحدِّد مكانَه من نفسه ومن أمّته ؛ وأيا مّا كان الجواب فلن يضيع حق

---

(١) ظهرت الطبعة الأولى من هذا الجزء سنة ١٩٤٣ .

هذا الشاعر الذى خطَّ هذه الصفحات الأولى من التاريخ ، فحفظ للشعر العربى شبابَه وخطا بِهِ خُطاه إلى القوّة والمجد والخلود .

* * *

وبعد ، فهذا هو الجزءُ الرابع من الشوقيات ، دفعه إلىَّ مَن دفعه قُصاصاتٍ من صحف ، وجُزازاتٍ من ورق ، وبقيةً من مطبوعات أو مخطوطات أكلها البِلى ؛ لأنظر فى ترتيبها ، وتبويبها ، وإخراجها ديوانا .

ومن التجوُّز أن نسمِّى ذلك جزءًا ؛ فما هو إلا بقية ، أو شىءٌ من البقية التى لم تنشر فى الأجزاء الثلاثة الأُولى من الديوان ؛ فليس يجمعها باب ، ولا تضمها وَحدة ؛ ولا تميِّزها خصيصة من خصائص شعر شوقى ، وإن منها لآخرَ ما قال ، وأوائل ما نظم من شعر الصِّبا ، ولقد تكون هذه وحدها خصيصةً لهذه المجموعة من شعر شوقى ؛ فإن الباحث ليجد فيها مادّة تعينه على الموازنة بين ما كان هذا الشاعر فى أولاه ، وما صار فى آخرته ، وإنها بذلك لحقيقة أن تعينه على باب من القول ، لعل أسبابه لا تتهيأُ له من غير أن ينظر فى هذا الجزء من ديوانه .

على أن ذلك الجزء ليس هو كل ما بقِى من شعر شوقى بعد الأجزاء الثلاثة الأُولى ، ولكنه كل ما دُفع إلىَّ مما تهيأ لجامعِهِ أن يجمعه ، وأرى شيئاً ما قد فاته او هو قد أغفل نشرَه ؛ استجابةً لبعض الدواعى العامة ، أو الخاصة ، أو لعل الشاعر — رحمه الله — كان له رأى فى إغفال شىء من نظمه ؛ لجِدَّة أسباب ، أو زوالِ أسباب ، ومهما يكن من شىء ؛ فهذه حقيقة ينبغى أن أذكرها ، لعل سائلا يسأل من بعدُ ، أو لعل مدعياً أن يدعى .

وقد رتبت هذا الجزء على ستة أبواب :

الباب الأول منها « متفرقات فى السياسة والتاريخ والاجتماع » ، وهو اثنان وأربعون وثمانمائة بيت ، فى ثلاث وثلاثين قطعة[١] ، وإن منها آخرَ ما أنشأ[٢] ، وإن منها القديم الذى تطاولت عليه السنون ، وتراكمت الحوادث ، حتى ليوشك أن ينساه التاريخ[٣]

والباب الثانى « الخصوصيات » ، وهو ستة وخمسون ومائة بيت ، فى عشرين قطعة[٤] ، أكثرها فى الحديث عن نفسه ، وولده ، وبعض خاصته ، وإنه فيما تحدث عن ولده من هذا الباب ؛ ليهيئ للباحث النفسى أن يقول قولا فى الشاعر الأب ، وفى أبوة الشاعر .

والباب الثالث « الحكايات » ، وهو تسعة وسبعمائة بيت ؛ فى خمس وخمسين قطعة[٥] ، أكثرها مما نشره من قبل فى طبعة « الشوقيات » الأولى ؛ ولغة الشاعر فى هذا الباب غير لغته فى سائر شعره ، وإنه لباب يُسمح فيه للشاعر أن يترخَّص ، وأحسبه فى بعض ما قص من الحكايات فى هذا الباب ؛ كان يرمز لبعض ما مرَّ به من كيد الناس فى حياته ويعرِّض[٦] .

والباب الرابع « ديوان الأطفال » ، وهو ثلاثة وعشرون ومائة بيت ، فى عشر قطع ؛ وأكثره من الأناشيد العامة التى نظمها لمناسباتها ؛ ثم أرادها لتكون مما ينشده الناشئة .

---

(١) زيد إليها فى هذه الطبعة الثانية اثنان وتسعون ومائة بيت ، فى خمس قطع .

(٢) انظر « فتية الوادى عرفنا صوتكم » يخاطب بها الشباب الذين نهضوا بمشروع القرش فى سنة ١٩٣٢ ، وكانت تلاوتها يوم وفاته .

(٣) انظر « معالى العهد » و « رسالة الناشئة » .

(٤) زيد إليها فى هذه الطبعة الثانية ثلاثة عشر بيتا فى قطعة .

(٥) زيد إليها فى هذه الطبعة الثانية واحد وعشرون بيتا ، فى قطعة .

(٦) انظر « نديم الباذنجان ! » و « الثعلب والأرانب فى السفينة » وغيرهما .

والخامس من « شعر الصبا » ، وهو تسعة وتسعون بيتا ، فى ثمانى قطع من أوّليات شعره .

أما الباب السادس «محجوبيات» ؛ فهو باب طريف ، يشير إلى ما كان من ودّ بين الشاعر وصديقه الدكتور محجوب ثابت ، وعدّته ثلاثة وستون بيتًا فى أربع قطع ، ولا أحسب ذلك كل ما كان من «محجوبيات» شوقى ، ولكنه كلُّ ما ألقى إلىّ (١) .

* * *

فهذا هو الجزءُ الرابع من «الشوقيات» كما هو بين يدى قارئه ، ولعلى كنت مسئولاً — وقد حملت تبعة نشره — أن أشرح ، أو أعلّق على بعض ما قد يحتاج إلى التعليق والشرح من أبياته ، ولكنى آثرت والكتابُ فى طبعته الأُولى أن أجعله خالصاً لشعر شاعره ، وألا أستأْثرَ بالتوجيه فى الشرح ، كما يقول صديقى الأُستاذ محمود أبو الوفا ، فى كلمته بالجزء الثالث من الديوان .

على أن بعض كلمات قد اقتضانى موضوعُها أن أجليها ببعض الشرح ، فاكتفيت من ذلك بالنزر فى بعض الصفحات ، مكتفياً بما أثبتُّ فى رأس كل قصيدة ، من ذكر السبب ، والحادثة ، وبعض التاريخ ، إن دعا إلى ذلك موضوعها .

وإنى لأرجو بذلك أن أكون قد أدّيت واجبى على وجه يُعذرنى عند الناقد من بعض ما قد يراه فى هذا الجزء من هَنات ، وما أُبرِّئُ نفسى .

(١) وليس يفوتنى ان اشير الى قطعتين لم تنشرا فى هذا الجزء ، احداهما بعنوان « دنشواى » ، والأخرى بعنوان « الرقيب » ، وكنت قد هيأتهما للنشر فى الطبعة الاولى فى موضعهما من باب « المتفرقات » ، ثم غاب عنى اصلهما ، فلم يتهيأ لى نشرهما فى هذه الطبعة كذلك .

وفيما عدا ذلك حرصت ان يكون الديوان بالكامل ، ودون استبعاد اى قصيدة حرصا على تراث الشاعر أحمد شوقى .

متفرقات

فى السياسة والتاريخ والاجتماع

الْجَامعَةُ الْمِصْرِيَّةُ

« أنشاها فى حفلة افتتاح منشآت الجامعة المصرية سنة ١٩٣١ »

تاجَ البلادِ . تحيةٌ وسلامُ ... رَدّتك مصرُ . وصحَّت الأحلامُ
العلمُ والمُلكُ الرفيعُ ؛ كلاهما ... لك — يا « فؤادُ » — جلالةٌ ومقام
فكأنك المأمونُ فى سُلطانِه : ... فى ظلِّك الأعلامُ . والأقلامُ (١)
أهدَى إليك الغربُ من ألقابه ... فى العلمِ ما تسمو له الأعلام
من كلِّ مملكةٍ . وكلِّ جماعةٍ ... يسعى لك التقديرُ والإعظام

* * *

ماهذه الغُرَفُ الزواهرُ كالضُّحَى ... الشامخاتُ كأنها الأعلامُ ؟
من كلِّ مرفوعِ العمودِ مُنوَّرٍ ... كالصبحِ مُنْصَدِعٌ به الإظلام
تتحطَّم الأُمِّيَّةُ الكبرى على ... عَرَصاتِه ، وتمزَّقُ الأوهام
هذا البناءُ الفاطِمِىُّ مَنارةٌ ... وقواعدٌ لحضارةٍ ودِعام
مهدٌ تَهَيَّأَ للوليدِ ، وأيكةٌ ... سَيَرِنُّ فيها بُلبلٌ وحَمام
شُرُفاته نورُ السبيلِ . وركنُه ... للعبقريَّةِ مَنزلٌ ومُقام
وملاعبٌ تجرى الحظوظُ مع الصِّبا ... فى ظِلِّهنَّ ، وتُوهَبُ الأقسام (٢)

---

(١) المأمون بن الرشيد العباسى ، وعصره من ازهى عصور الدولة الاسلامية .

(٢) الاقسام : الحظوظ .

يمشي بها الفِتْيانُ ، هذا ماله　　نفس تُسَوِّدُه ، وذاك عِصامُ(١)
ألقَى أواسِيَهُ ، وطال برُكنِه　　نَفْسٌ من الصِّيدِ الملوكِ كُرام(٢)
من آلِ إسماعيلَ ، لاالعَمَّاتُ قد　　قصَّرن عن كرم ، ولا الأعمام
لم يُغْطَ هِمَّتَهم ، ولا إحسانَهم　　بان على وادي الملوك هُمام
وبنى فؤادٌ حائطَيْه ، يُعِينُه　　شعبٌ عن الغاياتِ ليس يَنام

* * *

أنظرأباالفاروقِ غرسَكَ ،هل دَنَتْ　　ثمراتُه ، وبدت له أعلامُ ؟
وهل انثنى الوادى وفى فمه الجَنَى　　وأتى العراقُ مُشاطرًا والشام ؟
فى كلِّ عاصمةٍ وكلِّ مدينةٍ　　شُبانُ مِصْرَ على المناهل حاموا
كم نستعيرُ الآخرين ونَجْتَدِى　　هيهات ! ما العارِيات دَوام
اليومَ يَرْعَى فى خمائلِ أرضِهم　　نَشَأٌ إلى داعى الرَّحيلِ قِيام
حبٌّ غَرَسْتَ براحَتَيْكَ ، ولم يَزَلْ　　يَسقيه من كِلتا يديك غَمام
حتى أنافَ على قوائمِ سُوقِهِ　　ثمرًا تَنوءُ وراءه الأكمام
فقريبُه للحاضرين وليمةٌ　　وبعيدُه للغابرين طعام
عِظةٌ لفاروقٍ وصالحِ جيلِهِ　　فيها يُنيلُ الصبرُ والإقدام
ونَموذجٌ تَحذُو عليه ، ولم يَزَلْ　　بسَراتِهِمْ يتشبَّهُ الأقوام
شَيَّدت صَرْحاً للذخائرِ عالياً　　يَأْوِى الجمالُ إليه والإلهام
رَفٌّ عُيونُ الكُتْبِ فيه طوائفٌ　　وجلائلُ الأسفارِ فيه رُكام

---

(١) يشير الى قول النابغة :
نفس عصام سودت عصاما　　وعلمته الكر والاقداما
وعصام حاجب النعمان بن المنذر ، واليه ينسب كل عصامى .
(٢) الأواسى : الدعائم والأبنية المحكمة .

إسكندريّةُ ، عاد كنزُكِ سالماً حتى كأنْ لم يلتهِمْه ضِرامُ(١)
لمّتْهُ من لَهَبِ الحريق أناملٌ بَرْدٌ على ما لامَسَتْ ، وسَلام
وأسَتْ جِراحَتَكِ القديمة راحةٌ جُرْحُ الزمانِ بعُرْفِها يَلتام
ذَهَبُ الطريفِ من الفَخارِ ، وربّما بَعَثَتْ تَليدَ المجدِ وهْوَ رِمام

* * *

أرأيتَ رُكنَ العلمِ كيف يُقامُ ؟ أرأيتَ الاستقلالَ كيف يُرامُ ؟
العلمُ فى سُبلِ الحضارةِ والعُلا حادٍ لكلِّ جماعةٍ ، وزِمام
بانى الممالكِ حينَ تنشُدُ بانياً ومَثابةُ الأوطانِ حينَ تُضام
قامت رُبوعُ العلمِ فى الوادى ، فهل للعبقريّةِ والنبوغِ قِيَام ؟
فهما الحياةُ ، وكلُّ دُورِ ثقافةٍ أو دُورِ تعليمٍ هى الأجسام
ما العلمُ ما لم يَصْنعاه حقيقةٌ للطالبين ، ولا البيانُ كلام
يا مِهرَجانَ العلمِ ، حولك فرْحَةٌ وعليك من آمالِ مِصرَ زِحام
ما أشبهتْكَ مواسمُ الوادى ، ولا أعيادُه فى الدهر ، وهْى عِظام
إلا نهاراً فى بشاشة صُبحِه قعد البُناةُ ، وقامت الأهرام
وأطال « خوفو » من مواكبِ عِزّه فاهتزّت الرَّبَواتُ ، والآكام
يُومِى بتاجٍ فى الحضارة مُعْرِقٍ تعنُو الجِباهُ لعِزه ، والهام
تاجٌ تنقّلَ فى العُصورِ مُعَظَّماً وتألَّفتْ دُوَلٌ عليه جِسام
لما اضطلعتَ به مَشَى فيه الهدى ومراشدُ الدستورِ ، والإسلام
سَبقتْ مواكبُكَ الربيعَ وحُسْنَه فالنيلُ زهْوٌ ، والضِّفافُ وِسام

---

(١) يشير الى حديث التاريخ عن حريق مكتبة الاسكندرية .

الجيزةُ الفيحاءُ هَزّت منكِباً ... سبغ النوالُ عليه والإنعام
لبست زخارفَها ، ومسّتْ طِيبَها ... وترددتْ فى أيْكها الأنغامُ
قد زدتها هرَماً يُحَجُّ فِناؤه ... ويُشدُّ للدنيا إليه حِزام
تقفُ القرونُ غدا على درجاتِه ... تُمْلِى الثناء ، وتكتبُ الأيام
أعوامُ جهدٍ فى الشبابِ ، وراءها ... من جهد خيرِ كهولةٍ أعوام
بلغَ البناءُ على يديك تمامَهُ ... ولكل ما تبنى يداك تمام

بَنْكُ مصْرَ

« انشدت فى مجلس الاحتفال بوضع الحجــــر الاول فى اساس « بنك مصر » فى مايو ١٩٢٥ »

نُراوَحُ بالحوادثِ ، أو نُغادَى ... ونُنكرُها ، ونُعطيها القِيادا
ونحمَدُها وما رعتِ الضَّحايا ... ولا جزتِ المواقفَ والجهادا
لحَاها اللهُ ؛ باعتْنا خيالاً ... من الأحلامِ ، واشترتِ اتّحادا
مشيْنا أمسِ نلقاها جميعًا ... ونحنُ اليومَ نلقاها فُرادَى(١)
أظلَّتْنا عن الإصلاحِ ، حتى ... عَجَزْنا أن نُناقشَها الفسادا
تُلاقِينا ، فلا نَجِدُ الصَّياصِي ... ونَلقاها ، فلا نجدُ العَتادا(٢)
ومَنْ لَقِيَ السِّباعَ بغيرِ ظفرٍ ... ولا نابٍ تمزَّقَ أو تفادَى
خَفضنا من عُلُوِّ الحقِّ حتى ... تَوهَّمنا السيادةَ أن نُسادا
ولمَّا لم نَنلْ للسيفِ رَدًّا ... تنازعْنا الحمائلَ والنِّجادا
وأقبلنا على أقوالِ زورٍ ... تجىءُ الغَيَّ تَقلِبُهُ رَشادا
ولو عُدنا إليها بعدَ قرْنٍ ... رَحمنا الطِّرْسَ منها والمِدادا
وكم سحرٍ سمعنا منذُ حينٍ ... تضاءلَ بين أعيُننا ونادى
هنيئًا للعدوِّ بكلِّ أرضٍ ... إذا هو حلَّ فى بلدٍ تَعادَى
وبُعدًا للسيادةِ والمعالى ... إذا قَطَعَ القرابةَ والودادا
وربَّ حقيقةٍ لا بدَّ منها ... خدعْنا النشْءَ عنها والسَّوادا

---

(١) يشير الى ما كان من حدة الخلاف بين زعمـــاء مصر فى ذلك التـــاريخ .
(٢) الصياصى : الحصون . والعتاد : عدة الحرب .

ولو طلعوا عليها عالجوها ... بهمّةِ أنفسٍ عَظُمتْ مُرادا
تُعِدُّ لحادثِ الأيامِ صَبرًا ... وآونةً تُعِدُّ له عِنادا
وتخلِف بالنُّهى البيضَ المواضى ... وبالخُلق المثقَّفة الصِّعادا
لمحنا الحَظَّ ناحيةً ، فلما ... بلغناها أحسَّ بنا ، فحادا
وليس الحظُّ إلا عبقريًّا ... يُحبُّ الأريَحيّةَ ، والسَّدادا
ونحن بنو زمانٍ حُوَّلِيٍّ ... تَنَقَّلَ تاجرًا ، ومَشَى ، ورَادا
إذا قعد العِبادُ له بِسوقٍ ... شرى فى السوق ، أو باع العِبادا
وتُعجبه العواطفُ فى كتابٍ ... وفى دمع المُشَخِّصِ ما أجادا

* * *

يُؤمِّننا على الدستورِ أنَّا ... نَرى من خلفِ حَوْزَتِه فؤادا
أبو الفاروقِ نرجوه لفضلٍ ... ولا نخشى لِما وَهبَ ارتدادا
ملأنا باسمه الأفواهَ فخرًا ... ولقبناه بالأمس (المكادا)(١)
نُناجيه ، فنسترعِى حكيماً ... ونسأله فنستجدى جَوَادَا
ولم يزلِ المحبَّبَ ، والمفدَّى ... ومرهَمَ كلِّ جُرحٍ ، والضِّمادا

* * *

تَدفَّق مَصْرِفُ الوادى ، فروَّى ... وصابَ غمامُهُ ، فسقى ، وجادا
دعا فتنافسَتْ فيه نُفوسٌ ... بمصرَ لكلِّ صالحةٍ تُنادَى
تُقدِّمُ عونَها ثِقةً ومالاً ... وأحياناً تُقدِّمُهُ اجتهادا
وأقبلَ من شبابِ القومِ جمعٌ ... كما بنتِ الكهولُ بَنَى ، وشادا
كأن جوانبَ الدارِ الخلايا ... وهم كالنحل فى الدار احتشادا

---

(١) الميكادو : الملك فى لغة اليابان .

قيادارًا من الهِمَمِ العوالى ... سُقيتِ التِّبرَ . لا أرْضَى العِهادا(١)
تـأتّى حينَ أسَّسَكِ ابنُ حربٍ ... وحينَ بنى دعائمَكِ الشِّدادا
ولا تُرجَى المتانةُ فى بناءٍ ... إذا البنَّاءُ لم يُعْطَ اتّئادا
بنى الدارَ التى كنّا نراها ... أمانىَّ المخيِّلِ ، أو رُقادا
ولم يَبْعُدْ على نفسٍ مَرَامٌ ... إذا ركِبَتْ له الهِمَمَ البِعادا
ولم أرَ بعدَ قدرتِه تعالى ... كمَقدِرَةِ ابنِ آدمَ إن أرادا
جرى والناسُ فى ريبٍ وشكٍّ ... يَرومُ السَّبْقَ : فاخترقَ الجيادا
وعودِىَ دونَها حتى بَناها ... ومن شأْنِ المجدِّدِ أن يُعادى
يَهونُ الكيدُ مِنْ أعدَى عدُوٍّ ... عليكَ إذا الولىُّ سعَى وكادا
فجاءت كالنهارِ إذا تجلَّى ... عُلُوًّا فى المشارقِ وانطيادا(٢)
نصونُ كرائمَ الأموالِ فيها ... ونُنزِلها الخزائنَ والنِّضادا
ونُخرجُها ، فتكسِبُ ، ثُمَّ تأْوِى ... رُجوعَ النَّحْلِ قد حُمِّلْنَ زادا
ولم أرَ مثلَها أرضاً أغلَّتْ ... وما سُقِيَتْ ، ولا طَعِمَتْ سَمادا
ولا مُستوْدعاً مالاً لقومٍ ... إذا رجعوا له أدَّى وزادا
ومن عجبٍ نُثبِّتُها أصولاً ... وتِلك فروعُها تَغشَى البلادا
كأنَّ القُطْرَ من شوقٍ إليها ... سَما قبلَ الأساسِ بها عِمادا
ولو مَلَكتْ كنوزَ الأرضِ كفِّى ... جَعلْتُ أساسَها ماساً ورادا
ولو أنّ النجومَ عَنَتْ لحُكمى ... فرشتُ النيِّراتِ لها مِهادا

---

(١) العهاد : المطر .
(٢) الانطياد : الارتفاع .

دَارُ بَنْك مِصْرَ

« نظمها لتنشد فى حفـــــلة افتتاح الدار الجديدة لبنـك مصر فى يونيو سنة ١٩٢٧ »

نَبذَ الهوى ، وصَحَا من الأَحلامِ ... شَرقٌ تنبَّهَ بعدَ طولِ مَنام
ثابَتْ سلامتُه ، وأقبل صَحْوُهُ ... إلا بَقايا فَتْرَةٍ وسَقام
صاحتْ به الآجامُ : هُنْتَ ! فلم يَنَمْ . ... أعلى الهوانِ يُنامُ فى الآجامِ ؟
أُمَمٌ وراءَ الكهفِ جُهْدُ حَياتِهم ... حركاتُ عيشٍ فى سُكونِ حِمام
نفضوا العيونَ من الكرَى . واستأنفوا ... سَفرَ الحياة ، ورِحلةَ الأَيّام
مَنْ ليس فى رَكْبِ الزمانِ مُغَبِّرًا ... فأَعْدُدْهُ بين غوابرِ الأَقوام
فى كلِّ حاضرةٍ وكلِّ قبيلةٍ ... هِمَمٌ ذَهبْنَ يَرُمْن كلَّ مَرام
مِن كلِّ مُمتنعٍ على أرسانِه ... أو جامحٍ يَعدو بنِصفِ لِجام

* * *

يا مِصْرُ . أنتِ كِنانةُ اللهِ التى ... لا تُستباحُ . وللكِنانةِ حامِ
استَقبلِى الآمالَ فى غاياتِها ... وتأمَّلِى الدُّنيا بطَرْفٍ سام
وخُذِى طَريفَ المجدِ بعدَ تَليدِه ... من راحتَىْ مَلِكٍ أَغرَّ هُمام
يُعْنَى بِسُؤدد قومِه . وحُقوقِهم ... ويَذودُ دونَ حِياضِهم ، ويُحامى
ما تاجُكِ العالى . ولا نُوّابُه ... بالحانِثين إليكِ فى الإِقسام

جَرَّبْتِ نُعْمَى الحادثاتِ وبُؤْسَها　　أَعَلِمْتِ حالاً آذَنَتْ بدوامِ؟

* * *

عَبَسَتْ إلينا الحادثاتُ ، وطالما　　نَزلَتْ فلم نُغْلَبْ على الأحلام
وَثَبَتْ بقومٍ يَضْمِدون جِراحَهم　　ويُرَقِّدون نَوازِىَ الآلام
الحقُّ كلُّ سلاحِهم وكفاحِهم　　والحقُّ نِعْمَ مُثَبِّتُ الأقدام

* * *

يَبنون حائطَ مُلْكِهم فى هُدنَةٍ　　وعلى عواقبِ شِحنَةٍ وخِصام
قلْ للحوادث : أقدِمى ، أو أحجِمى　　إنَّا بَنو الإقدامِ والإحجام
نحن النيامُ إذا الليالى سالَمَتْ　　فإذا وَثَبْنَ فنحنُ غيرُ نيام
فينا من الصبرِ الجميلِ بقيّةٌ　　لحوادثٍ خَلْفَ الغُيوبِ جِسام

* * *

أين الوُفودُ المُلتقونَ على القِرَى　　المُنزَلون مَنازلَ الأكرامِ(١)
الوارثون القُدْسَ عن أحبارهِ　　والخالِفونَ أميَّةً فى الشَّام؟
الحامِلو الفُصْحَى ونورِ بيانِها　　يَبنون فيه حضارةَ الإسلام ؟
ويُؤَلِّفون الشرقَ فى بُرْهانِها　　لِمَّ الضياء حَواشِىَ الإظلام ؟
تاقوا إلى أوطانِهم ، فتحَمَّلوا　　وهَوَى الديارِ وراءَ كلِّ غرام
ما ضرَّ لو حبَسوا الرَّكائبَ ساعةً　　وثنَوْا إلى الفُسطاطِ فضلَ زِمام ؟
ليُضيف شاهدُهمْ إلى أيامِه　　يوماً أغرَّ مُلمَّحَ الأعلام

---

(١) يعنى وفود البلاد العربية التى اجتمعت لتكريمه ومبايعته بامارة الشعر فى مارس من تلك السنة نفسها .

ويرىٰ ويَسمَعَ كيف عادَ حقيقةً ما كان مُمتنِعًا على الأوهامِ ...

... مِنْ هِمّةِ المحكومِ وهو مُكبَّلٌ بالقيد . لا من هِمَّةِ الحكامِ

* * *

مِصرُ التقتْ فى مِهرجانِ مُحمدٍ وتجمَّعَتْ لتحيّةٍ وسلامِ (١)

هَزَّتْ مَناكبَها له . فكأنه عُرْسُ البيانِ . وموكبُ الأقلام

وكأنه فى الفتح عَمُّوريّةٌ وكأننى فيه أبو تمّام (٢)

أَسِمُ العصورَ بحسنِهِ . وأنا الذى يَرْوى . فينتظمُ العصورَ كلامى

* * *

شرفاً محمدُ ، هكذا تُبنى العلا : بالصبرِ آونةً وبالإقدام

هِمَمُ الرجالِ إذا مضتْ لم يَثْنِها خدعُ الثناء ولا عَوادى الذّام

وتمامُ فضلِكَ أن يَعيبَكَ حُسَّدٌ يجدون نقصاً عندَ كلِّ تمَام

* *

المالُ فى الدنيا منازلُ نُقلةٍ من أين جئتَ له بدارِ مُقام ؟!

فرفعتَ إيواناً كرُكنِ النَّجمِ . لم يُضرَبْ على كِسرىٰ . ولا بَهرام

صَيَّرْتَ طينتَه الخلودَ ، وجئتَ مِنْ وادى الملوكِ بجَنْدَلٍ ورَغام

هذا البناءُ العبقرىُّ أَتىٰ به بيتٌ له فضل وحقٌّ ذِمام

كانت به الأرقام تُدرَكُ حِسبةً واليومَ جاوَزَ حِسْبَةَ الأرقام

يا طالما شغف الظنونَ . وطالما كثر الرجاءُ عليه فى الإلمام

---

(١) هو المرحوم محمد طلعت حرب باشا مؤسس البنك .

(٢) قصيدة أبى تمام فى فتح عمورية ذائعة مشهورة

ما زلتَ أنتَ وصاحباك بِركنه حتى استقام على أعزّ دِعامِ
أسَّسْتُمو بالحاسدين جِدارَه وبنيتمو بمعاوِل الهدّام
شَركاتُك الدنيا العريضةُ لم تَنَل إلا بطول رْعايةٍ وقيام
اللهُ سخَّر للكنانةِ خازناً أخذ الأمانَ لها من الأعوام
وكأنَّ عهدَك عهدُ يوسُفَ: كلُّهُ ظِلٌّ ، وسُنْبُلةٌ ، وقَطرُ غَمام
وكأن مالَ المودِعين وزرعَهم فى راحتيْك ودائعُ الأيتام
ما زلتَ تَبنى رُكنَ كلِّ عظيمةٍ حتى أتيتَ برابع الأهرام

دَارُ العُلوم (*)

« انشدت فى الاحتفال الخمسينى لدار العلوم ،
بمسرح حديقة الازبكية فى يوليو سنة ١٩٢٧ »

اتَّخذتِ السماءَ يا دارُ رُكنا   وأَوَيْتِ الكواكبَ الزُّهْرَ سَكْنا
وجمعتِ السعادتين ، فباتت   فيك دُنيا الصلاحِ للدين خِدنا
نادَمَا الدهرَ فى ذَراكِ ، وفَضَّا   من سُلاف الودادِ دَنًّا فدَنَّا
وإذا الخُلْقُ كان عِقْدَ ودادٍ   لم ينل منه مَنْ وَشَى وتَجنَّى
وأرى العلمَ كالعبادة فى أَبـ   ـعادِ غاياتِه : إلى الله أدنى
واسعَ الساحِ ، يرسل الفِكْرَ فيها   كلُّ مَن شكَّ ساعةً أو تَظنَّى
هل سألنا أبا العلاءِ وإن قلَّـ   ـب عينًا فى عالم الكونِ وَسْنَى
كيف يَهْزا بخالق الطيرِ مَنْ لم   يَعلم الطيرَ ؛ هل بكى أو تغنَّى؟

* * *

أنتِ كالشمس رفرفاً ، والسماكيْـ   ـنِ رواقاً ، وكالمَجَرَّة صَحْنا
لو تَستَّرْتِ كنتِ كالكعبة الغرّ   اءِ ذيلاً من الجلال ورُدْنا
إن تكن للثواب والبِرِّ دارًا   أنت للحق والمراشدِ مَغْنَى
قد بلغتِ الكمال فى نصف قرنٍ   كيف إن تمّت الملاوة قَرنا ؟!

(*) زيدت هذه فى الطبعة الثانية .

لاتَعُدِّى السنينَ إن ذُكر العـــــلمَ ؛ فما تعلمين للعلم سِنّا
سوف تفنى فى ساحَتَيْكِ الليالى   وهْوَ باقٍ على المدى ليس يفنى
ياعكاظًا حوى الشبابَ فِصاحاً   قُرَشِيِّينَ فى المجامع ، لُسْنا
بَثَّهُمْ فى كنانة اللهِ نورًا   مِن ظلام على البصائر أخْنَى
علِّموا بالبيانِ ، لا غُرباءَ   فيه يوماً ، ولا أعاجمَ لُكْنا
فتيةٌ محسنون ، لم يُخْلِفوا العـــــلمَ رجاءً ، ولا المعلِّمَ ظَنّا
صَدَعوا ظُلمةً على الريف حَلَّتْ   وأضاءوا الصعيدَ سهلاً ، وحَزْنا
مَنْ قضى منهمُ تَفَرَّق فِكرًا   فى نُهَى النَّشْءِ ، أو تَقَسَّم ذِهنا
نادِ دارَ العلوم إن شئتَ : « ياعا   نش » ، أو شئتَ نادها : « ياسُكَيْنا »
قل لها : ياابنه « المباركِ »(١) إيهٍ   قد جَرَتْ كاسمه أمورُكِ يُمْنا
هو فى المهرجان حَىٌّ شهيدٌ   يَجْتَلِى غرْسَ فضلِه كيف أجنى
وهْوَ فى العُرْسِ — إن تحجَّبَ ، أولم   يَحْتَجِب — والدُ العروسِ المُهنّا
ما جرى ذكرُه بناديكِ حتى   وقف الدمعُ فى الشئون فأثْنى
رُبَّ خيرٍ مُلِئتَ منه سُرورًا   ذَكَّر الخيِّرين فاهتجتَ حُزْنا
أَدَرَى إذ بناك أنْ كان يبنى   فوق أنف العدوِ للضاد حِصنًا ؟
حائطُ الملكِ بالمدارس إن شئـــــتَ ، وإن شئت بالمعاقل يُبنى
انظر الناس ، هل ترى لحياةٍ   عُطِّلَتْ من نَباهَةِ الذكرِ مَعْنى ؟
لاالغنى فى الرجال ناب عن الفضـــــلِ وسلطانِه ، ولا الجاهُ أ ى
رُبَّ عاثٍ فى الأرض لم تجعل الأرْ   ضُ له إن أقام أو سار وَزنا

(١) يعنى منشىء دار العلوم المرحوم على مبارك باشا .

عاش لم ترزمه بعين ، وأودى هَمَلاً لم تهب لناعيه أذْنا
نظمَ اللهُ مُلكَه بعبادٍ عبقريِّين أورثوا المُلكَ حُسنا
شغلتهم عن الحسود المعالى إنما يُحسَدُ العظيمُ ويُشنا
من ذكيِّ الفؤادِ يورثُ علمًا أو بديعِ الخيالِ يخلُق فنَّا
كم قديمٍ كرُقعةِ الفنِّ حرٍّ لم يُقلِّل له الجديدان شأنا
وجديدٍ عليه يختلف الدهـــرُ ، ويفنى الزمانُ قرنًا فقرنا
فاحتفظ بالذخيرتين جميعًا عادةُ الفَطْنِ بالذخائر يُعنى
يا شباباً سَقوْنِيَ الوُدَّ مَحضاً وسقوا شانئى على الغِلِّ أجْنا
كلما صار للكهولة شِعرى أنشَدوه ، فعاد أمْرَدَ لدْنا
أُسرةُ الشاعرِ الرُّواةُ ، وما عَنَّـــوْهُ ، والمرءُ بالقريب مُعَنَّى
هم يضنُّون فى الحياة بما قا لَ ، ويُلفَوْنَ فى الممات أضنَّا
وإذا ما انقضى وأهلُوهُ لم يَعـــدَم شقيقاً من الرُّواة أو ابْنا
النبوغَ النبوغَ حتى تنُصُّوا رايةَ العلم كالهلال وأسنَى
نحن فى صورة الممالكِ ما لم يُصْبِحِ العلمُ والمعلِّمُ مِنَّا
لا تنادوا الحصونَ والسُّفنَ ، وادْعُوا العـــ
ـــلم يُنشئْ لكم حصوناً وسُفْنا
إنَّ رَكْبَ الحضارةِ اخترق الأرْ ضَ ، وشقَّ السماءَ ريحًا ومُزْنا
وصَحِبْناه كالغبارِ ، فلا رَجْـــــلاً شدَدْنا ، ولا رِكاباً زمَمْنا
دان آباؤنا الزمانَ مَلِيًّا ومَلِيًّا لحادثِ الدهر دِنَّا !
كم نُباهِى بلحْدِ مَيْتٍ؟ وكم نحـــــملُ من هادمٍ ولم يَبنِ مَنًّا ؟ !
قد أنَى أن نقول : « نحن » ، ولا نســـمع أبناءنا يقولون : « كُنَّا » !

إسْكَنْدَرِيَةُ آنَ أَنْ تَتَجَدَّدِى

« نظمها لحفلة افتتاح دار جديدة لبنك مصر
فى الاسكندرية ، فى يونيو سنة ١٩٢٩ »

أَمسِ انقضى ، واليومُ مِرْقاةُ الغدِ   إسكَنْدَرِيَّةُ ، آن أن تتجَدَّدِى
يا غرَّةَ الوادى وسُدَّةَ بابِه   رُدِّى مكانَكِ فى البريةِ يُرْدَدِ
فيضى كأَمسِ على العلوم من النُّهى   وعلى الفنونِ من الجمالِ السَّرْمَدِى
وسِمِى النَّبالَةَ بالملاحِمِ تتَّسِمْ   وسِمِى الصَّبابةَ بالعواطف تخلُدِ
وضعِى رواياتِ الخلاعةِ والهوى   لممثِّلين من العصورِ ، وشُهَّدِ
لا تجعلى حُبَّ القديمِ وذكرَه   حسراتِ مِضياعٍ ، ودفعَ مُبَدِّدِ
إنَّ القديمَ ذخيرةٌ من صالحٍ   تبنِى المقصِّرَ ، أو تحثُّ المقتدى

* * *

لا تفتِنَنْكِ حضارةٌ مَجلوبةٌ   لم يُبنَ حائطُها بمالِكِ واليَدِ
لو مالَ عنكِ شِراعُها وبُخارُها   لم يبقَ غيرُ الصَّيْدِ والمتصيِّدِ
وُجدَتْ وكان لغيرِ أَهلِكِ أَرضُها   وسماؤُها . وكأَنها لم توجَد
جارى النزيلَ ، وسابقيه إلى الغنَى   وإلى الحِجا ، وإلى العُلا والسُّؤْدَدِ
وابنِى كما يبنِى المعاهدَ ، واشرعى   لشبابِك العرفانَ عذْبَ المَوْرِد
إنى حَذِرتُ عليك من أُمِّية   رَبَضتْ كجُنْحِ الغيهبِ المتلبِّدِ

أخِزانةَ الوادى ، عليكِ تحيةٌ ... وعلى النَّدِىِّ وكلِّ أبلجَ فى النَّدِى
ما أنتِ إلا من خزائنِ يوسفٍ ... بالقصدِ ، موحِيَةٌ لمن لم يقصِدِ
فُلِّذْتِ من مال البلادِ أمانةً ... يا طالما افتقرتْ إلى المتقلِّد
وبَلغتِ من إيمانِها ورجائِها ... ما يبلغُ المحرابُ من مُتعبِّد
فلوَ انَّ أستارَ الجلالِ سَعَتْ إلى ... غيرِ العتيقِ لبِسْتِ مما يَرتدى

* * *

إنا نُعَظِّمُ فيكِ ألويَةً على ... جَنَبَاتِها حَشْدٌ يَروح ويَغْتدِى
وإذا طعِمْتَ من الخليَّةِ شهْدَها ... فاشهَدْ لقائدها وللمُتجَنّد
لا تمنحِ المحبوبَ شُكرَكَ كلَّه ... واقرنْ به شكرَ الأَجيرِ المُجهَد
إسكَندَرِيَّةُ شُرِّفتْ بعِصابةٍ ... بيضِ الأَسِرَّةِ ، والصحيفةِ ، واليد
خدموا حِمى الوطنِ العزيزِ ، فبورِكوا ... خدَماً ، وبورك فى الحمى مِن سَيِّد
مابالُ ذاك الكوخِ صَرْحَ وانجلَى ... عن حائطىْ صَرْحٍ أشمَّ مُمرَّد ؟
مِن كسْرِ بيتٍ ، أو جِدارِ سَقِيفةٍ ... رَفع الثباتُ بِنايةً كالفرْقَد
فإذا طلعتَ على جلالةِ رُكنِها ... قلْ : تِلك إحدى مُعجزات (محمدٍ)(١)

---

(١) محمد طلعت حرب .

فِتْيَةَ الْوادِى عَرَفْنَا صَوْتَكُمْ

« يخاطب الشاعر بهذه القصيدة شباب مصر الذين نهضوا بمشروع القرش سنة ١٩٣٢ ، وهى آخر ماجادت به شاعريته ، وكانت تلاوتها يوم وفاته ! »

لا يُقِيمَنَّ على الضَّيْمِ الأَسَدْ — نزعَ الشِّبلُ من الغابِ الوتدْ
كبرَ الشِّبلُ . وشبَّتْ نابُه — وتغطَّى مَنْكِباه باللِّبَد
اتركوه يَمْشِ فى آجامِه — ودَعوه عن حِمَى الغابِ يَذُد
واعرضوا الدنيا على أظفارِه — وابعثوه فى صحاراها يَصِد

* * *

فِتيةَ الوادى ، عَرَفْنا صَوْتَكم — مَرْحبًا بالطائرِ الشادِى الغَرِد
هو صوتُ الحقِّ ، لم يَبْغِ ، ولم — يَحمِلِ الحقدَ ، ولم يُخْفِ الحَسَد
وخلا من شهوةٍ ما خالطت — صالحًا من عملٍ إلا فسَد
حَرَّكَ البلبلُ عِطفَىْ رَبْوَةٍ — كان فيها البومُ بالأَيْكِ انفرَد
زَنْبَقُ المُدْن ، وريحانُ القُرَى — قام فى كلِّ طريقٍ وقَعد
باكِرًا كالنَّحل فى أسرابها — كلُّ سِربٍ قد تلاقى واحتشد
قد جَنَى ما قلَّ من زهْر الرُّبَا — ثم أعطى بَدَلَ الزهر الشُّهُد
بَسَطَ الكفَّ لمن صادفَه — ومَضَى يَقْصُرُ خطْوًا ويَمُدّ
يجعلُ الأوطانَ أُغنيَّتَه — ويُنادِي الناسَ : مَنْ جادَ وجَد

كلَّما مرَّ بباب دقَّه أو رأى دارًا على الدرب قصَدْ
غادياً فى المدْنِ ، أو نحوَ القرى رائحًا يسأَلُ قرشاً للبلد
أيُّها الناسُ ، اسمعوا ، أصغوا له أخرجوا المال إلى البرِّ يمُدْ
لا ترُدُّوا يَدَهم فارغةً طالبُ العوْنِ لمصرٍ لا يُرَدّ

* * *

سيَرى الناسُ عجيبًا فى غدٍ يغرسُ القرشُ ، ويَبنى ، ويَلِدْ
يُنهِض اللهُ الصناعاتِ به من عِثارٍ لبثتْ فيه الأبد
أو يَزيد البرَّ دارًا قعدتْ لكفاح السُّلِّ ، أو حربِ الرَّمد
وهْوَ فى الأيدى ، وفى قدرتِها لم يَضِقْ عنه ولم يَعجزْ أحد

* * *

تلك مصرُ الغدِ تبنى مُلكها نادت البانى وجاءت بالعُدَدْ
وعلى المالِ بَنتْ ساطانَها ثابتَ الآساسِ مرفوعَ العَمَد
وأصارتْ بنكَ مصرٍ كهفَها حبَّذا الركنُ وأعظِمْ بالسند
تَسْلٌ مِن هِمَّةٍ قد بَعُدَتْ ومداها فى المعالى قد بَعُد
ردَّها العصرُ إلى أسلوبِه كلُّ عصرٍ بأساليب جُدُد
البنونَ استنهضوا آباءهم ودعا الشبلُ من الوادى الأسد
أصبحت مصرُ ، وأضحى مجدُها هِمَّة الوالدِ ، أو شُغلَ **الولد**
هذه الهِمَّةُ بالأمسِ جَرَتْ فحَوَتْ فى طلب الحقِّ **الأمد**

* * *

أيُّها الجيلُ الذى نرجو لِغدْ غدُك العِزُّ ، ودنياك الرَّغد
أنت فى مَدْرَجةِ السَّيلِ ، وقد ضلَّ مَنْ فى مَدرجِ السيلِ **رَقد**

قدْت نِ الحقِّ ، فقدْ فى مثلهِ   من نواحى القصدِ أو سُبْلِ الرشد
رُبَّ عامٍ أنت فيه واجدٌ   فادَّخرْ فيه لعامٍ لا تجِدْ
علِّمِ الآباءَ . واهتف قائلاً :   أيُّها الشعبُ ، تعاوَنْ واقتصِد
اجمعِ القرشَ إلى القرشِ يكنْ   لك من جمعهما مالٌ لُبَدْ
اطلبِ القطن . وزاولْ غيرَه   واتَّخذْ سوقاً إذا سُوقٌ كَسَدْ
نحن قبل القطن كنّا أُمّةً   تهبِط الوادى ، وتَرْعى ، وتَرِدْ
قد أخذنا فى الصناعات المَدَى   وبَنَيْنا فى الأوالِي ما خلَد
وغَزلنا قبلَ إدريسَ الكُسَا   ونسجْنا قبلَ داوُدَ الزَّرَد
إن تلكُ اليوم لواءً قائداً   كم لواءٍ لك بالأمسِ انعقد !

عِيدُ الْجِهَاد(*)

« نظمها احتفالا بعيد الجهاد الوطني
في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٦ »

خَطَوْنا في الجِهادِ خُطًا فِساحَا — وهادَنَّا ، ولم نُلقِ السِّلاحَا
رَضِينا في هوى الوطنِ المفدَّى — دمَ الشهداءِ والمالَ المُطاحا
ولمّا سُلَّت البِيضُ المواضي — تقلَّدْنا لها الحقَّ الصُّراحا
فحطَّمْنا الشَّكيمَ سِوَى بقايا — إذا عَضَّتْ أَرَيْناها الجِماحا
وقمنا في شِراعِ الحق نَلْقَى — وندفع عن جوانبه الرِّياحا
نُعالج شِدَّةً ، ونَروض أُخرى — ونسعى السعيَ مشروعاً مباحا
ونستولي على العقبات إلا — كَمِينَ الغيبِ والقَدَرَ المُتاحا
ومَنْ يَصبِرْ يَجِدْ طولَ التمنِّي — على الأيام قد صار اقتراحا
وأيامٍ كأجواف الليالي — فقَدْنَ النجمَ والقمرَ اللِّياحا
قضيناها حِيالَ الحربِ نخشى — بقاءَ الرِّق ، أو نرجو السَّراحا
تَرَكْنَ الناسَ بالوادي قعودا — من الإعياء كالإبل الرَّزاحى
جنود السِّلْم لا ظَفرٌ جَزاهم — بما صبروا ، ولا موتٌ أَراحا
ولا تلْقَى سوى حيٍّ كَميْتٍ — ومنزوف وإن لم يُشْقَ راحا

(*) زيدت هذه في الطبعة الثانية .

ترى أسْرَى وما شهدوا قِتالاً ... ولا اعتقلوا الأسِنَّةَ والصِّفاحا
وجَرْحَى السَّوْطِ لا جَرْحَى المواضى ... بما عمل الجواسيسُ اجتراحا
صباحُك كان إقبالاً وسعدًا ... فيا يومَ الرِّسالةِ ، عِمْ صَباحا
وما تألوا نهارَكَ ذكرياتٍ ... ولا برهانَ عِزَّتِك التِماحا
تكاد حِلاك فى صفحات مصرٍ ... بها التاريخُ يُفتتح افتتاحا
جلالُك عن سَنا الأضحى تَجلَّى ... ونُورُك عن هلالِ الفطر لاحا
هما حقٌّ ، وأنت مُلِئْتَ حقًّا ... ومَثَّلْتَ الضحيَّةَ والسَّماحا
بَعثنا فيك «هاروناً وموسى» ... إلى «فرعونَ» فابْتَدَآ الكفاحا(١)
وكان أعزَّ مِن رُوما سيوفاً ... وأطغَى من قياصرِها رماحا
يكاد من الفتوح وما سَقَتْهُ ... يَخالُ وراءَ هيكلِه «فِتاحا»

* * *

وردَّ المسلمون فقيل : خابوا ... فيالَكِ خيبةً عادت نجاحا !
أثارت وادِيا من غايَتَيْه ... ولامَتْ(٢) فُرْقَةً وأَسَتْ جِراحا
وشَدَّتْ مِن قُوَى قومٍ مِراضٍ ... عزائمهم فردَّتْها صِحاحا
كأن بِلالَ نُودِيَ : قُمْ فأذِّنْ ... فرَجَّ شِعابَ مكةَ والبِطاحا
كأن الناس فى دِينٍ جديدٍ ... على جنباته استبَقوا الصلاحا
وقد هانت حياتُهُمُ عليهم ... وكانوا بالحياةِ هُمُ الشحاحا
فتسمع فى مآتمهم غِناءً ... وتسمع فى ولائمهم نُواحا

---

(١) يشير الى مقابلة سعد زغلول وصاحبيه لممثل بريطانيا فى مصر فى نوفمبر من سنة ١٩١٨ ليطالبوا باستقلال البلاد .
(٢) لامت : لأمت .

حَوارِيِّينَ أَو فَدْنا ثِقاتٍ ... إذا تُرِكَ البلاغُ لهم ، فِصاحا
فكانوا الحقَّ منقبضًا حَيِيًّا ... تحدَّى السيفَ مُنصلِتا وَقاحا
لهم مِنَّا براءةُ أهلِ بدرٍ ... فلا إثماً نَعُدُّ ولا جُناحا
ترىٰ الشَّحناءَ بينهمو عِتاباً ... وتحسب جِدَّهم فيها مُزاحا
جعلنا الخلدَ منزلَهم ، وزدنا ... على الخلدِ الثناءَ والامتداحا

* ** *

يمينًا بالتى يُسْعَى إليها ... غُدُوًّا بالندامة ، أو رَوَاحا
وتَعبَقُ فى أنوف الحجِّ رُكبْنا ... وتحتَ جِباهِهم رَحْباً ، وساحا
وبالدستور . وهْوَ لنا حياةٌ ... نرى فيه السلامةَ والفلاحا
أخذناه على المُهَجِ الغوالى ... ولم نأخذه نَيلاً مُستَاحا
بنينا فيه من دمعٍ رِواقاً ... ومن دمِ كلِّ نابتةٍ جناحا ...
... لما ملأ الشبابَ كروح سعدٍ ... ولا جعل الحياةَ لهم طِمَاحا
سَلوا عنه القضيةَ ، هل حَماها ... وكان حِمى القضيةِ مُستباحا؟
وهل نظم الكهولَ الصِّيدَ صَفًّا ... وألَّف من تجارِبهم رَداحا ؟
هو الشيخُ الفتِيُّ ، لواستراحت ... من الدأَبِ الكواكبُ ما استراحا
وليس بذائقِ النومِ اغتباقاً ... إذا دار الرقادُ ، ولا اصطِباحا
فيالَكَ ضَيْغَمًا سهِر الليالى ... وناضل دونَ غايتِه ، ولاحَى
ولا حَطَمَتْ لك الأيامُ ناباً ... ولا غَضَّت لك الدنيا صِياحا

مَعَالِى الْعَهْدِ

« نظمها فى ميلاد الامير السابق محمد عبد المنعم

مَعالِى العهدِ قُمْتَ بها فَطِيما   وكانَ إليكَ مرجِعُها قديما
تنقَّلُ من يدٍ ليدٍ كريما   كرُوحِ الله إذ خلفَ « الكَلِيما »(١)

* * *

تَنَحَّى لابنِ مريمَ حينَ جاءَ   وخلَّى النَّجْمُ لِلقَمَرِ الفَضاءَ
ضِياءٌ لِلعيون تَلا ضِياءَ   يَفيضُ مَيامِنًا ، وهُدًى عَميا

* * *

كذا أنتم بَنِي البيتِ الكريمِ   وهل مُتَجَزِّئٌ ضوءُ النُّجوم ؟
وأين الشُّهْبُ من شرفٍ صَميمٍ   تَأَلَّقَ عِقدُهُ بِكُمُو نَظيما ؟

* * *

أرى مُستقبَلاً يَبدو عُجَابا   وعُنواناً يُكِنُّ لنا كتابا
وكان « محمدٌ » أملاً شِهابا   وكان اليأْسُ شيطاناً رَجيما

* * *

وأَشرقتِ (الهياكِلُ) والمباني   كما كانت وأزينَ فى الزمانِ

---

(١) روح الله : عيسى ، والكليم : موسى ، عليهما السلام .

وأصبحَ ما تُكِنُّ من المعانى ... على الآفاق مَسطورًا رَقيما

* * *

سألتُ، فقيل لى: وضَعَتْهُ طِفلا ... وهذا عِيدُهُ فى مِصْرَ يُجْلَى
فقلت: كذٰلِكم آنَسْتُ قَبْلا ... وكان اللهُ بالنجوَى عليما

* * *

(بمُنْتَزَهِ) الإمارةِ هلَّ فجرًا ... هلالاً فى منازِلِه - أغَرّا
فباتت مِصرُ حوْلَ المهدِ (ثَغْرًا) ... وباتَ الثَّغرُ للدنيا نديما

* * *

لِجيلِكَ فى غدٍ جيلِ المعالى ... وشَعْبِ المجدِ والهِمَمِ العوالى ..
... أزُفُّ نوابغَ الكَلِمِ الغَوالى ... وأُهدِى حكمتى الشَّعْبَ الحكيما

* * *

إذا أقبلتَ يا زمن البنينا ... وشَبُّوا فيك واجتازوا السنينا
فدُرْ مِنْ بَعدِنا لهُمُو يَمينا ... وكن لوُرودِك الماءَ الحميما

* * *

ويا جيلَ الأميرِ، إذا نَشَأْتا ... وشاءَ الجَدُّ أن تُعطَى، وشِئتا
فخذْ سُبُلاً إلى العلياء شَتَّى ... وخَلِّ دَليلَكَ الدينَ القويما

* * *

وصِنْ به؛ فإن الخير فيه ... وخُذْهُ من الكتابِ وما يَليهِ
ولا تأخُذْهُ من شَفَتَىْ فقيهِ ... ولا تَهجُرْ مع الدين العُلوما

وثِقْ بالنَّفْسِ فى كلِّ الشئونِ وكن مما اعتقدتَ على يَقين
كأنك من ضميرك عند دِين فمن شَرفِ المَبادئ أن تُقيما

* * *

وإن تَرُم المظاهرَ فى الحياةِ فرُمْها باجتهادِك والثباتِ
وخُذها بالمساعى باهراتِ تُنافِسُ فى جلالتها النجوما

* * *

وإن تَخرُجْ لحربٍ أو سلامِ فأقدِمْ قبلَ إقدامِ الأنام
وكن كالليث : يَأْتى من أمامِ فيَمْلأُ كلَّ ناطِقةٍ وُجُوما

* * *

وكنْ شَعْبَ الخصائصِ والمزايا ولا تَكُ ضائعًا بينَ البَرَايا
وكن كالنحلِ والدُنيا الخلايا يمرُّ بها ، ولا يَمضِى عَقيما

* * *

ولا تطمحْ إلى طَلَبِ المُحالِ ولا تقنعْ إلى هجرِ المعالى
فإن أبطأْنَ فاصبرْ غيرَ سالِ كصبرِ الأنبياء لها قديما

* * *

ولا تقبَلْ لغير اللهِ حُكما ولا تحمِل لغيرِ الدهرِ ظُلما
ولا تَرْضَ القليلَ الدُّونَ قِسْما إذا لم تَقدرِ الأمرَ المروما

* * *

ولا تيأَسْ ، ولا تكُ بالضَّجُور ولا تثِقَنَّ من مَجرَى الأُمورِ

فليسَ مع الحوادثِ من قديرٍ   ولا أحدٌ بما تأتِى عليما

* * *

وفى الجُهّالِ لا تَضَعِ الرجاءَ   كوَضعِ الشمْسِ فى الوَحَلِ الضّياءَ
يَضيعُ شُعاعُها فيه هَباءً   وكان الجهلُ ممقوتاً ذَميما

* * *

بالِغ فى التدَبُّرِ والتَحرِّى   ولا تَعجَلْ ، وثِق من كلِّ أمرِ
وكن كالأسْدِ: عند الماء تجرِى   وليست وُرَّدًا حتى تَحوما

* * *

وما الدنيا بمثوىً للعبادِ   فكن ضَيْفَ الرِّعايةِ والوِدادِ
ولا تَستكثِرَنَّ من الأعادى   فشَرُّ الناسِ أكثرُهم خُصوما

* * *

ولا تجعلْ توَدُّدَكَ ابتِذَالا   ولا تسمَحْ بحلمِك أن يُذالا
وكن ما بين ذاك وذاك حالا   فلن تُرضِى العدُوَّ ولا الحميما

* * *

وصلِّ صلاةَ من يَرْجُو ويَخْشَى   وقبلَ الصَّوْمِ صُمْ عن كلِّ فَحْشا
ولا تَحسب بأن الله يُرشَى   وأنّ مُزَكِّيًا أمِنَ الجحيما

* * *

لكلِّ جَنًى زكاةٌ فى الحياةِ   ومعنى البِرِّ فى لفظِ الزكاة
وما لله فينا من جُباةِ   ولا هو لِامْرِئٍ زكّى غَريما

* * *

فإن تكُ عالمًا فاعملْ ، وفَطِّنْ   وإن تك حاكما فاعدِلْ ، وأحسِنْ
وإن تك صانعًا شيئًا فأتقِنْ   وكن للفرْضِ بعدئذٍ مُقيما

* * *

وصُنْ لغةً يَحِقُّ لها الصِّيانُ   فخيرُ مظاهِرِ الأُمَمِ البَيَانُ
وكان الشعبُ ليس له لِسانُ   غريبًا فى مواطِنِه مَضِيما

* * *

ألم تَرَها تُنالُ بكل ضَيْرٍ   وكان الخيرُ إذ كانت بخير ؟
أيَنطِقُ فى المَشَارقِ كلُّ طيرٍ   ويَبقى أهلُها رَخَمًا وبُوما ؟!

* * *

فعلِّمْها صغيرَك قبلَ كلٍّ   ودعْ دَعْوَى تَمَدُّنهم وخَلِّ
فما بالعِيِّ فى الدنيا التَّحَلِّى   ولا خَرَسُ الفتى فضلاً عظيما

* * *

وخُذ لغةَ المُعاصِرِ ، فهْىَ دنيا   ولا تجعل لِسانَ الأَصلِ نسْيًا
كما نقلَ الغرابُ فضَلَّ مَشْيا   وما بلغَ الجديدَ ، ولا القديما

* * *

لجيلِك يومَ نشأتِه مَقالى   فأمّا أنتَ يا نجلَ المعالى
فتنظرُ من أبيكَ إلى مِثال   يُحيِّرُ فى الكمالاتِ الفُهوما

* * *

نصائحُ ما أردتُ بها لأهدِىَ   ولا أبغى بها جَدْواكَ بَعْدى

ولكنّى أحِبُّ النَّفْعَ جهدى وكان النفعُ فى الدنيا لزوما

* * *

فإن أقرِئتَ -يامولاىَ- شِعرى فإن أباك يَعرِفُه ويَدْرِى
وجَدُّكَ كان شأْوِى حينَ أجرِى فأَصرَعُ فى سوابِقِها (تَميما)

* * *

بنونا أنتَ صُبْحُهُمُو الأَجَلُّ وعهدُكَ عِصْمَةٌ لهمو وظِلٌّ
فلِمْ لا نَرْتَحيكَ لهم وكلٌّ يعيشُ بأَنْ تعيش وأن تَدوما؟

رِسَالَةُ النَّاشِئَة

« أهداها الى الامير السابق محمد عبد المنعم »

أَحمدُك اللهَ وأُطرِى الأَنبياءْ مَصْدَرَ الحِكمةِ طُرًّا والضياءْ
وله الشكرُ على نُعمَى الوجودْ وعلى ما نِلتُ من فضلٍ وَجَودْ

* * *

أُعْبُدِ اللهَ بعقلٍ يا بُنَىّ وبقلب من رجاء اللهِ حَىّ
أُرْجُه تُعْطَ مَقاليدَ الفَلَكْ واَخشَهُ خشْيَةَ مَنْ فيه هَلك
أُنظرِ المُلكَ ، وأَكبِرْ ما خَلق وتمتَّعْ فيه من خيرٍ رَزَق
اَنت فى الكون مَحلُّ التَّكرِمَهْ كلُّ شىء لك عبدٌ أَو أَمَهْ
سُخِّرَ العالَمُ من أَرضٍ وماءْ لكَ ، والريحُ ، وما تحتَ السَّماءْ
أُذكرِ الآيَة إِذ أَنتَ جَنينْ لك فى الظلمةِ للنورِ حَنينْ
كلَّ يومٍ لك شأْنٌ فى الظُّلَمْ حار فيه كلُّ «بقراطٍ» عَلَمْ
كان فى جَنبِكَ شىءٌ من عَلَقْ حينَ مَسَّتْهُ يدُ اللهِ خَفَقْ
صار حِسًّا وحياةً بعدَ ما كان فى الأَضلاع لحمًا ودما
دقَّ كالناقُوسِ وَسْطَ الهَيْكل فى انتفاضٍ كانتفاضِ البُلبُل
قلْ لمن طَبَّبَ ، أَو مَنْ نَجَّمَا : صَنعَةُ اللهِ ، ولكن زِعْتُما

آمِنا باللهِ إيمانَ العَجُوزْ — إن غيرَ اللهِ عقلاً لا يَجوزْ
أيُّها الطالبُ للعِلمِ استمعْ — خيرَ ما فى طلب العلم جُمِعْ
هُوَ إن أوتِيتَهُ أسْنَى النِّعَمْ — هل تَرى الجُهّالَ إلا كالنَّعَم ؟
اُطلبِ العلمَ لِذاتِ العِلمِ ، لا — لظهورٍ باطلٍ بينَ المَلا
عندَ أهلِ العلمِ للعلم مَذاقْ — فإذا فاتكَ هذا فافتراقْ
طلبُ المحرومِ للعلمِ سُدَى — ليس للأعمى على الضوءِ هُدى
فإذا فاتَكَ توفيقُ العليمْ — فامتنعْ عن كل تحصيل عَقيمْ ؛
واطلبِ الرزقَ هنا أو هٰهُنا — كم مَعَ الجهل يَسارٌ وغِنَى !
كل ما علَّمَكَ الدهرُ اْعلَمِ — التجاريبُ علومُ الفَهِمِ
إنما الأيامُ والعيشُ كِتابْ — كلَّ يومٍ فيه للعِبرةِ بابْ
إن رُزِقتَ العلمَ زِنْهُ بالبيانْ — ما يُفيدُ العقلُ إن عَيَّ اللسانْ
كم عليمٍ سَقط العِيُّ به — مُظلمٌ لا تَهتَدِى فى كُتْبِهِ
وأديبٍ فاتهُ العلمُ فما — جاءَ بالحكمةِ فيما نَظَما
إن للعلمِ جميعًا فلسفهْ — مَنْ تَغِبْ عنه تَفُتْهُ المعرفه
اقرإِ التاريخَ إذْ فيه العِبَرْ — ضاعَ قومٌ ليس يَدرون الخبر
كن إلى الموتِ على حُبِّ الوطنْ — منْ يَخُنْ أوطانه يومًا يُخَنْ
وطنُ المرءِ حِماهُ المفتدَى — يذكرُ المِنَّةَ منه واليَدَا
قد عرفتَ الدارَ والأهلَ به — كلُّ حُبٍّ شُعْبةٌ من حُبِّهِ
هو محبوبُك بادٍ محتجِبْ — يعرفُ الشوقَ له مَنْ يَغترِبْ
لك منه فى الصِّبا مَهدٌ رحيمْ — فإذا وُوريتَ فالقبرُ الكريمْ

كم عزيزٍ عندَكَ استودَعْتَهُ — وعهودٍ بعدَكَ استرْعَيْتَهُ
ودَفينٍ لك فيه كَرُما — تَذرِفُ الدمعَ لذِكْراهُ دَما
كن نشيطًا عاملاً جمَّ الأَملْ — إنما الصحةُ والرزقُ العملْ
كلُّ ما أتقنتَ محبوبٌ وَجِيهْ — مُتقَنُ الأَعمالِ سِرُّ اللهِ فيه
يُقبِلُ الناسُ على الشيءِ الحسَنْ — كلُّ شيءٍ بجزاءٍ وثمنْ
أُنظُرِ الآثارَ ، ما أزْيَنَها ! — قد حباها الخلدَ مَنْ أتقنَها
تلك آثارُ بنى مِصرَ الأُوَلْ — أتقَنُوا الصنعةَ حتى فى الجُعَلْ
أَيُّها التاجرُ ، بُلِّغتَ الأَرَبْ — طالعُ التاجرِ فى حُسن الأدب
بابُ حانوتِكَ بابُ الرازقِ — لا تُفارقْ بابَهُ ، أو فارقِ
واحترِم فى بابِه مَنْ دَخَلا — كلُّهم منه رسولٌ وصلا
تاجرُ القومِ صَدوقٌ وأَمينْ — لفظةٌ مِنْ فيه للقوم يَمينْ
إن للإقدامِ ناساً كالأُسُدْ — فتَشبَّهْ ؛ إنّ مَنْ يُقْدِمْ يَسُدْ
مِنهمو كلُّ فتًى سادَ وشادْ — منهمو «إسكندرٌ» و«ابنُ زياد»
وشجاعُ النفسِ منهم فى الكروبْ — كشجاع القلبِ فى وقتِ الحروبْ
وَابنُ «سُقراطُ» والشُّجْعَانُ طَلّ — إنما مَن يَنْصُرُ الحقَّ البَطَلْ
هُم جَمالُ الدهر حينًا بعد حين — من غُزاة أو دُعاة مصلحينْ
لهُمُ من هَيْبةٍ عندَ الأُممْ — ما لِراعى غَنَمٍ عندَ الغَنَمْ
قل إذا خاطبتَ غيرَ المسلمينْ : — لكمو دِينٌ رضِيتُم وَلَىَ دِينْ
خلِّ للدَّيَّانِ فيهم شأنَهُ — إنه أولى بهم سبحانَه !
كلُّ حالٍ صائرٌ يوماً لضِدّ — فدَعِ الأقدارَ تجرى واسْتعِدّ

فلكٌ بالسَّعْدِ والنَّحْسِ يَدُورْ … لا تُعارِضْ أبدًا مَجرَى الأُمورْ

قلْ إذا شئتَ : صُرُوفٌ وغِيَرْ ! … وإذا شئتَ : قضاءٌ وقدَرْ !

واعمَلِ الخيرَ ، فإن عِشْتَ لَقِى … طيِّبَ الحمد ، وإن مِتَّ بَقِى

مَنْ يَمُتْ عن مِنَّةٍ عندَ يتيمْ … فرحيمٌ سوف يُجزَى من رَحيمْ

كن كريماً إن رأى جُرْحًا أسا … وتَعَهَّدْ وتوَلَّ البُؤسا

وٱسخُ فى الشدّةِ وٱزْدَدْ فى الرَّخاءْ … كلُّ خُلْقٍ فاضلٍ دونَ السَّخاءْ

فبه كلُّ بلاءٍ يُدْفعُ … لستَ تدْرى فى غَدٍ ما يَقعُ

جامِلِ الناسَ تَحزْ رِقَّ الجميعْ … رُبَّ قيْدٍ من جميلٍ وَصَنيعْ

عامِلِ الكلَّ بإحسانٍ تُحَبّ … فقديماً جَمَّلَ المرءَ الأدبْ

وتَجنَّبْ كلَّ خُلْقٍ لم يَرُقْ … إن ضيقَ الرِّزقِ من ضيق الخُلُقْ

وتواضَعْ فى ٱرتفاعٍ تُعتبَرْ … فهما ضِدَّان كِبْرٌ وكِبَرْ

كلُّ حَىٍّ ما خلا اللهَ يموتْ … فاترُكِ الكبرَ له والجَبَرُوتْ

وأَرِحْ جَنْبَكَ من داء الحسَدْ … كم حسودٍ قد توَفَّاهُ الكَمَدْ

وإذا أُغضِبْتَ فاغضَبْ لعَظيمْ … شَرَفٍ قد مُسّ ، أوعِرْضٍ كَريمْ

وتَجَنَّبْ فى الصغيراتِ الغضبْ … إنه كالنارِ والرُّشْدُ الحَطبْ

اُطلبِ الحقَّ برِفْقٍ تُحْمَدِ … طالِبُ الحقِّ بعُنْفٍ مُعتدِ

واعْصِ فى أكثرِ ما تأْتى الهوَى … كم مُطيعٍ لِهوَى النفْسِ هَوَى

اُذكرِ الموت ولا تفزعْ فمن … يَحقِرِ الموت يَنلْ رِقَّ الزمَنْ

أحببِ الطفلَ وإن لم يَكُ لكْ … إنما الطفلُ على الأرضِ مَلَكْ

هو لُطْفُ اللهِ لو تعلمُه … رَحِمَ اللهُ امرءًا يَرْحَمُه

عَطْفَةٌ منه على لُعْبَتِهِ ... تُخرِجُ المحزونَ من كُرْبَتِهِ
وحديثٌ ساعةَ الضِّيقِ مَعَهْ ... يَملأُ العيشَ نعيمًا وسَعَهْ
يامُدِيمَ الصوم فى الشهر الكريمْ ... صُمْ عن الغِيبةِ يوماً والنَّميمْ
وإذا صَلَّيْتَ خَفْ مَنْ تَعْبُدُ ... كم مُصَلٍّ ضَجَّ منه المَسجدُ !
واجعلِ الحجَّ إلى «أُمِّ القُرَى» ... غِبَّ حَجٍّ لِبُيُوتِ الفُقَرا
هكذا «طٰهٰ» ومَن كان معَهْ ... مِن وَقارِ اللهِ أَلَّا تَخْدَعَهْ
وتَسمَّحْ وتَوسَّعْ فى الزكاهْ ... إنها محبوبةٌ عند الإلٰهْ
فرَضَ البِرَّ بها فرْضَ حَكيم ... فإذا ما زِدْتَ فاللهُ كريم
ليس لى فى طِبِّ «جالينوسَ» باعْ ... بَيْدَ أنَّ العَيْشَ درسٌ واطِّلاعْ
احذَرِ التُّخْمَةَ إن كنتَ فَهِمْ ... إن «عزرائيلَ» فى حَلْقِ النَّهِم
واتّقِ البردَ ؛ فكم خَلْقٍ قَتَل ... مَن تَوَقَّاهُ اتَّقَى نِصفَ العِلل
اتخذْ سُكناكَ فى طَلْقِ الجوَاءْ ... بينَ شمسٍ ، ونباتٍ ، وهَواءْ
خَيْمَةٌ فى البِيدِ خيرٌ من قصورْ ... تَبْخَلُ الشمسُ عليها بالمرورْ
فى غدٍ تأْوِى إلى قفْرٍ حالكْ ... يَستَوِى الصُّعلوكُ فيه والمَلِكْ
واترُكِ الخمرَ لِمشغوفٍ بها ... لا يَرَى مَندوحةً عن شُرْبِها
لا تُنادِمْ غيرَ مأْمونٍ كريمْ ... إن عقلَ البعضِ فى كفِّ النديمْ
وعن الميسِرِ ما اسْطَعْتَ ابتعِدْ ... فهْوَ سلُّ المالِ بل سلُّ الكَبِدْ
وتَعشَّقْ ، وتَعَفَّفْ ، واتّقِ ... ما دَرَى اللذةَ من لم يَعشق !

حَجُّ الأَمِير

« أرسل الابيـــات الآتية فى برقية الى شريف مـــكة سنة حج الخديو عباس »

دامت معاليك فينا ياابن فاطمةٍ   ودام منكم لأُفْق البيتِ نِبراسُ
قل للخديوِ إذا وافيتَ سُدَّتَه   تمشى إليه ويمشى خلفَكَ الناس
حَجُّ الأَميرِ له الدنيا قد ابتَهَجَتْ   والعَوْدُ والعيدُ أفراحٌ وأعراس
فلتَحْيَ ملَّتُنا ! فلتَحْيَ أُمَّتُنا !   فليحى سُلطانُنا ! فليحى عباس !

إِسْمَاعِيل

« وقال وقد أشرف فى مدينة نابلى على الدار التى كان يقيم فيها الخديو إسماعيل :

أَبكيكَ إِسماعيلَ مِصرَ : وفى البُكا بعدَ التَّذُّكُرِ راحةُ المُسْتَعبِرِ
ومِن القيامِ ببعضِ حقِّكَ أنَنى أَرْثِى لِعِزِّكَ والنعيمِ المدبِرِ
هذى بُيوتُ الرُّومِ ، كيف سَكنتَها بعد القصورِ المُزْرِياتِ بقَيْصَرِ ؟
ومِن العجائبِ أن نفسَكَ أَقصَرَتْ والدهرُ فى إِحراجِها لم يُقْصِرِ
ما زالَ يُخلِى مِنكَ كلَّ مَحِلَّةٍ حتى دُفِعْتَ إِلى المكانِ الأَقفَرِ
نظرَ الزمانِ إِلى ديارِكَ كلِّها نظرَ (الرشيدِ) إِلى منازِلِ (جعفرِ)(١)

---

(١) جعفر البرمكى ، ونكبة البرامكة مشهورة فى تاريخ الرشيد .

حَرِيقُ ميتْ غَمْر (*)

اللهُ يحكمُ في المدائنِ والقُرى ... يا (ميتَ غَمْرَ) خُذِي القضاءَ كما جرى
ما جَلَّ خَطْبٌ ثم قِيسَ بغيْرِه ... إلا وهوَّنَه القِياسُ وصَغَّرَا
فَسَلِي (عمورةَ) أو (سدُون) تأَسِّيًا ... أو (مرتنيقَ) غداةَ وُورِيَتِ الثرى
مُدنٌ لقِينَ من القضاءِ ونارِه ... شَررًا بجَنْبِ نَصيبِها مُستَصْغَرا
هٰذِي طُلولُكِ أنفُسًا وحِجَارةً ... هل كنتِ رُكنًا من جَهَنَّمَ مُسْعَرا؟!
قد جئتُ أبكيها وآخذُ عِبرةً ... فوقفتُ مُعْتَبِرًا بها مُستعبِرا
أَجِدُ الحياةَ حياةَ دهرٍ ساعةً ... وأرى النعيمَ نعيمَ عُمْرٍ مُقْصِرا
وأَعُدُّ من حَزْمِ الأُمورِ وعزمِها ... للنفسِ أن ترضَى، وأَلَّا تَضْجَرا
ما زلتُ أسمعُ بالشَّقاءِ رِوايةً ... حتى رأيتُ بكِ الشَّقاءَ مُصوَّرا
فعلَ الزمانُ بشمْلِ أهلِكِ فِعْلَهُ ... ببنِي أُمَيَّةَ، أو قَرابةِ جَعْفَرا
بالأمسِ قد سكنوا الديارَ، فأصبحوا ... لا يُنظَرون، ولا مساكنُهم تُرَى
فإذا لقِيت لقيت حيًّا بائسًا ... وإذا رأيت رأيت مَيْتًا مُنْكَرا
والأُمهاتُ بغيرِ صبرٍ: هذه ... تبكي الصغيرَ، وتلك تبكي الأصغرا!
من كلِّ مُودِعَةِ الطُّلولِ دموعَها ... من أجْلِ طفلٍ في الطلولِ استأخرا

(*) سنة ١٩٠٥، نشرت بمجلة المجلات العربية.

كانت تُؤمِّل أن تطولَ حياتُه والیومَ تسألُ أن يعودَ فيُقبَرا

* * *

طلعتْ عليكِ النارُ طلعةَ شُؤْمِها فمحتْكِ آساساً ، وغيَّرتِ الذُّرا
مَلَكَتْ جهاتِكِ ليلةً ونهارَها حمراءَ يبدو الموتُ منها أحمرا
لا تَرْهَبُ الطوفانَ فى طُغيانِها لو قابلَتْه ، ولا تهابُ الأبْحُرا
لو أنّ (نيرون) الجمادَ فؤادُه يُدْعَى لِيَنْظُرَها لعَافَ المنظرا
أو أنه ابتُلِىَ (الخليلُ) بمِثلِها - أستغفِرُ الرحمنَ - ولّى مُدْبِرا
أو أن سَيْلاً عاصمٌ من شرِّها عَصمَ الديارَ من المدامِعِ ما جَرَى
أمْسَى بها كلُّ البيوتِ مُبَوَّباً ومُطَنَّبًا ، ومُسَيَّجًا ، ومُسَوَّرا
أسَرتْهُمُو ، وتَمَلَّكَتْ طُرُقاتِهِم مَنْ فرَّ لم يجدِ الطريقَ مُيَسَّرا
خَفَّتْ عليهم يَومَ ذلك مَوْرِدًا وأضلَّهُمْ قدَرٌ ، فضَلُّوا المَصْدَرا
حيثُ التَفَتَّ ترى الطريقَ كأنَّها ساحاتُ حاتِمَ غِبَّ نِيرانِ القِرى
وترى الدعائمَ فى السوادِ كهيكلٍ خمدَتْ به نارُ المجوسِ ، وأقْفَرا
وتَشَمُّ رائحةَ الرُّفاتِ كريهةً وتشمُّ منها الثاكلاتُ العَنْبَرا
كثُرَتْ عليها الطيرُ فى حَوْماتِها ياطيرُ ، «كلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الفَرا»
هل تأْمَنين طوارقَ الأحداثِ أن تغشَى عليكِ الوَكْرَ فى سِنةِ الكَرَى
والناسُ مِنْ دانِى القُرى وبعيدِها تأْتى لتمشِىَ فى الطُّلولِ وتَخْبُرا
يتساءلون عن الحريقِ وهَوْلِه وأرى الفرائسَ بالتساؤلِ أجْدَرا

* * *

يارَبُّ ، قد خَمَدَتْ ، وليس سِواكَ مَنْ يُطفِى القلوبَ المُشْعَلاتِ تَحسُّرا

فتحوا اكتتاباً للإعانة فاكتتِبْ بالصبرِ ، فهْوَ بمالِهم لا يُشترَى
إن لم تكن للبائسين فمَنْ لهم ؟ أو لم تكن للاجئين فمَنْ ترى ؟!
فتولَّ جَمْعًا فى اليَبَابِ مُشتَّتًا وارحم رَميا فى التراب مُبعثَرا
فعَلَتْ بمصرَ النارُ ما لم تأْتِهِ آياتُكَ السبعُ القديمةُ فى الوَرَى
أوَ ما تراها فى البلاد كقاهرٍ فى كلِّ ناحية يُسيِّر عَسْكرا ؟!
فادفعْ قضاءك ، أو فصيِّرْ نارَه بَرْدًا ، وخُذ باللُّطْفِ فيما قُدِّرا
مُدُّوا الأكفَّ سَخِيَّةً ، واستغفِرى يا أُمَّةً قد آن أن تَستغفرا
أَوْلَى بعطفِ الموسِرِين وبِرِّهم مَنْ كان مِثلَهُمو فأَصبَح مُعْسِرا
يا أيُّها السُّجَناءُ فى أموالهم أَأَمِنْتُمُو الأيامَ أن تتغيَّرا ؟
لا يملكُ الإنسانُ من أحوالِه ما تملكُ الأقدارُ ، مهما قَدَّرا
لا يُبْطِرنَّكَ من حرير مَوْطِئٌ فلرُبَّ ماشٍ فى الحريرِ تَعثَّرَا
وإذا الزمانُ تنكَّرَتْ أحداثُه لأخيكَ ؛ فاذكرْه عسَى أن تُذكرا

خُطْبَةُ غَلْيُوم

« وخطب غليـــوم عاهل المانيا خطبة فى سنة ١٩٠٦ كان لهـــا وقع عظيم ، واحدثت ازمة اوشـــكت أن تنتهى الى حرب أوروبية طاحنـــة ، فقـــال : »

يارَبِّ ، ماحكمُكَ ؟ ماذا ترَى في ذلك الحُلم العريضِ الطويلْ ؟
قد قام غليومٌ خطيبًا ، فما أعطاكَ من مُلْكِكَ إلا القليل !
شَيَّد فى جنبِكَ مُلكًا له مُلكُكَ إن قِيسَ إليهِ الضَّئيل
قد وَرَّثَ العالَم حيًّا ، فما غادَرَ من فجٍّ ، ولا من سبيل
فالنصفُ للجرْمانِ فى زَعمِهِ والنصفُ للرومان فيما يقول
يارَبِّ ، قلْ : سيفُكَ أم سَيْفُه ؟ أيُّهما — يارَبِّ — ماضٍ ثقيل ؟ !
إن صَدَقتْ — يارَبِّ — أحلامُه فإنَّ خطْبَ المسلمين الجليل
لا نحنُ جِرمانٌ لنا حِصَّةٌ ولا بِرومانَ فنُعْطَى فَتيل
يارَبِّ ، لا تنسَ رعاياك فى يومِ رعاياك الفريقُ الذليل
جنايةُ الجهلِ على أهلِه قديمةٌ ، والجهلُ بئسَ الدليل
يا ليتَ لم نَمدُدْ بِشرٍّ يَدًا وليتَ ظلَّ السلمِ باقٍ ظليل !
جَنَى علينا عُصْبَةٌ جازَفوا فَحسْبُنا اللهُ ، ونِعْمَ الوكيل !

نَادى الْمُوسِيقى الشَّرْقِى

« وقال يخـــاطب الملك فؤاد الأول فى حفلـــة افتتاح نادى الموســيقى الشرقى ســـنة ١٩٢٩ »

خَطَّتْ يداكَ الرَّوْضَةَ الغَنَّاءَ ... وفرغْتَ من صَرْحِ الفنونِ بِناءَ
مازلتَ تَذهبُ فى السُّمُوِّ بِركنِهِ ... حتى تجاوزَ رُكنُهُ الجَوْزاءَ
دارٌ من الفنِّ الجميلِ تقسَّمَتْ ... للساهرين روايةً ورُواءَ
كالروْضِ تحتَ الطيرِ أعجبَ أيْكُه ... لَحْظَ العيونِ ، وأعجبَ الإصغاءَ
ولقد نَزَلْتَ بها ، فلم نَرَ قبلَها ... فَلَكًا جلا شمسَ النهارِ عِشاءَ
وتوهَّجَتْ حتى تقلَّب فى السَّنا ... (وادى الملوكِ) حجارةً وفضاءَ
فتلفَّتُوا يتهامسون : لعلَّهُ ... فجرُ الحضارةِ فى البلاد أضاءَ
تلك المعازفُ فى طُلولِ بنائهم ... أكثرْنَ نحوَ بناءِكَ الإيماء
وتمايَلتْ عيدانُهُنَّ تحيَّةً ... وترنَّمَتْ أوتارُهُنَّ ثناء

* * *

ياباني الإيوانِ ، قد نسَّقتَهُ ... وَحَذَوْتَ فى هِنْدامها (الحمراء)(١)
أينَ (الغريضُ) يحِلُّه أو (مَعْبَدٌ)(٢) ... يَتبوّأ الحُجراتِ والأبهاء ؟

(١) من قصور بنى الأحمر فى غرناطة بالأندلس : (الهمبرا) .
(٢) القريض ، ومعبد : من أمراء الغناء العربى .

العبقريّةُ من ضَنائنه التى يَحبو بها – سُبْحانَه – مَنْ شاء
لما بنيتَ الأَيْكَ واستَوْهَبْتَهُ بَعثَ الهَزارَ ، وأَرسَلَ الوَرْقاء
فسمعتَ من مُتَفَرِّدِ الأَنغام ما فاتَ (الرشيدَ) ، وأخطأَ النُّدَماء
والفنُّ ريحانُ الملوكِ ، ورُبّما خَلَدُوا على جَنباتِه أسماء
لولا أياديه على أبنائنا لم نُلْفَ أَمْجَدَ أُمّة آباء
كانت أوائلُ كلِّ قوم ٍ فى العُلا أرضاً ، وكُنّا فى الفَخارِ سماء
لولا ابتسامُ الفنِّ فيما حَوْلَهُ ظَلَّ الوجودُ جَهامةً وَجَفاء
جرِّدْ من الفنِّ الحياةَ وما حَوَتْ تَجِدِ الحياةَ من الجمالِ خَلاء
بالفنِّ عالجتِ الحياةَ طبيعةٌ قد عالجتْ بالواحةِ الصحراء
تأْوِى إليها الروحُ من رَمْضائِها فتُصيب ظِلاًّ ، أَو تُصادِفُ ماء
نبضُ الحضارةِ فى الممالكِ كلِّها يَجرى السلامةَ أَو يدقّ الدّاء
إن صحَّ فهْىَ على الزمان صَحيحةٌ أو زافَ كانت ظاهرًا وطِلاء

* * *

انظرْ – أبا الفاروقِ – غَرْسَكَ ، هل ترى بالغرْسِ إلا نعمَةً ونَماء ؟
مِنْ حَبّةٍ ذُخِرَتْ ، وأيدٍ ثابَرَتْ جاء الزمانُ بجَنَّةٍ فَيْحاء
وأَكنَّتِ الفنَّ الجميلَ خَميلةٌ رَمَتِ الظِّلالَ ، ومَدَّتِ الأَفياء
بذَلَ الجهودَ الصالحاتِ عصابةٌ لا يَسأَلون عن الجهود جَزاء
صحِبوا رسولَ الفنِّ لا يأْلونَه حُبًّا ، وصدقَ مودّةٍ ، ووَفاء
دَفعوا العوائقَ بالثبات ، وجاوزوا ما سرَّ من قدَر الأُمور وساء
إن التعاوُنَ قوّةٌ عُلْوِيّةٌ تبنِى الرجالَ ، وتُبدِع الأشياء

فلْيَهْنِهِمْ ؛ حاز الْتِفاتك سَعْيُهم ... وكسا نديَّهُمُو سَنًا وسَناء
لم تبْدُ للأبصار إلا غارساً ... لِخوالِفِ الأجيالِ أو بَنَّاء
تغدو على الفترَاتِ تَرتَجِلُ النَّدَى ... وتروحُ تصطنِعُ اليَدَ البيضاء
فى مَوكِبٍ كالغيْثِ سار ركابُه ... بِشْرًا ، وحَلَّ سعادةً ورخاء
أنت اللِّواءُ التف قومُك حَوْله ... والتاجُ يجعله الشعوبُ لِواء
مِنْ كلِّ مِئْذَنةٍ سَمِعْتَ مَحَبَّةً ... وبكلِّ ناقوسٍ لقيتَ دُعاء
يتألَّفان على الهُتافِ ، كما انبرَى ... وَترٌ يُساير فى البَنان غِناء

فى دَار الأُوبرَا (*)

« هذه القصيدة لم يتبين لى — على وجه اليقين — سبب انشادها ، واحسبه نظمها لمناسبة احتفال فى دار الاوبرا اقامته جمعية من جمعيات البر بأبناء السبيل »

حَبَّذا السَّاحةُ والظلُّ الظليلْ ... وثناءٌ فى فَمِ الدارِ جميلْ
لم تَزَلْ تجْرى به تحت الثَّرى ... لُجَّة المعروفِ والنَّيْلِ الجزيل
صُنعُ إسماعيلَ ، جلَّتْ يدُه ... كلُّ بُنيانٍ على البانى دليل
أتُراها سُدَّةً من بابه ... فُتِحَتْ للخيرِ جيلًا بعدَ جيل ؟
مَلعبُ الأيَّامِ ، إلَّا أنّه ... ليس حظُّ الجِدِّ منه بالقليل
شهد الناسُ بها « عائدةً » ... وشجَى الأجيالَ من « فِرْدِى » الهديل
وائتَنفنا فى ذَراها دُولةً ... رُكنُها السُّؤدَدُ والمجدُ الأثيل
أينعتْ عصرًا طويلًا ، وأتَى ... دون أن تُستبأْنفَ العصرُ الطويل
كم ضَفرْنا الغارَ فى مِحرابها ... وعقدناه لسبّاقٍ أصيل
كم بدورٍ وُدِّعَتْ يومَ النَّوَى ... وشموسٍ شُيِّعَتْ يومَ الرحيل
رُبَّ عُرسٍ مَرَّ للبِرِّ بها ... ماج بالخيرِ والسَّمْحِ المُنيل
ضحِك الأيتامُ فى ليلته ... ومشى يسترْوِحُ البُرْءَ العليل

(*) زيدت هذه فى الطبعة الثانية .

والتقى البائسُ والنُّعْمَى به   وسعى المأْوَى لأَبناء السبيل
ومن الأَرض جَدِيبٌ ونَدٍ   ومن الدُّور جَوادٌ وبخيل

* * *

يا شباباً حُنفاءَ ضمهمْ   منزلٌ ليس بمذموم النزيلْ
يصرِفُ الشبان عن وِرْدِ القَذَى   ويُنحِّيهمْ عن المَرْعَى الوَبيل
اذهبوا فيه وجيئوا إخوةً   بعضُكم خِدنٌ لبعضٍ وخليل
لا يَضُرَّنكمو قِلَّته   كلُّ مولودٍ وإن جلَّ ضئيل
أَرجفتْ فى أَمركم طائفةٌ   تُبَّعُ الظنِّ عن الإنصاف مِيل
اجعلوا الصبرَ لهم حِيلَتكم   قلَّتِ الحيلةُ فى قالَ وقيل
أَيريدون بكم أَن تجمعوا   رِقَّةَ الدين إلى الخُلُقِ الهزيل ؟!
خَلَتِ الأَرضُ من الهَدْيِ ، ومن   مُرشدٍ للنَّشْءِ بالهَدْيِ كَفيل
فترى الأُسرةَ فَوْضَى ، وترى   نَشَأً عن سُنَّةِ البرِّ يَميل
لا تكونوا السَّيْلَ جَهْمًا خَشِنًا   كلَّما عَبَّ ، وكونوا السلسبيل
رُبَّ عَينٍ سَمْحةٍ خاشعةٍ   رَوَّت العُشْبَ ، ولم تنسَ النخيل
لا تُماروا الناسَ فيما اعتقدوا   كلُّ نفسٍ بكتابٍ وسبيل
وإذا جئتم إلى ناديكمو   فاطرحوا خلفكموا العِبْءَ الثقيل
هذه ليْلَتُكم فى «الأُوبِرا»   ليلةُ القدرِ من الشهرِ النبيل
مهرَجانٌ طوَّف الهادى به   ومشى بين يديْه جبْرَئيل
وتجلَّتْ أَوجُهٌ زَيَّنها   غُرَرٌ من لَمْحَةِ الخير تَسيل

فكأنّ الليلَ بالفجر انجلىَ   وكأنّ الدارَ فى ظلّ الأصيل

* * *

أيها الأجوادُ لا نجزيكمو   لَذّةُ الخيرِ مِنَ الخير بَديل

رجلُ الأُمّةِ يُرجَى عندَه   لجليل العَمَلِ العَوْنُ الجليل

إن دارا حُطْتُموها بالنّدَى   أخذتْ عهدَ النّدَى ألّا تَميل

مَصْرَعُ بُطْرُس غالِي باشا

« حينما قتل بطرس غالى باشا فى مصر برصاصة من يد ابراهيم الوردانى فى سنة ١٩١٠ هاجت النفوس ، وأستاء كثير من الاقباط ، لوقوع الجريمة على زعيم ووزير قبطى ، فقال فى ذلك : »

بَنى القِبْطِ إخوانَ الدُّهورِ ، رُوَيْدَكُم ... هَبوه (يسوعاً) فى البريّةِ ثانيا

حملتُم لحكمِ اللهِ صَلبَ (ابن مريمٍ) ... وهذا قضاءُ اللهِ قد غالَ (غاليا)

سديدُ المرامي قد رماه مُسَدَّدٌ ... وداهيةُ السُّوّاسِ لاقى الدَّواهيا

ووَاللهِ ، إن لم يُطلِقِ النارَ مُطلِقٌ ... عليه ؛ لأَوْدَى فجأةً ، أو تَداوِيا

قضاءٌ ، ومِقدارٌ ، وآجالُ أنفُسٍ ... إذا هى حانت لم تُؤخَّرْ ثوانيا

نَبيدُ كما بادت قبائلُ قبلَنا ... ويَبقَى الأنامُ اثْنَينِ : مَيْتًا ، وناعيا !

تعالَوْا عسى نَطوى الجفاءَ وعهدَهُ ... ونَنبِذُ أسبابَ الشِّقاقِ نَواحِيا

ألم تكُ (مصرٌ) مهدَنا ثم لَحْدَنا ... وبينَهما كانت لكلٍّ مَغانيا ؟

ألم نكُ من قبلِ (المسيحِ ابنِ مريمٍ) ... و (موسَى) و (طَه) نعبُدُ النيلَ جاريا ؟

فهَلّا تساقيْنا على حبِّه الهوَى ... وهلَّا فديْناه ضِفافاً ووادِيا ؟

وما زال منكم أهلُ وُدٍّ ورحمةٍ ... وفى المسلمين الخيرُ ما زالَ باقيا

فلا يثنِكم عن ذمَّة قتلُ (بُطرُسٍ) ... فقِدْماً عرفنا القتلَ فى الناس فاشيا

تَحيَّةُ غَلْيُوم الثَّانى لِصَلاَح الدِّينِ فى القَبْر

عظيمُ الناسِ مَن يَبكى العِظاما ... ويَندُبُهُم ولو كانوا عِظاما
وأكرَمُ من غمامٍ عندَ مَحْلٍ ... فتًى يُحيى بمدحتِهِ الكراما
وما عُذرُ المقصِّر عن جزاءٍ ... وما يَجزيهُمو إلى كلاما ؟!
فهل من مُبلِغٍ غليومَ عنِّى ... مقالاً مُرْضِيًا ذاك المقاما ؟
رعاكَ اللهُ من ملِكٍ هُمامٍ ... تعهَّدَ فى الثَّرَى مَلِكًا هُماما
أرى النِّسيانَ أظمأَه ، فلمَّا ... وقفْتَ بقبرِهِ كنتَ الغَماما
تُقرِّبُ عهدَه للناس حتى ... تركتَ الجليلَ فى التاريخِ عاما
أتدرى أىَّ سلطانٍ تُحيِّى ... وأىَّ مُملَّكٍ تُهدى السَّلاما ؟!
دَعَوْتَ أجَلَّ أهلِ الأرضِ حَرْباً ... وأشرفَهم إذا سَكنوا سَلاما
وقفتَ به تُذَكِرُهُ مُلوكاً ... تَعَوَّدَ أن يُلاقوهُ قِياما !
وكم جَمَعَتْهُمو حربٌ ، فكانوا ... حدائِدَها ، وكان هو الحُساما
كِلامٌ للبريّةِ دامياتٌ ... وأنتَ اليومَ مَنْ ضَمَدَ الكِلاما
فلما قلتَ ما قد قلتَ عنه ... وأسمعتَ الممالكَ والاناما
تساءلَتِ البريّةُ وهْىَ كَلْمَى ... أحُبًّا كان ذاكَ أمِ انتقاما ؟
وأنتَ أجلُّ أن تُزرِى بميْتٍ ... وأنتَ أبرُّ أن تُؤذِى عظاما
فلو كان الدوامُ نصيبَ مَلْكٍ ... لنال بحدِّ صارمِهِ الدواما

الْفَنَـار (*)

سَمَا يُناغى الشُّهُبا   هل مَسَّها فالْتَهبا ؟
كالدَّيْدبانِ أَلزَمُو   هُ فى البحار مَرْقَبا
شَيَّع منه مَرْكَبًا   وقام يَلقَى مركبا
بَشَّرَ بالدارِ وبالْ   أهلِ السُّراةَ الغُيَّبا
وخَطَّ بالنُّور على   لوْحِ الظلام : مَرْحَبًا
كالبارق المُلِحِّ لم   يُوَلِّ إلا عَقَّبا
يارُبَّ ليلٍ لم تَذُقْ   فيه الرُقادَ طَرَبا
بِتْنا نُراعيه كما   يَرعَى السُّراةُ الكوكبا
سعادةٌ يعرفها   فى الناس من كان أبَا
مَشَى على الماء ، وجَا   بَ كالمسيح العَبَبا
وقام فى موضعه   مُستشرِفاً مُنَقِّبا
يَرمِى إلى الظلام طَرْ   فاً حائرا مُذَبْذَبا
كمُبْصِرٍ أدارَ عَيْـــــنًا فى الدُّجَى ، وقَلَّبَا
كبصر الأَعشى أصا   به فى الظلام ، ونَبا
وكالسراج فى يَدِ الـــــرِيح ، آضاء ، وخبَا
كلمحةٍ من خاطرٍ   ما جاء حتى ذَهبا
مُجْتنِبُ العالَم فى   عُزلته مُجْتَنَبا

(*) زيدت هذه فى الطبعة الثانية .

إلا شراعاً ضلَّ ، أو   فُلْكًا يُقاسى العَطَبا

حارس المنار ودنهين

وكان حارسُ الفَنا   رِ رجُلاً . مُهذَّبا
يَهوَى الحياة ، ويحبُّ   العيشَ سهْلا طيِّبا
أتتْ عليه سَنَوا   تٌ مُبْعَدًا مُغْتَرِبا
لم يَرَ فيها زَوْجَهُ   ولا ابنَه المحبَّبا
وكان قد رعَى الخطيبَ ، ووَعَى ما خَطَبَا
فقال : ياحارسُ ، خَلِّ السُّخْطَ   والتَّعَتُّبا
من يُسعِفُ الناسَ إذا   نُودِى كلٌّ فأَبى ؟
ما الناسُ إخوَتى ولا   آدمُ كان لى أَبا

. . . .

أنظر إلىَّ ، كيف أقضِى لهُمُ ما وَجَبَا ؟
قد عشتُ فى خِدمتهم   ولا تَرانى تَعِبا
كم من غريقٍ قمتُ عنـــدَ   رأسِه مُطَبِّبا
وكان جسمًا هامدًا   حرّكتُه فاضطربا
وكنتُ وطَّأْتُ له   مَناكِبى ، فرَكِبا
حتى أتى الشطَّ ، فبَشَّ   مَنْ بِه ورَحَّبا
وطارَدُونى ، فانقلَبْتُ   خاسرًا مُخَيَّبا
ما نلتُ منهم فِضةً   ولا مُنِحْتُ ذهَبا
وما الجزاءُ؟ لا تَسَلْ   كان الجزاءُ عجبا !

أَلقَوْا عليّ شَبَكا وقطَّعونى إِرَبا
واتخذ الصُّنَّاعُ من شَحمِىَ زَيْتًا طيِّبا
ولم يَزَلْ إسعافُهم لِىَ الحياةَ مَذْهَبا
ولم يزل سَجِيَّتى وعملى المُحبَّبا
إذا سمعتُ صرخةً طِرتُ إليها طَرَبا
لا أَجِدُ المُسْعِفَ إلا مَلَكاً مُقرَّبا
والمُسْعِفون فى غدٍ يؤلفون مَوْكبا
يقول «رِضوانُ» لهم . هَيَّا أدخُلوها مرحبا
مُذنِبُكم قد غَفَر اللهُ لهُ ما أذنبا

القَمَرُ عَلَى آفَاقِ كَلازُومِينَ لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ النَّبَوِىِّ الأَسْنَى

فدَيْناهُ من زائرٍ مُرْتقَبْ بدا للوُجودِ بمرأى عَجَبْ
تَهُزُّ الجبالَ تَباشيرُهُ كما هَزَّ عِطفَ الطَّروبِ الطَّرَب
ويُحْلِي البحارَ بَلألائِه فمِنَّا الكئوسُ ، ومنه الحبَب
منارُ الحُزونِ إذا ما اعتَلى منارُ السهولِ إذا ما انقلَب
أتانا من البَحْرِ فى زوْرَقٍ لُجَيْنًا مَجاذيفُهُ من ذهب
فقلنا : سُليمانُ لو لم يَمُتْ وفِرعونُ لو حَمَلَتْهُ الشُّهُب
وكِسرَى وما خَمدَتْ نارُه ويوسُفُ لو أنه لم يشِبْ
وهيهاتَ ! ما تُوِّجُوا بالسَّنا ولا عرشُهم كان فوقَ السُّحُب
أَنَافَ على الماء ما بينَها وبينَ الجبالِ وشُمِّ الهضب
فلا هو خافٍ ، ولا ظاهرٌ ولا سافرٌ ، لا ، ولا مُنتقِب
وليس بِنَاءٍ ، ولا راحلٍ ولا بالبعيدِ ، ولا المقتَرِب
تَوارَى بِنصفٍ خلالَ السُّحُبْ ونصفٌ على جبلٍ لم يَغِب
يجدِّدُها آيةً قد خلت ويذكُرُ ميلادَ خيرِ العَرَب

أَثِينَـا (*)

« اوفدته الحكومة المصرية الى (أثينا) عاصمة اليونان لحضور مؤتمر المستشرقين ، فقال يخاطبها : »

إن تسألي عن مِصْرَ (حَوّاءِ) القُرى   وقَرارةِ التاريخِ والآثارِ
فالصُّبحُ في (مَنْفٍ) و (ثيبة) واضحٌ   مَنْ ذا يُلاقي الصُّبحَ بالإنكار ؟
بالهَيْكلِ مِن (مَنْفٍ) ومن أرباضِها   مَجْدُوعُ أنفٍ في الرّمالِ كُفَاري(١)
خَلَتِ الدُّهُورُ وما التَقَتْ أجفانُه   وأتَتْ عليه كَلَيْلةٍ ونَهار
ما فَلَّ ساعِدَه الزمانُ ، ولم يَنَلْ   منه اختلافُ جَوارِفٍ وذَوار
كالدَّهرِ لو مَلَكَ القيامَ لِفَتْكةٍ   أو كان غيرَ مُقَلَّمِ الأظفار
وثلاثةٍ شبَّ الزمانُ حيالها   شُمٌّ على مَرِّ الزّمانِ ، كِبار(٢)
قامت على النيلِ العَهيدِ عَهيدةً   تكسوه ثوبَ الفَخْرِ وهْيَ عَوار
من كلِّ مركوزٍ كرَضْوَى في الثَّرَى   متطاولٍ في الجوِّ كالإعصار
الجنُّ في جَنَباتِها مَطروقةٌ   ببدائعِ البنَّاءِ والحفَّار
والأرضُ أضْيَعُ حيلةً في نَزْعِها   من حيلةِ المصلوبِ في المِسمار
تلك القبورُ أضَنُّ من غَيْبٍ بما   أخفَتْ مِنَ الأعلاقِ والأذخار

(*) نشرت بمجلة رعمسيس سنة ١٩١٢ .
(١) الكفارى : العظيم الأذنين ، يشير الى تمثال ابى الهول .
(٢) يشير الى الأهرام .

نام المُلوك بها الدُّهورَ طويلةً يجِدون أروحَ ضَجْعَةٍ وقرارِ
كلٌّ كأهلِ الكهف فوقَ سَريرِه والدهرُ دونَ سَريرِه بهجار
أملاكُ مصرَ القاهرون على الوَرَى المنزَلون منازلَ الأقمار
هَتَكَ الزمان حِجابَهم ، وأزالهم بعدَ الصِّيانِ إزالةَ الأسرار
هيهاتَ ! لم يَلمِسْ جلالَهُمُو البِلَى إلا بأيدٍ فى الرَّغام قِصار
كانوا وطَرْفُ الدهر لا يسمُو لهم ما بالهمْ عُرِضُوا على النُّظَّار ؟
لو أُمهلوا حتى النُّشورِ بِدُورِهم قاموا لخالقِهم بغير غُبار !

ذِكْرَى مُحَمَّد فَرِيد

« ألقيت فى الاحتفال بالذكرى الخامسة للمغفور له محمد فريد بك سنة ١٩٢٤ » :

نُجدِّدُ ذِكرَى عهدِكم ونُعيدُ ... ونُدنى خَيالَ الأَمسِ وهْوَ بعَيدُ
وللناسِ فى الماضى بصائرُ يَهتدِى ... عليهنَّ غاوٍ ، أو يسيرُ رشيد
إذا الميْتُ لم يَكرُمْ بأَرضٍ ثناؤُهُ ... تحيَّرَ فيها الحيُّ كيف يسود
ونحنُ قضاةُ الحقِّ ، نَرعى قديِمَهُ ... وإن لم يَفُتْنا فى الحقوقِ جديد
ونعلمُ أنَّا فى البِناءِ دعائمٌ ... وأنتُم أَساسٌ فى البناءِ وَطِيد
فريدُ ضحايانا كثيرٌ ، وإنما ... مَجالُ الضحايا أنتَ فيه فريد
فما خلْفَ ما كابَدْتَ فى الحقِّ غايةٌ ... ولا فوقَ ما قاسيْتَ فيه مَزيد
تغرَّبْتَ عشرًا أنتَ فيهنَّ بائسٌ ... وأنت بآفاقِ البلادِ شَريد
تجوعُ بِبُلدانٍ ، وتَعْرَى بِغيرِها ... وتَرْزَحُ تحتَ الداءِ ، وهْوَ عَتيد
ألا فى سبيلِ اللهِ والحقِّ طارِفٌ ... من المالِ لم تَبخَلْ به ، وتَليد
وَجودُكَ بعدَ المالِ بالنفسِ صابرًا ... إذا جزِعَ المحضورُ وهْوَ يَجود
فلا زِلْتَ تمثالاً من الحقِّ خالصاً ... على سِرِّه نَبنِى العُلا ، ونَشِيد
يُعلِّمُ نَشْءَ الحى كيف هَوَى الحِمى ... وكيف يُحامى دونهُ ، ويَذود

النَّخيلُ مَابَيْنَ الْمُنْتَزَهِ وَأَبى قِير

« نظمها بالاسكندرية فى صيف سنة ١٩٣١ »

أرى شَجَرًا فى السماء احتجبْ　　وشقّ العَنانَ بمَرْأًى عَجبْ
مآذنُ قامت هُنا أَو هناكَ　　ظواهِرُها درجٌ من شذَب
وليس يؤذِّنُ فيها الرجالُ　　ولكن تَصيح عليها الغُرُب
وباسقةٍ من بنات الرمالِ　　نَمتْ وربَتْ فى ظلالِ الكُثُب
كساريةِ الفُلْكِ ، أَو كالمِســـلَّةِ ، أَو كالفَنارِ وراءَ العُبَب
تطولُ وتقصُرُ خلفَ الكثيبِ　　إذا الريحُ جاءَ به أَو ذهب
تُخالُ إذا اتَّقدَتْ فى الضُّحَى　　وجَرَّ الأَصيلُ عليها اللهَب
وطافَ عليها شُعاع النهارِ　　مِنَ الصَّحْوِ ،أَومِنْ حَواشى السُّحُب
.. وَصِيفةَ فرعونَ فى ساحةٍ　　من القصر واقفةً تَرْتقِب
قد اعتَصَبتْ بفصوصِ العَقِيقِ　　مُفصلَّةً بِشُذورِ الذهب
وناطتْ قلائدَ مَرْجانِها　　على الصدر ،واتَّشَحَتْ بالقَصَب
وشَدَّتْ على ساقِها مِئْزَراً　　تَعَقَّدَ من رأْسِها للذنَب

* * *

أَهذا هو النخلُ مَلْكُ الرِّياضِ　　أَميرُ الحقولِ، عروسُ العزب ؟

طعامُ الفقيرِ ، وحَلوَى الغَنىِّ وزادُ المسافرِ والمُغْتَرِب ؟
فيا نخلةَ الرملِ ، لم تَبخلى ولا قصَّرَتْ نَخَلاتُ التُّرب
وأعجَبُ : كيف طوَى ذِكْرَكُنَّ ولم يحتفلْ شعراءُ العرب ؟ !
أليس حراماً خُلُّو القصا ئدِ من وصفِكنّ ، وعُطْلُ الكتُب ؟
وأنتنّ فى الهاجراتِ الظِّلالُ كأَنَّ أعالِيَكُنَّ العَبَب
وأنتنّ فى البيد شاةُ المُعِيلِ جَناها بجانبِ أُخرى حَلبَ
وأنتنّ فى عَرَصاتِ القصورِ حسانُ الدُّمىٰ الزائناتُ الرُّحب
جناكنّ كالكرْمِ شتّى المذاقِ وكالشُّهْدِ فى كل لون يُحَبّ

البَحْرُ الأَبْيَض

« نظمت بالاسكندرية فى صيف سنة ١٩٣١ »

أَمِنَ البحرِ صائغٌ عَبْقَرِيٌّ ... بالرِّمالِ النَّواعِمِ البيضِ مُغْرَى؟!
طافَ تحتَ الضُّحَى عليهنَّ ، والجوْ ... هَرُ فى سُوقِهِ يُباعُ ويُشْرَى
جِئْنَهُ فى مَعاصِمٍ ونُحورٍ ... فكسا مِعْصَمًا ، وآخرَ عَرَّى
وأَبَى أن يُقلِّدَ الدُّرَّ واليا ... قوتَ نحْرًا ، وقلَّدَ الماسَ نحْرا
وتَرى خاتمًا وراءَ بَنانٍ ... وبَناناً من الخواتمِ صِفْرا
وسِوارًا يَزينُ زَنْدَ كَعَابٍ ... وسِوارًا من زَنْدِ حسناءَ فرّا
وترى الغِيدَ لُؤلؤًا ثَمَّ رَطْبًا ... وجُماناً حَوَالَيِ الماءِ نَثْرا
وكأَنَّ السماءَ والماءَ شِقًّا ... صَدَفٍ ، حُمِّلا رفيفًا ودُرَّا
وكأَنَّ السماءَ والماءَ عُرْسٌ ... مُتْرَعُ المهرَجانِ لمْحًا وعِطرا
أَو رَبيعٌ من ريشةِ الفنِّ أَبهَى ... مِن ربيعِ الرُّبَى ، وأَفتنُ زَهْرا
أَو تهاويلُ شاعرٍ عَبقريٍّ ... طارَحَ البحرَ والطبيعةَ شعرا
يا سِوارَىْ فَيْرُوزَجٍ ولُجَيْنٍ ... بِهما حُلِّيَتْ معاصِمُ مِصْرا
فى شُعاعِ الضُّحَى يعودان ماسًا ... وعلى لَمْحَةِ الأَصائلِ تِبْرا
ومَشَتْ فيهما النُّجومُ فكانت ... فى حَواشِيهما يواقيتَ زُهْرَا

لكَ فى الأرض موكبٌ ليس يألو الـــــريحَ والطيرَ والشياطينَ حَشْرا (١)
سِرْتَ فيه على كنوز (سُليما نَ) تعدُّ الخُطى اختيالاً وكِبْرا
وترنَّمْتَ فى الركابِ ، فقلنا راهبٌ طاف فى الأناجيل يَقرا
هو لحنٌ مُضَيَّعٌ ، لا جواباً قد عرفنا له ، ولا مُستقَرَّا
لك فى طيِّهِ حديثُ غرامٍ ظَلَّ فى خاطر المُلَحِّنِ سِرَّا

* * *

قد بعثنا تحيَّةً وثناءً لكَ يا أرفعَ الزواخِرِ ذِكرا
وغشِيناكَ ساعةً تَنْبُشُ المَا ضِيَ نبشًا ، وتقتُلُ الأمسَ فِكرا
وفتحنا القديمَ فيك كتاباً وقرأنا الكتابَ سطرًا فسَطْرا
ونشَرْنا من طيِّهِنَّ الليالى فلَمَحنا من الحضارةِ فَجْرا
ورأينا مصرًا تُعلِّمُ (يونا نَ) ، ويونانَ تَقبِسُ العلمَ مصرا
تِلكَ تأتيكَ بالبيانِ نبيًّا عبقريًا ؛ وتِلك بالفنِّ سِحْرا
ورأينا المنارَ فى مطلع النَّجْـــمِ على برقِهِ المُلَمِّحِ يُسرى
شاطئٌ مثلُ رُقعةِ الخُلدِ حُسناً وأديمِ الشبابِ طِيباً وبِشرا
جَرَّ فيْرُوزَجاً على فِضَّةِ الما ءِ ، وجَرَّ الأصيلُ والصبح تِبرا
كلَّمَا جئتَهُ تهلَّل بِشرًا من جميع الجهاتِ ، وافترَّ ثَغرا
انثنَى مَوْجَةً ، وأقبلَ يُرخِي كِلَّةً تارةً ويَرفعُ سِترا
شبَّ وانحطَّ مثلَ أسرابِ طيرٍ ماضياتٍ تَلُفُّ بالسَّهلِ وَعْرا
رُبما جاءَ وَهْدَةً فتردَّى فى المَهاوِى ، وقام يَطفرُ صَخرا
وترى الرملَ والقصورَ كأيْكٍ ركب الوَكْرُ فى نواحيهِ وَكْرا

---

(١) ليس يالو الريح ... الخ : ليس نقصر عنها .

وتَرى جَوْسَقًا يُزَيِّنُ رَوْضًا وترى رَبوةً تزيِّنُ مصرا

* * *

سَيِّدَ الماء ، كم لنا من (صلاحٍ) و (علىٍّ) وراءَ مائك ذِكرى!(١)
كم مَلأناكَ بالسَّفينِ مَواقِيـــرَ(٢) كشُمِّ الجبالِ جُندًا ووَفرا!
شاكياتِ السلاحِ يَخرُجنَ من مصـــرٍ بملمومةٍ ، ويَدْخلن مِصرا
شارعاتِ الجناحِ فى ثَبَجِ الما ءِ كنَسْرٍ يشدُّ فى السُّحب نَسْرا
وكأنَّ اللُّجاجَ حينَ تَنَزَّى وتسدُّ الفِجاجَ كرًّا وفرًّا . . .
. . . أجمٌ بعضُهُ لبعضٍ عدوٌّ زحَفَتْ غابةٌ لتمزيق أُخرَى !
قذَفَتْ هٰهنا زئيرًا ونَاباً ورَمَت هٰهنا عُواء وظُفرا
أنتَ تَغلى إلى القيامةِ كالقِدْ رِ ، فلا حطَّ يومُها لكَ قِدْرا

---

(١) يريد صلاح الدين الأيوبى ومحمد على باشا .
(٢) مواقير : موقرة : مثقلة بما تحمل .

قِفْ حَيِّ شُبَّانَ الْحِمٰى

« نظمها فى الطلاب المصريين الذين يطلبون العلم فى أوربا »

قِفْ حَيِّ شُبَّانَ الحِمَى　　قبلَ الرحيلِ بقافِيَةْ
عَوَّدْتُهُمْ أَمثـــالَهَا　　فى الصالحاتِ الباقيه
من كلِّ ذاتِ إشارةٍ　　ليستْ عليهم خافيه
قلْ : ياشبابُ ، نصيحة　　مما يُزَوَّدُ غاليه
هل راعكم أن المدا　　رسَ فى الكنانةِ خاوِيَه ؟
هُجِرَتْ فكلٌّ خليَّة　　من كلِّ شُهْدٍ خاليه
وتعطَّلتْ　　هالاتُها　　مِنكم ، وكانت حاليه
غَدَتِ السياسةُ وَهْىَ آ　　مرة عليها ناهيه
فهجرتُمُو الوطنَ العز　　يزَ إلى البلادِ لقاصيه

* * *

أنتمْ غدًا فى عالَمٍ　　هو والحضارةُ ناحِيهْ
واريْتُ فيه شَبيبتى　　وقضيتُ فيه ثمانيه
ما كنتُ ذا القلبِ الغليـــظِ ، ولا الطباعِ الجافيه
سِيروا به تتعلَّموا　　سرَّ الحياةِ العاليه

وتأمّلوا البُنْيَانَ ، وادّكِروا الجهودَ البانيه
ذوقوا الثمارَ جَنِيَّةً وَرِدُوا المناهِلَ صافيه
واقضُوا الشبابَ ؛ فإنّ سا عتَه القصيرةَ فانيه
واللهِ لا حَرَجٌ عليكم فى حديثِ الغانيه !
أو فى اشتِهاءِ السِّحْرِ من لَحْظِ العيونِ الساجيه
أو فى المسارحِ فَهْىَ بالنَّفْسِ اللطيفةِ راقيه !

ثَنَى عِطْفَيْهِمَا الْهَرَمَانِ تيها

« وقال يحيى الملك فـــؤاد فى أبان زيارته للجيزة فى ديسمبر سنة ١٩٣٠ »

بأَرضِ الجيزةِ اجتازَ الغَمامُ　　وحلَّ سماءها البدرُ التمام
وزار رياضَ إسماعيلَ غيثٌ　　كوالدِه له المِنَنُ الجِسام
ثَنَى عِطْفَيْهِمَا الهرمانِ تِيهًا　　وقال الثالثُ الأَدنَىٰ : سلام
هَلُمِّي مَنْعُ ؛ هذا تاجُ خوفو　　كقُرْصِ الشمسِ يَعرِفه الأَنام
نَمتْهُ من بنى فِرعَوْنَ هامٌ　　ومن خلفاءِ إسماعيلَ هام
تألَّقَ فى سمائكِ عبقريًّا　　عليه جلالةٌ ، وله وِسام
ترعرعَتِ الحضارةُ فى حلاهُ　　وشبَّ على جواهرِه النظام
ونال الفنُّ فى أُولى الليالى　　وأُخراهُنَّ عِزًّا لا يُرام

* * *

مشَى فى جيزة الفُسطاط ظِلٌّ　　كظِلِّ النيلِ بُلَّ به الأُوَام
إذا ما مَسَّ تُرْباً عاد مِسْكًا　　ونافَس تحتَه الذهبَ الرَّغام
وإنْ هو حَلَّ أرضاً قام فيها　　جِدارٌ للحضارةِ أو دِعام
فمدرسةٌ لحرب الجهلِ تُبْنَى　　ومُسْتَشْفَى يُذادُ به السَّقام

ودارٌ يُستَغاثُ بها فيَمضى إلى الإسعافِ أنجادٌ كرامُ
أساةُ جِراحةٍ حِينًا ، وحيناً مَيازيبٌ إذا انفجر الضِّرام
وأحواضٌ يراضُ النيلُ فيها وكلٌّ نجيبةٍ ولها لجام
أبا الفاروقِ ، أقبَلْنا صُفوفاً وأنتَ من الصفوفِ هو الإمام
إلى البيتِ الحرامِ بك اتَّجهنا ومِصرُ - وحَقِّها - البيتُ الحرام
طلعتَ على الصعيدِ فهَشَّ حتى علا شَفَتَىْ أبي الهول ابتسام
وكابٌ سارتِ الآمالُ فيه وطافَ به التلفُّتُ والزِّحام
فماذا فى طريقك من كُفور أجلُّ من البيوتِ بها الرِّجام ؟
كأن الراقدِين بكل قاعٍ هُمُ الأيقاظُ ، واليَقْظَى النِّيام
لقد أزَمَ الزمانُ الناسَ ، فانظُرْ فعِندَكَ تُفْرَجُ الإزَمُ العِظام
وبَعْدَ غدٍ يُفارِقُ عامُ بؤسٍ ويَخلُفه من النَّعماء عام
يَدورُ بمصرَ حالا بعدَ حالٍ زمانٌ ما لِحَاليْهِ دَوام
ومِصْرُ بِناءُ جَدِّكَ لم يُتَمَّمْ أليس على يَدَيكَ له تمام ؟
فلسنا أُمّةً قعدتْ بشمسٍ ولا بلدًا بضاعتُه الكلام
ولكنْ هِمَّةٌ فى كلِّ حينٍ يَشُدُّ بِناءَها المَلِكُ الهُمام
نَرومُ الغايةَ القُصْوَى ، فنَمْضى وأنت على الطريقِ هو الزِّمام
ونقصر خطوةً ، ونَمُدُّ أُخرى وتُلجِئُنا المسافةُ والمرام
ونَصبرُ للشدائدِ فى مقامٍ ويَغلِبُنا على صبرٍ مقام

فقوٌ حضارةَ الماضى بأُخرَى لها زَهْوٌ بعصرِكَ وابتسامُ
تَرِفُّ صحائفُ البَرْدِىِّ فيها ويَنطقُ فى هياكلها الرُّخام
رَعَتكَ وواديًا ترعاه عنّا منَ الرحمٰنِ عينٌ لا تنام
فإن يكُ تاجُ مصرَ لها قِواماً فمصرُ لتاجِها العالى قِوام
لِتهنأْ مصرُ ، وليَهْنأْ بَنوها فبينَ الرأسِ والجسمِ التئام

الأَمِيرَة فَتْحِيَةُ

« وقال فى برقية يهنىء الاميرة السابقة فتحية »

فتْحِيَّةٌ دنيا تدومُ . وصِحةٌ   تَبقى ، وبهجَةُ أُمَّةٍ . وحياة
مَوْلاىَ إنّ الشمسَ فى عليائها   أُنثَى ، وكلُّ الطيباتِ بَناتُ !

تَهْنِئَـة

« وقال يهنئ الدكتور على باشا ابراهيم بمناسبة الانعام عليه برتبة الباشوية سنة ١٩٣٠ »

يَدُ الملكِ العلَوى الكريم ... على العلمِ هَزّتْ أخاه الأدبْ
لسانُ الكنانةِ فى شكْرِها ... وما هو إلا لسانُ العَرَب
قضَتْ مِصرُ حاجتَها يا (عَلِيٌّ) ... ونالتْ ، ونال بَنوها الأرَب
وَهَنَّأْتُ بالرُّتَبِ العبقَرِىَّ ... وهَنَّأْتُ بالعبقرِى الرُّتَب
علِىٌّ ، لقد لقَّبَتْكَ البِلادُ ... بآسِى الجِراحِ ، ونِعْمَ اللَّقَب
سِلاحُك من أدواتِ الحياةِ ... وكلُّ سلاحٍ أداةُ العَطَب
ولفظُكَ (بِنْجٌ) ، ولكنَّهُ ... لطيفُ الصَّبا فى جُفون العَصب
أنامِلُ مِثلُ بَنانِ المسيح ... أواسِى الجِراحِ ، مَوَاحِى النُّدَب
تعالِجُ كَفَّاكَ بؤسَ الحياةِ ... فكفٌّ تُداوِى ، وكفٌّ تَهَب
ويستمسك الدَّمُ فى راحَتَيْكَ ... وفوقَهُما لا يَقرُّ الذَّهب
كأنك للموتِ مَوْتٌ أتيح ... فلم يَرَ وجْهَكَ إلا هَرَب !

يا قاهرَ الغربِ العتيدِ

(قال في حفل تكريم البطل العالمي في حمـــــل الأثقال السيد نصير ، في ديسمبر سنة ١٩٣٠)

شرفًا نُصَيْرُ ، ارْفعْ جَبِينَك عالياً ••• وتَلقَّ من أوطانك الإكليلا
يَهنيكَ ما أُعطِيتَ من إكرامِها ••• ومُنِحْتَ مِن عطف ابنِ إسماعيلا
اليومَ يَومُ السَّابِقين ، فكنْ فتًى ••• لم يَبْغِ من قصَبِ الرِّهانِ بَديلا
وإذا جَرَيْتَ مع السوابق فاقتحِمْ ••• غُرَرًا تَسيل إلى المدى وحُجُولا
حتى يراكَ الجمعُ أوّلَ طالعٍ ••• ويَرَوْا على أعرافِك المِنْديلا
هذا زمانٌ لا تَوسُّطَ عِندَه ••• يَبْغِي المُغامِرُ عالياً وجليلا
كنْ سابقًا فيه ، أوِ ابْقَ بِمعْزِلٍ ••• ليس التوسُّطُ للنُبوغِ سبيلا
يا قاهرَ الغربِ العتيدِ ، مَلأْتَه ••• بثناء مِصْرَ على الشِفاهِ جَميلا
قلَّبْتَ فيه يدًا تكاد لِشِدَّةٍ ••• في البأسِ ترفع في الفَضاء الفِيلا !
إن الذى خَلق الحديدَ وبأْسَه ••• جعل الحديدَ لِساعِدَيْكَ ذليلا
زَحْزَحْتَه ، فتخاذلتْ أجلادُه ••• وطَرَحْتَه أرضاً ، فصَلَّ صَليلا
لِمَ لا يَلِينُ لك الحديدُ ولم تزَلْ ••• تتلو عليه وتقرأ التَّنزِيلا ؟
الأزْمَةُ اشتَدَّتْ ورانَ بلاؤُها ••• فاصْلِمْ بِركْنك رُكنَها لِيَميلا
(شمشونُ) أنت ، وقد رَسَتْ أركانُها ••• فتَمشَّ في أركانِها لِتَزولا

قلْ لى نُصَيْرُ وأنت بَرٌّ صادِقٌ ... أَحَمَلْتَ إنساناً عليك ثقيلا ؟
أَحَمَلْتَ دَيْنًا فى حياتِك مَرَّةً ؟ ... أَحَمَلْتَ يوماً فى الضُّلوع غليلا ؟
أحَملتَ ظُلمًا من قريبٍ غادرٍ ... أو كاشحٍ بالأَمسِ كان خليلا ؟
أحملتَ منًّا بالنهارِ مُكرَّرًا ... والليلِ ، مِنْ مُسْدٍ إليك جَميلا ؟
أحملتَ طُغيانَ اللئيمِ إذا اغْتَنَى ... أو نال مِنْ جاهِ الأُمورِ قليلا ؟
أحملتَ فى النادى الغبِىَّ إذا التَقَى ... مِن سامِعِيه الحمدَ والتبجيلا ؟
تلك الحياةُ ، وهٰذه أثقالُها ... وُزِن الحديدُ بها فعاد ضئيلا !

بنُ زَيْدُون

« أنشأها ترحيبا بديوان ابن زيدون ، حين ظهر مطبوعا لاول مرة فى مصر ، بعناية الاستاذ الاديب كامل كيلانى »

يا ابْنَ زيدونَ ، مَرحبًا　　قد أطلْتَ التَّغيُّبا
إن ديوانَكَ الذى　　ظلَّ سرًّا مُحجَّبا ،
يَشْتكى اليُتْمَ دُرُّه　　ويُقاسى التَّغرُّبا ...
... صار فى كل بَلدةٍ　　للأَلِبَّـــاء مَطْلبا
جاءنا « كاملٌ » به　　عربيًّـــا مُهَذَّبا
تَجدُ النَّصَّ مُعْجِبا　　وتَرى الشَّرح أعجبا
أنتَ فى القول كلِّه　　أجْملُ الناسِ مَذْهبا
بأبى أنتَ هيْكلاً　　مِن فنونٍ مُركَّبا
شاعِرًا أم مُصَوِّرًا　　كنتَ ، أم كنتَ مُطربا ؟
ترسِل اللحنَ كلَّه　　مُبْدِعاً فيه ، مُغرِبا
أحْسَنَ الناس هاتفًا　　بالغوانى مُشَبِّبا
ونزيلَ المُتوَّجـــينَ ، النديمَ المُقرَّبا
كم سَقاهم بشِعره　　مِدْحَةً أو تَعَتُّبا
ومن المدْحِ ما جزَى　　وأذاعَ المناقبا

• • •

وإذا الهَجْوُ هاجَهُ　　لِمُعـــاناته أبى

ورآه رذيــــلةً لا تُماشِى التأدُّبا
ما رأى الناسُ شاعِرا فاضل الخُلْقِ طيِّبا
دَسَّ للناشقين فى زَنبَقِ الشعرِ عَقربا

* * *

جُلتَ فى الخُلد جوْلةً هل عن الخلد مِنْ نَبا ؟
صِف لنا ما وراءه من عيونٍ ، ومن رُبَى
ونعيمٍ ونَضرةٍ وظلالٍ من الصَّبا
وصِفِ الحور موجزًا وإذا شئت مُطْنِبا

* * *

قم تَرى الأَرضَ مِثلما كنتُمو أمسِ مَلعَبا
وترى العيشَ لم يزلْ لبَنى الموتِ مأْرَبا
وترى ذاكَ بالذى عند هذا مُعَذَّبا

* * *

إنَّ مَروانَ عُصبةٌ يَصنعونَ العجائبَــــا(١)
طوَّفوا الأَرض مَشرِقاً بالأَيادى ومَغــــرِبا
هالةٌ أطلعتْكَ فى ذِروة المجدِ كوكبا
أنت للفتحِ تنتمى وكَفى الفتحُ منْصِبا
لستُ أرْضَى بغيره لك جَدًّا ولا أبا

---

(١) يشير الى أصله « الرومى » والى إيادى بنى مروان على العروبة، بما فتحوا من بلاد الروم ، وبما استعرب من اهلها .

الْبُلْبُلُ الْغَرِدُ الَّذى هزّ الرُّبَى

« انشدت فى الحفلة التى اقامتها رابطة الادب الجديد ، تكريما للشاعر الاستاذ « محمود ابو الوفا » ، وكانت هذه القصيدة سببا الى عناية الحكومة المصرية وتشد بالشاعر — ابى الوفا — وتسفيره الى اوربا لعمل رجل صناعية بدل ساقه المبتورة ! »

وعِصابةٍ بالخيرِ أَلَّف شَمْلَهم   والخيرُ أفضلُ عُصبةً ورِفاقا
جعلوا التّعاونَ والبناية هَمَّهم   واستنهضوا الآدابَ والأخلاقا
ولقد يُداوُون الجِراح بِبرِّهم   ويُقاتلون البؤسَ والإملاقا
يسمونَ بالأدب الجديدِ ، وتارةً   يَبْنُون للأدبِ القديمِ رِواقا
بعثَ اهتمامَهُمو ، وهاجَ حنانهم   زمنٌ يُثير العطفَ والإشفاقا
عَرَضَ القُعودُ فكان دون نُبوغِهِ   قَيدًا ، ودونَ خُطَى الشباب وِثاقا

* * *

البُلْبُلُ الغرِدُ الذى هزّ الرُّبَى   وشَجَى الغصونَ ، وحرَّكَ الأوراقا
خَلَفَ البَهاءَ على القريض وكأسِه   فسَقَى بعَذْبِ نسيبِه العُشّاقا
فى القيد مُمتنِعُ الخُطى ، وخياله   يَطوِى البلادَ ويَنشُر الآفاقا
سبّاقُ غاياتِ البيانِ جَرى بلا   ساقٍ ، فكيف إذا استَردَّ الساقا ؟ !
لو يَطعمُ الطِّبُّ الصِّناعُ بَيانَه   أو لو يُسيغُ لما يقولُ مَذاقا . . .
. . . غالى بقيمتِه ، فلم يَصنع له   إلا الجَناحَ مُحلِّقًا خفّاقا !

خَليل مُطْرَان (١)

« نظمها لتنشــــــد فى حفلة اقيمت بدار الجامعة المصرية فى ١٨ يونيــو ســنة ١٩١٣ لتــكريم الشاعر خليل مطــران ، لمناسبة انعام الخديوى عباس حلمى الثانى عليه بوسام ، وكانت الحفــلة برياسة الامير محمد على توفيق شقيق الخديوى »

لُبْنَانُ ، مَجْدُكَ فى المشارق أَوَّلُ　　والأَرضُ رابيةٌ وأنتَ سَنامُ

وبنوك أَلطفُ مِن نسيمِكَ ظِلُّهُمْ　　وأَشمُّ مِن هَضَبَاتِك الأَحلام

أَخرجتَهم للعالمين جَحاجِحاً　　عُرْباً ، وأَبناءُ الكريم كرامُ

بين الرياض وبين أُفْقٍ زاهرٍ　　طلع المَسيحُ عليه والإِسلام

هذا أَديبُك يُحتفَى بوِسامِهِ　　وبيانُه للمَشْرِقَيْنِ وِسامُ

ويُجَلُّ قدْرُ قِلادةٍ فى صدره　　وله القلائدُ سِمْطُها الإِلهام

صدرٌ حَوالَيْه الجلالُ ، ومِلؤهُ　　كرمٌ ، وخَشيةُ مؤمِنٍ ، وذِمام

حَلَّاهُ إِحسانُ الخديوِ ، وطالما　　حلَّاه فضلُ اللهِ والإِنعام

لِعُلاك يامُطرانُ ، أَم لنهاك ، أَم　　لِخلالك التشريفُ والإِكرام ؟!

أَم للمواقف لم يَقِفْها ضَيْغَمٌ　　لولاك لاضطربت له « الأَهرام » ؟!

هذا مقامُ القولِ فيك ، ولم يَزَلْ　　لك فى الضمائر مَحْفِلٌ ومقام

غالَى بقيمتك الأَميرُ محمدٌ　　وسعى إِليك يحفه الإِعظام

---

(١) زيدت هذه فى الطبعة الثانية .

في مجمعٍ هزَّ البيانُ لواءه بك فيه ، واعتزَّتْ بك الأقلامُ
ابنُ الملوكِ تَلَا الثناء مخلَّدًا هَيْهَات يذهبُ للملوكِ كلام !
فمن البشيرُ لبعْلَبَكَّ وبينَها نَسَبٌ تُضِيء بنوره الأيام ؟
يبْلَى المكينُ الفخْمُ من آثارها يوماً ، وآثارُ الخليل قيام !

غَانْدِى

« انشأها تحية لغاندى الزعيم الهندى المشهور ، حين مروره بمصر سنة ١٩٣١ ، فى طريقه الى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن »

بَنِى مِصرَ ، ارْفَعُوا الغار　　وحيُّوا بَطَلَ الهِندِ
وأدُّوا واجبًا ، واقضوا　　حقوقَ العَلَمِ الفرد
أخوكم فى المقاساةِ　　وعَرْكِ الموقفِ النَّكْدِ
وفى التَّضْحِيةِ الكبرى　　وفى المَطلبِ ، والجُهد
وفى الجرح ، وفى الدمع　　وفى النَّفْيِ من المهدِ
وفى الرحلة للحقِّ　　وفى مرحَلةِ الوفد
قِفوا حيُّوه من قرْبٍ　　على الفلْكِ ، ومن بُعد
وغَطُّوا البَرَّ بالآس　　وغَطُّوا البحرَ بالورد

• • •

على إفريزِ (راجْبُوتا　　نَ)(١) تمثالٌ من المجد
نبىٌّ مِثلُ (كونْفشْيُو　　سَ) ، أو من ذلك العهد
قريبُ القوْلِ والفعلِ　　من المنتظَرِ المهدى
شبيه الرسْل فى الذَّوْدِ　　عن الحقِّ ، وفى الزهد

(١) الباخرة التى اقلت غاندى من الهند الى لندن .

لقد عَلَّم بالحقِّ وبالصبر ، وبالقصد
ونادى المشرقَ الأقصى فلبّاه من اللحد
وجاء الأنفسَ المرْضَى فداوَاها من الحِقد
دَعا الهندوسَ والإسلا م للأُلفةِ والوُدِّ
بسحرٍ من قُوَى الروحِ حَوَى السَّيفَيْنِ فى غِمد
وسلطانٍ من النفسِ يُقوِّى رائِض الأُسْدِ
وتوفيقٍ منَ اللهِ وتيْسيرٍ من السَّعد
وحظٌّ ليس يُعطاهُ سِوَى المخلوقِ للخلدِ
ولا يُؤْخَذ بالحَوْا ولا الصَّوْلِ ، ولا الجُند
ولا بالنسل والمال ولا بالكدحِ والكدّ
ولكن هِبةُ المولى — تعالى اللهُ — للعبد

* * *

سلامٌ النيل ياغنْدِى وهذا الزهرُ من عندى
وإجلالٌ من الأهرا مِ ، والكرْنكِ ، والبَرْدِى
ومن مَشْيَخَةِ الوادِى ومن أشبالِهِ المُرْدِ
سلامٌ حالِبَ الشّاةِ سلامٌ غازلَ البُرْدِ
ومَن صَدَّ عن المِلح ولم يُقبِل على الشُّهد
ومَنْ تِرْكبُ ساقيْهِ من الهندِ إلى السِّنْدِ
سلامٌ كلّما صلّيْـــــت عُرياناً ، وفى اللِّبد
وفى زاويةِ السجن وفى سِلسِلةِ القيدِ

مِنَ «المائِدَةِ الخضْرا ءِ»(١) خُذْ حِذْرَكَ ياغنْدِى
ولاحظْ وَرَقَ «السِّيرِ» وما فى ورق «اللورْدِ»
وكنْ أبرَعَ مَن يَلعَ بُ بالشَّطْرَنْجِ والنَّرْد
ولاقِ العبقريِّينَ لِقاءَ النِّدِّ للنِّدِّ
وقل : هاتوا أفاعيَكم أتى الحاوى من الهند !
وعُدْ لم تحفِلِ الذَّامَ ولم تَغْتَرَّ بالحمد
فهذا النجمُ لا تَرْقَى إليه هِمَّةُ النقدِ
ورُدَّ الهندَ للأُمَّـــةِ من حدٍّ إلى حَدِّ

---

(١) يطير الى المؤتمر الذى كان مسافرا اليه للبحث فى دستور الهند.

تَحِيَّةُ أَبُولُّو

* ابولو : مجلة فنية لخدمة الشعر الحى ، كان يصدرها مرة كل شهر — فى سنة ١٩٣٢ — الدكتور احمد زكى أبو شادى ، فقال يحييها .

أَبولُّو ، مَرحَبًا بك يا أَبولُّو   فإنك من عُكاظِ الشعرِ ظِل
عُكاظُ وأنتِ للبُلغاء سُوقٌ   على جَنَباتِها رحَلوا وحلُّوا
ويَنبوعٌ من الإِنشادِ صافٍ   صدى المتأَدِّبين به يُقَلُّ
ومِضمارٌ يسوقُ إلى القوافى   سوابِقُها إذا الشُّعراءُ قلُّوا
بِقول الشِّعرَ قائلُهم رصينًا   ويُحسِنُ حين يُكثِرُ أو يُقِلُّ
ولولا المُحسنونَ بكلِّ أرضٍ   لما ساد الشُّعوبُ ولا استقلُّوا

* * *

عسى تأْتينَنا بمُعَلَّقاتٍ   نَروحُ على القديمِ بها نُدِلُّ
لعلَّ مَواهبًا خَفِيَتْ وضاعت   تُذاعُ على يَديكِ وتُستَغَلُّ
صحائِفُكِ المدبَّجَةُ الحواشى   رُبَى الوَرْدِ المُفتَّح أو أَجَلُّ
رياحينُ الرِّياضِ يُمَلُّ منها   ورَيحَانُ القرائحِ لا يُمَلُّ
يُمَهِّدُ عَبقرىُّ الشِّعر فيها   لكلِّ ذخيرةٍ فيها مَحَلُّ
وليس الحقُّ بالمنقوصِ فيها   ولا الأَعراضُ فيها تُستحَلُّ
وليستْ بالمجالِ لِنَقدِ باغٍ   وراءَ يَراعِهِ حَسَدٌ وغِلُّ

أغنيَة

« نظمها بلبنان فى صيف سنة ١٩١٢ لتغنيها احدى القيان »

بِى مِثْلُ ما بِكِ ياقُمريّةَ الوادى ... ناديتُ ليلى ، فقومى فى الدُّجَى نادى
وأرسِلى الشَّجوَ أسجاعًا مُفصَّلةً ... أو رَدِّدِى من وراء الأَيْكِ إنشادى
لاتكتُمِى الوَجْدَ ، فالجرحانِ من شَجَنٍ ... ولا الصبابةَ ، فالدمعان من وادِ
تذَكرى : هل تلاقَيْنا على ظمإٍ ؟ ... وكيف بلَّ الصَّدَى ذو الغُلّةِ الصادى؟
وأنتِ فى مجلِسِ الرَّيحانِ لاهيةٌ ... ما سِرْتِ من سامرٍ إلا إلى نادى
تذكرى قُبلةً فى الشَّعرِ حائرةً ... أضَلَّها فَمَشَتْ فى فَرْقِكِ الهادى
وقُبلةً فوقَ خدٍّ ناعمٍ عَطِرٍ ... أبهى من الوردِ فى ظلِّ النّدَى الغادى
تذكرى منظرَ الوادى ، ومجلِسَنا ... على الغديرِ ، كعُصفورَيْنِ فى الوادى
والغُصنُ يحنو علينا رِقّةً وجَوًى ... والماءُ فى قدَمَيْنا رائحٌ غادِ
تذكرِى نغماتٍ ههُنا وهُنا ... من لحنِ شاديةٍ فى الدَّوحِ أوشادى
تذكرى مَوْعدًا جادَ الزمان به ... هل طِرتُ شوقاً؟وهل سابقتُ ميعادى؟
فنلتُ ما نلتُ من سُؤْلٍ ، ومن أملٍ ... ورحتُ لم أحصِ أفراحى وأعيادى؟

يَا شِرَاعًا وَرَاءَ دِجْلَةَ

« غناها بين يدى ملك العـــراق المغفور له فيصل الاول الموســيقار محمــد عبد الوهاب بمناســبة زيارته لتلك البــلاد فى سنة ١٩٣١ »

يا شراعاً وراءَ دِجلةَ يَجرى | فى دموعى تجنبَتكَ العَوادى
سِر على الماءِ كالمسيحِ رُويدًا | واجْرِ فى اليمِّ كالشعاعِ الهادى
وأتِ قاعاً كرفرَفِ الخلدِ طِيبًا | أو كَفِرْدَوْسِهِ بشاشةَ وادى
قِفْ ، تمهَّلْ ، وخُذ أماناً لقلبى | من عيونِ المهَا وراءَ السَّوادِ
والنَّواسِىُّ والنَّدامَى ؛ أمِنهم | سامرٌ يملأُ الدُّجَى أو نادِ ؟
خَطرَتْ فوقه المِهارةُ تعدو | فى غُبارِ الآباء والأَجداد
أُمَّةٌ تُنشِئُ الحياةَ ، وتَبنِى | كبِناءِ الأُبوَّةِ الأَمجاد
تحتَ تاجٍ من القرابة والمُلـ | ـكِ على فَرْقِ أَرْيحىٍّ جواد
ملكِ الشطِّ ، والفراتيْنِ ، والبطـ | ـحاءِ ، أعظِمْ بِفَيْصَلٍ والبلاد

الرَّجُلُ السَّعيد(١)

وهى ترجمة ابيات فرنسية عنوانها : «
L. homme heureux
لسمو الامير حيدر فاضل »

عَفيفُ الجَهْرِ والهمْسِ ... قَضى الواجِبَ بالأَمْسِ
ولم يَعْرِضْ لِذِى حقٍّ ... بِنُقصانٍ ولا بَخْس
وعِندَ الناس مجهولٌ ... وفى أَلْسُنِهِمْ مَنْسِى
وفيه رقَّةُ القلْبِ ... لآلامِ بَنى الجنْسِ
فلا يَغْبِطُ ذا نُعْمى ... ويَرْثِى لأَخِى البُؤسِ
وللمحرُومِ والعافى ... حَوَالَىْ زادِهِ كُرْسِى
وما نَمٌّ ، ولا هَمٌّ ... بِبَعْضِ الكَيْدِ رالدَّسّ
ينامُ الليلَ مَسْرورا ... قليلَ الهَمِّ والهَجْس
ويُصْبحُ لا غُبارَ على ... سَريرَتِهِ كما يُمْسِى

* * *

فيا أَسعدَ من، يَمشى ... على الأَرضِ مِنَ الإِنْس

---

(١) نشرت فى مجلة الكشكول سنة ١٩٢٥ .

ومَنْ طَهَّرَهُ اللهُ من الرِّيبَةِ والرِّجْسِ
أَنِلْ قَدْرِىَ تَشْرِيفاً وهَبْ لى قُرْبَكَ القُدْسِى
عسى نَفسُكَ أن تُدمـــج فى أحلامِها نَفسى
فالْقَى بَعض ما تَلْقى من الغِبطةِ والأُنْسِ !

الأَثَر

وجَدْتُ الحياةَ طريقَ الزُّمَرْ إلى بعْثةٍ وشُئون أُخر
وما باطِلاً يَنزِلُ النازلون ولا عَبثًا يُزْمِعونَ السَّفَرْ
فلا تَحتَقِرْ عالَمًا أنتَ فيه ولا تجْحَدِ الآخَرَ المُنْتَظَر
وخُذْ لكَ زادَيْنِ : من سِيرة ومن عملٍ صالحٍ يُدَّخَر
وكن في الطريقِ عفيفَ الخُطا شريفَ السَّماعِ ، كريمَ النظر
ولا تخْلُ من عملٍ فوقَه تَعِشْ غيرَ عَبْدٍ ، ولا مُحتَقَر
وكن رجلا إن أَتَوْا بَعدَه يقولون : مَرَّ وهٰذا الأَثَرْ

السَّتَّار

قدَّمْتُ بين يَدَىَّ نَفْسًا أذنبَتْ
وأتيْتُ بينَ الخوْفِ والإقرار

وجَعَلْتُ أسْتُرُ عن سِواك ذنوبَها
حتَّى عَيِيتُ ، فمَنْ لى بستار !

الخصوصيات

أَبُو عَلِي

« قال عندما بشر بابنه علي شوقي »

صارَ شوْقِي أَبا علِي   في الزمان «الترَلّلِي»
وجَناها جنايةٌ   ليسَ فيها بـأَوَّلِ !

الزَّمَنُ الأَخِير

« وقال فى ذلك أيضاً »

عليٌّ ، لو اسْتشرْتَ أَباكَ قبْلاً   فإن الخير حظُّ المُسْتشِيرُ
إذًا لعَلِمْتَ أنَّا في غَناء   وإن نكُ من لقائِكَ فى سرور
وما ضِقنا بمقدَمِكَ المُفَدَّى   ولكن جئتَ فى الزمَن الأخير !

صَاحِبُ عَهْدِهِ

« وقال ايضا »

رُزِقتُ صاحِبَ عهْده   وتمَّ لى النسْلُ بَعدى
هُم يَحسُدونِني عليهِ   ويغبِطونى بِسَعدى
ولا أرانى ونجلى   سَنَلتقى عند مَجد
وسوفَ يَعلَمُ بَيتى   أنى أنا النَّسْلُ وحْدى
فيا علِي ، لا تلُمْنى   فما احتِقارُكَ قَصْدى
وأنتَ مِنى كرُوحِى   وأنت مَنْ أنت عندى !
فإن أساءكَ قوْلى   كذِّبْ أباكَ بوعْدِ !

يالَيْلَة !

« وكانت ولادة بنته أمينـــة ووفاة والده في ســـاعة واحـــدة ، فقال في ذلك »

يا لَيْلَةً سَمَّيْتُها لَيْلَتى ... لأنَّها بالناس ما مَرَّتِ
أَذكُرُها ، والموتُ في ذِكرها ... على سبيلِ البَثِّ والعِبْرَةِ
لِيَعْلَمَ الغافِلُ ما أَمْسُه ؟ ... ما يومُهُ؟ ما مُنْتَهى العِيشةِ ؟
نَبَّهَنى المقدورُ فى جُنْحِها ... وكنتُ بين النَّوْم واليَقْظةِ
الموتُ عَجْلانُ إلى والدِى ... والوَضْعُ مُسْتَعْصٍ على زَوْجَتى
هذا فتًى يُبْكَى على مِثلِه ... وهذه فى أَوَّلِ النَّشْأَةِ
وتلك فى مِصْرَ على حالِها ... وذاكَ رَهْنُ الموْتِ والغُرْبَةِ
والقلبُ ما بَينَهما حائرٌ ... من بَلْدَةٍ أَسْرى إلى بَلدةِ
حتى بَدا الصُّبحُ ، فوَلَّى أبى ... وأَقبلَتْ بعدَ العَناء ابْنَتى
فقلتُ أَحكامُكَ جِزْنا اهها ... يا مُخرِجَ الحىِّ مِنَ الميِّتِ !

أمينة

«وقال حين اكتملت بنته حولا يصفها فى هذا العمر»

أمينتى في عامِها الأوّلِ مِثلُ المَلَكِ
صالحةٌ للحُبِّ مِنْ كلٍّ ، وللتّبَرُّك
كم خَفَقَ القلبُ لها عِندَ البُكا والضَّحِك
وكم رَعَتْها العَيْنُ فى السُّكونِ والتَّحرُّك
فإن مَشَتْ فخاطِرى يَسبِقُها كالمُمْسِك
ألحَظُهـا كأنَّها من بَصَرى فى شَرَك
فيا جَبينَ السَّعْدِ لِى ويا عُيُونَ الفَلَك
ويا بياضَ العيْشِ فى الأيَّامِ ذاتِ الحَلَك
إنّ الليالى وهْىَ لا تَنْفَكُّ حَرْبَ أهلِكِ
لو أنصَفَتْكِ طِفلةً لكنتِ بنتَ المَلِكِ !

طِفْلَةٌ لَاهِيَهْ

« وقال يهنئها بسنتها الثانية »

أمينةُ ، يا بِنتىَ الغاليَهْ | أهَنِّيكِ بالسَّنةِ الثانيَهْ
وأسألُ أنْ تَسلَمى لى السنينَ | وأنْ تُرْزَقى العَقلَ والعافيه
وأنْ تُقْسَمى لأبَرِّ الرجالِ | وأنْ تلِدى الأنفُسَ العاليه
ولكنْ سألتُكِ بالوالِدَيْن | وناشدتُك اللُّعَبَ الغاليه
أتدرِين مامرَّ من حادِثٍ | وما كان فى السَّنةِ الماضيه ؟
وكم بُلْتِ فى حُللٍ من حريرٍ | وكم قد كسَرْتِ منَ الآنِيه ؟
وكم سَهِرَتْ فى رِضاكِ الجفونُ | وأنتِ علَى غَضَبٍ غافِيه ؟
وكم قد خَلتْ من أبيكِ الجيوبُ | وليسَتْ جُيوبُكِ بالخاليه ؟
وكم قد شكا المُرَّ من عَيْشِه | وأنتِ وحَلواكِ فى ناحيه ؟
وكم قد مرِضْتِ ، فأسقمتِه | وقمتِ ، فكنتِ له شافيه ؟
ويَضحكُ إن جئتِه تضحكينَ | ويَبكى إذا جئتِه باكيَه !
ومن عَجَبٍ مرَّتِ الحادثاتُ | وأنتِ لأحدَثِها ناسيَه !
فلو حَسَدَتْ مُهجةٌ وُلْدَها | حسدْتُكِ من طِفلةٍ لاهيَه !

الأنانية

« ونظم هذه الحكاية فيها وفى كلب لها اسود صغير. »

يا حَبَّذا أمينةٌ وكلبُها　　تُحِبُّهُ جدًّا كما يُحبُّها
أمينتى تحبو إلى الحَوْلَيْنِ　　وكلبُهَا يُنَاهِزُ الشهرَينِ
لكِنَّها بَيضاءُ مثلُ العاجِ　　وعبْدُها أسوَدُ كالدَّياجِى
يلزَمُها نهارَها وتلزمُهْ　　ومِثلَما يُكرِمُها لا تُكرمُهْ
فعندَها من شدّةِ الإشفاقِ　　أن تأْخُذ الصغيرَ بالخِناقِ
فى كلِّ ساعةٍ له صِياحُ　　وقلَّما يَنعَمُ ، أو يرتاحُ
وهٰذِهِ حادثةٌ لها مَعَهْ　　تُنبيك كيفَ استأْثرَتْ بالمنفعَهْ
جاءتْ به إلىَّ ذاتَ مَرَّهْ　　تَحمِلهُ وهْى بِه كالبَرَّهْ
فقلتُ : أهلا بالعَرُوسِ وابنِها　　ماذا يكونُ يا تُرى مِن شأْنِها ؟
قالت : «غلامى يا أبى جَوْعانُ　　وما لهُ كما لنا لِسانُ
فمُرهُمُوا يَأْتُوا بخبزٍ ولبنْ　　ويُحضِروا آنِية ذاتَ ثمنْ
فقُمتُ كالعادةِ بالمطلوب　　وجئتُها أنظرُ من قريب
فَعَجَنَتْ فى اللبنِ اللُّبابا　　كما تَرانا نُطعِمُ الكلابا

ثم أرادَتْ أن تَذوقَ قبلَه　　فاستَطْعَمَتْ بنْتُ الكِرام أكلَه

هُناكَ ألقَتْ بالصَّغيرِ للوَرا　　واندَفعتْ تَبكى بُكاءً مُفْتَرَى

تقول : بابا ، أنا (دَحَّا) وهْوَ (كُخّ)

معناه : بابا ، لىَ وخْذِى ما طُبِخ

فقلْ لمنْ يَجهَل خَطْبَ الآنِيَهْ　　قد فُطِرَ الطِّفلُ على الأَنانِيَه

لُعْبَة

« وقال فيما ينفع امينة من اللعب ، واشار الى راس السنة الميلادية الذى يكثر فيه بيعها »

صِغارٌ بحُلوانَ تَستَبْشِرُ ورُؤيَتُها الفرَحُ الأكبَرُ
تَهُزُّ اللواءَ بعيدِ المَسِيحِ وتُحيِيهِ من حيثُ لاتَشعُرُ
فهٰذا بِلُعْبَتِه يَزدَهِي وهذا بحُلَّتِه يَفخَرُ
وهذا كغُصْنِ الرُّبا يَنْثَنِى وهذا كريحِ الصَّبا يَخطِرُ
إذا اجتمَعَ الكلُّ فى بُقعة حَسِبتَهُموا باقَةً تُزهِرُ
أو افتَرقوا واحدًا واحدًا حَسِبتَهُمو لؤلؤًا يُنْثَرُ
ومِنْ عَجَبٍ مِنهُمو المسلِمونَ أو المسلمونَ هُمُ الأكثرُ
فلاسِفَةٌ كلُّهمْ فى اتِّفاقٍ كما اتَّفَقَ الآلُ والمعشَرُ
دسَمْبِرُ شعبانُ عند الجميعِ وشَعبانُ للكلِّ دِيسَمْبِرُ
ولا لُغةٌ غيرَ صَوْتٍ شجِيٍّ كرَوْضٍ بَلابلُه تَصْفِرُ
ولا يَزدَرِى بالفقيرِ الغنِيُّ ولا يُنكِرُ الأبيَضَ الأسمرُ
فياليتَ شِعرِى أصلُ الصِغارُ أم العقلُ ما عنهمو يُؤثَرُ؟
سؤالٌ أقدِّمُهُ للكبار لعلَّ الكبارَ به أخبَرُ

ولى طِفلةٌ جازَتِ السَّنَتَيْنِ كبعضِ الملائِكِ ، أَو أطهَرْ
بِعَيْنَيْنِ فى مثل لونِ السَّماء وسِنَّيْنِ ياحَبَّذَا الجَوْهَر !
أتتنِىَ تسأَلُنى لُعْبَةً لِتكسِرَها ضِمْنَ ما تكسِر
فقلتُ لها : أيُّهذا الملاكُ تحِبُّ السَّلامَ ، ولا أُنكِر
ولكنَّ قبلَكَ خابَ المسيحُ وباءَ بمنشورِهِ القَيْصَر
فلا تَرْجُ سلْمًا من العالمينَ فإنَّ السباعَ كما تُفطَر
ومَنْ يَعدَمِ الظُّفْرَ بينَ الذِّئابِ فإنّ الذِّئابَ به تَظْفَر !
فإنْ شِئتَ تحيا حياةَ الكِبار يُؤَمِّلُكَ الكلُّ ، أو يَحذر
فخذْ ، هاكَ (بُنْدُقَةً) نارُها سلامٌ عليكَ إذا تُسْعَر
لعلكَ تأْلَفُها فى الصِّبا وتخلفُها كلَّما تكبَر
ففيها الحياةُ لمن حازَها وفيها السعادةُ والمَفْخَر
وفيها السلامُ الوَطِيدُ البناء لمن آثرَ السِّلمَ أو يُؤْثِر
فلوبيلُ مُمسِكةٌ موْزَرًا ولوبيلُ تُمْسِكها مَوْزَر(١)

* * *

أجابَتْ وما النُّطْقُ فى وُسْعِها ولَكنَّها العَيْنُ قد تُخْبِرُ
تقول : عجيبٌ كلامُك لى أبالشَّرِّ يا والِدِى تأْمُرُ ؟
تَزين لبنتِكَ حبَّ الحروبِ وحُبُّ السلامِ بها أجدَر !
وأنتَ امرؤ لا تُحبُّ الاذى ولا تَبتغيه ، ولا تأْمُرُ !

(١) لوبيل : اسم تدلل به أمينة ، وموزر : نوع من البنادق سريع الطلقات كان له شهرة قبل الحرب الحاضرة .

فقلتُ : لأمرٍ ضَلَلتُ السبيلَ   ورُبَّ أخى ضَلَّةٍ يُعْذَرُ
فلو جىء بالرسْل فى واحدٍ   وبالكتْب فى صفحةٍ تُنْشَر
وبالأوَّلين ومـــا قدَّموا   وبالآخِرينَ وما أخَّروا
ليَنْهَضَ ما بينهُمْ خاطِبا   على العَرشِ نصَّ له مِنْبَر
يقولُ : «السلامُ» يُحِبُّ السلامَ   وبأُجُرُكم عنه ما يَأْجُر
لصُمَّ العبادُ فلم يسمعوا   وكُفَّ العِبادُ فلم يُبْصروا

زَيْنُ المُهُود (١)

« وقال وقد قبلها قبلة في الصباح »

يا شِبهَ سيِّدَةِ البَتُو   لِ ، وصورةَ المَلَكِ الطَّهورْ
تَنْسَى جمالُكِ في الإنا   ثِ جمالَ يوسُفَ في الذكور
زَيْنُ المُهودِ اليومَ أنـ   ـتِ ، وفي غدٍ زينُ الخُدور
إنَّ الأهِلَّةَ إن سَرَتْ   سارت على نَهجِ البُدور
بأبي جبينٌ كالصَّبا   حِ إذا هيِّئاً للسُّفور
بَقِيَتْ عليه من الدُّجى   تلك الخُيُوطُ من الشُّعور
وكرائمٌ من لؤلؤٍ   زَيَّنَّ مَرْجان النُّحور
سبحانَ مُؤتِيها يَتا   ئِمَ في المَراشف ، والثُّغور
تَسقي وتُسقَى من لُعا   بِ النَّحل ، أو طَلِّ الزهور
وكأنَّ نَفحَ الطِّيبِ حو   لَ نَضيدِها أنفاسُ حُور
وغريبةٌ فوقَ الخدو   دِ ، بديعةٌ من وَرْدِ جُور
صفراءُ عند رَواحِها   حمراءُ في وقتِ البُكور
قبَّلتُها وشَمَمْتُها   وسقيتُها دَمْعَ السرور

(١) زيدت في هذه الطبعة الثانية

أوَّلُ خَطْوَه

« وقال يذكر دخول ولده علي في السنة الثانية من عمره »

هذِهِ أوَّلُ خطوَهْ هٰذِهِ أوّلُ كبْوَهْ
فى طريقٍ لِعليٍّ عنهُ لو يَعقِلُ غُنْوَه(١)
يأخُذُ العيشَةَ فيه مُرَّةً آناً ، وحُلْوَه
يا عليِ إن أنتَ أوفيْـ ـتَ على سِنّ الفُتُوَّه
دافِع الناسَ ، وزاحِمْ وخُذِ العيْشَ بقُوَّه
لا تقلْ : كان أبي ! إيَّـــاكَ أن تَخْلُوَ خَلْوَه !
أنا لم أغنَمْ من النا سِ سوى فنجان قهوَه
أنا لم أجْزَ عن المَدْ ح من الأملاكِ فروَه !
أنا لم أجْزَ عن الكتْـــبِ من القرّاء حُظْوَه !
ضَيَّعَ الكلُّ حياتِي وعفافى ، والمُرُوَّه !

(١) الغنوة . الغنى ، يقول : هو فى غنى عن سلوك طريقى .

يَوْمُ فِرَاقِه

« وقال وقد بكى طفلاه وتشبثا به الا يخرج »

بكيا لأجلِ خُروجِهِ في زَوْرَةٍ
يا ليْتَ شِعْري . كيفَ يومُ فِراقِهِ ؟!
لو كان يَسمَعُ يومَذاك بُكاهُما
رُدَّتْ إليهِ الروحُ من إشفاقِه

مَظْلوم

• وكتب الى عزيزه وظهيره صاحب العطوفة المرحوم احمد مظلوم باشا من باريز . يهنئه بالنيشان المجيدى الاول .

أقسمْتُ لوْ أمَرَ الزمانُ سماءَه
فسعَتْ لِصَدْرِك شمسُها ونُجُومُها

لِيُنيلَ قدْرَك في المعالى حَقَّه
شكَت المعالى أنه مَظلومُها

سَرَّنَا أَنَّكَ ارْتَقَيْتَ

« وبعث من باريز بهذا التاريخ الى صاحب السعادة محمود شكرى باشا يهنئه برتبة المتمايز »

ياعزيزًا لنا عصر عَلِمنا ... أنّه بالرِّضا الخديوىِّ فائِز
سَرَّنا أنكَ ارتقيْتَ وترقَى ... فكأنَّا نحوزُ ما أنتَ حائز
رُتبةٌ أَلسُنُ العُلا أَرَّختْها ... أنت محمودٌ فى العُلا المُتَمايِز

١٩٠٣

بلّغتنى أملا

« وقال يشكر صاحب العطوفة المرحوم أحمد مظلوم باشا على معروف صنعه معه »

ذِى همةٌ دونها فى شأوها الهِممُ ... لم تتّخذْ «لا» ، ولم تكذِب لها «نعمُ»

بلّغتنى أمَلاً ما كنْتُ بالغَهُ ... لولا وفاؤُك – يامظلومُ – والكرَمُ

وِدَادُك العِزُّ والنُّعمى لخاطِبِه ... ووُدُّ غيرِكَ ضحكُ السِّنِّ ، والكَلِم

أكلَّما قعَدَتْ بى عنك معذرَةٌ ... مَشتْ إلىّ الأيادى منكَ والنِّعم ؟

نُجِلُّ فِي قلَم الأوطانِ حامِلَهُ ... فكيف يَصبرُ عن إجلالِك القلم ؟

أُصيبَ المَجْدُ يَوْمَ أُصبْت

وكتب الى صديقه المفضال سعادة المرحـــــوم اسماعيل باشا صبرى يهنئه بالسلامة ، على اثر حادثة فى القطار .

اتتنى الصُّحْفُ عنك مُخبِّراتٍ … بحادِثةٍ ولا كالحادِثاتِ

بخَطبِكَ فى القِطار أبا حُسَيْنٍ … وليس منَ الخُطوبِ الهيِّنات

أصيبَ المجدُ يومَ أصِبْتَ فيه … ولم تخلُ الفضيلةُ منْ شَكاة

وساء الناس أنْ كبَتِ المعالى … وأزعجَهُمْ عِثارُ المَكرُمات

ولستُ بناسٍ الآدابَ لمَّا … تَراءتْ ربُّها مُتلهِّفات

وكان الشِّعْرُ أجزَعَها فُؤادًا … وأحرَصَها لديْكَ على حياة

هَجَرْتَ القَوْلَ أياماً قِصارًا … فكانَتْ فَترةً للمُعْجِزات

وإن ليالياً أمسكْت فيها … لَسُودُ لليَراعِ وللدَّواة

فقلْلى عن رُضوضِك : كيف أمْستْ ؟ … فقَلبى فى رُضوضٍ مُؤْلِمات

وهَبْ لى مِنك خطًّا أو رسولاً … يُبَلِّغُ عَنكَ كلَّ الطّيِّبات

سألتُكَ بالوِدَادِ

« وكتب الى سعادته مهنئه بتعيينه وكيلا لنظارة الحقانية »

سألتُكَ بالوِدادِ أبا حُسيْنٍ   وبالذِّمَمِ السَّوالِفِ والعُهودِ
وحبٌّ كامِنٍ لكَ فى فؤادى   وآخَرَ فى فُؤادِكَ لى أكيد
أحَقٌّ أنَّ مَطْوِىٌّ الليالى   سَيُنشَرُ بين (أحمدَ) و(الوليدِ)؟(١)
وأنَّ مناهِلاً كنّا لدَيْها   ستدْنو للتَّأنُّسِ والوُرودِ ؟
قدومُكَ فى رُقِيِّكِ فى نَصيبى   سُعودٌ فى سُعودٍ فى سعود
وَقَدْتَ على رُبوعِكَ غِيبٌ تَنأى   وكنتَ البدْرَ مأمولَ الوُفود
لئِنْ رَفعوكَ مَنزلةً فأعلى   لقدْ خُلِقَ الأهِلَّةُ للصُّعود
وأقسِمُ ما لرفعَتِكَ انتِهاءٌ   ولا فيها احتمالٌ للمزيد

---

(١) احمد والوليد : المتنبى والبحترى .

اهْنَأْ أخِى

« وكتب الى صديقه الفاضل صاحب العزة حمزة بك فهمى يهنئه برتبة المتمايز الرفيعة : »

قالوا « تمايَزَ » حمزَةُ فلتُ : «التَّمَايُزُ» من قديمِ
لو لم يَميزوهُ بها لامْتازَ بالخُلُقِ العظيم
رُتَبٌ كرائِمُ فى العُلا وُجِّهْنَ منكَ إلى كريم
فاهنَأْ أخِى بِوُفودِها وتلقَّ تَهنِئةَ الحَميم
وارْقَ المنازلَ كلَّها حتى تُنِيفَ على النُّجوم

يا نصيب

« وقال يداعب صديقه الشاعر خليل بك مطران ، وقد جاءه أنه ربح ربحا »

لقد وافتنيَ البُشرى   وأُنبِئتُ بما سَرَّا
وقالوا عنكَ لي أمس   ربحتَ النمرةَ الكبرى
فيا مُطرانُ ، ما أَوْلى   ويا مُطرانُ : ما أَحْرى
لقد أقبلتِ الدنيا   فلا تجزَع على الأُخرى
أخذتَ الصِّفرَ باليُمنى   وكان الصِّفرُ باليُسرى
وكانت فِضَّةً بيضًا   فصارت ذَهبًا صُفرا
وقال البعضُ : ألفَيْنِ   وقالوا : فوْقَ ذا قَدْرَا

الْمُدَامَةُ

(وقال عن بعض شعراء الترك)

كنْ في التواضُعِ كالمُدا

مَةِ حين تُجْلى في الكُئوسْ

مَشَتِ اتّئادًا في الصُّدو

رِ فحكّموها في الرءُوسْ

تاريخ

وقال يؤرخ ديوانه الاول – الشوقيات –
وقد صدر في سنة ١٣١٧ هـ) :

وجنّاتٍ منَ الأشعار فيها
جَنًى لِلمجْتَنِي من كلِّ ذوْق

تأمَّلْ كمْ تمنَّوْها وأرِّخْ
لِشوقِيَّاتِ أحمدَ أيَّ شوْق

١٣١٧

أَلْيَقُ دِيوانٍ ظهَرَ

«قال يؤرخ الشوميات أيضا»

مجمُوعَةٌ لأَحمَدٍ مُعْجِزُه فِيها بَهَرْ
تُعَدُّ فى تاريخِها أَليَقَ ديوانٍ ظَهَرْ

١٣١٧

الحكايات

أنتَ وأنا

يحكونَ أنَّ رَجُلا كُرْدِيًّا ... كان عظيمَ الجسمِ هَمْشَرِيًّا
وكان يُلقِى الرُّعْبَ في القلوبِ ... بكَثْرةِ السِّلاحِ في الجُيوبِ
ويُفْزِعُ اليَهودَ ، والنَّصارَى ... ويُرْعِبُ الكِبارَ ، والصِّغارا
وكلما مَرَّ هُناك وهُنا ... يَصيحُ بالناسِ : أنا ؟ أنا ! أنا !
نَمَى حديثُه إلى صبِيٍّ ... صغيرِ جِسمٍ ، بطلٍ ، قوِيٍّ
لا يَعْرِفُ الناسُ له الفُتُوَّهْ ... وليس مِمَّنْ يَدَّعون القوّهْ
فقال للقوْمِ : سأُدْرِيكم به ... فتَعلمون صِدْقَه من كِذبه
وسارَ نحوَ الهَمْشَرِيِّ في عَجَلْ ... والناسُ مما سيكونُ في وَجَلْ
ومَدَّ نحوَه يَمينًا قاسِيَهْ ... بضربةٍ كادَتْ تكونُ القاضِيَهْ
فلم يُحَرِّكْ ساكِنًا ، ولا ارتبَكْ ... ولا انتَهى عن زَعمِه ، ولا تَرَكْ
بلْ قال للغالب قوْلاً لَيِّنا ... الآنَ صرْنا اثنيْن : أنتَ وأنا

نَديمُ الْبَاذِنْجَانِ

كان لسُلطانٍ نديمٌ وافِ   يُعيدُ ما قال بِلا اختلافِ

وقد يزيدُ فى الثَّنا عليهِ   إذا رأى شيئًا حَلا لديهِ

وكان مَولاهُ يَرى ، ويَعلمُ   ويسمعُ التَّمليقَ ، لكنْ يَكتُمُ

فجلسَا يوماً على الخِوانِ   وجِئَ فى الأَكل بِباذِنجانِ

فأَكل السلطانُ منه ما أَكلْ   وقال : هذا فى المذاق كالعسَلْ

قال النديمُ : صدقَ السلطانُ   لا يستوى شُهدٌ وباذِنجانُ

هذّا الذى غَنى به «الرئيسُ»(١)   وقال فيه الشِّعْرَ «جالينوسُ»

يُذهِبُ أَلفَ عِلَّةٍ وعِلَّهْ   ويُبردُ الصَّدْرَ ، ويَشْفِى الغُلَّهْ

قال : ولكنْ عنْده مراره   وما حَمدتُ مَرَّةً آثارَهْ

قال : نعم ، مُرٌّ ، وهٰذا عَيْبُه   مُذْ كنتُ يامولاى لا أُحِبُّه

هذا الذى مات به «بُقراطُ»   وسُمٌّ فى الكأْسِ به «سُقراطُ»

فالتفتَ السلطان فيمنْ حولَهُ   وقال : كيف تجدون قولَهْ ؟

قال النديمُ : يامَليكَ الناسِ   عُذرًا ؛ فما فى فعلتى من باسِ

جُعلْتُ كىْ أُنَادِمَ السلطانا   ولم أنادمْ قَطُّ باذِنجانا

---

(١) الرئيس : ابن سينا .

ضِيافَةُ قِطَّة(١)

لستُ بناسٍ ليلةً	من رَمَضانَ مَرَّتِ
تطاوَلتْ مثلَ ليا	لى القطْب ،واكفهرَّتِ
إذِ انفلَتُّ من سُحو	رى ، فدَخلتُ حُجرَتى
أنظرُ فى ديوان شِعـــــرٍ ، أو كتابِ سِيرةِ
فلم يَرُعْنى غير صوْ	تٍ كمُواءِ الهِرَّةْ
فقمْتُ ألقى السَّمْعَ فى	السُّتُورِ ، والأسِرَّةْ
حتى ظفِرْتُ بالتى	علىَّ قد تَجرَّت
فمُذ بدت لى ، والتقتْ	نَظرَتُها ونظرتى
عاد رَمادُ لَحْظِها	مثلَ بَصيصِ الجَمرَةْ
وردّدَتْ فحِيحَها	كحَنَشٍ بقَفْرَةْ
ولبِسَتْ لى من ورا	ء السترِ جِلدَ النمرةِ
كرَّتْ ، ولكن كالجَبا	نِ قاعدًا ، وفَرَّت
وانتفضتْ شوارِباً	عن مثلِ بيتِ الإبرة
ورفعت كفًّا ، وشا	لتْ ذنبًا كالمِذرة

(١) نشرت فى سنة ١٩٢٩ .

ثم ارتقت عن الهُوا ... ء ، فَعَوَتْ ، وهَرَّت
لم أجزِها بشِرَّةٍ ... عن غضبٍ وشِرَّة
ولا غَبيتُ ضَعفَها ... ولا نَسِيتُ قُدْرَتِى
ولا رأيتُ غيرَ أُمٍّ ... بالبنين بَرَّة
رأيتُ ما يَعطِفُ نَفْ ... سَ شاعرٍ من صورة
رأيتُ جِدَّ الأُمّها ... تِ فى بناء الاسْرَة
فلم أزَلْ حتى اطمَأَنّ ... جأْشُها ، وقَرَّت
أتيْتُها بشَربَةٍ ... وجئتُها بكِسْرَة
وصُنتُها من جانِبَىْ ... مَرْقَدِها بسُتْرَتى
وزِدْتُها الدِّفء ، فقرَّ ... بْتُ لها مِجْمَرَتى
ولو وجدت مِصْيَدًا ... لجئتُها بفأْرَة
فاضطجعَتْ تحت ظِلا ... لِ الأَمْنِ واسبَطرَّت
وقرأَتْ أورادَها ... وما دَرَتْ ما قَرَت
وسَرَحَ الصِّغارُ فى ... ثُدِيِّها ، فدَرَّت
غُرٌّ نجومٍ سُبَّحٌ ... فى جَنَبَاتِ السُّرة
اختلطوا ، وعَبَثوا ... كالعُمْى حَوْلَ سُفْرة

تَحسَبُهم ضَفادِعاً أَرسَلْتَها في جَرّةِ
وقلتُ : لا بأْسَ على طِفلِكِ يا جُوَيرَتي
تَمَخَّضي عن خمسةٍ إنْشِئتِ ، أوعن عَشْرَة
أنتِ وأولادُكِ حتّى يَكبروا في حُفْرَتي

الصَّيَّادُ وَالْعُصْفُورَة (١)

حكايةُ الصَّيَّادِ والعُصفوره　　صارتْ لبعضِ الزاهدين صوره
ما هَزَءُوا فيها بمستَحِقٍّ　　ولا أرادوا أولياءَ الحقِّ
ما كلُّ أهلِ الزهدِ أهلُ اللهِ　　كمْ لاعبٍ في الزاهدين لاه
جعلتُها شِعرًا لتَلْفِتَ الفِطَنْ　　والشِّعرُ للحكمةِ مُذْ كان وطَن
وخَيْرُ ما يُنْظَمُ للأديبِ　　ما نَطقَتْه ألسُنُ التَّجْرِيب

* * *

ألقَى غُلامٌ شَرَكا يَصطادُ　　وكلٌّ من فوق الثَّرى صَيَّادُ
فانحدرتْ عُصفورةٌ من الشَّجَرْ　　لم يَنْهَها النُّهى، ولاالحزمُ زَجَر
قالت: سَلامٌ أيُّها الغُلامْ　　قال: على العُصفورةِ السلامُ
قالت: صَبِيٌّ مُنْحَنِي القناةِ ؟!　　قال: حَنَتْها كثرةُ الصلاةِ
قالت: أراكَ بادِيَ العِظامِ!　　قال: بَرَتْها كثرةُ الصيام
قالت: فما يكونُ هذا الصوفُ؟　　قال: لباسُ الزاهدِ الموصوفُ
سَلِي إذا جَهِلْتِ عارفيهِ　　فابنُ عُبيدٍ والفُضَيْلُ فيه
قالت: فما هٰذِي العَصا الطويلهْ؟　　قال: لِهاتِيكِ العَصا سَليله
أهُشُّ في المَرْعَى بها، وأتَّكِي　　ولا أرُدُّ الناسَ عن تبرُّكِ

(١) زيدت في هذه الطبعة الثانية

قالت : أرى فوق التراب حَبَّا ... مما اشتهى الطيرُ ، وما أَحَبَّا
قال : تَشبَّهتُ بأهل الخيرِ ... وقلت أَقرِى بائسات الطَّيْرِ
فإنْ هَدَى اللهُ إليه جائعا ... لم يَكُ قربانى القليلُ ضائعا
قالت : فجُدْ لى يا أخا التَنسُّكِ ... قال : ٱلقُطِيه . بارَك اللهُ لكِ
فصَلِيَتْ فى الفخِّ نار القارِى ... ومَصْرَعُ العصفورِ فى المِنْقار
وهتَفَتْ تقول للأَغرارِ ... مقالةَ العارفِ بالأَسرار :
« إياكَ أن تَغتَرَّ بالزُّهَّادِ ... كم تحتَ ثوبِ الزُّهدِ من صَيادِ ! »

الْبَلَابِلُ الّتى ربَّاهَا الْبُوم

أُنْبِئْتُ أَنَّ سُليمانَ الزَّمانِ ومَنْ — أَصْبى الطُّيُورَ ، فناجَتْهُ ، وناجاها
أعطَى بَلابلَهُ يوماً – يُؤدِّبُها — لِحرمةٍ عندَه – لِلبُومِ يَرعاها
واشتَاقَ يوماً مِنَ الأَيامِ رُؤْيَتَها — فأَقبلَتْ وهْيَ أَعْصَى الطَّيْرِ أفواها
أصابَها العِيُّ ، حتى لا اقتِدَارَ لها — بأَنْ تَبُثَّ نبيَّ اللهِ شَكواها
فنالَ سيِّدَها من دائها غَضَبٌ — وودَّ لو أنه بالذَّبحِ داواها
فجاءه الهُدْهدُ المعهُودُ مُعْتَذِرًا — عنها ، يقولُ لِموْلاهُ ومولاها
بلابِلُ اللهِ لم تخرَسْ ، ولا وُلِدَتْ — خُرْساً ، ولكنَّ بُومَ الشؤمِ ربَّاها

الدِّيكُ الْهِنْدِيُّ وَالدَّجَاجُ الْبَلَدِى

بَيْنَا ضِعافٌ من دَجاجِ الرِّيفِ ... تَخطِرُ فى بيتٍ لها طريفِ
إذا جاءها هِنْدِى كبيرُ العُرْفِ ... فقام فى البابِ قيامَ الضَّيْف
يقولُ : حيَّا اللهُ ذى الوُجُوها ... ولا أراها أبدًا مكرُوها
أتيْتُكم أنشُرُ فيكم فضلى ... يوماً ، وأقضى بَينَكم بالعدْلِ
وكلُّ ما عِندَكُمُ حرامُ ... علىّ ؛ إلا الماءُ ، والمنامُ
فعاودَ الدَّجاجَ داءُ الطَّيْشِ ... وفتحت لِلعلجِ بابَ العُشِّ
فجالَ فيه جوْلةَ المَليكِ ... يدعو لِكلِّ فرْخةٍ وديكِ
وباتَ تِلكَ الليلةَ السَّعيدَهْ ... مُمتَّعاً بدارِهِ الجديدَهْ
وباتتِ الدَّجاجُ فى أمانِ ... تحلمُ بالذِّلةِ والهوانِ
حتى إذا تهلَّلَ الصباحُ ... واقتبَستْ من نورِهِ الأشباحُ
صاحَ بها صاحبُها الفصيح ... يقولُ : دامَ منزلى المَليحُ !
فانتَبهتْ من نَومِها المَشئومِ ... مذعورَةً من صيحةِ الغَشوم
تقولُ : ما تِلكَ الشروطَ بيننا ... غَدَرْتنا واللهِ غدرًا بيِّنًا !
فضَحِكَ الهِنْدِىُّ حتى استلقى ... وقَال: ما هٰذا العَمَى يا حَمْقَى ؟!
متى ملكتُمْ ألْسُنَ الأربابِ ؟ ... قد كان هذا قبلَ فتحِ البابِ !

الْعُصْفُورُ والْغَدِيرُ الْمَهْجُورُ

أَلَمَّ عُصفورٌ بمجرًى صافِ — قد غاب تحتَ الغابِ فى الأَلفاف
يَسقِى الثَّرَى من حيثُ لايدرِى الثرى — خشيَةَ أن يُسمَعَ عنه ، أو يُرَى
فاعتَرَفَ العصفورُ من إحسانِه — وحَرَّكَ الصَّنيعُ من لِسانِه
فقالَ : يا نورَ عُيونِ الأَرضِ — ومُخجِلَ الكوْثرِ يومَ العَرْضِ
هل لكَ فى أن أرْشِدَ الإنسانا — لِيَعْرِفَ المكانَ والإمكانا ؟
فينظُرَ الخيْرَ الذى نظرْتُ — ويشكرَ الفضلَ كما شكرْتُ ؟
لعلَّ أن تُشهَرَ بالجميل — وتُنسِىَ الناسَ حديثَ النِّيل ؟
فالتفَتَ الغديرُ لِلعُصفور — وقال يُهدِى مُهجَةَ المَغْرُور
يـاأيُّها الشاكِرُ دونَ العالَمِ — أَمَّنكَ اللهُ يدَ ابنِ آدمِ
النِّيلُ ـ فاسمعْ ، وافهَمِ الحديثا ـ — يُعطِى ، ولكنْ يأْخُذُ الخبيثا
من طُولِ ما أبصرَهُ الناسُ نُسِى — وصار كلُّ الذِّكرِ لِلمهندِس
وهٰكذا العَهدُ بِوُدِّ الناسى — وقيمةُ المحسِن عندَ الناس
وقد عَرفتَ حالَتِى ، وضِدَّها — فقلْ لِمَنْ يسأَلُ عنِّى بَعدَها
إنْ خفِىَ النافعُ فالنفعُ ظَهَرْ — ياسَعْدَمَنْصَافَى ،وصُوفِى ،واستتَر!

الأَفْعَى النِّيلِيَّةُ وَالْعَقْرَبَةُ الْهِنْدِيَّة

وهٰذِهِ واقعةٌ مُسْتغرَبَهْ في هَوَسِ الأَفعَى وخُبثِ العَقرَبَهْ
رأيتُ أفعَى من بناتِ النِّيلِ مُعجَبَةً بِقدِّها الجميلِ
تحتَقِرُ النصْحَ ،وتجفو النَّاصِحا وتَدَّعى العقلَ الكبيرَ الرَّاجِحا
عَنَتْ لها رَبيبَة السِّباخِ تحمِلُ وَزْنَيْها منَ الأَوساخ
فحسِبَتْها ــ والحِسابُ يُجدى ــ ساحِرَةً من ساحراتِ الهِندِ
فانخرَطَتْ مثلَ الحُسامِ الوالجِ واندفعت تِلكَ كَسَهْم زالج
حتى إذا ما أَبلَغَتْها جُحْرَها دارتَ عليه كالسِّوارِ دَوْرَها
تقولُ : يا أُمَّ العَمَى والطَّيْشِ أينَ الفِرَارُ يا عدُوَّ العَيْش ؟
إن تِلجى فالموتُ فى الولُوج أو تخرُجى فالهُلكُ فى الخروجِ
فسكنَتْ طريدَةُ البُيوتِ واغترَّتِ الأَفعَى بذا السكوت
وهجَعَتْ على الطريقِ هجْعهْ فخرجَتْ ضرتُها بسُرعَهْ
ونَهضتْ فى ذِرْوَةِ الدماغِ واستَرْسَلتْ فى مُؤلِمِ التَّلْداغِ
فانتبهَت كالحالِم المذعور تصيحُ بالويل ، وبالثُّبور
حتى وهَت من الفتاة القوهْ فنزلت عن رأسِها العدُوّهْ

تقول : صبرًا للبَلاء ، صبرا　　وإنْ وجَدْتِ قسْوَةً فعُذرا

فرأسُك الداءُ ، وذا الدواءُ　　وهكذا فلتُرْكبُهُ الأَعداءُ

منْ مَلَكَ الخَصْمَ ونامَ عنه　　يُصْبحُ يَلقَى ما لقيت منه

لولا الذى أبصرَ أَهلُ التَّجْرِبَهْ　　مِنّى لمَا سمُّوا الخبيثَ عقرَبَهْ

السَّلُوقِيُّ وَالْجَوَادُ

قال السَّلوقى مرَّةً للجَوادْ وهْوَ إلى الصَّيْدِ مَسُوقُ القِيادْ
باللهِ قلْ لِي يارفيقَ الهنا فأَنتَ تدْرى لى الوفا فى الودادِ
ألستَ أهلَ البيدِ ، أهلَ الفَلا أهلَ السُّرىوالسَّيرِ ،أهلَ الجِهاد؟
ألمْ تكنْ رَبَّ الصفاتِ التى هامَ بها الشاعِرُ فى كلِّ واد ؟
قال : بلى ، كل الذى قلتَه أنا به المشهورُ بين العباد
قال : فما بالُكَ ياصاحِبِى إذا دعا الصَّيدُ ، وجَدَّ الطِّرادِ
تشكو ، فتُشكيكَ عصا سيِّدى إنّ العصا ما خُلِقَتْ للجوَاد
وتَنثنى فى عَرَقٍ سائِلٍ مُنكَّسَ الرَّأْسِ ، ضئيلَ الفُؤاد
وذا السَّلوقى أَبدًا صابِرٌ ينقادُ للمالِكِ أىَّ انقِياد؟
فقال : مهلا يا كبيرَ النُّهى ما هكذا أنظارُ أهل الرَّشاد
السرُّ فى الطَّيْرِ وفى الوحشِ لا فى عَظْمِ سيقانِكَ ياذا السَّدادِ
ما الرِّجْلُ إلا حيثُ كان الهوى إنّ البُطُونَ قادراتٌ شِداد
أمَا ترى الطَّيْرَ على ضَعْفِها تَطوى إلى الحَبِّ مئات البلاد؟

فَأْرُ الْغَيْطِ وَفَأْرُ الْبَيْت .

يُقالُ : كانتْ فأرةُ الغيطانِ   تَتِيهُ بابنيْها على الفِيرانِ !
قد سَمَّتِ الأكبرَ نُورَ الغَيْطِ   وعَلَّمَتْه المشْىَ فوقَ الخيْطِ
فعَرَفَ الغِيَاضَ والمُرُوجا   وأتقَنَ الدُّخولَ والخُروجا
وصارَ فى الحِرْفةِ كالآباءِ   وعاش كالفلاحِ فى هناء
وأتعبَ الصَّغيرُ قلبَ الأمِّ   بالكِبْر ، فاحتارَتْ بما تُسَمِّى
فقال سمِّينى بنورِ القصْرِ   لأننى - يا أمُّ - فأرُ العصْرِ
إنى أرى ما لم يرَ الشَّقيقُ   فلِى طريقٌ ، وله طريق
لأدْخُلَنَّ الدارَ بعدَ الدارِ   وثْبًا منَ الرَّف إلى الكرار
لعلَّنى إن ثَبَتَتْ أقدامى   ونلتُ - يا كلَّ المنى - مَرامى
آتيكما بما أرى فى البيتِ   من عسلٍ، أو جُبْنَةٍ ، أو زيتِ
فعطَفَتْ على الصغيرِ أمُّهْ   وأقبلَتْ من وَجْدِها تضُمُّهْ
تقولُ : إنى - ياقتيل القوتِ -   أخشى عليكَ ظُلمةَ البُيوتِ
كان أبوكَ قد رأى الفلاحا   فى أن تكون مِثلَه فلَّاحا
فاعملْ بما أوصى تُرِحْ جَنانِى   أولا ، فسِرْ فى ذِمّةِ الرحمنِ
فاستضحَكَ الفأرُ ، وهزَّ الكتِفَا   وقال : من قال بذا قد خَرِفا
ثم مضى لِما عليه صَمَّما   وعاهدَ الأمَّ على أن تكتُما
فكان يأتى كل يومِ جُمْعَهْ   وجُبْنةٌ فى فمِه ، أو شمعَهْ

حتى مَضى الشهرُ ، وجاء الشهرُ وعُرِف اللّصُّ ، وشاعَ الأمر
فجاء يوماً أمُّه مُضْطَرِباً فسألته : أينَ خلَّى الذَّنَبا ؟
فقال : ليسَ بالفقيدِ من عَجبْ في الشهدِ قدغاصَ ، وفي الشهدِ ذَهَب
وجاءها ثانيةً في خَجَلِ منها يُدارى فقْد إحدى الأرجُل
فقال : رفٌّ لم أصِبْهُ عالى صيَّرَنى أعرج في المعالى
وكان في الثالثةِ ابنُ الفارَهْ قد أخلفَ العادةَ في الزيارهْ
فاشتغَلَ القلبُ عليه ، واشتعلْ وسارت الأُمُّ له على عَجَل
فصادَفْته في الطريقِ مُلْقَىٰ قد سُحِقَت منه العِظامُ سَحْقا
فناحتِ الأُم ، وصاحتْ : واهًا ! إن المعالى قَتلت فتاها !

مَلكُ الْغِرْبَانِ وَنُدُور الْخَادِم

كانَ لِلغربانِ فى العصرِ مَلِيكْ ... وله فى النخلةِ الكبرى أَرِيكْ
فيه كرسيٌّ ، وخِدْرٌ ، ومُهودْ ... لِصغارِ المُلك أَصحابِ العُهودِ
جاءهُ يوماً ندورُ الخادِمُ ... وهْوَ فى البابِ الأَمينُ الحازِمُ
قال : يا فرْعَ الملوكِ الصالِحينْ ... أنت مازِلْتَ تُحِبُّ الناصِحِينْ
سُوسةٌ كانت على القصرِ تدورْ ... جازتْ القصرَ ، ودبَّتْ فى الجُذور
فابعَث الغِربانَ فى إهلاكها ... قبلَ أن نَهلِكَ فى أَشْراكِها
ضَحكَ السُّلطانُ من هذا المَقال ... ثم أدنَى خادِمَ الخيرِ ، وقال :
أنا رَبُّ الشَّوْكَةِ الضافى الجَناح ... أنا ذو المنقارِ ، غَلّابُ الرياح
« أنا لا أَنظرُ فى هذِى الأُمور » ... أنا لا أبصر تحتى يانُدور !
ثم لمَّا كان عامٌ بعدَ عامْ ... قام بينَ الريحِ والنخلِ خِصامْ
وإذا النخلةُ أَقوى جِذعُها ... فبدا للرِّيحِ سهْلاً قلعُها
فَهوَتْ لِلأَرضِ كالتَّلِّ الكبير ... وَهَوَى الديوانُ ، وانقضَّ السَّرير
فدَهاالسُّلطانَذا الخَطْبُ المَهول ... ودعا خادمَهُ الغالى يقول :
يانُدورَ الخيرِ ، أَسعِفْ بالصياح ... ما تَرى ما فعلَتْ فينا الرياح ؟
قال : ياموْلاىَ ، لا تَسأَل نُدور ... « أنا لاأنظرُ فى هٰذِى الأُمور » !

الظَّبْىُ وَالْعِقْدُ وَالْخِنْزِير

ظَبْىٌ رأى صورتَهُ فى الماءِ فرفع الرأسَ إلى السماءِ
وقال ياخالِقَ هذا الجيدِ زِنْهُ بِعِقدِ اللؤلؤ النَّضِيدِ
فسمِعَ الماءَ يقولُ مُفصحًا طلبْتَ ياذا الظَّبْىُ مالن تُمنَحا
إنَّ الذى أعطاكَ هذا الجيدا لم يُبقِ فى الحسنِ له مَزيدا
لو أن حُسنَهُ على النُّحورِ لم يخرج الدُّر من البُحور
فافتتَن الظبىُ بِذِى المقالِ وزادهُ شوقاً إلى اللآلى
ولم يَنلهُ فمُهُ السقيمُ فعاش دهرًا فى الفَلا يَهيم
حتى تَقضَّى العمرُ فى الهُيامِ وهجْرِ طِيبِ النَّومِ والطعام
فسارَ نحوَ الماءِ ذاتَ مرَّهْ يَشكو إليه نفعَهُ وضرَّه
وبينما الجارانِ فى الكلام أقبلَ راعى الدَّيرِ فى الظلام
يتبَعُه حيثُ مشى خِنزيرُ فى جيدِهِ قِلادةٌ تُنير
فاندَفَع الظبْىُ لذاكَ يَبكي وقال من بعدِ انجلاءِ الشَّكِ
ماآفةُ السعيِ سوَى الضلالِ ما آفةُ العمرِ سوى الآمال
لولا قضاءُ المِلِكِ القديرِ لما سعى العِقدُ إلى الخِنزير
فالتفتَ الماءُ إلى الغزال وقال : حالُ الشيخِ شرُّ حال
لاعَجَبٌ ، إن السنينَ مُوقِظهْ حفِظْتَ عُمرًا لوحَفِظْتَ موْعِظَهْ

وَلِىُّ عَهْدِ الْأَسَدِ وَخُطْبَةُ الْحِمَار

لمَّا دَعَا داعِى أَبِى الأَشبالِ ... مُبشِّرًا بأَوّلِ الأَنجالِ
سعَتْ سباعُ الأَرضِ والسماء ... وانعقَد المجلسُ للهَناء
وصَدَرَ المرسومُ بالأَمانِ ... فى الأَرضِ للقاصى بها والدَّانى
فضاقَ بالذيُولِ صحنُ الدار ... من كلِّ ذى صُوفٍ وذى مِنقار
حتى إذا استكملَتِ الجمعيَّهْ ... نادى منادى اللَّيْث فى المَعيَّهْ
هل من خطيبٍ محسنٍ خبيرِ ... يدعو بطول العمر للأَمير ؟
فنَهضَ الفيلُ المشيرُ السامى ... وقال ما يليقُ بالمقام
ثم تلاه الثَّعْلَبُ السفيرُ ... يُنشدُ ، حتى قيلَ : ذا جرير
واندفعَ القردُ مديرُ الكاسِ ... فقيلَ : أَحسنتَ أَبا نُواسِ !
وأَوْمأَ الحِمارُ بالعقيرَه ... يريدُ أَن يُشرِّفَ العشيره
فقال : باسمِ خالِقِ الشعيرِ ... وباعِثِ العصا إِلى الحمير ! . .
فأَزعج الصَّوتُ وَلِىَّ العَهدِ ... فماتَ من رِعْدَتِه فى المَهدِ
فحمَلَ القومُ على الحِمارِ ... بجُملةِ الأَنيابِ والأَظفار
وانتُدبَ الثَّعلبُ لِلتأْبينِ ... فقال فى التعريضِ بالمسكينِ :
لا جعَلَ اللهُ له قرارًا ... عاشَ حِماراً ومضى حمارا !

الْأَسَدُ والثَّعْلَبُ والْعِجْل

نظرَ اللَّيْثُ إلى عجلٍ سمينْ   كان بالقربِ على غيْطٍ أمينْ
فاشتَهتْ من لحمه نفسُ الرئيس   وكذا الأنفسُ يُصْبيها النفيس
قال للثعلبِ : ياذا الاحتيال   رأسُكَ المحبوبُ . أوذاك الغزال !
فدعا بالسَّعدِ والعُمرِ الطويل   ومضى فى الحالِ للأَمْرِ الجليل
وأتى الغَيْطَ . وقد جَنَّ الظلام   فرأى العجلَ فأهداهُ السلام
قائلا : يَأَيُّها المولىٰ الوزيرْ   أنت أهلُ العفوِ والبِرِّ الغزير
حَملَ الذِّئبَ على قتلى الحَسَد   فوشَى بى عندَ مولانا الأسد
فترامَيْتُ على الجاهِ الرفيع   وهْوَ فينا لم يزَل نِعمَ الشَّفيع !
فبكى المغرورُ من حالِ الخبيث   ودنا يسألُ عن شرح الحديث
قال :هل تَجهلُ ياحُلْوَ الصِّفات   أنّ مولانا أبا الأفيالِ مات ؟
فرأى السُّلطانُ فى الرأس الكبير   موطنَ الحكمةِ والحِذقِ الكثير
ورآكم خيْرَ مَن يُستَوْزَرُ   ولأَمْرِ المُلكِ ركنًا يُذخر
ولقد عدُّوا لكم بين الجُدود   مثل آبِيسَ ومَعبودِ اليهود
فأقاموا لمعاليكم سرير   عن يمين الملكِ السامى الخطير
واستَعدَّ الصير والوحشُ لذاك   فى انتظار السَّيدِ العالى هناك
فإذا قمتمْ بأعباء الأُمورْ   وانتَهى الأُنسُ إليكم والسرورْ
برِّئونى عندَ سُلطانِ الزمان   واطلبوا لى العَفْوَ منه والأمان

وكفاكم أننى العبدُ المُطيع　　أخدُمُ المُنْعِمَ جهدَ المستطيع
فأَحَدَّ العِجلُ قرنيْهِ ، وقال :　　أنت مُنذُ اليوم جارى ، لاتُنال!
فامْضِ واكشِفْ لى إلى الليثِ الطريق
أنا لا يَشْقىٰ لدَيْهِ بى رَفيق
فمَضى الخِلّانِ تَوًّا للفَلاه　　ذا إلى الموتِ ، وهذا للحَياه
وهُناك ابتَلعَ الليثُ الوزير　　وحبَا الثعلبَ منه باليَسير
فانثنى يضحكُ من طيشِ العُجولْ　　وجَرى فى حَلْبَةِ الفَخْرِ يقولْ :
سلِمَ الثعلبُ بالرأسِ الصغير　　ففَداه كلُّ ذى رأسٍ كبير !

الْقِرْدُ وَالْفِيلُ

قِرد رأى الفيلَ على الطَّريقِ   مُهرولاً خوفا من التَّعويق
وكان ذاك القِردُ نصفَ أعمى   يُريد يُحْصِى كلَّ شىء عِلما
فقال : أهلا بأبى الأهوالِ   ومرحبا بِمُخْجِلِ الجبالِ
تَفدِى الرؤوسُ رأسَكَ العظِيما   فقِف أشاهدْ حُسْنَكَ الوَسيما
للهِ ما أظرفَ هذا القَدَّا   وألطَفَ العَظْمَ وأبهى الجلدا !
وأملَحَ الأذْنَ فى الاسترسالِ   كأنَّها دائرةُ الغِربالِ !
وأحسَنَ الخُرطومَ حين تاهَا   كأنَّه النخلةُ فى صِباها !
وظَهرُك العالى هو البِساطُ   للنفسِ فى رُكوبِه انبِساطُ
فعدَّها الفيلُ من السُّعودِ   وأمَرَ الشاعِرَ بالصُّعود
فجالَ فى الظَّهْر بلا تَوانِ   حتى إذا لم يَبقَ من مكان
أوفى على الشىء الذى لا يُذكرُ   وأدخَلَ الأصبُعَ فيه يَخبُرُ
فاتهَم الفيلُ البَعوضَ ، واضطَربْ   وضيَّقَ الثَّقْبَ ، وصالَ بالذَّنَبْ
فوقَعَ الضربُ على السليمه   فلحِقَتْ بأُختِها الكريمه
ونزل البصيرُ(١) ذا اكتِئابِ   يشكو إلى الفيلِ من المُصابِ
فقال : لا مُوجِب للندامه   الحمد لله على السلامه
من كان فى عينيْه هذا الداءْ   ففى العَمى لنفسِه وقاءْ

---

(١) البصير : الأعمى .

الشَّاةُ وَالْغُرَابُ

مَرَّ الغُرابُ بشاةٍ قد غابَ عنها الفطيمُ
تقولُ والدمعُ جارٍ والقلبُ منها كليم :
ياليْت شِعْرىَ يا ٱبني وواحِدِى ، هل تَدوم ؟
وهل تكونُ بجَنْبى غدًا على ما أَرُوم ؟
فقال : يا أمَّ سعدٍ هذا عذابٌ أليم
فكَّرتِ فى الغَدِ . والفِكــرُ مُقعِدٌ ومُقيم
لكلِّ يومٍ خُطُوبٌ تكفى ، وشُغلٌ عظيم
وبينما هُوَ يهذِى أتى النَّعِىُّ الذَّمِيم
يقول : خَلَّفْتُ سعْدًا والعَظمُ منه هَشيم
رأى منَ الذِّئْبِ ما قد رأى أبوه الكريم
فقال ذو البَيْنِ للأُم حين ولَّتْ تَهيم :
إن الحكيمَ نبيٌّ لسانُه معصوم
ألم أقلْ لكِ توا لكل يومٍ هُموم ؟
قالت : صدقتَ ، ولكِنْ هذا الكلامُ قديم
فإن قَوْمىَ قالوا : وجْهُ الغُراب مَشوم

أُمَّةُ الأرَانِب وَالْفِيلُ

يَحكون أن أُمَّةَ الأَرانِبِ ... قد أخذَت من الثرَى بِجانِبِ
وابتَهجَت بالوطنِ الكريمِ ... ومَوْئِلِ العِيالِ والحريمِ
فاختارَه الفيلُ له طريقَا ... مُمزِّقاً أصحابَنا تمزيقا
وكان فيهم أرنبٌ لبيبُ ... أذهَبَ جُلَّ صُوفِه التَّجريب
نادى بهم : يامَعشرَ الأَرانبِ ... من عالِمٍ ، وشاعرٍ ، وكاتب
اتَّحِدوا ضِدَّ العَدُوِّ الجافى ... فالاتحادُ قوّةُ الضِّعاف
فأَقبَلوا مُستَصْوِبين رايَهْ ... وعقدوا للاجتماعِ رايه
وانتخبوا من بينِهم ثلاثه ... لا هَرَماً راعَوْا ، ولا حَداثه
بل نظروا إلى كمالِ العقلِ ... واعتَبروا فى ذاك سِنَّ الفضل
فنهض الأوّلُ للخِطاب ... فقال : إنّ الرأىَ ذا الصواب
أن تُترَكَ الأَرضُ لذى الخُرطومِ ... كى نستريحَ من أذى الغَشومِ
فصاحَت الأَرانبُ الغَوالى : ... هذا أضَرُّ من أبى الأَهوال
ووثبَ الثانى فقال : إنى ... أعهَدُ فى الثعلبِ شيخَ الفنّ
فلندعُه يُمِدّنا بحِكمتِهْ ... ويأخذ اثنيْنِ جزاءَ خدمتِه
فقيل . لا ياصاحبَ السُّمُوِّ ... لا يُدفعُ العدوُّ بالعدوِّ
وانتَدَبَ الثالثُ للكلامِ ... فقال : يامعاشِرَ الأقوامِ
اجتمِعوا ؛ فالاجتِماع قوّهْ ... ثم احفِروا على الطريق هُوّه

يهوى إليها الفيلُ فى مرورِه فنستريحُ الدهرَ من شرورِه
ثم يقولُ الجيلُ بعدَ الجيلِ قد أكلَ الأرنبُ عقلَ الفيلِ
فاستَصْوَبوا مقالهُ ، واستَحْسَنوا وعملوا من فَوْرِهم ، فأحسَنوا
وهلكَ الفيلُ الرفيعُ الشَّانِ فأمستِ الأُمَّةُ فى أمانِ
وأقبلَتْ لِصاحِبِ التدبيرِ ساعيَةً بالتاجِ والسريرِ
فقال : مهلا يا بَنِى الأَوطانِ إنَّ محلِّى لَلمَحَلُّ الثانى
فصاحبُ الصَّوتِ القوىِّ الغالبِ مَنْ قد دعا : يا مَعشرَ الأرانبِ

حكايةُ الخُفَّاش ومَليكةُ الفَراش

مرّتْ على الخُفاشِ مليكةُ الفَراشِ
تطيرُ بالجموعِ سعيًا إلى الشموعِ
فعطَفتْ ومالت واستضحكَتْ فقالت :
أزرَيْتَ بالغرامِ يا عاشق الظلامِ
صِفْ لي الصديقَ الأسْودَا الخاملَ المُجَرَّدا (١)
قال : سألتِ فيه أصدَقَ واصِفيهِ
هو الصديقُ الوافي الكاملُ الأوصافِ
جِــوارُهُ أمانُ وسِــرُّه كِتمانُ
وطرفُه كليــلُ إذا هفا الخليلُ
يحنو على العشَّاق يَسمعُ لِلمشتاق
وجُمــلةُ المقــالِ هو الحبيبُ الغالي

* * *

فقالتِ الحمقـــاءُ وقولُها استِهــزاءُ

(١) تعني الليل : والخفاش لا يانس الا بالظلام .

أَينَ أَبو المِسْكِ الخَصِى ذو الثَّمَنِ المُسْتَرْخَصِ (١)
مِنْ صاحِبِى الأَميرِ الظاهِرِ المنيرِ ؟ (٢)
إن عُدَّ فيمن أَعرِفُ أَسمُو بِهِ وأَشرُفُ
وإن سُئِلتُ عنهُ وعن مكانى منهُ
أفاخِرُ الأَترابا وأَنثنى إعجابًا

* * *

فقال : يا مَليكهْ ورَبَّةَ الأَريكهْ
إنَّ منَ الغُرورِ ملامَةَ المغرورِ
فأَعطِنِى قفاك وامضِى إلى الهلاك

* * *

فترَكتْه ساخِرَهْ وذهَبتْ مُفاخِرهْ
وبعد ساعةٍ مضَتْ من الزمانِ فانقضَتْ
مَرَّتْ على الخُفَّاشِ مَليكةُ الفَراشِ
ناقصةَ الأَعضاءِ تشكو من الفَناءِ
فجاءَها مُنهَمِكا يُضحِكه منها البُكا
قال : أَلم أَقل لكِ هَلكْتِ أَو لم تَهلِكى
رُبَّ صديقٍ عبدِ أَبيَضَ وجهِ الوُدِّ

---

(١) أبو المسك الخصى : كافور الاخشيد وكان عبدا أسود .
(٢) تعنى الضوء .

يَفديك كالرَّئيسِ بالنَّفْسِ والنفيسِ
وصاحِبٍ كالنُّـورِ في الحُسْنِ والظهورِ
مُعْتَكِرِ الفـؤادِ مُضَيِّعِ الودادِ
حِبـالُه أشـراكْ وقُرْبُه هلاكْ ؟

الأَسَدُ وَوَزِيرُهُ الحِمَارُ

اللَّيثُ مَلْكُ القِفارِ   وما تَضمُّ الصَّحارى
سَعت إليه الرعايا   يوماً بكلِّ انكسار
قالت : تعيشُ وتبقَى   يا دامِىَ الأَظفار
ماتَ الوزيرُ فَمَنْ ذا   يَسوسُ أَمرَ الضَّوارى ؟
قال : الحمارُ وزيرى   قَضى بهذا اختِيارى
فاسْتَضْحَكت ، ثم قالت :   « ماذا رأى فى الحِمارِ ؟ »
وخلَّفتْهُ ، وطارت   بِمُضحِكِ الأَخبار
حتى إذا الشَّهْرُ ولَّى   كليْلةٍ أَو نَهار
لم يَشعُرِ اللَّيثُ إلا   ومُلكُهُ فى دَمار
القردُ عندَ اليمين   والكلبُ عند اليَسار
والقِطُّ بين يديه   يَلهو بِعظمَةِ فار !
فقالَ : مَن فى جُدودى   مثلى عديمُ الوقار ؟!
أَينَ اقتِدارى وبَطشى   وهَيْبتى واعتبارى ؟!
فجاءَهُ القردُ سرًّا   وقال بعدَ اعتذار :
يا عالىَ الجاه فينا   كن عالىَ الأَنظار
رأْىُ الرعِيَّةِ فيكم   من رأيكم فى الحمار !

النَّمْلةُ والمُقَطَّمُ

كانتِ النملةُ تمشى   مرةً تحتَ المُقطَّمْ
فارتخى مَفصِلُها من   هَيبةِ الطَّوْدِ المعظَّمْ
وانثنتْ تنظرُ حتى   أوجَدَ الخوْفُ وأعدَم
قالتِ : اليومَ هلاكى   حلَّ يومى وتحتَّم !
ليت شعرى : كيف أنجو   – إنْ هوى هذا – وأسلم ؟
فسعَتْ تجرى ، وعينا   ها ترى الطَّوْدَ فَتَنْدَم
سقطتْ فى شبرِ ماءٍ   هو عند النملِ كاليمّ
فبكت يأساً ، وصاحت   قبلَ جَرْيِ الماء فى الفمْ
ثمّ قالتْ وهْىَ أدرَى   بالذى قالت وأعلَم :
ليْتنى لم أتأخَّر   ليتنى لم أتقدَّم
ليتنى سَلَّمْتُ ، فالعا   قِلُ مَن خاف فسَلَّم !
صاح لا تخشَ عظيما   فالذى فى الغيْب أعظم

الغزالُ والكلبُ

كان فيما مَضى من الدهرِ بيتٌ من بيوتِ الكرامِ فيه غزالٌ
يَطعَم اللَّوْزَ والفطيرَ ويُسقى عسلا لم يَشُبْه إلا الزُّلال
فأتى الكلبَ ذاتَ يومٍ يُناجيـــــهِ وفى النفسِ تَرحَةٌ وملال
قال : ياصاحِبَ الأمانةِ ، قل لى كيف حالُ الوَرَى؟ وكيف الرجال؟
فأجابَ الأمينُ وهو القئولُ الصَّــــادِقُ الكامل النُّهَى المِفضال
سائلى عن حقيقةِ الناسِ ، عذرًا ليس فيهم حقيقةٌ فتقال
إنما هُم حِقدٌ ، وغشٌ ، وبُغضٌ وأذاةٌ ، وغيبةٌ ، وانتحال
ليت شعرى هل يستريحُ فؤادى ؟ كم أداريهم ! وكم أحتال !
فرضا البعض فيه للبعضِ سُخْطٌ ورضا الكلِّ مطلبٌ لا يُنال
ورضا اللهِ نَرتجيهِ ، ولكن لا يُؤدِّى إليه إلا الكمال
لا يغُرَّنْكَ يا أخا البيدِ من مَوْ لاك ذاك القَبولُ والإقبال
أنتَ فى الأَسْرِ ماسلِمتَ ، فإن تمـــــرض تقطَّعْ من جسمِك الأوصال
فاطلبِ البِيدَ ، وارض بالعُشبِ قوتاً فهناك العيشُ الهنِئُ الحلال
أنا لولا العظامُ وهْىَ حياتى لم تَطلب لى مع ابنِ آدمَ حال

الثَّعْلَبُ وَالدِّيك

برز الثعلبُ يوماً في شعار الواعِظينا
فمشى في الأَرضِ يَهذى ويَسُبُّ الماكرينا
ويقولُ : الحمدُ للــــهِ إلٰهِ العالمينا
ياعِباد الله : تُوبُوا فهْوَ كهفُ التائبينا
وازهَدُوا في الطَّير ؛ إنّ الــــعيْشَ عيشُ الزاهِدينا
واطلبوا الدِّيك يؤذنْ لصلاةِ الصُّبحِ فينا
فأَتى الديكَ رسولٌ من إمام الناسِكينا
عَرَضَ الأَمْرَ عليه وهْوَ يرجو أن يَلينا
فأَجاب الديكُ : عُذرًا يا أَضلَّ المُهتدينا !
بلِّغِ الثعلبَ عنى عن جدودى الصالحينا
عن ذوى التِّيجانِ ممن دَخل البَطْنَ اللعينا
أَنهم قالوا وخيرُ الــــقولِ قولُ العارفينا :
«مُخطئٌ مَن ظنّ يوماً أَنّ للثعلبِ دِينا»

النَّعْجَةُ وَأَوْلَادُهَا

اسمَعْ نفائس ما يأْتيكَ مِنْ حِكَمى   وافهمْهُ فَهمَ لبيبٍ ناقِدٍ واعِى
كانت على زَعمهِمْ فيما مَضى غَنَمٌ   بأَرضٍ بغدادَ يَرعَى جَمْعَها راعى
قد انام عنها ، فنامَتْ غيْرَ واحدةٍ   لم يدْعُها فى الدَّياجى للكَرَى داعى
أُمُّ الفَطيمِ ، وسعْدٍ ، والفتَى عَلفٍ   وابنِ آمِّهِ ، وأَخيه مُنْيَةِ الرَّاعى
فبينَما هى تحتَ الليْلِ ساهرةٌ   تُحْييهِ ما بين أَوجالٍ وأَوجاعِ
بَدَا لها الذِّئْبُ يَسعَى فى الظلامِ على   بُعْدٍ ، فصاحت : أَلاقوموا إلى الساعى!
فقامَ راعى الحِمى المرعِىُّ مُنْذَعِرًا   يقولُ : أَين كِلابى أَين مِقلاعى ؟
وضاقَ بالذِّئْبِ وجهُ الأَرضِ من فرَقٍ   فانسابَ فيه انسِيابَ الظَّبْى فى القاع
فقالتِ الأُمُّ : يا لَلفخرِ ! كان أَبى   حُرًّا ، وكان وفيًّا طائلَ الباعِ
إذا الرُّعاة على أَغنامها سَهِرَتْ   سَهرْتُ من حُبِّ أَطفالى على الرّاعى!

الْكَلْبُ والقطُّ وَالْفَأْر

فَأْرٌ رأى القِطَّ على الجِدارِ مُعَذَّباً فى أَضيَقِ الحِصار
والكلبُ فى حالتِه المعهوده مُسْتَجْمِعًا للوثبةِ الموعوده
فحاولَ الفأرُ اغتنامَ الفُرصه وقال أكفِى القِطَّ هٰذِى الغُصَّهْ
لعله يَكْتُبُ بالأَمانِ لِى ولأَصحابى من الجيران
فسارَ للكلبِ على يَدَيْهِ ومَكَّنَ الترابَ من عينَيه
فاشتغل الرّاعى عن الجِدار ونَزلَ القِطُّ على بِدار
مُبْتَهِجًا يفكر فى وليمَه وفى فريسةٍ لها كريمه
يجعلها لِخَطْبِه علامه يذكرُها فيذكرُ السَّلامة
فجاء ذاكَ الفأرُ فى الأَثناء وقال : عاشَ القِطُّ فى هَناء
رأيتَ فى الشِّدّةِ من إخلاصِى ما كان منها سبَبَ الخَلاص
وقد أتيْتُ أطلبُ الأمانا فامنُنْ به لِمعشَرى إحسانا
فقال : حقًّا هذه كرامَه غنيمةٌ وقبلَها سَلامَه
يَكفيكَ فخرًا يا كريمَ الشِّيمَه أنكَ فأرُ الخطْبِ والوليمه
وانقَضَّ فى الحالِ على الضَّعيفِ بأكلُه بالمِلحِ والرغيف
فقلت فى المقام قوْلا شاعا «مَنْ حفِظَ الأعداءَ يوماً ضاعا»

سُلَيْمَانُ وَالْهُدْهُدْ

وقفَ الهُدْهُدُ فى با ... بِ سُليمانَ بِذِلَّهْ
قال: ياموْلايَ، كن لى ... عِيشَتى صارت مُمِلَّه
متُّ من حَبَّةِ بُرٍّ ... أحدَثتْ فى الصدر غُلَّه
لا مِياهُ النِّيلِ تُرْوِيـــــها، ولا أمواهُ دِجْله
وإذا دامَت قليلا ... قتلتْنِى شرَّ قِتْلَه

* * *

فأشار السيِّدُ العا ... لى إلى مَن كان حوْلَه:
قد جَنَى الهدهُدُ ذنْبًا ... وأتى فى اللوْم فَعْلَه
تِلك نارُ الإثمِ فى الصَّدْ ... رِ، وذى الشكوَى تَعِلَّه
ما أرَى الحَبَّةَ إلا ... سُرِقت من بيتِ نمله
إن للظالم صَدْرًا ... يَشتكى من غير عِله!

سُلَيْمَانُ وَالطَّاوُوس

سمعتُ بأَنَّ طاوُوساً أتى يوماً سليمانا
يُجَرِّرُ دون وفدِ الطَّيْـــرِ أذيالا وأردانا
ويُظْهِرُ ريشَهُ طوْرًا ويُخفى الرِّيشَ أحيانا
فقال : لدَىَّ مسألةٌ أظنُّ أوانَها آنا
وها قد جئتُ أعرضُها على أعتابِ مولانا :
ألستُ الرَّوْضَ بالأزهارِ والأنوارِ مُزْدانا ؟
ألم أستوفِ آىَ الظَّرْفِ أشكالا وألوانا ؟
ألم أصبحِ ببابِكمُ لِجَمْعِ الطَّيرِ سُلطانا ؟
فكيف يَليقُ أن أَبقَى وقوْمِى الغُرُّ أوثانا ؟ !
فحُسنُ الصوتِ قد أمسَى نصيبِى منه حِرمانا
فما تَيَّمْتُ أفئِدَةً ولا أسكَرْتُ آذانا
وهذِى الطَّيْرُ أحقَرُها يزيدُ الصَّبَّ أشجانا
وتَهتزُّ الملوكُ له إذا ما هَزَّ عيدانا ؟

* * *

فقال له سُليمانٌ لقد كان الذى كانا

تعالت حِكمةُ البارى وجلَّ صنيعُهُ شانا
لقد صَغَّرتَ يا مغرو رُ نُعمَى الله كُفرانا
ومُلك الطيْر لم تحفِل به ، كِبرا وطغيانا
فلو أَصبَحتَ ذا صوْت لمَا كلَّمْتَ إنسانا !

الْغُصْنُ وَالْخُنْفُسَاء

كان برَوْضٍ غُصُنٌ ناعمٌ يقولُ : جلَّ الواحدُ المنفردْ
فقامتى فى ظَرفِها قامتى ومثلُ حُسنى فى الورى ماعُهِدْ
فأقبلت «خُنفُسَةٌ» تنثَنى ونجلُها يمشى بِجنبِ الكبِدْ
تقول : يا زَيْنَ رياضِ البَها إنّ الذى تطلُبُهُ قد وُجِد
فانظر لِقَدِّ ابنى ، ولا تفتَخر مادام فى العالم أُمٌّ تَلد !

الْقُبَّرَةُ وَابْنُهَا

رأيتُ فى بعضِ الرياضِ قُبَّرَهْ　　تُطَيِّرُ ابنَها بأعلى الشَّجَره
وهْىَ تقولُ : يا جمالَ العُشِّ　　لا تعتَمِدْ على الجَناحِ الهَشِّ
وقِفْ على عودٍ بجنبِ عودِ　　وافعل كما أفعلُ فى الصُّعودِ
فانتقلَت من فَنَنٍ إلى فَنَنْ　　وجَعَلَتْ لِكلِّ نقلةٍ زَمن
كىْ يَسْتريحَ الفرْخُ فى الأَثناء　　فلا يَمَلُّ ثِقَلَ الهواء
لكنَّهُ قد خالف الإشارهْ　　لمَّا أراد يُظهِرُ الشَّطارهْ
وطار فى الفضاء حتى ارتفعا　　فخانه جَناحُه فوقعا
فانكَسَرَتْ فى الحالِ رُكبتاهُ　　ولم يَنَلْ منَ العُلا مُناهُ
ولو تأَنَّى نالَ ما تَمنَّى　　وعاشَ طولَ عُمرِهِ مُهَنَّا
لكلِّ شىءٍ فى الحياة وقتُهُ　　وغايةُ المُسْتَعْجِلين فوْتُه !

النَّعْجَتَان :

كان لِبعضِ الناسِ نعجتان وكانتا في الغَيْطِ ترعيانِ
إحداهما سمينةٌ ، والثانيهْ عِظامها منَ الهُزالِ باديَه
فكانتِ الأُولى تُباهِي بالسِّمَنْ وقولِهم بأنَّها ذاتُ الثَّمَنْ
وتَدَّعى أن لها مقدارا وأنها تستَوْقفُ الأَبصارا
فتصبِرُ الأُختُ على الإِذلالِ حاملةً مَرارةَ الإِدلال
حتى أتى الجزّارُ ذاتَ يومِ وقلبَ النعجةَ دون القوْمِ
فقال لِلمالِكِ : أشْترِيها ونقدَ الكيسَ النفيسَ فيها
فانطلقتْ من فورِها لأُختِها وهْيَ تَشكُّ في صلاحِ بخْتِها
تقولُ : يا أُختاهُ خبِّريني هل تعرِفينَ حامِلَ السِّكين ؟
قالت : دَعِيني وهُزالى والزَّمَن وكلِّمِي الجزّارَ ياذاتَ الثَّمَنْ !
لكلِّ حالٍ حُلوُها ومُرُّها ما أدَبُ النعجةِ إلا صبرُها

السَّفِينَةُ وَالْحَيَوَانَات

لمَّا أَتمَّ نوحٌ السَّفينهْ   وحَرَّكتْها القُدْرَة المُعِينهْ
جَرى بِها ما لا جَرَى ببالِ   فما تعالى المَوْجُ كالجبالِ ...
... حتى مَشَى اللَّيْثُ مع الحِمار   وأخَذ القِطُّ بأَيدِى الفار
واستَمَعَ الفيلُ إلى الخِنزيرِ   مُوتَنِسًا بصوتِه النَّكِيرِ
وأنس الهِرُّ بجنب الكلبِ   وقبَّل الخروفُ نابَ الذِّئبِ
وعَطفَ البازُ على الغزالِ   واجتمع النملُ على الأَكَّال
وقَلَت الفرْخةُ صُوفَ الثعلبِ   وتيَّمَ ابنَ عِرْسَ حُبُّ الأَرنبِ
فذهبَتْ سوابِقُ الأَحقادِ   وظَهر الأَحبابُ فى الأعادى
حتى إذا حَطُّوا بسَفْحِ الجُودِى   وأيقنوا بعَوْدةِ **الوجودِ**
عادوا إلى ما تَقتَضِيهِ الشِّيمهْ   **ورَجَعوا** للحالة **القديمهْ**
نقِسْ على ذلك أَحوالَ البشَرْ   إن شمِلَ المحذورُ ، أَو عَمَّ الخَطَر
بيْنا ترَى العالَمَ فى جِهادِ   إذْ كلهم على الزمان العادى

الْقِرْدُ فى السَّفِينَة

لم يَتَّفِقْ مما جرَى فى المركبِ ككذِبِ القردِ على نوحِ النبى
فإنه كان بأقصى السَّطحِ فاشتاقَ من خِفتِهِ للمَزْحِ
وصاحَ : يا لَلطَّيْرِ والأَسماكِ لِموْجَةٍ تجِدُّ فى هَلاكى !
فبَعثَ النبى له النسورا فوجَدَتْه لاهيًا مسرورا
ثم أتى ثانيةً يصيحُ قد ثُقِبَتْ مَرْكبُنا يانوحُ !
فأَرسَل النبىُّ كلَّ مَن حَضرْ فلم يرَوْا كما رأَى القِرْدُ خَطَر
وبينما السَّفينُ يوماً يَلعبُ جادَتْ به على المِياهِ المركبُ
فسمِعوه فى الدُّجَى يَنوحُ يقولُ : إنى هالِكٌ يانوحُ
سَقطْتُ من حماقتى فى الماءِ وصِرْتُ بين الأَرضِ والسماءِ
فلم يصَدِّقْ أحدٌ صِياحَهْ وقيلَ حقًّا هذه وقاحَهْ
قد قال فى هذا المقامِ مَن سَبَقْ أَكذبُ مايُلفى الكذوبُ إن صَدق
مَن كان مَمنُوًّا بِداءِ الكذِبِ لا يَترُكُ اللهَ ، ولا يُعفِى نبى !

نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالنَّمْلَةُ فى السَّفِينَةِ

قد وَدّ نوحٌ أن يُباسِطَ قوْمَهُ   فدعا إليهِ معاشِرَ الحيوانِ
وأشار أنْ يَلِيَ السفينةَ قائدٌ   منهم يكونُ من النُّهىٰ بمكان
فتقدّمَ اللَّيثُ الرفيع جلالُه   وتعرّضَ الفيلُ الفخيمُ الشان
وتلاهُما باقى السِّباعِ ، وكلهُمْ   خَرُّوا لهيبتِهِ إلى الأذقان
حتى إذا حيُّوا المؤيَّدَ بالهدى   ودَعَوْا بطولِ العزِّ والإمكان
سَبَقَتْهمُ لخطابِ نوحٍ نملةٌ   كانت هناكَ بجانِبِ الأرْدان
قالت : نبيَّ اللهِ ، أرضى فارسٌ   وأنا يَقينًا فارسُ الميْدانِ
سأديرُ دِفّتَهَا ، وأحْمِى أهلَها   وأقودُها فى عصمةٍ وأمان
ضحِكَ النبيُّ وقال : إنّ سَفينتىَ   لهِىَ الحياة ، وأنتِ كالإنسان
كل الفضائِل والعظائمِ عنده   هو أوّلٌ ، والغيْرُ فيها الثانى
ويودُّ لو ساسَ الزّمانَ ، ومالَهُ   بـأقلِّ أشغالِ الزمان يَدان

الدُّبُّ فى السَّفِينَة

الدُّبُّ معروفٌ بسوء الظنِّ — فاسمعْ حديثَهُ العجيبَ عنِّى
لمَّا استطال المُكْثَ فى السَّفينهْ — ملَّ دوامَ العيشةِ الظنينه
وقال : إن الموْتَ فى انتظارى — والماءُ لا شكَّ بِه قرارى
ثم رأى مَوْجاً على بُعدٍ عَلا — فظنَّ أن فى الفضاء جبلا
فقال : لا بُدَّ من النزولِ — وصَلْتُ ، أو لم أحْظَ بالوُصولِ
قد قال مَن أدَّبَهُ اختبارُهْ : — السعىُ للموتِ ولا انتِظارُه !
فأسلمَ النفسَ إلى الأمواجِ — وهْىَ مع الرياحِ فى هياجِ
فشرِبَ التعيسُ منها ، فانتفَخْ — ثم رَسا على القرارِ ، ورسَخ
وبعدَ ساعتَينِ غِيضَ الماءُ — وأقلَعَتْ بأمْرِهِ السماءُ
وكان فى صاحِبنا بعضُ الرَّمَقْ — إذ جاءهُ الموتُ بطيئًا فى الغرَقْ
فلمحَ المركبَ فوْقَ الجُودِى — والرَّكبُ فى خيْرٍ وفى سُعودِ
فقال : يالَجَدِّىَ التعيسِ — أسأْت ظنى بالنبى الرئيسِ!
ما كان ضَرَّنى لو امتثَلتُ — ومِثلَما قد فعلوا فعلتُ؟!

الثَّعْلَبُ فِى السَّفِينَةِ

أبو الحُصَيْنِ جالَ فى السَّفِينَهْ فَعَرَفَ السَّمينَ والسَّمينه
يقولُ : إنّ حالَه ٱستَحالا وإنّ ما كان قديماً زالا
لِكوْنِ ما حَلَّ من المصائبِ من غَضَبِ اللهِ على الثعالِبِ
ويُغْلِظُ الأَيْمَانَ للديوكِ لِما عَسَى يَبقى من الشكوك
بأنهمْ إن نَزَلوا فى الأَرضِ يَرَوْنَ منه كلَّ شىء يُرْضِى
قيل : فلما تَركوا السفينه مَشى مع السَّمينِ والسمينه
حتى إذا ما نَصَفوا الطَّرِيقا لم يُبقِ منهمْ حَوْلَهُ رَفيقَا
وقال : إذْ قالوا عَديمُ الدِّينِ لا عَجَبٌ إن حَنَثَتْ يَميِنى
فإنما نحن بَنِى الدَّهاء نَعْمَلُ فى الشِّدّةِ للرَّخاء
ومَنْ تخاف أن يَبيعَ دينَهْ تَكفيكَ منه صُحْبَةُ السفينه !

اللَّيْثُ وَالذِّئْبُ فى السَّفينَة

يقال إنَّ الليْثَ فى ذى الشِّدَّهْ   رأى من الذِّئبِ صَفا المَوَدَّه
فقال : يا مَنْ صانَ لى مَحلِّى   فى حالتَىْ ولايتى وعَزْلى
إنْ عُدْتُ للأرض بإذنِ اللهِ   وعاد لى فيها قديمُ الجاهِ
أعطيكَ عِجْلَيْنِ وألفَ شاة   ثم تكونُ والِىَ الوُلاةِ
وصاحِبَ اللِّواءِ فى الذِّئابِ   وقاهِرَ الرعاةِ والكلابِ
حتى إذا ما تَمَّتِ الكرامَهْ   ووَطِئَ الأرضَ على السلامَه
سَعَى إليه الذِّئبُ بعدَ شهرِ   وهْوَ مُطاعُ النَّهىِ ماضِى الأمْرِ
فقال : يامَنْ لاتُداسُ أرضُه   ومَنْ له طُولُ الفَلا وعَرْضُه
قد نِلتَ ما نِلتَ منَ التكريمِ   وذا أوان المَوْعِدِ الكريمِ
قال : تجرَّأْتَ وساءَ زعمُكا   فمَن تكونُ يافتَى ؟ وما اسمُكا ؟
أجابَه : إن كان ظنِّى صادِقا   فإنَّنى والِى الوُلاةِ سابِقًا !

الثَّعْلَبُ وَالأَرْنَبُ فى السَّفِينَةِ

أتى نبيَّ اللهِ يوما ثعلبُ — فقال : يامولاىَ ، إنى مُذْنِبُ
قد سوَّدَتْ صحيفتي الذُّنوبُ — وإن وجدْتُ شافعا أتوب
فاسأَلْ إلٰهى عَفوَهُ الجليلا — لِتائِبٍ قد جاءَهُ ذليلا
وإنني، وإن أسأتُ السَّيْرا — عَمِلتُ شرًّا ، وعملتُ خيرا
فقد أتانى ذاتَ يومٍ أرنبُ — يرتَعُ تحتَ منزلى ويَلعَبُ
ولم يَكن مراقِبٌ هُنالكا — لكنَّنى تَركتُهُ معْ ذٰلكا
إذ عِفتُ فى افتراسِهِ الدَّناءَهْ — فلم يَصِلهُ من يدى مَسَاءَهْ
وكان فى المجلسِ ذاكَ الأَرنَبُ — يَسمعُ ما يُبدِى هُناكَ الثعلَبُ
فقال لمَّا انقطعَ الحديثُ : — قد كان ذاكَ الزُّهدُ ياخبيث
وأنت بينَ الموتِ والحياةِ — من تُخمةٍ ألقتْك فى الفلاةِ !

الأَرْنَبُ وَبِنْتُ عِرْسٍ فى السَّفِينَة

قد حَمَلَتْ إحدٰى نِسا الأرانِبِ وحلَّ يومُ وضعِها فى المركَبِ
فقلقَ الرُّكابُ من بكائها وبينما الفتاةُ فى عَنائها ...
... جاءت عجوزٌ من بَناتِ عِرسِ تقولُ : أفدِى جارَتى بنفسى
أنا التى أُرْجَى لِهٰذِى الغايهْ لأننى كنتُ قديماً «دَأيَهْ»
فقالتِ الأرنبُ : لا يا جارَه فإن بعدَ الألفةِ الزِّياره
مالى وُثوقٌ ببناتِ عِرْسِ إنى أُريدُ دايةً من جنسى !

الْحمَارُ فى السَّفينَة

سَقط الحِمارُ منَ السَّفينةِ فى الدُّجَى فبكى الرُّفاقُ لِفَقدِهِ ، وتَرَحَّمُوا
حتّى إذا طلعَ النَّهارُ أتت بِهِ نحوَ السفينةِ مَوْجَةٌ تَتقدَّمُ
قالتْ : خُذُوهُ كما أتانِى سالماً لم أَبْتَلِعْهُ ؛ لأَنه لايُهضَمُ !

سُلَيْمَانُ عليه السَّلام وَالحَمَامَة

كان ابنُ داوُدٍ يُقَــــرِّبُ فى مجالسهِ حمامَهْ
خدَمَتْه عُمْرًا مِثلَما قد شاء صدْقاً واستِقامه
فمضَتْ إلى عُمَّالِه يوماً تُبَلِّغُهمْ سَلامَه
والكتْبُ تحتَ جَناحِها كُتِبَتْ لها فيها الكرامه
فأَرادتِ الحمقاءُ تَعـــرِفُ من راساتِلِه مَرامَه
عَمدَتْ لأَوَّلِها ، وكا ن إلى خليفتِهِ برامه (١)
فرأَتْهُ يأْمُرُ فيه عا ملَه بتاجٍ للحمامه
ويقولُ : وَفُّوها الرِّعا يةَ فى الرَّحيلِ ، وفى الإقامه
ويُشيرُ فى الثانِى بأَن تُعطَى رِياضاً فى تِهامه (١)
وأَتتْ لِثالثِها ، ولم تَستَحْيِ أن فضَّتْ خِتامه
فرأَتْه يأْمُرُ أن تكو نَ لها على الطَّيْرِ الزعامه
فبكت لذاك تندُّماً هَيهاتَ لا تُجدِى النَّدامه!
وأَتت نَبِيَّ اللهِ وهْـــىَ تقولُ : يارَبِّ السَّلامه!
قالت : فَقَدْتُ الكتْبَ – يا مولاىَ – فى أرضِ اليَمامه (١)

---

(١) رامة ، وتهامة ، واليمامة : امكنة .

... لِتَسَرُّعِى لمَّا أتا   نى الباز يدفعُنى أمامه !
فأجابَ : بَل جِئتِ الذى   كادت تقومُ لهُ القيامَه
لكنْ كفاكِ عقوبةً   مَن خانَ خانتهُ الكرامَه !

الأَسَدُ وَالضِّفْدَع

إنفعْ بِما أعطيتَ من قدرَةٍ — واشفع لذى الذنبِ لَدَى المجمعِ
إذ كيفَ تسمو لِلعُلا يافتَى — إن أنتَ لم تنفع ولم تَشفعِ ؟
عندى لهذا نبأٌ صادقٌ — يُعجِبُ أهلَ الفضل فاسمع وعِ
قالوا : استَوى الليثُ على عرشهِ — فجيء فى المجلِسِ بالضِّفدَعِ
وقيل للسُّلطانِ : هذِى التى — بالأمسِ آذتْ عالىَ المِسمَعِ
تُنقنِقُ الدَّهرَ بلا عِلَّةٍ — وتَدّعى فى الماء ما تَدّعِى
فانظر — إليك الأمرُ — فى ذنبِها — ومُرْ نُعلِّقْها من الأربَعِ
فنهضَ الفِيلُ وزيرُ العُلا — وقال : ياذا الشَّرَفِ الأرفعِ
لا خيْرَ فى الملكِ وفى عِزِّهِ — إنْ ضاقَ جاهُ الليثِ بِالضِّفدَعِ
فكتبَ الليثُ أماناً لها — وزادَ أنْ جادَ بمُستنْقَعِ !

النَّملةُ الزَّاهدَة

سعْيُ الفَتى فى عَيْشِهِ عِبادَهْ   وقائِدٌ يَهديهِ للسعادهْ
لأَنَّ بالسَّعى يقومُ الكوْنُ   واللهُ للسَّاعِينَ نِعْمَ العَونُ
فإن تشأْ فهٰذِه حِكايهْ   تُعَدُّ فى هذا المقامِ غايهْ
كانت بأَرضٍ نَملةٌ تَنْبالهْ   لم تَسْلُ يوماً لذَّةَ البطالهْ
واشتَهرَتْ فى النمل بالتَّقشُّفِ   واتَّصفَتْ بالزُّهْدِ والتَّصَوُّفِ
لكن يقومُ الليْلَ مَن يَقتاتُ   فالبطْنُ لا تَملؤُه الصلاةُ
والنملُ لا يَسعَى إليهِ الحبُّ   ونَملَتى شَقَّ عليها الدأْبُ
فخرجَتْ إلى التِماسِ القوتِ   وجعلتْ تطوفُ بالبُيوتِ
تقولُ : هل من نَملةٍ تَقِيَّهْ   تُنْعِمُ بالقوتِ لذِى الوَلِيَّهْ ؟
لقد عَيِيتُ بالطَّوى المُبَرِّحِ   ومُنذ ليْلتيْن لم أُسَبِّحِ
فصاحَتِ الجاراتُ : يا لَلعارِ   لم تترُكِ النملةُ للصرصارِ !
متى رضِينا مثلَ هٰذِى الحالِ ؟   متى مددنا الكفَّ للسُّؤالِ ؟!
ونحن فى عين الوُجودِ أُمَّهْ   ذاتُ اشتِهارٍ بعُلُوِّ الهِمَّهْ
نحمِلُ مالا يصبِرُ الجِمالُ   عن بعضِه لو أنها نِمالُ
أَلم يقلْ من قولُه الصوابُ :   ما عِندنا لسائلٍ جَوابُ ؟!
فامضى؛ فإنَّا ياعجوزَ الشُّومِ   نَرَى كمالَ الزُّهْدِ أن تصومى!

الْيَمَامَةُ وَالصَّيَّاد

يمامةٌ كانت بأعلى الشَّجرهْ   آمِنَةً فى عُشِّها مُسْتَتِره
فأَقبلَ الصَّيّادُ ذات يَومِ   وحامَ حوْلَ الرَّوضِ أيَّ حَوْمِ
فلم يجِدْ للطَّيْر فيه ظِلَّا   وهمَّ بالرحيلِ حينَ مَلَّا
فبرَزَتْ من عُشِّها الحمقاءُ   والحُمْقُ داءٌ مالَه دواءُ
تقولُ جَهْلا بالذى سيَحدُثُ :   يأَيُّها الإنسانُ ، عَمَّ تبحثُ ؟
فالْتَفَتَ الصيادُ صوبَ الصوتِ   ونَحوَه سدَّدَ سهْمَ الموتِ
فسَقَطَت من عرشِها المَكينِ   ووقعَت فى قبضَةِ السِّكِّينِ
تقول قولَ عارف مُحقِّق :   «مَلكْتُ نفْسِي لومَلكْتُ مَنْطِقِى !»

الْكلْبُ وَالْحَمَامَة

حِكايةُ الكلبِ معَ الحمامَه   تشهدُ للجنسَيْنِ بالكرامَهْ
يُقالُ : كان الكلبُ ذاتَ يومِ   بينَ الرِّياضِ غارقاً فى النَّوم
فجاءَ من ورائه الثعبانُ   مُنتفِخًا كأنَّه الشيطانُ
وهَمَّ أن يَغدِرَ بِالأَمينِ   فرقَّتِ الورْقاءُ لِلمِسكينِ
ونَزلتْ توًّا تُغيثُ الكلبَا   ونقَرَتْهُ نقرةً ، فهبَّا
فحمدَ اللهَ على السلامَهْ   وحَفِظَ الجميلَ للحمامَهْ
إذ مَرَّ ما مرَّ من الزمانِ   ثم أَتى المالكُ للبُستانِ
فسَبَقَ الكلب لتلك الشجرَهْ   لِيُنْذرَ الطيرَ كما قد أنذرَهْ
واتخذ النَّبْحَ له علامَهْ   ففهِمَتْ حديثَهُ الحمامهْ
وأقلعتْ فى الحالِ للخلاصِ   فسَلِمتْ من طائرِ الرَّصاصِ
هذا هو المعروفُ يا أَهلَ الفِطَنْ   الناسُ بالناسِ ، ومَن يُعِن يُعَنْ!

الْكَلْبُ وَالْبَبَّغَاءُ

كان لبعض الناسِ بَبَّغاءُ ... ما ملَّ يوماً نُطقَها الإصغاءُ
رفيعةُ القدْرِ لَدَى مولاها ... وكلُّ مَنْ فى بيتِه يهواها
وكان فى المنزلِ كلبٌ عالى ... أرْخَصَهُ وجودُ هذا الغالى
كذا القليلُ بالكثيرِ يَنقُصُ ... والفضلُ بعضُه لبعضٍ مُرْخِصُ
فجاءها يوماً على غِرارِ ... وقلبُهُ من بُغضِها فى نارِ
وقال : يامليكةَ الطُّيورِ ... ويا حياةَ الأُنسِ والسرورِ
بحسنِ نُطقِكِ الذى قد أصبى ... إلا أرَيْتِنِى اللِّسانَ العذْبا
لأَننى قد حِرْتُ فى التفكُّرِ ... لمَّا سمعتُ أنه من سُكَّرِ !
فأَخْرَجتْ من طيشِها لسانَها ... فعضَّهُ بنابه ، فشانَها
ثم مضى من فورِهِ يصيحُ : ... قطعتُه لأنه فصيحُ !
وما لها عندىَ من ثأْرٍ يُعدّ ... غيرَ الذى سمَّوْهُ قِدْماً بالحسدْ !

الْحمَارُ وَالْجَمَل

كان لبعضِهمْ حِمارٌ وجَملْ ... نالهُما يوماً من الرِّق مَلَلْ
فانتظرَا بَشائرَ الظَّلماء ... وانطَلَقا معًا إلى البَيْداء
يجتليانِ طلعةَ الحرِّيَّهْ ... ويَنْشَقانِ ريحَها الزكيَّهْ
فاتفَقا أن يَقضيا العُمْرَ بها ... والارتضَيا بمائِها وعُشبِها
وبعدَ ليلةٍ من المسيرِ ... التفت الحِمارُ لِلبعيرِ
وقال : كربٌ ياأخى عظيمُ ... فقفْ ؛ فمشْيى كلُّهُ عقيمُ !
فقال : سَلْ فِداكَ أُمِّى وأبى ... عسى تَنالُ بى جليلَ المطلبِ
قال : انطلقْ معى لإدراكِ المُنَى ... أو انتظِر صاحبَكَ الحرَّ هنا
لا بُدَّ لى من عَوْدة للبَلدِ ... لأننى تركتُ فيه مِقوَدِى !
فقال سر والزَمْ أخاكَ الوتِدا ... فإنما خُلِقْتَ كى تُقيَّدا !

دُودَةُ الْقَزِّ وَالدُّودَةُ الْوَضَّاءَة

لِدودةِ القزِّ عندى ودودةِ الأضواءِ
حكايةٌ تشتَهيها مسامعُ الأذكياءِ
لمَّا رأت تِلكَ هذِى تُنيرُ فى الظلماءِ
سَعَتْ إليها ، وقالت : تعيشُ ذاتُ الضِّياءِ!
أنا المؤمَّلُ نفعى أنا الشهيرُ وفائى
حلا لىَ النَّفعُ حتى رضيتُ فيه فنائى
وقد أتيْتُ لأحظى بوجهكِ الوضَّاءِ
فهل لتُربِ الثُّرَى فى مَوَدّتى وإخائى ؟

* * *

قالت . عَرَضتِ علينا وجهًا بغيرِ حياءِ !
مَن أنتِ حتى تُدانى ذاتَ السَّناوالسَّناء ؟ !
أنا البديعُ جمالى أنا الرفيعُ عَلائى
أين الكواكبُ منى ؟ ! بل أين بدرُ السماءِ ؟ !
فامضى ؛ فلاوُدّعندى إذ لستِ من أكفائى !

* * *

وعند ذلك مرّتْ حسناءُ مَعْ حسناءِ

تقولُ : للهِ ثوبى　　فى حُسنِه والبَهاءِ !
كم عندنا من أَيادٍ　　للدودةِ الغراءِ !
ثم انثَنتْ فأَتتْ ذى　　تقولُ للحمْقاءِ :
هل عندكِ الآنَ شكٌّ　　فى رُتبتى القَعساءِ ؟!
وقد رأيتِ صنيعى　　وقد سمعتِ ثَنائى ؟!
إن كان فيك ضياءٌ　　إن الثناءَ ضيائى
وإنه لضياءٌ　　مؤيَّدٌ بالبقاءِ !

الْجَمَلُ وَالثَّعْلَبُ

كان على بعضِ الدُّروبِ جَمَلُ   حَمَّلهُ المالكُ ما لا يُحملُ
فقال : يا للنَّحسِ والشقاءِ !   إن طال هذا لم يَطُلْ بقائى
لم تحمِلِ الجبالُ مثلَ حِملى   أظنُّ مولاى يُريد قتلى !
فجاءهُ الثعلبُ من أمامِهْ   وكان نالَ القصدَ من كلامِهْ
فقال . مهلاً يا أخا الأحمالِ   ويا طويلَ الباعِ فى الجِمالِ
فأنتَ خيرٌ من أخيكَ حالا   لأننى أتعَبُ منك بالا
كأن قُدّامِىَ ألفَ ديكِ   تسألُنى عن دمها المسفوكِ
كأنَّ خلفى ألفَ ألفِ أرنبِ   إذا نهضتُ جاذبتنى ذَنَبى
ورُبَّ أمٍّ جئتُ فى مُناخِها   فجعتُها بالفتكِ فى أفراخِها
يبعثُنى مِنْ مَرْقدى بُكاها   وأفتحُ العيْن على شكواها
وقد عرفتَ خافِىَ الأحمالِ   فاصبِرْ . وقلْ لأُمَّةِ الجِمال :
ليسَ بحِمْلٍ ما يَمَلُّ الظهرُ   ما الحِمْلُ إلا ما يُعانى الصَّدْرُ

الْغَزَالَةُ والْأَتَانُ

غزالةٌ مرَّتْ على أتانِ　　تُقبِّلُ القَطِيمَ فى الأسنانِ
وكانَ خلف الظَّبْيةِ ابنُها الرَّشا　　بِوُدِّها لوْ حَمَلتْه فى الحَشا
ففعلتْ بسيِّد الصِّغارِ　　فِعْلَ الأَتَانِ بابنِها الحمارِ
فأَسرع الحمارُ نحوَ أُمِّهِ　　وجاءها والضحْكُ مِلْءُ فمِهِ
يصيحُ : يا أُمّاه ، ماذا قد دَها　　حتى الغزالةُ استَخفَّت ابنَها ؟!

الثَّعْلَبُ الَّذى انْخَدَع

قد سمِعَ الثعلبُ أَهلَ القرَى ... يدعونَ مُحتالا بيا ثعلبُ !
فقال حقًّا هٰذه غايةٌ ... فى الفخرِ لا تُؤْتَى ولا تُطْلب
مَن فى النُّهى مِثْلِىَ حتى الورَى ... أَصبَحْتُ فيهم مَثلا يُضْرب
ما ضَرَّ لو وافيْتُهم زائرًا ... أُرِيهِمُ فوقَ الذى استغرَبوا
لعلّهم يُحْيُون لى زينةً ... يَحضُرُها الدِّيكُ أَوِ الأَرنب
وقصَدَ القوْمَ وحياهُمُ ... وقام فيما بينهم يَخطُب
فأُخِذَ الزائِرُ من أُذنِه ... وأُعطِىَ الكلبَ بِه يلعَب !
فلا تَثِق يوماً بِذى حِيلةٍ ... إِذْ رُبَّما يَنخَدِعُ الثعلب !

ثُعَالَةُ وَالْحِمَارُ

أتي ثعالَةَ يوماً من الضَّواحى حِمارُ
وقال إن كنتَ جارى حقًّا ونعمَ الجار
قل لى فإنى كئيبٌ مُفكرٌ مُحتار
فى موْكِبِ الأَمسِ لمَّا سرنا وسارَ الكِبار . . .
. . . طرَحْتُ مولاى أرضاً فهل بذلك عار
وهل أتيْتُ عظيمًا ! فقال : لا يا حِمار !

الْبَغْلُ وَالْجَوَادُ

بغلٌ أتى الجوادَ ذات مَرَّهْ ... وقلبُهُ مُمتلِئٌ مَسَرَّهْ
فقال : فضلى قد بدا ياخِلِّى ... وآنَ أن تعْرِفَ لى مَحلِّى
إذ كنتَ أمْسِ ماشيًا بجانبى ... تعجَبُ من رقصِىَ تحتَ صاحبى
أختالُ ، حتى قالتِ العبادُ : ... لمَنْ مِن الملوكِ ذا الجوادُ ؟
فضَحِكَ الحِصانُ من مقالِهِ ... وقال بالمعهودِ من دلالِهِ :
لم أرَ رقصَ البغلِ تحتَ الغازى ... لكن سمعتُ نقرَة المِهمازِ !

الْفَـأْرَةُ وَالْقِطَّةُ

سَمِعْتُ أَنَّ فأْرَةً أَتاها ‏ شقيقُها يَنعَى لها فَتاها
يصيحُ : يالى مِن نُحوسِ بَختى ‏ مَنْ سَلَّط القِطَّ على ابنِ أُختى ؟!
فوَلْوَلتْ وعضَّتِ التُّرابا ‏ وجَمَعَتْ للمَأْتَمِ الأَترابا
وقالتِ : اليَومَ انقضَت لذَّاتى ‏ لاخيْرَ لى بعدَكَ فى الحياةِ
من لى بهرٍّ مثلِ ذاك الهرِّ ‏ يُريحُنى من ذا العذابِ المرِّ ؟ !
وكان بالقربِ الذى تريد ‏ يَسمَعُ ما تُبْدِى وما تُعيدُ
فجاءها يقولُ : يا بُشْراكِ ‏ إن الذى دَعَوْتِ قد لبَّاك !
ففَزِعت لما رأته الفارَهْ ‏ واعتَصَمَتْ منه ببيْتِ الجارَهْ
وأشرفتْ تقولُ للسَّفيهِ : ‏ إن مُتُّ بعدَ ابنى فَمَنْ يَبكيه ؟!

الْغَزَالُ وَالْخَرُوفُ وَالتَّيْسُ وَالذِّئْبُ

تَنازَعَ الغزالُ والخروفُ ... وقال كلٌّ : إنه الظَّريف
فرأيا التَّيْسَ ، فظَنَّا أنّه ... أعطاهُ عقلاً مَنْ أطالَ ذقنَه !
فكلَّفاه أن يُفَتِّشَ الفَلا ... عن حَكَمٍ له اعتبارٌ فى المَلا
ينظُرُ فى دَعواهُما بالدَّقه ... عساهُ يُعطِى الحقَّ مُسْتحِقَّه
فسارَ للبحثِ بِلا تَوانى ... مُفتَخِرا بثِقةِ الإخوانِ
يقول : عِندى نظرةٌ كبيرهْ ... تَرفعُ شأْنَ التَيْسِ فى العَشيرهْ
وذاكَ أن أجدَرَ الثَّناء ... بالصِّدْقِ ما جاءَ من الأَعداء
وإننى إذا دعوْتُ الذِّيبَا ... لا يستطيعانِ له تكذيبا
لكوْنه لا يَعرفُ الغزالا ... وليس يُلقِى للخروفِ بالا
ثم أتى الذِّيبَ ، فقال : طِلْبَتِى ... أنتَ ، فسِرْ معى ، وخُذْ بلحيتِى !
وقادَه للموضِعِ المعروفِ ... فقامَ بين الظَّبيِ والخروفِ
وقال : لا أحكمُ حَسْبَ الظاهِر ... فمزَّقَ الظَّبْيَيْنِ بالأَظافِرِ
وقال للتيْس : انطلقْ لِشأْنِكا ... ما قتَلَ الخَصْمَيْنِ غيْرُ ذَقنكا !

الثَّعْلَبُ وَالأَرْنَبُ وَالدِّيكُ

من أعجَبِ الأخبارِ أن الأَرنبا ... لمَّا رأى الدِّيكَ يَسُبُّ الثعْلبا
وهْوَ على الجِدارِ فى أمانِ ... يَغلبُ بالمكانِ ، لا الإمكانِ
داخَلهُ الظنُّ بأَنَّ الماكرا ... أَمْسى من الضَّعفِ يُطيقُ الساخِرا
فجاءَهُ يَلْعَنُ مثل الأَوَّلِ ... عِدادَ ما فى الأَرضِ من مُغفَّلِ
فعصَفَ الثعلبُ بالضعيفِ ... عَصْفَ أخيه الذِّيبِ بالخروف
وقال : لى فى دَمِكَ المسفوكِ ... تسليةٌ عن خيْبتى فى الديكِ !
فالتفتَ الديكُ إلى الذبيح ... وقال قولَ عارِفٍ فصيح
ما كلُّنا يَنفعُهُ لسانُهْ ... فى الناسِ مَن يُنطقُه مَكانُهْ !

الثَّعْلَبُ وَأُمُّ الذِّئْبِ

كان ذئبٌ يتغدَّى ... فجرتْ في الزَّوْرِ عَظمه
ألزمَتْهُ الصَّوْمَ حتى ... فَجعَتْ في الروح جسْمَهْ
فأتى الثعلَبُ يبكي ... ويُعزِّي فيه أُمَّه
قال : يا أمَّ صديقي ... بِيَ مما بكِ غُمَّهْ
فاصبِري صبرًا جميلاً ... إنّ صبْرَ الأُمِّ رحْمه!
فأجابتْ : يا ابنَ أُختي ... كلُّ ما قد قلتَ حِكمَهْ
ما بِيَ الغالي ، ولكن ... قولُهُم : ماتَ بِعظْمَه !
ليْته مثلَ أخيه ... ماتَ محسودا بتُخْمَه!

ديوان الاطفال

(مجموعة من الشعر السهل ، نظمها لتكون للأطفال أدبا وثقافة) :

الهِرَّةُ وَالنَّظَافة

هِرَّتى جِدُّ أَليفَهْ وهْى للبيتِ حليفهْ
هى ما لم تتحرّكْ دُمْيةُ البيتِ الظريفه
فإذا جاءتْ وراحتْ زِيدَ فى البيتِ وصِيفه
شغلها الفارُ : تُنقِّى الرَّ فَّ منه والسَّقيفَهْ
وتقومُ الظُّهرَ والعصـــرَ بأَورادٍ شريفه
ومن الأَثوابِ لم تمـــلِكْ سوى فروٍ قطيفه
كلما استوسَخَ ، أو آ وَى البراغيثَ المُطِيفه
غسَلتْهُ ، وكوَتْه بأَساليبَ لطيفه
وحدَتْ ما هو كالحمَّا م والماءِ وظيفه
صيَّرَتْ ريقتَها الصَّا بونَ ، والشاربَ لِيفه

* * *

لا تَمُرَّنَّ على العين ولا بالأَنفِ جيفه
وتعوَّدْ أَن تُلاقَى حسَنَ الثوبِ نظيفه
إنما الثوبُ على الإنســـان عُنوانُ الصحيفه

الْجَدَّةُ :

لى جَدَّةٌ تَرْأفُ بى   أحنَى علىَّ مِن ابى
وكلُّ شىءٍ سرَّنى   تذهب فيه مَذهبى
إن غضِبَ الأَهلُ علىَّ كلُّهم   لم تَغضَب
مشى أَبى يوماً إلىَّ   مِشيةَ المؤدِّبِ
غَضبانَ قد هَدَّدَ بالضرْبِ ،   وإن لم يَضرِبِ
فلم أَجِد لى منهُ غيرَ جَدَّتى   من مَهرَبِ
فجعَلتنى خلفَها   أَنجو بها ، وأَختبى
وهْىَ تقولُ لأَبى   بِلهجة المونِّبِ :
ويحٌ لهُ ! ويحٌ لِهـ   ـذا الولدِ المُعَذَّبِ !
ألم تكن تصنعُ ما   يَصنعُ إذ أَنت صبى ؟

الْوَطَن :

عُصفورتانِ في الحِجا زِ حَلَّتا على فَنَن
في خامِلٍ من الرِّيا ضِ ، لانَدٍ ، ولا حسَن
بيناهُما تَنتَجِيا نِ سَحَرًا على الغُصُن
مَرَّ على أَيكِهِما ريحٌ سَرَى مِنَ اليَمَنْ
حيَّا وقال : دُرَّتا نِ في وِعاءٍ مُمتَهَن !
لقد رأَيتُ حَوْلَ صَنـ عَاءَ ، وفى ظِلِّ عَدَن(١)
خمائلاً كأَنَّها بقِيَّةٌ من ذِى يزَن(٢)
الحَبُّ فيها سُكَّرٌ والماءُ شُهْدٌ ولبَن
لم يَرها الطَّيْرُ ولم يَسمَعْ بها إلا افتَتَن
هيّا اركبانى نأْتِها فى ساعة منَ الزمن

* * *

قالتْ له إحداهما والطَّيْرُ مِنهنّ الفطِن
ياريحُ أَنتَ ابنُ السَّبيـ ل : ما عَرَفْتَ ما السَّكن
هَبْ جنةَ الخُلدِ اليمن لا شيءَ يَعدِلُ الوطن !

(١) صنعاء وعدن : من بلاد اليمن .
(٢) ذو يزن : من ألقاب ملوك اليمن فى التاريخ القديم .

الرِّفْقُ بالْحَيَوَان

الحيوانُ خَلْقُ له عليْكَ حَقُّ
سَخَّرَه اللهُ لكا وللعِبادِ قبْلَكا
حَمُولةُ الأَثقالِ ومُرْضِعُ الأَطفالِ
ومُطْعِمُ الجماعهْ وخادِمُ الزِّراعه
مِنْ حقِّهِ أن يُرْفَقا به وألا يُرْهَقا
إن كَلَّ دَعْهُ يَسترِحْ وداوِه إذا جُرِحْ
ولا يَجُعْ فى دارِكا أَو يَظْمَ فى جِوارِكا
بهيمةٌ مِسكِينُ يشكو فلا يُبِينُ
لسانُه مقطوعُ وما له دُموعُ !

الأُمّ

لولا التُّقى لقلتُ : لم　　يَخلُقْ سِواكِ الوَلدا !
إن شِئتِ كان العَيْرَ ، أَو　　إن شئتِ كان الأَسدا
وإن تُرِدْ غَيًّا غَوى　　أَو تَبْغِ رُشْدًا رَشدا
والبيْتُ أَنتِ الصوتُ فيـــــه ، وهْوَ للصَّوتِ صَدى
كالبَبَّغا فى قفصٍ :　　قِيلَ له ، فقَلَّدا
وكالقضيبِ اللَّدْنِ : قدْ　　طاوَع فى الشَّكلِ اليَدا
يأْخُذُ ما عَوَّدْتِه　　والمرءُ ما تعوَّدا !

وَلَدُ الْغُرَاب

وممهّد فى الوكر من ولدِ الغرابِ مُزقّق
كرُوَيهِبٍ مُتَقلِّسٍ مُتأزِّرٍ ، مُتَنطِّقَ(١)
لبسَ الرَّمادَ على سَوا دِ جَناحِهِ والمَفرِقِ
كالفحْمِ غادرَ فى الرَّما دِ بقيَّةً لم تُحرَقِ
ثُلثاهُ مِنقارٌ ورأ سٌ ، والأظافِرُ ما بقِىَ
ضخمُ الدِّماغِ على الخُلُوِّ مِنَ الحِجَى والمنطِقِ
مِنْ أُمِّهِ لَقِىَ الصغِ يرُ منَ البَليّةِ ما لقِى
جَلبَتْ عليهِ ما تَذو دُ الأُمّهاتُ وتَتّقِى
فُتِنت به ، فَتوَهّمَتْ فيه قُوًى لم تخلقِ
قالت : كبِرْتَ ، فثِبْ كما وثب الكِبارُ ، وحَلِّقِ
ورَمَتْ به فى الجوِّ ، لم تَحرِصْ ، ولم تَسْتَوثِقِ
فَهَوى ، فمُزِّقَ فى فِنا ءِ الدارِ شرَّ مُمزَّقِ
وسَمِعتُ قاقاتٍ تردُّ دُ فى الفضاءِ وترتَقى(٢)

(١) رويهب : راهب صغير ؛ والمتقلس ، والمتأزر ، والمتنطق : الذى يلبس القلنسوة ، والأزار ، والنطاق ، كالرهبان .
(٢) القاقات : نعيق الغربان .

ورأيتُ غِرْبانًا تفرّ ... قُ فى السماء وتلتقى
وعرفتُ رَنّةَ أُمِّه ... فى الصارِخاتِ النُّعَّقِ
فأَشرْتُ ، فالتَفَتَتْ ، فقا ... تُ لها مَقالةَ مُشْفِقِ :
أطلقتِه ، ولوِ امتَحنْ ... تِ جَناحَه لم تُطلِقى
وكما تَرَفَّقَ والِدَا ... كِ عليكِ لم تَتَرَفَّقى !

النِّيل

النِّيلُ العَذْبُ هو الكوْثرُ والجنةُ شاطِئُه الأَخضَرْ
ريَّانُ الصَّفْحَةِ والمنظَر ما أَبهَى الخُلدَ وما أَنضَر !

* * *

البحرُ الفَيَّاضُ ، القُدُسُ الساقى الناسَ وما غَرَسوا
وهو المِنْوالُ لما لبِسوا والمُنْعِمُ بالقطنِ الأَنوَر

* * *

جعلَ الإِحسانَ له شَرْعَا لم يُخْلِ الوادىَ من مَرْعى
فتَرَى زرعاً يَتلو زرعا وهُنا يُجنى ، وهُنا يُبْذَر

* * *

جارٍ ويُرَى ليس بجارِ لأَناةٍ فيه ووقار
يَنصَبُّ كتَلٍّ مُنْهارِ ويَضِجُّ فتحسَبُه يَزأَر

* * *

حَبَشِىُّ اللَّوْنِ كجِيرتِه من مَنْبَعِه وبُحيْرَتِه
صَبَغَ الشَّطَّيْنِ بسُمْرَتِه لوْناً كالمسكِ وكالعَنبَر

المَدْرَسَة

أنا المدرَسةُ اجعَلْنى   كأُمٍّ ، لا تَمِلْ عنِّى
ولا تفْزَعْ كمأْخوذٍ   من البيتِ إلى السِّجن
كأَنى وجْهُ صَيَّادٍ   وأنت الطيرُ فى الغصن
ولا بُدٌّ لك اليوْمَ   – وإلا فغداً – مِنِّى
أَوِ استَغْنِ عن العقلِ   إذنْ عَنِّىَ تستغنى
أنا المِصْباحُ للفِكرِ   أنا المِفتاحُ للذِّهْن
أنا البابُ إلى المجدِ   تعالَ ادخلْ على اليُمْن
غدًا تَرْتَعُ فى حَوْشِى   ولا تشبَعُ من صَحْنِى
وألقــاكَ بإِخوانٍ   يُدانونَكَ فى السِّنِّ
تُنادِيهمْ بيافِكرى   ويا شَوق ، ويا حُسنى
وآبــاءٍ أَحَبُّوكَ   وما أنت لهم بابن

نشِيدُ مصْر

بَنِى مِصرٍ مَكانُكمُو تَهَيَّا   فَهَيَّا مَهدُوا للمُلكِ هيَّا
خُذوا شمسَ النهارِ له حُلِيَّا   ألم تَكُ تاجَ أوّلِكم مَلِيَّا؟!

* * *

على الأخلاق خُطُّوا المُلكَ وابنوا   فليسَ وراءها للعِزِّ رُكن
أليس لكم بِوادِى النِّيل عَدْنُ   وكوثرُها الذى يَجرى شهيًّا؟!

* * *

لنا وطنٌ بأنفسِنا نَقيه   وبالدُّنيا العريضةِ نَفتديه
إذا ما سِيلَتِ الأرواحُ فيه   بَذَلناها كأنْ لم نعْطِ شيًّا

* * *

لنا الهرَمُ الذى صحِبَ الزمانا   ومن حَدَثانِه أخذ الأمانا
ونحنُ بنو السَّنا العالى، نمانا   أوائلُ عَلَّموا الأُمَمَ الرُّقِيا

* * *

تطاوَلَ عهدُهُمْ عِزا وفخرًا   فلما آلَ للتاريخِ ذُخْرا
نشأنا نشأةً فى المجدِ أُخرى   جعَلنا الحقَّ مَظهرَها العَلِيَّا

* * *

جعلنا مِصْرَ مِلَّةَ ذى الجَلالِ وَأَلِفْنَا الصليبَ على الهِلالِ
وأقبَلنا كصفٌ من عَوالٍ يُشدُّ السَّمْهَرِىُّ السَّمْهَرِيَّا

• • •

نرومُ لِمِصرَ عِزًّا لا يُرَامُ يَرِفُّ على جوانبِهِ السَّلامُ
وينعَمُ فيه جِيرانٌ كِرامُ فلن تَجدَ النَّزيلَ بنا شقيًّا

• • •

نقومُ على البِنايةِ مُحسِنِينا ونعهَدُ بالتَّمامِ إلى بنينا
إليْكِ نَموتُ ـ مِصْرُ ـ كما حَيِينا ويَبْقى وجهُكِ المَفْدِىُّ حيًّا

نَشِيدُ الْكَشَّافَةِ

نحنُ الكَشَّافةُ فى الوادى ... جَبريلُ الروحُ لنا حادِى
ياربُّ ، بِعيسى ، والهادى ... وبموسى خُذْ بيَدِ الوطنِ

* * *

كشَّافةُ مِصرٍ ، وصبيَّتُها ... ومناةُ الدارِ ، ومُنيتُها
وجمالُ الأرضِ ، وحليتُها ... وطلائعُ أفراحِ المُدُنِ

* * *

نَتبادرُ الخيرَ . ونَستبِقُ ... ما يَرضَى الخالقُ والخُلُقُ
بالنفسِ وخالِقِها نثِقُ ... ونَزيدُ وُثوقاً فى المِحَنِ

* * *

فى السَّهلِ نَرِف رَياحِينا ... ونجوبُ الصَّخرِ شياطينا
نبْنى الأبدانَ وتبنينا ... والهِمَّةُ فى الجسمِ المَرِنِ

* * *

ونُخَلِّى الخلقَ وما اعتقدوا ... ولوَجه الخالِقِ نجتهدُ
نأسوا الجرْحى أنَّى وُجِدُوا ... ونُداوِى مِنْ جَرْحِ الزَّمَنِ

* * *

في الصِّدْقِ نشأتنا والكَرَمِ والعِفَّةِ عن مَسِّ الحُرَمِ
ورعايةِ طفلٍ أو هرمٍ والذَوْدِ عن الغِيدِ الحُصُنِ

* * *

ونُوافي الصَّارخَ في اللُّجَجِ والنارِ الساطعةِ الوَهَجِ
لا نسأَلُهُ ثمنَ المُهَجِ وكفى بالواجِبِ من ثمنِ

* * *

يارِبِّ ، فكَثِّرْنا عدَدا وابذُل لِأُبوَّتِنا المَدَدا
هَيِّئْ لهمُ ولنا رَشَدا يارِبِّ ، وخُذ بِيَد الوطنِ

من شعر الصبا

« وقال فى صباه يهنىء الخديوى توفيق بعيد الفطر ويشير الى صـــــلة انفذها اليه وهو فى الدراسة بأوروبا » :

مِصْرَ الأَعِزَّةِ . ما أعزَّ حِماكا ! … وأجَلَّ فى العَلياءِ بَدْرَ سَماكا !
تتساءلُ العربُ المُقَدَّسُ بيتُها : … أأعيدَ بانِى رُكْنِه فبَناكا ؟ !
وتقولُ إذْ تأتِيكَ تَلتمِسُ الهُدَى : … سِيَّانِ هذا فى الجلالِ وذاكا
يا مُلتَقَى القمَرَيْنِ ، ما أبهاكَ ! بل … يا مَجْمَعَ البَحْرَين ، ما أصفاكا !
إنَّ الأمَانَةَ ، والجلالةَ ، والعُلا … فى هالةٍ دارتْ على مغْناكا
ما العِزُّ إلا فى ثرَى القَدَمِ التى … حَسَدَتْ عليها النيِّراتُ ثراكا
يا سادسَ الأُمَراءِ من آبائِه … ما للإمارةِ مَنْ يُعَدُّ سِواكا
التُّرْكُ تَقرأُ باسمِ جَدِّك فى الوَغَى … والعُرْبُ تَذكرُ فى الكتاب أباكا(١)
نَسَبٌ لوِ انتَمَت النُّجومُ لِعِقْدِه … لترَفَّعَتْ أن تَسكنَ الأفلاكا
شرَفاً ــ عزيزَ العصرِ ــ فُتَّ مُلوكَهُ … فضْلاً . وفاتَ بَنيهِمُ نَجلاكا
لكَ جنَّةُ الدنيا ، وكَوْثرُها الذى … يجرى به فى الملكِ شَرْطُ غِناكا
ولكَ المدائنُ والثُّغورُ مَنيعةً … فى مَجْمَعِ البحرين تحتَ لِوَاكا
مُلْكٌ رعيْتَ اللهَ فيه . مؤيَّدًا … باسمِ النبيِّ ، موَفَّقًا مَسعاكا
فأقمتَ امرًا ــ يا أبا العباسِ ــ مأْ … مونَ السبيلِ على رَشيد نُهاكا

---

(١) هو توفيق بن « اسماعيل » .

إن يَعرضوهُ على الجبال تَهنْ له		وهِيَ الجبالُ ، فما أشدَّ قُواكا
بسياسة تقفُ العقولُ كليلةً		لا تستطيع لكُنْهِها إدراكا
وبحكمةٍ فى الحكمِ توفيقيَّةٍ		لك يَقتَفى فيها الرجالُ خُطاكا

• • •

مَولاىَ ، عيدُ الفطرِ صُبحُ سُعودِهِ		فى مِصرَ أسفَرَ عن سنا بُشْراكا
فاستقبلِ الآمالَ فيه بشائِرًا		وأشائرًا تُجْلَى على عَلياكا
وتلقَّ أعيادَ الزمان مُنيرةً		فهناؤُه ما كان فيه هَناكا
أيَّامُكَ الغرُّ السعيدةُ كلُّها		عيدٌ ، فعيدُ العالمين بَقاكا
فليَبْقَ بيتُكَ . ولْيَدُمْ ديوانُه		ولْيَحْيَ جُندُكَ ، ولْتَعِشْ شُوراكا
ولْيَهنِنِى بك كلَّ يومٍ أننى		فى ألفِ عيدٍ من سُعودِ رضاكا
بأَيِّها الملكُ الأريبُ ، إليكها		عذراءَ هامتْ فى صفاتِ عُلاكا
فطوتْ إليكَ البحرَ أبيضَ نِسبةً		لِنظيرِهِ المورودِ من يُمناكا
قدِمَتْ على عيدٍ لبابك بعدما		قدِمَتْ علىَّ جديدةً نُعماكا
أوَ كلَّما جادَت نَداكَ رَوِيَّتى		سَبَقَتْ ثَناىَ بالارتجالِ يداكا ؟
أنتَ الغنىُّ عن الثناء ، فإن تُرِدْ		ما يُطربُ الملكَ الأديبَ فهاكا

قَصْرُ الْمُنْتَزَه

« وقال يصف قصر المنتزه العامر بالاسكندرية بعد رؤيه معالمه الشائقة بدعوة من الجناب العالى سنة ١٨٩٥ »

مُنْتَزَهُ العبّاسِ للمجتَلى آمنتُ باللهِ وجَنّاتِه !
العيشُ فيه ليس فى غيرهِ يا طالبَ العيشِ ولذّاتِه
قصورُ عزٍّ باذخاتُ الذُّرَى يودُّها كسرَى مَشيداتِه
من كل راسى الأصلِ تحت الثرى مُحير النجمِ بِذِرواته
دارتْ على البحرِ سلاليمُهُ فبتن أطواقاً لِلَبّاتِه
مُنتظِماتٌ ما ثجاتٌ به مُنمقاتٌ مثلَ لُجّاتِه
من الرخامِ الندْرِ ، لكنها تُنازعُ الجوهرَ قيماته
من عملِ الإنسِ . سوى أنها تُنسى سليمانَ وجِنّاته
والريحُ فى أبوابِه . والجوا رى مائلاتٌ دون ساحاته
وغابُه مَنْ سارَ فى ظلِّها يَأْنَ على البُسفورِ غاباتِه
بالطولِ والعرضِ تُباهِى ، فذَا وافٍ ، وهذا عند غاياتِه
والرَّمْلُ حالٍ بالضُّحى مُذهَبٌ يُصدِّئُ الظلُّ سَبيكاتِه
وتُرْعةٌ لو لم تكن حُلوَةً أنْسَتْ «لَمَرْتِينَ» بُحَيْراتِه (١)

---

(١) لامرتين : شاعر فرنسا العظيم . وقصيدته عن « البحيرة » ذائعة وقد ترجمت الى العربية مرات .

أَوْ لم تكنْ ثَمَّ حياةَ الثرَى ‏ ‏ ‏ لم تُبْقِ فى الوصفِ لحيَاتِه

وفى فمِ البحرِ لِمنْ جاءَهُ ‏ ‏ ‏ لِسانُ أرضٍ فاقَ فُرْضاتِه

تَنْحَشِدُ الطَّيْرُ بأكنافِه ‏ ‏ ‏ ويَجمعُ الوحشُ جماعاتِه

مِنْ معِزٍ وَحْشِيَّةٍ ، إن جَرَتْ ‏ ‏ ‏ أَرَتْ مِن الجرْىِ نِهاياتِه

أو وثَبتْ فالنَّجْمُ من تحتِها ‏ ‏ ‏ والسُّورُ فى أسْرِ أسِيراتِه

وأرنبٌ كالنَّملِ إن أحصِيَتْ ‏ ‏ ‏ تَنْبُتُ فى الرَّملِ وأبياتِه

يَعلو بها الصَّيْدُ ويعلو إذا ‏ ‏ ‏ ما قيْصَرٌ ألقَى حِبالاتِه

ومن ظِباءٍ فى كِناساتِها ‏ ‏ ‏ تَهيجُ للعاشِقِ لَوْعاتِه

والخَيْلُ فى الحىِّ عراقِيَّةٌ ‏ ‏ ‏ تَحمِى وتُحمَى فى بُيوتاتِه

غُرٌّ كأيامِ عزيزِ الوَرَى ‏ ‏ ‏ مُحجَّلاتٌ مِثل أوقاتِه

« وقال يهنىء الخديوى توفيق بقدوم نجليه من سياحتهما بأوروبا »

باتَ يُثْنى على علياكَ إنسانُ إلا وأنت لعيْنِ الدَّهْرِ إنسانُ
وما تَهلَّلتَ إذْ وافاكَ ذو أَمَلٍ إلا وأدهَشَه حُسْنٌ وإحسان
لله ساحَتُكَ المسعودُ قاصِدُها فإنما ظِلُّها أَمْنٌ وإيمان !
لئِنْ تَباهى بِكَ الدِّينُ الحنيفُ لكَمْ تقوَّمَتْ بك للإسلامِ أركان
تُراقِبُ اللهَ فى مُلكٍ تدبِّرُه فأنت فى العدْلِ والتَّقوى سُليمان
أنجَى لكَ اللهُ أنجالا يُهيِّئُهم لرِفعَةِ المُلك إقبالٌ وعِرْفان
أَعِزَّةٌ أينَما حلَّتْ ركائِبُهم لهم مكانٌ كما شاءُوا وإمكان
لم تثنِهِمْ عن طِلابِ العِلمِ فى صِغَرٍ فى عزِّ مُلكِك — أوطارٌ وأوطان
تأبى السعادةُ إلا أن تُسايِرَهم لأنهم لِملوكِ الأرضِ ضِيفان
نجلانِ قد بلغا فى المجدِ ما بَلَغا مُعَظَّمٌ لهما بين الورى شان
يكفيهما فى سبيل الفخرِ أن شَهِدَتْ بفضلِ سَبقِهما روسٌ وألمان
هُما هُما ، تعرِفُ العَلياءُ قدرَهُما كِلاهُما كَلِفٌ بالمجدِ يَقظان
ما الفَرْقَدانِ إذا يوماً هُما طلعا فى مَوكِبٍ بهما يَزهو ويزدان ؟

* * *

يا كافِىَ الناس بعد الله أمْرَهُمُ النَّصرُ إلا على أيديكَ خِذْلان

ويا منيل المعالى والنَّدى كرماً　　الربح من عبرِ هذا البابِ خسران
مولاىَ ، هل لِفتى بالبابِ مَعذرَةٌ　　فعقلهُ فى جلالِ الملكِ حيرانُ ؟!
سعى على قدمِ الإخلاصِ مُلتَمِسًا　　رضاك ، فهْوَ على الإقبالِ عُنوان
أرى جَنابَكَ رَوضًا للندى نَضِرًا　　لأنّ غُصنَ رجائى منه رَيَّان
لا زالَ مُلكُكَ بالأنجالِ مُبتَهِجا　　ما باتَ يُثنى على عَلياكَ إنسان

* وقال مهنئا للخديوى عباس بولادة احدى الكريمات * :

أعطى البريةَ إذ أعطاكَ بارِيها ... فهل يُهنِّيك شعرى أم يُهنِّيها ؟
أنتَ البريةُ ، فاهنأ ، وهْيَ أنت ، فمَنْ ... دعاكَ يوماً لِتهنا فهْو داعيها
عيدُ السماء وعيدُ الأرضِ بَينهما ... عيدُ الخلائقِ قاصيها ودانيها
فبارَكَ اللهُ فيها يومَ مَولِدِها ... ويومَ يرجو بها الآمالَ راجيها
ويوم تُشرِقُ حوْل العرشِ صبيتُها ... كهالةٍ زانتِ الدنيا دَراريها
إنّ العنايةَ لمَّا جامَلَتْ وعَدَتْ ... ألا تَكُفَّ وأن تَتْرَى أياديها(١)
بكلِّ عالٍ من الأنجالِ تحسَبه ... من الفراقِدِ لو هَشَّتْ لرائيها
يقومُ بالعهدِ عن أوفى الجدودِ به ... عن والدٍ أبلجِ اللَّمَّاتِ عاليها
ويأخذُ المجدَ عن مصرٍ وصاحبِها ... عنِ السَّراةِ الأعالى من مواليها
الناهضين على كرسِيِّ سُؤددها ... والقابضين على تاجَيْ مَعَاليها
والساهرين على النيلِ الحفِيِّ بها ... وكأسِها وحُمَيَّاها وساقيها

* * *

مولاىَ ، للنفسِ أن تُبدى بشائِرَها ... بما رزقتَ ، وأن تهدى تهانيها
الشمسُ قدرًا ، بلِ الجوْزاءُ منزلةً ... بَل الثُّرَيَّا ، بل الدنيا وما فيها
أمُّ البنينَ إذا الأوطانُ أعْوَزَها ... مُدبِّرٌ حازمٌ أو قلَّ حاميها
مِنَ الإناثِ سِوى أنَّ الزمان لها ... عبدٌ ، وأنَّ الملا خُدَّامُ ناديها

---

(١) تترى : متواترة متتابعة ؛ وقد استعملها الشاعر هنا بمعنى تتواتر

وأنها سرُّ عباسٍ وبضعتُهُ   فهْىَ الفضيلةُ ، مالى لا أسمِّيها ؟ !
أغرُّ يستقبلُ العصرُ السلامَ به   وتشرقُ الأرْضُ ماشاءتْ لياليها
عالى الأريكةِ بينِ الجالسين ، له   منَ المفاخر عاليها وغاليها
عباسُ ، عِشْ لنفوسٍ أنت طِلْبَتُها   وأنت كلُّ مُرادٍ من تناجيها
تُسدى الرجاء وتدعوهُ ليَصْدُقها   والله أصدق وعدًا ، وهْوَ كافيها

بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْعَلَاءِ

بيني وبين أبي العلاء قضيةٌ
في البرِّ أسترعي لها الحُكماء
هُوَ قدْ رأى نُعْمي أبيه جِنايةً(١)
وأرَى الجِنايةَ من أبي نعْماء

---

(١) يشير الى قول ابى العلاء المعرى .
هذا جناه ابى على ، وما جنيت على احد
وابو العلاء لم يتزوج ولم ينجب .

دَوَاءُ الْمُتَيَّمِ

دَاوِ الْمُتَيَّمَ ، دَاوِهِ من قَبْلِ أَنْ يَجِدَ الدَّوا
إِنَّ النَّوَاصِحَ كُلَّهُمْ قالوا بتبديلِ « الهوا »(١)

• • •

فتَحْتُمُو باباً على صَبِّكم لِلصَّدِّ ، والهَجْرِ ، وطُولِ النَّوى
فلا تَلومُوهُ إذا ما مَلا قد فُتِحَ البابُ ومرَّ « الهوا »(١)

---

(١) يستعمل الشاعر كلمة « الهوى » على طريقة الايهام عند البديعيين فيقصد معنى ويوهم معنى غيره والهوا « مقصور الهواء » غير الهوى بمعنى العشق والمحبة .

وَكَتَبَ عَلَى صُورَةٍ مُهْدَاةٍ لِصَدِيق

سَعَتْ لكَ صُورَتِى ، وأتاكَ شَخْصِى   وسارَ الظِّلُّ نحوَكَ والجِهاتُ
لأنَّ الرُّوحَ عِنْدَكَ وهْىَ أصلٌ   وحيثُ الأصلُ تَسْعَى المُلْحَقات
وهبْها صورَةً مِن غيْرِ رُوح   أليس من القَبُولِ لها حياةُ ؟!

محجوبيات

« كان بين الشاعر والدكتور محجوب ثابت صلة متينة من الود ، وكان بينهما مسامرات ومداعبات اوحت الى الشاعر ببعض ماننشره بعد من شعر الفكاهة »

بَيْنَ مَكْسُوينى وَالأُوتُومُبيلِ

« كان للدكتور محجوب ثابت حصان يرتاد به ماشاء من احياء القاهرة فى أيام الثورة ، وكان أصدقاؤه يسمون حصانه « مكسوينى » وهو اسم بطل ارلندى مشهور انتحر جوعا ، يكنون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وعدم العناية به .

« وقد استبدل به الدكتور محجوب سيارة ، فنظم الشاعر هذه القصيدة يداعب الدكتور ويعزى حصانه . وقد نشرت هذه القصيدة فى سنة ١٩٢٤ » .

لكم فى الخطِّ سيَّارَهْ   حديثُ الجارِ والجارَهْ
(أوفرْلانْدُ) يُنَبِّيكَ   بها القُنْصُلُ (طَمَّارَه)(١)
كسيَّارةِ (شارْلوتَ)   على السُّواقِ جبَّارَهْ(٢)
إذا حَرَّكها مالتْ   على الجنْبَيْنِ مُنْهَارَهْ !
وقد تَحْرُنُ أحيانًا   وتمشِى وحدَها تارَهْ

---

(١) الشيخ طمارة : كان اماما بالمفوضية المصرية فى واشنطون .
(٢) يعنى شارلى شابلن الممثل الهزلى المشهور .

ولا تُشبعُها عَيْنٌ مِنَ (البنزينِ) فوّارَهْ
ولا تُروَى من الزَّيْتِ وإن عامَتْ بهِ الفاره
ترى الشارعَ فى ذُعْرٍ إذا لاحَتْ من الحاره
وصِبْياناً يَضِجُّونَ كما يَلقَوْن طَيّاره
وفى مَقدَمِها بوقٌ وفى المُؤَخرِ زَمّاره
فقد تَمشى مَتى شاءَتْ وقد ترجِعُ مُختاره
قضى اللهُ على السَّوّا قِ أن يجعلها داره !
يُقَضّى يَومَهُ فيها ويَلقَى الليلَ ما زاره !

* * *

أدُنيا الخيلِ (يامَكسِى) كدُنيا الناسِ غدّاره ؟!
لقد بَدَّلك الدهرُ من الإقبالِ إدباره
فصبرًا يا فتَى الخيلِ فنفسُ الحرِّ صَبّاره
أحَقٌّ أنّ (مَحجوباً) سَلا عنك بفَخّاره ؟
وباعَ الأبْلَقَ الحُرَّ (بأوفرْلانْد) نَعّاره ؟
ولم يَعرِفْ له الفضلَ ولا قدَّرَ آثاره
قد اختارَ لك الشَّلْحَ وما كنتَ لتَختاره
فسَلْه : ما هو الشَّلْحُ ؟ عسى يُنْبيكَ أخباره
كأن لم تَحمِلِ الرّا يةَ يومَ الرَّوْعِ والشّاره(١)
ولم تَركبْ إلى الهوْلِ ولم تحمِلْ على الغاره

(١) يشير الى ملازمته اياه فى ابان الثورة المصرية سنة ١٩١٩ .

ولم تَعطِفْ على جَرْحَى   من الصِّبيةِ نَظّاره
فمضروبٌ برَشّاش   ومَقلوبٌ بغَدّاره
ولا واللهِ ما كلّفـــــفتَ (محجوباً) ولا باره
فلا البِرْسيمُ تَذْريهِ   ولا تعرِف نَوّاره !
وقد تَرْوَى على (صُلْتٍ)(١)   إذا نادَمْتَ سُمّاره
وقد تَسكَرُ من خَوْدٍ   على الإفريزِ مِعْقاره
وقد تشبَعُ يا ابنَ اللَّيْـــــلِ من رَنّةِ قِيثاره !

* * *

عسَى اللهُ الذى ساقَ   إلى (يوسُفَ) سَيّاره
فكانت خَافهم دُنيا   له فى الأَرضِ كَباره
يهيِّى لك هَوّارًا   كريماً وابنَ هَوّاره(٢)
ان الحظَّ جَوّالٌ   وإنّ الأَرضَ دَوّاره !

---

(١) مشرب عام في القاهرة كان يرتاده الصفوة من سكان القاهرة ونزلائها .

(٢) هواره : قبيلة عربية يشتهر ابنوها بالكرم . ومنها بطون تسكن صعيد مصر .

مَكْسويني . . .

« وهذه مداعبة اخرى قيلت فى مكسويني حسان الدكتور محجـــوب أيام الثورة المصرية حين كان الدكتـــور يرتاد بار اللواء وجريدة الأهـــرام »

تفدِّيك – يا مَكْسُ – الجيادُ الصَّلادِمُ
وتفدى الأساةُ النُّطْسُ مَن أنتَ خادمُ

كأنَّكَ – إن حاربتَ – فوْقكَ عنترٌ وتحتَ ابنِ سينا أنت حين تسالِمُ
ستُجْزَى التماثيلَ التى ليس مِثلُها إذا جاء يومٌ فيه تُجزَى البهائِمُ
فإنك شمسٌ، والجيادُ كواكبٌ وإنك دينارٌ ، وهُنَّ الدراهم
. . . مثالٌ بِساحِ البرْلمانِ مُنصَّبٌ وآخرُ فى (بارِ اللّوا) لك قائم
ولا تظفرُ (الأهرامُ) إلا بثالثٍ «مزاميرُ» داودٍ عليه نَواغِمُ(١)
وكم تَدَّعِى السُّودانَ يامَكس هازِلاً وما أنت مُسْوَدٌّ ، ولا أنت قاتم
وما بكَ مما تُبصرُ العينُ شُهبةٌ ولكن مشِيبٌ عَجَّلتْهُ العظائم
كأنَّك خيْلُ التركِ شابَت مُتونُها وشابت نَواصيها ، وشاب القوائم
فيا رُبَّ أيامٍ شهدْتَ عصيبةٍ وقائعُها مشهورةٌ والملاحِم !

---

(١) نحسبه يعنى المأسوف عليه داود بركات رئيس الأهـــرام لذلك العهد .

ذخيرةٌ

« وهذه مداعبة أخرى — لم تكمل — نظمها في أيام الثورة وهو ينسب فيها إلى الجنيه كان الدكتور محجوب قد اكتنزها وحرص عليها في بنك حسن باشا سعيد ... »

قل لابن سينا : لا طبيـــبَ اليومَ إلا الدرْهمُ
هو قبلَ بقراطٍ وقبْـــلَكَ للجِراحةِ مَرْهم
والناسُ مُذ كانوا عليـــه دائرون وحُوَّم
وبِسحْرِه تعلو الأسا فِلُ في العيونِ وتعظُم
يا هل تُرى الألفانِ وقــفٌ لا يُمسُّ ومَحرَم؟!
بنكُ «السَّعيدِ» عليهما حتى القيامةِ قيِّم
لا «شِيكَ» يظهَرُ في البُنو ك ولا «حِوالةَ» تُخصَم !
وأعَفُّ مَنْ لا قيتَ يلقـــاهُ فلا يتكرَّم !
... ...

بَرَاغِيثُ مَحْجُوب

بَرَاغِيثُ مَحجوب لم أنسَها ولم أنسَ ما طَعِمَتْ من دمى
تشقُّ خَراطيمُها جَوْرَبى وتنفُذُ فى اللحمِ والأَعظُمِ !
وكنتُ إذا الصَّيفُ راح احتَجمْــــتُ فجاء الخريفُ فلم أحجَمِ
تُرَحِّبُ بالضَّيف فوقَ الطـــريقِ ، فبابِ العيادةِ ، فالسُّلَّم
قد انتشَرَت جوْقَةً جَوقةً كما رُشَّتِ الأَرضُ بالسِّمسِم !
وتَرقصُ رَقصَ المَواسى الحِدادِ على الجِلدِ ، والعَلَقِ الأَسحم

* * *

بواكيرُ تَطلعُ قبل الشِّتاء وتَرفعُ ألوِيَةَ الموْسِم
إذا ما «ابنُ سينا» رَمى بلغماً رأيتَ البراغيثَ فى البَلغمِ
وتُبصِرُها حول «بيبا» الرئيس(١) وفى شارِبيْهِ وحولَ الفَمِ !
وبيْنَ حفائرِ أسنانِه مع السُّوسِ فى طلبِ المَطْعَمِ !

---

(١) ابن سينا ، والرئيس : كناية عن الدكتور محجوب نفسه ، ومن الاشياء الحبيبة اليه التدخين فى « البيبا » .

محتويات الكتاب

أولا : متفرقات في السياسة والتاريخ والاجتماع :

صفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	القافية
١٠	الجامعة المصرية	تاج البلاد ، تحية وسلام	الاحلام
١٤	بنك مصر	تراوح بالحودات أو تغادى	القبادا
١٧	دار بنك مصر	نبذ الهوى وصحا من الاحلام	منام
٢١	دار العلوم	اتخذت السماء يا دار ركنا	سكنا
٢٤	اسكندرية آن أن تتجددى	أمس انقضى واليوم مرقاة الغد	تتجددى
٢٦	فتية الوادى عرفنا صوتكم	لا يقيمن على الضيم الاسد	الوتد
٢٩	عيد الجهاد	خطرنا فى الجهاد خطا فساحا	السلاحا
٣٢	معالى العهد	معالى العهد قمت بها فطيما	قديما
٣٨	رسالة الناشئة	احمد الله واطرى الانبياء	الضياء
٤٣	حج الامير	دامت معاليك فينا يابن فاطمة	نبراس
٤٤	اسماعيل	أبكيك اسماعيل مصر وفى البكا	المستعبر
٤٥	حريق ميت غمر	الله يحكم فى المدائن والقرى	كما جرى
٤٨	خطبة غليوم	يارب ما حكمك ؟ ماذا ترى ؟	الطويل
٤٩	نادى الموسيقى الشرقى	حطت يداك الروضة الغناء	بناء
٥٢	فى دار الاوبرا	حبذا الساحة والظل الظليل	جميل
٥٥	مصرع بطرس غالى باشا	بنى القبط اخوان الدهور ، رويدكم	ثانيا
٥٦	تحية غليوم الثانى لصلاح الدين فى القبر	عظيم الناس من يبكى العظاما	عظاما
٥٧	الفنار	سما يناغى الشهبا	فالتهبا
٦٠	القمر على آفاق كلازومين ليلة المولد	فديناك من زائر مرتقب	عجب
٦١	أثينا	ان تسألى عن مصر حواء القرى	والآثار
٦٣	ذكرى محمد فريد	نجدد ذكرى عهدكم ونعيد	بعيد
٦٤	النخل مابين المنتزه وأبى قير	ارى شجرا فى السماء احتجب	عجب
٦٦	البحر الابيض	امن البحر صائغ عبقرى	مفرى
٦٩	قف حى شبان الحمى		بقافيه
٧١	تثنى عطفيهما الهرمان تيها	بأرض الجيزة اجتاز الغمام	التمام
٧٤	الاميرة فتحية	فتحية دنيا تدوم وصحة	وحياة
٧٥	تهنئة	يد الملك العلوى الكريم	الادب
٧٦	يا قاهر الغرب العتيد	شرفا نصير ارفع جبينك عاليا	الاكليلا
٧٨	ابن زيدون	يابن زيدون مرحبا	التغيبا
٨٠	البلبل الفرد	وعصابة بالخير ألف شملهم	ورفاقا

صفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	القافية
٨١	خليل مطران	لبنان مجدك فى المشارق أول	سنام
٨٣	غاندى	بنى مصر ارفعوا الغار	الهند
٨٦	تحية أبولو	أبولو ، مرحبا بك يا أبولو	ظل
٨٧	أغنية	بى مثل ما بك ياقمرية الوادى	نادى
٨٨	ياشراعا وراء دجلة		العوادى
٨٩	الرجل السعيد	عفيف الجهر والهمس	بالامس
٩١	الاثر	وجدت الحياة طريق الزمر	آخر
٩٢	الستار	قدمت بين يدى نفسا أذنبت	الاقرار

ثانيا : الخصوصيات :

صفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	القافية
٩٤	أبو على	سار شوقى أبا على	النزالى
٩٥	الزمن الاخير	على لو استشرت أباك قبلا	المستشير
٩٦	صاحب عهده	رزقت صاحب عهدى	بعدى
٩٧	يا ليلة	يالبنة سميتها لمتى	مرت
٩٨	امينة	أمينتى فى عامها الاول	الملك
٩٩	طفلة لاهية	أمينة يابنتى الغالية	الثانية
١٠٠	الانانية	أحبك أمينة وكلبها	يحبها
١٠٢	لعبة	صفار بحلوان لسنيسر	الاكبر
١٠٥	زين المهود	يا شبه سيدة البتول	الظهور
١٠٦	أول خطوة	هذه أول خطوه	كبوه
١٠٧	يوم فراقه	بكينا لاجل خروجه فى زورة	فراقه
١٠٨	مظلوم	أقسمت لو أمر الزمان سماءه	ونجومه
١٠٩	سرنا انك ارتقيت	ياعزيزا لنا بمصر علمنا	فائز
١١٠	بلغتنى أملا	ذى همة دونها فى شأوها الهمم	نمم
١١١	اصيب المجد يوم اصبت	اتتنى الصحف عنك مخبرات	كالحادثات
١١٢	سالتك بالوداد	سألتك بالوداد ابا حسين	والعهود
١١٣	اهنا اخى !	قالوا « تمايز » حمزة	قديم
١١٤	يانصيب !	لقد وافتنى البشرى	سرا
١١٥	المدامة !	كن فى التواضع كالمدامة	الكئوس
١١٦	تاريخ !	وجنات من الاشعار فيها	ذوق
١١٧	اليق ديوان ظهر !	مجموعة لاحمد	بهر
١٢٠	انت وانا !	يحكون ان رجلا كرديا	همشريا
١٢١	نديم الباذنجان !	كان لسلطان نديم وأف	اختلاف
١٢٢	ضيافة قطة !	لست يناس ليلة	مرت
١٢٥	الصياد والعصفورة	حكاية الصياد والعصفورة	صوره
١٢٧	البلابل التى رباها البوم	انبئت أن سليمان الزمان ومن	ناجاها
١٢٨	الديك الهندى والدجاج البلدى	بينا ضعاف من دجاج الريف	طريف

صفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	القافية
١٢٩	العصفور والغدير المهجور	الم عصفور بمجرى صاف	الالفاف
١٣٠	الافعى النيلية والعقربة الهندية	وهذه واقعة مستغربة	العقربة
١٣٢	السلوقى والجواد	قال السلوقى مرة للجواد	القياد
١٣٣	فار الغيط وفار البيت	قال كانت فأرة الغيطان	النيران
١٣٥	ملك الغربان وندور الخادم	كان للغربان فى العصر مليك	أريك
١٣٦	الظبى والعقد والخنزير	ظبى رأى صورته فى الماء	السماء
١٣٧	ولى عهد الاسد وخطبة الحمار	لما دعى داعى ابى الاشبال	الانجال
١٣٨	الاسد والثعلب والعجل	نظر الليث الى عجل سمين	أمين
١٤٠	القرد والفيل	قرد رأى الفيل على الطريق	التعويق
١٤١	الشاة والغراب	مر الغراب بشاة	العظيم
١٤٢	امة الارانب والفيل	يحكون أن أمة الارانب	بجانب
١٤٤	حكاية الخفاش ومليكة الفراش	مرت على الخفاش	الفراش
١٤٧	الاسد ووزيره الحمار	الليث ملك القفار	الصحارى
١٤٨	النملة والمقطم	كانت النملة تمشى	المقطم
١٤٩	الغزال والكلب	كان فيما مضى من الدهر كلب	غزال
١٥٠	الثعلب والديك	برز الثعلب يوما	الواعظينا
١٥١	النعجة وأولادها	اسمع نفائس ما يأتيك من حكمى	واعى
١٥٢	الكلب والقط والفار	فار رأى القط على الجدار	الحصار
١٥٣	سليمان والهدهد	وقف الهدهد فى باب	بذله
١٥٤	سليمان والطاووس	سمعت بأن طاووسا	سليمانا
١٥٦	الغصن والخنفساء	كان بروض غصن ناعم	المنفرد
١٥٧	القبرة وابنها	رأيت فى بعض الرياض قبره	الشجر
١٥٨	النعجتان	كان لبعض الناس نعجتان	ترعيان
١٥٩	السفينة والحيوانات	لما اتم نوح السفينة	المعينة
١٦٠	القرد فى السفينة	لم يتفق مما جرى فى المركب	النبى
١٦١	نوح عليه السلام والنملة فى السفينة	قد ود نوح أن يباسط قومه	الحيوان
١٦٢	الدب فى السفينة	الدب معروف بسوء الظن	عنى
١٦٣	الثعلب فى السفينة	ابو الحصين جال فى السفينة	والسمنه
١٦٤	الليث والذئب فى السفينة	يقال ان الليث فى ذى الشدة	المودة
١٦٥	الثعلب والارنب فى السفينة	أتى نبى الله يوما ثعلب	مذنب
١٦٦	الارنب وبنت عرس فى السفينة	قد حملت احدى نسا الارانب	المركب
١٦٧	الحمار فى السفينة	سقط الحمار من السفينة فى الدجى	وترحموا
١٦٨	سليمان عليه السلام والحمامة	كان ابن داود يقرب	حمامه
١٧٠	الاسد والضفدع	انفع بما اعطيت من قدرة	المجمع
١٧١	النملة الزاهدة	سعى الفتى فى عيشه عبادة	للسعادة
١٧٢	اليمامة والصياد	يمامة كانت بأعلى الشجرة	مستترة
١٧٣	الكلب والحمامة	حكاية الكلب مع الحمامة	بالكرامة

صفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	القافية
١٧٤	الكلب والببغاء	كان لبعض الناس ببغاء	الاصغاء
١٧٥	الحمار والجمل	كان لبعضهم حمار وجمل	ملل
١٧٦	دودة القز والدودة الوضاءة	لدودة القز عندى	الاضواء
١٧٨	الجمل والثعلب	كان على بعض الدروب جمل	بحمل
١٧٩	الغزالة والاتان	غزالة مرت على أتان	الاسنان
١٨٠	الثعلب الذى انخدع	قد سمع الثعلب أهل القرى	ثعلب
١٨١	ثعالة والحمار	أتى ثعالة يوما	حمار
١٨٢	البغل والجواد	بغل أتى الجواد ذات مرة	مسرة
١٨٣	الفارة والقط	سمعت إن فأرة أتاها	فتاها
١٨٤	الغــزال والخروف والتيس والذئب	تنازع الغزال والخروف	الظريف
١٨٥	الثعلب والارنب والديك	من اعجب الاخبار ان الارنبا	الثعلبا
١٨٦	الثعلب وام الذئب	كان ذئب يتغدى	عظمه

رابعا : ديوان الأطفال :

صفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	القافية
١٨٨	الهرة والنظافة	هرتى جد اليفة	حليفة
١٨٩	الجـــدة	لى جدة ترأف بى	أبى
١٩٠	الوطن	عصفورتان فى الحجاز	فنن
١٩١	الرفق بالحيـــوان	الحيوان خلق	حق
١٩٢	الام	لولا التقى لقلت لم	الولد
١٩٣	ولد الغــراب	وممهد فى الوكر من	مزقق
١٩٥	النيـــل	النيل العذب هو الكوثر	الاخضر
١٩٦	المدرسـة	أنا المدرسة اجعلنى	عنى
١٩٧	نشـيد مصر	بنى مصر مكانكمو تهيا	هيا
١٩٩	نشيد الكشافة	نحن الكشافة فى الوادى	حادى

خامسا : من شعر الصبا :

صفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	القافية
٢٠٢		عصر الاعزة ما أعز حماكا !	سماكا
٢٠٤	قصر المنتزه	منتزه العباس للمجتلى	جثاله
٢٠٦		ما بات يثنى على علياك انسان	أنسان
٢٠٨		أعطى البرية اذ اعطاك باريها	يهنيها
٢١٠		بينى وبين ابى العلاء قضية	الحكماء
٢١١	دواء المتيم	داو المتيم داوه	الدوا

صفحه	عنوان القصيدة	مطلعها	القافيه
٢٠٩		محنمو ..ا على سمك	النوى
٢١٠	وكمب على صوره	سعت لك صورتى وأدت شخصى	الحيات

سادسا : محجوبيات :

٢١٤	بين مكسويني والاوتومبيل	لكم في الخط سياره	الجاره
٢١٧	مكسويني	نفديك يامكس الجياد الصلادم	الخادم
٢١٨	ذخيرة	قل لابن سينا لا نسب	الدرهم
٢١٩	براغيث محجوب	براغيث محجوب لم انسها	دمى

تم الفهرس

